

**الفهرس العام**  
**للمجلد الرابع (سنة ١٣٥٢) من مجلة نور الاسلام**

الموضوع	بسم	صفحة
( أ )		
أبو بكر الصديق .....	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٢٦١ و ٤١٢
أحكام الجنازة .....	» » »	١٩٥
إحراق جثة الميت .....	» » »	٣٤
الأزهر وجامعة المسجد الأقصى .....	.....	٢٢٠
أزمة الزواج وعلى من تقع تبعاتها .....	» » ابراهيم الجبالى	٧٣٠
إسراع نفض الميت وخفنه ونقله ونحو ذلك ...	» » طه حبيب	٤٧٩
الاسلام فى السودان .....	قلم الترجمة	٦٧ و ١٣٢
الاسلام فى بلاد الصين .....	» »	١٢٠ و ٢٨٦ و ٠٩
الاسلام فى نظر بحاثى أوروبا .....	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٦٢
الاسلام والعلم .....	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	٣٨٢
الى الذين لا يؤمنون بالغيب .....	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧٥٠
الأمثال فى اللغة العربية .....	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	٥٧٠
الانصاف الأدبى .....	» » »	١٤٧
انتهاء عهد الفلسفة المادية .....	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٤٩
الانتحار .....	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٧٧
( ب )		
البخارى .....	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٨٨
براءة من مذهب القاديانية .....	جماعة القاديانية بمصر	٥٥١

الموضوع	بقلم	صفحة
( ت )		
تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٠١ و ٣٤٨
تأخير أداء الصلاة عن وقتها للضرورة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	٤٧٧
تحبى التدبير الالهى فى أعمال الحيوانات ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٦٤ و ٤١٨
تجديد كورى الخديوى إسماعيل والاحتفال بافتتاحه	... ..	٢١٢
تجديد النسل ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٥٩
تحليل الروح العصرية ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٥٥٤
تحصيص بعض الورثة بشئ من الميراث ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٩٩
تراجع الفلسفة من موقفها الاحادى ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٤٢٥
تربية النفس بالنفس ... ..	قلم الترجمة	٦٥٣ و ٤٣٣
تصحیح ... ..	قلم التحرير	٧١
التعاون فى الاسلام ... ..	فضيلة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين	٢٢٣
تعليم القرآن بغير تجويد ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٣٥٩
تفسير سورة النور ... ..	» » ابراهيم الجبالى	١٨ و ٨٢ و ١٥٧
تفسير سورة الفتحى - شئ من سيرته صلى الله عليه وسلم	» » طه حبيب	١٨٣
تفسير سورة الاخلاص ... ..	» » ابراهيم الجبالى	٦٩٦
تفنيد مذهب القاديانية ... ..	» » السيد محمد الخضر حسين	١١٠ و ٥٥
التقليد والتلفيق ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٤٠
تمنى الموت للضر والضيق ... ..	» » »	٤٧٦
تنبيه ... ..	إدارة المجلة	١٤٤
تنبيه ... ..	» »	٣٦٦
توحيد الالهية وتوحيد الربوبية ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣١٩ و ٢٥٥

الموضوع	بقلم	صفحة
(ث)		
ثبوت شهر رمضان بواسطة التغراف ونحوه ...	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٦٣٩
ثبوت النسب لاولاد من ظهر أنها أخت وضاعا	» » طه حبيب	٤٧٩
(ج)		
جلالة الملك المعظم ينتشع الكليات الثلاث بالجامعة الازهرية	... ..	٤٣
(ح)		
حديث الغرائق ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٢٦
الحديث — تدوينه ... ..	» » طه حبيب	٤٣٠
حكم إقامة الموالد ... ..	» » »	١٠٣
حكم الصلاة يوم الجمعة والامام يخطب ... ..	» » »	١٠٤
حكم صلاة الظهر بعد الجمعة ... ..	» » ابراهيم الجبالى	١٩٩
حكم الله فى التبرج ... ..	» » طه حبيب	٣٨٥
حكم تعاقب الطلاق ... ..	» » »	٤٣٧
حكم المحلل ... ..	» » »	٥٥٨
حكم المريض والامى إذا قتل أو سرق أو زنى	» » »	٤٧٧
حكم الصلاة خلف إمام متكبر ... ..	» » »	٤٧٨
الحكم على المسلمين بالكفر ... ..	» » يوسف الدجوى	١٧٠
الحكمة العربية ... ..	» السيد محمد الخضر حسين	٣٩٨
الحكمة وأثرها فى النفوس ... ..	» » »	٥٠٠
الحلف بالمصحف ... ..	» » طه حبيب	٤٣٧
الحلف بالطلاق أو بالحرام ... ..	» » »	٣٦
حل الجنابة فى السيارة وتغيير الدين ... ..	» » »	٣٤
حول حوادث التبشير ... ..	قلم التحرير	٢٠٩

الموضوع	بسم	صفحة
(خ)		
... .. ختم الصلاة بالتسبيح والاستغفار	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٨٠
... .. خطبة افتتاح العام الدراسي	» » عبد المجيد اللبان	٧٤٧
(د)		
... .. دحض مفترقات المستشرقين	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٩٩
... .. الدين والدنيا معا	» » »	٣٥٣
... .. الدين والعلم	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٩٢
(ر)		
... .. ربيع الأول	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي	١٦٤
... .. رجب	» » طه حبيب	٤٦٣
... .. الرسول صلى الله عليه وسلم والتسامح	» » إبراهيم الجبالي	٧٥
(ز)		
... .. الزواج عند الأمم المختلفة	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٧٤
(س)		
... .. سؤال الفير	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٦١
... .. سماع القرآن من الراديو	» » »	٣٥٨
... .. سنة الجمعة القبلية	» » يوسف الدجوى	٧١٤
(ش)		
... .. شرح حديث شريف	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي	٣١٢ و ٢٤٥ و ٨٧ و ٦٢٠ و ٤٠٥



الموضوع	بقلم	صفحة
شق صدره صلى الله عليه وسلم ... .. شهادة كبار الفلاسفة والمؤرخين لانبى الأعظم صلى الله عليه وسلم ... .. شهادة كبار الفلاسفة للإسلام ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى حضرة الأستاذ مدير المجلة » » »	٩٢ ٥٣١ ٧٢٥
(ص)		
صلاة العيد ... .. صلاة الجمعة فى القرى ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب » » »	١٩٤ ١٩٧
(ض)		
الضيافة ونحوها فى المآتم ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	١٥١
(ط)		
الطلاق قبل النكاح ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٣٨
(ع)		
عجائب المخلوقات ... .. عدة الرجل ... .. العقيدة وسر الختان فى الدين الإسلامى ... .. العقيدة بالله فى نظر العلم الصحيح ... .. علة إعراض الشبان عن الزواج وعلاجها ... .. العلاقة بين المخ والكاء ... .. عمر الفاروق ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب » يوسف الدجوى حضرة الأستاذ مدير المجلة فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين قلم الترجمة حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧٦٥ ٤٧٩ ٢٦ ٤٥٥ ٣٤١ ٧٤٥ ٧٠٥ و ٦٢٨
(ف)		
الفصل بالدعاء بين الترويحيتين ... .. فضل الأخوة والأئمة وشروط الصلحة ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب » إبراهيم الجبالى	٣٨ ٥٣٥

الوضوع	بسم	صفحة
فضل الصلاة وبيان أسرارها ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٦٠٨
في تنظيم الاحسان طاعةينة المحسنين ... ..	» » ابراهيم الجبالي	٤٢٢
(ق)		
قراءة سورة الكهف يوم الجمعة... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	١٠٢
قرار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فيما يجب على الامة اتخاذه إزاء أعمال المبشرين ... ..	... ..	٢٠٣
قرار من العلماء في كلية الشريعة الاسلامية ... ..	... ..	٢١٥
القراءة للموتى بالأجرة ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٣
القرآن لفظا ومعنى ... ..	» » »	١٩٨
قصيدة ... ..	فضيلة الأستاذ السيد محمد الحضر حسين	٢٨١
(ك)		
كتاب الأم وما يحيط به ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى	٦٥٧
الكتاب والسنة ... ..	» » ابراهيم الجبالي	٤٦٨
الكفاءة ... ..	» » طه حبيب	٣٠
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبير بين يدى جلالة الملك فى كلية أصول الدين ... ..	... ..	٤٧
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبير بين يدى جلالة الملك فى كليتى الشريعة واللغة العربية ... ..	... ..	٥٣
كلمة عن التعليم الاسلامى بمصر ... ..	... ..	٥٥
كيف انتشر الاسلام فى العالم ... ..	قلم الترجمة	٧٥٦ و ٥٧٨
(ل)		
اللحوم المحفوظة فى العلب واتخاذ السن من ذهب وحشوها ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٣٥

الموضوع	يقام	صفحة
( م )		
المادية ومذهب العلماء الراسخين ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٩٤
ما يعمل للعبث وعادات الناس في ذلك ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٤٧٣
متى يستيقظ المسلمون لدينهم ... ..	» » »	٣٣١
مذهب النشوء والارتقاء في الميزان ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧٢٥ و ٦٤٤ و ٥٣٩
المحجيد الموقوف وأحكامه ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ طه حبيب	٥٦٠
مسائل تتعلق بصلاة الجمعة ... ..	» » يوسف الدجوى	٦٣٧
مسألة تتعلق بالبيع والدين والربا ... ..	» » »	٦٤٢
مضارة الزوج لزوجته ... ..	» » الشيخ طه حبيب	٤٧٦
المطالبة بدين الغير ... ..	» » »	٤٢٧
معجزة علمية للقرآن الكريم ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٠٩
معجزات القرآن العالمة ... ..	» » »	٤٩٥
مقدمة ... ..	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	٣
مكتبة الاسكندرية ... ..	» الشيخ طه حبيب	١٠٦
ملابس النساء والرجال ... ..	» » »	٣٦٠
من مدير مجلة نور الاسلام لقراءتها الكرام ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٩٧
المنذوب فعله شرعا في الأفرح ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	٤٣٩
مهمة الدين الاسلامى في العالم ... ..	حضرة الاستاذ مدير المجلة	٢٩٨
مهمة الدين الاسلامى في العالم ... ..	» » »	٣٦٩
إعلان الالفة العامة بين الشعوب ... ..	» » »	٤٤١
مهمة الدين الاسلامى في العالم ... ..	» » »	٥١٣
دعوته الى وحدة العقيدة الدينية ... ..	» » »	

صفحة	بـقـام	للموضوع
٥٨٥	حضرة الأستاذ مدير المجلة	مهمة الدين الاسلامى فى العالم ... نعيه على مبدأ التقليد الأعمى ...
٦٨٩	» » »	مهمة الدين الاسلامى فى العالم ... الدعوة الى العلم ...
		( ن )
٥٥٣	حضرة الفاضل أحمد افندى حمدى	نداء الى كل قاديانى ...
٥٠٤	حضرة الأستاذ مدير المجلة	نظرة علمية فى الكائنات الحية ...
٥٨٤	إدارة المجلة	نعى عالم جليل ...
٥٤٥ و ٤٥٩	فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين	نقض شبه القاديانية ...
١٣٨	» الشيخ محمد احمد عرفه	نقض مطاعن فى القرآن الكريم — كتاب ...
١٠٨	» » طه حبيب	نقل رفات الميت ...
٤٤٠	حضرة الاستاذ مدير المجلة	نوايغ الكلام ...
		( هـ )
١٠٨	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	هل المعاصى تمنع من دخول الجنة ...
٤٨٢	حضرة الاستاذ مدير المجلة	هل أفلسست المدنية الغربية ...
٦١٥	» » »	هل الحرية الشخصية معناها الاباحة ...
٢٧٦	» » »	هيئة كبار العلماء وحماية الاسلام والمسلمين ...
		( و )
١٠٧	فضيلة الاستاذ الشيخ طه حبيب	الولى ...

## الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
عذيقها	عزيقها	٢٧١	٢١	أبا حنيفة	أبو حنيفة	٤٤٦	١
وأنهم	أونهم	٢٧٢	٢١	إجبارم	إجيام	٢٢٧	٨
ماشيته	حاشيته	٥٢٣	٦	إن محمدا	إن محمد	٢٦٨	٣
من يريد	لمن يريد	٦٧٩	٢٢	وقال ابن السبكي	وقال السبكي	٦٧٤	١٦

ووقع في المازمة الانجليزية من العدد السابع هذا الخطأ

أعمالكم	أعمالكم	١٨	٣	الدين	الدين	١١	٣
وبينكم	وبينكم	١٨	٣	الدين	الدين	١٢	٣
الدين	الدين	١٥	٤	ويهدى	ويهدى	١٣	٣
إلا	إلا	١٥	٤	إلا	إلا	١٤	٣
ومن	ومن	١٧	٤	جاءم	جاءم	١٤	٣
اهتدوا	اهتدوا	١٨	٤	ربك	ربك	١٥	٣
فطرة	فطرة	٣١	٥	أورثوا	أورثوا	١٥	٣
القيم	القيم	٣٢	٥	آمنت	آمنت	١٧	٣
أفغير	أفغير	٢٨	٧	بينكم	بينكم	١٧	٣
وفي	وفي	٨	٨	أعمالنا	أعمالنا	١٨	٣



## تصحیح

وقع خطأ في شكل الآيات الواردة في المزمرة الانكليزية نرجو تصحيحه

صواب	خطا	سطر	صفحة
الدِّين	الدِّين	١١	٣
الدِّين	الدِّين	١٢	٣
ويَهْدِي	ويُهدى	١٣	٣
إِلَّا	إِلَّا	١٤	٣
جاءمُ	جاءمُ	١٤	٣
رَبُّكَ	رَبُّكَ	١٥	٣
أورثوا	أورثوا	١٥	٣
آمنت	آمنت	١٧	٣
بينكمُ	بينكمُ	١٧	٣
أعمالنا	أعمالنا	١٨	٣
أعمالكم	أعمالكم	١٨	٣
وبينكمُ	وبينكمُ	١٨	٣
الدِّين	الدِّين	١٥	٤
إِلَّا	إِلَّا	١٥	٤
ومنِ	ومنِ	١٧	٤
اهتدوا	اهتدوا	١٨	٤
فطرةً	فطرةً	٣١	٥
القيِّم	القيِّم	٣٢	٥
أفغيرُ	أفغيرُ	٢٨	٧
وفي	وفي	٨	٨





قَدْ جَاءَكُمْ كَرِيمٌ فَقَرُّهُ وَوَكَلَتْ مِثْلَ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَكَهَذَا يُهْتَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

# بُحُورُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصديرها ميسخنة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

المجلد الرابع	الحرم سنة ١٣٥٢	الجزء الأول
رئيس التحرير السيد محمد بن الحسين من علماء الأزهر	مدير إدارة المجلة عبد الغني زمر محمد بك المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى	
الاشتراك	الإدارة	
داخل القطر المصري ..... ٤٠ خارج القطر المصري ..... ٥٠ للمهاتم غير المدرسين وأئمة المساجد ( داخل القطر ..... ٢٠ والسأدوين ومعلمي المدارس ..... ٣٠ الأولية والطلاب ..... ) خارج القطر	شارع محمد مظلوم باشا رقم ١ تليفون : ٨٤٣٣٢ الرسائل تكون باسم مدير المجلة	
تتم الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجة		

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م



## مقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم حمد من أمددته بتوفيقك فلم تزل يرأته ، ونثنى عليك ثناء من اشترى حكمتك بلهو الحديث فربحت تجارته ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي أودى في سبيلك فصبر ، وجاهد خصوم هدايتك فظفر ، وعلى آل بيته الذين اقتدوا بسنته ، فكانوا أعلام الفلاح ، وأصحابه الذين ساسوا العقول بالحجة البالغة ، فذهبت الأباطيل كرماد اشتدت به الرياح .

أما بعد : فقد قضت هذه المجلة سنتها الثالثة وهي سائرة على الخطه التي رسمتها لنفسها ، جادة في العمل الذي أتى على كاهلها ، غير مكترثة بالمقبات التي تعترض طريقها . أوضحت حقائق شرعية كانت غامضة ، وفصلت القول في مواضيع اجتماعية كانت مجملة ، ونسقت مباحث أدبية كانت متفرقة ، وأزاحت عن ساحة الدين شها كانت قائمة ، وكشفت عن سرائر فرق تكيد للإسلام ، فظهر على وجوه هذه الفرق غبرة ترهقها فترة . ومما كسا المجلة وقارا ، وجعل غيها النافع مدرارا ، هذه الدروس التي تلقى على قرائها في تفسير القرآن العزيز ، وشرح الحديث الشريف ، وتحقيق البحث في أصول الدين ، وتحرير أحكام عملية إجابة للسائلين .

وعمدت المجلة الى آراء الغرب ، فنقلت الى العربية ما آنت فيه رشدا ، ثم نظرت الى مبتكراته ، فوصفت لقرائها ما يجديهم الاطلاع عليه نفعا . ومن المعروف أن مكتب الترجمة بإدارة المجلة ، يتألف من أساتيد ينقلون الى العربية ما ينشر في المجلات أو المؤلفات في اللغات الثلاث : الانكليزية ، والفرنسية ، والألمانية ؛ فن الميسور لقراء المجلة أن يطلعوا على الحركتين العلميتين : الشرقية ، والغربية ، في صفحات مجتمعة .

ورأت المجلة، أن الاسلام دين العالم أجمع، فيجب أن تستضيء بهدايته الشعوب غير العربية كما تستضيء بها الشعوب العربية، وليس في استطاعتها أن تخاطب كل شعب بلسانه الخاص، فأخرجت بعض صفحاتها في اللسان الانكليزي، إذ كان أوسع اللغات انتشارا بين الشعوب التي لا تتكلم العربية، لتبث بوسيلته الدعوة الى الحق، بين من يفقهون هذا اللسان، في الهند والصين وأمريكا وجنوب أفريقيا، وغيرها من البلاد.

ولما رأت رئاسة الأزهري الجليلة ما آتته هذه الصحف المحررة باللسان الانكليزي من الفائدة العظيمة في إيقاظ طوائف كثيرة لحقائق الدين وواجباته، شرعت تفكر في إصدار مجلة إسلامية مستقلة تحرر باللسان الانكليزي، والصحف التي كانت قد خصصت في مجلة نور الاسلام للسان الانكليزي تضاف الى ما يحرر باللغة العربية.

وكان لما تكتبه المجلة أثر حسن في مصر وغيرها من الأقطار المجاورة أو النائية. ويشهد بهظم هذا الأثر، كثرة الرسائل التي ترد في الثناء على خطتها، ونماه عدد المنبئين على قراءتها واقتنائها. ومما أكد ثقتنا بنجاح سعيها، وزاد أقدام محرريها نشاطا على نشاطها، هذه الصلات التي انعقدت بينها وبين جماعات من المسلمين في أقطار شاسعة. ومن فوائد هذه الصلات أن تنتشر الثقافة الاسلامية الوضاعة في العالم الاسلامي، تلك الثقافة التي مطلما الكتاب والسنة وسيرة السلف، وهي التي ترافق العقول ما سارت في طريق العلم والإصلاح، وتحبها من موبقة تحريف نصوص الشارح عن مواضعها، لتوافق أهواء غالبية، أو آراء لم تقم على صحتها أدلة بينة.

ولا نزال نذكر أن لحضرات مراسلي المجلة وقرائها فضلا في نجاحها وانتظامها، واتساع مدى دعوتها، فنقابل مؤازرتهم ونبل همهم بجزيل الشكر، ونرجو من الله تعالى نعمة التوفيق والتأييد.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفنيد مذهب القاديانية

كتبنا في الجزء السابع من المجلد الثالث من « نور الاسلام » مقالا في نشأة النحلة القاديانية ، وأوردنا فيه شيئا من نزعات هذه النحلة الفاسدة ، وأرينا القراء أنها نحلة مارقة من الدين ، عاملة على تقويض أركانها تحت ستار اسم الدعوة إليه . كتبنا ذلك المقال لئلا يفتتح أعين جماعات المسلمين على جانب مما يبثته غلام أحمد وأتباعه من شر ، حتى لا يغتر أحد بما يزخرفونه من قول ، أو بما يخلعونونه على أنفسهم من ألقاب زائفة . وقد عانيت بنشر هذا المقال صحف متمددة ، وكان له — بتوفيق الله تعالى — أثر في إيقاظ من كانوا عن هذه النحلة في غفلة ، حتى تبرأ منها فريق كانوا يحسبونها على شيء من الزهد ، وينذوها بنذ الزواة . أما من جعل الله صدورهم ضيقة حرجية ، فقد استغاثوا داعيتهم بنسطين لاهم يمدون عنده من قوة الجدل ما يزود عن ترهاتهم ، ويسترفض أحمهم ، فكاتب مقالاشغل به صفحات كثيرة من أوراق يصدرونها لترويج مزاعمهم في البلاد العربية ، ولم يزد في هذا المقال على أن اعترف ببعض ما عزوئناه الى نحلته من زيغ وإلحاد ، وذهب ببعضه مذهب التأويل المنبوذ على البداهة ، وقابل بعضه بالإنكار ، على الرغم من أنه وارد في كتب كبيرهم الذي علمهم اشتراء الدنيا بالآخرة ، أوفى كتب بعض زعمائهم الذين يرونهم بمقربة من النبوة . وخيلت له نفسه أنه يعرف من بلاغة اللسان العربي ما يقوى به على الخوض في تفسير القرآن الكريم وشرح

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخبط في مباحث لا بدرى كيف يردها ولا كيف يصدر عنها .

وها نحن أولاً نرفع الستار عن جانب آخر من تزوير غلام أحمد ، ونأتى الى مقال داعيتهم ، فنعرض على حضرات القراء قِطْعاً من زوره وقلة درايتة ، ليزدادوا علماً بأن القاديانية نخلة مافقة من مزاعم لا تتصل بمقول هياها الله تعالى للهداية ، ولا تروج في نفوس أخذت من التعاليم أو التهذيب ما فيه كفاية .

أبتداً داعية القاديانية بمقدمة ساق فيها آيات نزلت في حق أنبياء الله الأكرمين ومن يحدد نبوتهم من المبطلين ، محاولاً تطويقها على حال غلام أحمد ومن يحذرون الناس من ضلاله المبين ، ولا نعبأ بهذا التمثيل الفاسد ، فان ما كتبناه في نشأة نجاتهم ، وما ضربناه من الأمثال على بهتان رئيسهم ، يرد تلك المقدمة على عتبها خالصة ، ويحقق للقراء أن موقفنا في وجه غلام أحمد وأتباعه إنما هو موقف حزب الله في وجه مسيامة وسجاح وأمثالهما ممن يفترون على الله الكذب ، ويدعون أنه يوحى إليهم ، ولم يوح إليهم بشئ .

### فبين مدعى النبوة كذباً :

قلنا في مقالنا السابق : إن مدعى النبوة قد يذهب فينقطع أثره ، وقد يبقى لدعوته بين طائفة من الجاهلين أثر ، فاندفع داعية القاديانية بعد هذا مثالنا للنصوص القرآنية ويزعم أن كل من يدعى النبوة لا يمهله الله تعالى سنين دون أن يبيده ، ولا تروج دعوته ولو عند طائفة لا يكادون يفقهون حديثنا ، وأخذ يسرد آيات من القرآن يضعها في غير مواضعها ، ويضيف إليها من المعاني ما لا يصح أن يستنبط منها ، فأورد قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفَاحِشُونَ ) وقوله تعالى : ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفَاحِشُ الْمُجْرِمُونَ ) وقوله تعالى :

(قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيٍّ مِّمَّا تَجْرِمُونَ) وقوله تعالى: (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) وقوله تعالى: (لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) وقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ).

أورد داعية القاديانية هذه الآيات، وبنى عليها أن غلام أحمد ادعى النبوة وبقى نحو ثلاثين سنة، ولم يأخذ الله منه باليمين، ولم يقطع منه الوتين، وأفلح في دعوته، فدعواؤه الوحي والنبوة إذن صادقة.

والواقع أن هذا الداعية لا يفهم لا آيات الله معنى، ولا يعرف لسنن الله في الخليقة حكمة. يدلنا القرآن والم شاهدة على أن الله تعالى قد يملى لبعض المبطلين فيمدهم في أعمارهم، أو يكثر أموالهم وأولادهم، أو يجعل لهم من صنف الجاهلين شيعة، ثم يأخذهم بعد هذا أخذ عزيز مقتدر، قال الله تعالى: (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا أُخْذٍ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) وقال تعالى: (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَنَزْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ).

ومما يدل على أن بعض المضايين قد يجد في الناس من يتبعون خطواته، وبهميون في واد من ضلالاته، فتحقق عليهم كلمة العذاب التي حتمت على من قبلهم، قوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرَا) وقوله تعالى: (إِذْ نَبَرَأُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) فبقاء بعض المضلين أمدًا يعيشون فيه مفسدين، يأخذون فيه بأعنة بعض المنافلين أو المغفلين، لا ينقض سنة من السنن

الكونية ، ولا يخالف نصا من النصوص الشرعية ، وقد وافق داعية القاديانية على أن مدعى الإلهية قد ينتشر مذهبه في طائفة من الناس ، ويترك من بعده أتباعا ، وجعل طائفة البهائية من هذا القبيل ، ويحصر سرعة الإهلاك وعدم انتشار الدعوة فيمن يدعى الوحي والنبوة ؛ وقال في الفرق بين مدعى النبوة ومدعى الإلهية : إن نشر دعوة مدعى النبوة آية من آيات الله ، ولا يعطى مفتر هذه الآية لئلا يلبس أمر النبي بالمتنبي ، أما مدعى الإلهية فانه يدعى أمرا مستحيلا ، فإس هناك موضع التباس .

وكلامه هذا يقتضى أن الله تعالى يهاك المفترى إذا كانت دعواه محتملة للصدق ، لئلا يلبس على الناس أمره ، أما إذا قامت الأدلة الكافية على بطلان دعواه ، فانه يجوز إهماله وانتشار دعواه في طائفة من الناس .

وإذا كان داعية القاديانية يعترف بأن المضلل الذى تقوم الأدلة على افتراءه قد تأخر عقوبته إذ لا يلبس المبطل بالحق ، فإنا له : إن الأدلة القائمة على انقطاع النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم قاطعة ، فقد تظافر على ذلك الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، فيجوز أن يكون تأخير إهلاك غلام أحمد ، وترك أباطيله تنتشر بين طائفة من الناس ، من ناحية أن الأدلة القائمة على بطلان دعواه الوحي والنبوة قاطعة ، وليس بينها وبين إزهاق روح تلك النحلة المارقة إلا أن يتناولها أهل العلم بالبيان ، ويطاردوا بها دعاء القاديانية في كل زمان ومكان .

فإن قال داعية القاديانية : لو كانت الأدلة على انقطاع النبوة قاطعة لم يخالف فيها غلام أحمد ومن انحدروا في ضلالتة ، فإنا : إنكم سلمتم أن الأدلة القائمة على افتراء رئيس البهائية قاطعة ؛ وقد عى طائفة البهائية عن هذه الأدلة ، وليسوا بأوفرى في الغباوة منكم نصيبا ، ولا أخط منكم في الجهالة دركا ، ولا أشد منكم في اشتراء الدنيا بالدين نهالكا .



فدعوى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم معلومة البطلان من الدين بالضرورة ، فمن ادعاها لا يشتمه حاله بحال الحق البتة ، فمن الجائز إذن أن يهله الله تعالى كما يهل مدعى الإلهية ، ثم يسخته بعذاب في الدنيا أو الآخرة .

وانعد الى بيان تحبطه في الآيات التي ساقها على أن مدعى النبوة يجعل الله بمقوبته ، ويمنع من انتشار دعوته فنقول :

أما قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ) وقوله تعالى : ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ) فيأيدان على أن المفتري على الله تعالى لا يفلح ، وليس معنى عدم الفلاح بمقصود على إهلاكه بسرعة . وخيبة دعوته بحيث لا تجد سامعا ولو من الطائفة التي هي أقرب الى الحيوان الأعجم منها الى الانسان ، بل يكفي في تحقق عدم الفلاح فوز أنصار الحق عليه في الدنيا ، والتحاقه زمرة الأشقياء في الآخرة .

ثم إن عدم الفلاح قد جعل في الآية الثانية مما يترتب على التكذيب بآيات الله ، أفبيلغ الخلط في الحديث بهذا الداعية أن يدعى أن كل من يكذب بآيات الله يعجل الله بإهلاكه في الدنيا .

وأما قوله تعالى : ( وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ) وقوله تعالى : ( لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكَكُمْ بِهِ ذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) فإن هاتين الآيتين لا تدلان على أكثر من أن الذي يكذب على الله تعالى يصيبه جزاء كذبه في الدنيا أو في الآخرة ، ويجازى مع ذلك بالخيبة والحerman من بلوغ المقصود والظهور على حافة الحق . وقد أجرى الله تعالى على لسان غلام أحمد ما دل على سخافة عقله ، وفساد سريره ، وألقى به في خذلان حال بينه وبين الفلاح في الدنيا ، وما بعد الموت أشد وأبقى .

على أن الآية الثانية لم تقع خطاباً لنبي ، وإنما هي من قول موسى عليه السلام خطاباً لقوم فرعون ، وليس فيها ما يدل على أن الله تعالى يسرع بإهلاك مدعى النبوة كذباً ، ويعرف عنه حتى القلوب التي تقضى فيها الشياطين ليائها ونهارها ، وغاية ما تدل عليه أن المغترى على الله يخيب في دعوته ، ويصيبه جزاء فريته . وإن دعوة لا تروج إلا عند نفر لا يفرقون أولاً يريدون أن يفرقوا بين الليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، لدعوة خاسرة .

وأما قوله تعالى: (وَأَوْ تَقُولَ غَائِبًا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ أَقْطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) فليس المراد منه تقرير أن الله يجعل بإهلاك كل من يدعى النبوة كذباً ويقطعه عن الحياة لأول ما يدعى النبوة ، حتى إذا ادعى أحد السخفاء النبوة ، وعبت بمقول طائفة من البله ، أو اشترى نفوس طائفة من البؤساء ، وعاش نحو ثلاثين سنة ، قلنا : هذا صادق في دعوى النبوة ؛ وإنما نزلت هذه الآية في حق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد حقه الله تعالى بدلائل الصدق من كل جانب ، بحيث لا يحسد ذو النظر السليمة أو العقل الراجح إلى تكذيبه فيما يخبر به عن الله تعالى منفذاً ، ولو كان هذا الذي استقامت سيرته ، وبهرت حكمته ، وثبتت معجزته ، قد تقول على الله تعالى بعض الأقاويل ، لكان الضرر من قوله على الله تعالى عظيماً ، إذ ليس في أيدي الناس ما من شأنه أن يدل على أن ما بلغه من قول على الله ، فكان من مقتضى الحكمة أن يأخذ الله منه باليمين ، ثم ليقطع منه الوتين ؛ أما من تقوم الأدلة الجلية على أنه كاذب ، كغلام أحمد ، فقد يئى له الله تعالى لحكم ، منها إظهار فضل العلماء الذين يجاهدون في إنقاذ الغافلين من مهالك دعوته الخاسرة .

هذا وقد ذكر الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى : (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أن المعنى : منعناه عن ذلك ( أى القول ) إما بإقامة الحجة بأن كنا نقيض له من يعارضه

في القول ، فيظهر للناس كذبه فيه ، فيكون ذلك إبطالا لدعواه وهدما لكلامه ، وإما بأن نساب منه القوة على التكلم بذلك القول .

ونحن نعلم أن الله تعالى قد نصب الأدلة على كذب غلام أحمد ، وقبض له بعد ذلك طائفة من العلماء ، فدفنوا باطله بالحجة ، ونادوا في الناس بأنه مزمار من مزامير الشيطان ، حتى ازداد كذبه وضوحا ، ودعوته خيبة ، ودربرته اقتضاها .

وقد أجرى الله على لسان غلام أحمد آيات تدل على أن ما يدعيه زور وهتان ، ومن هذه الآيات أنه كان قد رغب في التزوج بفتاة من بنات بعض أقاربه ، وسبق إلى ظنه أن والدها لا يحجم عن تزويجه إياها ، فزعم أن اقترانه بها قد تقرر بطريق الوحي ، ولكن أهل الفتاة امتنعوا من تزويجه إياها ، وعزموا أن يزوجوها بـ رجل غيره ، فلما بانء هذا العزم ، زعم أنه أوحى إليه مرة أخرى أن من يتزوجها غيره يموت في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين ، ثم نصير الفتاة زوجا له ، ولكن أهل الفتاة موقنون بأن غلام أحمد غير صادق فيما يزعم ، فزوجوا ابنتهم من رجل مسلم يدعى « ميرزا محمد سلطان » ودامت العشرة بين الزوجين ، واستمررا في حياة ، وقد مات القادياني في ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨ وبقي محمد سلطان يعيش مع زوجه عيشة راضية الى ما بعد سنة ١٩٢٠ .

ووقع غلام أحمد في بهتان آخر ، إذ زعم في تأليفه المسمى « إعجاز أحمد » أن من علامات صدقه سير القطار بين الحرمين الشريفين « فقال : شهدت السماء والأرض على صدقي ولكن أكثر الناس لم يقبلوني ، أنا الذي عطلت الإبل ، وصدق الخبر الغيبي » وإذا العشار عطلت » في وقته ، وأيضا صدق الحديث ( ليركن القلاص فلا يشى عليها أحد ) حتى إن منشئ جرائد العرب والعجم كتبوا في جرائدهم أن القطار الذي يجري بين مكة والمدينة من علامات المسيح الموعود .

يقول هذا وهو لم يدخل الحرمين الشريفين ولو لأداء فريضة الحج ، والإبل لم تعطل في وقته ، والقطار لم يسر بين مكة والمدينة في وقته ، بل الى هذا اليوم .

انقطاع النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما أن نكتفى بسوق الشواهد على أن غلام أحمد بعيد من النبوة والصلاح بعد الثرى من الثريا . ولنا أن نكتفى من هذه الشواهد ببعض أقوال صدرت منه ، فجاءت تضرب لسخافة الرأي وظلمة القلب أوضح مثال . ولنا بعد هذا في حاجة الى محاورة أتباعه في أن النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم منقطعة أم باقية ، إذ على فرض بقائها لا يتصور ذو عقل أن يكون من مظاهرها رجل يقول ما لم يقع ، وما لا يقع . وكيف يجوز النبوة من لا يتعفف عن الكذب على المخلوقين ؟ :

وإذا خرجنا في مجادلة القاديانية عن حديث نبوة رئيسهم المزيفة الى بحث انقطاع النبوة من أصلها ، فلأن هذه الطائفة لا تفتأ تشغل ألسنتها بدعوى أن النبوة لم تنقطع ، فحق علينا تذكير المسلمين بأن دعواهم هذه لا تلتقي مع حقيقة الدين الحنيف في نفس واحدة .

أوردنا في المقال السابق نبذة من أدلة انقطاع النبوة بعد الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، ومن هذه الأدلة قوله تعالى : (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) وقلنا : إن الخاتم بمعنى الآخر ، وهذا هو المعنى الذى يذكره علماء اللغة والتفسير لهذه الكلمة ، فى لسان العرب : وختم القوم وخاتمهم وخاتمهم : آخرهم ، والخاتم والخاتم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى التنزيل العزيز : ( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ) أى آخرهم . وأما التفسير فلم يزم مفسرا يذكر فى بيان «خاتم النبیین» معنى غير معنى الآخر ، ووردت الأحاديث مؤيدة لهذا المعنى ، وسقنا منها فى ذلك المقال جملة ، وهى لا تقصر عن درجة المنواتر .

ومن الأحاديث الصريحة فى هذا المعنى ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : ( إن الرسالة والنبوة قد انقضت فلا رسول بعدى ولا نبي )

فشق ذلك على الناس، فقال: (ولكن البشرات) قالوا يا رسول الله: وما للبشرات؟ قال: (رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة<sup>(١)</sup>).

ومنها حديث عبد الله بن عمر وهو: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالودع، فقال: (أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - ولا نبي بعدى<sup>(٢)</sup>) ومنها حديث أبي هريرة: (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبوة<sup>(٣)</sup>) إلى غير هذا من الأحاديث العريضة الصحيحة المختلفة الأسانيد.

وبعد هذه الأحاديث إجماع الأمة على أن من ادعى النبوة بعد رسول الله فهو من الضالين المضلين، قال الامام ابن كثير في تفسيره: «قد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل» وذكر بعض من ادعوا النبوة كالأسود العنسي وسيلمة ثم قال: «فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخاق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها» وقال الامام ابن عطية في تفسير آية (وخاتم النبيين): هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاء وسلفاً متلفاة على العموم التام، مقتضية نصاً أن لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم. وقال ابن حزم: «فكيف يستجيز مسلم أن يُثبت بعده عليه السلام نبياً في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان» وقال أبو حيان في تفسيره (البحر): ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع، أو إلى أن الولي أفضل من النبي، فهو زنديق.»

(١) رواه الترمذي. (٢) رواه الامام أحمد. (٣) رواه مسلم.

## دفع شبهة بقسمة بها القاديانية :

أورد داعية القاديانية آيات من القرآن الكريم زاعما أنها تدل على عدم انقطاع النبوة ، منها ثلاث آيات وردت في إرسال الله الرسل واصطفائه لهم ، وجاء التعبير فيها بصيغة المضارع ، وهى قوله تعالى : ( اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ) وقوله تعالى : ( وَلَئِكَ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ) وقوله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آبَاءَكُمْ ) فقال فى الآية الأولى : إنها تقتضى استمرار الاصطفاء دائما ، وقال فى الآية الثانية : إنها تدل على أن الله دائما يجتبي من رسله من يشاء ، وقال فى الآية الثالثة : إنها صريحة فى بيانها .

كنا قد تعرضنا فى المقال السابق لهذا الوجه من توحيهم ، وقصرنا البحث على آية ( اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ) فقلنا : أما المضارع فى قوله : ( الله يصطفى ) فمحمول على الماضى ، واختيار صيغة المضارع للدلالة على أن اصطفاء الله للرسل كان يتجدد حينما غيبت ، فكتب داعية القاديانية منكر استعمال المضارع فى الاستمرار للماضى فقط ، وهذا إنكار منه احنى قرره خول علماء البلاغة ، كصاحب المفتاح ، والسيد الجرجاني ، والسعد التفتازانى ، ولم ينازعهم فيه أحد ممن ينظر فى العلم بشئ ، من العقل .

فالحنى أن المضارع يستعمل للدلالة على تجدد الفعل فى الماضى ، ولا سيما الفعل المتصل بزمان الخطاب كاصطفاء الرسل وإتيانهم ، فإن هذه الآيات قد نزلت والوحى الذى تتحقق به الرسالة لم يزل جاريا ، والأحكام التى تنظم بها الشريعة ويكمل بها الدين ما زالت تنزل على حسب ما تقتضيه الحكمة ، وليس استعمال المضارع للدلالة على التجدد فى الماضى مختصا بحال افتراءه بلفظ « كان » بل المدار على وجود قرينة توى

الى أنه مستعمل في هذا المعنى ، ولا فرق بين أن تكون القرينة لفظية أو معنوية ، متصلة باللفظ أو ، منفصلة عنه ؛ وقد صرح طائفة من أئمة البلاغة بأن المضارع يستعمل في الماضي لقصد الدلالة على استمرار الفعل فيما مضى وقتنا فوقتنا . ومن الشواهد التي سافوها على هذا قوله تعالى : ( وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ) فقالوا : إذ المضارع يعنى قوله ( يطيعكم ) مستعمل في الماضي للدلالة على استمرار الإطاعة فيما مضى وقتنا فوقتنا ، وكلمة « لو » أفادت انتهاء هذا الاستمرار التجددي الذي دل عليه المضارع .

فاليانيون قرروا استعمال المضارع للدلالة على تجديد الفعل في الماضي ولم يقصروه على موضع ، بل جعلوا مدار صحته قيام القرينة ؛ ولا نطيل في الاستدلال على أن المضارع يستعمل لإفادة التجدد في الماضي ، إذ يكفي فيه إجماعهم على أن المضارع يستعمل للفعل الماضي خاصة ، ومن ذا يستطيع أن ينكر أن المضارع في قوله تعالى : ( إِنِّي أَرَانِي أَعِصِرُ خَمْرًا ) وقوله تعالى : ( إِنِّي أَرَانِي أَعْجِلُ فَوْقَ رَأْسِي تُخْرَجًا ) وقوله تعالى : ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ) مستعمل في فعل مضى لوجه من البلاغة ، وما على المدبر بالمضارع عن الفعل الماضي سوى أن يقيم الدليل على ما يريد من الصيغة . وقد قلنا في المقال السابق : إن الأدلة التي تدعونا الى حمل الاصطفاء في قوله تعالى : ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) على ما كان يتجدد في الماضي قوله تعالى : ( وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ) والأحاديث الصريحة في أن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

واعترض داعية القاديانية جعل آية « وخاتم النبيين » مبنية لقوله تعالى : ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) فقال : كما يعرف أن قرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به ، وأن آية ( اللَّهُ يَصْطَفِي ) مكية ، وآية ( وخاتم النبيين ) مدنية .

وجواب هذا أن تأخير آية (وخاتم النبيين) لا يمنع من أن تعدّ بيانا للمراد من قوله تعالى : (الله يصطفى) أما على مذهب (١) من يميز تأخير البيان عن وقت الخطاب فالأمر واضح ، إذ مقتضاه أن يدل المضارع حال الخطاب على أن اصطفاء الرسل شأن من شئون الخالق جل وعلا ، فيسقط به اعتقاد من ينكر بعثة الرسل أو ينكر أن يكون في البشر رسول ، ويثبت أن الله تعالى قد بعث رسلا من البشر ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حين ادعى الرسالة لم يدع أمرا يخالف حكمة الخالق ، ويبقى صرف اصطفاء الرسل عن المستقبل الى أن تظهر الحاجة الى تعليم الناس أن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما على مذهب من يمنع تأخير البيان عن الخطاب ، فتمتد أن يكون لدى من تلقوا آية (الله يصطفى) عند نزولها دليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرحها عن المستقبل ، وجاءت آية (وخاتم النبيين) مؤيدة للحديث ، وورود الآية بعد الحديث لا يمنع من عدها في جملة ما يبين الآية الأولى ، وما زال كبار الأئمة يسمون المتأخر بيانا لما سبقه بمدة ، كما جعلوا إعطاء سلب القليل للقاتل في الحرب غصصا لقوله تعالى : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) وهذه الآية نزات في غزوة بدر ، والحديث ورد بعد هذه الغزوة بزمان غير قليل .

وقال داعية القاديانية يحاول رد ما ذكرنا من أن المضارع في آية (الله يصطفى) مصروف عن المستقبل : « إن الآية تبين اصطفاء الله رسلا من الجنسين : الملائكة والناس ، فإن كان يصطفى بمعنى اصطفي ، ويلزم منه أن لا يصطفى الله رسلا بعد نزول هذه الآية من الناس ، للزم أن لا يصطفى الله رسلا من الملائكة أيضا ، وإذا كان هذا صحيحا ، فهل للمشايخ أن يقولوا لنا من أنزل آية (الله يصطفى) الخ وغيرها من السور التي نزات بعدها على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أجبريل أم لا ؟ » :



أليس في هذا الهذيان شاهد على أننا نخطب من لا يفقه للكلام الربى معنى ، ولا يعرف للمنطق وجها ؟ فنحن إذا فهمنا الاصطفاء في الآية على ما كان يقع فيها مضى فللأدلة القائمة على أن الله لا يبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من البشر ، ولم نقل : إن الآية دليل على أن الله لا يبعث رسولا ، حتى يقال : إننا نفينا إرسال الله الملائكة في أمر يذره ، وغاية الأمر أن إرسال الملائكة بعد هذا الخطاب يبقى مسكوتا عنه فيرجع في إثباته أو نفيه إلى الأدلة ، ولكن داعية القاديانية لا يفرق بين قولك : إن الآية لا تدل على بقاء الرسالة في البشر ، وهو موضع حديثنا ، وبين قولك : إن الآية تدل على انقطاع إرسال الله رسلا من الملائكة أو البشر ، وهذا ما لم نقله ، فداعية القاديانية اشتبه عليه إبطال استدلالهم بالآية على أن الله يصطفى رسلا بعد بدء أفضل الخليفة ، بالاستدلال بها على نفي اصطفاء رسل من البشر أو الملائكة ، وليس هذا الاشتباه على أمثاله بغيره .

محمد الحضر حسين

## الظرف والمحل

قال حكيم :

وجاهل يدعى في العلم فلسفة      قد راح يكفر بلرحن تنليدا  
وقال أعرف معقولا فقلت له      عتيت نفسك معقولا ومعقودا  
فقال إن كلامي لست تفهمه      فقلت لست سليمان بن داودا

# التفسير

## سورة النور

١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة وميزة في محال نسي الآيات القرآنية الكريمة :

أما وقد وصانا من تفسير السورة الكريمة الى ما وصانا اليه في أجزاء السنة الماضية فإنه يحل بنا أن ننظر نظرة إجمالية في مجموع الآيات الكريمة التي مررنا بها، لتستجلي محاسنها جملة، ونتمتع النظر بمشاهدة أزاهيرها اللامعة، ونتذوق ما فيها من أطايب الثمار ونهيج الروح بطيب رياحينها العطرة . وفي النظر الى المحاسن جملة معنى يزيد على النظر الى كل منها على حدة .

ولعلنا بذلك نكتب أولئك الزعانف الذين ماسكهم الغرور حتى غشى بصائرهم، وبهرم النور حتى عشى أبصارهم، فلم يفقهوا سر الجمال في ترتيب القرآن، فلم تظف أفواههم كلمات لا تصدر إلا عن غباء وعمه، فكما قال الأولون منهم : «لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة» قال هؤلاء الآخرون : «لولا جعل كل نوع» ما أنزل في القرآن جملة، فيكون القصص كله جملة واحدة، والأحكام كل نوع منها جملة، وما يتعاق بالالهيات أو بالنبوات مثلاً جملة، وكذلك الأمثال والعظات وسائر ما في القرآن . يزعمون بذلك

أنه أيسر لهم في الوصول الى ما يريدون والكشف عما يبتغون ؛ كأنهم نظروا الى القرآن الكريم نظرم الى القواميس والمعاجم ، أو الى كتب التاريخ التي يقصد بها الى بيان الوقائع على ترتيب الأزمنة أو تفصيل الأمم ، أو الى كتب الفقه أو القانون ، أو ما مائل ذلك ، مما تعدد فيه الكتب فيما لتفصيل الموضوعات . وما دروا أنه الكتاب الواحد الذي جمع الله فيه للبشر كل ما يقوم بتربيتهم في دنياهم وفي دينهم : لم يفرط فيه من شيء ، ولا أدخل بحسن الترتيب الذي يجب أن يراعى في تربية النفوس ، وتغذية العقول ، ومراعاة ما تستمد الأرواح لارتشافه وتذوقه والانتفاع به ، سواء أكان ذلك في خاصة نفسها ، أم في توجيهها الى بارئها ، أم في تنظيم العلاقات بينها وبين من يتصل بها من طبقات الناس القريبين منها والبعيد من عنها ، أو ما يلابسها ويحيط بها من سائر أجزاء العالم وقواه ، فتنفع بكل ذلك على الوجه الأكمل لأنسب بجوانبها الفانية والباقية . كل ذلك يتبع فيه أنسب الوجوه باستعدادها للتغذية العقلية والهداية الإلهية ، والتربية الربانية ، فيكمل بذلك معنى الربوبية التي امتن الله بها على عباده في فاتحة الكتاب المبين ، في قوله جل شأنه : ( اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) . فكل العقلاء مطبقون على أن التربية الصحيحة يجب أن يساق بمضاهي بعضها : فحينما يتعهد المربي من يربي بالتغذية يجب أن يتبعها بالتنظيف مثلا ، ويقرن ذلك بترويض أعضائه ، موجها انتباهه الى ما يحبل به إدراكه ، موقظا له الى محاذرة ما يخشى ؛ وهكذا دواليك ، فلا يهمل شأننا من شؤنه قد استعد لقبوله متغذلا في شأن آخر قد أخذ منه حظه وكفايته .

هكذا ترى الترتيب العجيب والأسلوب الرائع ، والتنقل في القرآن الكريم من نور الى نور ومن ثمرة الى ثمرة .

فلقد بدأت السورة السكينة التي نحن بصدد تفسيرها بتوجيه نظر المؤمنين اليها جملة ، والتنويه بعظمتها ، حتى تفتح أذهانهم الى ما سيأتي عليهم ، فقال : ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا

وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُونَ . فلما أن تفتحت عيونهم لما سميت عليهم ، لتنبئهم بالتنبية الى ذلك المرض الخبيث الذي ابتلى به المجتمع في الكثير من أدواره ، وتوافرت دواعيه من كل ناحية ، كما تراكت خبائثه وتفاقم شره وعظم فحشه ؛ وما من أحد من العقلاء إلا وهو يكره أن يالحقه ، ويخشى أن يصيبه ، ويجزع إن وصم به ؛ وهو على كبر فحشه أسرع الزواحف في انحدار النفوس إليه ، إذ تقع فيه وهي مسترسلة في نعيمها ، لاهية في استمتاعها ، متلذذة باستيفاء ما نصبوا إليه بطبيعتها ؛ فكان جديراً بالتنبيه إليه أولاً ، إذ كان أشد الأمراض خشاً وأوسعها انتشاراً ، فيبين من أحكامه ما يتبين ، وأردف ذلك بتوجيه نظرم وانفت عقولهم الى فضل الله عليهم ورحمته بهم ، وأنه واسع الرحمة والفضل والعلم ، فيجب أن يأخذوا ما فرضه عليهم أخذ قبول وانتفاع ، معترفين بالفضل شاكرين للنعم .

ثم أتى بعد ذلك بقصة تقوم برهاناً على عظيم النفرة ، حتى من الظنة الكاذبة والتهمة الباطلة ، وما يترتب عليها من عظيم الخطر ، وما ينجم عنها من كبير الفتن ، فذكر تلك الفتنة التي ابتلى بها بعض ضمناء الايمان ، فجرت الى ما جرت ، حتى كشف الله الفناع عن خبث نية من أناروها ، وفضح شأنهم وأخزاهم ، ولكن بعد أن انحركت نفوس ، وزاغت عيون واءتلت قلوب . كل ذلك والأمر وهم خطر في بال منافق فأسرده الى ضمناء الايمان ، فجعل بينهم الشيطان ، حتى كان من فتنهم ما كان ، فكيف ترون في خطر هذه الفاحشة التي ساءت سييلاً .

ولقد ضمنت القصة من التعاليم والإرشاد الى ما ينبغي من الأخلاق في مثل هذه الظروف الحرجة ما لو لم تسق هذه القصة لما ظهر لنا وجه مناسبة إيرادها على هذا الوجه المقبول . وهل هناك أدعى للعتة من الكلمة تبحر بتناسبتها وفي نمرح حال واقعة ؟

وإنك إذا تأملت ما يسلكه أهل هذا المصر ويتورطون فيه من اختلاق الحوادث الخيالية والروايات التمثيلية، لما رأيت لهم وجها في تبرير أكاذيبهم سوى قولهم: إنا نرى العظة من لسان الحال أكبر منها بلسان المقال، فكيف بالوقائع الحاصلة وأثرها في النفس هذا الأثر الكبير ولا شك أنها تكون أعمق أثراً، وأثبت فعلاً، وأدعى إلى الامتثال والقبول والانتفاع.

بذلك ترى الحكمة في إدماج الأحكام، والإرشاد والتربية في سوق القصة، وأنه لا يفيد مجرد سرد الحكم أو العظة بدون أن تستند إلى ما يدعو إلى امتثالها ويشرح سر جمالها.

أنظر إلى قوله: (وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)، وقوله: (وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)، وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، ثم قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)، نجد هذه الأحكام والعظات في هذا السياق ما ليس لها إذا سردت سرداً وقيلت قولاً.

ثم تأمل فيما قصصت به من التنويه بمقام فضل الله عليهم ومنته في إرشادهم، نجد لذلك في النفوس أبلغ الأثر. وانتقل مثلاً إلى قوله: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَىٰ أَقْرَبِي) الآية، فكيف نجد فيها من تجلّي الفضيلة والخلق الكريم في أشد أوقات ثوران النفس وغضبها، وكما ترى فيها من تربية ضبط النفس وحبسها على ما يرضاه الله، واطراح نزواتها ونزغات الشيطان انتهازاً مثل تلك الفرص، هل

في الإمكان أن يهد مثل تلك التلميحات إلا بمثل تلك القصة ؟ وهل كنت نحس للحكم يلقي اليك مجرد أمر أو نهى مثل ما تحسه وقد وقع في محله وجاء لمناصبته ؟

وبعد : فانظر الى مناسبة ما تلا هذه القصة من أحكام الاستئذان في دخول البيوت ، والاستئناس لذلك والتسليم ، حتى لا يذاجأ الناس بما لا يحبون ، فتتربى في نفوسهم كراهيتهم لبعضهم لبعض ، وحتى لا ينفتح أمام الشيطان باب الفتن ، فيغري بعضهم بالكلام في بعض ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء . أفلا ترى أن هذا هو محله الذي لا يعدوه ، وأنه ترتيب من لا يعزب عن علمه شيء ؟

وكيف بك إذا انتقلت الى الآيات الآمرة بغض الأبصار مقترنة بنتيجته وثمرته المقصودة بالذات ، وهي حفظ الفروج ، وبذيل ذلك بتشكيل الحكم بما يحوطه ويعتبر سياج له ، وهو النهى عن إبداء الزينة المنزلية التي تلفت الأنظار وتثير الشهوات وتخلق الشبهات ، مع دفع الحرج فيما لا ضرر فيه ولا حرج منه ، ومم البعولة والآباء والأبناء والنساء ومن في حكمهن ، ويحتم ذلك بالأمر بالتوبة الى الله مستعينا منهم بإيمانهم الداعي الى المسارعة للتوبة ، وواعدا عليها بالفلاح المرجو .

إذا وصل التالى الى هنا تطلع بلا شك الى حكم عام وعلاج ناجع شامل يريح النفوس من عناء المخاطرة ، وتطمئن عنده العوامل المتحركة ؛ ذلك هو الأمر بالتزويج والترغيب فيه ، وتسهيل سبله ، وعدم الخشية من كلفه ومؤنه ؛ وهذا هو ما ذكره جل شأنه في قوله : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) ثم يردفه بما يبعد عنه توهم أن ذلك قاعدة عامة محتومة ، فيقيد ذلك بمن يكون عنده وجد مأ ؛ فمن لم يجد بابا مفتوحا لذلك أصلا فليست منفذ حتى يغنيه الله من فضله .

وإذ تعرض في أمر الإنكاح إلى إنكاح الصالحين من العباد والإماء، فإنه لم يترك هذا الحال يمر بدون أن يوفي الصلاح في الأرقاء ما يستحقه ويليق به، فعمط عليه بفتح باب الترغيب في إطلاق الحرية وإزالة الرق بما يسهل عليهم ولا ينبغي أن يشحوا فيه، وذلك هو كتابة الرقيق على مال متى ظن فيه الخير ورجاءه الأداء، ثم زاد في هذا الترغيب بالأمر بمساعدتهم، وإيتائهم من مال الله.

وما أحسن التعبير عنه في هذا المقام بمال الله، حثاً على أن يجوده في مرضاة الله؛ وقد أضاف المال إليهم حين أمرهم بالمساكنة والمحافظة عليه في قوله في سورة النساء: (وَلَا تَوْنُوا أَلْسِفَاءَ أَمْوَالِكُمْ) فتأمل هذا التعبير العظيم.

وأما إرداف ذلك بقوله جل من قائل: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا) فإنك تدرك الروعة في حسنه والبراءة في موقعه حين تتأمل في قبح تلك العادة السوءى التي كان عليها سفهاء من الرجال. وما أبعدهم عن وصف الرجولة؛ فقد كانوا يستغلون ضعف الفتيات وامتلاكهم لهن، فيزوجون بهن كرها إلى أخفش المواطن، ابتغاء للمال الذي حقه أن يكون اكتسابه من صنع الرجال، لأن يكونوا عالة فيه على النساء، نعوذ بالله نعوذ بالله؛ وهل هناك ما هو أخفش وأذل وأحط نفساً من رجل يرضى لامرأة تنصل به أن تكون على هذه الحال، فكيف بأمرها بذلك، فكيف بإكراهها على ذلك وهي تريد التحصن؟

قارن هذا بالأمر بإنكاح الصالحين من العباد والإماء، ثم بالأمر بمكاتبته من يصاح منهم للخير ومساعدتهم على الوفاء، نجد نفسك قد بهرك من الحسن ما ملك عليك جوانبك، وتجد أن صورة أولئك القوم قد صارت أشنع ما يتصوره متصور، وما زاد في شناعتها لتنفرد النفوس منها إلا مقابلتها للمثل الصالح المأمور به في معاملة الموالى من إنكاح ومكاتبته ومساعدة.

إذا وصلت أيها القارىء، للتدبر فى هذه السورة الكريمة الى هذا، أفلا ترى حقاً صحيحاً أن يمتن الله علينا بقوله عز من قائل : ( وَآتَيْنَاكَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ) أفلا ترى أن هذا مما يافتك الى ما سبق من الأحكام ، ويدعوك الى التأمل فيها ، والاستمسك بها ، والاعتصام بعرونها ، والشكر على منها ، وذلك بامثال أحكامها وهو المقصود من الامتنان بها ؟

هذا البيان ، وهذا الإرشاد ، وهذا الترية ، وهذه الهداية : أى عقل من عقول البشر يستطيع أن يصل إليها ، أو يبلغ شأواً منها ، مهما تقطعت الأعناق وزاغت الأبصار ؟ ( قُلْ إِنِّي أَجْتَمَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِثَاءٍ وَلَا وَكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) . إنما هو نور من الله وهدى منه وحده ، وما كان لغيره أن يكون له شئ . من مثل هذا النور ، فقد تحيطت عقول البشر وحارت أوهامهم ، وضلت السبل فلم يستطيعوا أن يهتدوا ، حتى جاءهم من الله نور وكتاب مبين .

أجل أجل : الله نور السموات والأرض ، حسا ومعنى ، دينا ودنيا ، فما من أحد بقادر على أن يبرز نورا صحيحا ، وإنما هى لمعات سراب إذا جثته لم تجده شيئا ، أو كظلام فى بحر لجلي على ما سياتى . أما هذا النور فثله كأعظم ما يهرك من النور ، تصور نور مصباح رقّ زجاجه ، وصفا زيته ، وجاد أصله وضبطت أشعته ، جاء فى وقت أحاط بك الظلام من كل ناحية ، وتلاّ هذا النور أمامك على ذلك الوجه ، كيف يكون ظهور ذلك النور .

هذا مثل النور الإلهى ، والله المثل الأعلى ، فهو نور على نور . ولكن تجلى النور شئ واهتداء النفوس به شئ آخر ، قرب نور عشى أبصاراً وعميت عنه أبصار . فالاهتداء إنما يكون بشيئة الله ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .



هذه أمثال يضربها الله لعباده ليتفهموا بها ما ينتفعون به ، فتراهم يسارعون الى أبواب رحمته ، ويلجئون الى بيوت رضوانه ، تلك البيوت التي شرفها بذكر اسمه فيها ، فيسبحونه ، ويدكرونه ، ويقدمونه ، ويعبدونه ، فيمتثلون أمره ، ولا تلهيهم مصالحهم عن عبادته ، وهم في كل ذلك عارفون بقدرته عليهم ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، فكان عاقبة أمرهم أن تجاوز الله عن سيئاتهم ، وجزاهم بأحسن أعمالهم ، وزادهم فضلا عن أجرهم ، والله يرزق من يشاء بغير حساب .

هذا نور الله ، وهذا شأن من اهتدى به . أما من زاغ عنه فأولئك الذين اتبعوا أهواءهم ففترقت بهم السبل وظنوا أنهم على شيء ، ولكنهم كاذبون .

أولئك الذين ذكّرهم الله بعد هذا ، والضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فقال جل من قائل : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) .

ابراهيم الجبالي

## الطرف والمُلح

قال نابغة بنى شيبان :

إن من يركب الفواحش سرا      حين يخلو بسرّه غير خالي  
كيف يخلو وعنده كاتبا      شاهدا وربّه ذو الحال :

# العقيقة - سر الحتان

في الدين الاسلامي

سيدي الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوي .

السلام عليكم ورحمة الله .

تلايت بيد الشكر بحكم القيم الجليل في بيان الفطرة وما خلقه الله فيها ، فقد وصانا بما ينتموه في حديث الفطرة الى أن دينه الحنيف مركز في النفوس وفي الطباع ، وأن طبيعة الطفل من ناحية علم النفس تأتي إلا أن تتقبله ، وهي معودة اليه بالطبع . ولقد تعلمون خطورة بحثي إذا عرفتم أنني أقوم به في بلاد لا أثر لدين الله فيها ، وأن ثم علمائها موجه الى إنبات منابع الأخلاق من ناحية الطبيعة . وسأكون في الطرف الثاني من التناقض لأراهم ، وبتعبير آخر : «سأكون أول من يقيم الدين في مالطه» إن سمحت لي أن أخطبك بهذا المثال العامي ، والله الموفق الممين ، اليه غايتنا ، وعليه توفيقنا .

ولقد يسرك جداً أن آراءك هنا عرفت قيمتها ، ورجح وزنها ، وكانوا معجبين بك إذ وصات الى ما لم يصلوا اليه إلا بالتجارب والبحث المادي والعلمي — وفقك الله ووفقني الى نصره الدين .

هذا وأرجوا إذا سمح لكم وقتكم إمدادي بشيء عن المسائل الآتية :

( ١ ) رأي الدين في العقيقة التي تعمل بمناسبة ولادة الطفل .

( ٢ ) رأيه في الحتان .

(٣) رأيه في حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أعدّه ربه من صغره لتلقى وحيه الجليل . وحسبكم منى أن أكون الى جانبكم كالقاتل الشريف في نصرة دين الله . والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم سمر

مفتش بالمعارف وعضو بعثتها بفرنسا

## الجواب

العقيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

أما العقيدة وهي ما يذبح سابع ولادة المولود مما يصح أن يكون ضحية ، ففيها أسرار بدیعة ومصالح كثيرة راجعة الى المصاحبة المالية والمادية والنفسية . وقد كانوا يفعلونها في الجاهلية ، فاستبقاها النبي صلى الله عليه وسلم ، ورغب الناس فيها بعد إصلاح مقاصدهم ، مع مخالفة أهل الجاهلية في بعض المسائل كما ستعرفه .

فن تلك المصالح — ولعله أقلها — التلطف بإشاعة نسب الولد ، إذ لا بد من إشاعته لئلا يقال فيه ما لا يحبه ، وكثيرا ما يكون لذلك داع كبير في القضايا كما هو معروف ، ولا يحسن أن يدور في الطرقات فينادى أنه ولد له ولد ، فكانت العقيدة أفضل وسيلة لهذا الغرض . ومنها إغناء مملكة السخاء وتضيان داعية الشح الذي أحضرته النفوس . ومنها أن النصراني كان إذا ولد لهم ولد صبغوه بماء مخصوص يسمونه المعمودية ليكون نصرانيا حقا ، وفي مشاكلة ذلك نزل قوله تعالى : ( صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً) فاستحب أن يكون للمسلمين فعل بإزاء فعلهم ذلك، يشهر بكون الولد حنيفيا تابعا لملة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وأشهر الأفعال المختصة بهما المتوارثة في ذريتهما — ما وقع له عليه السلام من همه بذبح ولده، ثم نعمة الله عليه أن فداه بذبح عظيم. وأشهر شرائعهما الحج الذي فيه الخلق والذبح، فيكون الذبح عن المولود تشبها بهما، وتنويعا بملتهما، وإعلانا بأن الولد تابع لهما وعلى دينهما، إذ فعل ما هو من أعمال هذه الملة الحنيفية. ومنها أن هذا الفعل في بدء ولادته يخيل اليه أنه قم بيذبح ولده في سبيل الله ثم فداه، كما فعل ابراهيم عليه السلام؛ وفي ذلك تحريك سلسلة الإحساس بالانقياد والخضوع. وقد حث على ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه».

وقد كان أهل الجاهلية يقدمون تلك الذبائح لأصنامهم، فجاء الإسلام بتقديسها لله تعالى وذكر اسمه عليها بدل الأوثان. وكانوا يكرهون كسر عظامها، فجاء الإسلام بإباحة ذلك، مخالفة لهم، وإبعادا للمسلمين عن التطير والتشاؤم، وتخليصا لهم من اتباع الأوهام والوساوس.

هذا وفي العقيقة أيضا شكر تلك النعمة التي أنعم الله بها عليهم؛ ولذلك استحب لهم أيضا أن يصدقوا بشيء قليل من الفضة يوم السابع شكرا للنعمة. ويتحقق بما ذكرناه من التنويه بشأن الدين، ما يفعل من الأذان في أذن المولود، فإن الأذان من شعار الإسلام وأعلام الدين المحمدي. ومن المقاصد الشرعية أن يدخل ذكر الله في تضاعيف الأعمال، ليكون كل ذلك ألفة تدعو إلى الحق وإلى دين الله. ومن ذلك أنه يستحب أن يختار المولود بعض الأسماء التي تشعر بذلك: كمبد الرحمن، وعبد الله، ومحمد، وأحمد. وقد جاء الترغيب في ذلك: ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحبَّ أسماءكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن» وفي مسند

أبي داود وانسأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سموا بأسماء الأنبياء » الحديث . فذلك كله تنويه بالدين ، وكأنه إقرار بأنه من أهله .

### الختان

الختان سنة من سنن الدين ، وهو من الكلمات التي ابتلى الله بها خليله إبراهيم فآتمن ؛ وكان عليه العرب قبل الاسلام اتباعا لأبيهم إبراهيم عليه السلام . وأما حكمته فهي المبالغة في تنظيف البدن من الأدناس والأرجاس بقدر الإمكان . وللدين الاسلامى غاية كبرى بالنظافة والحلث عايها . ومن ذلك طلبة قص الشارب ، وتنظيف الإبط ، وإزالة الأظفار ، وإيجاد الطهارة للصلاة . ولا شك أن إزالة القلفة أضمن لذلك وأعون عليه . وفي نظافة الظاهر إشعار بالحلث على نظافة الباطن ، وإشارة الى أن في النفوس أشياء من مساوىء الأخلاق تجب إزالتها والتنزه عنها ، فكما تزيل شعث ظاهرك يجب أن تزيل شعث باطنك وإن كان خلقا جبليا تعاني في إزالته آلاما ومشاق ، وتحتاج فيه الى صبر ومجاهدة ، وهو موضع الابتلاء والاختبار ، فإنك لم تخلق كاملا ، ولكن خلقت قابلا للكمال مكافأ به مأمورا بتحصيله . وهذا هو الفرق بينك وبين الملائكة والحيوان الأعجم . وفي الختان أيضا من الفوائد ما يمكنك أن تقف عليه من حذاق الأطباء مما لا يحسن أن نفيض فيه .

هذا والختان ثمريعة التوراة أيضا . وأما شق صدره الشريف فسنتكلم عنه

في عدد تال ، إن شاء الله م

برسيف الربوى

من هيئة كبار العلماء

# الفتاوى والأحكام

ورد على إدارة المجلة عدة أسئلة ، منها ما يرجع الى الاحوال الشخصية ، ومنها ما يرجع الى غيرها ، وقد كثرت هذه الأسئلة حتى ضاق نطاق المجلة عن ذكرها بنصها كالمادة وعن ذكر أسماء أصحابها . ولما كان الغرض الاجابة رأيت المجلة الاختصار على السؤال والجواب عنه .

## الكفاءة

### السؤال الاول :

ما هي الكفاءة المعتبرة في النكاح ، وهل النسب منها ، وما دلائل ذلك ؟

## الجواب

الكفاءة معتبرة في ابتداء النكاح للزومه أو له محته من جانب الزوج . وتعتبر في النسب ، وفي الحرية ، وفي الاسلام ، وفي الديانة ، وفي الحرفة ، وفي المال .

أما اعتبارها فهو رأى عامة العلماء . وقال الكرخي : ليست بشرط أصلا ، وهو قول مالك وسفيان الثوري والحسن البصري . واحتجوا بما روى أن أبا طيبة خطب الى بني يياضة فأبوا أن يزوجوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنكحوا أبا طيبة إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » وروى أن بلالا رضى الله عنه خطب

الى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لهم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمركم أن تزوجوني » . أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزويج عند عدم الكفاءة ، ولو كانت معتبرة لما أمر ، لأن التزويج من غير كف غير مأثور به . وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » وهذا نص . ولأن الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكان أولى الأبواب للاعتبار بها باب الدماء ، لأنه يحتاط فيه ما لا يحتاط في سائر الأبواب ، ومع هذا لم يعتبر ، حتى يقتل الشريف بالوضيع ، فها هنا أولى . والدليل عليه أنها لم تعتبر في جانب المرأة ، فكذا في جانب الزوج .

ولنا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يزوج النساء إلا الأولياء ، ولا يزوجن إلا من الأكفاء ولا مهر أقل من عشرة دراهم . ولأن مصالح النكاح تختل عند عدم الكفاءة ، والمرأة تستنكف عن زواج غير الكف ، وتغير بذلك فتختل المصالح ، ولأن الزوجين يجري بينهما مباحات في النكاح لا يبق النكاح بدون تحماها عادة ، والتحمل من غير الكف أمر صعب يشغل على الطبع السليمة .

فلا يجوز النكاح مع عدم الكفاءة ، فلزم اعتبارها ولا حجة للمخالفين في الحديثين لأن الأمر بالتزويج يحتمل أنه كان ندبا لهم الى الأفضل ، وهو اختيار الدين ، وترك الكفاءة فيما سواه ، والاقتصار عليه ، وهذا لا يمنع جواز الامتناع . وعندنا الأفضل اعتبار الدين والاقتصار عليه . ويحتمل أنه كان أمر إيجاب ، أمرهم بالتزويج منها مع عدم الكفاءة ، تخصيصا لهم بذلك ، كما خص أبا طيبة بالتمكين من شرب دمه صلى الله عليه وسلم ، وخص خزيمة بقبول شهادته وحده . وأما الحديث الثالث فالإرادة أحكام الآخرة ، إذ لا يمكن حمله على أحكام الدنيا اظهره رفض العربى على غيره في كثير من أحكام الدنيا ،

فيحمل على أحكام الآخرة، وبه نقول. والقياس على القصاص غير سديد، لأن القصاص شرع لمصلحة الحياة، واعتبار الكفاية فيه يؤدي إلى تفويت هذه المصلحة، لأن كل أحد يقصد قتل عدوه الذي لا يكافئه، فتفوت المصلحة المطلوبة من القصاص، وفي اعتبار الكفاية في باب النكاح تحقيق المصلحة المطلوبة من النكاح من الوجه الذي يئذ، فيبطل الاعتبار؛ وكذا الاعتبار بجانب المرأة لا يصح أيضا، لأن الرجل لا يستنكف عن المرأة الدنيئة، كذا في البدائع.

وفي فتح القدير ما خلاصته: أن الحديث أن لا يزوج النساء إلا الأواباء وإن كان في سنده ضعف، لكنه حجة بالتظافر والشواهد، فمن ذلك ما روى محمد في كتاب الآثار عن أبي حنيفة عن رجل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لا ممنن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. ومن ذلك ما رواه الحاكم وصححه من حديث علي أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «يا علي! ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أنت، والجنابة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفتاه»، وما روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم «تخير والنكاحكم وأنسكحوه» الأكفاء، روى ذلك من حديث عائشة وأنس وعمر من طرق عديدة فوجب ارتفاعه إلى الحجبة بالحسن لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عنه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا كفاية.

والكفاءة تعتبر في النسب، لأنه يقع به التماخر، فقريش بعضهم أكفاء لبعض، والعرب، بعضهم أكفاء لبعض، ولا يعتبر التفاضل فيما بين قريش. وأما الموالى فمن كان له أبوان في الإسلام فصاعدا فهو من الأكفاء لمن له آباء فيه. وتعتبر أيضا في الدين أى الديانة عند أبي حنيفة وأبي يوسف، لأنه من أعلى المفاخر، وللرأى تعبير بفسق الزوج فوق ما تعبر بضعف نسبه. وتعتبر في المال على الوجه المبين في كتب الفقه. وتعتبر في الصنائع كذلك، والله أعلم.



## القراءة للموتى بالأجرة

### السؤال الثاني :

يقول السائل : إنه رأى في تفسير روح المعاني أن قراءة القرآن للموتى بالأجرة لا ثواب فيها للميت ولا للقارئ ، ويستشكل هذا بأن الناس جميعاً من علماء وغيرهم يفعلون هذا ، ويطلب إيضاح الموضوع .

## الجواب

قال في الهداية : ولا يجوز الاستئجار على الأذان والحج وكذا الإمامة وتعليم القرآن والفقهاء ، والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها عندنا ، وعند الشافعية رحمهم الله يصح ، وبعض مشايخنا استحسنا الاستئجار على تعاليم القرآن الآن ، لظهور التواني في الأمور الدينية ، وفي الامتناع تضيق حفظ القرآن ، وعليه الفتوى .

وفي الدر المختار : ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقهاء والإمامة والأذان . وفي ابن عابدين : وقد اتفقت كلهم جميعاً على النصريح بأصل المذهب من عدم الجواز ثم استندوا بعده ما علمته ، فهذا دليل على أن المفتي به ليس هو جواز الاستئجار على كل طاعة ، بل على ما ذكره فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن أصل المذهب . ونقل عن صاحب تبين المحارم ما نصه : قال تاج الشريعة في شرح الهداية : إن القرآن بالأجرة لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ . وقال العيني في شرح الهداية : وينع القارئ ، للدنيا ، والآخر ما أعطى آثمان ، إلى آخر ما أطل به رحمه الله ، ومنه يعلم جواب السؤال عند الحنفية ، وصاحب روح المعاني من الحنفية ، فهو يقرر حكم مذهبه .

## حمل الجنازة في السيارة وتغيير الدين

### السؤال الثالث :

هل يجوز حمل الميت في السيارة ؟ وهل من تأثر بالتنويم المغناطيسى فأمر أثناءه بتغيير دينه فلما أفاق غير دينه يخرج من الدين ؟

### الجواب

الأصل في حمل الجنازة أن يحملها أربعة من الرجال : يأخذون منير الميت بقوائمه الأربع ويرفعونها ، أخذاً باليد لتوضع على العنق ، لأنه أرفق بالميت ، ولا توضع على العنق ابتداءً كما تحمل الأمتعة ، والمراد بالعنق الكتف . ويكره حملها على الظهر والدابة ، وكذلك يكره حملها على سيارة أو عربة ، إلا أنه إذا كانت المسافة بعيدة جداً بحيث يشق على الحاميين أمر الحمل ، فإنه يجوز حملها على السيارة أو على العربة للضرورة ، مع ملاحظة أن يكون الحمل على السيارة أو غيرها برفق واين ، حملاً لا يذهب بكرامة الميت ، دفعاً للضرر عن الأحياء ، ولأن الضرورات تبيح المحظورات .

أما من غير دينه غير مكره وهو عاقل بالغ ، فقد استوجب جزاء ما أعدته الشريعة للخارج من دينه ، وما دام المستول عنه هو الإثم بالأمْر بعد الإفاقة ، فالحكم فيه ما تقدم .

### احراق جثة الميت

### السؤال الرابع :

هل يجوز إحراق جثة الميت بدلاً عن دفنه ؟ وما واجب العلماء فيما إذا وقع مثل ذلك ؟

## الجواب

لا يجوز تقريب النار من جثة الميت فضلاً عن إحراقه بها، لأن هذا تعذيب ولا يعذب بالنار إلا الرب النار . ولقد أمرنا بإكرام بنى آدم، وإكرامهم بعد موتهم هو تفضيلهم وتكفينهم، حسب أوامر الشريعة، والصلاة عليهم، ودفنهم .

وأما واجب العلماء، عند رؤيتهم للإحراق، فهو ما يجب على كل مسلم رأى منكراً، فإن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على الوجه الذى أبانته الشريعة الغراء . على أن عادة إحراق الموتى عادةٌ وحشية تنكرها النرائع السامية قاطبة . وقد نص الفقهاء على أن دفن الميت فرض كفاية على سائر المسلمين، وغسله وتجهيزه كذلك . وورد : لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار .

ومن هذا تعلم يقيناً أنه لا يجوز إحراق جثة الميت بحال من الأحوال . وإحراقها على أى صفة كانت محرم ومنكر، وواجب العلماء النهى عن المنكر على الطريق والوجه المشروعين والأمر بالمعروف واجب على كل مسلم؛ والنهى عن المنكر، كذلك لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين عظيم وحقيق . وقد أبان الشارع طريقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

## اللاحوم المحفوظة فى العلب

واتخاذ السن من الذهب وحشوها

السؤال الخامس :

هل يجوز أكل الاحوم المحفوظة بالعلب الواردة من البلاد الأوربية ؟ وهل يجوز اتخاذ السن من الذهب ؟ وهل يجوز حشو السن ؟ وهل يجوز إصلاح أعضاء البدن عند الأطباء ؟

## الجواب

اللحوم المحفوظة في العلب هي من قبيل التمديد من اللحم، وهو معروف، وكانت الصحابة تأكله، فحق كان اللحم المحفوظ في العلب لم ينتن ولم يفسد، جاز أكله. ومجيبه من أوربا أو من أمريكا لا يحمل أكله غير مباح، قال الله تعالى: (وَلَا يَأْكُلُ الْفُلَانُ مِنْ ثَمَرِهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَشْجَارِ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَرِهِ وَلَوْ أَنَّ الْفُلَانَ لَمِنْ الْغَنِيِّينَ فَاتَىٰ لَهُ مِنْ أَشْجَارِهَا فَكَلَّا) (سورة النحل: ٦٥). وأتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لكم (والبحث فيما وراء ذلك لم يطالب الينا شرعا — غير أن من علم أن شيئا من ذلك غير مذكى التذكية الشرعية فلا يحمل له أكله. واتخاذ السن من الذهب جائز عند الإمام محمد من الحنفية، وعلى رأيه الفتوى. أما اتخاذ الأنف من الذهب فجائز عند الكل. ومن هذا يتبين أن حشو السن بالذهب أو بالفضة الانتفاع بالسن، جائز شرعا، كما أن علاج الفم أو الأنف أو الأذن بما لا يغير أصله جائز.

## الحلف بالطلاق أو بالحرام

السؤال السادس:

ما قول السادة العلماء الأعلام في رجل حلف بالطلاق أو بالحرام : فقال : على الطلاق أو يلزمني الطلاق مرة أو مرتين ، أو قال : على الحرام أو يلزمني الحرام مرة أو مرتين على شيء من الأشياء ، فوقعت عليه اليمين ، فماذا يعمل ؟ وما الحكم في ذلك تفصيلا ؟

## الجواب

من الألفاظ المستعملة في الطلاق . الطلاق يلزمني ، والحرام يلزمني ، وعلى الطلاق وعلى الحرام ، فيقع بلا نية ، للعرف ، فهو صريح لا كناية ، بدليل عدم اشتراط النية ،

وإن كان الواقع في لفظ الحرام ، البائن ، لأن الصريح قد يقع به البائن ، وإنما كان هذا صريحا لأنه صار فاشيا في العرف ومستعملا في الطلاق لا يعرف من صيغ الطلاق غيره . والصريح ما غاب في العرف استعماله في الطلاق بحيث لا يستعمل عرفا إلا فيه بأى لغة كانت .

وقد أفتى المتأخرون في « أنت على حرام » بأنه طلاق بائن لا يحتاج إلى نية ، للعرف ، خلافا لما ذهب إليه المتقدمون من توقفه على النية ، وإنما كان قولهم : على الطلاق أو على الحرام لا أفعل كذا يمينا ، للتعارف ، ولأن هذا القول من القائل بمنزلة قوله : إن فعلت كذا فأنت طالق ، فهو تعليق في المعنى على فعل المحلوف عليه بغلبة العرف ، وإن لم يكن فيه أداة تعاقب صريحا . هذا حاصل ما في الدرر ورد المختار .

وقد رأى غيرهم من مشايخ المذهب عدم وقوع الطلاق في حلف الشخص بقوله : على الطلاق لا فعلن كذا ، في كتاب « رى الصادى فى فتاوى العمادى » ما نصه : إذا قال على الطلاق ، لا يقع عليه الطلاق عند الجمهور ولو نوى به الطلاق ، لأن العبرة بالألفاظ لا المعاني ، كما في فصول العمادى ، فهذا اللفظ يفيد أن الطلاق في الذمة لا غير ، والذي في الذمة لا يلزم وجوده في الخارج ، كما في البرازية واختار ابن الهيثم تبعاً لابن سلام أنه يقع ، اعتبارا لعرف العوام ، والفتوى على الأول ، كما في الخلاصة وقاضيخان والتتارخانية . على أن هذا الخلاف كاخلاف في قوله : الطلاق على واجب أو ثابت أو لازم ، فعلى قول الإمام لا يقع عليه الطلاق بذلك ، خلافا لهما . والأصح القول بأخذ الإمام ، والعرف إنما يكون حجة إذا لم يخالف نص الفقهاء ، والله أعلم .

هذا وقد أفتى شيخنا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد بن حنيت مفتي الديار المصرية الأسبق بعدم وقوع الطلاق بقول الشخص على الطلاق . وأفتى به حضرة صاحب الفضيلة العلامة المدقق الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية حالا .

ومن أحكام الطلاق أن الطلاق الصريح يباحق الصريح ويباحق البائن ، فمن قال لامرأته : أنت طالق ثم قال أنت طالق أو طالق أو طلقها على مال ، وقع الثاني كالأول ، سواء كان الواقع به رجعيا أو بائنا ؛ ومن قال لزوجته : أنت بائن أو خالعهما على مال ثم قال أنت طالق أو هذه طالق ، وقع الثاني أيضا ؛ وهذا كله بشرط أن تكون الزوجة في العدة . ومن أحكامه أيضا أن البائن يباحق الصريح ولا يباحق البائن البائن إذا أمكن جعله إخبارا عن الأول ، كأنت بائن أو أبنتك بتطليقة ، فلا يقع ، لأنه إخبار . أما إذا لم يمكن جعله إخبارا ، كما لو قال المبانة منه : أبنتك بأخرى أو أنت طالق بائن ، فإنه في هذه الحالة يباحق ويجعل إنشاء . ومن هذا قلوا : إن البائن إذا كان معلقا بشرط أو مضافا قبل إيجاد المنجز البائن ، كقوله : إن دخلت الدار فأنت بائن ثم أبانها ثم دخلت ، بانت بأخرى ، لأنه لا يصلح إخبارا ؛ ومثله المضاف ، كما إذا قال لها . أنت بائن غدا ثم أبانها ثم جاء الزند ، يقع أخرى . وهذا ما يراه الحنفية . ومنه يعلم جواب السؤال — غير أنه تكميلا للفائدة نقول : إن الحكومة المصرية قد سنت قانونا في سنة ١٩٢٩ جرت فيه على أن كذايات الطلاق جميعها ، وهي ما تحتل الطلاق وغيره لا يقع بها الطلاق إلا بالنية ، وأن كل طلاق يقع رجعيا إلا الطلاق المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، والفرقة بالعيب ، والتطليق للضرر ، إلى آخره ؛ كما أن الطلاق المعلق لا يقع إذا قصد به الحل على فعل شيء أو تركه لا غير ، وأن الطلاق المقترن بعدد لفظا أو إشارة لا يقع إلا واحدة .

## الفصل بالدعاء بين الترويحيتين

### السؤال السابع :

هل يجوز الفصل بين كل ترويجة وأخرى من صلاة الترويح بالدعاء الآتي :  
يا عالم السممنا ، لا تكشف الستر عنا ، وكن لنا حيث كنا ؟ وهل يجوز أن يقول

المسلم : كن لنا حيث كنا ، مع أنه قد يكون في بعض الأحيان متلبسا بالمعاصي ؟

## الجواب

استحب العلماء في صلاة التراويح الانتظار بين كل ترويجة وأخرى ، وبين الخامسة والوتر بمقدار ترويجة ، والناس في مدة الانتظار يخبرون بين التسبيح والقراءة والصلاة فرادى والسكوت . وكان أهل المدينة يصلون في مدة الانتظار أربع ركعات فرادى ، وكان أهل مكة يطوفون بينهما سبعا . وبما أنك قد علمت أن الفصل بين الترويحيتين يكون بأحد الأمور السابقة ، تعلم أن من يدعو بين كل ترويجة وأخرى بأى دعاء كان دون أن يحدث تشويشا بدعائه على المصلين الآخرين ، يكون قد أتى بالمستحب ، لا فرق في ذلك الدعاء بين صيغة وصيغة ، فمن دعا بصيغة كان يدعو بها الشيخ الدردير رضى الله عنه ، أو صيغة كان يدعو بها سيدى أحمد بن شرقاوى رحمه الله أو غيرها ، كان آتيا بالمستحب ، ولو دعا بالمأثور فهو أفضل . وطلب العبد من الله أن يكون في عونته ، وأن يكون له حيث كان ، دعاء جائز لا محل لا نكاره ، لأن الممكنات جميعها لا تنفك محتاجة إلى الله تعالى في جميع الأزمان والأمكنة ؛ والمسلم لا يطلب معونة الله في معصية الله حتى يعترض على من يدعو بمثل هذا الدعاء ، لأن الفرائض قاطعة على أن المسلم الداعى لا يريد هذا ، سيما والمسئول عنه هو الدعاء بين الترويحيتين ، فلا محل لهذا الاعتراض .

وصفوة القول أن دعاء الله ضرب من عبادته ، إذا قام به المسلم استحق عليه الثواب متى حسنت نيته وقصد بالدعاء التوجه إلى الله تعالى دون ديار ولا سمعة . وينبغي أن يلاحظ أن يفهم الداعون بالدعاء المسئول عنه أن صيغته ليست واجبة ولا مطلوبة بخصوصها .

## التقليد والتلفيق

### السؤال الثامن :

هل يجوز التقليد والتلفيق من مذهب الأئمة الأربعة ولو لغير ضرورة قبل العمل أو بعده في المأكلات والعبادات ؟

### الجواب

نقل الأسنوى في شرحه «منهاج الوصول» أن المقلد إذا قلده مجتهدا في مسألة فليس له تقليد غيره فيها اتفاقا، ويجوز ذلك في حكم آخر على المختار، وأن من التزم مذهبا معيناً يجوز له الأخذ بغير مذهبه فيما لم يعمل به ولا يجوز في غيره، وأن تقليد مذهب الغير جائز، بشرط ألا يكون موقفا في أمر يجتمع على إبطاله الإمام الذي كان على مذهبه والإمام الذي انتقل إليه ؛ فمن قلده الإمام مالكا مثلاً في عدم النكاح باللمس الخالي عن الشهوة فصلى ، فلا بد أن يدلك بذنه ويمسح جميع رأسه ، وإلا كانت صلاته باطلة عند الإمامين .

وفي التحرير : لا يرجع المقلد فيما قلده فيه اتفاقا ، أما في غيره فيجوز ، للقطع بأن الناس كانوا يستفتون مرة واحدا ومرة غيره غير ملتزمين مفتيا واحدا ؛ فمن التزم مذهبا معيناً كمذهب الإمام الأعظم أو مذهب سيدنا الإمام الشافعي ، فالصحيح أنه لا يلزمه الأخذ بمذهب إمامه في كل حادثة ، لأن التزامه غير ملزم ، لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل معين من الأئمة فيقلده في دينه وفي كل ما يأتي ويذر دون غيره .

وفيه ما خلاصته : أنه ليس للعالمى مذهب ، لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال وإدراك ، أو لمن قرأ كتابا في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى



إمامه وأقواله ؛ أما من لم يتأهل لذلك فلا يكون حنفياً أو شافعياً بمجرد قوله : أنا حنفى أو شافعى ، كما لا يكون فقيهاً أو نحويًا بمجرد قوله : أنا فقيه أو نحوى .

والخلاصة أنه إن عمل بحكم تقليد المجتهد ، لا يرجع عن ذلك الحكم ؛ أما فى غير ما عمل به فله تقليد غيره من المجتهدين ، لأن الدليل الشرعى يقتضى العمل بقول المجتهد فيما يحتاج إليه ، لقوله تعالى : ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) والسؤال إنما يتحقق عند طلب حكم لحادثة معينة ، وإذا ذاك إذا ثبت عنده قول المجتهد وجب عمله به . ثم نقل رحمه الله ما تقدم عن القرافى من الجواز ، بشرط ألا يترتب عليه ما يمنعه كالأمامين ، قال فى مسلم الثبوت وشرحه : إذا اختلف ولم يتجاوز أهل العصر عن قولين فى مسألة لم يجز إحداث قول ثالث عند الأكره ؛ وجاز الإحداث عند طائفة مطلقاً ؛ ومختار الأئمة والراوى : إن رفع الثالث ما اتفقا عليه فممنوع إحداثه نحو مقاسمة الجد الصحيح للأخ ، كما عن أمير المؤمنين على وزيد بن ثابت ، وحجبه أى حجب الجد الأخ عن الميراث ، كما عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعمر وابن الزبير وابن عباس ، فقد اتفق الكل على أن للجد ميراثاً ، وإنما اختلفوا فى القدر ، فالمرمان وسلب الميراث عن الجد رأساً خلاف الإجماع فلم يجز إحداثه ، وإلا أى وإن لم يرفع ما اتفقا عليه فى المسئلة فلا يمنع من الإحداث الثالث .

قال مولانا الأستاذ فضيلة الشيخ محمد نجيب بعد بحث طويل أفاد فيه وأجاد كمادته حفظ الله — ما نصه : ومن هذا يعلم أن مسألة التلفيق مبنية على مسألة إحداث قول ثالث ، إذا انحصر خلاف المجتهدين فى عصر فى قولين ، ففى كل موضع يمتنع فيه إحداث القول الثالث : بأن يكون القول الثالث مخالفاً للإجماع ، يمتنع فيه التلفيق أيضاً إذا خالفت الصورة المألوفة إجماعاً ؛ وأما إذا وافق بعضها قول مجتهد وخالفه بعض آخر وافق فيه مجتهد آخر كالصورة المذكورة ، فالتلفيق غير ممتنع ؛ ومن ذلك يعلم أن دعوى

الإجماع على منع التلفيق مطلقاً دعوى لم يقم عليها دليل ، بل قام الدليل على بطلانها ، وأن ما قاله العلامة الأمير من أن المعتمد أنه لا يشترط عدم التلفيق ، وحينئذ يجوز مسح بعض الرأس على مذهب الشافعى ، وفعل الصلاة على مذهب المالكية ، وكذلك الصورة المتقدمة ونحوها ، وهو سعة ودين الله يسر اه قول صحيح ، وهو الذى تقتضيه النصوص الشرعية أصولاً وفروعاً .

كما أنه يعلم أنه لو اغتسل غسلاً واجباً وتوضأ وضوءاً واجباً من ماء قليل يستعمل فى رفع حدث مقلداً لمذهب مالك وترك ذلك مقلداً لمذهب الشافعى ، يكون غسله أو وضوءه صحيحاً مثل الصورتين المذكورتين فى السؤال ، ومثل غيرهما من الصور التى لا يضر فيها التلفيق بين مذهبين أو مذاهب متعددة ، متى لم يكن هذا التلفيق خارقاً للإجماع ، وأما إذا كان التلفيق خارقاً للإجماع : بأن كانت الحقيقة المركبة يقول بطلانها جميع المجتهدين ولا يمكن للمجتهد آخر على فرض وجوده أن يقول بها كحرمان الجذ من الميراث بالسكينة ، فالتلفيق باطل بالإجماع ، كما أن إحداث قول بحرمان الجذ بالسكينة باطل بالإجماع .

والذى تطعن إليه النفس ويرتاح له القلب ، هو ما نقله الأسنوى فى شرحه « منهاج الوصول » من أن المقلد لمذهب يجوز أن يقلد مذهب الغير بشرط ألا يكون موقعاً فى أمر يجتمع على إبطاله الإمام الذى كان على مذهبه والإمام الذى انتقل إليه ، لأن الخروج بالمقلد عن هذا القيد يجعله يتبع الرخص تتبعاً من شأنه الذهاب وراء الشهوات .

له مهيب

## مدينة الملك فؤاد الأول ملك مصر

يفتتح الكليات الثلاث

بالجامعة الأزهرية افتتحا رسميا

لقد كان من نعم الله العظمى على هذا البلد الأمين ، أن هبَّ له ملكا هو أعظم الملوك الذين عجزهم التاريخ ، وتنفع بهم الأمم أعظم الانتفاع . جمع الله له بين متابة الدين ، وأصالة الرأي ، ورجاحة العقل ، وسمو النفس ، وعلو الهمة ، وكمال الدراية ، وبعد النظر . وكان من أثر ذلك أن نهض بالأمة المصرية في جميع مناحي حياتها نهضة واسعة النطاق مباركة ، ميمونة ، مقرونة بكمال الحكمة .

ولقد رأى — حفظه الله — أن رقى الأمم ما لم يكن مدعما على أساس الدين ، ومحاطا بسياج الفضيلة ، و متمشيا مع مكارم الأخلاق ، وتربية النفوس تربية صحيحة ، لا يؤمن فيه الزلل ، ولا يسلم من العوج .

فأجل — حفظه الله — نظره العالى فيما تحويه دور الثقافة بالديار المصرية ، فرأى الجامعة الأزهرية هى : معقل الدين الحنيف ، ومبث التريية الشرعية ، وأن نورها يشع على العالم الإسلامى جميعه ، وأن جميع الأمم الإسلامية تعرف للأزهر هذه اللبزة وتعرف بها ، إذ ترسل أبنائها كل عام أفواجا ، فيعترفون من منهل ، ويتزودون من علمه ، ويستضيئون بنوره ؛ ثم يعودون الى قوهم يفيدونهم مما استفادوا ، ويخلفهم غيرهم ، وهكذا دواليك ، فهم فى كل عام فى ازدياد .

رأى - حفظه الله - هذا كله فوجّه قسطاً عظيماً من عنايته الشريفة الى الأزهر، ليزيده رقيّاً، ويوسع ما فيه من دوائر العلوم، حتى يقوم لمصر وللعالم الاسلامي بأعباء المهمة المرجوة منه خير قيام. فأمر حفظه الله بسنّ القوانين واللوائح، وتعديل المناهج، ونكشير العلوم التي تدرس به، وتوسيع مقرراتها، وتوزيع المواد العلمية بين طلابه، ليتخصص كل فريق بما عهد إليه ليقوم به خير قيام، حتى أسفرت تلك التطورات عن خير ما أنتج البحث وهدت إليه التجارب، فصدر قانون الأزهر رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ بإعادة تنظيم الجامعة الأزهرية على هذا الوجه الحاضر، وسار به العمل ابتداء من سنة ١٩٣١ الدراسية. فلما استقر نظامه، وأخذ دورته التي تبرز التشريع في أرق صورة علمية، أراد - حفظه الله - أن يرى بنفسه ما أثمرته الجهود الموفقة، فأعلن إرادته الشريفة: أن يزور الكليات الثلاث للأزهر وأقسام التخصص الماحقة بها لافتتاحها رسمياً.

وقد تحدّد يوم الثلاثاء ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ (٢٨ مارس سنة ١٩٣٣) لزيارة كلية أصول الدين وما يتبعها من أقسام التخصص: «شعبة التفسير والحديث» و«شعبة التوحيد والمنطق» و«شعبة الوعظ والإرشاد».

وتقرر يوم الأربعاء ٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥١ (٢٩ مارس سنة ١٩٣٣) لزيارة كلية الشريعة، ويتبعها من أقسام التخصص «شعبة الفقه على المذاهب وأصول الفقه» وزيارة كلية اللغة العربية، ويتبعها من أقسام التخصص: «شعبة النحو والصرف» و«شعبة البلاغة والأدب» و«شعبة التاريخ والمنطق، وعلم النفس».

فلما حلّ موعد الزيارة الملكية في اليوم الأول، وكان قد شعر بها الأهليون من حي شبرا الذي به كلية أصول الدين، احتشدوا في جانبي الطريق، مغتبطين مسرورين

لرؤية مليكهم المحبوب، ومبتهجين بما يرونه من مظاهر عطفه على الأزهر ورجال العلم والدين، إذ كان ذلك يمس منهم عاطفة حية حساسة.

ولقد كان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وحضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء، وحضرات أصحاب المعالي والسعادة الوزراء، والعظماء من كبار الدولة، في انتظار تشريف جلالتهم، حتى إذا أقبل الموكب الملكي، دوت الأرجاء بهتاف التحية وتهليل، ووصل - حفظه الله - في الساعة الحادية عشرة صباحاً، دار الكلية فعمد إلى فصول الدراسة، فزار الفصل الأول من الكلية، وكان يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة، من علماء الأزهر «علم التوحيد» في موضوع «حاجة الإنسان إلى بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام» فاستمع - حفظه الله - من الدرس جملة صالحة كبيرة، وألقى بين يدي جلالتهم أحد الطلاب، كلمة قيمة تحية بالنيابة عن إخوانه.

وانتقل إلى فصل ثان، كان يدرس فيه الأستاذ الشيخ سيد قناوى من علماء الأزهر في علم التفسير، تفسير قوله تعالى: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، وبعدده قصد إلى فصل آخر، كان يدرس فيه «علم الفلسفة» وموضوعه «صلة الفلسفة بالدين»، وكان المدرس، الأستاذ الشيخ أمين الخولى. ثم قصد إلى فصل لدرس التاريخ، وكان موضوعه «آثار محمد على باشا رأس الأسرة المالكة بمصر، وبيان ما كانت عليه مصر من الحالة الدينية والاجتماعية في عهده، وشهادة مؤرخى الغرب بشأنه»، وكان المدرس فيه، حضرة الأستاذ محمد افندى حبيب، ثم فصل يدرس فيه علم النفس، كان الموضوع فيه «ملكة التقليد والمحاكاة في الإنسان، وأثر ذلك في التربية» وبين الأستاذ أن هذه النظرية قد دوتها العرب في مؤلفاتهم الاجتماعية، وليس الفضل في التنبيه لها راجعاً للغربيين كما يزعمه بعضهم، وكان المدرس حضرة الأستاذ مظهر افندى سميد.

وجاء بعد ذلك دور قسم التخصص ، وكان فيه درس الحديث ، ويؤديه ، الأستاذ الشيخ محمد العزبي رزق ، وموضوعه « ما ورد في فضل الامام العادل » وقد ألقى بين يدي جلالته طالب من الجاويين كلمة تحية وشكر . وبعد ذلك كان درس المنطق ، ويؤديه الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي ، وموضوعه « بيان فائدة علم المنطق واحتياج الانسان إليه في تفكيره » ثم انتقل الى درس الوعظ والإرشاد ، وكان المدرس فيه الاستاذ الشيخ علي محفوظ ، وموضوعه « هداية القرآن الى السعادة في الحياتين الدنيوية والأخروية » .

وبعد أن استمع - حفظه الله - من كل مدرس ما يلزمه بالموضوع الذي يؤديه ، ويتعرف طريق أدائه ، ومبلغ عنايته بدرسه ، وإقبال الطلاب على الاستماع والتفهم ، مع حسن الإصغاء ، والانتباه ، قصد الى حجرة المدرسين ؛ وقد خفوا لاستقباله ، فخطبهم حفظه الله بما يفيد امتنانه منهم ، وتقديره لجهودهم ، ورضاء عن عملهم . وحثهم على مواصلة الجهد والعمل في ترقية العلم ونعمة الدين .

وبعد أن تمهد مكتبة الكلية ، تفضل - حفظه الله - بالتوقيع بيده المكرمة ، على سجل الزيارة ، ثم قصد الى حجرة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان ، شيخ الكلية ، فألقى بين يدي جلالته كلمة شكر عن نفسه ، وأساندة الكلية ، وموظفيها ، وطلبتها ، ثم توجه الى سرادق قد أعد لاستقبال جلالته ، حيث كان الدعؤون من عظماء الدولة محتشدين لاستقباله ، فألقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بين يديه الخطبة التالية :

كلمة

مضرة صاحب الفقيه الأستاذ الأكرم

الشيخ محمد الأحمدى الظواهري شيخ الجامع الأزهر

بين يدي

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

في ختام زيارته لكلية أصول الدين

مولاي يا صاحب الجلالة

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة وجودكم وجلوسكم على عرش مصر، فقد جددتم مجدها، وحققتم آمالها، ونهضتم بها في جميع شئونها، وكان للجامع الأزهر من عناية جلالتم حفظ عظيم.

والعناية يا مولاي بالأزهر الشريف هي العناية بالدين الاسلامي وبالمسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا، فهو قلب الاسلام النابض، وعلمه الخفاق، ومصابحه الوهاج، الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون، وهو يرسل أشعة الإيمان والتقى ومكارم الأخلاق الى مشارق الأرض ومغاربها، وهو كعبة العلوم الدينية والعربية التي تقصدها الوفود الاسلامية من جميع القارات، ليتفقهوا في الدين، ولغة القرآن الكريم، وينشروا ذلك في قومهم إذا رجعوا اليهم.

ولقد كان من أجل مظاهر هذه العناية الملكية - بعد تلك المآثر والمكرمات التي لا تحصى - أن أثمرتم بإعادة تنظيم الجامع الأزهر على وجه يحقق آمال المسلمين فيه،

ويتناسب مع تاريخه المجيد ، ويعدّ خريجه الى القيام بالواجب الملقى على عاتقهم في هذا العصر على أحسن وجه ، ويجعلهم رجالا عاملين في أسرة العلم الاسلامي والعالمي ، ذوى عقلية راجحة ، ملهين بما ينبغي أن يعلم من المعارف وشتون الحياة ، كي يستعينوا بما وصلت اليه العلوم والفنون في تقدمها على كشف ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف : من حقائق مرتبطة بهذه العلوم ، تكلم عنها الإسلام قبل أن تعرف في الناس بأكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ولقد عوّد الله جلالكم التوفيق في جميع أعمالكم ، فأصدرتم القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وافيا بهذه الأغراض السامية ، مع المحافظة على صبغة الأزهر الدينية والعربية .

وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، وجعل أبوابها مفتحة لجميع الطلاب المسلمين على اختلاف جنسياتهم ، واستدراك ما كان في القوانين السابقة من نقص في مواد التعليم على اختلاف مراحلها ، فقد جعل من مواد الدراسة في الكليات : تاريخ التشريع الاسلامي ، ومقارنة المذاهب ، وفن الحديث دراية ، وآداب اللغة العربية وتاريخها ، وفقه اللغة ، وتاريخ الأمم الاسلامية ، وعلم النفس ، والفلسفة ، مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، وغير ذلك من المواد التي لم تكن تدرس في القسم العالي من الأزهر الشريف .

ولما كان التخصص في العلوم هو الطريقة المنتجة التي جرى عليها علماء الإسلام في أوائل العصور ، واليه يرجع الفضل في تقدم العلوم وارتقائها قديما وحديثا ، نص هذا القانون على إنشاء أقسام للتخصص في المواد التي تعنى بها الكليات ، للتبحر فيها ، وعلى منح للتخرجين منها شهادة العالمية مع لقب أستاذ ، وعلى جعلهم أهلا لشغل كراسي



الأستاذية في الكليات ، كما نص على إنشاء أقسام للتخصص في التدريس والقضاء الشرعي والوعظ والإرشاد ، يكون متخرجوها أهلا للتدريس في مدارس الحكومة والمجاهد وتولى الوظائف الشرعية والدينية في الدولة .

وتحقيقا لرغبتكم السامية قررت حكومة جلالتم إنشاء مبان نفمة بجوار الأزهر للكليات ، وأقسام التخصص ، والمعهد الأزهرى ، ودار كبيرة للكتب ، وقاعات للمحاضرات ، ومساكن للطلبة ، ومستشفى لهم ، ومبان أخرى لمشيخة الأزهر ومجلسه الأعلى .

والى أن يتم بناء هذه الأماكن دبرت أما كن مؤقتة للكليات ، بمساعدة وزارتي المعارف والأوقاف ، فكانت كلية أصول الدين في هذا المكان ، وكلية الشريعة واللغة العربية في الدار التي كانت تشغلها من قبل مدرسة القضاء الشرعي .

وفي الوقت الذي توجهت فيه العناية الملكية الى مراحل التعليم النظامى ، توجهت فيه أيضا الى التعليم الدينى العام ، الذى يقصد منه التفقه في علوم الدين واللغة ، ونشر المبادئ الفاضلة والأخلاق الكريمة بين الناس على اختلاف طبقاتهم ، فنص القانون على إنشاء أقسام لذلك بالقاهرة وغيرها من المدن .

وإذا كانت كليات الأزهر ستكون في دور خاصة في حياهه وبجواره ، فإن نفس الجامع الأزهر سيكون مكمورا بالدروس على اختلاف أنواعها ، مفتوح الأبواب لقاصديها من المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، غير مقصور على إقامة الصلاة .

ولقد كان لصدور هذا القانون المبارك وانتشار أنبائه وقع حسن عظيم في نفوس المسلمين في عامة الأقطار ، جعلتهم يعتقدون أن جلالتم حامى حى الدين ، والمهتم بشئون المسلمين وقد ابتدأت البعثات تتوارد وتتابع : من الصين ، وبولونيا ، وألبانيا ،

والهند، وغيرها، للاعتراف من هذا المنهل العذب . وأخذت الجامعات الكبرى تتصل بالأزهر الشريف، وكان آخرها عهدة جامعة غرناطة، التي لبي الأزهر الشريف دعوتها الى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها .

ولقد أجزلتهم النعمة بتفضلكم بزيارة الكليات لافتتاحها رسمياً، وكان من علامات اليمين أن تكون هذه الزيارة المباركة بين عيدين كريمين : عيد ميلاد جلالتهكم الميمون وعيد الأضحى المبارك .

وهذه يا مولاي كلية أصول الدين، التي غايتها تخرج الوعاظ والمرشدين، وتحقيق قوله تعالى . ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

والوعظ والإرشاد يا مولاي إذا أدبنا على خير وجه، كما مصدر السعادة الدنيوية والأخروية، وحلاً للعقد من مشاكل الحياة، وقللاً من الجرائم .

وقد اجتمع في هذه الكلية الى أساتذة التوحيد، والتفسير، والحديث، أساتذة علم النفس، والأخلاق، والفلسفة، والتاريخ، وسنن الله الكونية، يتعاونون على تزويد الطلاب بما يعدم للقيام بواجب الوعظ والإرشاد على أتم وجه يليق بهذا العصر .

والأزهريون يا مولاي يعجزون عن أداء ما يجب من الشكر لجلالتهكم، تلقاء تلك الأيادي البيضاء المتعالية عليهم، ويبتهلون الى الله سبحانه وتعالى بقلوب شلصة أن يحفظ جلالتهكم للإسلام والمسلمين، وأن يكلأ بعين رعايته حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد الدولة المصرية : الأمير فاروق - إنه سميع مجيب .

## افتتاح

### كليتي الشريعة واللغة العربية

وعلى هذا النسق توجه — حفظه الله — في اليوم التالي ( يوم الأربعاء ٣ من ذي الحجة سنة ١٣٥١ ) الى دار كليتي الشريعة واللغة العربية ، حيث كان في انتظار تشريفه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعظماء الدولة : من الوزراء ، والعلماء ، والكبراء ، فوصل في الساعة الحادية عشرة ، فتعالت الأصوات بهتاف التحية والدعاء بحفظ ذاته السكرية ، فقصد الى فصول الدراسة ، فكان أول فصل زاره ، يدرس فيه الأستاذ الشيخ الحسيني سلطان « تاريخ التشريع الاسلامي » ثم فصل آخر ، يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمد عرفه وكيل الكلية ، تفسير قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ) .

وأتى طالب فلسطيني ، بين يدي جلالته ، كلمة تحية وشكر ، ضمنها اعتراف الأئم الشريعة بما لجلالته من الفضل على العالم الاسلامي أجمع ، ثم فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ عبد السلام شرف درسا في الفقه ، موضوعه : « الوقف في الاسلام ، وحقيقته الشرعية ، وأدلة إثباته من الكتاب والسنة » وحيأ جلالته طالب جاوى بكلمة قيمة ، ثم الى فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي درس « أدب اللغة » ، فحيا جلالته بقصيدة عصماء من نظمه . وأتى بين يدي جلالته طالب فوقلي كلمة تحية ، ثم كان درس الحديث الشريف ، وكان فيه الأستاذ الشيخ عبد الله موسى ، يلتقي درسا في الرواة ، ويتكلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

ثم قصد - حفظه الله - الى غرفة المدرسين ، فشكر لهم جهودهم ، وشجعهم بكلماته القيمة . ثم تعهد المكتبة وقاعة المطالعة . ثم توجه الى غرفة شيخ الكلية فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى ، حيث وقع على سجل الزيارة ، وألقى شيخ الكلية بين يديه خطبة شكر .

وبعد ذلك انتقل الى كلية اللغة العربية ، فزار الفصل الأول ، وكان يدرس فيه الأستاذ الشيخ سليمان نوار ، في « وجوه الارتباط بين الجمل من باب الفصل والوصل » ثم الفصل الثانى ، وكان يدرس فيه الدكتور عبد الوهاب عزام تاريخ الإسلام ، وموضوعه « هرون الرشيد » وحياه طالب يوغوسلافى بكلمة شكر واعتراف بالجميل ، وبمده كان فصل يدرس فيه الأستاذ الشيخ محمد محي الدين علم النحو ، وموضوعه « المبتدأ والخبر » ممثلاً بآية ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . وألقى طالب هندي كلمة شكر ، ثم درس في التربية العلمية ، وكان المدرس الأستاذ محمد المخزنجى ، وكان موضوعه « طريقة داتون في التربية والتعليم » ، وألقى طالب سورى كلمة تحية . ثم فصل يدرس فيه الأستاذ محمد مهدي علام ، علم قانون الصحة ، وكان يتكلم عن « القلب ومنزلته من الجوارح وأنه بمثابة الملك لها » .

وألقى طالب مصرى كلمة شكر وتحية .

ثم زار المكتبة ، وغرفة شيخ الكلية فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش فخياه فضيلته بكلمة ، وانتقل الى السراىق المعد لذلك ، فألقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بين يدي جلالته الكلمة الآتية :

## كلمة

مفكرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر

بين برى

## حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

في ختام زيارته لكليتي الشريعة واللغة العربية

— — —

مولاي باصاحب الجلالة :

لقد أَرْضَيْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَحْيَيْتُمُ سُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، إِذْ عَنَيْتُمُ مِنْذُ جُلُوسِكُمْ عَلَى عَرْشِ مَعْرِشِ بَشْتُونَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَدَانَتْ لَكُمْ الْقُلُوبُ ، وَانْطَوَتْ عَلَى الْإِيْخْلَاصِ وَالْوَلَاءِ ، وَلَهَجَّتِ الْأَلْسُنُ بِالنَّاءِ وَالِدَعَاءِ .

وهذه أَعْمَالُكُمْ الْعَظِيمَةُ تَسْجَلُ فِي كُلِّ أَنْ أَنْكَ يَا مَوْلَايَ حَامِيَ الْإِسْلَامِ وَمِلَازِ الدِّينِ .

بِالْأَمْسِ تَفَضَّلْتُمْ بِالْإِفْتِتَاحِ الرَّسْمِيِّ لِكَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ ، وَالْيَوْمِ تَفَضَّلْتُمْ بِإِفْتِتَاحِ كَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَكَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ هِيَ الَّتِي أَنْشَأْتُمُوهَا لِتُخْرِجَ عُلَمَاءَ الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَالْقَضَاةَ الشَّرْعِيِّينَ .

وَالْفَقْهُ الْإِسْلَامِيُّ تَارِيخُهُ الْحَبِيدُ ، وَأَنَارُهُ الْعَظِيمَةُ فِي الْحَيَاةِ الْفَرْدِيَّةِ وَالنَّظْمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ

فَهُوَ غَنَى بِالْمُبَادَى الَّتِي تَحَقِّقُ السَّعَادَةَ لِلْإِنْسَانِ : فِي شَخْصِهِ ، وَفِي عِلَاقَتِهِ مَعَ غَيْرِهِ . وَقَدْ

بنيت عليه المدينة الإسلامية في أزهى عصورها، كما عني به الغربيون باعتباره مصدراً عظيماً من مصادر التشريع في العالم.

والقضاء الشرعي أساسه إقامة العدل بين الناس، ونجوى الصواب، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).

وقد جعل بين مواد الدراسة في هذه الكلية أصول الفقه، وتاريخ التشريع الإسلامي، والمقارنة بين المذاهب، وحكمة التشريع، وآيات الأحكام وأحاديثها، حتى يكون المتخرج منها ملماً بأدلة الأحكام الشرعية وسائر ما يتعلق بها.

ولما كان أساس العدل في التقاضي متانة خلق القاضي، وفطنته، وإلمامه بالأحوال والمعلومات التي تساعد على إصابة الحق، فقد وجهت هذه الكلية عنايتها إلى تحقيق ذلك عملياً.

واللغة العربية يا مولاي هي لنة القرآن الكريم والحديث الشريف؛ وقد جعلتموها لغة البلاد الرسمية، كما جعلتم الإسلام دين الدولة الرسمي.

وإذا كان لمصر وأزهرها المعمور تاريخ مجيد في تخريج أئمة اللغة العربية، وتأليف الموسوعات فيها، فإن تفضلكم بتأسيس هذه الكلية كفيل بإعادة هذا المجد المثل، وسيكون عمالها أتم، وفائدتها أعم، حينما يتولى خريجوها تعاليم العلوم الدينية والعربية في المدارس، فيبشرون من مكارم الأخلاق والآداب، ما يسمو بالجيل الناشئ إلى درجة الكمال المطلوبة.

وكما كانت مصر ملاذاً للعربية وماجاً لأساطينها من بغداد وغيرها، فهي في عصركم الذهبي الزاهر مصدر النهضة الجديدة لهذه اللغة، بما أنشأتموه من كليات وغيرها تعمل على ترقيتها ونشرها.

مولاي :

إن الأزهري الشريف السائر في طريق الرقي والعمل خبير البلاد والعباد، والمتطلع إلى المثل العليا، ليتخذ الإخلاص لجلالتكم شعاراً، والعمل على تحقيق رغباتكم السامية خطة ومنهاجاً، يلتفت رجاله حول عرشكم المقدس، ويقفون بين يدي الله تعالى صباح مساء، مبتهلين إليه جل شأنه أن يحفظ جلالكم للإسلام والمسلمين، ويبقيكم ذخراً وملاذاً، ويحفظ حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهدكم المحبوب: الأمير فاروق.

## كلمة عن

التعليم الإسلامي بمصر

لما فتحت مصر عمرو بن العاص وبنى بها مسجده سنة ٢١ هجرية، اتخذ جماعة من الصحابة والتابعين مركزاً علمياً لنشر الدين القويم وأعماله النافعة.

وقد أخذت هذه الحركة العلمية تكبر وتوسع، وتتميز وتزدهر، حتى أمة كثير من العلماء الأعلام، والأئمة المجتهدين، فأغادوا العالم الإسلامي بأرائهم وتأليفهم، وتركوا ثروة لا ينضب معينها.

وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد وقد كان للإمام محمد بن إدريس الشافعي هذا الجامع زاوية يدرس فيها مذهبه، ويدون آراءه، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الفاضلاء، الذين دونوا مذهبه ونشروا علمه: كالربيع بن سليمان، والازني، والبويطي، وغيرهم.

وظل التدريس فى الجامع العتيق عامر الحافقات مدة طويلة ، واقتفى أثره فى ذلك جامع أحمد بن طولون .

ولما بنى الجامع الأزهر سنة ٣٥٩ هجرية وكل سنة ٣٦١ هـ وصار مكانا للتدريس آلت اليه تلك الحركة العلمية الميمونة ، وازدهرت فيه وزرعت حتى تخرج فيه أئمة فضلاء ، وشيوخ أجلاء ، خدموا الإسلام والمسلمين بالتأليف تارة ، وبالتدريس أخرى ، حتى أصبح مفخرة العالم الاسلامى عامة ، ومعرضة خاصة .

ولقد عاجلت هذه الجامعة الكبرى علوم الدين ، فيسرت سبلها ، وأكثرت كتبها ، واهتمت بشئون الدالة المربية ، فهدت طرقها ، وأصلحت شأنها ، وبقيت على مدى الأجيال والقرون قائمة بعملها ، مضطلمة بمهمتها ، حتى نبه ذكرها ، وذاع صيتها ، وأتمها الطلاب من كل فج ، ليغترفوا من منهلها ، ويستضيئوا بنورها ، وانحدرو اليها العلماء من كل صوب ؛ ليساهموا فى النفع بها ، ونشر آثارها ، فازدهرت فيها أنواع العلوم والفنون ، وأمدت العالم الاسلامى بما هو فى حاجة اليه .

ولقد كان الأزهر الشريف منذ نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين : يتعهدونه بالعناية والرعاية ، ويغدقون على من به من العلماء والطلبة العطايا والهبات ، ويذهبون اليه بأنفسهم للصلاة والوقوف على حاله ، مما كان له الأثر البالغ فى حفز هم الشيوخ والطلبة الى التفرغ للعلم .

## نظام الأزهر قديما

كان النظام المتبع الذى يسير عليه الأزهر منذ أصبح مدرسة جامعة نظاما سهلا ، يكاد يكون فطريا ، أساسه التقوى ، وقوامه احترام الدين وأهله .



وكان شيخ الجامع الأزهر هو المرجع الأعلى لمن فيه من أصغر طالب الى أكبر عالم ، كلمته هي العليا ، وإشارته حكم ، لا يتخطاه واحد منهم ، وقوله الفصل في كل ما اختلف عليه ، يوزع الأحباس والهبات ، ويميز العلماء والمدرسين ، وكان إذا أشكل عليه أمر استشار فيه أكابر العلماء .

وكان يدخل الطالب الأزهر مختارا بلا قيد ولا شرط ، ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ، ويبقى فيه ما شاء أن يقيم ، فإذا آنس من نفسه علما كافيا ، ومملكة يتمكن بها من إفادة غيره ، استأذن أساتذته وجلس الى التدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على الطلبة . فكانوا إذا لم يجدوا فيه الكفاية للإفادة انفضوا عنه ، وإذا وجدوه على علم التفوا حوله واستمروا على تلقى العلم عنه ، وحينئذ يميزه شيخ الأزهر نهائيا .

ولما كان أساس التعليم فيه تعلما دينيا ، ابتدأ على الطريقة التي كان السلف الصالح يدرسون عابها الدين وعلوم الدين ، فكانت الدروس تعقد به حلقات حاقات ، يتصدر كل حلقة أستاذها ، وقد يجلس على كرسي ليتكلم من إسماع طلبته الكثيرين . وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هي الطريقة الإيملائية : يلى الأستاذ على الطلبة ما يريد من المسائل العلمية .

وبعد أن كثر تأليف الكتب ، وتيسرت وسائل النشر ، عمدوا الى دراسة الكتب وتفهيم أغراض المؤلفين ومقاصدهم . وكانت الكتب إذ ذاك بعضها من الموسوعات التي هي في غنى عن الشرح والتعليق ، وبعضها موجز يشتمل على خلاصات العلوم ، وهذه قد يوضع لها أحيانا شروح ، وقد يكون للشروح تعليقات تسمى بالحواشي والتقارير .

وكان عماد الدراسة إذ ذاك المناقشة والحوار بين الطلبة وأستاذهم ، مما يقف العقل وينمي ملكة الفهم .

وظلوا على ذلك مدة طويلة الى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة للأزهر وطلبته وعلمائه ، وللدراسة فيه .

### ما كان يدرس في الأزهر من العلوم والفنون قديما

في سنة ١٢٨٢ هجرية ، أرادت الحكومة المصرية أن تقف على العلوم التي تدرس في الأزهر الشريف لتبعت بذلك الى لجنة معرض باريس ، فأفادتها المشيخة بأنه يدرس في الأزهر :

الفقه ، الأصول ، التفسير ، الحديث رواية ودراية ، التوحيد ، النحو ، الصرف للمعاني ، البيان ، البديع ، متن اللغة ، الوضع ، العروض والقافية ، الحكمة الفلسفية ، التصوف ، المنطق ، الحساب ، الجبر والمقابلة ، الفلك ، الهيئة .

ثم قالت : « هذه هي العلوم المتداولة في الأزهر ، يقرؤها العلماء لطلبتهم بحسب مراتبهم ، وما عداها كالهندسة والطبيعة والموسيقى والتاريخ وغيرها يقرءونها لمن لهم اقتدار على تناولها ، إلا أن المشتغل بها قليل لعدم رغبة الطلبة فيها » .

وقد كان من العلماء من يعرف كثيرا من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية ، وهؤلاء لا يحدون ، نذكر منهم على سبيل المثال :

الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢ هجرية ، فقد جاء في سند إجازته ما ملخصه : أنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية ، وله تأليف في كثير منها ، وهي : الحساب ، والميقات ، والجبر والمقابلة ، والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاجاتها ، وعلم الأسطرلاب ، والزيج ، والهندسة ، والهيئة ، وعلم الأرتماطيق ، وعلم الزاويل ، وعلم الأعمال الرصدية ، وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ، وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ العرب والعجم .

## قوانين الأزهر

لم يكن للأزهر قانون يقيد الدراسة بنظام معين كما سبقت الإشارة إليه .  
ولما كثر الطلاب وتقدمت الدراسة وتنوعت العلوم واتسع نطاق الأزهر ،  
مست الحاجة الى سن قوانين وأنظمة لضبط ذلك .

وأول قانون للأزهر وضع في عهد المغفور له اسماعيل باشا الى مصر الأسبق  
سنة ١٢٨٨ هجرية (سنة ١٨٧٢م) وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد العباسي المهدي .  
وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية ، وبين مواد امتحانها ، وقسم  
الناجحين فيها الى ثلاث درجات (أولى — وثانية — وثالثة) على أن يصدر بذلك براءة  
بتوقيع ولي الأمر .

وما زال الأزهر محل رعاية الحكام وأولى الأمر في مصر يتعهدونه بسن القوانين  
والأنظمة التي لها الشأن العظيم في سير الدراسة به ، حتى صدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١  
فانتقل به الأزهر الى مرحلة أخرى من النظام ، إذ زيدت فيه مواد الدراسة ،  
ويش اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشئ له مجلس تحت رئاسة شيخه يسمى (مجلس  
الأزهر الأعلى) ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء ، وجعل لكل مذهب من المذاهب  
الأربعة شيخ ، ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة .

ولما كان هذا القانون لا يؤدي كل الغرض المطلوب منه ، فقد لحقه كثير من  
التعديل في مواد الدراسة ونظام التعليم وأنواع الشهادات وغير ذلك مما رفع شأن التعليم  
في الأزهر وجعل له منزلة سامية .

وقد تم كل هذا التعديل في عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم  
(فؤاد الأول) حفظه الله .

واستمر الأزهر خاضعا لهذا القانون ، مع ما أدخل عليه من التعديل ، الى أن اقتضت إرادة جلالة مولانا الملك إعادة النظر في قوانين الأزهر ليكون على نظام يكفل للطلاب أن ينالوا قسطا عظيما من الثقافة العامة ، بما لا يتعارض مع صبغة الأزهر الدينية والعربية ، ويؤهلهم للقيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها ، وعلى تعلم اللغة العربية ونشرها على وجه يفيد الأمة ، ويعدم لتعليم هذه العلوم في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة وتولى الوظائف الشرعية في الدولة ، فكان ما أرادته جلالته ، ووضع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ .

## القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠

جعل هذا القانون التعليم في الأزهر أربع مراحل :

١ — ابتدائي ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه ، الأخلاق الدينية ، التجويد ، استذكار القرآن الكريم ، التوحيد ، السيرة النبوية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، النحو ، الصرف ، الإملاء ، الخط ، التاريخ ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم .

٢ — ثانوي ومدته خمس سنوات . ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، استذكار القرآن الكريم ، النحو ، الصرف ، البلاغة ( البيان والبديع والمعاني ) ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، أدب اللغة ، الرياضة ( الحساب والهندسة والجبر ) ، العلوم ( الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي ) ، المنطق ، التاريخ ، الجغرافيا ، الأخلاق ، التربية الوطنية .

٣ - عالي ومدته أربع سنوات ، وينقسم الى ثلاث كليات :

( أ ) كلية اللغة العربية . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

النحو ، الوضع ، الصرف ، المنطق ، علوم البلاغة ، الآداب العربية وتاريخها ، تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الإنشاء ، فقه اللغة .

( ب ) كلية الشريعة . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التفسير ، الحديث متنا ورجالاً ومصطلحاً ، أصول الفقه ، تاريخ التشريع الإسلامي ، الفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل الكلية وحكمة التشريع ، أدب اللغة العربية ، علوم البلاغة ، المنطق .

( ج ) كلية أصول الدين . ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبه خصوصاً الذائع في العصر منها ، المنطق والمناظرة ، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها ، الأخلاق ، التفسير ، الحديث ، آداب اللغة العربية وتاريخها ، تاريخ الإسلام ، علم النفس ، علوم البلاغة .

٤ - التخصص وهو على نوعين : تخصص في المهنة ؛ وتخصص في المادة .

والغرض من التخصص في المهنة ، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والإرشاد ، أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ، والإفتاء والمحاماة ، أو التدريس في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .

والغرض من التخصص في المادة : إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث .

ويعين حاملو شهادة هذا القسم في وظائف التدريس بالكليات وبأقسام التخصص.  
وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر  
فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية، وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة  
اللغة العربية والعلوم الدينية.

### الشهادات

والشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات النهائية هي :

#### ١ - الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي، وتحويل صاحبها الاندماج في القسم الثانوي  
للقسم الأول.

#### ٢ - الشهادة الثانوية للقسم الأول :

تمنح لمن أتموا دراسة السنوات الأولى والثانية والثالثة من القسم الثانوي، وتحويل  
صاحبها الاندماج في القسم الثانوي للقسم الثاني.

#### ٣ - الشهادة الثانوية للقسم الثاني :

تمنح لمن أتموا دراسة السنتين الرابعة والخامسة من القسم الثانوي وتحويل صاحبها  
الاندماج في الكليات.

#### ٤ - الشهادة العالية :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالي . والحائزون لها يكونون  
أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجالس  
الحسبية والأوقاف والتدريس في المساجد ووظائف الخطابة والإمامة والمأذونية .

#### ٥ - شهادة العالمية:

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص في مهنة التدريس أو القضاء الشرعي أو الوعظ والإرشاد . والحائزون لها من قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة . والحائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية . والحائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والإرشاد يكونون أهلاً لوظائف الوعظ والإرشاد .

#### ٦ - شهادة العالمية مع لقب أستاذ:

تمنح لمن تخصص في مادة من المواد . والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس في الكليات وفي أقسام التخصص .

### مجلس الأزهر الأعلى

قضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر في اللوائح والقوانين التي تلزم لسير الدراسة والإدارة وغيرها في الأزهر والمعاهد الدينية، وتسمى تلك الهيئة (مجلس الأزهر الأعلى) وهو يؤلف من:

- (١) شيخ الجامع الأزهر .
- (٢) وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، وله رئاسة المجلس عند غياب شيخ الجامع الأزهر .
- (٣) مفتي الديار المصرية .
- (٤) مشايخ الكليات الثلاث .

- (٥) وكيل وزارة الحفانية .  
 (٦) وكيل وزارة الأوقاف .  
 (٧) وكيل وزارة المعارف العمومية .  
 (٨) وكيل وزارة المالية .  
 (٩) اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين .  
 (١٠) اثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصالحة للتعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ، ويعينان بمرسوم لمدة سنتين .

### المعاهد الدينية التابعة للأزهر

أطلق اسم الجامع الأزهر في القانون على كليات التعليم العالي ، وعلى أقسام التخصص .

ويطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد التعليم الديني الإسلامي التي يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية وإعدادهم لدخول الجامع الأزهر . والتعليم في هذه المعاهد : ابتدائي . أو ابتدائي وثانوي . والمعاهد الدينية الآن هي :

- ١ — المعهد الأزهرى بالقاهرة ... .. ابتدائي وثانوي
- ٢ — معهد الاسكندرية ... .. »
- ٣ — » طنطا ... .. »
- ٤ — » الزقازيق ... .. »



- ٥ - معهد أسيوط ... .. ابتدائي وثانوي  
٦ - دسوق ... .. ابتدائي  
٧ - دمياط ... .. »

### أجناس طلبية الأزهر والمعاهد الدينية

تشكون طلبية الأزهر والمعاهد الدينية من المصريين والغرباء الذين يفدون اليه لطلب العلم بعد ما ذاع صيته واشتهر أمره في جميع الأقطار الاسلامية .  
ففيه من بلاد طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والسودان والحبشة والصومال وبرنو وجنوب إفريقية والشام والعراق والحجاز ونجد واليمن وجاوة والهند والصين وروسيا والقوقاز والآناضول والكرديستان والأفغان وتركيا وألبانيا ويوغوسلافيا وبولونيا وبلغاريا وأمريكا .

### دور الكتب الأزهرية

كانت أروقة الجامع الأزهر غاصة بالكتب العقلية والنقلية المخطوطة والمطبوعة الكثيرة الوجود والنادرة المثال .

ثم رثي في سنة ١٣١٤ هجرية ( ١٨٩٧ م ) إنشاء دار كتب عامة تسمى ( دار الكتب الأزهرية ) وأعد لها مدرستا الاقبضاوية والطبرسية ، وجمع فيها كثير مما تفرق في الأروقة من الكتب ومن هبات المحسنين ، ومما اشترى من بعض الوقفيات المحبوسة على شراء الكتب .

وفي هذه الدار الآن ما يزيد على ستين ألف مجلد يبلغ عدد المخطوط منها نحو خمسة عشر ألفاً، وفيها كثير من أمهات الكتب ونادرها .

وليس الانتفاع بهذه الدار مقصوراً على الأزهريين ، بل إن كثيراً من أهل العلم والأدب يأتون إليها وينتفعون بما جمعت من الكتب العلمية في مختلف الفنون .

وتحقيقاً للرغبة الملكية السامية في ترقية هذه الدار وتنظيمها ، انتدبت رئاسة الأزهر بعض الموظفين الإخصائيين في نظام دور الكتب لتنظيمها على أحدث طراز ، وقد جعل لكل كلية من الكليات الثلاث مكتبة أودع فيها الكتب اللازمة للكلية ؛ ولها موظف خاص يقوم على شئونها ، ولا يزال في بعض أروقة الأزهر بعض خزانات خاصة تحتوى كتباً خاصة لسكان هذه الأروقة .

-----

## الظرف والملح

قال بعض رواة الأدب :

وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ لم تتججج أذناه كلامي ، وقدم معاذة من سوء مقامي ، فإن البلاد مجذبة ، والحال مسقية ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر عاذر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرأ أمر بمجير ، أو دعا بخير ؛ فقلت : بمن أنت يرحمك الله ؟ فقال : اللهم غفراً ، سوء الاكتساب ، يمنع من الانتساب .

## الاسلام في السودان<sup>(١)</sup>

رأينا في الجزئين الأخيرين من هذه المجلة درجة انتشار الإسلام في الأقطار المختلفة من البلاد السودانية ، وبيّنا أن الأسباب الاجتماعية كانت أول وأهم العوامل في اتساع نطاق نفوذه وأكبر مساعد في انتشار تعاليمه<sup>(٢)</sup> . كما اتضح لنا كيف مهدت الفزوات والفتوحات الإسلامية السبل لاختلاط المسلمين بأهالي تلك الأقاليم الوثنيين وسهّلت على هؤلاء تعرف حضارة ومدنية جديدة توافق طرق معيشتهم ، وديانة سهلة واضحة تسيغها فطرتهم . كما ظهر لنا أيضا أن الدعاية الدينية للإسلام في هذه البلاد لم تكن في أي وقت من الأوقات منظمة أو كافية حتى يرجى منها فائدة كبيرة .

على أنه وإن تبادر الى ذهننا مما سبق ذكره أن دخول السودانيين في الإسلام كان لمجرد رغبة منهم في تحسين حالتهم الاجتماعية والمعيشية وطمعا في إزالة الفوارق السياسية الدنيوية ، فما يجدر بنا ذكره في هذا المقام أن زنوج أفريقية الوثنيين رأوا في قواعد الديانة الإسلامية وتعاليمها أهم أسباب تقدم المسلمين وتفوقهم عليهم في مناحي

---

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن مقال للاستاذ « ديدريش ويستمان » في مجلة « العالم الاسلامي » الألمانية . (٢) هذا رأى صاحب المقال في سبب انتشار الاسلام في زنوج أفريقيا . وقد يكون هذا الرأي مقبولا حين يجعل الكلام في اسلام فئة من الناس خيم عليهم الجهل والتأخر المدني والمخاطبات الدارك أزمة متطاولة . أما إذا رجعا الى أسباب انتشار الاسلام انتشارا عالميا بين أمم متنوعة أخذت قسطا عظيما من الرقي الفكري والعلوم الكونية فإن السبب حيثئذ يرجع الى ما جاء به الاسلام من عقيدة صحيحة الفهم سائلة عند الفكر متينة البراهين ساطعة الحجج لا يزيد بها التعمق في البحث إلا قوة ولا تزداد مع اتساع العلم والاستكشاف إلا جلاء ونورا . يعرف ذلك من درس بامان العقيدة الاسلامية وردها الى براهينها القوية المتينة وكان نظره لتدلس الحق في ذاته لا يدفعه تعصب محموت ولا يغيى بالصواب بدिला .

الحياة المختلفة ، فبدأ يتضح لهم قوة إله المسلمين وقدرته ، وليس أيسر على الوثني من تغيير عبادته ، فكثيرا ما بدلت قبائل منهم آلهتهم بمجرد ظهور إله أقوى في القبائل المتناخبة ، وهكذا تركوا معبوداتهم القديمة ودخلوا في دين الله ، حيث يرجون الخير والنفع الكبير في الدنيا والآخرة ، خصوصا وأنهم كانوا لا تربطهم بآلهتهم روابط قوية ، فكثيرا ما هجروها أو حطموها اسخطهم عليها إذا لم تستطع نفعهم وعجزت عن قضاء حوائجهم أو قصرت في درء الشر عنهم .

هذا علاوة على ارتباطها الوثيق بمحل إقامتها ، فلا يستطيع أحد من القيام بشعائره الدينية أو تقديم القرбан والضحايا لها إلا في مكان نصبها ، وكثيرا ما كانت تضطرم حاجتهم المعاشية للهجرة عن مواطنهم شهورا وأعواما طويلة ، خصوصا بعد الاحتلال الأجنبي الذي أخرجهم عن عزاتهم وفتح أمامهم طرقا مختلفة جديدة للسعي وراء الرزق ، فكان ذلك سببا في نسيانها وإغفال أمرها واحتقار شأنها .

ولا يمكن للزنجي أن يعيش طويلا بلا ديانة ، فحياته الروحية دائمة التعطش الى التعمد ، إلا إذا استثنينا بعض الأحوال التي يموت فيها هذا الإحساس الغريزي باحتكاكه في المعاملة بالأوروبيين اللادينيين . لذلك فانا نجده يسمى حثيثا للانضمام الى الدين الآخر شيوعا بين الأهالي والمساوق لفطرته ، وهو الاسلام . هذا إن هو لم يقتصر على التلهي بالقيام ببعض الشعوذة الدينية ، وهذا في النادر جدا في مثل هذه الظروف .

فدخول الافريق في الدين الاسلامي ليس هو مجرد رغبة في تحسين حالته الاجتماعية والمعاشية ، أو رهبة من قيود الرق والاستعباد فحسب كما قد يتطرق الى ذهن القارئ . لأول وهلة ، بل إنه إنما يفعل ذلك لأنه شديد الرغبة في الوصول الى كشف حقيقة العالم ونظمه الخفية والوقوف على سر الحياة والموت ، متطلع دائما الى الاعتراف

بوحداية الإله الحى الذى لا يموت القادر على كل شئ ، فهو متدين بطبيعته وكثير الاهتمام بالمسائل الدينية بفطارته ، فوجد فى الدين الإسلامى ما يطفىء به ظمأه ويشفى به غلته ، فجاءت هذه الديانة محمقة لآماله التى ينشدها ، ووافية بأغراضه التى يصبو إليها .

رأى الأفريق فى الديانة الإسلامية بساطة فى أماكن إقامة الصلوات ، وسهولة ويسر فى أداء الشعائر الدينية ، هذا علاوة على ملائمتها لكل فرد فى كل مكان وزمان ، فكان ذلك كله سببا فى تعلقه بها دون سواها ، وتمسكه بفروضها واتباع تعاليمها ، فبرزت الى ناظره محاسنها ، كما وجد أن الانسان إنما يتعبد ويتقرب بها الى إله تنزهه عن الأغراض والوسائط الدنيوية ، وقد تمكن بها من تفسير كثير مما شمله الغموض وحامت حوله الشبهات من مسائل الحياة الدنيوية وحياة الآخرة ، كل هذه الأمور أقرب الى ذهنه وأنسب لفطرته من المذاهب المسيحية اللتوية التى تفرق بين الدنيا والدين .

أما من جهة أثر الإسلام فى تلك البلاد النائية المنعزلة عن العالم المتعدين ، فما لا شك فيه أن الإسلام كان سببا فى تحسين كثير من أمور الحياة من وجوه ونواح متعددة ، على أننا لا يمكننا فى كثير من الأحوال أن نعرض للتقدم — خصوصا فى الميدان السياسى — الى دخول الإسلام فحسب ، بل إن تيار التطور العالمى الذى اجترف جميع أنحاء المعمورة فى هذا الحين كانت قد وصلت موجاته أيضا الى تلك البقاع ، وأصبح من المتعذر على الباحث كثيرا معرفة أسباب التطور الحقيقية : أهى نتيجة دخول الدين الجديد ، أم أن هذا التقدم والعمران كان نتيجة لابتداء واقعة لتيار التطور العالمى ، ولكن على كل حال فإن ظهور هذا التقدم فى الوقت الذى دخل فيه الإسلام مما يحملنا على الاعتقاد أن تلك البلاد مدينة من هذه الناحية العمرانية للإسلام بكثير من الإصلاحات والتقدم الفكرى ولو من طريق غير بعيد .

لم تكن البلاد السودانية تعرف النظم السياسية والاجتماعية في تكوين الأمم قبل دخول الاسلام، فاهتم الفاتحون المسلمون بتنظيمها من هذه الناحية، فنشأت على أيديهم بلاد مستقرة الحكم، ذات سلطة مركزية، وإدارة منظمة، وحدود سياسية وشعب يشعر بالرابطة الوطنية، ونظمت جباية الضرائب والخراج، ووضعت قواعد عادلة للأحكام، فاستتب الأمن، وزاد الرخاء، وأمن الضعيف غائلة القوى.

زاد من ثمرة الإصلاح الذي دخل على يد الفاتحين من المسلمين انتشار اللغة العربية بين الأهالي الوطنيين، حيث كانوا قبل الفتح الإسلامي لا تربطهم رابطة تفاهم، فجمعت اللغة شمل الكثير منهم، فقربت العلاقات، ووطدت عرى الإخاء والتفاهم، وعاونت على تذليل كثير من الصعوبات التي كانت تقوم في وجه الكثير من المصلحين بينهم، فبدأت تقوى هناك روح الحياة التعاونية المشتركة بزوال التعصب بين الأجناس واللغات المختلفة.

تظهر ثمرة الإصلاح والتقدم للناظر جلياً عند مقارنة الأقاليم التي انتشر فيها الاسلام بالبقاع الوثنية من الوجهة الاجتماعية والعلمية، فالتناجد أن انضمامهم الى ديانة عالمية تربطهم من نواح حيوية متعددة بالأقطار الاسلامية المتمدينة، مثل شمال أفريقية ومصر وسوريا وبلاد العرب، مما ساعد على اتساع نطاق تفكيرهم وازدياد الروابط التجارية والعلمية بينهم، بينما تنزوى القبائل الباقية على الوثنية في زوايا النسيان والعزلة التامة، حتى تكاد لا تخرج معاملاتهم وتجاراتهم عن طرق التبادل المعروفة في عصور الإنسان الأولية.

يتبع

## تصحيح

ورد في مقال كتاب جديد عن الاسلام للمسة مرق الأستاذ كامبهاير المنشور بالعدد العاشر من السنة الثالثة بالمجلة بعض عبارات مخالفة للحقيقة وتوهم معنى غير صحيح ، ولم يتسع ذلك الجزء لتعاليق عليها ، ونشير هنا الى تصحيح وإيضاح ما ورد بها .  
فن ذلك قوله : « وقد ناقش أعضاء مجلس النواب في تعديلات بعض جزئيات الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأوقاف » .

والواقع أنه لم تجر مناقشات بمجلس النواب بتعديل شيء من جزئيات الشريعة الاسلامية لا في الأوقاف ولا في غيرها ، وغاية الأمر أنه حصلت مناقشة في الصحف اليومية بين بعض الكتّاب المفكرين في أمر الأوقاف ، وهل هي حكم ديني أو نظام اجتماعي ، وبعد قيام الحجة على أنه من الدين انتهت المناقشة .

وكذلك قوله : « قررت الحكومة البعض الآخر ( بعض التعديلات ) بطريق التشريع كقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ الخاص بإعادة تنظيم الأحكام بالمحاكم الشرعية » .  
وتخصيص ولي الأمر القضاء ببعض الحالات ليس فيه إفتيات على الدين ولا خروج على أحكام الشريعة .

وأما رفع سن الزواج الى ١٦ سنة بالنسبة للزوجة و ١٨ بالنسبة للزوج ، فلم يكن حكماً يبطلان هذه العقود إذا حصلت ، وإنما هو محاولة منع الناس عن التمتع بالزواج قبل كمال استعداد الأولاد له ، فأخرجت القضايا المتفرعة على الزواج التمتع عن اختصاص المحاكم الشرعية ليمتنع الناس عن إجراء هذه العقود .

وورد في مقال « كيف انتشر الاسلام » المنشور في العدد نفسه من كتاب العقيدة  
والشريعة في الاسلام لمؤلفه جولد تزيهر :

« لا يسهل أحداً أن ينكر أن أول الأوامر التي فرضت على المسلمين الفاتحين إزاء  
الأمم المغلوبة والتي كانت تدين بديانات أخرى لم تكن مصبوغة بصيغة التسامح في العهد  
الأول لا انتشار الشريعة الاسلامية » .

والحقيقة أن التسامح مع أهل الديانات الأخرى من أهل الكتاب موجود  
في الشريعة الاسلامية وفي العهد الأول لا انتشار الاسلام : عهد نزول الوحي على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ  
الْغَى ) وقوله تعالى : ( أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى :  
( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ ) وقال عليه الصلاة والسلام في أهل الكتاب  
من يهود ونصارى « لهم مالنا وعليهم ما عاينا » .

وجاء خطأ في صفحة ٧٢٧ سطر ٥ من العدد العاشر أيضا :

عمرو بن العاص . والصواب عمرو بن الخطاب .



His Majesty then went over to the professor's room and graciously thanked them for their efforts and favoured them with words of encouragement.

He then inspected the College library and the reading room and moved on to the Dean's room where he graciously signed the distinguished visitors' book and listened to a speech of thanks given by the Dean of the College His Eminence Sheikh Mohammed Mamoun Al-Shinnawy on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the College of Arabic Language and was shown round the classes.

In the first class, His Majesty attended a lecture given by Professor Sheikh Soliman Nowar on "The connection between sentences and points of union and separation".

In the next class, Professor Doctor Abdul-Wahab Azzam was lecturing on the History of Islam, his subject being "Haroun Al-Rasheid".

A Jugoslav student gave a speech of thanks.

Next came a class of Grammar where Professor Sheikh Mohammed Mohyel-Din was lecturing on the "Mobtada and Khabar" giving for example the verse:

(الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ). (Holy Koran, verse 35, Chap. XXIV)

An Indian student gave a speech of thanks.

His Majesty then attended a class of pedagogy where Professor Mohammed Al-Makhzangy was lecturing on "Dalton's system of education".

A Syrian student gave a speech of thanks.

In the next class, Professor Mohammed Mahdi Allam was lecturing on hygiene, the subject being "The heart and its function in relation to the other parts of the body". The Professor aptly remarked that it occupies the same position in relation to them as that of the king.

An Egyptian student gave a speech of thanks.

His Majesty then inspected the College library and reading room. In the Dean's room, His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush gave a speech of thanks on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the marquee especially erected for his reception where His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University delivered a speech and the Royal visit was concluded.

## INAUGURATION OF THE COLLEGES OF MOHAMMEDAN LAW AND ARABIC LANGUAGE.

---

Next day (Wednesday the 3rd. of Zul-Hidja, 1351 A.H., 29th. March, 1933), His Majesty drove to the Colleges of Mohammedan Law and Arabic Language where His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University, Their excellencies the Cabinet Ministers, their Honour the Grand Ulema and the chief dignitaries of the State were waiting for his reception.

At 11 a.m., His Majesty arrived and his arrival evoked loud cheers from the crowds lining the road and was hailed with applause from all those present.

His Majesty was directly shown round the class rooms. In the first class Professor Sheikh Al-Husaini Sultan was lecturing on the History of Islamic jurisprudence. After attending a part of the lecture, His Majesty moved on to the next class where Professor Sheikh Mahmoud Arafa sub-dean of the College, was lecturing on the interpretation of the Koranic verse:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.)  
(Holy Koran, Verse 58, Chap. IV.)

A student from Palestine gave a short speech of greeting and alluded in course thereof to the gratitude of Eastern countries for His Majesty's favours on the Moslem world.

In the next class, Professor Sheikh Abdul-Salam Sharaf was lecturing on Mohammedan Law, the subject being "Wakf in Islam, its place in the Law and confirmation from the Koran and the Sunnah (usage)."

A Javanese student gave a speech on behalf of his colleagues.

His Majesty then attended a lecture on literature given by Professor Sheikh Abdullah Afifi who greeted His Majesty with a masterly poem of his own composition.

A Circassian student gave a speech of thanks.

In the next class, His Majesty attended a lecture on Tradition given by Professor Sheikh Abdullah Moussa, the subject being "Traditionists and Abdullah Ibn Amrou Ibn Al-Ass."

and Defender of the Faith. Missions from China, Poland, Albania, India etc. began to arrive in succession to Al-Azhar in quest of knowledge; and great universities began to get in touch with it, the last being the University of Granada whose invitation to the ceremony of the fourth centenary of its foundation, was accepted by Al-Azhar.

Your Majesty have greatly augmented your favours by graciously deigning to visit the Colleges for the official inauguration. It is an auspicious sign that this Royal visit should take place in the interval between two great festivals, Your Majesty's Birthday and that of Eid-ul-Adha.

And this, Your Majesty, is the College of Principles of Religion whose object is the training of preachers and spiritual teachers and to fulfil the Lord's words:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . (Holy Koran, Verse 104, Chap. III.)

For if preaching and spiritual edification are properly conducted, they would prove the right source of salvation in this world and the hereafter and would help to solve the knotty problems of life and reduce crime to a minimum.

In this College, professors of Divinity exegesis and Tradition have joined with those of psychology, philosophy, history and natural sciences and they co-operate together to train and fit the students to discharge the duty of preaching and spiritual edification in the best manner suited to the needs of present time.

The Azharites fail indeed to express the thanks due to Your Majesty in return of those successive favours showered on them and they pray the Almighty Allah with loyal and faithful hearts that He may long spare Your Majesty for Islam and the Moslems and bless His Royal Highness Prince Farouk. Amen.

---

The subjects of study in the Colleges were augmented by: History of Islamic Jurisprudence, Comparative study of rites, Scientific study of Tradition, Arabic Literature and History, Philology, History of Moslem Countries, Psychology, Philosophy and the refutation of anti-religious conceptions and other subjects which were not given in the Higher Section of Al-Azhar

Seeing that specialisation in sciences is the only productive system which the Ulema of Islam adopted at the beginning of the Islamic era, and as the development and progress of sciences in olden and modern times is directly due to specialisation, this Law has provided for the establishment of specialisation sections in the more important subjects studied at the Colleges for further extensive study. It has also decreed that graduates of these sections should be granted the Alimieh Certificate with the title of Ostaz (Master) and that they should be eligible for nomination to the professorship of the Colleges.

This Law has also provided for the establishment of specialisation sections in teaching, Mohammedan Law, preaching and spiritual edification, the graduates of these sections to be eligible for nomination to the teaching posts in Government schools and Religious Institutes and to the states sharie and religious posts.

In fulfilment of your wishes, Your Majesty's Government has decreed the construction of large buildings in the vicinity of Al-Azhar to house the Colleges, the Specialisation Sections, the Al-Azhar Institute, as well as a large library, lecture rooms, students' hostels, infirmary and other buildings for the Rectory of Al-Azhar and its Supreme Council.

Pending the construction of these buildings, temporary places have been arranged through the help of both Ministries of Education and Wakfs (Pious Foundations). The College of Principles of Religion is housed in this building and the Colleges of Mohammedan Law and Arabic Language are given the building occupied before by the School of "Al-Qada Al-Sharie."

Your Royal attention was not confined to the stages of regular education, but was also directed to public religious instruction which provides a more extensive study of Religion and the Arabic Language and aims at the dissemination of high morals and noble ideals among all classes of the people. The Law has provided for the establishment of public sections for this purpose at Cairo and other towns.

But though the Colleges of Al-Azhar will be housed in separate buildings in the Al-Azhar quarter and adjacent to it, Al-Azhar itself will continue to provide various studies and will be open to all Moslems of all nationalities. It will not be confined to the performance of prayers.

The promulgation of this Law and the publication of news regarding it, have made a most favourable impression on the minds of the Moslems of all countries who rightly acclaimed Your Majesty the Patron of Learning

ADDRESS OF HIS EMINENCE THE GRAND SHEIKH MOHAMMAD  
AL-AHMADI AL-ZAWAHRY, RECTOR OF AL-AZHAR UNIVERSITY  
TO  
HIS MAJESTY THE KING.

---

Your Majesty,

Praise be to Almighty Allah for the blessing of Your Majesty's accession to the throne of Egypt. Your Majesty have regenerated its glory, realised its aspirations and contributed to the development of all its activities. The Al-Azhar University has equally engaged Your Majesty's attention and has been the favoured recipient of a good deal of Your Royal interest.

This interest, Your Majesty, is nothing short than the interest in Islam and Moslems wherever they may be, for Al-Azhar is the throbbing heart of Islam, its radiant light-beacon which has, for successive centuries and generations, shed the light of faith, piety and high morals on the furthest corner of the earth. It is the Kaaba of religious and Arabic sciences to which Islamic missions from all the continents repair to acquaint themselves with Religion and the language of the Holy Koran, spreading this knowledge among their people on their return home.

Over and above those countless favours, the greatest manifestation of this Royal interest was Your Majesty's directions for the reorganisation of Al-Azhar in such a manner as to fulfil the expectations of the Moslems and be compatible with its glorious history and traditions. Also to fit its graduates for the right discharge of their duty and to render them active members in the Islamic and universal fraternity of learning, and thoroughly acquainted with the trend and exigencies of life so that they may be able, through the progress of arts and science, to bring to light those facts of which the Holy Koran and Tradition have spoken over thirteen centuries ago, long before men had an inkling of them.

Providence has always pleased to crown Your Majesty's efforts with success, for thus have Your Majesty promulgated the Law No. 49 of 1930, which fully realised those great ends and at the same time, maintained the religious and Arabic character of Al-Azhar.

Among the great advantages of this Law, are the establishment of the Colleges of Principles of Religion, Mohammedan Law and Arabic Language, the free admission to all Moslems of all nationalities and the amendment of deficiencies detected in the preceeding laws in the subjects to study in its different stages.

In the second class, His Majesty attended a lecture on Exegesis given by Professor Sheikh Sayyed Qmawy, the subject being the interpretation of the Koranic verse:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (Holy Koran, verse 104 Chap. III).

His Majesty then moved on to the third class where Professor Sheikh Amin Al-Khouly was lecturing on philosophy and its relation to religion.

In the next class, His Majesty attended a history lecture given by Professor Mohammad Habib, the subject being "The works of Mohammad Aly, the head of the reigning dynasty of Egypt, and the religious and social state of the country in his time" quoting the opinions of Western historians of him.

Next, His Majesty attended a class of psychology where Professor Mazhar Said was lecturing on "The instinct of imitation in man and its effect on upbringing". The Professor pointed out that this theory was expounded by the Arabs in their works on sociology and that the credit of its exposition is not at all due to the Westerners as claimed by some of them.

The Specialisation Sections came next and His Majesty attended a lecture on Tradition given by Professor Sheikh Mohammad Al-Ezaby Rizq, the subject being "The merits of the just Khalif (ruler)". A Javanese student gave a short speech of thanks and greetings on behalf of his colleagues.

In the next class, His Majesty attended a lecture on logic given by Professor Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, the subject being "The use of logic and the need of man to it in thought process."

His Majesty then attended the class of preaching and spiritual edification where Professor Sheikh Ali Mahfouz was lecturing on "Guidance of the Koran to salvation in this life and the next."

After having thus attended the different classes of the College, His Majesty went over to the professors' room where He was received by the faculty. His Majesty graciously expressed his appreciation of the efforts and favoured them with words of encouragement.

His Majesty then inspected the College library and graciously signed the distinguished visitors' book. In the Dean's room, he listened to a speech of thanks given by His Eminence Sheikh Abdul-Majied Al-Labban Dean of the College on behalf of the faculty, staff and students.

His Majesty then went over to the marquee especially erected for his reception where a distinguished company of guests were waiting to receive him. There, His Eminence the Grand Sheikh Rector of Al-Azhar University, delivered the following address:

With this object in view, His Majesty has graciously ordered the enactment of new laws and the modification of the curricula. New subjects were added and the scope of study extended further afield. The students of the Higher sections were assigned certain subjects to specialise therein. These developments, ultimately resulted in the adoption of the best possible régime to which investigation and experience have lead, and Law No. 49 of 1930 relating to the reorganisation of Al-Azhar was promulgated and put in force at the beginning of 1931

When this new régime was put to practice which revealed the legislation in its best practical form, His Majesty announced his royal wish to visit the three Colleges and the Specialisation Sections affiliated thereto, in order to see for himself the fruits of those successful efforts.

Tuesday the 2nd of Zul-Hidja, 1351 A.H. (28th of March 1933), was consequently fixed for the inaugural visit to the College of Principles of Religion and the Specialisation Sections affiliated thereto viz: Section of Exegesis and Tradition, Section of Monotheistic Divinity and Logic and Section of Preaching and Spiritual Edification.

Wednesday the 3rd of Zul-Hidja, 1351 A.H. (29th of March, 1933), was fixed for the inaugural visit to the College of Mohammedan Law and the Specialisation Section of Mohammedan Law in accordance with the recognised rites and the principles of Mohammedan Law. The same day was also fixed for the inaugural visit to the College of Arabic Language and the Specialisation Sections affiliated thereto viz: Section of Grammar (Nahw) and Morphology (Sarf), Section of Rhetoric and Literature and Section of History, Logic and Psychology.

When the set time for the Royal visit arrived, the inhabitants of Shoubra quarter in which the College of Principles of Religion is situated, crowded on both sides of the road and were elated at the prospect of seeing their King whose patronage of Al-Azhar and favours to men of learning and religion have touched a vital chord in their hearts.

His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University, Their Honour the Grand Ulema, Their excellencies the Cabinet Ministers and the Chief dignitaries of the State were all waiting to receive His Majesty at the College entrance.

As the Royal procession came along, the place echoed with applause and ovation. His Majesty arrived at 11 a.m. and was directly shown round the College class rooms. The first class His Majesty attended, was a lecture on Divinity given by the Professor Sheikh Mahmoud Abou Daqqa, the subject being "The need of man to the mission of Prophets". His Majesty listened to a good part of the lecture and a student gave a short speech of greetings on behalf of his colleagues.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## OFFICIAL INAUGURATION OF THE THREE COLLEGES OF AL-AZHAR UNIVERSITY

BY

HIS MAJESTY FOUAD I, KING OF EGYPT.

---

It is a great blessing to this country that Providence has favoured it with a benevolent king who rightly merits the commendation of history and the gratitude of present and future generations. Added to his devoutness and religious fervour, His Majesty has been endowed with great intellect, foresight and zeal, all of which combined to give rise to a great revival which embraced all the activities of the Egyptian people.

Seeing that the progress of nations, unless it is firmly established on a sound basis of religion and safeguarded with morality and thorough education, will be liable to serious errors and set-backs, His Majesty has turned his attentions to the educational institutions of Egypt. He has found in Al-Azhar University the stronghold of the Faith and the fountain-head of true religious education which sheds its light all over the Moslem world, a prevelige which Moslem nations accede only to Al-Azhar and is amply testified to by sending their sons in ever increasing numbers to pursue their studies at that University.

In view of all these considerations, His Majesty has given Al-Azhar a great share of his attention in order to effect its further advancement and enlarge the scope of subjects studied in it, so that it may satisfactorily accomplish the great mission expected from it to the interest of Egypt and the Moslem world.



فَدَجَاءَ كُذِّبَ أَفْهَرُ نُورٍ وَكَاتِبٌ يُهْدِيهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَسْفَلِ رُفُوفِ السَّمَاوَاتِ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَهُوَ يُسْمِعُ وَهُوَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

# بُحُرُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصدرها مدينتنا الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

الجزء الثاني	صفر سنة ١٣٥٢	المجلد الرابع
مدير إدارة المجلة عبد العزيز محمد بك	رئيس التحرير المسيد محمد حسين	
المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى	من علماء الأزهر	

الإدارة	الاشتراك
شارع محمد مظلوم باشا رقم ١	داخل القطر المصري ... ٤٠
تلفون ٨٤٣٣٢٠	خارج القطر المصري ... ٥٠
الرسائل تكون في يد مدير المجلة	للعلماء غير مدرسين وأئمة المساجد ... ٢٠
	والمؤلفين ومعلمي المدارس ... ٣٠
	الأولية والطلاب ... ٣٠

نمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الرسول صلى الله عليه وسلم - والتسامح

التسامح معنى فى النفس يرجع الى طائفة من الأخلاق الكريمة والصفات الفاضلة ، أو هو مظهرها وأثر من أعظم آثارها ، وثمرتها جلية من أعز ثمارها ، منها الحلم ، والصبر والاحتمال ، وسعة الصدر ، والعفو عند المقدرة ، والتواضع ، ومنها السخاء ، والجود ، والعفة ، وضبط النفس . وهذه الصفات على تقارب معنى بعضها من بعض ، قد فرق بينها علماء الأخلاق فروقا ليس المقام متسعاً لشرحها ، على أن معانيها فى الجملة غير خفية .

والتسامح على اتصاله بهذه المجموعة العظيمة من الأخلاق الكريمة ، من أين الصفات الحميدة أثراً ، وأجزؤها فائدة ، وأعودها بالخير على المجموع . يؤلف القلوب المتنافرة ، ويقرب النفوس المتباعدة ، ويهدى الأرواح الجالحة ، فرب كلمة طيبة فضت مشاكلاً وحلت عقداً متعاصية الحل ؛ ورب تسامح فى أمر فإيل ، حفظ من الوقوع فى خطر كبير وخطب جليل .

واقدر كان صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا فى هذا الخلق الكريم ، سواء فى معاملته الفردية أو فى مواقفه الخطيرة الاجتماعية ، ما لم تكن الحكمة السديدة فى المعاملة الشديدة ، بل قد تجلى ذلك فيما أوحى الله به إليه من أحكام التشريع الذى جاء به رحمة للناس أجمعين . فاختير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله فيغضب الله أن تنتهك

حرمته ؛ وما عالج أمرا من الأمور الحيوية بشيء من الشدة إلا إذا تعينت واستحكم العناد والاياء في نفوس من يماندونه ويأبون قبول المصلحة لأنفسهم ، أمثال أولئك الأغبياء الذين قالوا فيما قالوا : ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) بدل أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه الصراط المستقيم .

وإن استقصاء مظاهر التسامح منه صلى الله عليه وسلم لا يكاد يتيسر لي في هذه العجالة ، إلا أن هذا لا يمنع من الإلمام بما يحضرنى الآن من روائع الشواهد التي تعتبر المثل الأعلى في هذا الباب ، بل يصح أن تكون مضرب الأمثال .

فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم في أول أمره حين اشتد أذى قريش له ، عرض نفسه على القبائل ليحمله أحد منهم ، فكان بعضهم يردّ ردّا جميلا ، وبعضهم يغلظ في الرد ؛ ووصل الأمر بسفهاء بعض القبائل أن أتبعوا الرد بإغراء صبياتهم به عليه الصلاة والسلام فأدموا قدمه الشريف برمية حجر ، فما زاد صلى الله عليه وسلم على قوله : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » أو « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » وروى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد حين كسرت ربايعته صلى الله عليه وسلم ، وأدميت وجنته بدخول حلقة المغفر فيها .

فانظر الى وقت اشتد فيه البأس وحى وطيس الحرب ، والنفس عادة تستجمع أقوى ما عندها من غضب لتستعين به على حفز قواها المناهضة خصمها ، ويزيد في ذلك ما تنحرك به القوة الغضبية حين وصول الأذى ، انظر مع هذا كله تطيب نفسه ، فبدل أن يسكت عنهم أو يدعو عليهم ، يدعو لهم بالمغفرة أو بالهداية على اختلاف الروايتين . والدعاء لهم إنما يصدر عن وقور الشفقة ، ويسند تلك الشفقة بأنهم قومه ؛ والالتفات الى هذا إنما يكون عادة من الوسيط بين المتخاصمين لا من أحدهما بالنسبة الى الآخر ، ثم يعتذر عن فظيحه عما هم ومقابلتهم دعوته الى سعادتهم بمهاجته ومقاتلته ، يعتذر عنهم بأنهم لا يعلمون ، والجاهل ينبغي أن يقبل منه العذر .

وانظر الى ما روى في صلح الحديبية حين قدم صلى الله عليه وسلم مكة للنسك لا للحرب ، والكعبة بيت الله الحرام لا يصد عنه ناسك ، وقد ظهرت أمارات قدومهم للنسك لا للحرب ، فأبوا عليه وصدوه عن بيت الله ، فلما اقتنعوا بنيته تمادوا في إياهم وقالوا : « وليكن نسككم في عام قابل » واتخذت هذه الواقعة فرصة مناسبة لعقد صلح بينه وبين المشركين على شروط اشتط فيها المشركون حتى قالوا : « من ذهب منا اليكم فعليكم أن تردوه لنا ومن جاء الينا منكم فليس علينا رده » فتذمر المسلمون لهذا الشرط ، فرضاهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن من ذهب منا اليهم فلا رده الله ، ثقة بأنه لا يذهب اليهم أحد من المسلمين مرتدا ، ومن جاء منهم الينا ورددناه فسيجعل الله له فرجا . وقد كان هذا التسامح في الشروط من أعمى التعريفات وأعودها بالخير على المجتمع ، فقد وضعت الحرب بين الفريقين أوزارها ، وأمن الناس على أنفسهم فانتقلوا بالتاجر وغيرها ، وأدى ذلك الى الاختلاط ، فسماح الهدى منه صلى الله عليه وسلم ، فانشراح صدور الاسلام ، وهداية كثير من الناس .

ولما رد صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين إليهم مراعاة للشروط التي بينه وبينهم صمد أولئك المسلمون الذين ردوا لعناد قريش وإلحاق الأذى بهم ، غير مستندين الى قوة إخوانهم المسلمين ، بل مستقلين في ذلك بأنفسهم ، حتى فرج الله عن المسلمين ، ونقضت قريش شروطها ، فكان المسلمون بذلك في حل من تلك الشروط ؛ وجاء الفتح الذي به دخل الناس في دين الله أفواجا .

ومما وقع في هذه القصة أيضا : تسامحه عليه السلام بحذف كلمة (رسول الله) حين تصلبوا وقالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ولكن قل : محمد بن عبد الله . فأبى كاتبه عليه السلام أن يحوها ، فحاشا صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وأجابهم الى طلبهم ، ثقة بأن الله ناصره في النهاية ، وقد كان .

وانظر اليه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد دخلها وهي موطنه الذي أخرج منه قسرا فدخلها ظافرا، ولا تزال تلك الرؤوس التي كانت تعمل على أذاذ شامخة بدمها الى هذا اليوم الذي قهرها الله فيه، فزاغت منهم الأبصار وظنوا أنه يوم هلاكهم، ولا شيء أدعى لليأس، من غلبة من كان مظلوما بالأمس، فجهمهم وقال: ما تقولون<sup>(١)</sup> أنى فاعل بكم؟ فقالوا استعطفوا لرحمته: «أخ كريم وابن أخ كريم» فقال عليه الصلاة والسلام: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وقد كان أبو سفيان من أشد رؤوس قريش عنادا وتعنتا، وهو الذي ألب عليه الأحزاب فنزوا المدينة، وهو الذي استنفر عليه قريشا يوم بدر ويوم أحد، وهو الذي كان منه من العناد ما كان، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن يستنزله عن عناده وكبريائه بأعظم تسامح. فبدأ بأن نوه بشأنه، فنادى مناديه فيما نادى بقوله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ففتح ذلك باب الرجاء في نفس أبي سفيان. ولما جرى به اليه وهو رأس تلك الحوادث، لم يزد على أن قال له: «ألم يأن لك أن تشهد ألا إله إلا الله»: فاستل بهذا ما بقي في نفسه من غطرسة وعناد، وأسلم طائعا غير مجروح العزة ولا فاقد الشمم، وكان في إسلامه وهو من عطاء قريش عزة المسلمين. ولقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بعض الغزوات، فأنسل إليه رجل من المشركين خلسة، واختلط سيفه وكان معلقا بشجرة، واستيقظ صلى الله عليه وسلم فرأى لرجل والسيف مصلت في يده، فقال له الرجل: من يمنعك مني الآن؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الله» فوقع السيف من يد الرجل، فأخذه صلى الله عليه وسلم وشهره عليه وقال: من يمنعك مني؟ فقال الرجل: كن خير آخذ يا محمد. فمقا عنه صلى الله عليه وسلم، فأسلم الرجل.

ومن ذلك ما يروى أن رجلا جبهده عليه السلام من ردائه وقال: أعطني يا محمد من مال الله فانك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك. وكانت الجبذة شديدة حتى أثر

(١) أى ما تظنون.

طرف الرداء في عنقه صلى الله عليه وسلم ، فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده . ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي » فقال : لا ، قال ولم ؟ قال : لأنك لا تجزى بالسينة السيئة . فضحك صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحمل له على بعير شهير وعلى آخر تمر .

وجاءه رجل يتقاضاه ديناً قبل أجله بثلاث ، فأغاظ في القول حتى قال له : أعطني ديني إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل . فأنهره عمر وأغلظ له في القول ، فكفّه عنه صلى الله عليه وسلم وقال له : « دعه يا عمر أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك : تأمره بحسن التقاضي وتأمرني بحسن الأداء » وقضاه دينه ، وزاده عشرين صاعاً دفماً لترويع عمر إياه ، مع أنه لم يكن حل أجله . فانظر إلى هذا الاحتمال مع أن الطلب بغير وجه حق ، وإلى تعاليمه عمر ما ينبغي أن يصنعه الرجل الذي يحضر خطاباً بين اثنين .

ولقد أسلم الرجل وقال : لقد رأيت فيه كل علائم النبوة إلا هاتين العلامتين : يسبق حمله جهله ، ولا تزيد شدة الجهل إلا حماة ، فعمات ماعمات لا تبينهما . ومثل ذلك ما روى أن رجلاً استعطاه صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، ثم سأله : أحسنتُ إليك يا أعرابي ؟ فقال : لا ، ولا أجمت . فغضب المسلمون وذهبوا إليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : كفوا عنه ، وأعطاه حتى رضى ، وقال : أحسنتُ إليك يا أعرابي ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً . فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت منه فاتبعها الناس ليردوها عليه فلم يزدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين نافقي فاني أرفق بها وأعلم ، فتوجه إليها وأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستتناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال وقتلتهموه ، دخل النار .

فانظر كيف يردف الخلق الحسن بشرح الثمرة المترتبة . واقرأ إن شئت قوله تعالى :  
( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَيَبِّئُهُ عِدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِيٌّ مُّخْتِمٌ . وَمَا يُقَاہَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَاہَا إِلَّا  
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

وبعد : فهل هذا مستغرب على من يقول الله له : ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ  
وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ  
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) ويقول  
الله في وصفه مخاطبا المؤمنين : ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) .

#### معاملته للمنافقين :

ولقد كان للمنافقين معه عليه السلام حوادث يضيق لها صدر الحليم ، وهم مستظلون  
بظله ومحتمون بحمايته ، وغالطون للمسلمين ، يعلمون دخائلهم ، ويفشون أسرارهم ،  
ويصحبونهم في غزواتهم لينهزموا في وسط المعركة فينهزم المسلمون ، أو لينصرفوا  
في أثناء الطريق لينصرف معهم ضعفاء القلوب . وكان صلى الله عليه وسلم عالما بهم  
يطاعه الله على دخائل قلوبهم وذات صدورهم ، ويشير عليه بعض الصحابة بقتلهم ، وهو  
قادر على إبادةهم ، ومع ذلك ينهأ عنهم ويقول : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه .

فانظر كيف يتحمل أذاً مع هذه الصفات حتى لا يلعب الشيطان شيطان الانس  
وشيطان الجن بعقول من يشاور نفسه في الاسلام ويقول له مالك ولرجل يقتل  
أتباعه . وحسبك في تمثل جرمهم ما حكاه عز وجل عنهم في قوله تعالى : ( ثُمَّ الَّذِينَ  
يَقُولُونَ لَا تَنْقِضُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ) وقوله : ( يَقُولُونَ لَيْنِ  
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ) وابشكركم لصفة الإفك ، وقد  
بيننا في مجلة نور الاسلام ما فيها من الفظاعة من جانبهم ، وحسن الاحتمال من جانبه  
صلى الله عليه وسلم .



تسامح مع ضعفاء المؤمنين :

ويلتحق بذلك تسامحه مع حاطب بن أبي بلتعة حين عزم صلى الله عليه وسلم على فتح مكة، وكان من كمال التدبير ألا يعلم القوم، لكيلا يستعدوا فتتسع دائرة الحرب وتراق دماء كثيرة، فعن رجل من المسلمين أن يخطر القوم، فكتب لهم يعلمهم، وأعطى الكتاب لامرأة وضعت في شهرها، فأعلمه الحق جل جلاله، فأرسل اليها من الصحابة من أذكرها وانتزع الكتاب منها، فلما سأل حاطباً في ذلك اعتذر بأن له لديهم مصالح خشي عليها منهم، فأراد أن يخذلهم يدأً يحفظوه في مصالحه، وهو مع ذلك عالم أن الله ناصرهم عليهم، فقبل صلى الله عليه وسلم منه ذلك وعفا عنه. فكم في هذا من تسامح فيما يعدّ اليوم خيانة كبرى يحازي عليها بالقتل.

التسامح في الشريعة الغراء :

لقد استفاضت الدعوة الى التسامح في الشريعة الغراء حتى سميت بحق الشريعة السمحة. اقرأ إن شئت قوله تعالى: (وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (وَتَعْفُوا وَيُصِصْهُوا إِلَّا الْمُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (وَالسَّكَانِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

فاذا انتقلت بنظرك الى سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين، وجدت العجب العجيب. وعسى أن تطالع ما نشرته «مجلة نور الاسلام» بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين في هذا الموضوع، فقد شرح من أحكام الفقه الاسلامي، وساق من أدلة الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ما يشرح له صدور قوم مؤمنين، ويتجلى به شيء من سر قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

صلى الله عليه وسلم صلاه تابق بمقامه الكريم، ونفتح ببركتها في يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. إبراهيم الجبالي

# النفس

## سورة النور

١٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَنْقَشُهَا مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) .

بينما فيما سبق أردف المولى جل وعلا تلك الآيات اليمينة والتعاليم الحكيمة والإرشادات المنيرة للطريق السوي، الهادية الى سبيل السعادة، المنظمة لأحكام المعيشة البيتية، أردفها بما يرغب في الاهتداء بها والامتثال لأمرها والتحقق بالعمل، فبين أنها آيات مبينة، وأنها موعظة نافعة لمن عمل بها واتقى ربه في الأخذ بسببها، وأن نورها وهداها لا يصدر إلا من العليم الحكيم . ثم ضرب مثلا لنوره بتصوير أعظم ما يحظر بالبال وتراه العيون من النور، شارحا أثر الاهتداء بذلك النور والمقصود الأعظم منه

وهو شكر النعم ، والقيام بحق العبودية له ، وإفراغ الجهد في طاعته ، ونوّه بالأماكن المخصصة لعبادته ، ورتب على ذلك الجزاء الذي أعدّ لهم ، والفضل الذي يمنحهم زيادة عن توفيتهم أجورهم .

وكان جديراً بل منتظراً بعد ما عرف من حال المهتدين ما عرف ، أن يشرح حال من ضلوا السبيل ولم ينفعهم هدى الله الذي جاءهم ، فيبتن سبجانه ونعمالي حال أولئك الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فقرب لهم مثيلين : (أحدهما) حال من عقد قلبه على الضلال واطمأن إلى الكفر وبني آماله على غير أساس جازما بأن له العقبى والفوز ، وأولئك هم الذين ظنوا أنهم على شيء وما هم على شيء . و (الثاني) حال من ملكت الحيرة قلوبهم وتأهوا في بيداء الضلالة يتلمسون الهدى وهو بين أيديهم يناديهم ويضيء لهم وهم عنه عمون ، كالضالين الذين لا يعتقدون ديناً أو يتخيّلون أمراً يدينون به وهم في شك منه ، ككفار قريش الذين كانوا يسألون اليهود أيهم خير ديننا أم دين محمد ؟ فقال في الأولين « والذين كفروا أعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمثان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا » وقال في الآخرين : « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » .

وأيضا فإنه لما بين حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بأنهم في الدنيا على نور الله وهدايته وفي الآخرة يمجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، بين حال الكافرين كذلك في الدنيا والآخرة ، فيبين حالهم في الآخرة بأنهم يردون على أمل كاذب في عمل خاطئ كمتبع السراب وقد اشتد به الظم ، فلا يجدون مما أتملوا شيئا ، بل يجدون الجزاء الذي أعد لهم على ما اقترفوا وضلوا ، فيجدون الله يحاسبهم حسابا عسيرا ، ويستوفون جزاءهم جزاء نكرا ، ويبين حالهم في الدنيا بأنهم يسرون في ضلالة ويتبهون في ظلمات متراكمة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وأني لمن كانت هذه حاله أن يصل إلى غاية صحيحة :

وقدّم هنا ما يتعلق بأحوال الآخرة ، لأن صدمتها لهم أشد ، وحسرتهم على ما قدموا من عمل يلتفتون اليه أقوى . وقدّم في الأول حال الدنيا ، ليكون الترتيب حسب ترتيب الوقوع ، وهو ظاهر . وأيضا فلتربية الرجاء ليزداد الإقبال على اتباع الهدى .

وقد يقال أيضا إن أعمال الكفار منها ما هو موضع لأمل الخير فيرجون بها الثواب ، فإذا ما وردوا عليها يوم القيامة وجدوا أنفسهم قد ضيعوها وخابت آمالهم عندها ، إذ لم تبني على أساس الإيمان الصحيح ، وكل ما بني على غير أساس فإلى الانهيار يصير ، ومنها ما هو أذى وشر في ذاته ، فإذا انضم إلى ظلمة الكفر كان كالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض . والآية قابلة لهذه المعاني كلها

والسراب : ما يترأى في الفلوات وقت الضحوة كأنه ماء وليس بماء . يرى ذلك من يسافر في الصحراء ، فن الناس من يعمل به بأنه بخار رقيق يتصاعد من قعور القيعان فإذا وقع عليه شعاع الشمس ترأى كالماء ، ومنهم من يقول : بل هو هواء رقيق يظهر عند وقوع الشعاع عليه بهذا المظهر ، وليس المقام مقام تحليله .

والقيمة : الأرض المنبسطة المستوية . أو هي جمع قاع كبيرة جمع جار . والقاع : هو الأرض المنبسطة المستوية . ومحسبه بمعنى يظنه . وقرن بعضهم بين الحسبان والظن بأن الحسبان هو أن يخطر المعنى بالبال فيعاق بالنفس ، وهو قابل للزوال بالتشكيك ونحوه . والظن أن يرد المعنيان على النفس ويرجح أحدهما على صاحبه رجحانا لا يصل لليقين . فكان الظن قد خطر له للمعنيان وركن إلى أحدهما ، والحاسب لم يخطر له إلا معنى واحد . والظن : شدة العيش . وكأنه خص التشبيه بالظن مع أن السراب يترأى كالماء للظن وغيره ، لأن الظن يدفع المرء إلى تلمس الماء ، فإذا ما وقع بصره على السراب خطر بباله ما هو بحاجة إليه ، ودفعه الحرص على هذا الحسبان وهو

لا يشعر . ثم فيه نكتة أخرى وهي الجمع بين ضلال الحسين وخيبة الرجاء مع اشتداد الحاجة ، وذلك حال الكافر إذ يرد على ربه معتدا بعمله مؤملا فيه حسن المثوبة ، إذ كان يراه من عمل البر ، كصلة الرحم ، أو مساعدة الضعيف ، أو الصدقة على الفقير ، فإذا ما جاءه لم يجده شيئا يعول عليه ، بل وجد الحساب أمامه بالمرصاد ، فيستوفي جزاء ما فرط في أمر الايمان ، وهو أساس كل طاعة ومهاد كل بر ، وحينئذ تشتد به الحسرة على ضياع ما أمل ، ومصادفة العقاب الذي لم يكن له على بال .

وأما ما عملوا من سوء فإنه يراه وقد عظم جرمه وتراكم إثمه ، فازداد بالكفر جرما وإثما ، وحاق به من سوء عمله ما لم يكن مقدرا له ، فضاقت نفسه ، واشتدت حيرته ، وانسدت مسالك الأمل في وجهه ، فإذا رجع الى ما عمل وجدده سوءا ؛ وإذا رجع الى ما اعتقد وجدده ضلالا وظلاما ؛ وإذا رجع الى نفسه وجددها نفس سوء شريرة ، فكأنه قد قذف به في بحر لجى تلاطمت أمواجه ، وتراكت غيومه ، وأظلم ليله ، فلا شمس ولا قمر ، ولا كواكب ولا نجوم ، فإذا حاول أن يرى يده فلا سبيل له الى رؤيتها ، فلا يقرب من أن يراها فضلا عن أن يراها ، ذلك لأنه فقد نور ربه . فمن يعوضه من نوره ؟ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

والخلاصة أن التشبيهين في الآية الكريمة يحتملان جملة معان لا تمارض بينهما ، فيصح استفادتهما جميعا منهما . الأول : أن التشبيه بالسراب لبيان خيبة أملهم في الآخرة وضياع ما كانوا يرجون منه النفعة في وقت هم أشد ما يكون فيه احتياجا الى تحقق أمالهم . والتشبيه بالظلمات لبيان حالهم في الدنيا ، وأنهم يتخبطون فيما يعتقدون ما لهم به من سلطان ولا عليه برهان .

والعنى الثانى : أن التشبيه بالسراب راجع الى الأعمال التى كانوا يرجون منها الخير كالبر وصلة الرحم ومساعدة البائسين ، فإذا جاءوها ينجون ثمارها وجدوها باطلة

من أساسها متهدمة في قاعها . والتشبيه بالظلمات راجع الى سيئات أعمالهم التي زادها كفرهم سوءا على سوء . والثالث : أن التشبيه بالسراب راجع الى الفئة المعتقدة جزما بحقية ما هم عليه . والتشبيه بالظلمات راجع الى أولئك الحيارى الذين ضلوا سواء السبيل .  
والأجبي : منسوب للجنة ، وهي معظم الماء الغمر البعيد القعر . وكان نسبته للجنة لكثرة اللجج فيه ، أو لأنه هو في البحار كاللجنة وسط البحر . وغشيان الموج له بعضه فوق بعض مما يزيد هوله ، فإذا تراكم السحاب حتى حجب ضوء الكواكب فكأن يكون استحكام الظلام في وجهه والحيرة في نفسه ! فاللجنة لها أثرها في زوغان النفوس وشرود العقول . وتراكم الأمواج بعضها فوق بعض مما يزيد هولا ، فإذا حجب الضوء وتراكت السحب ، حارت النفس في أمرها فلا تدري ماذا تصنع ولا كيف تنجو ولا أين تتجه . والمرء إذا ضل المسالك ووقف ذهنه عن الحركة ، فقد ملكه اليأس من كل جانب . ومنشأ ذلك كله عليهم أن حرموا من نور الله ، ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من زور .

## النظر في الملح

قيل لأعرابي : ما تقول في الراء ؟ قال : ما عسى أن أقول في شيء . يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ؛ أقل ما فيه أن يكون دُربة للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسياب الفتنة .

# السُّنَّةُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى مسلم عن حنظلة الأسدي قال : ( كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار ، قال : ثم جئنا الى البيت فضاحكت الصبيان ولعبت المرأة ، قال : فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله نأفق حنظلة ، فقال : مه ، فحدثته بالحديث ، فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الله لصالحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق ) وفي رواية : ( قلت يا رسول الله تكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنه رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات ففسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الله لصالحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات ) .

### شرح المفردات :

نأفق : يريد بها تغير عما عهد نفسه عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
دفعه الحذر الشديد والاحتياط لنفسه أن يتهمها في القليل حتى يطمئن على السلامة .

وقوله : « مه » إما بمعنى الاستفهام فهي ما لحقها هاء السكت ، وإما بمعنى الأمر بالكف والزجر عما فرط منه تهويلا لهذه التهمة الشائعة التي اتهم بها نفسه . وقوله « عافسنا » بمعنى مارسنا وعالجنا أشغالنا وحظوظنا كما يصرح به قوله في الرواية الأخرى « فضا حكت الصبيان ولاعبت المرأة » . والضيعات : جمع ضيعة وهي ما فيه معاش الرجل من مال وحرقة ، كأنه إذا ترك تعهده ضاع . وتطابق على الأرض المغلة والعقار .

لقد كاف الله العباد ما يطيقون رحمة منه وفضلا ، ورفع عنهم الإصر والعنت ؛ وجاءت الشريعة سمحة سهلة ؛ وجاء الإرشاد الى اتباع الرفق في كل شيء ؛ ووارد : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن النبات<sup>(١)</sup> لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وإن يشاء الدين أحد إلا غلبه ، وقليل يبقى خير من كثير منقطع . وجاء قوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يصوم النهار دائما ويقوم الليل : « قم ونم وصم وأفطر فإن لبنتك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا » . لم يكن كل هذا ولا شيء منه لالتغيب عن العبادة والترهيد فيها ، كيف والعبادة هي طريق السعادة ، وهي أهم ما ينبغي للعاقل أن يعرف وقته فيه ، وإنما ذاك كله للمحافظة على العبادة ، وحذرا من أن تسأمها النفس فتقطع عنها بتاتا ، كما قيل : « أخاف عليكم إن حملتكم عليه جملة تركتموه جملة » . فكانت الحكمة المأمور بمراعاتها في الدعوة الى الله هي في التوسط وعدم الإفراط ، حتى تكون النفس دائمة الإقبال على ربها ، محببا إليها السعي لرضائه والزلقي إليه .

واقصد تضمّن هذا الحديث الشريف أمورا ذات بال ، فقد صور لنا ما كان الصحابة رضي الله عنهم يجدونه من أنفسهم حين كانوا يجتمعون به صلى الله عليه وسلم ليعظهم ، فكان الأمر يبلغ بهم الى درجة أنهم كأنهم يرون ما يوعظون به رأى العين ؛ وهذا شأن كمال الاستحضار وإقبال النفس على التفهم والاتعاظ ، مع ما يحيط بذلك من سطوع

(١) النبات : هو الذي ينقطع في سفره وعطبت راحته لتجلبها فوق طاقته .



نور النبوة على قلوبهم وتجلي القوة الروحانية في التأثير في نفوسهم ، ومن أجدر بذلك  
 صلى الله عليه وسلم ومنهم رضى الله عنهم . ووصف لنا حالهم البشرية على صورتها  
 الحقيقية التي لا مرء فيها ولا موارد ، يصورون لنا ما هم عليه مما تتسع دائرته لطوائف  
 للكافرين وعامتهم ، لا أنهم مستغرقون في الشهوات ، ولا قانون في الذكر والفسكر  
 كل أوقاتهم ، بل يمارسون معاشهم ، ويلعبون أطفالهم ، ويؤانسون أسرهم ، مما يقوم  
 عليه نظام الحياة المعتادة التي لا إرهاق فيها ولا إعانات ؛ ويصورون لنا مزيد حذرهم  
 ودهبهم من ربهم ، وشدة يقظتهم في مراقبة نفوسهم ، حتى إذا لحقهم شك في استقامتهم  
 على الطريقة المثلى فرعوا اليه عليه الصلاة والسلام يستفتونه فيما هم فيه ، منبهين لقبول  
 ما يفتيهم به إن سهلا وإن صعبا . وهذا هو معنى الاستسلام التام وهو قول المؤمن :  
 أسلمت وجهي لله رب العالمين .

ويبين لنا ما يتجلى في الشريعة الغراء من رافة وسماحة ، وأن من لم يطق درجة من  
 نوافل العبادة فلا عليه أن يقف عند ما يطيق ، ما لم يكن تفريطا في واجب ، أو انغاسا  
 في إثم . وقد ورد « اتق المحارم تكن أعبد الناس » . وكذلك جاء في الحديث ما يرجو لمن  
 يداوم الذكر والفكر وحضور القلب ، كما يكون حالهم وهم عند رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، فقد رتب عليه في الحديث الشريف ما يشوق إليه ويحفزهم لاسير نحوه ، وهو  
 صفاء روحه وطهارة قلبه ، واتصاله بمن أنعم الله عليهم من عباد الله المقربين ، حتى تتم  
 المناسبة بينه وبين الملائكة ، فتصافه بالملائكة ، وتسلم عليه في طرقه وفي فرشه .

ومعنى ذلك أن الكدورة البشرية والظلمات المادية ترقحجبها عن نفسه ، فتصفو  
 وتنقلب روحانيتها على ماديتها ، فيكون فيها الاقتدار على مشارقة هذه المنزل البعيدة  
 عن العامة : منزلة الروحانية الصافية ، والمملكة الطاهرة ؛ فإن الإنسان فيه الشبه من  
 المومنين المحيطين به ، ففيه شبه بالملائكة في نفسه الطاهرة وروحه الخيرة ، وفيه شبه من

الشياطين ومن البهائم بما ركب فيه من استعداد للشروع والآثام، وانغماس في الرذائل والشهوات، فأى الأمرين غلب عليه انجذب نحوه وتجلى فيه .

واستوضح ذلك إن شئت بمشاهدة تلك الفئآت التي غلبت عليها شقوتها حتى التحقت بالشياطين فلا يهدأ لها روع ولا نطمئن لها نفس حتى يكون منها إفساد بنميمة أو فتن أو تدمير مكيد، حتى يصبح المرء منهم ولا لذة له إلا بأن يؤذى مخلوقا، أفايس هذا من جند الشيطان الذى أخلص له الطاعة وتم يدينه وبينه التفام والتخاطب؟ وكذلك أولئك الذين انغمسوا فى المأكول والمشرب، حتى يصبح أحدهم ولا هم له إلا أن يأكل ويملا فراغ بطنه، ولا ترجو منه أكثر من أن تستخدم جسمه فى الشاق من الأعمال كما تستخدم البهائم سواء بسواء . أليس هذا قد التحق بعالم البهائم واندرج فى صفوفها حتى كأنها صاخته وصاخها وسالته وسالها؟ ولم لا تقول قد يلتحق بعض الناس بالسباع فيتخاطق بخلقها ويتربى معها فتأنس به ويأنس بها ويكون معها فى مستوى واحد . فإذا كننا نشاهد هذا فيما بين الإنسان وبين البهائم، وفيما بين الإنسان وبين السباع، وفيما بين الإنسان وبين الشياطين، وكل ذلك من غلبة إحدى طبائع الإنسان عليه، حتى غمطت باقى طبائعه، فما لنا لا ندركه فيما تغلب عليه طبيعة الخير والنفس الماكية العاوية، فيلتحق بمصاف الملائكة، فتصاخه الملائكة ويصاخها، وتأنس به ويأنس بها .

وبعد: فانظر الى هذه الروعة فى التعليم والإرشاد، وما تجلى فيها من باهر الحكمة وعظيم السداد، فقد جاء حنظلة وهو مترعج على نفسه خائف مما أحسه من تغيرها عما كانت عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخوفه أن يكون ذلك من صفات النفاق التى حكاهما عز وجل عن المنافقين فى قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) والمنتظر فى الجواب حينئذ إنما هو

أن يطمئنه بأن لا بأس عليه في النسيان والاشتغال بما لا غنى له عنه من معاش ونحوه .  
ولكنه عليه السلام لم يقتصر له على ذلك ، بل شرح له الفوائد التي تترتب على دوام الذكر  
والفكر وشغل أعظم قسط من الوقت بالعبادة ، فيبين له أن من داوم على ذلك وصل من  
درجة القدسية وعلو الروح وصفاء النفس منزلة تدينه من الملائكة وتناسب بينه وبينهم  
وتجعلهم يصالحونه في الطرقات — غير أن هذا على عظم فضله ليس مكلفاً به ، وإنما هو  
باب من الفضل مفتوح ، ومنهل سائغ لمن يرده فيفتخر منه ما يقدر عليه . أما الذي  
لا يسع العبد أن يركن إليه ، فهو النسيان جملة ، والإعراض الكلي وانصراف نفس المؤمن  
عن ربه بتاتا ، فهذا قوله : « ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ويكرر ذلك ثلاثاً لتثبيته  
في نفسه وتسمية غرسه .

فهذا هو نور النبوة يتجلى على نفوس الصحابة رضى الله عنهم كلما استعدت لإشراقه  
عليها ، فتكمل تربيتهم ، ويصلون بالتدريج الى ما أعد لهم .

نسأل الله تعالى أن يمدنا بالتوفيق ، ويهديننا الى خير طريق . وصلى الله على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه وسلم -  
ابراهيم الجبالي

## النظر في الملح

قال الشاعر :

وإني لأعطي كلَّ أمرٍ بقسطه إذا أخطبُ عن حَزْمِ الرويّة أجهضاً  
فأستعيب الأحيابَ وأخذ ضارِعُ وأستعيب الأعداء والسيف مُنتَقَى

## شق صدره

صلى الله عليه وسلم

جاء في كتب السنة ورواه جميع أرباب السير وأخرجه مسلم في صحيحه : أن حليلة السعدية التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم قالت : بينما هو وأخوه — أى من الرضاع — يوماً خلف البيوت يرعيان بهما<sup>(١)</sup> لنا ، إذ جاء أخوه يشتد — أى يسرع في مشيه — فقال لى ولأبيه : أدركا أخى القرشى قد جاء رجالان فأضجعا وشقا بطنه ، فخرجنا فأنهينا إليه وهو قائم منتقع لونه<sup>(٢)</sup> قالت حليلة : فاعتنقه أبوه واعتنقته ، وقلنا : أى نبى ما لك ؟ قال : أتانى رجالان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ثم شقا بطنى (أى ما بين مفرق صدره الى منتهى عاتقه كما في بعض الروايات) . وفى رواية : فأقبلا يتدبران فأضجعاني فشقا بطنى فالتسافيه شيئاً فوجداه فأخذه فطرحاه . وفى رواية : فأخذاني فشقا بطنى ثم استخرجا قلبي فشقا فاستخرجا منه علقه سوداء وقيل هذا حظ للشيطان منك يا حبيب الله<sup>(٣)</sup> . قال : ثم غسل قلبي حتى أنقياه وملاّه حكمة وإيماناً ، ثم قال : إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقوت عيناك .

وأما رواية مسلم في صحيحه ، فمن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه

(١) البهم : صغار الغنم . (٢) بنون وقاف مفتوحة كما صرح به صاحب القاموس واقتصر عليه الشامي

في سيرته . أو مكسورة كما يفيد المصباح . أى متغير كلون النعم أى الغبار من فزع أو حزن . ومثله : يبتقع بالوحدة ، ويبتقع

بالميم وهو أجود . (٣) المراد بكونها حظ الشيطان منه أنها مطمعة لأن مثلها من البشر هو محل وسرته .

فأستخرجه ثم أستخرج منه علقه فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده الى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى أمه — يعني ظئره — فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وروى أبو نعيم في الدلائل وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد مسند أبيه : أن أحدهما قال لصاحبه : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج شبه العلقه فنبذ به ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة قلبه ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ، ثم قرأ بها ، ثم قال : أعذ ، فرجعت بمالم أعذ به : من رحمتي للصغير ، ورأفتي بالكبير . وقد بلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم أن كسروا رباعيته يوم أحد فلم يدع عليهم بل كان يقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . وجاءه ملك الجبال وقد آدموا قدميه يريد أن يطبق عليهم الأخشبين<sup>(١)</sup> فلم يرض صلى الله عليه وسلم بذلك بعد ما فعلوا به الأفاعيل ، الى غير ذلك مما هو معروف . وهذا مما لا يكاد يدخل تحت سلطان البشرية بعد ذلك الإيذاء الشديد .

أما استبعاد ذلك فإنما هو من بنات الوهم والوقوف مع المعروف من الماديات ، وليس ذلك إلا من قياس الملائكة على الحدادين كما يقولون . على أن الطب قد أتى الآن بالأعاجيب ، وهو في تقدم باهر ورق مطرد . وقد قالت الملائكة لامرأة إبراهيم عليه السلام عند ما قالت إن هذا لشيء عجيب وقوفامع العادة : ( أتعجبين من أمر الله ) . على أنها سنة الله في الأنبياء : يخرق لهم العادة تمهيداً لما يراد منهم ، وتنبهاً على أن لهم شأنًا غير شأن الكافة ، كما حصل لسيدنا عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء ، وهو المسمى بالإرهاصات في عرف العلماء . على أنك إذا حلت نفسية من ينكر أمثال هذه الخوارق وجدت منبع هذا الإنكار وسر ذلك الاستبعاد هو الشك في قدرة الله تعالى وحصن مقدوراته فيما علمنا من النواميس التي ما عرفناها إلا بالחס والمشايدة ؛ ومن يعتقد أن

(١) ما جيلامة وضوحها .

كل شيء، راجع الى ما علم، ومنحصر فيما شاهد، فما أعظم جهله وأقل علمه : وهو بعد ذلك غير مؤمن بقوله تعالى : ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) ولا بقوله : ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) ولا بقوله : ( وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) الى غير ذلك ، بل هو جاهل بقدر نفسه وقدر العلم الذي لا نهاية له ، فرحم الله امرءاً عرف قدره ، فلم يتعدّ طوره .

أما حكمة خلقه صلى الله عليه وسلم بهذه الملقاة السوداء التي هي حظ الشيطان من الانسان ، فهي أنه بشر في تكوينه ، وإنسان في خلقته وطبيعته ، وإن كان التفاوت بين أفراد الانسان على مراتب لا يحصيها العد ، ولا يأتي عاينها البيان ، وليس هنالك نوع من الأنواع تتفاوت أفرادها كما تتفاوت أفراد نوع الانسان ، والكامل من كماله الله تعالى ، فأراد الله أن يجعل نبيه صلى الله عليه وسلم أكمل نوع الانسان ، حتى يتم ما أريد منه من الغايات السامية ، فأرسل اليه ملائكته ليظهره من نقائص البشرية ، وقابلية الشر ، والاعتقاد للشهوات الدنيئة ، والأهواء المضلة . وأيضاً لخلق سلباً من الملقاة السوداء لم يقع الاطلاع على ذلك ، وهو أيضاً أدل على مزيد العناية ، فكان في ذلك إظهار لكمال الرفيع ، وإعلان لعناية الله الخاصة به صلى الله عليه وسلم .

ونرجع الى الموضوع فنقول :

اخلاصة أن الله يريد أن يظهره من عوارض البشرية ، وظلمات الأنانية ، وسلطان الشهوات ، وجميع الآفات ، حتى يخلص من رعونات النفوس التي توقع صاحبها في الإفراط أو التفريط ، ليكون مستعداً للتخلي بمكارم الأخلاق ومراقبة الواحد اخلاق في كل ما يأتي ويذر . وقد كان صلى الله عليه وسلم معروفاً بمكارم الأخلاق ، حتى كان يسمى عندم قبل النبوة بالأمين . وكان يكره ما كانوا عليه من عادات وعبادات ، وما كان يلهم به الشباب ، كما هو معروف من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم .

وقد كان يخلو بغار حراء قبل النبوة ، اعتزالا لهم ، وبغضالما كانوا عليه من عبادة الأوثان وعدم توحيد الواحد الميان ، فان نفسه الشريفة لا تطيق ذلك ولا تصبر عليه ( يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ) ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر شيئا من شمائل هذا الرسول الأعظم الذي طهر الله قلبه وهو طفل من حظ الشيطان تنمجا للفائدة فنقول : من درس سيرة هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من مصادرها الصحيحة دراسة مدققة ، وعرف تاريخ حياته الشريفة معرفة كاملة ، لا يقتحم صدره أدنى ريب في أنه واسطة عقد الكمال ، ويتبين حكمة العليّ الأعلى سبحانه وتعالى في اختياره عليه الصلاة والسلام على السابقين واللاحقين ، ووضعه بالمحل الأعلى سيدا للخلق أجمعين ، ويعلم علما تسوق إليه البراهين الناصعة ، وتنطق به الأدلة القاطعة ، أن من أراد استقصاء ما أفرغ الله عليه من الكمال في أي نحو من أنحاء حياته ، فإيما يحاول جمع ما في البحار من درر ، أو حصر ما في الفضاء السماوي الذي لا يعلم مداه إلا الله من شمس وكواكب .

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم فأوسع الناس علما ، وأفصحهم بيانا ، وأبلغهم قلما ، إذا تكلم عن هذه النفس العلية القدسية في أي نوع من أنواع كلامها ، فإنه واقف دون الغاية ومنبت قبل الأمد .

ولكن نأخذ لأحكام منه على قدر القرائح والفهوم ينطق المتواتر من سيرته أنه المثل الأعلى ناشئا وشابا وكهلا ، عزبا ومتزوجا ، مفردا للأزواج أو معددا لهم . قال النضر بن الحارث لكفار قريش : « إن محمدا كان فيكم رصينا أميننا صادقا وهو شاب حتى إذ ظهر به الشيب قلتم إنه كاذب وساحر » : وهذا يشبه ما جاء في الحديث الصحيح أن هرقل سأل أباسفيان : هل كان يكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال : لا ، فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب

على الله . وقد كان يلقب قبل النبوة بالأمين لعظم منزلته عندهم ، وقد حكموه في أمرهم عند ما اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود عند ما بنت قريش الكعبة قبل النبوة ، فكانوا يحكمه راضين مغتبطين .

وأما حاله بعد النبوة فيكفيننا فيه قول عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون » الى آخره <sup>(١)</sup> وقول أنس رضى الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا غلام صغير لا أكون على ما يشتهي صاحبي فإنا قل لي أف قط ، ولا شيء فعملته لم فعلته ؟ ولا شيء تركته لم تركته ؟ وكان إذا أرساني الى الحاجة فأبطأت ولم تقض فيريد أهل البيت أن يعنفوني فيقول عليه الصلاة والسلام : دعوه لو قدر السكبان .

## فصل

كان صلى الله عليه وسلم أقوم الخلق بعبادة ربه ، قالت إحدى أمهات المؤمنين : كان صلى الله عليه وسلم يحدثننا فإذا نودى للصلاة قام كأنه لم يعرفنا ، وكان يضطجع معهن حتى إذا انتصف الليل أو كاد قام الى ربه فصلى فأطال القيام والركوع والسجود حتى تورمت قدماءه ، فكان يقال له في ذلك فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ! وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك ، فرجعت فسميته يقول في سجوده : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ،

(١) وقول السيدة خديجة : والله لا يخریک الله أبدا إنک لتعمل السکل وتصل الرحم وتکسب المعدوم وتعین

على نواмі الحق الخ .



وأعوذ بك منك<sup>(١)</sup> لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة أو يا حميراء : أظننت أن النبي قد خاس بك؟ قلت : لا والله يا رسول الله ولكن ظننت أنك قبضت أطول سجودك . ( يقال خاس به إذا غدره ولم يوفه حقه ) . وقد بلغ من رفقه أنه كان يتلطف إذا قام من نومه حتى لا يزعج أهله ، ويتوضأ بنفسه لا يوظفها ، ولا الخادم لتسكب عليه وضوءه .

## فصل

كان أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس . حمل إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها فارد سائلا حتى فرغ منها . قال : وجاءه رجل فقال : ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جانا شيء قضينا ، فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه . فذكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه .

كان أبغض الأخلاق إليه الكذب ، كان إذا رأى على أحد من أهل بيته كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة ، كان يجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشرف ، ويصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يحقد على أحد ، يقبل معذرة المعتذر إليه . كان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأبدى ، كان يقول . لو تعلمون ما أعظم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا . كان لا يشبع صلى الله عليه وسلم من خبز قط ولا لحم إلا على ضفف . قال مالك سألت رجلا من أهل البادية : ما الضفف ؟ قال . أن يتناول مع الناس .

(١) ألقا اليك وأعصم بك من البلاء الذى تصيب به من تشاء من عبادك ، وظيره قبوله تعالى .  
( وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ) .

كان إذا دخل بيته قال : هل عندكم طعام ؟ فان قيل لا ، قال : إني صائم ، وإن لم يكن عندكم إلا الخل ، قال : نعم الأدم الخل . كان يميل الاناء للهرة فتشرب منه .

### تتمية

من عجيب أمره صلى الله عليه وسلم أنه أخذ القلوب الى الله تعالى ، وملاً النفوس رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ، ومع ذلك رغب في العمل للمجتمع ، ولم يحرم زينة الدنيا التي أخرج الله لعباده والطيبات من الرزق ، بل فضل الأمور العامة التي ينتفع بها الناس على العبادات الخاصة ، كما قال للذين خدموا إخوانهم في السفر في يوم شديد الحر : إنهم فازوا بالأجر كله ، ولم يجهل ذلك للصائمين المتعبدين في ذلك اليوم . وقد ورد موقوفاً أو مرفوعاً : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وقال تعالى : ( قَامَشُوا فِي مَنَاكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ) . وقال : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » والسكنة بحكمته البالغة حول كل شيء من أمور الدنيا والآخرة بانية الصالحة والإخلاص لله ، فصار كل شيء عند المسلمين طاعة وعبادة بهذا الطريق ، بل أصبح من المقرر أن العمل المتعدى أفضل من العمل القاصر ، فجمع لنا بذلك بين مصالحة الدنيا والآخرة على أتم الوجوه ، وفي الوقت نفسه حفظنا من سفاسف الأخلاق ودنايا الخصال ، بفضل تلك المراقبة وذلك الإخلاص . فصار كل إنسان يجب لأخيه ما يجب لنفسه ، ويعتبر منفعة أخيه منفعة له ، إن لم يكن ذلك في الدنيا كان في الآخرة . ولهذا شرح طويل لا تسعه هذه العجالة .

وانتصر من ذلك البحر على هذه الدرر التي يطيب بها الحديث وتعتطر بها المجالس :

محمد ما أحلى شمائله وما      ألد حديثا فيه ذكر محمد

محمد كل الحسن من بعض حسنه      وما حسن كل الحسن غير محمد

يوسف الرمهي

# الفتاوى والأحكام

ورد على إدارة المجلة الاسئلة الآتية :

## تخصيص بعض الورثة بشيء من الميراث

### السؤال الأول :

هل يجوز المورث تخصيص بعض الورثة بشيء من الميراث ؟ وإذا قلتم بالجواز فكيف يتفق هذا مع الحكمة في التوريث ؟ وإذا قلتم بعدمه فكيف التوفيق بين هذا وحرية الملك المكفولة مع هذا ؟

## الجواب

روى مسلم رضى الله عنه في كتاب الهبات عن النعمان بن بشير أنه قال : إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحت ابني هذا غلاما (عبدا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل ولدك نحتته مثل هذا ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجمه ، وفي رواية : فاردده ، وفي رواية : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قل : لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم . قال : فرجع أبى فرد تلك الصدقة ، وفي رواية قال : فلا تشهدنى إذن فإني لا أشهد على جور ، وفي رواية : لا تشهدنى على جور ، وفي رواية : قال : فأشهد على هذا غيرى ، وفي رواية قال : فإني لا أشهد ، وفي رواية : قال : فليس يصح هذا وإني لا أشهد إلا على حق . قال النووي رحمه الله تعليقا على هذا : وفي هذا الحديث أنه ينبغي أن يسوى بين أولاد في الهبة ، وبهيب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ، ويسوى بين

الذكر والأنثى ، وقال بعض أصحابنا : يكون للذكر مثل حظ الأنثيين . والصحيح المشهور أنه يسوى بينهما لظاهر الحديث .

وفى لدر المختار من كتاب الهبة ما نصه : وفى الخائنة : لا بأس بتفضيل بعض الأولاد فى المحبة لأنها عمل القلب ، وكذا فى العطايا إن لم يقصد به الإضرار . وفيه أيضا : ولو وهب فى صحته كل المال للولد جاز وأثم .

من هذا يتبين أن هبة الوالد لولده كل ماله ، أو تميزه أحد أولاده عن بقيةهم ، تصرف مكروه شرعا ، ولكنه مع ذلك نافذ لازم ، متى كان المتصرف صحيحا غير محجور عليه ، وكان التصرف منجزا . أما إذا كان التصرف مضافا إلى ما بعد الموت فإنه يعتبر وصية ، فإن كان لأجنبي ، نفذ من ثلث المال بعد الدين والتجهيز ، أجاز الورثة أم لم يجيزوا ، ونوقف على إجازتهم فيما زاد على الثلث ، فإن أجازوا نفذ وإلا لم ينفذ . وإن كان التصرف المضاف إلى ما بعد الموت للوارث فإنه يعتبر وصية ولا وصية لوارث إلا بإجازة بقية الورثة بعد موت المورث . ومثل ذلك التصرف المنجز فى مرض الموت للوارث ، فإنه يعتبر وصية أيضا لا تنفذ إلا بإجازة الورثة — غير أن الوقف فى مرض الموت على بعض الورثة فيه تفصيل : هو أنه إن أجاز الورثة التصرف ، نفذ ، وإن لم يجيزوا يقسم الربع بين الورثة جميعهم قسمة الميراث ، ولا يعمل بشرط الواقف إلا بعد انقراض الورثة جميعا ، فإن انقضوا اتبع شرط الواقف .

وصفة القول أن تصرف المالك فى ملكه نافذ من كل ماله متى كان صحيحا غير محجور عليه ، ليس لأحد حق الاعتراض عليه . ونفاذ التصرف لا يمنع من أن يكون المتصرف ظالما يستوجب بهذا الظلم الإثم إن قصد بإعطاء أحدهم الإضرار بالباقيين ؛ أما إذا أعطى أحدهم جزءا من ماله لسبب يقتضيه ، كما لو كان ذا أولاد كثيرة ، أو كان فى حاجة إلى معونة لسبب آخر كطلب العلم ، أو كان قصده أن يشجعه على العمل بحد واجتهاد ، فإن هذا لا إثم فيه ولا حرج ، وإن كان لأفضل أن يسوى فى العطاء ، حتى قال بعضهم بتسوية البنات والبنات فى العطاء ، لأن هذا شئ غير الميراث

وقد علمت مما سبق أن تصرفات المريض والتصرفات المضافة الى ما بعد الموت بالنسبة لبعض الورثة، تعتبر وصية، وعلمت حكمها. وزيادة في الإيضاح نقول: إن حق الورثة لا يتعلق بمال المورث إلا إذا كان مريضاً مريض الموت، وهو الذي يكون منه الموت، فلا محل للقول بأن تصرف الرجل الصحيح الخالي من الحجر لسفه أو دين ينافي حكمة التورث، لأن التورث بعد الموت والتصرف قبله في وقت لم يكن لأحد من الذين سيرثون عند الموت حق في مال المتصرف.

وبهذا الإيضاح يتبين أن حرمة المالك مكفولة، والحكمة في التورث محققة لا تنافي صحة التصرف الصادر من الصحيح الذي يملكه. والله أعلم.

## الضيافة ونحوها في المآتم

### السؤال الثاني:

هل لما يتخذُه الناس من الضيافة في المآتم وتكاليف أنفسهم ما لا يطيقونه مدة ثلاثة أيام أو أكثر أصل؟ وهل ما يتخذُه الناس عند موت عظيم من عظائهم من ذبح بقرة أو ثور أو شاة عند عتبة البيت حين خروج النعش أصل؟

## الجواب

اجتماع الناس في المآتم على الوجه المعروف الآن من تهيئة الطعام والشراب للمعزين، وإيقاد الأنوار والجلوس أياماً معينة تمد فيها المآدب، ليس من هديه صلى الله عليه وسلم، ولا هدى أصحابه، ولا ورد عن أحد من الصحابة ولا من التابعين، ولا حينه إمام من الأئمة الأربعة فيما نعلم، بل هو بدعة حادثة. قال في فتح القدير: وتستحب التعزية، إلى أن قال: ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت لأنه شرع في السرور لا في الشرور، وهي بدعة مستقبحة. روى الامام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبيد الله، قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم

الطعام ، من النياحة . ويستحب لجيران أهل الميت والأقرباء الأبعد تهيئة طعام لهم يكفهم يومهم ولياتهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم » حسنه الترمذى وصححه الحاكم ، ولأنه ير ومروف ؛ ويالج عليهم في الأكل ، لأن الحزن بمنهم من ذلك فيضعفون .

وفي زاد المعاد ما نصه : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية أهل الميت ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ، لا عند قبره ولا غيره ، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة ؛ وكان من هديه السكون والرضا لقضاء الله والحمد له والاسترجاع ؛ وكان من هديه أن أهل الميت لا يتكفون الطعام للناس ، بل أمر أن يصنع الناس لهم طعاما يرسلونه اليهم ؛ وهذا من أعظم مكارم الأخلاق .

أما ذبح الذبائح عند خروج الجنائز على عتبة البيت ، فهو من عمل الجاهلية وليس من الدين في شيء .

ومن هذا جميعه يتبين أن ما يعمل الآن في المآتم مما ورد في السؤال ، مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومخالف لما كان عليه السلف الصالح وهو في ذاته بدعة قد تفتن بها هو منكر كما هو مشاهد والله أعلم .

## قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

### السؤال الثالث :

ما حكم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة في المساجد ؟

## الجواب

سورة الكهف من القرآن ، وتلاوة القرآن عبادة في أى وقت وفي الأمكنة الظاهرة . وسماع القرآن عبادة كذلك ، لا فرق في ذلك بين أن تكون القراءة سرا

أوجهر في المسجد أو خارج المسجد، فقرأتها يوم الجمعة قبل الصلاة على الوضع المعروف الآن وإن لم تكن معروفة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أصحابه، إلا أن هذا لا يجعل قراءتها على الوجه والوضع المعروفين الآن ممنوعة، بل قراءة القرآن كما تقدم عبادة مندوب إليها؛ وكل ما ينبغي أنه لا يصح لقارئ أن يقرأ في مكان يشوش عليه الناس فيه؛ كذلك لا ينبغي أن يرفع صوته إذا كان رفع صوته يحدث تشويشا على المصلين فعلا.

على أن الواقع أن قراءة سورة الكهف في المساجد تكون قبل دخول وقت الصلاة، ويسكت القارئ عند شروع المؤذن في الأذان الأول، ولم يترتب على هذا تشويش، أما إذا ترتب على القراءة تشويش، فإن القراءة والحالة هذه تكون غير جائزة. والله أعلم. وتخصيص سورة الكهف بالقراءة يوم الجمعة، لما ورد في ذلك من الآثار.

## حكم إقامة الموالد

### السؤال الرابع :

ما حكم إقامة الموالد ؟

## الجواب

إقامة الموالد ليست سنة عن رسول الله ولا عن أصحابه، فهي بدعة حسنة إذا اقتصر فيها على توزيع الصدقات على الفقراء، واقتصر فيها على تعظيم وإجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقيام بشكر الله على ما أنعم به علينا من نعمه الجزيلة التي أجزلها، وأعظمها إرسال خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام. ومتى كانت إقامة الموالد

مقصورة على قراءة القرآن ورواية الأخبار الصحيحة الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما وقع في مولده من الآيات ، وما وقع منه صلى الله عليه وسلم من المعجزات ، كان ذلك خيراً كله ، لا يستطيع أحد إنكاره ، بل لا يستطيع أحد إنكار أن هذا العمل مثاب عليه .

إذ من الذي ينكر ما في هذا العمل من الفوائد الجليلة التي من أهمها معرفة شئ من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الإلهامات التي ظهرت بين يدي بعثته ، والمعجزات التي ظهرت على يديه ، ومعرفة ما لاقاه في سبيل الدعوة الى الاسلام من شدة ، وما قام به من جهاد ؟ من الذي ينكر أن ذكر منافبه وطلب التأسى به فيها أعظم درس خالق للأمم ، وهي أشد ما تكون حاجة الى التأسى بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أما إقامة الموالد على الوجه الذي لا يتفق وتعاليم الدين ، كأنواع الملاحى التي تكون غالباً مصحوبة بما ينكره الدين ولا يرضى عنه رسول رب العالمين ، فهو أمر مذموم لا يقره شرع ، ولا يطلب الى أحد عمله . ومن ذلك لا يكون ثمة مانع شرعاً من إقامة الاحتفالات العامة التي تكون لذكرى موالد بعض الأولياء ، متى كانت على الوجه الذي وصفنا أولاً . والله أعلم .

## حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب

السؤال الخامس :

ما حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب ؟

### الجواب

قال في الهداية : وإذا خرج الامام يوم الجمعة ترك الناس الصلاة والكلام حتى يفرغ من خطبته . قال رضى الله عنه : وهذا عند أبي حنيفة رحمه الله . وقالوا (محمد وأبو يوسف) :



لا بأس بالكلام إذا خرج الامام قبل أن يخطب ، وإذا نزل قبل أن يكبر . لأن الكراهة للإخلال بفرض الاستماع ولا استماع هنا ، بخلاف الصلاة لأنها قد تمتد قال في فتح القدير : أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم : كانوا يكرهون الصلاة والكلام بعد خروج الامام . وأخرج ابن أبي شيبة عن عروة قال : إذا قعد الامام على المنبر فلا صلاة . وعن الزهري قال في الرجل يحج يوم الجمعة والامام يخطب : يحاس ولا يصلى .

وأخرج الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب : أنصت ، فقد اغتوت » . وهذا يفيد بطريق الدلالة منع الصلاة ونحية المسجد ، لأن المنع من الأمر بالمعروف وهو أعلى من السنة ونحية المسجد منع منهما بالأولى .

ومن هذا يعلم أن الصلاة حين يخرج الامام من الحجرة — إن كان له حجرة — أو حين قيامه للصعود ، غير جائزة ومكروهة ، إلا إذا كانت الصلاة قضاء لفائتة لم يسقط الترتيب بينها وبين الصلاة الوقتية ، فانها لا تكره ، بل يجب فعلها لضرورة صحة الجمعة . أما إذا كان الترتيب قد سقط بينها وبين الوقتية فانها تكره . ولو خرج الامام والمصلى في صلاة السنة أو بعد قيامه لثلاثة النفل ، قال في الفتح : ولو خرج وهو فيها ، يقطع على ركعتين . وقال في شرح الدر : يتم في الأصح . وفي ابن عابدين ترجيح ما في الفتح حيث قال : وقدمنا في باب إدراك الفريضة ترجيح ما في الفتح أيضا ، وأن هذا كله حيث لم يتم الى الثالثة ، وإلا فإن قيدها بسجدة أتم ، وإلا يكن قيدها بسجدة ، فقيل : يتم ، وقيل : يقعد ويسلم . قال في الخانية : وهذا أشبه . لكن رجح في شرح النية الأول .

هذا وقد نص الحنفية على أن كل ما يحرم في الصلاة يحرم في الخطبة ، فيحرم الأكل والشرب والكلام وإن كان أمرا بمعروف أو تنبيها . ويكره تسميت العاطس

ورد السلام، خلافاً لآبي يوسف في رد السلام. والصواب أنه يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع اسمه الشريف في نفسه. ويستثنى من تحريم الكلام تحذير من خيف هلاكه، لأن هذا حق الآدمي وهو محتاج إليه.

من هذا يتبين حكم الصلاة قبل الجمعة والامام يخطب عند الحنفية، وهو أن هذه الصلاة غير جائزة على الوجه المشروح قبل.

## مكتبة الاسكندرية

### السؤال السادس :

هل ما يدعيه بعض الغربيين من أن مكتبة الاسكندرية المشهورة أحرقت بأمر الخليفة عمر بن الخطاب صحيح؟

## الجواب

لا صحة مطلقاً لما قاله بعض المؤرخين المتعصبين من أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. والحقيقة أن المكتبة التي بدأت في عهد بطليموس أحرقت قبل الميلاد على أثر إحراق قيصر أسطوله. ويقول المؤرخ الروماني « بلوتارك » : بينما كان الأعداء يستولون على أسطوله اضطر أن يردم بالنار، واندلع لهيبها من الحياض وأتلف المكتبة. وقد تجددت مكتبة بالاسكندرية بعد هذه المكتبة، وهذه الثانية خربت في أواخر القرن الرابع حيث قام بعض المسيحيين يخربون المعاهد الوثنية، ومنها جامعة الاسكندرية حيث كانت الكتب، وتم إعدامها عن آخرها سنة ٢٩١ ميلادية. ولا يعقل أن العرب الذين كانوا يعتقدون الأسير إذا علم عشرة من الصبيان القراءة والكتابة يحاربون العلم.

## الولى

### السؤال السابع :

جاءنا من السيد محمد جاد مآذون الشرع بناحية كفر البهري أمثلة — منها : أن رجلا يعتقد الناس أنه ولى من أولياء الله تعالى ، وأننا لا نراه يؤدى الصلوات الخمس المفروضة مع أنه لا يتخيب عن ناظرنا ، ولكنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأمر الناس بأداء الصلاة فى أوقاتها ، وإذا اعترض أحد عليه سرا أو جهرا يحصل له حادث يؤله ، وأن قواه الجسمية والعقلية سليمة ، فما حكمكم فى هذا الرجل واعتقاد الناس فيه وما يجب عليهم بخصوصه ؟

## الجواب

الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن ، للواظب على الطاعات ، المحتجب للمعاصى ، المعرض عن الانهماك فى الشهوات واللذات . وقد يكرمه الله بإظهار أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة ، فلا لا يكون مقرونا بالآمان والعمل الصالح يكون استدراجا إن وافق الغرض . من هذا يتبين أن من لم يأتمر بأوامر الله ومن لم يحتجب نواهيه ، لا يكون ولياً ، ولا يصح الاعتقاد بأنه ولى . أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمطلوب من كل مسلم . أما ما يتوهم من أن الفرر الذى يحصل لبعض الناس إذا اعترضوا على من لا يأتمر بالأوامر ناشئ عن اعتراضهم عليه ، فلا أصل له ، بل هو وهم . والواجب على كل مسلم الحض على إقامة الأمر واجتناب النواهي متى استطاع الى ذلك سبيلا ، خصوصا ما كان منها معلوما من الدين بالضرورة كالصلاة والصوم .

## نقل رفات الميت

### السؤال الثامن :

وورد منه أيضا سؤال يتضمن : هل يجوز نقل رفات الأموات من مقبرة يتبرك بها للدفن غيرهم فيها ؟

### الجواب

لا يجوز إخراج رفات الميت من قبر دفن فيه بعد إهالة التراب عليه إلا لحق آدمي كما إذا دفن في أرض مخصصة وأبي صاحب الأرض بإبقاءه، أو دفن في أرض أخذت بعد دفنه بالشفعة لآخر. أما في غير هذه الأحوال فلا يجوز نقل رفات الميت، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح نقل ميت من مقبرة لدفن ميت آخر فيها، والميت أمره مفوض لربه في أي مكان دفن .

## هل المعاصي تمنع من دخول الجنة ؟

### السؤال التاسع :

وورد أيضا سؤال من حضرة عمر عبده خلاصته أنه سمع حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضمن أن من مات غير مشرك دخل الجنة وإن زنى وإن سرق . ثم سأل : هل يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب السارق والزاني وشارب الخمر ؟

### الجواب

يظهر أن السائل قد سمع حديث أبي ذر رضى الله عنه ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قال أبو ذر : قلت

وإن زنى وإن سرق؟ الحديث . ولا يخفى أن الكبائر والمعاصي التي يرتكبها الشخص معتقدا حرمتها لا تسلب اسم الإيمان عنه ، ولا تحبط طاعته ، ولا توجب خلوده في النار بل عاقبته أن يدخل الجنة ، لأن من اعتقد بوجود الله وآمن بوحدايته مخلصا في ذلك فما ارتكبه من الذنوب والآثام إن كان في حقوق الله تعالى وتاب ، فالأصل قبول توبته ، لأن الله هو التواب الرحيم . ومن مات مصرا على الذنب من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وفي كلتا الحالتين فهو من أهل الجنة ؛ وإن كان ما ارتكبه متعلقا بحقوق العباد ، فإذا ردها إليهم أو أبرأوه منها وعفوا عنه ، فالأمر ظاهر ، وإذا لم يردها ولم يبرأوه منها ، فالله تعالى كفيل بأن يرضى صاحب الحق عن حقه ، ويدخل المسلم الجنة بعد تطهيره من الذنوب .

فالحديث يدل على أن من مات على التوحيد وارتكب ذنوبا لا يخلد في النار ، وهذا لا ينافي أن يجازى وبمحاسب على ما اقترف من ذنب و-نى من جنائية .

وفي هذا الحديث رد على المبتدعة الذين يدعون أن من مات من مرتكب الكبائر من غير توبة يخلد في النار . وإنما كرر أبو ذر استعلاؤه بقوله : وإن زنى وإن سرق ، استعظاما لشأن دخول الجنة مع ارتكاب الكبائر . ولقد كرر صلى الله عليه وسلم الرد على أبي ذر إنكارا منه استعظام ذلك ونجس أبي ذر رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء .

وصفوة القول أنه عليه الصلاة والسلام أفاد أن الكبائر لا توجب على صاحبها الخلود في النار ، وأن المؤمن الذي يقول لا إله إلا الله مخلصا ثم يموت على ذلك يدخل الجنة ولو كان مرتكبا لبعض المعاصي ، لأن عفو الله قد يتداركه فيدخل الجنة دون عقاب أو بعد عقاب يطهر به من الذنوب

طه مهيب

عضو المحكمة العليا الشرعية

سابقاً

## تفنيد مذهب القاديانية<sup>(١)</sup>

دفع شبهة يشبث بها القاديانية

- ٢ -

وأورد داعية القاديانية مستدلاً على ما يزعم من عدم انقطاع النبوة قوله تعالى :  
(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) فقال : « وعد الله في هذه الآية يجعل الإمامة في ذرية إبراهيم ما عدا الظالمين منها ، فهل يظن المشايخ أن ذرية إبراهيم كلها صارت في زمرة الظالمين لاسيما الأمة المحمدية ، فخرمت من الإمامة الموعود بها أي من النعمة الاجتماعية ، ولا يظن أحد من المشايخ ( لأن غيرهم لا يتطرق إليه هذا الظن ) أن المراد من الإمامة في الآية الإمامة بالصلاة أو غيرها دون النبوة ، لأن هذه الإمامة إمامة إبراهيمية وهي النبوة دون شك كما كان هو إماماً بها عليه السلام ، فالنبوة باقية في ذرية إبراهيم سوى الظالمين » .

هكذا ما يقوله الداعية في الاستدلال بهذه الآية على عدم انقطاع النبوة ، ونحن لا نمانع من أن يكون المراد من الإمامة النبوة ، ولكننا نفهم الآية على معنى أن إبراهيم عليه السلام قد طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أئمة ، أي أنبياء ، إذ قال : (ومن ذريتي) ولم يقل : (وذريتي) فأجابه الله تعالى بقوله . ( لا ينال عهدي الظالمين ) وفي هذا عدة له بأنه سيجعل من ذريته غير الظالمين أنبياء ، فإنه نبي أن ينال العهد الذي هو الإمامة الظالمين ، ولو قال في الجواب : « نعم » لأفاد أنه سيجعل من ذرية إبراهيم عليه السلام أنبياء ، من غير دلالة على أنهم سيكونون من المؤمنين ، ولو قال في الجواب :

(١) تابع لنا نشر في الجزء الأول من هذه السنة .

« ينال عهدى المؤمنين » مثلاً — لم يكن فيه نص على أن الظالمين ليسوا بأهل للإمامة ، فقلوه تعالى : ( لا ينال عهدى الظالمين ) نص على أن الظالمين ليسوا بأهل للإمامة ، ويؤخذ منه على طريق دلالة المفهوم أن النبوة تنال المؤمنين من ذريته ، وقد قامت الأدلة القاطعة على أن من لم يكونوا ظالمين قد يرفهم الله تعالى الى مقام النبوة ، كما رفع اليه إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وقد يبقى في منزلة دونها ككثير من الصالحين الذين طهرهم الله تعالى من الظلم ولم يدعوا النبوة في حال ، فقول داعية القاديانية : « فهل يظن المشايخ أن ذرية ابراهيم كلها صارت ظلمة الخ » ضرب في غير مفصل ، ورمى للكلام في غير مرمى ، فان المشايخ يقولون : إن الآية واردة للدلالة على أن النبوة تجعل في غير الظالمين ، ويقولون مع هذا : الله أعلم أين يجعلها ، ومتى يجعلها ، وليس في الآية دليل على بقاء النبوة في سائر العصور ، حتى في العصر الذي يستغنى فيه عن النبوة والرسالة بالكتاب الذي أودع الله تعالى فيه جلائل الهداية ودقائقها ، وتكفل بحفظه وحمايته من أن يدخله تحريف ، قال تعالى : ( مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) وقال تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ومن نقي عن أمة النبوة لعدم حاجتها إليها ، وتقيام الأدلة على انقطاعها ، لم يلزمه الحكم عاينها بأنها كلها صارت ظلمة ، ومن ألزمه هذا الحكم فقد خرج عن أدب البحث ، ومشى في غير طريق .

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى : ( أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ) فقال : « هذا الدعاء يبشرنا بأن الله يجعل للمؤمنين في مقام الذين أنعم عليهم سابقاً ، ويعطيهم كل نعمة أعطاهم للأولين ، ويتمها عليهم ، والنعمة نعمتان : دينية ونهايتها النبوة ، ودينية ونهايتها الحكومة والسلطة » .

غاب هذا الداعية عن الصواب ، وانطلق يتحدث في غير علم ، ومن ذا الذي يعرف شيئاً من العربية الصحيحة أو المعتلة ، ويقرأ قوله تعالى : ( أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ويفهم منها أن المناجى لله بهذه السورة يطلب أن يكون هو أو غيره من المؤمنين في مقام النبوة، والآية لا تدل على أكثر من أن المؤمن يدعو الله تعالى في جملة المؤمنين بأن يهديه طريق من أنعم عليهم. ومن استقام على واجبات الدين وسننه جهد استطاعته، فقد اهتدى طريق المنعم عليهم، ولا يلزم من اهتدائه لطريق المنعم عليهم من النبيين أن يرزق ما رزقوه من نعمة النبوة التي لا ينالها الناس بكثرة أعمالهم الصالحة، إذ النبوة مقام يختص به الله من يشاء من عباده.

وما قاله هذا الداعية في هذه الآية أصله الكبيرم الذي علمهم اللب والنفو في تفسير القرآن الحكيم، إذ قال في خطبته الالهامية: «وأنا لنعم عليه الذي أشير إليه في الفاتحة عند ظهور الحزين المذكورين» يعنى المغضوب عليهم والضالين، وقال: «إن سورة الفاتحة لتؤذن إيدانا بأن بعض الأفراد من هذه الأمة سيظهرون بمظهر الأنبياء من كل الوجوه».

ومن نكد الدنيا أن نشتغل بحكاية أمثال هذا النفو، وننفق وقتنا في التنبيه على أنه هذيان في هذيان.

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) فقال: «وهذه الآية تصرح جلياً أن الأمة المحمدية تنال هذه الدرجات الأربع».

والصواب في فهم الآية أن قوله تعالى (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) هو بيان اقوله (الذين أنعم الله عليهم) والأصل في كلمة «مع» المصاحبة، والمصاحبة لا تستلزم المساواة في الرتبة، بل يكفي فيها الاشتراك في دار النعيم مع تمكن كل واحد من رؤية الآخر وملاقاته متى شاء.



فالأية وردت لبيان ما يجازى به المطيع لله ورسوله وهو مرافقة الأنبياء ومن ذكر بعدهم ، وتأويلها على معنى أن من المطيعين أنبياء ، ومنهم صديقين ، ومنهم شهداء ، وتأويل للأية على معنى لا يتقبله إلا نفوس تلوث باعتقاد أن غلام أحمد وأذنبه أنبياء صادقون .

وأما ما ذكره الداعية من أن قوله تعالى : ( من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ) بيان لقوله تعالى ( ومن يطع الله والرسول ) حمل للأية على وجه تتجاف عنه قوانين البلاغة ، ويكسبها تقيدا يتهرب منه كلام الفصحاء ، قبل أن يتهرب منه كلام خالق الفصحاء . فعند هذا الوجه في أخطاء قائله أولى من حشره في شبهة هي أوهى من نسج العنكبوت .

#### دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى عليه السلام

تقلنا في مقالنا السابق شواهد على غرور غلام أحمد واستحواذ الشيطان عليه ، حتى ادعى أنه خير من عيسى عليه السلام ، فردّ داعيته على هذا باعتراف أن غلام أحمد يفضل نفسه على عيسى عليه السلام ، وذهب إلى أن هذا التفضيل صحيح ، بزعم أن غلام أحمد مسيح الأمة الإسلامية ، فيكون أفضل من مسيح الأمة الإسرائيلية . ولم يستطيعوا إنكار هذه الضلالة ، لأن غلام أحمد قالها في مواضع من مؤلفاته بعبارات صريحة ، ففي مقال له نشر في كتاب « تعاليم المسيح المنتظر » ما يأتي : « كما أن مؤسس الشريعة الإسلامية أعظم من مؤسس الشريعة الموسوية ، كذلك مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية » .

فالقاديانيون يعتقدون أن غلام أحمد أفضل من عيسى عليه السلام ، أفلا يكفي هذا شاهدا على أن النحلة القاديانية شعبة من الشعب التي انسلخت من الإسلام ، والإسلام يرى منها : وكيف يكون غلام أحمد الذي قامت البراهين على كذبه وسوء طويته ، أفضل من عيسى بن مريم الذي وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بالنبوة

والرسالة، وأيده بالآيات البينات : فإقاله غلام أحمد في الاستدلال على أفضاليته إلحاد وهذيان ، فإن دعواه أنه مسيح السلالة الإسلامية باطلة على البدهة ، وكل ما يبني عليها ضلال في ضلال .

**تكفير غلام أحمد عليه السلام عن الله من اتباعه :**

ذكرنا في مقالنا السابق أن غلام أحمد يمدّ المسلمين الذين ينبذون دعوته كفارا ، ويمثلهم باليهود ، فأراد الداعية القادياني أن يرد علينا في هذا الموضع ، وأورد حديث ( ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ) ، وحديث ( إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ) ثم قال : « وأحمد المسيح الموعود لم يجعل مسلما كافرا ، ولم يثب في النار إلا ملة واحدة » ثم قال : « وإنا نسأل المشايخ : هل مؤمننا باليهود ، بل بين حقيقة قرآنية ونبأ نبويا » ثم قال : « وإنا نسأل المشايخ : هل كان قول أحمد في غير محله ، وهل كان محيئه في غير حاجة ؟ » .

ونحن لم ننازع في أن من المنتمين إلى الاسلام طوائف زائفة عن السبيل ، حتى نحتاج إلى أن نذكر بهذه الأحاديث ، والذي نعدّه في ضلالات غلام أحمد أنه يسمي المسلمين الذين لا يقبلون دعوته كفارا ، وينهى عن مصاهرتهم والصلاة خلفهم . ومن شواهد تكفيره أن حفظهم الله تعالى من فتنته قوله في كتاب « حقيقة الوحي » : الكفر على قسمين : ( أحدهما ) أن يحمد الرجل عن الاسلام أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . و ( الثاني ) أن يحمد المسيح الموعود ( يعني نفسه ) ويكذبه مع سطوع الحجج على صدقه ، وإن أعمت النظر وجدت كلا القسمين واحدا .

ومن تمويه داعيته قوله : « إن أحمد المسيح الموعود لم يجعل مسلما كافرا الخ » فإن المسلم والمؤمن عند القاديانية من صدق بأن غلام أحمد نبى ، وغيره في مذهبهم ليس

بمسلم ولا مؤمن، فإذا وصف من لم يقبلوا دعوته بالكفر أو باليهودية، لم يجعل مسلماً كافراً في نظرهم أو يهودياً.

أما قوله : « وإنا نسأل المشايخ هل كان قول أحمد الخ » لجوابه أن غلام أحمد يقول غير الحق ، وما كانت دعوته إلا فتنة ، وتفريقاً بين المسلمين ، وصداً عن طارق الفلاح ومراق العزة ، ولم يحجى على يديه ما فيه خير للدين ، بل وضع نحلة ملفقة من آراء باطلة وأقوال لاغية ، ثم أضاف إليها شيئاً من مبادئ الاسلام ، وسماها في الظاهر باسم الاسلام مكرراً وتذريراً .

#### تزوير داعية القاديانية :

نقل هذا الداعية عبارات لبعض العلماء في صورة الاستدلال بها على أن في أهل العلم من يذهب الى بقاء باب النبوة مفتوحاً ، ولسنا في حاجة الى إطالة الكلام بذكر تلك العبارات وبيان ما فيها من جهالة أو تحريف ، ونقول والأدلة تناصرنا : إن كل عبارة تصرح بصحة بعث نبي بعد الرسول الأعظم غير عيسى عليه السلام فهي كفر صراح . ونسوق إليك مثلاً من تزوير هذا الداعية فيما يعزوه الى أولئك العلماء :

نقل الداعية عبارة للشيخ عبد القادر الكردستاني يوم بها أن الشيخ يجوز أن يحجى نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مشرع ، فقال : « يقول الشيخ عبد القادر الكردستاني ما نصه : « إن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يبعث بعده نبي مشرع » .

أورد القادياني هذه العبارة مقطوعة عن سابقها وللاحقها ، ليخدع بها قراء ورفاقه . والحقيقة أن عبارة الشيخ عبد القادر وردت في تعليقه على كتاب التهذيب وشرحه ، وأصل ما في التهذيب والشرح : « وأنه لا يبعث نبي بعده ولكن رسول الله وخاتم النبيين ،

وإذا ثبت أنه خاتم الأنبياء ثبت أنه لا تنسخ شريعته» وكتب الشيخ عبد القادر معلما على ذلك ما نصه . قوله : ( وأنه لا يبعث نبي بعده ) إشارة الى دفع ما يقال : إن عيسى حي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم حيث رفع الى السماء ، وينزل الى الدنيا ، فلا يكون صلى الله عليه وسلم خاتما ، وحاصل الدفع أن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يبعث بعده نبي آخر بشريعة أخرى ، فإن عيسى عليه السلام إنما ينزل على شريعة نبينا ، ولا يسعه إلا اتباعه » .

هذه عبارة الشيخ الكردستاني ، وهي كما رأيتها خاصة بالحديث عن عيسى عليه السلام ، ولم يقلها ليدل على أن باب النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال مفتوحا ، وهذه العبارة تشبه عبارة النيسابوري إذ قال عند قوله تعالى ( وخاتم النبيين ) : « مجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينفي ذلك ، لأنه ممن نبي قبله ، وهو يجيء على شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته ، وكأنه بعث أمته . وهذا مثل نبائك أن داعية القاديانية ينسب الى علماء الاسلام ما لم يخطر لهم على بال .

#### افتراع غلام أحمد على علماء الهند أنه يتركهم عشر سنين :

ذكرنا في المقال السابق أن غلام أحمد اقترح على علماء الاسلام بالهند أن يتركوه عشر سنين لا يعارضونه ولا يفتنون آراءه ، وقال لهم : إن كنت كاذبا فيظهر كذبي ، وإن كنت صادقا نجوتم من العقوبة التي ينزلها الله على من يناوئني ، وقلنا : إن العلماء لم يكونوا من الغباوة بحيث تروج عليهم هذه المسكيدة ، بل لم يكونوا من الجهل بواجبات الدين على حد أن يقبلوا هذا الاقتراح ، ويطلقوا لغلام أحمد الشكينة غير مباين بما يفسده من عقائد وأخلاق وآداب ، ولم ينجل داعية القاديانية أن يتعرض في مقاله لهذا الاقتراح ، وتبلغ به قلة الخجل أن يعد مثل هذا في طرق الدعوة الصحيحة ، ويقسه بحكمة القرآن الكريم في قوله تعالى : ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

يَبْنِنَا وَيُنَكِّمُ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

والفرق بين الآية السكرية واقترح غلام أحمد كالفرق بين البياض الناصع والسواد الحالك ، وداعية القاديانية إما أنه لم يفهم معنى الآية ، وإما أنه يتخيل أن قراء مقاله قد وضعوا عقولهم بين أصابعه يهبت بها كيف يشاء .

وهل من المعقول أن يكون مثل غلام أحمد في اقتراحه السخيف مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أمره الله تعالى بأن يدعو أهل الكتاب الى إخلاص العبادة لله تعالى وعدم اتخاذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإذا لم يقبلوا هذه الدعوة اعتزّ هو وأصحابه بإسلامهم ، وأعرض عن أولئك الجاهلين :

وإذا قص القرآن الكريم أن بعض المدافعين عن رسول عزم بعض قومه على قتله ، قال لهم في دفاعه عنه : ( أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فمليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ) فإن ذلك الرجل إنما قال هذه الكلمة في حق داع الى الله بحق ، قد قامت البينات على صدقه ، ولم يكن بيد القوم دليل أو أمانة على كذبه البتة ، وليس هذا حال غلام أحمد مع علماء الاسلام ، فإن دعاوى غلام أحمد مناقضة لأصول الاسلام ، فكذبه مقطوع به ، فإذا قال لأهل العلم دعوني ، ولا تمرضوا لدعائى مقدار عشرين سنين ، فأنما يقول لهم : دعوني أبدل دينكم الخفيف ، وأهدم شريعتكم الغراء ، وأقيم العقبات في سبيل عزتكم ، وكونوا على هذا البلاء صابرين ، ولهذه المهانة محتملين ، وبمقوبة الله غير مباينين .

ولا عجب لمن لم يذق للغيرة على الحق طمأ أن يعرض ذلك الاقتراح على من علمهم القرآن العزيز أدب النصيح لله ولرسوله وللمؤمنين .

### الهاء غلام أحمد للنبوة :

بعث إلينا معتمد القاديانية في بلد « نكس » بلاهور كتابا ينكر فيه أن غلام أحمد قد ادعى النبوة ، وبعد فرقة قاديان التي من زعمائها داعية فلسطين فئة ضالة ، ومما قال في الكتاب : « حينما بحثتم عن عقائد فئة قديان الغالية الضالة عن جادة الحق والصواب بنيتم بحثكم على عبارات هذه الفرقة الغالية دون عبارات كتب حضرة المجدد وتصریحاته وجعلتم عقائد هذه الفئة مرايا عقائد حضرة المجدد افتراء عليه » ثم قال : « فمايك أن تأتي بكلمة من كتبه دالة على أن حضرة المجدد ادعى النبوة ، وإن تستطيع أبدا » .

ونحن نوافقه على أن فرقة قاديان فرقة ضالة ، بل هي خارجة في ضلالها عن دائرة الاسلام ، ونقول له : إن حضرة مجددكم قد فضل نفسه على عيسى بن مريم عليه السلام وهل يصح لمجدد أن يفضل نفسه على رسول عظيم قبل أن يزعم أنه قد أوتى النبوة والرسالة ؛ وإذا كان غلام أحمد لا يدعى النبوة والرسالة ، فما معنى الآيات التي يتبجح بها ويزعم أن الله أيده بها ، والمجدد والمصاح غير النبي إنما يرجع الى كتاب الله وسنة رسول الله ، أو الى الأصول النظرية المعقولة ، فيستمد منها الأدلة على ما يقرره ويدعو اليه من عقائد أو أحكام أو آداب ، وإذا لم يمكنه إقناع الناس من هذه الناحية ، فعده مجددا مصلحا ، جهالة ليس وراءها جهالة .

أليس مجددكم هو الذي يقول : « بعث الله تعالى في هذه الأمة مسيحا أفضل من المسيح الأول في جميع الكمالات ، والذي نفسى بيده لو كان عيسى بن مريم في زمان أنا فيه لما استطاع عملا مما عملته ، ولم يكذب يظهر المعجزة التي ظهرت (١) » .

أو ليس مجددكم هو الذي يدعى أنه أوحى اليه قوله : « إنا أرسلنا أحمد الى قومه فأعرضوا عنه وقالوا كذاب أشر (٢) » :

(١) كتاب حقيقة الوحي . (٢) كتاب أربعين .

بل وجد في كلام غلام أحمد ما يدل على أنه يحدث نفسه بأنه رسول مشرع ، فقد عد من أقسام الكفر جحود المسيح الموعود (يعنى نفسه) وتكذيبه فيما جاء به ، وقال في حاشية على كتاب « تزيق القلوب » : « وليتنبه أن تكفير المنكرين من خواص الأنبياء الذين جاءوا بشريعة جديدة وأحكام ناسخة ، وأما من سواهم من الملهمين والمحدثين فلا يكفر أحد بجحوده » فإن كان غلام أحمد يكتب ما يكتب وهو عارف ما يكتب ، قلنا : إن حكمه بتكفير من يكذب به ، ثم قصره التكفير على من يكذب الأنبياء الذين جاءوا بشرائع جديدة ، يفيدان أن غلام أحمد يدعى أنه من الأنبياء الذين جاءوا بشرائع جديدة .

فدعوا أيها اللاهوريون ذكر النبوة الظلمية أو المجازية ، وتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن تثق بأن غلام أحمد قد ادعى النبوة والرسالة كذبا ، وأميطوا ما يزعم غلام أحمد أنه أوحى إليه إمامة الأذى عن الطريق ، وارجعوا الى كتاب الله وسنة رسول الله ، ولا تجحدوا ما نطق به القرآن من معجزات رسل الله الأكرمين ، واعترفوا بأن ما أولتموها به لا يحتمله اللفظ العربى ولا يسمح به سياق الآيات ، ولم يعرفه علماء الصحابة الذين تلقوا القرآن وبيانه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن فرقة القاديانية التى تصدق غلام أحمد فى دعوى النبوة لتعدكم فرقة خارجة عن نجاتهم ، والأمة الاسلامية التى تؤمن بما نزل على محمد وما حدث به محمد صلى الله عليه وسلم تعدكم فرقة خارجة عن حدود دينهم ، وليس تأويلكم للمعجزات المذكورة فى القرآن إلا إنكارا لوقوعها ، وما تسميتكم لغلام أحمد بالمجدد المصالح إلا نصب أحبولة لاستدراج المستضعفين أو الغافلين الى نحلة ملفقة شوها . محمد الخضر حسين

# الاسلام فى بلاد الصين<sup>(١)</sup>

رأى مستشرق

لقد بقى الاسلام فى بلاد الصين لغزا زمناء طويلا لا يُعرف عنه شىء، الى أن تنبأ « دابرى ده تيرسان » (Dabry de Thiersant) وفاسيليف (Vassiliev) بدخول بلاد الصين فى الاسلام عاجلا.

ولا يزال الاسلام فى الصين مجهولا عنه شىء كثير، وإن الإحصائيات التى سنورها فىما يلى إما ناقصة وإما منحرفة، لأنها مأخوذة فى الغالب عن التحريات التى أجراها « برومبال » (Broomball) فى سنة ١٩١٠ أو عن تحريات بعثة « أولون » (Ollone) فى سنة ١٩١١ .

ولم يضاف الى تلك التحريات سوى محاولة قام بها « ف . هـ . رودس » (F. H. Rhodes) فى سنة ١٩١١ على أن كل تلك التحريات تبين لنا على الأقل أن الاسلام من العوامل الأساسية التى لها أثر كبير فى حياة جمهور عظيم من بلاد الصين فى الوقت الحاضر، فقد كانت تمزقها الفوضى السياسية والاجتماعية منذ وفاة « يوان شى - كى . آى » (Yuan - che - K'ai) حيث أخذ ينضب معين الأخلاق والآداب القديمة التى دعا إليها كونفشيوس، وصارت الأديرة الطاوسية (Taoistes) قاعا صنفصفا، وأصاب الرهبانية البوذية الهزال والاضمحلال بسبب ما حدث لها من الضغط الناشئ من قيود الأوامر التى أصدرها أمبراطرة الصين الآخرون، وبسبب ما نالها من الهزيمة

(١) نقلا عن الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامى .



على أيدى الشوار العلمانيين ، فلم يبق بعد ذلك وجها لوجه سوى فئتين ضعيفتين في وسط تلك الكتلة الهائلة من بني الانسان التي كانت تقدر بأكثر من حقيقتها منذ زمن قريب ، إلا أنها قد تبلغ الآن المئاة مليون نفس<sup>(١)</sup> بالرغم مما أصابها بسبب المجاعة ، وهاتان الفئتان هما المسلمون والمسيحيون ، وهما على عدااء صريح بينهما بالرغم عن أنهما يتجهان نحو فكرة وحدانية الاله . ويبلغ عدد المسلمين في وسط تلك الكتلة ٦ ملايين ، وعدد المسيحيين مليونين أى بنسبة ثلاثة الى واحد . ويعتقد أهل مكة أن عدد مسلمي الصين يبلغ ثلاثين مليونا ، ولذلك احتفظ لهم بثلاثة كراسى من ٤٩ كراسيا في « مؤتمر العالم الاسلامي » الذي عقد هناك في سنة ١٩٢٦

إن تقويمات الحكومة الصينية تطلق على المسلمين اسم « هوئي — هوئي » (Hoei — Hoei) وعلى الاسلام « تسنج — تشن — كياوه » (Ts'ing - t:hen - kiao) وممنه « الدين الخالص الحق » ويسمون العرب باسم « طاشي » (Ta - chi) .

ويروى في الفصص الصينية أن للصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) المتوفى بالعقيق في سنة ٦٧٤ ضريحا بالقرب من مدينة « طورفان » من مدن التركستان الصينية ، ومسجدا في مدينة « كانتون » .

ومن المؤكد أن هناك بعثتين إسلاميتين سافرتا الى بلاد الصين ووصلتا فعلا إليها ، وهما : بعثة أرسلها سيدنا عثمان (رضي الله عنه) استقبلها أمبراطور الصين (تائج كاو — تسونج) (T'ang, Kao - Tsong) في سنة ٦٥١ ميلادية ، وبعثة سيدنا « قتيبة » في سنة ٧١٣ وسافرت بعدهما تسع عشرة بعثة فيما بين سنتي ٧١٦ و ٧٥٩ من الميلاد ، وقد نوه المسيو شافان بتلك البعثات في كتابه عن الصين هذا وقد توطن الاسلام في بلاد الصين الآتية :

(١) يؤكد لنا بعض إخواننا من مسلمي الصين نزلاء مصر أن عدد سكان الصين الآن يبلغ ٤٠٠ مليون نفس منهم ٥٠ مليونا من المسلمين .

( ا ) في مقاطعة « كان — صو » Kan-sou منذ القرن الثامن الميلادي بواسطة جنود العرب المرتزقة التي كان جندها الامبراطور « سو — تسونج » Sou-Tsong عند قيام الثورة الكبرى .

( ب ) على الساحل الجنوبي الشرقى في « كاتون » Canton و « زايون » Zayton و « يانغ — جييو » Yang-Tcheou منذ القرن العاشر بواسطة البحارة الذين جاءوا من الخليج الفارسي ، وقد ذكروا كثيرا من الملاحظات الدقيقة عما شاهدوه في بلاد الصين ، مثل الأشجار ذات الأوراق المصنوعة من الحرير والتي تزدان بها حديقة قصر الامبراطور « ابن السماء » وكان ذلك منذ عهد « يانغ — تي » ( yang-ti ) .

( ح ) في مقاطعة « يون — نان » ( Yun-nan ) في القرن الثامن بواسطة حاكم منغولي : مسلم غيور من نجارا .

هذا ومنذ القرن السابع عشر الميلادي أصبحت كتب الفقه والعبادات في الاسلام تكتب باللغتين الصينية والعربية أو بالصينية فقط بعد أن كانت مكتوبة باللغة التركية الشرقية ( بحروف الوجور ) ( Oïgour ) ثم بالعربية . ويذكر « برومهال » من هذه الكتب عشرين مؤلفا . و « فسيير » ستة وثلاثين ، واخلط العربي الذي يكتبه مسالمو الصين بالفرشة بدل القلم<sup>(١)</sup> ذو شكل غريب جدا ، وأهم الحرف التي يحترفها مسالمو الصين هي : الجندية وتجارة الصادرات ، والتجارة بالتجوال في الطرق لبيع الحرير والقطن والشاي ، وفتح المطاعم والحمامات ، وكذلك العمل في المصانع مثل مصانع الحديد الشهيرة في « هان — يانغ » Han-yang ومصانع الغزل على الساحل الجنوبي الشرقى .

وتبدأ أسماء الأسر الاسلامية بالمقاطع التالية : « ما » « وكين » « وها » « وشا » وغيرها . وقد بق المسلمون متمسكين بعاداتهم القديمة في الجنوب الغربي

( ١ ) يقول بعض إخواننا الصينيين المقيمين بمصر : إنهم يكتبون اللغة العربية بالقمم في مقاطعة يونان .

لكنهم تطوروا في الشمال الغربي بتأثير الأتراك « الويجور » الذين اعتنقوا الاسلام .  
وقد حاولت الحكومة العثمانية منذ عشرين عاما أن تنظم أحوال مسلمي الصين .

وفي سنة ١٩٠٨ طلبت ألمانيا من الحكومة الصينية بأن تجعل لها مركزا سياسيا خاصا بأن تكون هي « الدولة الحامية » للاسلام في الصين .

ويحتفل مسامو الصين بالأعياد الدينية مثل العيدين ، وبالمولد النبوي ، وبالمعراج وبليلة القدر ، ويوم عاشوراء ، وغيرها .

وإليك ما يمكن إثباته عن الاسلام في التسع عشرة مقاطعة من مقاطعات الصين :  
مقاطعة « سن — كيانج » ( Sin - Kiang ) : وهي من مقاطعات التركستان الصينية  
ويبلغ عدد المسلمين بها مليونان من مجموع عدد سكانها البالغين مائونا ومائتي ألف نسمة .  
مقاطعة « كان — صو » : وبها من المسلمين ١,٤٠٠,٠٠٠ نسمة من ٣,٨١٠,٠٠٠ نفس  
وهو عدد ضئيل جدا .

مقاطعة « يون — نان » : يبلغ عدد المسلمين بها ٧٠٠,٠٠٠<sup>(١)</sup> من مجموع سكانها  
البالغ ٨٠٠,٥٣٠,٠٠٠ نسمة ، وسنفرد لكل من هذه المقاطعات الثلاث بحثا على حدة  
لأنها هي أم المقاطعات التي انتشر فيها الاسلام بصفة جدية . وأما بقية المقاطعات فيكتفي  
بإبداء بعض المعلومات للوجزة عنها . وهي :

مقاطعة « تشي — لي » ( Tehe-li ) : بها من المسلمين ٥٥٠,٠٠٠ نفس من مجموع  
سكانها البالغين ٢٢,٩٧٠,٠٠٠ نسمة أي بنسبة ٢٪ في المائة . وفي « بكين » وهي العاصمة  
٤٥٠,٠٠٠ مسلم من ٨٠٠,٠٠٠ نسمة عدد سكانها . ويطلق عليهم اسم « خوجم »  
( Khodjem ) وهم نزحوا إليها من بلاد « تزونجارية » ( Dzongarie ) في القرن الثامن

(١) وهو إحصاء مشكوك في صحته حسب تأكيدات بعض إخواننا من مسلمي الصين في مصر .

عشر من الميلاد، ويوجد بهذه المقاطعة ستة وثلاثون مسجداً<sup>(١)</sup> منها واحد بالعاصمة، ومنذ سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩٢٤ كان خليفة آل عثمان يبعث الى الصين ببعض المندوبين بصفة شبيهة بالرسمية مثل « الفاضى » وهو زائر منتدب من قبل شيخ الاسلام في الاستانة ويوجد بمدينة « نيين - تسين » ( T'ien-tsin ) ٧٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٧٥٠,٠٠٠ نسمة، وبها عشرة مساجد .

وأما نهضة التربية الحديثة التي مركزها بمسجد « كيتاسو » ( Kiatsow ) في بكين فهي ترمى الى تحيين دراسة اللغة العربية والى نشر التعليم بين النساء .

وفي ولاية « شان - تونج » ( Chan-tong ) ٢٠٠,٠٠٠ مسلم من ٢,٥٨١,٠٠٠ مجموع أهاليها، وبها ١٦ مسجداً، منها ثمانية مساجد بمدينة « تسينان » ( Tsinan ) ويوجد بها كذلك مساجد خاصة بالسيدات .

مقاطعة شان - سى « ( Chan-si ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ٩,٤٢٠,٠٠٠ نسمة . مقاطعة « هو - نان » ( Ho-Nan ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ٢٢,٣٧٥,٠٠٠ من السكان وبها ٣٠٠ مسجد، وفي مدينة كايفونج ( K'ai-fong ) ١٧,٥٠٠ مسلم من ١,٥٠٠,٠٠٠ من سكانها، وبها خمسة عشر مسجداً منها ثمانية للنساء، وبها كذلك مدارس ابتدائية مهمة، ويوجد بعض المسلمين ممن اعتنقوا الاسلام من بين الجالية الاسرائيلية التي أقامت هناك منذ القرن الخامس عشر، وتعد مدينة « هواي - شنج » ( Houai-Ching ) مركزاً لتعليم الدين الاسلامي .

مقاطعة « كيانج - سو » ( Kiang-sou ) : بها ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ١٥,٣٨٠,٠٠٠ من الأهالي، وفي مدينة « نانكين » ( Nan-kin ) ٢٥٠,٠٠٠ مسلم من ٢,٥٠٠,٠٠٠ من سكانها، وبها سبعة وعشرون مسجداً . وكانت « يانج - تشو » ( Yang-tcheou ) مركزاً

(١) يؤكد بعض الصينيين نزلاء مصر أن عدد المساجد في الصين يبلغ ٣٠,٤٠٠ مسجد

صغيرا لتعليم الدين الاسلامي ، وذلك منذ القرن العاشر الميلادي ، ولا يزال يوجد بها مدرسة ثانوية إسلامية ، ويوجد بمدينة « شانغهاي » ( Chang-hai ) بعض المسلمين ويؤلفون بينهم جمعية دينية اسمها « الجمعية العلمية الاسلامية الصينية » .

مقاطعة « غان — هوى » ( hgan-houei ) : بها ٤٠,٠٠٠ مسلم من ١٤,٠٧٥,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « كيانج — سي » Kiang-si وعاصمتها « نان — تشانج » — Nan-tchang : بها ٢,٥٠٠ مسلم من ١٦,٢٥٥,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « جيكيان » ( Tchô-kiang ) : بها ٧,٥٠٠ مسلم من ١٣,٩٥٠,٠٠٠ من السكان ويرجع اعتناق أسرها المدين الاسلامي الى عهد قديم .

مقاطعة « فو — كين » ( Fou-kien ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٨,٩٦٠,٠٠٠ نسمة . ويوجد بمدينة « تسنجون » مسجد عجيب يرجع عهده الى القرن الحادى عشر ( سنة ١٠٠٩ ) وقد درس تاريخه المسيو فان برشم والمسيو ارنيير .

مقاطعة « هوبى » ( Hou-pei ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من ٢١,٢٦٠,٠٠٠ من السكان .

مقاطعة « هونان » ( Hou-nan ) : بها ١٠,٠٠٠ مسلم من ٢٠,٥٨٠,٠٠٠ من السكان وفيها تسعة عشر مسجدا ، منها اثنان بمدينة « تشانج شاه » ( Tch'ang-cha ) .

مقاطعة « شين — سي » ( Chen-si ) : إن عدد المسلمين بها قد تلاشى منذ سنة ١٨٦٠ ولم يبق منهم الآن أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ نسمة من ٦,٧٢٥,٠٠٠ من مجموع سكانها ، وهم موزعون على مدن سيفان ( Si-ngan ) و « غانجون » و « هونغان » ( Hing-ngan ) ويوجد بها جالية إسلامية منذ القرن التاسع ، وبها سبعة مساجد .

مقاطعة ، سيجوان ( Seu-tchouang ) : بها ٢٠٠,٠٠٠ مسلم من ٥٤,٥٠٠,٠٠٠ من مجموع سكانها ، ولا سيما بمدينة « جندو » ( Tch'eng-tou ) حيث يوجد بها ١١,٥٠٠ مسلم

وأحد عشر مسجداً، عشرة منها للشافعية، وبها مصنع للنقش والحزير على الخشب ذائع الصيت. وفي مدينة «تا - تسين - لو» (Ta-t sien-lou) ١٢,٥٠٠ مسلم، وقد عم الاسلام كذلك مدينة «با - تانج» (Pa-tang) وبها بعض المولوية (الشاخي) (Mollas) الذين يدرسون باللغة الفارسية.

ولاية «كوانتونغ» (Kouang-tong) : بها ٣٥,٠٠٠ مسلم من ٢٣,٧٠٠,٠٠٠ من السكان، ومدينة «كوانجو» (Kouang-tcheou) - أو كاتون (٢٥,٠٠٠ مسلم من ٨٠٠,٠٠٠ من السكان، وبها أربعة مساجد، منها مسجد «سان سوفنير» (Saint-Souvenir) «أو الذكرى المقدسة» أو «شوق النبي» وقد أعيد بناؤه في سنة ١٣٤٣ ميلادية، وفيها (قبر سعد بن أبي وقاص) وقد دخل الاسلام في مركز «ساما» (Sama) الصغير بجزيرة «هيجان» (Hainan).

ولاية «كوانج-سي» (Kouang-si) : بها ١٥,٠٠٠ مسلم من ٥,٤٢٥,٠٠٠ من سكانها. ولاية «كويجون» (Kouei-tchou) : بها ٢٠,٠٠٠ مسلم من مجموع عدد سكانها البالغ ٩,٢٦٣,٠٠٠.

فيكون المجموع الكلي لعدد سكان الصين الأصالية هو ٣١٤,٨٥٠,٠٠٠ نسبة على الأكثر؛ ويبلغ عدد المسلمين فيهم من ٦٠,١٢٥,٠٠٠ إلى ٧٠,٦٦٠,٠٠٠ نفس. ويوجد نصفهم في ولايات «سينكيان» (Sinkiang) و«كانسو» (Kan-sou) «ويون-نان» (Yun-nan) وقد اجتهد في وضع نظام رسي (إداري) لهم في سنة ١٦٨٣ ثم في سنة ١٨٥٨.

#### ملاحظات الصين الأخرى :

منشوريا : بها من المسلمين ٢٠,٠٠٠ من مجموع عدد سكانها البالغين ١٠,١٧٤,٠٠٠ وفي مدينة «مكدن» ٦,٠٠٠ مسلم، وبها أربعة مساجد.

«كونكور - تساي دان» (Kounkour-tsaidan): وهي ولاية تقيم حكومتها بمدينة «سى - ننج» (Si-ning) في ولاية «كانسو» ويبلغ عدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة أصلهم من جنس أهالى التبت الموسومين باسم «طانجوتس» (Tangoutés) وهم خاضعون للنظام الاقطاعى المنغولى منذ سنة ١٥١٢ ويكوّنون ٢٩ «لواء» أو قبيلة، ويقال إنهم من «الدادا» أو «النتار» (Daldas) أحفاد جنغيزخان (Tchinguiz-khan) وأصبحوا خاضعين للصين منذ سنة ١٦٩٧ وإن أغليتهم العظمى تدين بالبوذية، ولكن يوجد منهم نحو ٣,٠٠٠ مسلم يطلق عليهم اسم «سيشا» يعرفون زمام التجارة في البلاد.

«التبت» هذه البلاد موضوعة تحت الرقابة الثنائية، وهي الرقابة الصينية التى تستمد سلطتها من نائب الحاكم للولاية «صو - تش - وان» (Sseu-tch,ouan)، والرقابة البريطانية، ويقال إنه يوجد بها مليونان من السكان الذين معظمهم من البوذيين ومن بينهم بعض المسيحيين المتنكرين و ٣٠٦,٠٠٠ مسلم، ويوجد ١٠,٠٠٠ مسلم في ولاية «واي» (Wei) أصلهم من مهاجرى الهنود في «لاسا» (Lassa) وفي بلاد «تسيامدو» (Tsiando) و (درايا) Draya و (سى - تشنج) Se-tching يوجد ١٤,٠٠٠ مسلم. وفي ولاية (غارى) Gartok-ngari يوجد ٦,٠٠٠ مسلم، وهم من المهاجرين السنين الذين نزحوا من بلاد الكشمير أو من الاسماعليين الذين جاءوا من «بالتستان» Baltistan.

ويوجد كذلك بعض من أسلموا من أهل بلاد التبت الأصليين الذين يقطنون على الحدود الصينية في جهة «صوتشوان».

### الولاية في الصين:

إن إدارة الولايات الصينية قد عمها الإصلاح منذ سنة ١٩١٢، فقد أنفى نظام المديرية القديم ذات الدرجة الأولى والثانية «فو» و «نشو» Fou et tcheou واحتفظ

في كل ولاية بدوائر رئيسية مقسمة الى مراكز . وحدث في نفس الوقت تعديل في عدد عظيم من الأسماء : نحو بكين التي كانت حاضرة « جوينتن » أصبحت عاصمة (كنج - شاؤ) .

ولانزال الخرائط الأوروبية محتفظة بالأسماء السابقة لهذا التعديل .

#### المصافح :

في مدينة بيكين : يوجد بها صحيفة (مو - شنج باؤ) Mou-cheng pao أو «صوت محمد» وهي جريدة أسبوعية كان يصدرها « ر . هسي تان » R. hsi tan وأوقفت .  
وصحيفة « بي - كوانج » Yi-kouang ( نور الاسلام ) وهي شهرية ، وتصدر منذ سنة ١٩٢٧ .

وصحيفة « مو كوانج » ( نور محمد ) Mou kouang وهي نصف شهرية .  
وفي مدينة « يون - نان - سن » توجد صحيفة « يون نان شينج . شن . يوه ياؤ » ومعناه مجلة الدين الحق الخالص Yün nan ch'ing cheng yueh pao وهي صحيفة شهرية مصورة كانت تصدر منذ سنة ١٩١٦ وأوقفت .

## الظرف والمِلح

قال بعض النسك :

قد أعياني أن أنزل على رجل يعلم أنني لست آكل من رزقه شيئا .



## في بلاد التركستان الصينية

(سين كيآنج)

### الموقع — المساحة — التعداد :

تقع بلاد التركستان الصينية فيما بين الدرجة ٣٥ والدرجة ٤٩ من خطوط العرض الشمالية ، وفيما بين الدرجة ٧٩ والدرجة ٩٦ من خطوط الطول الشرقية ، وتبلغ مساحة «السين كيآنج» ومعناها البلاد الجديدة ١,٤٢٦,٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وتشمل ما يأتي :

(أ) بحيرة محصورة عمقها ١٠٠٠ متر وهي بحيرة «تاعلي - موهو» ويبلغ مجراها ٢٠٠٠ كيلو متر ثم تضيق في المستنقعات التي وسط صحراء «تاكلا - ماكان» وهي صحراء تنتشر فيها واحات كثيرة .

(ب) سلسلة جبال تبدأ من «البامير» من جهة الشرق وتبلغ أعلى قمة فيها ٧٨٠٠ متر عند «كوين - لوين» في الجنوب ، وتبلغ قمة «خان تنجري» في الشمال ٨٧٠ مترا ، وتلتف من الجهة الغربية بوادي «ييلي» ومن الجهة الشرقية بمنحدر «الطورفان» وتشرف من الجهة الشمالية الشرقية على صحراء منغوليا .

(ج) «هضبة جبال تزونجباريا» : في الجهة الشمالية الغربية وهي تبلغ ١,٥٠٠ متر ، ويوجد بها بعض البحيرات مثل «سايرام - نور» .

### مجموع السكان :

يبلغ مجموع سكانها نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٠٢<sup>(١)</sup> وقد كان أكثر من ذلك كثيرا فيما مضى .

### المدن :

أولاً الست المدن الأصلية وهي : «خوتان» وبالصينية «هوتين» ويبلغ عدد

(١) يقول بعض اخواننا من مسلمي الصين المقيمين عصر إن عدد السكان يبلغ الآن ٢,٢٠٠,٠٠٠ نسمة .

سكانها ٢٦,٠٠٠ نسمة و « يارقند » وبالصينية « شاجو » ويبلغ تعدادها ٦٠,٠٠٠ نسمة و « كاشجار » أو « صوفر » وعدد سكانها ٧٠,٠٠٠ نسمة و « اوج — طورفان » أو « ووشى » و « اكسوا » أو « وين — صو » و « يانغى — حصار » أو « ينغ — كى شا — وول » ثم مدن « طورفان » أو « طولوفان » و « كارشال » أو « كولاشاؤول » و « قومول » أو « هاى » و « أورو متسى » أو « تى — هوا » ويبلغ عدد سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٢,٠٠٠ من الأتراك، وأما الحاضرة القديمة « البيشبايك » فكانت أقرب الى الجهة الشرقية، و « كوجنج » و « كولجا » أو « يلى » ويبلغ تعدادها ١٠,٠٠٠ نسمة، وكانت تحتلها روسيا من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨١، وبها مسجد وثمانية وعشرون مدرسة، وكانت سابقا معقلا للمسيحيين النستوريين .

#### دخول الاسلام في التركستان :

لقد مرت بلاد التركستان الصينية بعصر مدنية ورخاء في عهد الملوك الطوخابين الهنود الذين جاءوا من « كاراشار » و « كوجا » وكان آخرهم ( هاريبوسيا الذى خضع للصين فى سنة ٦٤٨ ) والذين قدموا من « الكاماديشا » فيما بين سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وسنة ٦٤٨ بعد الميلاد وكانوا خاضعين للصين . وقد عثر على آثارهم ودرستها بعثات « أوريل اشتين » و « فون ليكوك » و « بيوه » . وفى القرن الثامن من الميلاد خضعت كل بلاد التركستان للصين إلا أنها بقيت تتكلم اللغة اليورانية الشرقية أو « الطوخابية » . ومن سنة ٧٤٥ — سنة ٨٤٥ كانت دولة ترك ياغان الويغور من « أورخون » تنازع التبتيين فى الاستيلاء على بلاد التركستان، وقد اعتنق أولئك الأتراك مذهب المانوية اليورانية ( الزندقه ) فى سنة ٧٦٢ على يد رئيس هذا المذهب الذى كان يطابق عليه اسم موزاق، وكان يقيم فى « كاراخوجا » بالقرب من طورفان . وقد حطم دولة الأتراك المهجوم الصينى فيما بين سنة ٨٤٠ الى سنة ٨٤٥ فتجزأت الى ثلاث حكومات :

(١) حكومة «الويجور الشرقية» في «كانجيو» وقد أخضعت أسرة «هيا» الصينية هذه الحكومة وحماها على اعتناق البوذية في سنة ١٠٢٨ ثم خضعت للأسرة «يوان» .

(٢) حكومة «الويجور الوسطى» ويطلق عليها اسم «طوقوز أوغوز»، ومعناه الويجور ذو التسع القبائل . ومركزها في «كلوجانج» بالقرب من «طورفان»، وقد ضمها «جاغاتيو - كاشجار» و «أمراء المنغول من نسل «جنغيرخان» إلى ملكهم ودخلت في الاسلام تحت حكمهم في عهد «خضر» من سنة ١٣٧١ إلى سنة ١٤٠٤ ميلادية .

(٣) حكومة «الويجور الغربية» في «كاشجار» وكانت تحت حكم «إيليك» «خانيد» (خانات) أو أمراء إيليك من سنة ٨٩٠ - سنة ١٢١٤ ميلادية . وهم من نسل «أفراسياب» ودخلوا في الاسلام حوالي سنة ٩٥٠ وكانوا خاضعين هم والسابقون لحكم «الجورخان الكاراختاي» البوذيين من سنة ١١٢٠ إلى سنة ١٢١٥ ، وقد خلفهم في الحكم بعد الفتح المنغولي فرع من أسرة «الجاغاتيين» من سنة ١٣١٥ - سنة ١٦٧٨ اعتنق الاسلام حوالي سنة ١٣٧٠ وفرع آخر من الخوجا أسسه حضرة أبابك هداية الله سنة ١٦٧٨ ، وكانت كل هذه البلاد خاضعة للواراد (المنغول) البوذيين من أهالي ترنجاريا من سنة ١٦٥٠ إلى سنة ١٧٥٨ حتى فتحها الصين في سنة ١٧٥٨ ، فلجأ آخر أمراء «الخوجا» إلى «خوقند» ومن خوقند هذه عاد يعقوب بك عند نشوب ثورة المسلمين الكبرى ضد الصين في سنة ١٨٦٢ - سنة ١٨٧٨ ، وقد كان يعقوب بك ذا كفاية ومقدرة إدارية بارزة وكان تابعا لخان (أمير) نجارا وملقب بلقب أتاليك غازي واعترف به الخليفة العثماني (أمير المؤمنين) ولم تخضع البلاد إلا بعد وفاته في سنة ١٨٧٧ .

## الاسلام فى السودان<sup>(١)</sup>

رأينا فيما تقدم مقدار درجة انتشار الاسلام فى لأقطار السودانية ، كما أوضحنا العوامل التى ساعدت على تقدمه وتقوية كتمه وتمحين حالة أهله من الوجهة السياسية والاجتماعية والمادية ، وبيننا أثر هذا الدين فيهم من نواح متعددة مثل تقوية الروابط القومية وتنشيط روح الحياة التماونية وتقريب طرق التنام بين أجناسهم المختلفة .

دخل الاسلام فى مجاهل أواسط أفريقية حاملا لواء العلم ، فهو أول دين نزل به كتاب مقدس عرفته الأهالى ، فكان ذلك داعيا لتعلم القراءة والكتابة ، فبعد أن كانت محاولة تماما أصبح عدد المعلمين بها يتراوح بين ٢/ و ٦٠٪ من السكان المسلمين ، كما أنشئت فى جهات متعددة مدارس أولية لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الأساسية ، وقد لا تخلو الآن قرية صغيرة من مدرس يلتف حوله صغار طلاب العلم لحفظ القرآن وتجويده وتلقين تعاليم الاسلام وقواعده ، وذلك كله بواسطة اللغة العربية .

وكذلك توجد الآن بعض المدارس العالية فى المراكز الرئيسية للتعلم فى الدراسات الاسلامية والفقه والشريعة ، ويتحصل الكثير من طلاب العلم مشقات السفر البعيد لتلقى علومهم العالية بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، فيكونون بذلك نواة لمجمع علمى تلتقى به الثقافة الإسلامية العربية بمدينة الأهالى القديمة ، وظهرت ثمراته القيمة فى كثير من الموضوعات الأدبية والدينية المفيدة .

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن مقال للاستاذ « ديدريش ويثرمان » فى مجلة « العالم الاسلامى »

ومن آثار الاسلام الخالدة معاربة المسكرات في غرب أفريقيا ، فان الحالة الصحية والاجتماعية التي وصل إليها سكان الجهات التي انتشر فيها هذا الدين تعد بحق مفخرة كبيرة للاسلام إذا قورنت بفساد الأخلاق الذي يسود الجهات الوثنية والفوضى التي تعم أركانها .

وللإسلام آثار ظاهرة ومفاخر أخرى عديدة من الناحية الخلقية ، فانه قضى على كثير من أعمال القسوة ضد الانسان والحيوان وأكل لحوم البشر وقتل الأطفال والكحول والمرضى ، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالي الوثنيين والعباذ بالله . أمر الاسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله ، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف ، فكل هذا الأمور وغيرها من فرائض دينية جعلت الأهالي من الوجهة الخلقية والاجتماعية في مصاف غيرهم من البشر أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الانسانية المتمدينة ، فبدوا يشعرون بدخولهم في الهيئة الاجتماعية ، وعرفوا قيمة الحياة وصلاحياتهم ، لها فآخذوا يطالبون بمثلهم من حقوق ويخضعون لما عليهم من واجبات .

هذا من جهة آثار الاسلام الخالدة في أخلاق الأهالي الوطنيين وعوائدهم . أما من جهة النظم الدينية الموضوعة في الاسلام فهي على غاية من البساطة ، فلهيئة الكليريكية غير معروفة ، بمعنى أنه لا تقام مراسيم خاصة اتمعيد الأشخاص ، ولا تقوم الجهات بتعيينهم لأداء الوظائف الدينية ، بل يتولى الإمام عادةً الرئاسة الدينية في الناحية ، ولا يشترط في شغله لهذا المركز الديني إلا إلمامه بشيء من العلوم الدينية والآداب ، وأن يكون مجيذا لحفظ القرآن ، وكلما نشأت ناحية جديدة يختار أهلها من بينهم من يصح أن يتولى هذه الزعامة الدينية ، أو يطالبون من أحد أئمة النواحي المتاخمة أن يعين لهم من يقوم بهذا المنصب إذا اختلفوا فيما بينهم في التعيين .

فإذا خلا أحد هذه المراكز بوفاته صاحبه مثلاً خلفه عادةً من كان أقرب الناس إليه . وكثيراً ما يتوارث أفراد الأسرة الواحدة العلم والتربية الدينية، وبذا يكونون أصلاً من غيرهم لمنصب الإمامة . وتقتصر وظيفة الإمام على أن يؤم المصلين وأن يلقى الخطبة . وفي الجهات التي بها عدد كبير من الجوامع يتولى الزعامة الدينية إمام أكبر أو أقدم هذه الجوامع ، وله منزلة ومكانة اجتماعية ممتازة ولو بصفة غير رسمية ، وله حق الإمامة بالمصلين في الأعياد حيث يأنم به الأئمة الآخرون كثيرهم من المصلين من أهل البلدة .

وكثيراً ما كان يجمع بعض الأئمة في الماضي بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في المدن ، بل قد تمتد ذلك حتى يشمل نفوذه دولة كاملة . ولا توجد هناك هيئة منظمة مركزية للأئمة ، فكل واحد منهم مستقل عن الآخر استقلالاً تاماً . وكثيراً ما يجمع بعضهم حوله طلاب العلم الصغار ويلقنهم القرآن وبعض التعاليم الدينية الابتدائية ، كما يوجد في كل ناحية تقريباً معلم يدرس الكتابة والقراءة وبعض العلوم الدينية الإسلامية ، ومن هذه الأعمال وغيرها يجمع موارده المادية ، ولا يقل نشاط بعض الأئمة في هذا العمل عن المعلمين ، وبذا يجمعون معظم ثرواتهم الضئيلة . وكثيراً ما يكتفى بعض المعلمين بالتجوال بين القرى والكفور ، ويلقون بين حين وآخر بعض المحاضرات والأحاديث ، وينزلون ضيوفاً على الرحب والسعة عند أغنياء تلك النواحي الذين يتشرفون بالمبالغة في إكرامهم لمرکزهم الديني ولسعة اطلاعهم في العلم .

وقد لا نكون مغالين إذا قلنا إن الأغلبية الساحقة من مسلمي السودان يتبعون طريقاً من الطرق الإسلامية المختلفة ، وأكثر هذه الطرق شيوعاً في تلك الأقاليم الشاسعة هي القدرية والتيجانية والسنوسية <sup>(١)</sup> .

(١) ولم ينحصر حضرة الكاتب المستشرق بالذكر الطريقة المرغية الشائعة في شمال السودان [ المجنة ] .

أما القدرية فيرجع تاريخها الى سيدى عبد القادر بمدينة بغداد في القرن الثاني عشر، وجاءت الى السودان من طريق بلاد المغرب (مراكش) الجنوبية أو عن طريق تونس . ويغلب على الظن أنها لم تنتشر في السودان قبل القرن الخامس عشر ، وأغلب أتباع القدرية موجودون في غرب السودان حتى « سوكونو » وهم الجانب الأعظم من المغاربة والسوناري والتواريج والفولبا ، وكذلك غالبية سكان غرب « نومبكتو » ويتزايد عدد أتباع هذه الطريقة يوما بعد يوم في « فونجالون » في قبائل المالاينكة وفي غيانا الفرنسية وما الى شرق ذلك حتى ساحل العاج والكنغو .

أما طريقة التيجانية فيرجع أصلها لمؤسسها سيدى أحمد التيجاني من الجزائر المتوفى سنة ١٨٠٠ وهى بذلك مثل الطريقة السنوسية تعتبر أحدث تاريخا من القدرية في أفريقية . وانتشرت الطريقة التيجانية في السودان على الأخص على يدى الحاج عمر ، وقد كان أقطاب هذه الطريقة القدماء يقيمون سابقا في منطقة نفوذ البائدة وابتدأت هذه الطريقة التيجانية تنتشر من هذه البقعة شرقا وجنوبا مجتذبة بعض القديرين الى زمريتها ، كما حدث ذلك في نيجيريا وبورنو وأدماوه مثلا ، ونجد التيجانية أكثر شيوعا في جميع المناطق الساحلية من نيجيريا حتى ساحل الذهب .

وأما طريقة السنوسية فوطيها أواسط السودان وبمض جهاته الشرقية ، وهذه الطريقة عبارة عن فرع لا يحدى الطرق المنتشرة في شمال إفريقية ومؤسسها هو العالم المحقق ابن على السنوسى المولود في تلمسان سنة ١٧٩٢ وقد كانت واحة جفوب فيما قبل المركز الرئيسى لأقطاب هذه الطريقة ، ثم تحول هذا المركز الى جهات مختلفة في الجنوب بناحية « بوركو » ، وأما أتباع هذه الطريقة فنجدهم منتشرين علاوة عن وجودهم في طرابلس وتونس والجزائر ومصر في « تيمبستى » و « بوركو » وكذلك بين قبائل « التيبو » في الوادى وفي كاتم . ويوجد أفراد قليلة منهم في باجرى وبورنو .

وأما الأغراض التي من أجلها تأسست تلك الطرق فهي التجديد والتعمق في الحياة الدينية ونشر الدعوة ، وتسلك في ذلك طرقا مختلفة باختلاف الزمان والمكان ، ومنها محاضرات الوعظ والإرشاد وتشييد المدارس ، والفزوات الحربية ، وتأسيس المستعمرات .

تأمر الطريقة السنوسية باتباع أوامر القرآن اتباعا دقيقا ، كما تحرم البدع المستحدثة . ونهى عن مخالطة المسيحيين واليهود وشرب القهوة والتدخين . ولطريقة السنوسية مستعمرات عديدة في المناطق الاسلامية والوثنية مؤسسة على أحدث النظم الزراعية والصناعية .

ويدفع الأعضاء في مثل هذه المستعمرات اشتراكات منظمة ، وتجمع هذه الاشتراكات للصرف منها على صالح المجموع . ولقد أدوا خدمات جليلة في إحياء كثير من التراث العقلي الاسلامي القديم ، ومما لا شك فيه أن هذه الطريقة كانت سببا مشجعا لكثير من قبائل الوثنيين في شرق وأوسط السودان للدخول في الاسلام ، وهي هيئة موحدة لها رئيس أعلى - وهو في ذلك الوقت سيدى أحمد الشريف - ويتصل أعضاؤها بعضهم ببعض باتصال قوى متين ، كما يرطهم برئيسهم الأعلى روابط مركزية قوية ، ولها نظام ثابت . على أن نفوذ هذه الطائفة لم يصل يوما بعد الى الدرجة التي بخشاها المستعمر الأوروبي ، بل بالعكس فإن الحكومة الفرنسية كثيرا ما أثنت على موقفهم المحايد ، خصوصا وأنهم لم يستعملوا القهر في الدعوة الى طريقهم أو الى الاسلام على العموم أو أى الطرق الاجبارية بل كانوا في جميع الأحوال يتبعون الطرق السلمية .

وأما الطريقة القدرية فإنها نجحت الى حد بعيد في رفع مستوى الثقافة العامة في غرب السودان ، وذلك بفضل مجهودها في التربية وأعمالها التهديبية ، فإن أغلب المدارس الموجودة في غرب السودان أو في أواسطه هي من إنشاء أتباع القدرية ،



ولقد تخرج من هذه المدارس كثير من الأئمة ورجال الشريعة والدين وانتشروا بعد ذلك بين المسلمين والوثنيين ، فاكتمسبوا لطريقتهم وللدين الاسلامي على العموم أتباعا كثيرة . وهذه الطريقة مثل سابقتها لم تاجأ في الدعوة الى الطرق الحربية قط ، بل كانت تدعو دائما الى السلام .

وأما الطريقة التيجانية فكانت على نقیض ذلك على خط مستقیم ، فان ناشرها في السودان وهو الحاج عمر هو أحد الغزاة الفاتحين الذين تعودوا في حياتهم العملية الالتجاء الى القهر والشدة ، وكذلك المدعو « ساموري » هو أحد رجالها المبرزين . ولقد كان جميع رجال التيجانية ينزعون بفطرتهم الى استعمال الشدة للدعوة الى طريقتهم أو الى الدين الاسلامي ، ولو أن ذلك لم يعقهم عن الدعاية المسالة أيضا لنشر تعاليم الدين الاسلامي ، فكان الواعظ والمعلم يبذلان عملهما بنشاط بعد أن يهدد الجندي لهما الطريق بالسلاح في البلاد المغزوة .

ولقد أخذت الطرق الدينية في بعض الجهات شكل الروابط الأخوية الاجتماعية: يلقى الانسان فيها من الأعضاء كل حفاوة وإكرام .

ويمتاز المسلم عن الوثني وغيره في هذه النواحي بأعزازة بدينه وتقديره له حق قدره وتلفه به الى أبعد حد ، فتعده واثقائه كل الوثوق في تفسير المسائل الدينية والدينية ، وهو بذلك قد تخلص من ضيق ديانة أهله القديمة وعدم كفاءتها لتفسير أمور الحياة الدنيا والآخرة وقلة صلاحيتها للزمان والمكان ، وشهد بنفسه انخذالها أمام الديانة والثقافة الجديدة ، فأصبح بعد حيرته في ما من من جهة حياته الأخرى ، فبدأ يشعر بأحقيقته في الحياة باتباعه دين الله وكتابه الشريف الذي زوده تحصينا لمواجهة تقلبات الحياة بالانصياع لأوامر الله والعمل بما جاء في كلماته التي لا تبدل لها ، فزادته ثباتا ووثوقا بنفسه وجعلته بعيدا كل البعد من أن يؤثر فيه أي مؤثر خارجي م

## نقض مطاعن في القرآن الكريم

تأليف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ البارح الشيخ محمد عرفه وكيل كلية الشريعة الإسلامية . بحث به بجداً دقيقاً ما افترى به الدكتور طه حسين على كتاب الله الحكيم ففند مطاعنه عليه ، وفضح ضلالاته فيه ، ووضع يده على منشأ جهله ، وفواحش تحريفه وهذيانه . كل ذلك في بيان عذب وأسلوب متين .

والكتاب يجمع الى قوة الحجة وسطوع البرهان حسن البحث مع الإفاضة والإتقان . فلا جرم أن يتلقاه العلماء والباحثون بالقبول الحسن والثناء الجليل .  
فجزى الله المؤلف بما نافع عن كتاب الله خير الجزاء ونفع به المسلمين<sup>(١)</sup> .  
وقد ورد على فضيلة المؤلف تقديراً لفضله وإنصافاً لمجهوده من حضرة صاحب المعالي وزير المعارف السكتاب التالي :

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفه وكيل كلية الشريعة .

إشارة الى خطاب فضيلتكم المؤرخ ٧ مايو سنة ١٩٣٣ الذي تفضلتم فيه باهداء وزارة المعارف ثلثمائة نسخة من كتابكم الذي وضعتموه في نقض مطاعن الدكتور طه حسين في القرآن الكريم — يسرني أن أبلغ فضيلتكم أن هذه النسخ قد وردت وستقوم الوزارة بتوزيعها للانتفاع بما حواه هذا الكتاب القيم .

(١) يطلب هذا الكتاب من مكتبة الحلبي والمكتبة التجارية ومكتبة الخانجي .

وإني أنتهز هذه الفرصة لأثني على فضيلتكم أطيب الثناء، ومقدرا للباحث الشريف الذي حدا بكم الى وضع هذا الكتاب، وشاكرًا لفضيلتكم هذا الإهداء الكريم وما ينطوي عليه من الغيرة البالغة على الدين القويم.

وزير المعارف

ونفضالوا بقبول أخلص تحياتي وعظيم احترامي

إمضاء

ونحن نثبت هنا للقراء فصلا من فصول هذا الكتاب كأنموذج لما أودعه من حكمة وبيان:

### تفنيد الطعن الثالث

يقول هذا الطعان:

إن القسم المسمى بمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني، وقصر الآيات، واختلو التام من التشريع والفوائن، كما يكثُر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. أما القسم المدني فأفكاره منسجمة متسلسلة، ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية، وفيه هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ، وفيه التشريعات الإسلامية، كالأوراث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع والمعاملات. هكذا يقول الناقد.

(نزبه القسم المكي عن نفع الفكرة - واقتضاب المعاني)

إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره، ولا يكلف نفسه الصبر لمعرفة أغراضه، هو الذي لا يستبين كثيرا منها، فيبدوله متقطع الفكرة، مقتضب المعاني، ولكن الذي يتدبره وينعم النظر فيه، ويقرؤه على سبيل الاعتبار، ويكون مع ذلك قد أوتي طبعا سليما ودربة على معرفة منطق العرب الذين يكتفون باللمحة والوحي السريع، يدرك كثيرا من أغراضه، ويبدوله قصده، فيرى الآيات الكثيرة في غرض واحد كالحلقة المفرغة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباط، حتى إن السورة الواحدة المسكية الطويلة قد تكون في غرض واحد يشملها ويعمها، وسأضرب لذلك مثلا:

هذه سورة الأنعام المكية ، مقدارها ١٦٥ آية قد انتظمها غرض واحد وهو إبطال الشرك <sup>(١)</sup> فتقرؤها جميعها ، فتجدها في هذا الغرض ، وما سبق فيها فهو لهذه الغاية ، ولولا ضيق المقام لاستوعبتها جميعها ، وينت كيف تنبج الى هذا الغرض ، ولكننا نشير هنا إشارة موجزة :

بدأ الله تعالى هذه السورة بمحمد نفسه أو استحقاقه الحمد ، وأنه خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، وأنه بعد أن أنعم بهذه النعم يعدل به الذين كفروا الأوثان والأنداد . وكل ما ذكر بعد يتبج نحو هذه الغاية — إبطال الشرك — فتجده يقول بعد ١٢ آية : (وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعم ولا يُطعم ؟ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ) ويقول بعد : ( أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ) ويقول بعد ٣٩ آية : ( قل أرايتكم إن أنا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتدسون ما تشركون ) .

ويقول بعد ٦٢ آية : ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ) .

ويقول بعد ٧٠ آية : ( قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد إذ هدا الله ؟ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : أتنتنا . قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم (رب العالمين) وما ذكر

(١) أي أن موضوعها الإهم المقصود بالذات إبطال الشرك بدحض أوهامه وخرافاته وإثبات التوحيد ، ويلي إثبات الرسالة ودحض شبهاتهم عليها ، مع المام بإثبات البعث أيضا ، لجملة السورة في أصول العقائد الثلاث . والوصايا التي في آخرها هي الحجاة الأدبية على حقيتها .

قصة إبراهيم مع أبيه آزر إلا لأن فيها أدلة على إبطال الشرك (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفان . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال إني لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برى، مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتجاجونني في الله وقد هددان ولا أخاف مما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً؟ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ) .

ويقول بعد ٩٣ آية : ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ) .

ويقول بعد ٩٩ آية : ( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بنير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ) .

وحرم في هذه السورة ما لم يذكر اسم الله عليه لأنه مما كان يذكر عليه أسماء آلهتهم فهو شرك ، وذكر من عادتهم في الحرث والأنعام أنهم كانوا يجعلون بعضها لألهتهم وهو شرك فأبطلها، واستدل على بطلانها (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان

لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عابهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ) .

ويقول بعد ١٤٧ : ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا )<sup>(١)</sup> .

ويقول بعد ١٥٠ آية : ( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً )  
ويذكر في مختتم السورة ( قل إني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم

( ١ ) بين في هذه الآية بطلان احتجاجهم على شركهم وتحريم ما حرموا من الحُرث والالعام بمشيئة الله تعالى كما يحتاج الى الآن بعض المبتدعة والمتصوفة . قالوا : لو شاء الله ألا نشرك لما أشركنا نحن ولا آباؤنا ولو شاء ألا نحرم ما ذكر لما حرمنا . فحججنا إنما أشركنا وحرمنا بمشيئته . ومشيئته تستلزم رضاه . أو أنه هو الشارع لذلك . وقد رد الله تعالى عليهم جهلهم هذا بحجة تاريخية وحجة عقلية : أما الأولى فقوله ( كذلك كذب الذين من قبلهم ) من أقوام الأنبياء وسلمهم فيما بلغوهم عن الله تعالى من توحيد الألوهية وهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وتوحيد الربوبية وهو أن الشارع المدين هو رب العالمين فلا يحرم عليهم إلا ربهم ، فليس لأحد أن يقول عليه إنه حرم شيئاً بغير علم من وحيه كما قال في أصول المحرمات من سورة الاعراف المسكية : ( وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) أي كذب الذين من قبلهم وسلمهم كما يكذبك هؤلاء يا محمد ( حتى ذاقوا بأسنا ) أي عذابنا ، فلو كان راضياً عن عملهم لما عذبهم .

وأما الحجة العقلية فقوله لرسوله : ( قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ) إثباتاً لضعفكم هذا فإن القول في صفات الله وأفعاله وأصول دينه وتشريع لا يصح إلا بعلم يقيني يثبت به وما عندكم شيء من علم بهذا ( إن تتبعون إلا الظن ) أي ما تتبعون فيه إلا الظن في فهم المشيئة واستلزامها للرضا وأمر التشريع . وقد حكى عنهم ذلك في سورة الاعراف بقوله : ( وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ) ثم أسقطهم من مرتبة الظن الى ما دونها فقال : ( وإن أتمم إلا تخميناً ) الخرص الحزر والتخمين كاستقدير الثمر في شجره وما يباغ به الجفاف فهو لا يستند الى دليل وأطلق على الكذب لأنه لا يكاد يكون مطابقاً للواقع . ثم قال لرسوله ملقناً له حجته البالغة بعد إبطال حججهم الداحضة : ( قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ) أي لو شاء أن يهديكم كلكم بمحض قدرته من غير أن يكون لكم إرادة ولا كسب ولا اختيار في إيمان ولا عمل لهداكم بمخلقه إياكم مهتدين بالفطرة . ويراجع تحقيق هذه المسألة في الجزء الثامن من تفسير المنار .

حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزد وازرة وزر أخرى ، ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) .

فأين تقطع الفكرة واقتضاب المعاني ؟ أليست متسلسلة منتظمة آخذاً بعضها بعرض بعض تنظمها وحدة الغرض ، واتحاد الموضوع ؛ ولكن ذلك يدق إلا على ذى الفهم والحجبي .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم لو أن أصحاباً هؤلاء يسألوننا ما خفي عنهم من علم ، لما بخلنا عليهم به ، ولبذلنا لهم من فضل الله علينا ، ولحمينام من أن يكونوا ضحكة الضاحكين ، وسخرية الساخرين .

### الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية

وعنايته بآيات العقائد الأصلية والتشريعات الكلية

وأما خلو القسم المكي من التشريع التفصيلي ووجوده في المدني ، فهذا أمر طبيعي ، لأن الإسلام لم يكن قد تقرر في مكة ، وكان المشركون ينازعون في أصله ، وهو التوحيد والنبوة والمعاد الخ ، فحق أن يكون الحجاج في ذلك ، وكذلك كان . ولما كان بالمدينة وآمن به المدنيون ، وصاروا جماعة يقدر أن يقيموا أحكامهم كأمة منظمة ، أتى بالقوانين والشرائع .

وهل كان يريد الناقد أن يفرض على كفار مكة أحكام المواريث<sup>(١)</sup> والزواج ، والطلاق وهم ينازعون في أصل العقيدة وفي أنه رسول ، ولا يدينون له ؟

(١) (إن قيل) أننا وافقكم على أن الكفار لا يماطون بفروع الشريعة وإنما نقول لماذا لم تشرع هذه الأحكام للمؤمنين أنفسهم ( قلنا ) إن بعضها لم يكن موافقاً لمصلحة المؤمنين كالموارث لأن أكثر أفرادهم كانوا مشركين وأما الأصل العام فيها كلها فهو أن فائدة التشريع رهينة بالقدرة على التنفيذ وإنما يكونان بالسفطان والدولة .

أفليس الواجب يقضى أن يثبت أصل الإيمان أولاً ثم يثبت بعد ذلك فروعه ؛  
وعبارة الناقد تفيد أن القسم المكي خلاخوا تماماً من التشريع التفصيلي .  
( إثبات القصص والتاريخ في القسم المكي )

وأما القصص والتاريخ فليسا خاصين بالقسم المدني كما يرى الناقد ، بل هما يوجدان  
كثيرا جدا في القسم المكي . هذه سورة الأعراف ، ويونس ، وهود ، والكهف ،  
ومريم ، وطه ، ويوسف ، والشعراء ، مكية ؛ وهي مفعمة بالقصص والتاريخ ؛ بل إنى  
لأزعم أن ما يوجد من ذلك في المكي أكثر منه في المدني . وهنا ينبغي أن أنبه  
القارئ أن الله ذكر ذلك للعظة والاعتبار .

### تذليله

نشر بصفحة ٧٢ من الجزء الأول للمجلد الرابع تصحيح لبعض ما سبقت  
ترجمته في الأجزاء الماضية ، ووقع في هذا التصحيح الاستشهاد سهوا بقوله تعالى :  
( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ) على تسامح الاسلام مع أهل الديانات  
الأخرى . والحقيقة أن هذه الآية جاءت في مقام التهديد والوعيد لا للتسامح  
المستشهد بها عليه .



## **Students of Al-Azhar University and the Religious Institutes.**

The Al-Azhar University and the Religious Institutes are attended not only by Egyptians but also by a great number of foreigners who repair to Al-Azhar in view of the great renown it has attained throughout the Moslem world. Included in the number of students of Al-Azhar are many who hail from Syria, Tripoli, Tunis, Algeria, Morocco, Iraq, Turkey, Asia Minor, Caucasus, Hedjaz, Nejd, Kurdistan, Yemen, India, Sudan, Abyssinia, Somaliland, South Africa, Afghanistan, Java, Borneo, China, Yugoslavia, Russia, Poland, Albania, Bulgaria and America.

### **Students' Lodgings at Al-Azhar.**

Students are accommodated in hostels adjoining Al-Azhar called Riwaqs. Caliph Al-Aziz Billah son of Caliph Al-Moazz-Lidin Allah was the first to provide lodgings for the students of Al-Azhar. Princes and other highly placed and rich people followed his instance and contributed to the establishment of those lodgings for students. The number of these hostels has now reached 29 riwaks.

### **Library of Al-Azhar University.**

Al-Azhar University has, at one time, owned a great collection of books distributed among the different Riwaqs.

In 1897 a public library, "The Library of Al-Azhar", was established to house this great collection. It now contains 60,000 volumes of which 15,000 are manuscripts. Many valuable and rare books are included in this number.

The Library is not only frequented by students but also by men of learning who find it of great utility to consult the numerous volumes on different matters.

In fulfilment of His Majesty's wish to organise the Al-Azhar Library, the Rector of Al-Azhar has delegated certain competent officials who are experienced in library organisation in order to organise it on modern and up-to-date lines.

Each of the three Colleges of Al-Azhar University has its own private library which is in charge of a competent librarian.

Some Riwaqs still retain their own libraries for the use of their inmates.

---

## Supreme Council of Al-Azhar.

The Supreme Council of Al-Azhar is constituted of the following members :—

- (a) The Rector of Al-Azhar University.
- (b) The Vice-Rector of Al-Azhar and the Religious Institutes.
- (c) The Grand Mufti of Egypt.
- (d) Head Shriks (Deans) of Colleges of Al-Azhar.
- (e) The Under-Secretary of State to the Ministry of Justice.
- (f) The Under-Secretary of State to the Ministry of Wakfs
- (g) The Under-Secretary of State to the Ministry of Education.
- (h) The Under-Secretary of State to the Ministry of Finance.
- (i) Two members of the body of Grand Ulema nominated by Royal Decree for two years
- (j) Two members whose appointment is deemed beneficial to education at Al-Azhar and the Religious Institutes, nominated by Royal Decree for two years.

## The Religious Institutions affiliated to Al-Azhar University.

The denomination "Al-Jami-El-Azhar" (University of Al-Azhar) is assigned by Law No. 49 to the Colleges of higher education and Sections of of Specialisation.

The "Religious Institutes" is the designation given to Islamic religious institutions where students are instructed in religion and Arabic Language with view to qualifying for admission to Al-Azhar University.

Education in those institutions is either primary only or both primary and secondary as shown below ;

- (a) The Institution of Al-Azhar at Cairo (Prim. & Secondary)
- (b) " " of Alexandria " "
- (c) " " " Tanta " "
- (d) " " " Zagazig " "
- (e) " " " Asiat " "
- (f) " " " Dessouk ( Primary )
- (g) " " " Damielta "

## Certificates.

The certificates granted to successful candidates in the final examinations are :—

**A. — The Primary Certificate.** It is granted on the completion of the course of study in the Primary Section. Students are qualified thereby to enrol in the Secondary Section Part I.

**B. — The Secondary Certificate part I.** It is granted on the completion of the course of study in the Primary Section. Students are qualified thereby to enrol in the Secondary Section Part II.

**C. — The Secondary Certificate Part II.** It is granted on the completion of the fourth and fifth years of the course of study in the Secondary Section. Students are qualified thereby to enrol in one of the Colleges.

**D. — The Higher Certificate.** It is granted on the completion of the course of study in one of the Colleges of the Higher Section. Candidates obtaining this certificate are eligible for appointment to the clerical posts in Al-Azhar University the Religious Institutes, Mohammedan Law Courts, Majlis Hasbis (Tutelage Courts), Ministry of Wakfs (Pious Foundations), or as teachers in mosques, preachers, imams and religious notaries (Maazouns) in charge of marriage and divorce certificates.

**E. — Alimleh Certificate.** It is granted on the completion of the specialisation courses in Teaching, Mohammedan Law and Theology. Candidates obtaining the Teaching Certificate are eligible for appointment as teachers in the Religious Institutes and Government Schools. Candidates obtaining the Mohammedan Law Certificate are eligible for appointment as judges, juriconsults and lawyers in Mohammedan Law Courts and Majlis Hasbis. Candidates obtaining the Theological Certificate are eligible for appointment as preachers.

**F. — Alimleh Certificate with title of Ostaz (Master).** It is granted to those specialising in one of the subject matters. Candidates obtaining this certificate are eligible for appointment as teachers in the Colleges and Specialisation Sections.

## Administration of Al-Azhar.

The Rector of Al-Azhar University is the chief general executive who enforces all laws and regulations pertaining to Al-Azhar and the Religious Institutes. General control of the administration of Al-Azhar is vested in the Supreme Council of Al-Azhar presided over by the Rector in whose absence the Vice-Rector presides.

(b) The Secondary Section of five years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Exegesis, Traditions of the Prophet, Monotheistic Divinity, Recitation of the Holy Koran, Grammar, Morphology, Rhetoric, Prosody and Rhyme, Reading and selections of prose and poetry, Composition, Arabic Literature, Mathematics (Arithmetic, Algebra and Geometry), Science (Physics, Chemistry and Natural History), Logic, History, Geography, Ethics and Civics.

(c) The Higher Section of four years duration is divided into three Colleges :—

(i) The College of Arabic Language comprising the following subjects of study :—

Grammar, Etymology, Morphology, Logic, Rhetoric, Arabic Literature and History, History of the Arabs before Islam, History of Moslem Countries, Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, Composition and Philology.

(ii) The College of Mohammedan Law comprising the following subjects of study :—

Exegesis, Traditions of the Prophet inclusive of the study of Texts, authors and terminology (Mabn, Rigal and Moustalah), Principles of Mohammedan Law, History of Islamic Jurisprudence, Mohammedan Law and the comparative study of rites in regard to fundamental questions and the *raison d'être* of the Law (Ilkmet-el-Tashrie), Arabic Literature, Rhetoric and logic.

(iii) The College of Principles of Religion comprising the following subjects of study :—

Monotheistic Divinity and the elaboration of a polemical system in refutation of current doubts and heresies, Logic and Debate, Philosophy and the criticism of anti-religious conceptions, Ethics, Exegesis, Traditions of the Prophet, Arabic Literature and History, History of Islam, Psychology and Rhetoric.

(d) Specialisation Section.

Specialisation is of two kinds ; specialisation in the profession and specialisation in the subject matter. The object of the former is to train Ulama to be preachers and imams, judges and lawyers in Mohammedan Law Courts and teachers in Government schools and Religious institutions ; while the object of the latter is to train Ulama to be teachers in the Colleges and Specialisation Sections.

There are moreover, Irregular Sections to which students who did not satisfy the conditions of admission to the regular sections, as well as members of the public are admitted in order to pursue a more extensive study of Arabic and Religious subjects.

The subjects prescribed for the examination by that law were :—

The Mohammedan Law (Fikh), Principles of Mohammedan Law (Ossoul), Monotheistic Divinity (Tawhid), Traditions of the Prophet (Hadith), Exegesis (Tafsir), Grammar (Nahw), Morphology (Sarf), Rhetoric (Maani, Bayan and Badie) and Logic. Other sciences as Arithmetic, Algebra, Geometry and Astronomy continued however, to be studied at Al-Azhar.

Several laws and regulations were adopted until the promulgation of Law No. 10 of 1911.

This law is considered one of the most important laws of Al-Azhar in so far as it divided the study into stages, prescribed certain subjects and regulations to each stage and introduced new subjects into the curriculum. The competence of the Rector was specified and a council presided over by him was instituted to supervise the affairs of Al-Azhar.

A body of Grand Ulema was also created with a régime of its own, and a Sheikh was to be nominated for each of the four Rites recognised at Al-Azhar. The law provided also for an administrative council for each of the Religious Institutes.

Al-Azhar continued to be administered in accordance with that law which received fresh modifications in the reign of His Majesty King Fouad I, the most important of which being the institution of a Section of Specialisation.

His Majesty has later graciously ordered the revision of laws and regulations of Al-Azhar with a view to introducing a new régime which will provide the students with a greater share of general culture without being incompatible with the religious and Arabic character of Al-Azhar. Also to fit them for the maintenance of Mohammedan Law and its principles and the propagation of the Arabic Language for the benefit of the people.

The proposed régime also aimed at qualifying the students for the teaching posts in the Religious Institutes and Government Schools as well as for the State religious posts.

His Majesty's orders were duly carried into effect by the promulgation of the Law No. 49 of 1930.

### **Law No. 49 of 1930.**

This law has classified education at Al-Azhar into four stages :—

(a) The primary Section of four years duration and comprising the following subjects of study : Mohammedan Law, Ethics, Psalmody, Recitation of the Holy Koran, Monotheistic Divinity, Life of the Prophet, Reading and Selections of prose and poetry, Composition, Grammar, Morphology, Dictation, Calligraphy, History, Geography, Arithmetic, Practical Geometry, Elements of Science, Hygiene and drawing.

As theology was the principal subject of study at Al-Azhar, it was started on exactly the same lines as were followed in the study of religion and religious sciences by the ulema of old. Lectures were given in circles, the professor was to occupy a middle place among his students and may sometimes take a high seat so that he may be audibly heard by his many hearers.

The system of education at the time was that of dictation, the professor having to dictate to the students whatever subject he may choose.

This system was followed for a time until the writing and compilation of books were widely undertaken and the means for publishing them were comparatively facilitated. The students then began the study of those books and the elucidation of their authors' intentions. Some of those books were compiled from detailed treatises which required no commentaries. Others were in the form of brief synopses comprising a summarised account of the subject treated. These latter ones necessarily required commentaries to which annotations were sometimes appended.

Discussions and arguments between students and professors formed the main method of education and contributed to the mental enlightenment of the students.

This was continued for a long time until new laws and regulations were promulgated bringing this system more into conformity with the modern ideals of education, without in any way, affecting the characteristic stamp of the teachings and traditions of Al-Azhar.

### **Laws of Al-Azhar.**

As already pointed out there was no specific law governing the study at Al-Azhar University. But as the number of students increased and the subjects of study became diversified, the need was felt for the promulgation of laws to regulate the study at Al-Azhar.

The first law of Al-Azhar was introduced by the Late Rector Sheikh Mohammad Al-Abassi Al-Mabdi and was promulgated by Khedivial Decree on the 23rd. of Zilkâde 1288 of the Hejira (3rd. of February 1872 A.D.) in the reign of the Khedive Ismail Pacha.

The most important feature of this law was the institution of the Alimieh Certificate to be granted to candidates passing the requisite examination before a committee of Ulema nominated by the Rector. The successful candidates being awarded first, second or third class according to their order of merit and the certificate issued by High edict duly signed by the Sovereign.

When Al-Azhar was built in the year 359 of the Hijra (970 A.D.), and was completed in the year 361 of the Hijra (972 A.D.), this religious movement passed to it where it grew into a veritable source of Islamic culture and learning. Many imams and ulema of the time pursued their studies at Al-Azhar and contributed to the cause of Islam and the Moslems by widely undertaking the writing of books and teaching so that Al-Azhar was truly rendered the pride of the Moslem World at large and Egypt in particular.

This great University has exhaustively treated the religious sciences and opened up its resources to all and sundry. Nor was the Arabic language neglected. Great attention was paid to the study and elucidation of its hidden treasures.

Al-Azhar continued throughout the centuries to accomplish its mission of education until it gained such wide-world fame that students and ulema from all quarters of the world repaired thereto in quest of knowledge in order to benefit thereby and share in the pride of spreading its culture throughout the world.

Since its foundation, Al-Azhar had unremittingly enjoyed the patronage and favour of the Fatimite Caliphs who gave generous endowments and donations to its ulema and students. They used to visit it in person, to join in the prayers and to acquaint themselves with its conditions, a fact which had a great effect to spur the ardour of ulema and students equally to devote themselves to learning to the exclusion of everything else.

### **Old System of Education.**

The system which was followed by Al-Azhar since it had become a university was an almost natural and easy one. Piety and reverence for the Faith and men of religion constituted its basis. The Sheikh (Rector) of Al-Azhar was the highest authority to whom students and ulema appeal. His word was law and his decision final in whatever differences that may arise. The distribution of endowments and donations and the approval of ulema and teachers were entrusted to him ; and when confronted with an ambiguous question, he sought the advice of the great ulema.

The students were admitted to Al-Azhar voluntarily and unconditionally. Personal inclination and aptitude of the student himself constituted the basis of study. It was left to him to choose his own subject as well as his own professor and remain at Al-Azhar as long as he liked until he deems himself competent enough to lecture to others with effect. After having secured the permission of his professors, he lectures to a circle of students and colleagues and should he fail to impress them, they would cease to attend his lectures, but should they find his arguments to carry conviction, they would continue to attend his lectures and the Rector of Al-Azhar would then approve him as a teacher.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### MOSLEM EDUCATION IN EGYPT.

---

When Amrou Ibn Al-Ass conquered Egypt and built his famous Mosque at Cairo in the year 21 of the Hijra, some of the Prophet's companions and disciples took it up as a religious centre for the propagation of the True Faith and its teachings.

Thus instituted, this religious movement began to flourish and gain renown that it attracted many distinguished men of learning and great imams with the result that the Moslem World was greatly benefited by the valuable and vast heritage of works which they left behind. Famous among these men, were Abdullah Ibn Amrou Ibn-Al-Ass, Abdullah Ibn Leheia and Al-Lai'h Ibn Saad.

Imam Mohamud Ibn Idris Al-Shafie took up a place in the Mosque where he taught his doctrine and many learned Ulema were tutored by him. They were instrumental in recording his opinions and spreading his teachings. His large following included such men as Al-Rabie'h Ibn Solaiman, Al-Mouzany, Al-Boweity and many others.

Teaching continued in full swing for a long time in the old mosque of Amrou and Ahmed Ibn Tuloun's mosque followed later in the same steps.



قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَهُوَ أُنْفُسُ الْإِنسَانِ أَعْلَمُ بِمَا يَصْنَعُ  
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ أَطْلَاقٍ إِلَى التَّوْبَةِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

# بَيْتُ الْأَشْيَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصديدها مكيه الأزهري الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

الجزء الثالث	ربيع الأول سنة ١٣٥٢	المجلد الرابع
مدير إدارة المجلة عبد الغني محمد بك	رئيس التحرير المسيد محمد الخضر	من علماء الأزهر
المستشار بمحكمة الاستئناف ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى		

الإدارة	الاشتراك
شارع محمد مظلوم باشا رقم ٩	داخل القطر المصري ٤٠ ... ..
تليفون : ٨٤٣٣٢	خارج القطر المصري ٥٠ ... ..
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	للعلماء غير المدرسين وأئمة المساجد داخل القطر ٢٠
	والمساعدين ومعلمي المدارس خارج القطر ٣٠
	الأولية والطلاب ... ..

نمن الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٥٢ - ١٩٣٣ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الانصاف الادبى

لا أريد أن أبحث تحت هذا العنوان عن الإنصاف الذى يفسر بالعدل ، ويوصف به من ينتصب للحكم بين المتخاصمين ، فغد سبق لنا أن تعرضنا لهذا الموضوع فى مقال « القضاء العادل فى الاسلام » . كما أنى لا أريد البحث عن الإنصاف الذى هو خلق يحمل صاحبه على أن يعطى الحقوق المادية من نفسه ، كأن يعرف الرجل أن هذا المال أو المتاع حق لفلان ، فيكف يده أو يرفمها عنه ، من تلقاء نفسه ، لا يخشى سطوة حاكم أو لومة لائم ، فللحديث عن الإنصاف الذى هو تبرئة الذمة من الحقوق المادية مقام غير هذا المقام ؛ وإنما الغرض البحث عن ضرب خاص من ضروب الإنصاف ، وهو أن يقول الرجل صوابا ، فتعترف بأنه محق ، أو يحرز خصلة حمد فتقرّبها ولا تنازع من يصفه بها ؛ ولا أجد مانعا من أن أسمى هذا النوع من الإنصاف « الإنصاف الأدبى » ويقابله من الأخلاق المذمومة « العناد » وهو جحود الحق ورده مع العلم بأنه حق .

والإنصاف الأدبى من الخصال التى لا ترسخ إلا فى نفس نبئت فى بيئة صالحة ، وارتضت من ندى التربية الصحيحة لبنا خالصا ؛ والجماعة التى تفقد هذا الخلق تفقد جانباً عظيماً من أسباب السعادة ، ويدخلها الوهن بعد الوهن ، حتى تتفرق أبدى سباً .

وعليك الإنصات وعلينا البيان :

بين الأخلاق روابط ، وكثيرا ما يكون بعضها وليد بعض ، كالعدل قد يكون وليد القناعة ، وكالشجاعة قد تكون وليدة عزة النفس ، وكالجبن قد يكون وليد الطمع ؛ وكذلك خلق العناد وعدم الإذعان للحق قد يكون وليد الحسد ، وقد ينشأ عن طبيعة الغلو في حب الذات ؛ والغلو في حب الذات فرعان : حب الانفراد بالفخر ، وإيثار النفس على كل شيء حتى الحق ، فالحاسد أو الحريص على حب الانفراد بالفخر هو الذي يسمع الرجل يقول صوابا ، فيقول له : أخطأت ، أو يسمع الثناء عليه ببعض ما أحرز من خصال ، فيقول للمثنى عليه : كذبت ؛ وإيثار النفس على الحق هو الذي يحمل الرجل على التعصب لرأيه والدفاع عنه وهو يعلم أنه في خطأ مبين .

فمن أراد أن يطبع ناشئا على خالق الانصاف نقب على عاتق الحسد والغلو في حب الذات ، فإن وجد لهما في نفس الناشئ أثرًا ، رآه بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى ينهيا الناشئ . لأن يكون على هذا الخلق العظيم ، أعنى خالق الانصاف .

وإذا كان منشأ الحسد فلة ملاحظة أن النعمة تصل الى صاحبها من علام الغيوب ، وهو لا يرسلها إلا بالحكمة ، فإن من وسائل علاج هذا الداء تلقين الناشئ أن النعم مادية أو أدبية إنما ينالها الناس بمشيئة العليم الحكيم ؛ وإذا كان منشأ الحرص على الانفراد بالفخر هو الغلو في حب الذات ، كان على المربي تهذيب عاطفة حب الذات في نفس الناشئ حتى تكون عاطفة معتدلة : تجلب له الخير ، وتأبى له أن ينال غيره بمكرهه .

وإذا شئ الناشئ من مرض الحسد ، وخلص من لؤة الغلو في حب الذات ، لم يبق بينه وبين فضيلة الانصاف إلا أن تعرض عليه شيئا من آثارها الطيبة ، وتذكره بما يدرك المتجربون منها أو المستخفين بها من خسار وهوان .

وقلة الانصاف تبعد ما بين الأقارب أو الأصدقاء ؛ وكم من نجاف نشأ بين أخوين أو صديقين ، وإنما نشأ من جحود أحدهما بعض ما يتحلى به الآخر من فضل ،

أو من رده عليه رأياً أو رواية وهو يعلم أنه مريب فيما رأى أو صادق فيما روى ، قال  
الحكيم العربي :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطمة بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم

ومتى شعر الرجل من آخر يا إنكار شيء من فضله ، أو بتعسف في معارضة رأيه ،  
راه غير موضع للصحة والمعاشرة ؛ وربما وقع في ظنه أن الراحة في عدم لقائه .

قلة الإنصاف تجرّ الى التقاطع ، والإنصاف يدعو الى الألفة ، ويؤكد صلة  
الصداقة ؛ فإذا كنت في مجلس ، فقرر الرجل رأياً واضح الحجّة ، فغلبك ما في نفسك  
وحاولت أن تصوّره للناس خطأ ، فقد ألقيت بينك وبينه عداوة ، فإن خضعت لحجته  
وأعربت له عن استحسان رأيه ، فقد مددت بينك وبينه سبباً من أسباب الألفة ،  
إذ يشعر من إنصافك أنك لا تحمل له ضغناً ، ولا تكرده له أن ينال حمداً ، فإن سبق  
هذا الإنصاف خصومة ، شعر بأنك خصم شريف ، فيسعى لأن تنقّب الخصومة  
سلماً ، ويتبدل المقاطع ولاه .

وقلة الإنصاف تسقط احترامك من العيون ، فإن من يراك تهاجم الآراء المؤيدة  
بالحجة ، قد يحمل هذا الهجوم على قصر نظرك وعجزك عن تمييز الباطل من الحق ، فإن  
حملة على أنك تهاجمها كراهة أن تكسب صاحبها حمداً ، وقع في نفسه أنك تمنى  
لغيرك زوال النعمة ، أو أنك حريص على الانفراد بمخصال الحمد ، فإن ذهب في تأويل  
إيائتك لقبول الحق الى أنك نموّه على الناس حتى لا ينسبوا اليك تقيصة الخطأ ، علم  
ما لم يكن يعلم من إيثارك النفس على الحق ؛ ولا احترام لمن لا يدرك الآراء المؤيدة  
بالحجة ، أو من يتألم من أن يرى غيره في ذمة ، أو من يعمل للانفراد بالحمد من طريق  
التعسف والعناد ، أو من يدافع عن نفسه نقص الخطأ بمحاولة قتل الحق .

قوله الانصاف تسقط احترامك من القلوب ؛ والانصاف يزيد احترامك في القلوب مكانة ، ذلك لأن انصافك للرجال يدل على صفاء سريرتك وتقائها من أن تكون قد حملت شيئاً من دنس الحسد ، أو حام بها الغلو في حب الذات .

نقرأ في كتب الأدب أن منذر بن سعيد البلوطي دخل مصر ، وحضر مجلس أبي جعفر النحاس وهو يلى أخبار الشعراء ، فأنشد أبو جعفر أبيات مجنون ليلي هكذا :

خليلى هل بالشام عين حزينه      تُبكي على نجد اعلى أعينها  
قد اسلمها البياكون إلا حمامة      مطوقة باتت وبات قرينها  
تجاوبها أخرى على خيزرانة      يكاد يدنيها من الأرض لينها

فأراد منذر أن ينبهه على أن قراءة « باتت وبات » من عجز البيت الثاني بالتاء، للمثناء خطأ ، فقال : يا أبا جعفر ماذا أعزك الله باتا يصنعان ؟ فقال أبو جعفر : كيف تقول أنت يا أندلسي ؟ قال منذر : « باتت وبات قرينها »

كيف يكون مقام أبي جعفر في نفسك لو قص عليك التاريخ أنه تلقى تصحيح منذر بن سعيد بالارتياح ، وقال له : أنا أخطأت وأنت أصبت . لا شك أنك تحمل له من الاحترام فوق ما كنت تحمل ، ولكن منذر بن سعيد يقول : إن ابن النحاس سكت وما زال يستثقلني ، ثم عاد بعد حين الى ما كنت أعرفه منه ، يعنى من الإقبال والحقاوة .

وقلة الانصاف تحول بين الرجل وبين أن يزداد علماً ، فمن لم تنصفه من أهل العلم ، وجد في نفسه مثبطاً عن أن يسرع الى إفادتك ، أو يفيض القول في مذاكرتك ، فيفوتك حظ من العلم لو لا عدم انصافك لازددت به قوة في الفهم وسعة في العلم ؛ وقد يكون من أثر جحودك لفضل الرجل أن تقل رغبتك في ملاقاته والتزود من آرائه أو رواياته ؛ وكم وصل الرجل بانصافه الى علم وأدب جم ، قال أبو إسحاق الزجاج : لما قدم المبرد بغداد أتته لأنظره ، وكنت أقرأ على أبي العباس ثعالب ، وأميل الى قول

السكوفيين، فعزمت على إعانت المبرد، فلما فاتمخني ألقىني بالحجة، وطالبني بالعلة، وأزمنى لإزامات لم أهتمد إليها، فتبينت فضله، واسترجعت عقله، وجددت في ملازمته.

فلو كان أبو اسحاق من أولئك الذين يجمع بهم التعصب للأشباع أو للمذهب حتى يندبوا الانصاف ناحية، لما اعترف بفضل المبرد وقد فاتمخه بالمناظرة عازما على إعنائه، ولقائه العلم الذي غنمه بالجد في ملازمته.

وقلة الانصاف تُحدث في العلم فسادا كبيرا، ذلك لأن من لا يقدر الانصاف قدره، قد يرى بعض الآراء العلمية الصحيحة قد صدرت من شخص لا يرتاح هو لأن تكون قد صدرت منه، فيقابلها بالرد والإنكار؛ وقد تكون له براعة بيان، فيصرفها في تشويه وجه الحق وهو يعلم أنه حق، فيظهر الجهل على العلم ولو في فئة قليلة أو دائرة صغيرة.

قلة الانصاف تخذل العلم، وتطمس شيئا من معالمه؛ والانصاف يؤيد العلم، ويعمل موارده صافية سائغة؛ ولو أخذ الانصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقلّت مسائل الخلاف في كل علم، فيكون حفظ العلوم أيسر، ومدة دراستها والرسوخ فيها أقصر.

نقرأ في تاريخ الامة محمد بن عبد السلام أن ابن الصباغ اعترض عليه في أربع عشرة مسألة، فلم يدافع عن واحدة منها، بل أقر بالخطأ في جميعها.

ومن النواحي التي غفل فيها بعض الناس عن فضيلة الانصاف، فكانت منبت فساد غير قليل، ناحية التعصب للمذهب تعصب من لا يسمع ولا يرى؛ ولصاحب المذهب أو المقتدى به أن يبسط القول في تقرير أصوله وإيراد حججه، وله أن يناقش أقوال مخالفيه وأدلتهم، فيردها، ويصفها بالخطأ إذا شاء، ومن الانصاف أن يناقشها استنباطا للاحق، ولا يصفها بالخطأ إلا بعد أن تأذن له الحجة في وصفها؛ والعالم الذي

يطول نظره في أقوال لائمة، يشهدهم كيف يرمون الى غرض واحد هو الحكم المطابق للحق، فيمتلئ قلبه باحترامهم، ويقف في حدود الانصاف عند درسه لمسألة من المسائل التي جرى فيها اختلافهم، قال الامام الشافعي: الظرف في الوقوف عند الحق كما وقف.

لا يصعب على النفوس التي فيها بقية من خير أن تنصف الرجل ببتكر رأيا، أو ينهض لعمل، فتعترف لرأيه بالإصابة، أو لعمله بالإجادة، والانصاف الذي قد تجمع عنه نفسك كثيرا أو قليلا، أن تقول قولاً نظنه صواباً، أو تعمل عملاً تحسبه حسناً، فينقده آخر بميزان العلم الصحيح، ويريك أنك قد قلت خطأ، أو عملت سيئاً، في مثل هذا المقام قد تجدد في نفسك كراهة للاعتراف بالخطأ في القول أو الإساءة في العمل؛ فإن كنت على ذكر من فضيلة الانصاف وما تؤتيه من ثمار طيبة، لم تلبث أن تكظم هذه الكراهة، ولا تجدد في نفسك حرجاً من أن تقول للناس: إني قد أخطأت في قولي، أو أسأت في عملي. وتاريخ علماء الاسلام مملوء بقصص الذين رجعوا عن آرائهم بعد محاورات أو مناظرات ظهر لهم منها أن الحق في جانب من دارت بينهم وبينه لمحاورة أو المناظرة. ومما يروى في هذا الصدد أن مناظرة جرت بين الامامين: مالك بن أنس، وأبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة في مقدار الصاع الذي تؤدي به زكاة الفطر، فقال مالك: هو خمسة أرطال وثلث، وكان أبو يوسف يذهب الى أنها ثمانية أرطال، فاحتج عليه مالك بالصيغان الموجودتان لذلك العهد عند أبناء المهاجرين والانصار بالمدينة، فرجع الامام أبو يوسف الى ما قاله الامام مالك.

لا يصعب على الرجل أن ينصف قريباً أو صديقاً، بل لا يصعب عليه أن ينصف من لا تربطه به قرابة أو صداقة، ولا تبعده منه عداوة، والانصاف الذي قد يحتاج فيه الى مراوغة النفس كثيراً أو قليلاً، أن يبدي بعض أعدائه رأياً سيئاً، أو يناقشه في رأى مناقشة صائبة، فهذا موطن تذكير النفس بأدب الانصاف، وإنذارها ما يترتب على العناد من إثم وفساد.



ومن الإنصاف الذي يدل على الرسوخ في الفضيلة أن يتحدث الرجل عن خصمه فينسب إليه ما يعرفه له من فضل ، أنشد في مجلس الامام علي بن أبي طالب قول الشاعر :

ففي كان يدينه النني من صديقه إذا ما هو استغنى ويومهده الفقير  
كان الثريا عاقت بجيئته وفي خده الشعري وفي الآخر البدر  
فلما سمعها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : هذا طاحنة بن عبيد الله ، وكان السيف ليلتذ بحردا بينهما .

يسهل على الرجل أن ينصف من هو أكبر سنا منه ، أكثر مما يسهل عليه أن أن ينصف قريبه ، ذلك لأن أكبر عائق عن الإنصاف التجاسد ، وحسد الانسان لأقرانه أكبر وأشد من حسده للمتقدمين عليه في السن . ويسهل عليه أن ينصف أقرانه أكثر مما يسهل عليه أن ينصف من هو أحدث سنا منه ، إذ يسبق الى ظنه أن ظهور مزبة لمن هو أحدث عهدا منه ، قد تفضي الى أن يكون ذكره أرفع ، وفضل القرن على بعض أقرانه شائع أكثر من فضل المتأخر على المتقدم ، وشيوع الشيء يجعله أهون على النفس مما هو أقل شيوعا منه .

فينبغي للانسان أن يتيقظ للأحوال التي قد تقوى فيها داعية العناد ، ويُعدّ للوقوف عند حدود الإنصاف ومقاومة تلك الداعية ما استطاع من قوة .

ويقص علينا التاريخ أن في الأسانذة من يحرص على أن يرتقي تلاميذه في العلم الى الذروة ، ولا يجد في نفسه حرجا من أن يظهر عليه أحدهم في بحث أو محاوره . يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه ، ويمرزه في أحسن صورة ، ويروي أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب

مع أستاذه أبي زيد بن الامام الكلام في مسألة ، وطال البحث اعتراضا وجوابا حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد ، فاعترف له الأستاذ بالاصابة ، وأنشد مداعبا :  
أعلمه الزمالة كل يوم فلما اشتد ساعده رمائي

ومن نظر بروية الى أن فضل العلم من جهة أنه وسيلة الى إصلاح العمل وإسعاد البشر ، وكان مع هذا النظر ناصحا لا ممتة ، وقف عند حد الانصاف ، ولم ينحرف عنه إجابة لداعي الحسد ، أو انسياقا مع حب العلو في الأرض ولو بتغير حق .

أخذ رجال بأدب الاسلام فرسخوا في فضيلة الانصاف على قدر صفاء سرائرهم واحترامهم لأصول الدين وأحكامه ، وقد مثل الصحابة رضى الله عنهم الانصاف في أكل صورة ؛ بدأ لعمر بن الخطاب مرة أن يضع للمهور حدا ، فخطب قائلا : « لا تريدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، فمن زاد أثقت زيادته في بيت المال ، فقامت امرأة من صف النساء ، فقالت : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول : ( وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ) فقال عمر : « امرأة أصابت ورجل أخطأ » ولو كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أولئك الذين يألمون من أن ينسب إليهم نقص أكثر من ألمهم لتحريف آية عن موضعها ، أو استبدال خاطر بشرى بحكم الإلهي ، لما عدم وجهها من أمثال تلك الوجوه التي يصورها المخادعون أو ضعفاء الايمان تمصبا لأرائهم المخالفة للقرآن .

اختلف ابن عباس وزيد بن حارثة رضى الله عنهما في مسألة من باب الخيض ، فقرر ابن عباس حكما ، وظالفه زيد فرأى فيها رأيا آخر ، فقال له ابن عباس : سل نسياتك : أم سليمان وصريحياتها ، فذهب زيد فسألهن ، ثم جاء وهو يضحك فقال لابن عباس : القول ما قلت . وموضع العبرة من هذه القصة أن زيدا تمسك برأيه في مخالفة ابن عباس

حتى استبان له أن الحق مع ابن عباس ، فلم يجد في نفسه حرجاً من أن يرجع إليه ضاحكاً ، ويقول له : القول ما قات .

ويروى أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تكلم في مسألة ، فقال له أحد الحاضرين : ليس الأمر كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكنه كذا وكذا ، فقال علي : أصبت وأخطأت ، وفوق كل ذي علم عليم . وعشاق الأخلاق الكريمة يُجَلِّون الإمام علياً لهذا الإنصاف إجلالهم له عندما يفتي فيصيب الحق ، أو يعط فينطق بالحكمة .

وقد اقتدى بالصحابة في هذا الخلق الكريم من جاء بعدهم من كبار العلماء ، وهذا الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : « ما ناظرت أحداً على الغلبة ، ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه » .

والراسخون في فضيلة الإنصاف لا يبالون أن يكون رجوعهم عن الخطأ أمام من خالفهم وحده ، أو بمحضر جمع كبير لم يشعروا بالخلاف ، ولا بخطأ المخطئ أو إصابة المصيب . وها هو ذا التاريخ يحدثنا عن رجال من علماء الاسلام بلغوا هذه الغاية من الإنصاف ، قال عبد الرحمن بن مهدي : ذا كرت القاضي عبيد الله بن الحسين في حديث وهو يومئذ قاض ، فخالفني فيه ، فدخلت عليه بعد وعنده الناس سمطين<sup>(١)</sup> ، فقال لي : ذلك الحديث كما قلت أنت ، وأرجع أنا صاغرا . فعبيد الله بن الحسين قد أحسن إلى نفسه إذ أخذها بفضيلة الإنصاف ، وأحسن إلى الناس إذ علمهم كيف يعترفون بالخطأ إذا أخطأوا ، ولا يتلبثون في الرجوع إلى الحق ولو عظمت مناصبهم وعلت أقدارهم .

العناد قبيح ، ويشتهد هذا القبح بمقدار ظهور الحجة على الرأي الذي تحاول رده على صاحبه ، فتي كانت الحجة أظهر كان العناد أقبح ؛ والإنصاف جميل ، ويكون جماله أوضح وأجلى حيث يكون في حجة الرأي الصائب شيء من الخفاء ، وحيث يمكنك أن تحيز لرأيك وتسيء كثيراً من الأذهان لقبوله .

(١) سمط القوم صنم ، يقال قام القوم حوله سمطين أي صفين .

وقد ينقل التاريخ شذرات من حوادث المنصفين لمن خالفهم في أمر، أو المعترفين لبعض خصومهم بفضيلة، فتهتز في نفوس قرائها عاطفة احترام لمن أقر بالخطأ أو اعترف لخصمه بخصلة حمد، وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه في الرأي فأصاب، وربما كان إكبارهم لمن شهد لخصمه بمكرمة فوق إكبارهم للشخص المشهود له بتلك المكرمة؛ وسبب هذا الإكبار عظمة خصلة الانصاف، وعزة من يأخذ نفسه بها في كل حال؛ قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الانصاف.

وإذا لم ينصفك الرجل، فرد عليك الحق بالشمال واليمين، أو جحد جانباً من فضلك وهو يراه رأي العين، فلا تكن قلة إنصافه حاملة لك على أن تقابله بالعناد، فتزد عليه حقاً، أو تجحد له فضلاً؛ واحترس من أن تسري لك من خصومك عدوى هذا الخلق المموت، فيلج في نفسك، وينشط له لسانك أو قلمك وأنت تحسبه من محاربة المخصوص بمنزل سلاحهم. كلا، لا يحارب الرجل خصومه المبطلين بمثل الاعتصام بالفضيلة، ولا سيما فضيلة كفضيلة الانصاف تدل على نفس مطمئنة ونظر في العواقب بعيد ومن وجد في خصمه فضائل، حصر محاربتة في الأمر الذي هو منشأ الخصومة، وترك تلك الفضائل قارة في مكانها، بادية لمن أراد أن يقتدى بها.

وإذا كان الانصاف فضيلة ترتفع بها أقدار الرجال، وتتسع بها دوائر العلوم، وتصفو بها موارد الآداب، ويشتد بها حبيل الاتحاد، وينتظم بها شأن الاجتماع، كان من واجب أولياء الأطفال وأساتذة الأخلاق ودعاة الإصلاح أن يجعلوا له من تربيتهم وتعليمهم ودعوتهم نصيباً يكفي لأن نرى أنديتنا ومؤلفاتنا وصحفنا نقية من إنكار الحق، بريئة من جحود الفضل.

محمد الخضر حسين

# النفس

## سورة النور

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَمِ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَابُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ) .

لقد وصف لنا جل شأنه نور الله في ثلاثه وصفائه ، وكيف يشرق على قلوب المؤمنين فيمهلون على طاعته ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكره ، وكيف تغلق دونه قلوب طمس عليها ففرقت في ظلمات متراكمة ، وشملتها العماية حتى لا ترى شيئاً ما مهما كان منها قريباً ، فكان جديراً أن يردف ذلك بالثمرة المقصودة من تجلي النور على القلوب ، لتقارن بحال من حرم منه ، فتبتهج النفوس بالنعمة ، وتسارع الى التقاطها ، وتحمد الله على التوفيق

بها ، وتزداد بها تمسكا . وساق ذلك على وجه يبرزه في صورة المحسوس المرئي إيذانا بوضوحه أمام عين البصيرة كما تنضح المرئيات أمام العين الباصرة ، فقال جل شأنه : « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض » . وأصل الرؤية الإبصار بالعين ، وتستعمل كثيرا في العلم بالبصيرة وهو المراد هنا ، أى ألم تعلم . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد ما يعمه ويعلم أمته ؛ أو الخطاب لكل من يتأق من الرؤية . والاستفهام هنا للتقرير ، ويستعمل في الإخبار بالشيء الذى يبلغ من الوضوح حالة يستغنى عن الإخبار به ، بل يكفى تنبيه المخاطب اليه فيقرّبه من نفسه ، كقوله تعالى : ( ألم يحمدك بما فاوى ) لأنه عليه السلام كان يعلم ذلك من نفسه . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يسبح له الخ » فيه دلالة على وضوح ذلك الأمر الى حد أنه يرى ويعلم علما واضحا ، ودلالة على أن هذا الوضوح وهذا العلم أمر يمجده كل ذى قلب أشرق عليه النور الإلهي ، وانتفع بالمواهب التى أنعم الله بها عليه من عقل يميز وآيات بيّنة . والتسبيح : التنزيه عما لا يليق .

والمعنى أنها تعترف بتنزيهه وتقديسه ، وتشهد بذلك بلسان حالها وبما أودع فيها من آيات الإبداع الدالة على كمال منشأها وعظيم قدرته وواسع علمه وباهر حكمتها ، فإنك إذا تأملت في هذه الأنواع المتباينة وما أودع في خلقها كل منها مما يحتاج اليه في حياته وجدتها جميعها ناطقة بأفصح بيان بتنزيه مبدعها ، شاهدة بأصدق لسان بتعجيبه وتقديسه .

انظر الى الحيوانات الصغيرة الضعيفة وما ركب فيها من قوى تعينها على تحصيل رزقها والدفاع عن أنفسها ، تجد العجب العجائب . انظر الى النحل وما ألهمت ، والى النمل وما منحت ، والى الوحوش وما أعطيت ، والى البهائم وما ركب فيها من قوى ، تجد ما لا يقف عند حد من دلائل القدرة وآثار الحكمة . انظر الى الانسان وكيف خلق ، وتأمل فى أى ناحية من نواحيه شئت ، وفى أى عضو من أعضائه أو أى جهاز من أجهزة بدنه ، وأطل البحث والتأمل ، فإنك كلما ازددت نظرا أو تأملا ازددت علما و يقينا بهذا المعنى . إنك إذا تأملت فى الجهاز التنفسى للحيوان ، أو الدورة الدموية وما تغذى به

الأعضاء آناً فآناً، أو للعصب وما يوصل، أو لأعصاب الحركة وكيف طاعتها، أو لعدد المفردة وثمراتها، فإنك سيتجلى لك في كل خطوة تخطوها نور تشهده يُنطق لسانك بالتسبيح والتمجيد، فكل من في السموات والأرض، وكل ما في السموات والأرض وما بينهما من الطير صافات في الفضاء ناطقة بأجلى بيان، شاهدة بتسبيح الملك الديان، جل شأنه ولا إله غيره. أمر يتن، ولسان فصيح، يحده كل من فتح عين بصيرته ونظر الى عجيب صنع الله.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

من هذا ترى الكلام قد انتقل بالطف أسلوب وأرق مسلك الى تقرير أدلة الربوبية، ولفت النظر الى آيات العظمة الإلهية والحكمة الصمدانية، وجعل ذلك نتيجة لازمة وثمرة مترتبة على ما سبق من تفصيل أحوال العالمين، الى مستنير مبصر، والى أعشى حائر في بحر من الظلمات. وكأز سروق الأدلة على هذا الوجه، ليفيد أنهم كونهما من الوجود بهذه المثابة فقد عمى عنها فريق، فقبل عمام عنها إلا لا تطاس أبصارهم وبصائرهم، ولا نفاسهم في الظلمات فهم فيها يعمهون:

وترى بهذا أن التسبيح معناه الشهادة بلسان حالها بتعزبه مبدعها. وبعضهم يرى أن التسبيح لا يبعد أن يكون باللسان، ويقول: لا يبعد أن يخاق الله لكل ما في الأرض من حيوان وللطير السنة توحده صانعها وتسبح له باغة تفهمها وإن لم تفهمها عنها. ولكن الآية في غنى عن هذا، كيف ولسان الحال أقصر من لسان المقال. وانفط «من» وإن اختص بالعلاء قباب التغايب واسع، أي أننا أطلقناه على الجميع تغليباً للعلاء على غيرهم؛ أو أنه لما أسند اليهم ما شأنه أن يسند الى العلاء، عبّر عن الجميع بمن المختصة بالعلاء. وعطف الطير على من في السموات والأرض للتنصيص على عموم من يسكنها، ولا فائدة الشمول للجميع، حتى من يكون بينهما، فضلاً عما في الطير في هذه الحالة وهي استقرارها

في الفضاء صافئة أجنحتها لا تحركها لتتوج الهواء من تحنها ليتقوى على حملها من الدلالة العظمى على عظيم قدرة الصانع ، فإنها تنطق بالألسنة بمجيدته وتزبيته ، فإن معنى صافات : باسطات أجنحتها لا تحركها .

وقوله تعالى : « كل قد علم صلاته وتسبيحه » معناه أن كل فريق من هؤلاء قد علم الله صلاته وتسبيحه . وقوله : « والله عليم بما يفعلون » تقرير لذلك وتثبيت له ، أي قد علم الله من كل فريق ما وجهه إليه من الاتيها والاستعانة به والتوجه إليه والاعتماد عليه في تحصيل ما يبتغى . فالصلاة معناها طالب المعونة منه والابجا في تحصيل المقاصد إليه ، وهو أمر يشعر به بفطرته كل من حاول تحصيل مقصد وهو فيه بين أن ينال وأن لا ينال ، فيصرف جهده في إحرازه وهو بين الرجاء والخوف وبين الشك واليقين ، فتدفعه غريزته الى الابجا الى من وهبه بقواه وأمده بمدده ، فكأنه يستنصره ويستمد منه مزيد القوة ، ويابجا إليه فيما تعاضى عليه ، والله عليم بما يكون منه من هذا الإلتجاء والاستعانة ، فقد علم صلاته كما علم تسبيحه ، فانه عليم بكل ما يفعلون .

ويحوز أن يكون المعنى : كل فريق من هؤلاء قد علم بما يكون منه من صلاة هي مختصة به وتسبيح صادر منه وإن لم يستطع شرحه والتعبير عنه ، شعور النفس شيء والتعبير عنه وشرحه شيء آخر ، وعلى هذا التقرير يكون محصل معنى الآية الكريمة واتصالها بما قبلها هكذا : قد تبين لكم النور الإلهي وأثره في نفوس من اهتدى به ، وظهر أن هناك نفوسا عمت عنه فلم تنتفع به مع عظيم تألفه وصفائه ، فكانوا في ظلمات بعضها فوق بعض ، وإن مما يقرر هذا ما ترون من آيات ناطقة بأوضح دلالة بتسبيح الخالق وهي منبثة في كل ما في السموات والأرض ، لا تحتاج إلا الى من يفتح عينيه ليبصرها ومع ذلك فقد عمى أولئك المخذولون عن رؤيتهم ، ألم تنظر الى نفسك وما منحت من إحكام في التركيب وإتقان في الخلق ، ألم تر الى ما يحيط بك ويلابسك ويقع عليه نظرك وقد منح كل منها ما هو محتاج اليه في حياته ، ألم تر الى تركيب الأعضاء ، ألم تر الى تنويع القوى ،



ألم تر ألم تر، مما لا يكاد يحصى ؟ أليس هذا كله ناطقاً بتسبيح الله وتمجيده ؟ : أليس من وهب كل هذا وكونه عالماً بما يصدر عنه ، قد علم الله من كل تمجيده وتعظيمه ، وقد عرف كل ما هو منوط به من تمجيد وتعظيم ، والله عليم بما يفعلون .

وقوله تعالى : « ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير » معناه أنه وحده هو الواهب لكل القوى المنبثقة في هذه الكائنات ، فكل شيء منه ومستند إلى هيبته ومنحته ، وليس لممكن من الممكنات أثر بنفسه في شيء من هذه الكائنات ، كيف وهو بذاته وصفاته هبة من الحق جل وعلا ، لا قدرة له على تكوين نفسه ولا تكوين شيء فيها ولا أن يهبها ما لم يهبها الله ، فهو المالك لكل شيء ، فله ملك السموات والأرض ، وهو المنتهى والمرجع ، فالكل مبتدأ منه وصائر إليه ، والصيرورة إليه إما بالبعث وهو ظاهر ؛ وإما على معنى أن ما يظهر على يد بعض المخلوقات من آثار تنسب إليها فهي في الآخر مرجعها إليه ، أو لا قوة لها من ذاتها . ولا يخفى أن منزلة قوله ولله ملك السموات والأرض مما قبله منزلة النتيجة من الدليل ، ومنزلة الثمرة من الشجرة .

وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يرحم الجاحدين » يؤلف بينه ثم يجعله ركناً تقرير لدليل ثان من أدلة العظمة الإلهية والآثار الربانية ، وهو ما يجري أمام أعيننا ، وننظر إليه وننتظر نفعه أو نستدفع ضرره .

ومعنى يرحم : يسوق رويدا رويدا ، ومنه بضاعة مزجاة متداولة تساق على يد الكثير من الناس ليس من الطرف التي تمتن بها . وإزجاء السحاب معناه سوق بعض قطعه إلى بعض . والسحاب معروف ، وهو اسم جنس جمعي لسحابة كشجر وشجرة . والتأليف : الضم مع مراعاة الألفة والتناسب . والركام : التراكم بعضها فوق بعض . والودق . المطر أو القطر ، وقيل : البرق . وخلال : جمع خلل كجبل وجبال ، أي الشقوق التي تكون بين أجزائه . وقوله : وينزل من السماء ، أي من جهة العلو ، أو من السحاب ،

لأنه يسمى سماء أيضا علوه . وقوله « من جبال فيها من برد » إما أن تجعل من الأولى ابتدائية ويكون بدلا من قوله من السماء ، والمعنى : ينزل من السماء من الجبال التي فيها بعض برد ، وتكون من الثانية تبعيضية ؛ أو تكون من الأولى تبعيضية ومن الثانية زائدة أو تبعيضية ، ويكون قوله فيها من برد جملة من مبتدأ وخبر صفة لجبال ، أي ينزل من السماء بعض جبال فيها برد أو بعض برد ، والمراد بالجبال على كل حال القطع العظيمة الكبيرة ، فعلى الأول ، المراد ما يتراءى للناظر من السحاب المتراكم المشبه للجبال المترصة ، وعلى الثاني ، ما ينزل من كتل كبيرة فيها برد ، أو ما يتكون على الأرض من تاج وبرد حتى يكون كالجبال .

هذا وإن منظر السحاب في تراكمه ثم نزوله مطرا أو ثلجا أو بردا مما يوقظ النفوس الغافلة ويفتحها مهما تحجرت إلى عظمة المهيمن على العالم .

وقوله تعالى : « فيصيب به من إ شاء ويصرفه عن إ شاء » فيه توجيه النظر إلى ناحية أخرى من نواحي دلالة السحاب والظواهر الجوية على عظمة الصانع ، فبعد أن استرعى النظر إلى تكوينه ونزوله ، وجهه إلى توزيعه وتصرفه حسب حكمته . وإن من عاثر الأقوام الذين تربط حياتهم بالأمطار ويلقون على نزولها عليهم أو صرفها عنهم الآمال الكبار وهم الكثير في الناس ، يفهم حق الفهم سر توجيه النظر إلى توزيعه بعد ما وجهه إلى تكوينه ؛ فرب منتظر له فاته وهو في أشد الحاجة إليه ؛ ورب خائف منه صادفه وهو على أشد الوجع منه ؛ وربما جاء كلا منهما ما يؤمله ، وعلى كل حال لا يسمع أحدا منهم إلا التوجه إلى القادر الناهر ، إما بالشكر أو باستدفاع الضر ، فقد علم كل أن لا حيلة له في جلبه ولا في دفعه .

وقوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالآبصار » توجيه إلى ناحية أخرى من نواحي الدلالة في هذه الظاهرة الجوية القوية ، فإنك إذا تأملت فيه وجدته لم يخرج عن أنه ذرات بخارية تكونت بتراكها بعضها إلى بعض ، وأقوى عدة فيها هو الماء ، فن أين

للماء أن يولد ذلك الشرر العظيم والضوء القوي الذي يكاد يخطف الأبصار، وكيف والماء ضد النار يتولد الشيء من ضده . سياجاً قائل الى التعليل بأن في تلك السحب المتقطعة التي يدخل بعضها في بعض تيارات كهربائية، فإذا تجذب بعضها الى بعض وكان بعضها سالبا وبعضها موجبا عمات هذا العمل . ونقول : فإيكن كل هذا صحيحا، فمن ذا الذي أودع فيها كل ذلك ؟ وهل نقول : إن الدال على عظمة الخالق أمر لا يستند الى ناموس ثابت ؟ إنما نقول : إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وقوله تعالى : « يقرب الله الليل والنهار » هو أخذ بالذهن من شهود أثر عظيم الى شهود أثر عظيم حتى يشهد عظمة الخالق بشهود عظمة المخلوق، فيقول : سبحانه ما خلقت هذا عبثا . وكأن إنيانه عقبه ليرشد التأمل الى أن أمر السحاب وإن أخذ منك ذلك المأخذ لأنه ليس مما يتكرر وقوعه ، فإن بين يدك ما هو أعظم وإن كنت ذهلت عن التأمل فيه لسكثرة تكرره ، وذلك هو تقليب الليل والنهار ، يعاقب كل منهما صاحبه ويأكل كل منهما من أخيه بالزيادة والنقصان ، وتتقلب الأحوال فيهما من حر وبرد وغيرهما ، هذه كلها أدلة على تمجيد الله ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . وكأن التعبير بالأبصار ، لأن ما سبق من الأدلة هو بمنزلة المحسوس الذي يدركه من له عينان ، وليس من الأمور العويصة التي تحتاج الى تأمل ودقة نظر، وليراج قوله في أول الدليل : ألم تر ، بدل ألم تعلم ، ولأن أكثر ما سبق هنا أمور بصرية . ويجوز أن يكون المراد بالأبصار البصائر ، ويكون بينها وبين الأبصار في قوله يذهب بالأبصار جناس تام ، وكل من المعنيين صحيح ، واسكن الأول أدق وأبلغ . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ابراهيم الجبالي

## ربيع الأول

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد كان لهذا الشهر المبارك ربيع الأول في أدوار حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم حظ لم يشاركه فيه غيره من الشهور ، ففيه أشرق نور جبينه صلى الله عليه وسلم على هذا الوجود ، وفيه أشرق نور الوحي على نفسه الشريفة ، وفيه أشرق نور العزة والنصر عليه وعلى أمته بالهجرة ، وفيه تشرفت روحه الكريمة بالصعود الى الدرجات العلى وبمجاورة الرفيق الأعلى . وسنتكلم من بين هذه الأدوار على المقصد الأعلى وهو البعثة الشريفة :

لقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » .

ولقد كان في هذا الاختيار الحكمة البالغة ، فقد جاء هذا الشعب العربي ، أكل الشعوب رجولة ، وأمتها أخلاقا ، وأصدقها عزيمة ، وأقواها شكيمة ، جاء سليما من داء الترف الذي يأكل الأثم أكلا ، ويذيب أخلاقها ويحل عزائمها ويقل غربها ، جاء شعبا بدويا لم تعرف نفسه الخضوع غير ما تعتقده الصواب ، ولم تتعود الخنوع لإحراز أى غرض من الأغراض ، قنعت نفسه من نعيم العيش بما يسك الرمق ، ولم ترض من عزة النفس والإباء والشمم إلا بالمنزلة العليا ، وترنمت بذلك في أشعارها ، واستفاض في وصاياها

وتوارد ذكره في مفاخرها، حتى تأصلت فيها الأخلاق المتينة والسجايا العالية، يشب عليها أبنائهم ويلقنها الوليد في المهد، وتبرز في الحوادث الجسام، وتنجلي في أوقات الخطر ولا تنس في الساعة الرهيبة ساعة انفصال الحياة من الموت والموت من الحياة، فكانهم ما جعلوا حياتهم إلا لحماية الدمار، وإكرام الجوار، والوفاء بالعهد، والصدق في النجدة والاستماتة دون تنفيذ ما يريدون من هذه الفضائل. وما كان القتل والنهب وأمثالها مرهوبا من جانبهم رهبتهم من أن ينسب لأحدهم عار أو تلحقه مذمة، فكم من حروب دامت عشرات السنين وأُفنت عشرات الألوف وليس لها من سبب سوى أن أحدهم خفرت ذمته في شيء، نأفه لا يريد عن قرى ضيف طارق وينصرف من غداته.

شعب صميم هذا شأنه وهذه سجاياء، هو الجدير بأن يعهد اليه بمهمة كبرى تغير وجه البسيطة، ويبطش بالبدو والحضر في سبيل تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه والمعهود بها اليه. هذا الى راحة العقل، واستكمال الذكاء، ونضوج الفكر، وتدقيق بناييع الحكمة وإشراق نور الهداية من أفواه الكثير منهم، ومعرفة جهرتهم قيمة ما يطرفهم به حكماؤهم، فيترنمون به، ويترسمون خطاه، ويشيدون بذكره، ويتوهون بقدره.

كان الى جانب هذا كله بركان شر مستطير، يلتهم العالم كله، لم يسلم منه دولة حضرية ولا شعب بدوى. كان العالم يموج بأصناف المظالم وبرزف في قيود من الشقاء بحكم ما تأصل فيه ورسخ عند جميع الطوائف من تقديس القوة وجعلها المهيمن الأعلى على جميع المصالح، فقد كانت القوة هي الدستور المحترم والقانون الأساسى لجميع الشعوب، ففي الدول المتحضرة تنجلي فيما يعده القائمون بالحكم من وسائل الإرهاب والإرهاب حتى يخضع الجميع الى فئة تملك النواصى بما وضعت يدها عليه من وسائل العنف. وفي الشعوب البادية تنجلي فيما يكون من شجاعة فرد أو بأس قبيلة، فلا يكون لمن يصادمه بد من أن يحفز قواه أمامه حتى تكون الغلبة لأحد الطرفين، فينسحب

المغلوب الى حيث يلتبس لنفسه مأمنا ومفرا يستكمل فيه قوته ليدفع عن نفسه تلك الغوائل . وهكذا كان الحكم للقوة ، ولا يعرف فوز من الحق إلا بالقوة . وإنها لخطاة لا تصاح لطما نينة ، ولا تقوم عليها حماية . انضم الى هذا كله عامل فساد أقوى وأدهى وأعم وأطم ، وامله أثر من آثار ما سبق من سيادة سلطان القوة أو امت إليه بسبب ، ذلك هو شيوخ عبادة غير الله ، فان النفوس في تغالبها وتجالدها دائمة تقدر قوة خصمها وتخشى أن يتطرق الضعف الى ناحيتها ، فكلما أحست من جانبها شيئا من الضعف لجأت بفطرتها الى استمداد القوة من مصدر القوة الذي تشعر به من بين جوانحها ، وإن عجزت عن إدراكه حق الإدراك وتقديره بما ينبغي له من التقدير ، التمسته في مواقع إحساسها وما كان مما تناله الحواس وأخذت تفقش عنه في طيات عقولها ، وما كانت العقول لتقوى وحدها على اختراق سحجف الظلمات التي أطبقت على العالم من كل النواحي إلا بضياء النبوة ، وأتى لهم وقد لعبت الأهواء بما مضى من نصوص الشرائع وضعف حملتها عن أن يجالوا للناس نورها بما يمتنع نفوسهم ورد غوائلهم ، فلما أعيتهم الحيل أخذوا يتخيلون ثم يخالون ، فكل أمة قادتها نزعتها الى شرعة لها ومعبود صوره لها وهمها ، حسبته مصدر القوة فخصته بالعبادة ، فمنهم من عبد الكواكب ، ومنهم من عبد الحيوانات النافعة ، ومنهم من عبد الحيوانات الضارة ، ومنهم من عبد الأنهار والأشجار بل منهم من نحت بيده من الصخور تماثيل وعبدها وهي من صنع أيديهم ، كما أن منهم من عبد الملوك والعظماء . وهكذا أطبقت العباية من كل جانب وظهر الفساد في البر والبحر .

جاء شهر ربيع الأول من عام ٦٧٠ لميلاد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فأشرق على العالم نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وولد لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، وكان ذلك عام الفيل وهو العام الذي حوى الله فيه بيته الكريم من أن يدمره المغيرون ويطمسه المعاندون ، فكان في ذلك مظهر يدل على أن العناية الإلهية لم تتخل عن هذه البقعة المباركة التي هي من أثر خليله إبراهيم عليه السلام ، وأن هذا الشعب وإن تهادى

في غيه فإنما هي رعونة طفولة له ، أو طيش شباب يعد له فيه ، وسيأتي له يوم يستكمل رشده ويبلغ أشده ، فينابط به أعظم وأخطر مهمة في العالم تغير وجه البسيطة ويتقذفه الناس من الظلمات الى النور .

ما زالت حاله هكذا : يشتد الشعور عنده بما فيه العالم من بؤس وشقاء ، ويقلب فكره في كيفية الخلاص فلا يجد الى ذلك سبيلا ، ولا قوة لديه على هذا ، حتى ألجأه الأمر الى التماس الخلوة بالنفس والبعد عن ضوضاء هذا العالم لعله يستريح من شروره أو يجد قوة على تفرج كربيه ، فكان يذهب الى غار حراء وهو غار في أحد جبال مكة بعيد عن ممر الطارقين ، فكان يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، حتى إذا نفذ ما أعده من زاد عاد الى مكة ومكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم يتزود لمثلها ، وحبب اليه الخلاء لما كان يجد فيه من الراحة بالخلو الى نفسه والبعد عن شرور العالم ومفاسده ، ثم لما كان يجد فيه من لذة إشراق النور الإلهي على نفسه رويدا ، ثم لأنه كان يعبد إلهه وإله أبيه إبراهيم : إلهه الذي لا شريك له في ملكه ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فكان يجد لهذه العبادة من اللذة الروحية والتنفيس عن نفسه ما يغريه بالعودة والمواظبة ، وما زالت نفسه تصفو وتقوى على تحمل ما أعدها لها اللطيف الخبير ، حتى كان شهر ربيع الأول من العام المتمم للأربعين من حياته الشريفة ، فبدأه الوحي ، وكان أول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فكان في هذا إيناس لنفسه عليه السلام ، وإشعار لها بما أعدت له ، حتى تربى ثقته بنفسه ، بل باللطاف الإلهي الذي يحفه ويشعر به ، وتقوى في قلبه الطمأنينة ، فلا بهلع ولا يرتاع لمناجاة الملك بدون استعداد للقياد ، فان الطبيعة البشرية خاضعة لما لوفاها متقادة لما تعودته ، وما زالت الرؤى تتكرر ويصحبها مشاهدة الملك ليأنس به شيئا فشيئا حتى أكل ستة أشهر ، وجاء رمضان فنزل عليه جبريل بأول سورة من القرآن : سورة اقرأ ، وبدأه وهو في الغار ، فقال له اقرأ ، قال : ما أنا بقارى ، فضمه حتى بلغ منه الجهد ، ثم قال له :

اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ ، فضمه كذلك ، ثم قال له في الثالثة : اقرأ باسم ربك الذى خلق  
خلق الانسان من عاق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ،  
فرجم بها برجف فؤاده .

ومعنى قول الملك له : اقرأ ، أى ليكن منك قراءة ، وقوله ما أنا بقارئ ، أى أنه  
أنى لا عهد له بالقراءة . والحكمة في ضمه اليه حتى يبلغ منه الجهد ، أن يوجه كل انتباهه  
اليه ويستريح كل مداركه حتى يتفرغ عن كل شىء من شأنه أن يصرفه ويتجه اليه  
خاصة ، وذلك شأن الانسان : أن يتوافر كل اتجاه له نحو ما كان له فيه من أثر ، والأمر  
هنا عظيم الخطر ، فلا غرو أنهم عاين السلام أن يستعد له بتفريغ القلب عن الشواغل ،  
ثم بالتطاع الى ما تعود من صدق الرؤيا وماذا يردفه ، ثم برؤية الملك وما وراءه ، ثم بأمره  
بما لا عهد له به ، وتكرار ذلك الأمر ، ثم بضمه اليه ذلك الضم الذى أجده ، وإن لكل  
واحد من هذا أثرا كبيرا فى استرعاء الانتباه وتقوية الاتجاه ، حتى لا يغيب عنه شىء  
مملا يلقى اليه .

وأما قوله : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، فيشير الى أن كونه لا عهد له فيما سبق  
بالقراءة ، لا تقطع عنه أن يقرأ بمعونة الله الذى خلق الخلق من عدم ، الذى خلق الخلق  
ولم يك شيئا ، الذى أوجد كل شىء ، خلق ، فقد رته على أصل الإيجاد وخلق أعظم إذا  
قيست الى أن يجعل من ليس بقارئ قارئاً . وقوله : خلق الانسان من عاق ، تفصيل  
لخلق بعض الأنواع ، وهو أقربها الى المخاطب وأسفلها عليها استحضارا ، وأقربها اليه  
تأملا واستنتاجا ، ثم يقول بعد ذلك : اقرأ وربك الأكرم ، فيعيد لأمر بالقراءة  
مصحوبا بتوجيه نظره الى الفيوضات الربانية . والتعبير بلفظ ربك فيه ما فيه . واختيار  
صفة الأكرمية لتريبته الثقة للمقنعة بأن ما طلب منه ليس بمتعاص ميؤوس منه ، فليس  
عليه أكثر من أن يتجه الى تلقى الفيض الإلهي والكرم الرباني ، فيقوم بمطالع منه حق  
القيام ، ثم أردف ذلك بقوله جل جلاله : الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، ليدل تمام



الدلالة على أن الهداية للقراءة والكتابة إنما هي بتعليم الإله الذي يأمرك والرب الذي يتولاك، فهو الذي علم بالقلم، بل هو الذي منّ على الإنسان بتعليم كل شيء بعد أن كان لا يعلم شيئاً، هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، فكيف يتعاصى عليه أن تكون قارئاً بعد أن لم تكن قارئاً، وكيف يتعاصى عليه أن يهبك علم ما لم تعلم. ثم تركه المدة الطويلة لتثبت هذه النواة على مهل، وتأخذ مكانها من نفسه الشريفة ويسوغها ويتحقق بها أكل تحقق، ثم يتشوف لما وراءها ويشتاق لما هو تكمله لها، ويتطلع الى المزيد منها، حتى إذا أخذ الشوق منه مأخذه، وطال به الانتظار الذي يخشى عليه معه أن يتسرب الى النفس اليأس، عاوده الوحي وأخذ يتوالى حتى بلغ من العظمة ما بلغ.

فكان شهر ربيع الأول هو مطلع فجر الهدى الإلهي، ففيه ابتدأت حياته الشريفة عليه الصلاة والسلام؛ وفيه ابتدأ مولد الوحي كما سبق شرحه إذ انبثق فجر النبوة، وفيه ابتدأ فجر العز والنصر المبين بالهجرة؛ وفيه انتقل عليه الصلاة والسلام الى المكان الأعلى والمقام الأشمى حين اختاره الرفيق الأعلى لجواره، وحين قام بما عهد إليه به، وحين تمت النعمة نعمة الهداية العظمى على يديه، وكملت السعادة الكبرى للنوع الانساني ببعثته، وتجلت رحمة الله بذلك على الناس أجمعين، وتحقق قوله عز وجل:

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ابراهيم الجبالي

# الحكم على المسلمين بالكفر

سيرة مجيبة ونسبية فاسد ومكتم باطل

جاءنا هذا السؤال تحت هذا العنوان :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير والمحقق الشهير ، مرشد الضالين وقامع الملحدين ، لسان الاسلام الناطق ، وترجمانه الصادق ، وسيفه الماحق لكل مارق وفاسق ، الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى ، حفظه الله وأطال بقاءه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فقير خاف على فضيلتكم أن تفسير الشوكاني المسمى « فتح القدير » طبع بمطبعة الحلبي بمصر ، وكان من بين ما قرأناه فيه عند تفسير قوله تعالى في سورة التوبة : ( اتَّخَذُوا أَحِبَّاءَهُمْ وَرُحَمَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ) الآية ( ص ٣٣٧ ) من الجزء الثانى العبارة الآتية التى حكم فيها على عموم المسلمين المقلدين للأئمة المجتهدين بالكفر العريخ ، وحضهم على نبذ كتب الدين ، ولم يردعه عن جهره بهذا الحكم الفاسد والرأى المنكر وازع من الدين ولا زاجر من العلم . وهذا نص عبارته : وفى هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله وتأثير<sup>(١)</sup> ما يقوله الأسلاف على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، فإن طاعة المذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبيأؤد هو كاتخاذ اليهود

والنصارى للأخبار والرهبان أربابا من دون الله ، للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحلوا ما حلوا ، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة ، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمر بالتمر والماء بالماء ، فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكُم تركتم الكتاب والسنة جانبا وعمدتم إلى رجال هم مثلكُم في تعبد الله لهم بهم ما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاداه ، فعماتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعتمد بهاد الحق ولم تعضد بعهد الدين ، ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك وبيانه ، فأعرتموها آذانا صما وقلوبا غافلا وأفهاما مريضة وعقولا مهيضة وأذهانا كليلة وخواطر عليلة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فدعوا أرشدكم الله وإياي كتبنا كتبها لكم الأموات من أسلافكم <sup>(١)</sup> واستبدلوا بها كتاب الله خالفهم وخالفكم ومتعبدكم ومتعبدكم ومعبودكم ومعبودكم ، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأنتمكم وما جاءكم به من الرأي أقوال إمامكم وإمامهم وقدوتكم وقدوتهم ، وهو الامام الأول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اهـ .

فنتمس من فضيلتكم دحض هذه الشبهة ، ورد هذه الفرية ، بما آتاكم الله من قوة في الدين وصلابة في الحق ، ونشر ذلك بأول عدد من مجلة نور الاسلام الغراء وحيدا لو أنتم على جميع شبههم ، فكم في تفسير الشوكاني من الشبه المعسولة المسمومة التي نحا فيها نحو ابن تيمية ؛ وإن الله يؤيدكم بروح القدس ما نأختم عن دينه ودافعتم عن كتابه وأرشدتم عباده إلى الصراط المستقيم . وختامنا نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم زخرا للإسلام ومرشداً للمسلمين وتفصيل ياسيدي بقبول فائق احترامى .

محمد احمد عماره

تلا - منوقية

(١) ليت شعري ماذا يريد بكلمة الأموات وماذا دس فيها ، أريد ألا تأخذ شيئا إلا عن الأحياء وإذن

يضع الدين كله ، أم ماذا يريد ؟

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد : فهذا كلام لا يصدر إلا ممن غاظ فهمه وجمدت عواطفه وقسا قلبه وقل احتياطه ، فاستهان بإجماع العلماء وكلام أئمة الهدى الذين لا يقولون في لدين بشيء إلا إذا كان لهم مستند من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما سنبينه ، وذلك منه اغترارا بما زعمه لنفسه من زعامة كاذبة واجتهاد باطل ، ولو احتاط في أمر الدماء وتحرج من خطر التكفير ، أو احترم اتفاق المسلمين وكلام غيره من العلماء للبرزين ، لم يجازف بإلقاء القول على عواهنه ضد أمة بأسرها ، وفيها من العلماء والفضلاء والأولياء والمحدثين والمفسرين وعلماء التوحيد والفلسفة ما أدهش التاريخ وأنطق أعداء الاسلام بفضل الاسلام ( وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في النار سبعين خريفاً ) وكل من قدس نفسه واتبع هواه فلا بد أن يفضل عن سبيل الله ، وكل من امتلاً أنانية وكبرا فلا بد أن يحتقر المسلمين ولا يحترم العلماء السابقين ( إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير )<sup>(١)</sup> هؤلاء إذا حللنا نفوسهم وجدناها مملوءة قسوة لا تقل في وزنها وتقديرها عن قسوة قطاع الطريق الذين يستهزئون بسفك الدماء وقتل الأبرياء ، غير أن أولئك يسفكونه ليلاً وهؤلاء يسفكونه نهارة لوقدروا ، وأولئك يسفكونه خائفين وجلين وهؤلاء يسفكونه فرحين متبجحين<sup>(٢)</sup> وأولئك لا يصفون بألسنتهم الكذب ولا يقولون على الله ، وربما رجعوا إليه نادمين مستغفرين ، وهؤلاء

(١) وليس أدل على ذلك من أن جهلة أتباعهم يجرمون بل يكفرون من صلى على الرسول بعد الأذان بلا حياة من رسول الله ولا تحقيق من العلم ولا احتياط في الدين وعندا خطابات كثيرة من هذا وهو أدل دليل على ما ذكرنا فإن علماء المذاهب الاربعة نصوا على استحسانها ، وكل لهم من أمثال تلك المجازفات .

(٢) وانظر الى الوهابية بقعدة ابن تيمية وما امتلا به تاريخهم من حوادث قتل المسلمين واعتقادهم أنهم يشركون فهم يتربون الى الله بسفك دماهم وتطهير الارض منهم كما هو معروف .

يلصقون ذلك بدين الله مفترين على الله الكذب قائلين : هذا حلال وهذا حرام ، هذا كفر وذاك إسلام . تجدير بهم أن يفاق باب التوبة في وجوهم ، فإنهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فكيف يتوبون أو يستغفرون ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) . هذه النزعة نزعة تكفير المسلمين والاستهانة بدمائهم هي نزعة الخوارج الذين هم شر الطوائف ، حتى ذهب كثير من العلماء ( وتشهد لهم الأحاديث الصحيحة ) الى تكفيرهم . وما نرى طائفة على تقيض ما جاء به الأنبياء من الشفقة والرحمة والمحبة والوئام وعدم الانقسام مثل هذه الطائفة

وبعد فالقول بوجوب الاجتهاد وتحريم التقايد على كل واحد يحافى المعقول قبل أن يخالف المنقول ، فما أدرى بأى قلب يكتبون وبأى عقل يتفكرون ؛ فإن الناس خلفوا على درجات متفاوتة لا يحصيها إلا الله ( وإنما العلم بالتعلم ) ومبنى هذا الوجود على أن الصغير يرجع الى الكبير والجاهل يرجع الى العالم والضعيف يرجع الى القوى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « قتلوا قتاهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإن شفاء الى السؤال » قال ذلك في قوم أفتوا بجرحا أن يغتسل ويغسل جرحه ولا يتيمم فأت رواه أبو داود وابن ماجه <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَفِطُونَ مِنْهُمْ ) وقال : ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) فعلة الأمر بالسؤال هو الجهل والأمر المتعبد بالعله يتكرر بتكررها . ومعلوم أن العلماء لم يزالوا يُستفتون فيفتون ويتبعهم الناس من غير إبداء المستند ثقة بدينهم وأمانتهم ومزيد معرفتهم حتى شاع وملا البقاع ولم يتكره أحد ، فكان إجماعا .

(١) وكان من حقه على مذهب هؤلاء أن لا يرى له فاته اتخذ هؤلاء المستولين الجاهلين أربابا من دون الله فكان حقه أن يسخط عليه وأن يحذر من مثل فعله .

ولو أوجبنا على كل أحد أن يؤهل نفسه للأخذ من الكتاب والسنة وما يجب لذلك لأدى الأمر الى إبطال المعاش والصنائع ، وكان تكليفاً لا يطاق . ولا يمكننا أن نطيل في النصوص الآن ، ولا فيما ورد من خطر تكفير المسلم وعدم احترام دمه وماله وعرضه ، ولكن نقول : إن سنة الله في البشر أن يرجع الناس في كل شيء الى العارفين به المبرزين فيه ، ولو لم يفعلوا ذلك لا اختلت أمورهم وفسد نظامهم ، ولأصبح العالم فوضى ، وكان الهلاك أسرع إليه من السلامة .

وانظر لو اجتهد كل إنسان برأيه في الطب أو ذهب المريض الى من لا يحسن علاجه ، فماذا تكون النتيجة . وكيف يكون الحال إذا ألقينا بقيادة الحروب الى الجاهل الأغرار أو الجبناء الأغمار ، أو خولنا كل أحد حرية الرأي ورسم الخطط في مجالدة الأعداء والدود عن بيضة الإسلام ، أفلا تكون النتيجة خراب البلاد وهلاك العباد : وقل مثل ذلك في التجارة والزراعة وكل حرفة من الحرف وصناعة من الصنائع . وها أنت ذا ترانا إذا أردنا طبيباً لمرض من الأمراض لم يقنعنا أن نذهب الى طبيب عام بل الى الطبيب المختص بذلك الفرع الذي وجه كل عنيته اليه ، علماً منا بسمعة العلم وأن الأمور تستبى ، وأن الجاهل غريزة في البشر ، والضعف طبيعة في الانسان ، وشعورا بأنه لا يكاد يخلص من سلطان الوم وظلمات المشكلات والمتشابهات إلا من قتل العلم بجنا ، وأحاط بمناحي التفكير خبراً ، وعرف ضعف نفسه فلم يسارع الى أول رأى فطير ولا أسبق خيال طائش .

هذا كله مركوز في الطباع يعرفه الجاهل والعالم ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة . فليت شعري هل أصبحت الشريعة أهون من ذلك كله مع ما فيها من الأمرار الدقيقة ، والمشكلات الخفية ، والمتعارضات القوية ، والارجحات المختلفة ، والنسوخات المتروكة ، والمطلقات القيدة ، والعدومات المخصصة ، والمفاهيم المعطلة ، والمجملات التي قد يخفى بيانها ، والظواهر التي لا يراد ظاهرها ، والمجازات التي تدق قرينتها ، والكنايات

التي تخفى إشارتها وتبمد غايتها ، ومواقع الإجماع والاختلاف ، ومباحث القياس المتشعبة ، ومسالك الملل الخفية وقوادحها المتراصة ، الى أقوال الصحابة المختلفة وآرائهم المتباينة ، وما يحتاج إليه ذلك كله من دقة الفهم ، وإصابة الرأي ، وأهلية الحكم ، وسعة الاطلاع وطول الباع ، بمد معرفة اللغة العربية وفنونها ، الى آخر ما ذكره الأصويون في مباحثهم الطويلة العريضة ، خصوصاً شروط الاجتهاد المبينة هناك ، حتى قال كثير منهم : إن الاجتهاد لا يتجزأ لجواز أن يكون لبعض الأبواب علاقة بغيره ، الى آخر ما قالوا .

فلا بد إذاً من الرسوخ في جميع الأبواب والإحاطة بمظانها ، وما عسى أن يكون فيها من مقيد ومخصص ومعارض ومرجح ، الى غير ذلك ، وهذا بحر لا ساحل له ، ومهامه فيحاء ، يفضل فيها الخريت ، ولذلك كان كثير من السلف الصالح يتخرجون من الفتيا غاية التخرج ( أخرجكم على الفتيا أخرجكم على النار ) . وقد عرض الخليفة المنصور العباسي وحفيده هرون الرشيد على الامام مالك أن يحملا الناس على الموطأ فأبى ، وإذا حلت ذلك الإباء ، وبحثت عن سره وجدته الإخلاص البالغ والدين القيم ، واتهام النفس وعدم تقديسها ، فهو يجوز على نفسه أن يكون غلطاً وأن يكون الحق مع غيره ، نالياً قوله تعالى : ( وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ) وقوله عز وجل : ( وَخُفِيَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ) ( إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) .

وإن من أول شروط الاجتهاد عندي نور البصيرة وصفاء الذوق وقوة الإخلاص وشدة الخوف والمراقبة ، واتهام النفس الباعث على شدة التحري ومزيد الاحتياط ، ولا يكفي في ذلك سعة العلم ولا كثرة الاطلاع ، ولم قد رأينا من كبار الحفاظ من هو أكثر حديثاً من بعض المجتهدين ولكن لم يسمح له دينه أن يدعى الاجتهاد ، علماً منه بأنه لم يخلق له ولا وجد فيه استعداده الذي يعرف به روح الشريعة في كل شيء ، وذوقها في أحكامها ومراميها ، وقد قالوا : إن المحدث كالصيدلي والمجتهد كالطبيب .

ولا بأس أن أفكحك بشيء طريف له مغزى شريف عن بعض هؤلاء المجتهدين المصريين ، ثم تردفهم برؤسائهم المتقدمين الذين كانوا من سعة العلم بالذروة العليا ، ولكن ليس فيهم أناة الأئمة ولا تحريمهم ولا رزائهم ووقارهم ، بل كانوا أنانيين متبجحين ، ولما يأتي المتبجح بخير أو يهدى الى صواب ؛ وقد قال تعالى : ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) أما هؤلاء الطائشون فلا يعرفون الصبر ولا الايقان . وعلى الجلة فالأمانة تحتاج الى استعداد خاص في طينة النفس وتكوينها (والناس معادن كمدان الذهب والفضة ) والنحاس لا يكون ذهباً أبداً وإن رافقت صفته وخفيت عنك حقيقة . وقد شط بنا القلم ، فانعد الى تلك الفكاهة :

سئل بعض مجتهدى العصر عن قوله تعالى : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ) هل يبقى التحريم فى لحم الخنزير إذا أوصاندا من الذليان الى درجة تقتل كل ما فيه من الديدان التى اكتشفوها الآن ؟ فأجاب مجتهدنا الظريف بأنه لا وجه للتحريم حينئذ ويمكننا أن نستنبط ذلك من آخر الآية حيث تقول ( إلا ما ذكيتم ) والتذكية هى التطهير ، فحيث طهر لحم الخنزير مما فيه ، كان حلالا داخلا فى هذا الاستثناء .

ولم يفرق حضرته بين التذكية بالذال وهى الذبح ، وبين التزكية بالزاي وهى التطهير ( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ) ولا حقيق ما يرجع إليه الاستثناء فى الآية ؛ وهذا من البدهيات التى يعرفها صغار الطلبة ، فاذا تقول فى هذا الاجتهاد وذلك التجديد المصرى : أليس هذا أشبه شئ ، بقول من قالت : إن النساء أفضل من الرجال بنص القرآن ، ثم استدلت بقوله تعالى : ( أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ) غير مفرقة بين همزة الوصل وهمزة الإنكار فظنت أنه إخبار عن فضلهن ؟ ؛ فلا أكثر الله من هؤلاء المجتهدين ولا هؤلاء المجتهدات !



## لون آخر

جاء في تفسير ابن كثير هذا الحديث الذي رواه الحاكم عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيكم يتابعني على ثلاث؟ ثم قرأ قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ وَعَائِكُكُمْ) الخ الآيات الثلاث، ثم قال: «فمن وفى فأجره على الله» الحديث. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخزجاه، فعاق عليه ذلك المجتهد بقوله: ولكنه غير صحيح المعنى فإن الوصايا خمس لا ثلاث، ولم يبين حضرته في الحديث علة تقدر في صحته غير ما أبداه من فهمه السقيم، فإنه فهم أن الثلاث هي الوصايا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد بها الآيات لا الوصايا، والآيات ثلاث بلا شك؛ وقد جاء التصريح بذلك في رواية غير الحاكم، فقد رواه الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبادة بن الصامت، وفيه: «أيكم يتابعني على الآيات؟ ثم تلا (قل تعالوا) إلى ثلاث آيات» فانظر إلى تسرع الشيخ واجتهاده الذي يبنيه دائماً على شفا جرف هار؛ وكم لهؤلاء من أمثال هذه التعليقات الحقاء، فرحم الله امرءاً عرف قدره فلم يتمد طوره.

وانترك هذه الطبقة المتفهمة المتشدقة على ما بهم من جهل وسخافة؛ وثرجع إلى من قبلهم من رؤسائهم وأئمتهم لترى إمامهم ابن تيمية الذي قدموه على جميع الأئمة، وهم في تلك النزعات الخبيثة على الرغم من دعوى الاجتهاد مقلدون له قانون في تقليده، كيف منع من شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وجعل السفر للزيارة سفر معصية لا يصح فيه قصر الصلاة، خارقاً بذلك إجماع المسلمين، غير مستحي من سيد الرسلين؛ ودليله الذي استند إليه واستنبط منه ما لم يستنبطه أحد من الأواين والآخرين هو منعه صلى الله عليه وسلم من شد الرحال إلا لأحد المساجد الثلاثة، فمنهم من ذلك انتهى أن الرحال لا تشد للزيارة بناء على خيال قام برأسه أن القصر حقيقي لا إضافي؛ ولو كان

كما فهم ذلك المجتهد الكبير لكان شد الرحال لصلة الرحم أو زيارة الإخوان أو التجارة أو غير ذلك محرماً ، فإذا تقف مصالح العالم ، وتتعطل أمور الدين والدنيا :

ولو تبصر قليلاً لعلم ما أراد صلى الله عليه وسلم من أن المساجد متساوية في الفضل فكأنها سواء إلا هذه المساجد الثلاثة ، وذلك ظاهر لا خفاء فيه ، فإن الأصل أن الشيء يستثنى من جنسه القريب ، فإذا قلنا : ما مات إلا زيد ، كان معناه : ما مات إنسان إلا زيد ، وليس معناه : ما مات حيوان إلا زيد ، ومن فهم ذلك كان من الحيوان لا من الإنسان . على أننا لو جعلنا القصر حقيقياً ففسدت أمور العالم كما قلنا ، والشرعية إنما جاءت بالصالح لا بالفساد .

ويستحق بذلك ما رأيناه في فتح الباري من قول ابن تيمية المذكور : إنه لم يجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم في رواية من الروايات التي وردت في تعليم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ذلك ، مع أن الجمع بينهما وارد في البخاري ، وهو لدى الحفاظ بمنزلة الأجرومية في النحو ، إلى غير ذلك مما هو معروف عنه وهو من كبار (أو كبير) أولئك المجتهدين ، ولو لم يكن له إلا ما هو معروف عنه وعن تلميذه ابن القيم خصوصاً في نونيته من إثبات الجمة لله تعالى أخذاً بالتشابهات واعتباراً بظواهر الآيات لكان كافياً لكل منصف في تقدير ما لهم من علم وعقل <sup>(١)</sup> .

ثم انظر بعد ذلك كله إلى كلام الشوكاني <sup>(٢)</sup> الذي ذكره السائل ، وإلى فهمه الكاسد

(١) ومن الاجتهاد المضحك قول بعضهم إن الامة إذا زلت جلست مائة إن كانت تكراً لدخولها في عموم قوله تعالى : ( الزاوية و لرائى فجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ) فن تزوجت حلت حميم بقوله : ( فإذا أحسن فإن أنيب بفاحشة فلأعين نصف ما على المحصنات من العذاب ) فالمحصنة عنده أقل من غير المحصنة . فانظر إلى هذا الاستنباط العجيب . وأوجب منه ما نقل بعضهم عن أبي حزم من أن الإنسان إذا مال في الماء الزاكد نجسه لورود النوى في الحديث عن ذلك ، قال يلى في إنباء ثم صبه فيه لم ينجس ، إلى غير ذلك من المصحكات البهيكيات من أولئك المجتهدين الذين لا يأخذون إلا من الكتاب والسنة . وما أحس قول ابن الجوزى في حقهم :

لمرى لقد أدركت منهم مشايخنا وأكثر من أدركته ماله عقل

(٢) لما تولى الشوكاني القضاء قال بعض علماء اليمن : وأنا لا ندرى أشد أريد بمن في الأرض أم أراد

بهم دهم وشدا . وهناك ما هو أشد من هذا من أقوال العلماء في حقهم ، ولا داعي إلى نقلها .

وقياسه الفاسد ، وهو من كبار هؤلاء أيضا ، فإن الأخبار والرهبان كانوا يحللون ويحرمون من عند أنفسهم قائلين : ما حللناه في الأرض فهو محلول في السماء وما ربطناه في الأرض فهو مربوط في السماء ، كما هو معروف عنهم ومسطر في كتبهم المقدسة فضلا عن تاريخ الكنيسة أو التاريخ العام .

وأما أئمة المسلمين فلم يدعوا لأنفسهم ذلك المنصب الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله ، وحاشاهم أن يقولوا ذلك أو يصدروا عن غير قول المعصوم وسنته التي هم أعرف الناس بها وأحرصهم عليها . وقد صرحوا بذلك فقالوا : إذا خالفنا الحديث الصحيح فاضربوا بقولنا عرض الحائط . فكيف يحل له بعد ذلك أن يقول : إياكم اتبعتم آراءهم ولم تتبعوا الكتاب والسنة ، وكل إنسان يعلم أنهم لم يقولوا من عند أنفسهم ، وإنما يقولون : هذا قول رسول الله وذلك فعله وتلك سنته ، وهم أعرف الناس بذلك وأقدرهم على تعرف ما جاء فيه ! وقد وثق الناس بهم فلم يتهموهم في دينهم ولا علمهم ولا أمانتهم بعد ما عرفوا أنهم يتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاهم أن يشرعوا من عند أنفسهم وهم خير القرون ، فإن لم يجدوا شيئا في كتاب الله ولا سنة رسوله ، اجتهدوا ما استطاعوا ، وهم أعرف بروح الشريعة ومقاصدها ومفاتيح أحكامها ، ولو لم يفعلوا ما فعلوا لكانت الشريعة الآن لعبة بيد الجهال كما رأيت فيما تلوناه عليك . وبالجمله هؤلاء الأئمة قد نظروا في الشريعة نظر العالم المدقق والأمين الحذر ، فما وجدوه مجمعا عليه عضوا عليه بانواجد ، وما كان فيه اختلاف أخذوا منه الأقوى والأرجح ، لكثرة من ذهب إليه أو وافقته لقياس قوى ، أو تخرج صحيح من الكتاب والسنة ؛ وقد كان هذا ميسرا للطراز الأول من المجتهدين حين كان العهد قريبا ، والعلوم غير متشعبة ، ومذاهب الصحابة والتابعين معروفة . على أنه لم يتيسر ذلك أيضا إلا لافئوس قليلة ، ومع ذلك فقد كانوا مقعدين بمشايخهم ، معتمدين عليهم ، ولكن

لكثرة تصرفهم في العلم صاروا مستقلين؛ وكيف يقيس عاقل هؤلاء الأئمة على أولئك الرهبان الذين لم يدعوا لأنفسهم منصب النبوة فحسب، بل تخطوا ذلك إلى منصب الإلهية: فَإِنَّ النَّبِيَّ لَا يَقُولُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ولذلك قالت الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) كما اتخذوا المسيح ابن مريم، فسوت بينهما، وقالت في آخرها: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛

فهل ترانا أشركننا الأئمة بالله تعالى، أم ذلك كلام من يرسل لفلمه العنان بما يوجب سخط الله والملائكة والناس أجمعين؟ وقد استتبع ذلك ما لا يحصى من المفاصد التي يرتكبها هؤلاء الجهلة ويتصدق بها أغمار من ينتسبون إلى السلم من زعائن القوم وأراذلهم. وقد جرّ ذلك إلى استباحة الأعراض بل الأموال والدماء، فهي من السيئات الباقيات التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. فإن تشبهوا بالقياس والاستنباط، قلنا: ذلك لا بد منه على رغم أنوفهم بمقتضى الدلائل العقلية والنقلية، حتى قال بعضهم: إن من لا يقول بالقياس لا يعد من العلماء ولا يعتبر من أهل الإجماع.

وإجمال القول أنهم إذا قالوا إن كل إنسان يأخذ من الكتاب والسنة ولو لم يعرف الفاعل من المفعول فضلا عن دلالة الإيحاء والاقتضاء، ومسالك العلة وقوادحها، ومعرفة المنطوق والمفهوم وما فيه من جدل وكبير عمل، ومعرفة ماصح وما لم يصح، وما يعمل به في فضائل الأعمال، وما يحتاج به في الحلال والحرام، وما قيل في الرسل والمسند، إلى غير ذلك، فضلا عما قيل في الرجال من تعديل وتجريح، وهو بحر لا ساحل له، وما عسى أن يكون في الحديث من علة خفية، مع معرفة تاريخ الأحاديث لتمييز الناسخ من المنسوخ، ومعرفة المرجحات عند التعارض، ومواقع الاختلاف والاتفاق، حتى لا يخرجوا الإجماع الخ، نقول: إذا أباحوا للناس أن يأخذوا من الكتاب والسنة مع

الجهل بذلك كله ، فقد عرضوا الدين للضياع والشرعية للهرء والسحرية ، وكان ذلك منهم جنونا أو فوق الجنون ؛ وإن قالوا إنه يقلد العالم في ذلك كله ، فقد هدموا ما بتوا ، وقوضوا ما شيدوا ، فأين يذهبون . (وهل هذا إلا رجوع للتقليد لذى منعه وتفسير للماء بعد الجهد بالماء) <sup>(١)</sup> ؛

وبعد فإني أعجب كيف يكفون أرباب الحرف والصنائع وعامة السوذة المشتغين بمعاشهم وعبالهم أن يأخذوا من الكتاب والسنة وليس ذلك في وسعهم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ؛ ولا أراني محتاجا بعد ذلك للإفاضة في الدلائل النقاية والكلام عليها ، فإن الأمر أوضح من الشمس وأبين من الحس . ولو لا ظهور تلك الطائفة التي اقتدت بأسلافها من الخوارج الذين هم أسرع إلى تكفير المسلمين واستباحة دماءهم من الفراش إلى النار ، لما تحرك به قلم ولا تفكر فيه أحد .

وانختم كلمتنا هذه بتلك الحكاية التي تخفف عنك ما لا قيت من تلك الترهات التي ينجل منها العلم ويبكى لها الدين — قال مولانا الشيخ محمد عايش رحمه الله في فتاويه : إن ابن حزم كان له مناظرات مع الباجي وهو من كبار علماء المالكية ، فلقى أخاه إبراهيم بن خلف الباجي يوما فقال له : ما قرأت على أخيك ؟ فقال : قرأت عليه كثيرا ، فقال له : هلا اختصر لك العلم فأقرأك إياه في سنة أو أقل ؟ فقال : أو يصح هذا ؟ فقال : أنا أقرأك العلم في سنة ، فقال : أنا أحب ذلك ، فقال له : أو في شهر ، فقال له : ذلك أشهى إلى ، فقال له : أو في جمعة أو دفعة ، فقال : هذا أحب إلى من كل شيء ، فقال له : إذا وردت عليك مسألة فأعرضها على الكتاب ، فإن وجدتها فيه وإلا فأعرضها على السنة ، فإن وجدت ذلك فيها وإلا فأعرضها على مسائل الإجماع ، فإن وجدتها وإلا

(١) وليت شمرى ماذا يريدون منا ؟ أيريدون أن نقلدهم فيما يقولون وهم يحررون التقليد أم يريدون

أن نأزعوها ونحن مجتهدون كما أنهم مجتهدون ؟

فالأصل الإباحة فافعلها ، فقال له ابراهيم الباجي : أرشدني الى ما يفتقر الى عمر طويل وعلم جليل ، لأنه يفتقر الى فهم الكتاب ومعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومؤوله وظاهره ، ومنصوصه ، ومطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ، الى غير ذلك من أحكامه ؛ ويفتقر أيضا الى حفظ الأحاديث ، ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ومسندها ، ومرسلها ومعضلها ، وتأويل مشتبهها ، وتاريخ المتقدم والمتأخر منها ، الى غير ذلك ؛ ويفتقر الى معرفة مسائل الإجماع وتتبعها في جميع أقطار الاسلام ، وقل من يحيط بهذا اهـ .

وقد قال الامام أبو بكر بن العربي في حق هذه الطائفة في القواصم والمواصم : إنها أمة سخيفة تسورت مرتبة ليست لها ، وتكلمت بكلام لم تفهمه ، تلففوه من إخوانهم الخوارج حين حكم على رضى الله عنه يوم صفين ، فقالوا : لا حكم إلا لله . وما أدري أيهما أجهل وأخطر : أطائفة الباطنية أم طائفة الظاهرية ؟

هذا وإنى ألفت نظرك الى ما أتى به الخوارج والروافض والمعتزلة والظاهرية والوهابية مما تقشع منه الأبدان وتتهرب منه الأديان بناء على اجتihadهم للنبي على الوهم دون الفهم . ولنتقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان ، إسقاطا على القارئ . وربما عدنا اليه مرة أخرى مـ

يوسف الدمجوي

من هيئة كبار العلماء

## الظرف والملاح

قال الأصمعي : قامت لأعرابي معه شاء : لمن هذه الشاة ؟ فقال : هي لله عندي .

## تفسير سورة الضحى

شئ من سيرته صلى الله عليه وسلم

---

اقتضت حكمة البارى جل وبلا التفرقة بين الناس ، فجعل منهم الطيب والخبيث والصالح والطالح ، والرضى وغير الرضى ، والقانع والطامع ، والسعيد والشقى .

ولكمال حكمته وعلمه لا يصطنى من كل جنس من أجناس المخلوقات إلا أطيبه فيختصه بنفسه ويرتضيه دون غيره ، لهذا قد اختار رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من أكرم العناصر وأطيها . اختاره واصطفاه ، فنشأ عليه الصلاة والسلام على كرم الأخلاق ، حلما وقورا ، رءوفا رحيفا ، صابرا ، سهلا الجانب ، لين العريكة ، صديقا صدوقا ، ليس في صدره غل ، ولا في نفسه حقد ولا حسد ، متواضعا غاية التواضع لأهل الإيمان ، رحيفا على المؤمنين ، شديدا على الكافرين ، عفوا سمحا شجاعا ، بعيدا عن الريب والظنون ، لم يعمد عليه شئ من أوصاف الجاهلية ، بعيدا عن النجس في المقال والبذاءة في اللسان ، بريئا من الكذب والنميمة والغش ولا غرور في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى — وقد علم أن سيكون صفيه وخاتم أنبيائه وأكرمهم عنده — قد كلاًه بعين عنايته وشمله برعايته . اختاره الله من بين خلقه ، فجعله لسانه الهادى الى طريق الرشاد ، ورسوله الداعى الى محبة الله ، وحببيه الذى يطلب الى عباده القرب الى الله .

اختاره جل شأنه من خير أهل الأرض نسباً ، فنسبه أشرف وأعلى من كل نسب ، شهد بذلك أعداؤه ، شهدوا بأن أشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأعلى

الأُنساب نسبته ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان أبوه عبد الله ابن عبد المطلب أحب أبناء عبد المطلب إليه . نشأ في مكة حيث العزة والكرامة والأخلاق الكريمة والشجائل الطيبة . خرج به أبوه حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو يومئذ سيد بني زهرة شرفاً ونسباً ، فزوجوه ابنته أمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وحسباً ، فلما بنى بها عبد الله حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنية عاجت عبد الله فلم تكتحل عينه برؤية سيد الخلق فمات والرسول لا يزال جنيناً في بطن أمه .

فولد صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه بشهور لا تثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل على المشهور . ولد يتيماً فلاحضته العناية فخببته الى جده عبد المطلب فصار شغله الشاغل وموضع عنايته ، لا سيما وقد عرفت أنه ابن أحب أبنائه إليه وآثرهم عنده ، فكفله جده عبد المطلب ، وأرضعته امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب ، إذ كانت عادة أعيان أهل مكة التماس المرضعات لأبنائهم ، وكانت نساء الأحياء الأخرى من العرب الفقراء يحضرن الى مكة حيناً بعد حين التماساً للرضعاء نظير لما يرزقنه به من مال تجوده به أيدي الآباء بين حين وآخر ، نظير رعاية أولادهم فكان يطمعن في المليء ، ويرغب في ذى الجاه والثروة ، ليضمن معاشاً رغداً وكسباً وافراً ، فلما أن جئن عقب ولادته صلى الله عليه وسلم أبيته — غير أن رعاية الله التي لاحظته لم تنفك ترعاه ، فكان أن ذال الله نفس حليلة وأخضعها حيث أراد لها السمادة ، فأرضعها أن تأخذ رسوله بعد أن أبتة وأباه المرضعات ، فلما أخذته عوضها الله عن قليل كانت تنتظره بكثير أفاءه عليها ، وبذلها برضا الخلق رضاه سبحانه جل شأنه فحسن حالها ، ويمرت معيشتها ، ودرلبنها ، وكثر كسبها ، بفضل الله وبركة الرسول ، قالت حليلة تخبر خبرها وتحدث بما أصابها من خير بعد أن قبأت محمداً عليه الصلاة والسلام



وضمته إليها: « خرجت أنا ونسوة من بنى سغند ومعى زوجى وابن لى صغير نلتمس الرضعا، فى سنة شهباء، لم تبق شيئا، فخرجت على أنان لى قراء<sup>(١)</sup> ومعنا شارف<sup>(٢)</sup> لنا والله ما تبض<sup>(٣)</sup> بقطرة ولا تنام ليلنا من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، ما فى ندى ما يغذيه وما فى شارفنا ما يغذيه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا، فإنا امرأة إلا وقد عرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، كذلك أنا، إنما نرجو المعروف من أبى الصبي، فكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده، فابقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنى لا أكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبى إلى ذلك اليتيم فلا خذنه، قال: فلا عليك أن تفعل عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته وما حماني على أخذه إلا أنى لم أجده غيره، فلما أخذه رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ندياى بما شاء، من لبن حق روى وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك. ثم استطردت تقص ما جلب الله عليها رضى الله عنها من خير وبركة بفضلته صلى الله عليه وسلم.

وما زالت حليمة ترضعه صلى الله عليه وسلم وتحبوه بعنايتها، وما زال الله تعالى يكرم حليمة ويوفقها، حتى أتم نعمته عليها، فكتب لها الإسلام، فأسلمت هي وزوجها فكانا من الناجين المخلصين.

درج محمد صلى الله عليه وسلم فى أحضان أمه وجده وهما لا يألوان جهدا فى الحرص عليه - غير أنه ما كاد يحس نطف أمه وحدها عليه حتى كان ما أراد الله ففقد أمه ولما يبلغ السادسة، فبأه الله عوضا عن ذلك زيادة حب جده له وعطفه عليه، غير أنه لحكمة أرادها الله قضى جده وقد أوصى به عمه أباطالب، فحذا هذا فى تكفله حذو أبيه ولم يغير من أمره شيئا، بل زاد عطفه عليه ومناصرتة له. وكلنا يعلم ما كان

(١) يضاء. (٢) الشارف: الناقة التى قد أملت. (٣) أى ما يدر لبها.

من أمر أبي طالب في عنايته برسول الله وتحمله الشدائد والأذى من قريش ، حتى لقد آلى أن قريشا لن يصلوا الى محمد بأذى حتى يوسد في التراب دفينا .

نما الرسول إذن بين يدي حليلة ، ثم يدي أمه الشريفة الطاهرة ، وكفالة جده عبد المطلب ، وعناية عمه أبي طالب ، فلم يشعر باليتم ولا أحس تنيرا في الحياة ، بل كان ينم بها ككل أبناء قريش : له مالهم ، وقد كان محببا في قومه يحرص كلهم على إرضائه ويسعون الى التبرك به ، وكان موضع الرعاية من أهل عشيرته وأقربائه ، تحوطه العناية الربانية ، وتحفظه ، وتوجهه الى الخير دائما ، حتى عرف بين قومه بالأمين ، لأنه امتاز عن بقية الفتيان . فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة في الحق ، وله من الزايا ما جعله نصيرا للضعفاء ، حكما بين الخصوم ، لم يصدر في أعماله عن هوى ، بل كان يصدر في أعماله عن قوة خفية تسيطر عليه وتهديه أبداً الى الخير ، فكان خلقه من صغره خلق الدين لم يتدنس بدنس الجاهلية قط ، حتى لقد حكى أبو طالب ما كان من عناية به ، وما رآه منه ، قال لأخيه العباس فيما قال : « لقد كنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني ، وذلك عند مضى بعض الليل ، وكنا لا نسمى على الطعام والشراب ولا نحمد بعده ، وكان يقول في أول الطعام : باسم الله الأحد ، ويقول في آخره : الحمد لله ، فتهجبت منه ، ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكة ولا جاهلية ، ولا رأيت وقفا مع صبيان يلعبون » .

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، قلت ليلة لأعلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشبان : فخرجت أريد ذلك حتى أتيت أول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدقوف والمزامير ، فقالوا : فلان بن فلان يزوج بفلانة فجلست أنظر إليهم ، وضرب الله على أذني فممت ما أيقظني إلا مس الشمس ، قال : فجئت صاحبي فقلت : ما فعلت ؟

فقلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر ، ثم قال : قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فغضب الله على أذنى فما أيقظنى إلا مس الشمس .

ولقد وفق الله نبيه الى طرق الكسب فسافر فى التجارة وانجر بال خديجة رضى الله عنها ؛ وكان من شأنه فى التجارة أنه ما اتجر إلا ربح ؛ واقد تضاعف مال خديجة ببركة تجارته ؛ ولما علمت من شأنه صلى الله عليه وسلم ما أخبرها به ميسرة غلامها مमारآه فى خلقه وفى عناية الله به صلى الله عليه وسلم ، وكانت سيدة حازمة شريفة ، رغبت فى الزواج به وتم لها ما أرادت لسبق سعادتها فى الأزل ، فكان زواجها به من فضل الله عايتها ، فكانت رضى الله عنها أول من أسلم من النساء : آمنت بالله وبالرسول ، وصدقت ما جاء به ، فحفظ الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إنه ما كان يسمع شيئاً يكرهه من الماندين المكذبين فيحزنه إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تخفف عنه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس .

ولقد ساعدته بمالها فى كل ما يطلب ، حتى إنه دخل مرة عايتها مغمو ما لتعبط الزمان وأخبرها أنه إن بذل المال ينفد مالها فيستحي منها ، فدعت قريشاً ومنهم الصديق فوهبته أمامهم كل مالها مشهدة أن هذا المال ماله إن شاء فرقه وإن شاء أمسكه . وما زال عليه الصلاة والسلام بين قومه تحفه الهابة والوقار ، مروراً كما قدمنا بالأمانة والصدق ، حتى بعثه الله رسولا إلى الناس كافة ، فقام بأمر الدعوة ودعا قومه وعشيرته الأقربين ، وصدع بالدعوة بعد ذلك حيث أمر بذلك ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) .

وأوحى الله اليه ما أوحى من تعليم وإرشاد ، حتى غضب قومه وتأبوا عليه وآبوا بأى القبائل عليه أيضاً ، كبل ذلك وهو لا يفتر لحظة عن الدعوة الى الله بكل ما يملك من قوة ؛ وكان الوحي يتتابع عليه بالأوامر ، ثم فتر الوحي عنه مدة قصيرة حتى شق الأمر عليه وحزن من أجله ؛ وكان ذلك بعد أن نزلت سورة « تبت يدا أبى لهب »

وبعد أن ذهبت امرأة أبي لهب تسأل الرسول علام تهجوتني فقال : إني والله ما هجوتك ما هجالك إلا الله تعالى . ثم انطلقت فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتيه الوحي فرجعت إليه شامته قائلة : ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك ؛ وسمت المشركون وقالوا مثل ذلك القول ، فكان ذلك سببا في نزول سورة ( والضحي والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ) .

### تفسير هذه السورة

أقسم سبحانه وتعالى بالضحي والليل إذا سجى أنه ما ودعه وما قلده : ما تركه وما أبفضه ، وما كان ذلك ليكون ممكنا بعد أن أكرمه بما أكرمه به ووعدده الحسنى وزيادة ، وبعد أن أخبره أنه خاتم المرسلين ، وأن كلمته ستكون هي العليا وكلمة أعدائه السفلى ، فرد بذلك على المشركين زعمهم ، وآنسه صلى الله عليه وسلم ، وأزال الوحشة عنه حيث نفى ما زعموه على أبلغ وجه ، فكأنه يقول له عليه الصلاة والسلام : إن أى نوع يخجل بمقامك الجليل لم يوجد ولم يكن فضلا عما زعموه من الترك . وفي التعبير بمعنوا الربوبية وإضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم من كمال اللطف ما لا يخفى ، بما يتضمن من النكير على هؤلاء ، فكأنه يقول : كيف يتركك المتكفل بمصلحتك والمبلغ لك كما لك اللائق بك ، وكيف يبغضك من أنت حبيبه وصفيه وخايله ؟ إنه لم يتركك ولم يبغضك ، بل أعطاك وسيعطيك من أنواع الكمالات وعليا الدرجات ما ليس في حسابان أحد من هؤلاء .

والضحي : معروف ، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها . والليل : معروف ، وسجوه : سكون أهله . وذلك يكون غالبا فيما بين طرفيه أو بعد مضي برهة من أوله . وتخصيص الضحي بالإقسام به لأنه شباب النهار . والجواب قوله تعالى : ( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ) أى ما تركك ربك منذ اختارك وما أبفضك منذ أحبك .

والمراد المبالغة في نفي الترتك كما شرحنا ، فهو نظير قوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

قال تعالى : (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) أى الذى أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم مما أعطاك في الدنيا ، لأن ما أعطاك في الدنيا من أنك سيد ولد آدم ، وأنت خاتم الأنبياء والمرسلين باق لك في الآخرة بزيادة عليه لا يبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله ، وشهادة أمتك على سائر الأمم ، ورفع درجات المؤمنين ، وإعلاء مرتبتهم ، وغير ذلك من الكرامات السنية ، فكان ما في الآخرة خيرا لك مما في الأولى لهذا ، ولأن ما في الدنيا مشوب بالضرار ، وما أوتى عليه الصلاة والسلام في الآخرة صاف عن الشوائب ، وما أعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة خير مما أعد لجميع الفائزين . ويكفي لذلك اختصاص المقام المحمود به صلى الله عليه وسلم ، لهذا كانت الآخرة خيرا له من الأولى على الإطلاق . وحمل بعضهم الآخرة على نهاية أمره صلى الله عليه وسلم ، والأولى على بدايته . والمعنى عليه أن نهاية أمره خير من بدايته ، لأنك ستزداد قوة وتتصاعد رفعة — غير أن حمل الآخرة على الدار الآخرة للمقابلة للدنيا هو الظاهر ، والأنسب لمقام الامتتان .

والخلاصة أن معنى الآية أن الذى أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذى أعطاك في الدنيا . ووجه ارتباط قوله تعالى : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » بقوله : « ما ودعك ربك وما قلى » أن نفي التوديع والفلى يتضمن أن الله مواصلة بالوحي ، وأنه حبيب الله . ولما كان ذلك من أعظم الكرامات على الله ، بل قد لا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجبل منه ، أخبره جل شأنه أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل . (وَلَسَوْفَ يُمْطِرُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) عدة شاملة منه جل وعلا لما أعطاه في الدنيا : من الفلاح ، وانتشار الدعوة ، ودخول الناس في الدين أفواجا ، والظفر بالأعداء ،

وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن عدة شاملة لذلك ولما ادخره الله له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا هو. قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن العظيمة في قوله تعالى: «ولسوف يعطيك» هي الشفاعة حتى يرضى.

فدلت الآية على خيرى الدنيا والآخرة معا، فقد أعطاه الله في الدنيا النعم والظفر، وأعلى دينه، وجعل أمته خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة وهي مزايا لم تعط لغيره ولم يظفر بها أحد سواه، صلى الله عليه وسلم.

بعد أن أدخل جلي شأنه الطمأنينة على رسول الله، لأنه لم يتركه ولم يبخسه، وأنه أعد له في الدنيا والآخرة ما لم يعد لغيره، وأنه سيعطيه فيرضى، أخذ يعد ما أفاض الله عليه في أول أمره من النعم العظام، ليكون الحاضر شاهداً على المترقب الموعود، فيزداد قلبه الشريف اطمئناناً وتزداد نفسه سروراً وانشراحاً، فقال: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) أى ألم يعلمك طفلاً لا أباً لك فضمك الى من قام بأمرك وعنى بشأنك أتم العناية، وجمجدك ووالدتك وعمك وحليمة السعدية مرضمتك التي رزقها بصحبتك الخير والبركة، حتى أحبتك واهتمت كل الاهتمام بشأنك. وفيما قدمناه لك من عناية هؤلاء وكفالتهم له وذودهم عنه وقيامهم بشئونه وتحمل بعضهم الأذى في سبيله ما يشرح لك هذه الآية ويوضحها.

(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى): جملة معطوفة على ما قبلها، أى أما وجدك يتيماً فآوى

ووجدك ضالاً فهدى ؟

والعنى أن الله سبحانه وتعالى علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من شأنه مع قومه أنه كلما دعاهم الى الدخول في الدين وبين لهم الرشدهم من الغى وطلب إليهم البعد عما هم عاكفون عليه من الآراء السخيفة وعبادتهم لغير الله، أبوا وصموا آذانهم عن سماع الحق، وأعرضوا عن الإصغاء إليه، واستحبوا العمى، ورضوا بالضلال والكفر

عنادا واستكبارا، وغلوا في ذلك غلوا كبيرا، ولم يقفوا عند حد الإعراض، بل كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويؤذون من آمن به. كل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يترك دعوتهم، ويصبر على أذام، داعيا لهم في كل حال بالتوفيق، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، لفرط حبه لهداية الناس، وأنه قد بلغ من أمره أنه حزن لإعراضهم حزنًا كاد يذهب بنفسه (فَاعْلَمْ أَنَّهُ بِرَحْمَةٍ لِّنَفْسِكَ عَلَى النَّارِ هُمْ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) علم أن النبي هاله إعراض قومه عن نور الهداية حتى أملت الحيرة بقلبه كيف يتخذ الطريق إلى إخراج هؤلاء من الظلمات إلى النور، علم الله ذلك فهداه إلى الصراط السوي في الدعوة وأرشده إلى أحسن المناهج فيها، وعلمه ما لم تصل إليه العقول من الشرائع وعلمه ما لم يكن يعلم، وطلب إليه ألا تذهب نفسه عليهم حسرات، وأنه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأبان له أن من القوم قوما لا ينفع فيهم الإيذار (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وبشره في الوقت نفسه بأن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأن نصر الله لا بد مؤاتيه، وأن الناس تدخل في دينه أفواجا. ولقد وقع ما أراد الله من تلك النعم العالية، فصدق وعده، ونصر عبده، وهداه وامنن عليه فقال: «ووجدك ضالا فهدى».

هذا هو الظاهر من الآية، وهو الأنسب لمقام الامتنان على مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أنه صلى الله عليه وسلم ضلت ناقته عن الطريق وهو مسافر إلى الشام، أو غاب عن جده عبد المطلب وهو صغير، أو حصل له ذلك وهو لدى السيدة خديجة بعد فطامه، فلا يناسب مناسبة تامة مقام المنّة على ختم الأنبياء وصفوة الخلق وأكملهم عنده تعالى.

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) - العائل : الفقير . أى علمك فقيرا محتاجا اليه فأغناك به عن كل ما سواه ، ففقت نفسك فلم تعد عينك الى عرض الدنيا الزائل ولا الى حطامها المائى . أغناك ربك فلم تأبه لزينه الدنيا ، أغناك فيسر لك المال بما أعطاك من مال خديجة زوجك ومال أبى بكر صديقك ، فلم يجد المال الى نفسك سبيلا ، بل كنت تعين الكل ، وتؤتى المحروم ، وتدخل اليسار على المعسر ، وتؤثر الفقير على نفسك ، لم تر لئال قيمة إلا أنه وديعة عندك تصرفها فى مصارفها مما يعود بالنفع على غيرك من أمتك . أغناك الله عن كل من سواه حيث وجدك عائلا محتاجا الى الجاه والجند والأعوان ، فيسر لك أصحابا يؤثرونك على أنفسهم ، ويسترخصون كل عزيز لديهم فى سبيل مرضاتك ، وينصرونك ويؤيدونك ، فجعل لك منهم جندا وأعوانا ناصروك وقتلوا معك ، وجعل جاهك أعظم جاه ، وأيدك بالنصر وألقى الرعب فى قلوب أعدائك ، وجعلك مهيب الجانب ، فكان الذى يلقاك فردا يفرق ويخاف من هيبتك التى جلاك الله بها .

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يرى النعمة ويقدرها ويشكر عليها ، وكان من شكر النعمة أن يعامل الشخص غيره المعاملة التى تلائم مزيد النعم وتستوجب زيادة الفضل ، أرشده سبحانه وتعالى ( الخطاب له ولأمته ) الى أن رعاية الناس بلين ورفق من مظاهر الشكر . ولما كان أولى الناس بالرعاية وأحقهم بحسن المعاملة اليتيم ، لأنه عديم الأهلية فاقد القدرة ، يطمع فى ماله الأقوياء ، وكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك بما كان يقيما ، ورأى من صنيع الناس باليتامى ما رآه فى صغره ، ورأى ما كان من حذب عمه عليه ونصرته إياه ما لولاد لكان للأقوياء شأن عليه ، حضه الله جل شأنه على مواساة اليتيم وعدم قهره وحفظ ماله ، فقال تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ » ومثل اليتيم كل شخص عديم الأهلية ، وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه أظهر فى ذلك من غيره .



ولما كان العلم هو الخير كله، إذ لا منقبة إلا وهو الدليل عليها، ولا مفخرة إلا هو سندها، ولا حسنة إلا هو مفتاحها، ولولاه ما تميز الإنسان على الحيوان، ولا وجد الناس طريقا إلى الفضل وسبيلا إلى المجد، بل ولا إلى الكسب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك، أو صاه الله تعالى بطالب العلم خيرا، فقال عز من قائل: «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» أى وأما من طلب إليك أن يعلم فأفده ولا تنهره، لأن ذاك هو عماد الدعوة وأساس الهداية، إذ من علم فقد رشد، ومن جهل فقد هلك؛ ولما زيد العناية بهذا ورد الوعيد فيمن علم علما وكتمه. هذا هو الظاهر من معنى الآية، وإن صح حمل الآية على أن المراد بالسائل طالب المال، إلا أن ما قدمناه يجعل حماها على طالب العلم أظهر.

على أنه يصح التعميم في الأمرين، أى لا تنهر طالب العلم ولا طالب المال، وذلك إرشاد منه تعالى له ولائته.

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ): لأن في الحديث عن النعمة شكرها. وقد روى مرفوعا: من أعطى عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فن أثنى به فقد شكره ومن كتبه فقد كفره، ومن تحمل بما لم يعط كان كلابس ثوب زور. وقد استعجب السلف الصالح التحدث بما يعمله الإنسان من الخير إذا لم يرد به الرياء والافتخار ليقترى الناس به في ذلك. والمراد بالنعمة ما أفاضه الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من صنوف النعم التي من جملتها ما تقدم.

وخلاصة القول أن الله أرشد نبيه بما معناه أنك كنت يتيما وضالاً وعائلاً فأواك وهداك وأغناك، فهما يكن من شئ فالواجب ذكر هذه النعم والافتداء بالله تعالى بالمعطف على اليتيم ورحمة السائل. والله أعلم

طه ميبب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا

# الفتاوى والأحكام

## صلاة العيد

ورد من حضرة بسيوني بيوى أبو طالب ما يأتى :

صلاة العيد هل تصح في المسجد أم خارجه يجانبه أو في الصحراء بعيدا  
عن المسجد ؟

وورد نفس هذا السؤال من حضرة سكرتير لجنة جامع كوابو الأعظم على  
الوجه الآتى :

هل يصح للمؤمن أن يصلى صلاة العيد في تكايا وزوايا صغيرة على مقربة من  
المسجد الجامع تبعد عنه حوالى مائتى ( ياردة ) مع أن هذا كما ترون يقلل كثيرا من عدد  
الحاضرين المسجد الجامع ؟ وإنى أكون مسرورا إذا تفضلتم على بفتوى عما إذا كان  
ذلك مسموحا للحنفية والشافعية .

## الجواب

تجب صلاة العيد على من تجب عليه صلاة الجمعة بشرائطها سوى الخطبة ، فإنها  
سنة بعد صلاة العيد . وقد نص الفقهاء على أنه يتدب للمصلى الاستيأك والاعتسال  
والتطيب ولبس أحسن الثياب ، ثم يخرج ماشيا الى الجبابة ، وهى المصلى العام ؛ والخروج

الى الجبابة لصلاة العيد سنة ، وإن وسعهم المسجد الجامع . وكان صلى الله عليه وسلم يصلى العيدين فى المصلى ، وهو الذى على باب المدينة الشرق ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصحابهم مطر فصلى بهم العيد فى المسجد . وكان من هديه الصلاة قبل الخطبة . وكان إذا انتهى الى المصلى أخذ فى الصلاة بغير أذان ولا إقامة ، ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون شيئاً قبل صلاة العيد ولا بعدها . من هذا يتبين أن السنة فى صلاة العيد أن تكون فى الصحراء اقتداءً بهديه صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا صليت فى المسجد كانت صحيحة . وبما أن صلاة العيد واجبة عند الحنفية على من نجب عليه الجمعة بشرائطها فلا يصح عندهم صلاتها منفرداً ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى المسجد . أما صلاتها بجماعة فى زاوية صغيرة أو فى تكية فلا مانع منه متى تحققت شروط الجمعة . ولا شك فى أن الأفضل فى صلاتها هو الاتيان بها على الوجه الذى كان يفعله الرسول عليه السلام ، كما أنه لا شك فى أن صلاتها فى المسجد الجامع خير من صلاتها فى غيره ، خصوصاً لمن كان قريباً منه . هذا فى مذهب الحنفية .

أما السادة الشافعية فعندهم صلاة العيدين سنة ، ويسن فيها الجماعة وخطبتان بعدها . والأفضل أن تصلى فى المسجد لأنه أشرف وأنظف ، إلا إذا ضاق بالأفضل أن يصلى بهم فى الصحراء ، ويستخلف من يصلى بالضعفاء فى المسجد .

وقيل الأفضل صلاتها فى الصحراء وإن اتسع المسجد ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم واظب على صلاتها فى الصحراء . وأجاب أصحاب الوجه الأول بأن ذلك كان لضيق المسجد بالمدينة . وكل هذا فى الأفضل ، وإلا فهم تصح فى المسجد وفى البيت وفى غيرها جماعة وفردى .

## أحكام الجنائز

وورد أيضاً من حضرة بسيونى يوى أبو طالب ما يأتى :

هل تصح صلاة الجنائز في الصحراء أم في المسجد أم أمام المسجد أم في المقبرة ؟ وما حكم الذكر أمام الجنائز، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة البردة والأحزاب؟ - وسأل أيضا عن حكم الصلاة على النبي بعد الأذان، وحكم قراءة سورة الكهف في المسجد قبل صلاة الجمعة .

## الجواب

الصلاة على الميت فرض كفاية، وهي أربع تكبيرات كل تكبيرة منها قامة مقام ركعة . ومن السنة الدعاء فيها بعد التكبيرة الثالثة بأمور الآخرة، والدعاء بالمأثور أولى نحو : اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا، ونحو : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله . إلى آخر ما هو معلوم من هذا ، ويسلم بعد الرابعة تساميتين ، ولا قراءة ولا تشهد فيها ، ولا يستغفر فيها لصبي ولا إن بلغ مجنوناً أو معتوها لعدم تكليفهم . وتكره صلاتها في المسجد ، سواء أكان الميت داخل المسجد أم خارجه على ما هو ظاهر الرواية . وفي رواية لا تكره صلاتها في المسجد إذا كان الميت خارج المسجد . والمختار الكراهة مطلقا ، وحقق السكال أنها كراهة تنزيه . وخالفه بعض تلاميذه ، ورجح القول بكراهة التحريم لا إطلاق المنع في قول محمد في موطنه : لا يصلى على جنازة في مسجد . وكان هديه صلى الله عليه وسلم الصلاة على الجنائز واتباعها ودفعها . وكان يحمد الله ويسأل المغفرة للميت والرحمة له ، وكذلك أصحابه . وكان يصلى عليه خارج المسجد . ولم يكن من هديه الراتب الصلاة عليه في المسجد ، غير أنه صلى أحيانا على الميت في المسجد ، ولكن لم يكن ذلك عادة . وعليه فالصلاة على الميت تكون خارج المسجد ، سواء في ذلك المقبرة وغيرها ، وتصح في المسجد .

أما الذكر أمام الجنائز ورفع الصوت بالقراءة أو بإنشاد بعض الشعر وما مائل ذلك ، فقد سبق أن كتبت عنه المجلة في الممدد السابع من السنة الثالثة ، فليراجع .

وكذلك كتبت عن حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ، وكتبت عن حكم قراءة سورة الكهف في العدد الثاني من السنة الرابعة .

## صلاة الجمعة في القرى

وورد من حضرة أحمد افندى فرج ناظر مدرسة دماط الإلزامية ما يأتى :  
كثير من الناس يترك صلاة الجمعة في القرى معتمدين على أن صلاتها على مذهب الحنفية أن تكون في مصر ، وأن المصر ما كان له حاكم وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ، فهل العمدة ومأذون الشرع الشريف يقومان مقامهما أم لا ؟ ... وإذا كان الجواب بالإيجاب ووجوبها على أهل القرى ، فهل تنفى عن الظهر مع تعدد المساجد ؟

## الجواب

من شروط صحة الجمعة عند الحنفية المصر ، وهو ما لا يسع أكبر مساجده أهله المكلفين بها ، وعليه فتوى أكثر الفقهاء . وبناء على ذلك تكون الجمعة واجبة على أهل القرى إذا كان مسجد القرية الكبير لا يسع أكثر المكلفين بها . أما تفسير المصر بأنه كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ، فهو رأى آخر لأبى يوسف رحمه الله ، وليس مفتى به ، وبالتطبيق عليه لا تجب الجمعة على أهل القرى .

ومن الواضح أن العمدة والمأذون لا يقومان مقام الأمير والقاضى ، لأن اختصاص العمدة لا يشمل إقامة الحدود والفصل في الخصومات ، كما أن اختصاص المأذون لا يتجاوز التوثيق في عقود الزواج وما يقع من طلاق . على أنك قد علمت أن المفتى به هو تفسير المصر بأنه ما لا يسع أكبر مساجده أهله المكلفين بها ، ولا يصح الجرى على غير المفتى به . ومتى صحت الجمعة أغنت عن الظهر عند الحنفية والله أعلم .

## القرآن لفظا ومعنى

وورد من حضرة محمد جودت بدر حباتر ما يأتى :

هل نزل القرآن الكريم بالمعنى وعبر عنه باللفظ فقط ، أم نزل باللفظ فقط ، مع أن كلام الله ليس بصوت ؟ وما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسى ؟

### الجواب

القرآن هو اللفظ العربى المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المتواتر ، فالنزل هو اللفظ المقروء . أما الحديث القدسى فهو ما أسنده النبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ، ولا يلزم أن يكون متواترا ولا هو متعبد بتلاوته ولا متحدى به . أما كلام الله الذى هو صفة له عز وجل منافية للسكوت والآفة ، فليس من جنس الحروف والأصوات ، ولا يختلف الى الأمر والنهى والإخبار ، ولا يتصف بالماضى والحال والاستقبال إلا بحسب التملقات والإضافات .

وجملة القول أن المنزل والمقروء ليس هو الصفة القديمة كما هو ظاهر . والله أعلم .

طه مبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا

## حكم صلاة الظهر بعد الجمعة

ورد على إدارة المجلة عدة أسئلة تتعلق بهذا الموضوع ، فخوايا عليها نقول :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قد فرض الله على عباده خمس صلوات في اليوم والليلة ، وهى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، وفرض يوم الجمعة هو صلاة الجمعة متى استوفت شروطها ، فإن لم تستوف شروطها فالفرض الظهر كباقي الأيام ، لا يخالف فى ذلك أحد .

وقد اشترط الشافعى لصحتها ألا يبقها ولا يقارنها جمعة فى مكانها ، أى فى البلد الذى أقيمت فيه . هكذا نص الشافعى ، وعلمه الأصحاب بأنه صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يقيموا فى البلد الواحد إلا جمعة واحدة ، ولأن المقصود من الجمعة إظهار شعار الاجتماع ، واتفاق الكامة ، وكونها جمعة واحدة أفضى الى هذا المقصود .

وقد دخل الشافعى بغداد وفيها يقام جعتان ، وقيل ثلاث ، فلم ينكر على أهلها ، فاختلف الأصحاب فى الجمع بين نصه على عدم جواز التعدد وسكوته عن إنكار التعدد : فمنهم من قال : إن التعدد فى بغداد كان لحاجة ، ونصه محمول على ما إذا لم يكن هناك حاجة للتعدد ولم يسر الاجتماع . وعليه أكثر الأصحاب ، بل قال الرويانى : إن مذهب الشافعى لا يحتتمل إلا هذا . ومنهم من قال : بل كانت بغداد يشقها نهر الى قسمين ، وفى كل قسم جمعة ، والتعدد حينئذ يجوز . وقال بعضهم : كانت قرى منفصلة ثم تلاصقت ، والتعدد

يجوز في هذه الحال . ومنهم من قال : إن مذهب الشافعي هو ما نص عليه من عدم جواز التعدد مطلقا ، وأما سكوته عن الإنكار على أهل بغداد فلأن المسألة اجتهادية ، وليس للمجتهد أن ينكر على مجتهد في ذلك . وإذا جرينا على ما عليه الأكثر من جواز التعدد لحاجة ، فلا حاجة صور ، منها أن يكثر أهل المصر بحيث لا يسعهم مكان واحد ، مسجدا كان أو غيره ، وأن تبعد أطرافه بحيث يشق السعي منها إلى مكان واحد ، وأن يوجد بين أهله خصومات تؤدي إلى فتن لو اجتمعوا في مكان واحد ، وأمثال ذلك .

وعلى هذا فإذا لم تعدد الجمعة أو تعددت وعلم السابق لا يجوز إعادة الجمعة ولا الظهر ، أما عدم إعادة الجمعة فليسبق جمعة صحيحة لها ، وأما عدم جواز إعادة الظهر فلأن فرض اليوم هو الجمعة لا الظهر ، وهذا بالنسبة لأهل الجمعة السابقة ، أما أهل الجمعة المسبوقه ، فإن قلنا بعدم جواز التعدد مطلقا فعليهم إعادة الظهر ، وإن قلنا يجوز له الحاجة ، وكان هذا التعدد لحاجة ، فيسبغ لهم إعادة الظهر ، خروجاً من خلاف من يمنع التعدد مطلقا ، وإن كان هذا التعدد بلا حاجة فعليهم إعادة الظهر حتما ، لأن جمعهم لم تستوف شرط صحتها وهو عدم سبق جمعة صحيحة لها ، فإن اقترنا وجب عليهم جميعا إعادة الجمعة ، لأنه لم يسبق جمعة صحيحة وهم من أهلها ، فإن شك في السبق والمقارنة أو علم السبق ولم يعلم السابق ، وجب عليهم جميعا إعادة الظهر ، أما في حالة الشك فلا احتياط للخروج من عهدة التكليف بيقين كما شغلت الذمة بفرض الجمعة بيقين ، فانه يحتمل المقارنة فتكون جمعهم كلهم باطلة ، ويحتمل السبق ، وكل من الطرفين يجوز أن يكون هو المسبوق ، وأما في حالة ما إذا علم سبق ولم يعلم من السابق ، فلأن كلا منهما يحتمل أن يكون هو المسبوق ، فيكون الفرض لا يزال في ذمته .

وعلى ذلك تكون الخلاصة أنه إذا لم تعدد الجمعة لا يجوز إعادة الجمعة ولا ظهرا ، وإذا تعددت لغير حاجة ، فإن سبقت إحداها وعلمت فهي المعتد بها ، وعلى الآخرين إعادة الظهر ، وإن قارنت وجب على الجميع إعادة الجمعة لبطان الجمعتين بالمقارنة ،



وإن سبقت إحداها يتيقن ولكن لم تعلم السابقة، وجب على الجميع إعادة الظهر، وإن شك في السبق والمقارنة وجب على الجميع إعادة الظهر.

وبهذا يتبين جهل من يرى الشافعية بأنه يلزم مذهبهم أن تكون فرائض الصلاة ستاً في أحد الأيام وقد جعلها الله خمساً، فهذا كلام لا يصدر إلا عن مسرف في المجازفة والافتيات على أئمة الدين بدون أن يتفهم كلامهم ويعرف مستندهم، فقد رأيت مما تقدم أنهم استندوا في وجوب أن تكون جمعة البلد الواحدة واحدة إلى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده من أنهم لم يقيموا في البلد الواحد إلا جمعة واحدة. والحكمة في ذلك واضحة، وهي أن المقصود من الجمعة إظهار شعار الاجتماع واتفاق الكلمة، ولا شك أن تعدد الجمعة في البلد الواحد لا يفضي إلى هذا المقصود إفضاءً وحدثها، فمن الذي ينكر ما في اجتماع أهل البلد الواحد كل أسبوع مرة في مكان واحد: يتعارفون، ويتوادون، ويتعهد بعضهم بعضاً، ويجددون رابطتهم، من الفائدة العظمى التي لا يزال الدين يرى إلى أمثالها.

وإذ قد ثبت عند الشافعي أن وحدثها شرط لصحتها بالدليل النقلي للسند بالنظر العقلي، فكل ما فقد شرط صحته من العبادات فهو غير مجزئ، وإذا لم تقع الجمعة مجزئة فالظهر واجب بإجماع المسلمين. والمراد بأهلها الذين لا يسمهم مكان واحد، من يغاب صلاتهم لها في البلد. وقيل من تجب عليهم، وقيل من تصح منهم. واعتمد الرملي الأول. ثم العبرة في السبق بسبق الإمام بتكبيره التحريم، أي تمام (الراء) من (أكبر) وقيل العبرة بسبق بدء الإمام بالتحريم، أي بهمزة (الله). وقيل بالسلام. وقيل بالخطبة.

ولنتل عليك عبارة الأم التي هي أصل نص الشافعي في هذا الموضوع: «ولا يجمع في مصر وإن عظم أهله وكثر عامله ومساجده إلا في المسجد الأعظم، وإن كانت له

مساجد عظام لم يجمع فيها إلا في واحد ، وأيها جمع فيه أولاً بعد الزوال فهي الجمعة ، وإن جمع في آخر سواه بعده لم يعتد الذين جمعوا بعده بالجمعة ، وكان عليهم أن يعيدوا ظهراً أربعاً . ثم قال : « وإن أشكل على الذين جمعوا أيهم جمع أولاً ، أعادوا كلهم ظهراً أربعاً » والله سبحانه وتعالى أعلم .  
ابراهيم الجبالي

## الظرف والمُلح

قال أبان بن تغلب :

شهدت أعرابية توصي ولدًا لها أراد سفرًا وهي تقول : أي بني : اجلس أمْنَحْكَ وصيتي وبالله توفيقك ، قال أبان : فوقفت مستمعا لكلامها ، مستحسنا لوصيتها ، فإذا هي تقول : أي بني : إياك والنخمة ، فأنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ؛ وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقاما اعتورت السهام غرضا إلا كلمته ، حتى يهي ما اشتد من قوته ؛ وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ؛ وإذا هزرت فاهزركرنا ، يلن لهزرتك ، ولا تهزركرنا فانه صخرة لا ينهجر ماؤها ؛ ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسننت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشرة ، وخالف منه ذلك فعلمه ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها .

ثم أمسكت ، فدنوت منها فقلت لها : بالله يا أعرابية إلا مازدته في الوصية : قالت : أوقد أعجيبك كلام العرب يا حضري ؟ قلت : نعم ، قالت : الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء ، فقد أجاد الحيلة رَيطَها <sup>(١)</sup> وسر بها .

(١) الملاحة غير ذات اللقطين .

## قرار

هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

فيما يجب على الأمة الإسلامية اتخاذها إزاء أعمال المبشرين

في يوم الاثنين ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (٢٩ من يونيو سنة ١٩٣٣) اجتمعت  
هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر الشريف تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة  
الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بناء على الدعوة الموجهة إليهم من فضيلته .  
وقد عرض عليهم فضيلته في هذا الاجتماع ما استفاضت به الأخبار من قيام  
(المبشرين) بتقصير أبناء المسلمين وفتياتهم في مختلف الجهات بما يتخذونه من وسائل  
الحيل والخديعة والإغراء تارة ، وضروب العنف والإرهاب تارة أخرى .  
وبعد البحث والمداولة قررت الهيئة ما يأتي :

أولاً — مطالبة الحكومة بأن تسن تشريعات حازماً حاسماً يحدّث بذور هذا الفساد  
ويستأصل شأفة هذا المرض الويل الفتاك ، كي يطمئن المسلمون على الدين الإسلامي  
القيوم والقرآن المجيد ، وكي يكون أولادهم وإخوانهم وأقاربهم في مأمن من أن تصل  
إليهم يد الاعتداء أو الإغراء لتحويلهم عن دينهم .

وقد عهدت في تنفيذ ذلك إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ  
الجامع الأزهر ليقوم بمطالبة الحكومة بسن هذا التشريع .

ثانياً — إصدار البيان الآتي :

## بيان

الى الامة الاسلامية

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

أيها المسلمون : لقد استفاضت الأخبار بما يعمله هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (مبشرين) وعمت البلاد من أولها الى آخرها، ووصل الى علمكم أنهم يتخذون الوسائل الفظيعة الى تنصير أطفال المسلمين ، وضعفاء العقول منهم ، وأنهم لا يخجلون من ارتكاب ما لا يبيحه عقل ولا فطرة ، وما يحرم منه وجه المروءة والفضيلة ، ويحملون ذلك طريقا لإخراج الشاب المسلم الضعيف الإدراك من دينه .

فإذا أعييتهم الحيلة عمدوا (على ما جاء في الصحف) الى التخدير والتنويم ، فإذا لم يقدم هذا عمدوا الى الإرهاب والتعذيب حتى يصلوا الى بغيتهم .

ولقد انبث هؤلاء المبشرون في المدن والقرى ، وأتقنوا الحيل : فظهروا أمام ضعفاء العقول بمظهر رسل الرحمة ، فأنشئوا المستشفيات تقبل المرضى وتعالجهم مجانا ، وأنشئوا المدارس تقبل أولاد الفقراء وتعلمهم بلا مقابل ، وبنوا الملاجئ تقبل المعوزين وتوسع عليهم في النفقة — عمل ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه الختل والخداع .

فأقبل ضعفاء الإدراك والعقول على مستشفياتهم ومدارسهم وملاجئهم ، ورائدكم حسن النية ، لا يدرون أن وراء الأكمة ما وراءها .

إنهم أيها المسلمون يتخذون من هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ شباكا يصطادون بها ضعفاء العقول من الأطفال والمرضى والفقراء والمعوزين .

أما في المستشفيات فإن للبشرين ينتهزون من مرض المسلم وفقره وضعفه وحاجته الى الصحة فرصة لزحزحته عن دين الاسلام .

وأما في المدارس فإنهم يعلمون أولاد المسلمين أمورا هي ضد الدين الاسلامي وضد محمد صلى الله عليه وسلم ، وضد القرآن الكريم ، يشون ذلك في الدروس كالسم في السم ، ويعصرون للأطفال محمداً صلى الله عليه وسلم تصويرا خيفاً مزعجاً ، ويفترون على الدين الاسلامي ، والقرآن المجيد ما شاءوا أن يفتروا ، ويرغمون هؤلاء الأطفال على تأدية صلواتهم ، معتمدين في ذلك كله على أن الأطفال ضعفاء الإدراك يسهل تشكيكهم وتحويلهم عن دينهم .

وأما في الملاهي فإنهم يتصيدون الفقراء الذين مسهم الضر ثم يضعونهم فيها فيطعمونهم ويكسونهم ، وعند ذلك يتصرف المبشرون في عقائد الدينية حتى يخرجوهم من دين الاسلام .

فإذا تم لهم ما أرادوا اجتهدوا في قطع صلة من نصره بأهله وذوى قرابته ، وربما غربوه الى البلاد البعيدة التي لا يرجع منها الى بلاده .

أيها المسلمون : إن مما فرضه الله على العلماء أن يذكروكم بما يوجب الاسلام عليكم نحو هذه الأعمال الضارة بدينكم وأولادكم وإخوانكم وأمتكم .

فالواجب عليكم شرعا أن تحبطوا أعمال المبشرين ، وتباعدوا بينهم وبين أولادكم الذين هم فلذات أكبادكم .

يوجب عليكم الاسلام أن تبتذوا وتهجروا كل من يعرض ابنه أو بنته أو قريبه للدخول في هذه الأماكن الخبيثة والبيئات الضالة المضلة .

إن من يدخل ولده أو مريضه في هذه الأماكن الموبوءة بعد أن افتضح أمرها وتبينت الأعمال المروعة التي ترتكب فيها هو الرجل المحتقر في نظر الدين بل الخارج من حظيرة الاسلام إن كان عالما بتلك النتائج التي يقصدها المبشرون راضيا بها .

فيجب عليكم معاشرة المسلمين أن تهجروا، ولا تمكثوا من معاملتكم، ولا يكون له في قلوبكم أى ميل أو عطف، حتى يشعر بعظم ما ارتكب في حق دينه وأولاده وعشيرته فينبىء إلى أمر الله، ويرجع عن غيه، ويخرج صغيره أو قريبه من الظلمات إلى النور.

أيها المسلمون : هل ترضون لأولادكم وإخوانكم أن يتخذوا غير الإسلام ديناً والله تعالى يقول : ( وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) .

وهل ترضون أن يردوا عن الإسلام والله تعالى يقول : ( وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

وهل يسوغ لكم أن تسلموا أولادكم إلى طائفة المبشرين وتخدعكم حيلهم والله تعالى يقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ )

وهل ترضون لبناتكم المسلمات أن يكن زوجات لمن ليسوا على دين الإسلام فيتصرفوا في أعراضهن ودينهن .

أين نخوتكم الإسلامية، وأين غيرتكم على دينكم وأحسابكم وأنسابكم الكريمة : أيها المسلمون : إذا أنتم لها وكنتم في أمر دينكم فاذا يكون موقفكم غدا بين يدي الله تعالى : ( يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ) !

أيها المسلمون : لقد علمتم أن أعمال هؤلاء المبشرين قامت على المستشفيات والمدارس والملاجيء ينشئونها في المدن والقرى، ويتصيدون لها من هنا ومن هنا من أوقعهم الفقر وسوء الحظ في حبالهم .

فالإسلام يوجب عليكم أن تحتثوا الرباء من أساسه، فتتشتوا مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ، وتقوموا بالنفقة عليها، إنقاذ الدينكم وأعراضكم، ومنعاً لفقرائكم ومعوزيكم من الذهاب إلى تلك الأمكنة الموبوءة التي علمتم أغراض المبشرين من إنشائها. قال الله تعالى : ( وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

وقال الله تعالى : ( وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ) . وقال الله تعالى : ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

أيها المسلمون : إن إنقاذ الدين الإسلامي وأولاد المسلمين بإنشاء مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ والإفناق عايلها وجب على الأمة الإسلامية حكومة وشعباً على اختلاف الطبقات، وفي المقدمة العلماء، كل بحسب قدرته وما يستطيع بذله . وواجب العلماء أن يبذلوا أموالهم ونصحهم وإرشادهم الناس بالحجة والبرهان إلى معرفة ما يوجب الدين الإسلامي عليهم في هذا الأمر .

وواجب الحكومة التي تعنى بالمحافظة على الأرواح والأموال أن تقوم بمحاربة الدين، وأن تنقذ أولاد المسلمين من مخالب المبشرين، وأن تضع تشريعاً حاسماً يستأصل ضلال المبشرين من الدولة المصرية .

( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) .

وعلى أثر صدور هذا القرار تبرع لمشروع مقاومة التبشير المشار إليه في القرار  
 حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الطواهري شيخ  
 الجامع الأزهر بمبلغ ٢٠٠ مائتي جنيه ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير  
 الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية بمبلغ ١٠٠ مائة جنيه ، وحضرة صاحب  
 الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر بمبلغ  
 ٥٠ خمسين جنيا ، وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسين والي بمبلغ  
 ٥٠ خمسين جنيا ، وتبرع كثير من كبار العلماء بمبالغ مختلفة .

ونرجو أن يكون هذا التبرع الكريم فاتحة اكتتاب تبسط له الأمة أيديها  
 بسخاء وكبرهمة حتى تبلغ الغاية الكافية لتحقيق هذا المشروع الجليل .

## الطرف والملح

قال الشاعر :

وأنف من أخى لأبي وأمي	إذا ما لم أجده من الكرام
ولست بقانع من كل فضل	بأن أعزى إلى جد هام
ولم أر في عيوب الناس شيئا	كنقص القادرين على التمام



## حول حوادث التبشير

كنا نحسب أننا في عصر يعرف فيه الأفراد والجماعات ما لغیرهم من الحقوق ، ويقومون فيه على حسن المعاشرة محتفظین بما ينبغي أن يكونوا علیه من الآداب المرضیة ، وهو المسلك الذى یرفع لواء السلام ، ویبسط ظلال الأمن فی البلاد ، ویمكن الجماعات المختلفة فی الملل والمذاهب أن یعيشوا فی وطن واحد ، یعاونون على مصالحهم المشتركة ، وتستقل كل جماعة بمصالحها الخاصة دون أن تلحق بغيرها ضررا . ولكن المبشرين من البلاد الأجنبية یهبطون بلاد الاسلام ویستخفون بأدب حسن المعاشرة ، یرتكبون الطرق المعوجة فی دعائهم ، فینتهزون جهالة بعض الشبان المسلمين ، أو الشابات وغفلة أولیائهم فرصة لإفساد عقائدهم ، وإخراجهم الى ملة غیر ملتهم .

وقد غلب قصدهم الى هذا الغرض السيء ، فلم یراعوا حتى مصالحة مدارسهم ومستشفياتهم التى یدعون أنهم فتحوها لخدمة العلم والانسانية ، فان ما ظهر من حوادث تفريغهم للفتیان والفتیات المرة بعد الأخرى ، لما ينبیه الناس لانهاسكة التى یلقون فیها بأبنائهم إذا هم زجوا بهم فی هذه المدارس ، أو حملوم لیعالجوا فی هذه المستشفيات ، ومن الذى یرضى لابنه أو قریبه الانسلاخ من الدین الحق ؛ وأی فائدة لهم فی علم یخلط بزینغ العقیدة ؛ وأی فضل لأخلاق لا تقوم على قرارة الايمان ؛ ومن أرسل ناشئا جعله الله تحت ولايته الى أمثال هذه المدارس أو المستشفيات وهو یعلم ما تفعله من إفساد العقائد فقد سفه نفسه ، وخسر ابنه ، وباء بغضب من الله .

وقد اشتد ألمنا لصنيع هؤلاء المبشرين ، وكنا نود أن يدركوا من أنفسهم أن للنزلاء آداباً يحسن منهم الوقوف عندها ، ومن هذه الآداب أن لا يتعرضوا لإفساد عقائد أبنائنا وبناتنا ، ويتجنبوا إثارة الفتن بمحاولة تنصيرهم ، ولكنهم لم يشاءوا إلا أن يندبوا هذا الأدب جملة ، حتى ذهبوا في إغواء بعض البنات أو البنين مذهب الإرهاق زيادة على طريقة الاستدراج والإغراء .

ومن حوادثهم الجديدة ما جرى في مدرستهم المسماة « مدرسة السلام » ببور سعيد ، ومن أشنع هذه الحوادث أن مبشرة أجنبية هناك كانت تسهوى فتاة مسلمة إلى النصرانية ، ولما لم يجدوها الاستهواء بالقول نفعا ، عمدت إلى تعذيبها بالضرب حتى اضطرت الفتاة تحت هذا الإرهاق إلى التظاهر بالدخول في النصرانية . وظهر على ما روته الصحف أيضا أنهم توسلوا إلى تنصير فتاة مسلمة بتأثير التنويم المغناطيسى ، وزوجوها من داعية لهم نصراني زعموا لأنها مسلمة ، إلى ما يشاء كل هذا من الحوادث التي تنكرها الشرائع وتبهرأ منها الإنسانية الفاضلة .

وقد فزع لهذه الحوادث القطيعة الشعب المصري بأجمعه ، ونودى بالاحتجاج عليها من كل ناحية . ومقاومة هذا الخطر الذي لا يطاق ، تتحقق من ناحية الأهالي بامتناعهم من إدخال أبنائهم أو بناتهم في مدارس عرفت بمحاولة إفساد عقائد البنين والبنات ، ويبدل المال لإنشاء مستشفيات وملاجئ يأوى إليها الأيتام والفقراء بدل مستشفيات أو تلك المضامين وملاجئهم . ومن ناحية الحكومة باتخاذ الوسائل الكافية لإيقاد النشء من شرور هذه الأخطار .

فجلة نور الاسلام تنكر هذه الحوادث المزعجة أشد الإنكار ، وتنصح المسلمين بالكف عن إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس المفسدة لعقائدهم ، المجردة لهم من آداب

دينهم ، البائثة فيهم بفض أهلهم وعشيرتهم ، وتؤمل من رجال حكومتنا الرشيدة أن يديروا الوسائل الحكيمة الى قطع هذه الحوادث المقوّة ، حتى لا يتجدد أمثالها ، وتأمين الأمة على دينها ، ومستقبل أبنائها . وفي دفع أذى هؤلاء البشرين بالتي هي أقوم قطع لأسباب فتن نحن في حاجة الى أن نضع مكانها أمناً وسلاماً .

.....

## الظرف والملاح

قال معن بن أوس :

ورثنا المجد عن آباء صدق

أسأنا في جوارهم المنيما

إذا المجد الرفيع تعاورة

بُناة السوء أوشك أن يضئما

## حلقة جديدة

من سلسلة الآثار العريقة

التي لجلالة مولانا الملك فؤاد الاول وأياديه البيضاء على مصر

### تجريد

كوبرى الخربوى اسماعيل والامتنان بافتتاحه رحباً

منذ جلس جلالة مليكننا المعظم على عرش مصر وهو دائب على ترقية شئونها وترفيه أحوالها، ورفع مكانتها بين الأمم، فما من سبيل الى نشر العلوم والفنون إلا سلكه بها، ولا وسيلة من وسائل الحضارة والتجديد إلا أمر باتخاذها، فبما قلبت طرفك فى أنحائها، وجلت بفكرك فى المقارنة بين ماضيها وحاضرها، بهرتك الآيات البينات، والشواهد القاطعات على ما لهذا الملك العظيم من العقل الرصين، والحكمة السامية، والخبرة الواسعة بتدبير شئون مملكته، وتصريف زمامها، وتوجيه رعيته الى الخير.

ناهيك بالجامع الأزهر وكلياته ومعاهده الدينية، وبالجامعة وفروعها، ودور العلم المختلفة، والمدارس العالية، ومعاهد التربية، ومكاتب التعليم الإلزامى، ودور الصناعة والمنشآت الكبيرة، كالمستشفيات، والملاجئ، والمساجد، وأندية الرياضة البدنية، والمطارات والكبارى، والجسور، والترع، وغير ذلك مما لا يأتى عليه عد ولا يباغى حصر.

وآخر منقبة من هذه المناقب الخالدة أمره بتجديد الكبرى الذى كان مقاماً على ضفتى النيل بجوار قصر النيل، وكان يطلق عليه «كوبرى قصر النيل» .

قامت حكومته المسارعة الى تلبية دعوته فى كل ما يعود على البلاد بالراحة والرخاء، القائمة على تنفيذ إرادته الملكية، فعهدت الى شركة (دورمان لويج) بهذا العمل على أن تنجزه فى ثلاثين شهراً من أول يناير سنة ١٩٣١، فأنجزته فى سنتين وشهرين وخمسة أيام، وكانت نفقة إنشائه ٢٩١٩٥٥ جنيهاً، يسلمته عقب إتمامه الى وزارة المواصلات وهو يمتاز عن الكوبرى القديم بفرط متانته، وقوة رسوخ دعائمه، وزيادة مساحته طولاً وعرضاً، فجاء أحسن صرفاً، وأتم راحة ويسراً .

جعل يوم ١٣ صفر سنة ١٣٥٢ الموافق ٦ يونيه سنة ١٩٣٣ ميقانا للاحتفال بافتتاح هذا الكوبرى الجديد الذى سمي (بكوبرى الخديوى إسماعيل) تخليداً لذكر ذلك الرجل العظيم، صاحب المسائر العديدة على مصر .

فكان يوماً تاريخياً مشهوداً جذبوا بأن يعد من أيام هذا العهد الفؤادى المبارك . نصب أمام الكوبرى من الجهة الغربية مرادق نخم فرش بالطنافس الفاخرة وصفت فيه الكراسى المذهبة المخملة . وفى الموعد المحدد توافد إليه وزراء الدولة ورجال الدين، يتقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكبار الأئمة من شيوخ ونواب وموظفين وغيرهم . ثم شرفه جلالة الملك المعظم، فاستقبل بالاجلال والإعظام، وكان بدر الاحتفال النير، تمحوطه الهابة، وتلوح على محياه الكريم علامة البشر واللذة لإتمام هذا العمل الجليل .

وقد ألقى بين يدي جلالته سعادة وزير المواصلات كلمة شكر واعتراف بما لجلالته من الأيادى المشكورة، وذكر نبذة وجيزة فى تاريخ الكوبرى القديم ووصفه ونفقته

وفى السبب الذى دعا لإنشاء الجديد . ثم أتى النائب عن الشركة كبة بالانجليزية  
لا تخرج عما ذكر .

وبعد ذلك تفضل جلالة الملك فافتتح بيده الكريمة طريق الكوبرى الجديد  
وودّع كما استقبل : بقلوب وامقة تحفظ له عوارفه السكينة ، مقرونة بالشكر الخالص  
وعيون رامقة تملؤها مهابة إكبارا وإعظاما ، وألسنة داعية بدوام ملكه الشهيد ،  
وعطفه على رعيته ، قرير العين بسمو ولىّ عهده الأمير فاروق ، حرسه الله للبلاد  
فخرا وعتادا .

## الى سالة الخالدة

أو

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهي الحلقة الثانية من سلسلة المعارف التاريخية الاسلامية التى يقوم بتأليفها  
فضيلة الأستاذ الأديب الشيخ محمد حسين النجار المحامى الشرعى بأسيوط .

تكلم فيها عن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحال الأمم قبل بعثته الشريفة  
التي تلت الأمم من وحشية واضطراب الى سلم ونظام ، ببيان عذب وأسلوب رصين ،  
جاء كتابا وافيا نافعا .

فنشكره على هذا العمل الجليل . طبع بالمطبعة الأهلية بأسيوط طبعا مة تمنا  
فى ورق جيد . ويطلب من حضرة المؤلف .

# قرار

صحة العلماء في كلية الشريعة الإسلامية

في يوم الثلاثاء، ٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (٢٧ من يونيو سنة ١٩٣٣) اجتمع حضرات أساتذة كلية الشريعة الإسلامية برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الكلية ، وتداولوا فيما يقوم به المبشرون من أعمال تنفر منها العقول السليمة ، وفيما يجب على المسلمين عامة والعلماء منهم خاصة نحو ذلك فأصدروا البيان الآتى :

اطلعنا على القرار الحكيم الذى أصدرته هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فى شأن التبشير والمبشرين ، فوجدناه قد كشف الداء ووصف الدواء ، وأبان عن حكم الله ورسم للمسلمين المحجة البيضاء ، - ولا عذر بعد البيان .

وإنا نؤيد ذلك القرار ، ونرى أنه هو الدواء الحاسم لصد عدوان المبشرين ، ونضم صوتنا الى صوت هيئة كبار العلماء فى مطالبة أولى الأمر بسن تشريع حازم حاسم يقطع على أولئك المهرجين سبيلهم ، ويطمئن المسلمين على دينهم وعلى أطفالهم وذوى الحاجة والضعفاء منهم .

وإن الحكومة إذ تسن هذا التشريع تعمل على صون الأمن فى البلاد ، وعلى إطفاء نار الفتنة التى يوقدها هؤلاء المبشرون دائماً بما يرتكبون من استهواء أبناء المسلمين ، وصرفهم عن دينهم واستعمال وسائل غير مشروعة : من إغراء القاصرين والقاصرات تارة ، ومن ضررهم وسجنهم وتعذيبهم تارات أخرى ، الى غير ذلك من الأعمال

التي تهيج شعور المسلمين وتثير الفتن والفلاقل وإن تشريعا يحفظ على الأمة الاسلامية دينها لهُو عمل إنساني جليل، يصون المبادئ السامية، ويعزز الفضيلة ومكارم الأخلاق وينشر السلام بين الناس جميعا، فالاسلام دين السلام والمحبة والوثام .

وإننا ندعو الأمة كما دعاها هيئة كبار العلماء ألا يدخلوا أبناءهم وبناتهم مدارس المبشرين ولا ملاجئهم ولا مستشفياتهم ، لأنهم يسلبونهم فيها أعز شيء لديهم وهو دينهم ، وذلك هو الخسران المبين .

وندعو الأمة كلها الى أن يتواصوا فيما بينهم بالنصح والإرشاد أن يتمتعوا من معاملة هؤلاء النفر الذين يرسلون أبناءهم الى مدارس المبشرين ، بعد أن ظهر للعيان ضررها البالغ في الدين ، وبعد أن تبينت مقاصد هذه الفئة التي سمت نفسها بالمبشرين ، وأن يتوخوا في ذلك سبيل الحكمة والسكينة والهدوء . وليتنبهوا الى أن أى اعتداء على أى شخص هو أكبر عقبة في سبيل العاملين المدين .

كما أننا ندعو أغنياء الأمة وموسريها أن ينموا فيهم عاطفة الرحمة بالفقراء والضعفاء ببذل اليسير مما أنعم الله عليهم من الأموال في سبيل إنقاذ هؤلاء البائسين من هوة الفساد . وسنكون من أول الباذلين لأموالهم في هذه السبيل ( الراحون يرحمهم الرحمن ) .

ساهموا أيها المسلمون في بناء المستشفيات والملاجئ والمدارس لإيواء إخوانكم وأبنائكم وذوى الحاجة منكم ، ولا تاجئوهم الى أن يدخلوا في تلك النار المستعرة مضطرين في صورة مختارين ( وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) .



# الأزهر

## وجامعة المسجد الأقصى

ود فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

على حديث الوفد الاسلامى المسافر فى الهند

محدث لفضيلة مع المقدم

نظم التلاميذ فى الأزهر — عدد الطلاب الا جانب  
فى الأزهر وطريق دخولهم — رأى فضيلته فى  
فلسطين — مصر قلب الاسلام النابض .

نشرت جريدة الأهرام يوم الأحد الماضى حديثا للسيد أمين الحسينى ومحمد  
على علوبة باشا عضوى الوفد الاسلامى الى الهند قال فيه عن الجامعة الأزهرية : « إن  
التعليم فيها يكاد يكون مقتصر على الشئون الدينية ، وإن حواجز وقيودا تحول دون  
دخول الأجانب فيها » فقابل مندوبنا فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
وسأله رأيه فى الحديث وفى الجزء الخاص بالجامعة الأزهرية فقال :

لقد اطلمت على الحديث ، وأول ما تبادر الى ذهنى حين قرأته أن اضطرابا  
أو تحريفا وقع فى نقله أو ترجمته قبل وصوله الى الأهرام ، فاستأصديق أن رجلا  
فاضلا مثل محمد علوبة باشا — وقد كان وزيرا للأوقاف واطلع طبعاً على نظام الأزهر بحكم  
منصبه — يصفه بأن فيه حواجز وقيوداً تحول دون دخول الأجانب فيه . فالجامعة  
الأزهرية ما زالت منذ إنشائها منهلاً عذبا يرده أبناء المسلمين على اختلاف أقطارهم

وتباين لغاتهم ولهجاتهم، وما ردت طالباً لجنسيته . ولقد أيدت المادة الثامنة من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ ما جرى عليه العمل في القديم، فقالت ما نصه : « الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة معدة لقبول الطلبة المسلمين أيّاً كانت جنسياتهم » .

وكذلك لا أكاد أصدق أن رجلاً فاضلاً كالسيد أمين الحسيني سبق له أن اندمج في طلاب الأزهر، وارتشف من مناهل علمه، ولم يجد يوماً مانعاً يمنعه أو يمنع غيره بسبب جنسيته من دخوله الأزهر وطلبه العلم فيه — أقول : لا أكاد أصدق أن مثل السيد الحسيني يقول عن الأزهر ما جاء في الحديث المنسوب إليها .

س — هل يسمح لنا فضيلة الأستاذ الأكبر بذكر شيء عن عدد الطلاب الأجانب وجنسياتهم ؟ وهل هنالك شروط خاصة بالأجانب دون المصريين ؟

ج — لقد منحت القوانين المتبعة الطلبة الأجانب امتيازات ضمنت بها على زملائهم المصريين، أذكر بعضها : ففي الأقسام الابتدائية استثنيتهم من استظهار القرآن مع أن استظهاره شرط على المصريين لما ثبت من أن بعض الأقطار الإسلامية لم تأخذ بهذه القاعدة .

وكذلك منحوا امتيازاً خاصاً في تحديد السن، فيجوز قبول من كان منهم في الثامنة عشرة، مع أنه لا يجوز قبول من تجاوز الست عشرة من المصريين .

وكذلك منحوا امتيازات أخرى في قسم التخصص، فقد جاء في المادة ٢٢ من هذا القانون « أن لمجلس الأزهر الأعلى بعد أخذ رأى مجلس إدارة الكليات أن يرخص بقبول طلبة من الغرباء من غير الحاصلين على الشهادة العالية » والحصول على هذه الشهادة شرط لقبول المصريين في هذه الأقسام . وكذلك أجازت هذه المادة للمجلس أن يرخص بقبول طلبة غرباء مستمعين لتلقى محاضرات، وأباح لهم أن يتقدموا لأداء الامتحان في المواد التي تلقوها، فإذا نجحوا نالوا شهادة بما نجحوا فيه من مواد، وهذا ممنوع على المصريين .

والتعليم في الجامعة الأزهرية بالمجان في جميع مراحلها ، ويمنح الأ جانب إعانات تساعد على معيشتهم ، ويهيأ لفريق منهم أماكن للسكنى على حساب الأزهر . وفضلا عن ذلك فدخل الأقسام العامة وقسم الأزهر القديم مباح لهم بلا قيد ولا شرط . وأظن أنه ليس بعد هذه التسهيلات تسهيلات يمكن منحها لهم .

وفي الأزهر أيضا ١٨ رواقا معدة لهؤلاء تضم ٦٣٤ طالبا من جنسيات مختلفة وأقطار متباينة .

س — هل يفضل مولانا الأستاذ بشرح مناهج الأزهر وخططه في دراسة العلوم ؟

ج — مراحل التعليم في الأزهر أربع :

١ — ابتدائي ومدته أربع سنوات ، ويدرس فيه من المواد : الفقه ، الأخلاق الدينية ، التجويد ، استذكار القرآن الكريم ، التوحيد ، السيرة النبوية ، المطالعة والمحفوظات ، الإنشاء ، النحو ، الصرف ، الإملاء ، الخط ، التاريخ . الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم .

٢ — ثانوي ومدته خمس سنوات ، ويدرس فيه غير ما تقدم من العلوم العربية والدينية — الرياضيات ( الحساب والهندسة والجبر ) والعلوم ( الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي ) والمنطق ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والأخلاق ، والتربية الوطنية .

٣ — عال ومدته أربع سنوات ، وينقسم إلى ثلاث كليات :

كلية اللغة العربية ، وتدرس فيها العلوم العربية بأنواعها . وكلية الشريعة ، وتدرس فيها علوم الدين مع أدب اللغة العربية وعلوم البلاغة . وكلية أصول الدين ، ويدرس فيها التوحيد ، والمنطق ، والمناظرة ، والفلسفة ، والأخلاق ، وعلم النفس والبلاغة ، وتاريخ الإسلام ، وآداب اللغة العربية .

٤ — النخوص ، والغرض منه إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية . فالمراد التي تدرس في تخصص الوعظ والإرشاد هي التوحيد مع الرد على الشبه الذائعة ، والقرآن

الكريم وعلومه ، والحديث الشريف وعلومه ، والدعوة الى سبيل الله ووسائلها ، والخطابة والإلقاء ، والمناظرة ، والمال والنحل ، والمذاهب الفقهية وتواريخها ، والبدع والعادات والأخلاق والفضائل الإسلامية . محاضرات صحية ، لغة أجنبية شرقية أو غربية . ولم تحدد اللغة لأننا نريد أن تكون مطابقة للحاجة ، فتارة تكون شرقية وأخرى غربية .

والمواد التي ندرس في تخصص التدريس هي علم النفس بقسميه العام والتعليمي والتربية العملية بأقسامها الثلاثة . أصول التربية والطرق العامة ، والتنظيم المدرسي . طرق التدريس الخاصة ، وتاريخ التربية العملية ، والتربية العملية ، والأخلاق ، والمنطق ، وتدير الصحة المدرسي ، والرسم ، والتربية البدنية الخ .

س - ما رأى فضيلة مولانا الأستاذ في مشروع جامعة المسجد الأقصى ؟

ج - نحن نعطف على فلسطين وفضيتها كما نعطف على مشروع جامعة المسجد الأقصى ، ونحب بكل مشروع يؤدي الى نشر العلم وتعزيزه بين المسلمين عملاً بأوامر ديننا الكريم . على أننا في جانب هذا نرجو أن لا ينسى القائمون بأمثال هذه المشروعات أن للجامعة الأزهرية مقاماً رفيعاً في العالم الإسلامي استمدته من تاريخها ومن جليل خدمها ، فهي ما تزال منذ ألف سنة تقوم على حراسة الدين الإسلامي واللغة العربية . وقد أخرجت المسلمين في مختلف العصور علماء أعلاماً وقادة عظاماً ملأت أخبارهم الصحف واستفاضت بذكر أحاديثهم الأوراق . كما نحب أن يذكرنا أيضاً ما لمصر من المقام العظيم في العالم الإسلامي ، فالمسلمون على اختلاف أقطارهم وبلدانهم يسلمون وراءها ويتبعون خطواتها وينظرون إليها نظر الجندي الى القائد . ويحمل إلينا البريد كل يوم عشرات من الرسائل من أنحاء العالم الإسلامي وكلها تنطق بهذه الحقيقة ، وها هي ذي رسالة جاءتني الآن وأنا أحدثكم من جمعية نهضة العلماء في بتدريج ( جاوة ) تؤيد ما قلت . وقد وصف بعض إخواتنا العراقيين مصر بأنها قلب العالم الإسلامي النابض حين زيارة محمد علي باشا لهم .

الى هنا انتهى الحديث . ثم ودع المحرر فضيلة الأستاذ الأكبر وخرج شاكرام

Monotheistic Divinity and the refutation of current doubts and heresies, The Holy Koran and conjoint subjects, Traditions of the Prophets and conjoint subjects, Preaching and methods, oratory, elocution and debate, sects, creeds, rites and their development, heresies, customs, ethics and Islamic virtues, lectures on Hygiene and a foreign language either Oriental or European. The foreign language has been purposely left undetermined as need alone could determine the choice thereof sometimes being Oriental and other times European as the case may be.

The Specialisation Section for Teaching comprises the following subjects of study : —

Psychology, general and educational, Scientific Pedagogy comprising principles of pedagogy, general methods and school organisation, Methods of teaching, History of pedagogy and practical pedagogy, Ethics, Logic, school hygiene, drawing, physical culture etc.

Q. — Would Your Eminence kindly give your opinion on the project of the Palestine University ?

R. — We sympathise with Palestine and its case as well as with the project of the Palestine University as we welcome every project which aims at the dissemination and maintenance of learning among Moslems in pursuance of the conjunctions of our Holy Faith.

We hope however, that those interested in such projects should not forget that Al-Azhar University enjoys a unique standing in the Moslem world, a standing which it has attained through its history and the great services which it has rendered to Moslems all over the earth. For a thousand years, the Al-Azhar University has vigilantly guarded the Moslem Religion and the Arabic language, and has given the Moslems, throughout the ages, distinguished ulema and great leaders whose tidings and sayings were recorded everywhere. We would also like that they should bear in mind that Egypt occupies a leading place in the Moslem World. For despite the differences of race and country, Moslems follow in its footsteps and look up to it as a soldier to his leader.

We receive tens of letters daily from all corners of the Moslem world all of which emphasise this fact and here is a letter which I have just received as I was talking to you from the Association of "Nahdatul-Ulema" of Tjabang, Java, in support of what I have just said. Some of our brethren in Iraq, have rightly described Egypt on Mohammed Ali Pasha's visit to them as "the throbbing heart of the Moslem world".

---

**Q. —** Would Your Eminence please explain the curricula of Al-Azhar and the subjects of study?

**R. —** Education in Al-Azhar is classified into four stages :

1) The Primary Section of four years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Ethics, Psalmody, Recitation of the Holy Koran, Monotheistic Divinity, Life of the Prophet, Reading and Selections of prose and poetry, Composition, Grammar, Morphology, Dictation, Calligraphy, History, Geography, Arithmetic, Practical Geometry, Elements of Science, Hygiene and drawing.

2) The Secondary Section of five years duration and comprising the following subjects of study: Mohammedan Law, Exegesis, Traditions of the Prophet, Monotheistic Divinity, Recitation of the Holy Koran, Grammar, Morphology, Rhetoric, Prosody and Rhyme, Reading and selections of prose and poetry, Composition, Arabic Literature, Mathematics (Arithmetic, Algebra and Geometry), Science (Physics, Chemistry and Natural History), Logic, History, Geography, Ethics and Civics.

3) The Higher Section of four years duration is divided into three Faculties : —

(i) The Faculty of Arabic Language comprising the following subjects of study : —

Grammar, Etymology, Morphology, Logic, Rhetoric, Arabic Literature and History, History of the Arabs before Islam, History of Moslem Countries, Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, Composition and Philology.

(ii) The Faculty of Mohammedan Law comprising the following subjects of study : —

Exegesis, Traditions of the Prophet, Principles of Mohammedan Law, History of Islamic Jurisprudence, Mohammedan Law and the comparative study of rites in regard to fundamental questions and the *raison d'être* of the Law (*Hikmet-el-Tashrie*), Arabic Literature, Rhetoric and Logic.

(iii) The Faculty of Principles of Religion comprising the following subjects of study : —

Monotheistic Divinity, Logic and debate, Philosophy and the criticism of anti-religious conceptions, Ethics, Exegesis, Traditions of the Prophet, Arabic Literature and History, History of Islam, Psychology and Rhetoric.

4) Specialisation Section, the object of which being the training of efficient ulema in the principal subjects of study. In the Specialisation Section of Preaching and Spiritual edification the following subjects of study are given : —

"Also I could hardly believe that an eminent man such as Al-Sayyed Amin Al-Hussainy who had, at one time, been a student of Al-Azhar and had imbibed of its culture and learning, never encountering any restriction to bar him or any other student, on account of their nationality, from pursuing their studies at that University, I repeat that I could hardly believe that such a man as Al-Sayyed Al-Hussainy would say of Al-Azhar what had been reported by the "Al-Ahram" in the conversation ascribed to him".

Q. — Would Your Eminence kindly give some information of the number of foreign students at Al-Azhar University and their nationalities?

R. — The laws in force have granted certain privileges to foreign students, which have been denied to Egyptian students, of which the following may serve as an example :

In the Primary Section, foreign students are exempted from the committal of the Koran to memory, whereas it is a condition in regard to Egyptians, as it has been discovered that some Moslem countries do not follow the same rule. They have also been granted a privilege in so far as the age limit is concerned. Foreign students are admitted to Al-Azhar up to the age of 18 whereas Egyptian students over 16 years of age are not admitted.

They have also been granted other privileges in the Specialisation Section. Article No. 22 of the Law provides that subsequent to the opinion of the College Board being taken, the Supreme Council of Al-Azhar may sanction the admission of foreign students who have not obtained the Higher Certificate. In the case of Egyptians, this certificate is a necessary condition for admission to the Specialisation Sections.

This article has also authorised the Council to concede the admission of foreign students as irregular students to the lectures and allow them to sit for the examination in the subjects attended by them, and if successful, they are granted a certificate in regard to those subjects. This is denied to Egyptian students.

Education at Al-Azhar is free of charge in all its stages and foreign students are granted pecuniary aids while a great number of them are provided with free lodgings by Al-Azhar.

Moreover they are granted free and unconditional admission to the Irregular Sections and the old Azhar Institution. I daresay that there could be no more facilities given than the foregoing.

There are 18 Riwaqs (hostels) in Al-Azhar housing 634 students of different nationalities and countries. (1)

---

(1) The following is a list of the countries to which foreign students at Al-Azhar University belong : Syria, Tripoli, Tunis, Algeria, Morocco, Iraq, Turkey, Asia Minor, Caucasias, Hedjaz, Nejd, Yemen, Kurdistan, Afghanistan, India, The Sudan, Abyssinia, Somaliland, South Africa, Java, Borneo, China, Yougoslavia, Russia, Poland, Albania, Bulgaria and America.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### AL-AZHAR AND THE PALESTINE UNIVERSITY.

**An Interview with His Eminence the Rector of  
Al-Azhar University.**

---

It was reported by the "Al-Ahram" of Sunday, July 2nd., 1933, that in course of a conversation made by Al-Sayyed Amin Al Hussainy and Mohammed Aty Allouba Pasha, members of the Moslem Delegation to India, the statement was made that education at Al-Azhar University is almost confined to religious subjects and that there were certain restrictions which bars foreign students from admission to that University.

Following the publication of the said conversation, a "Mokattam" reporter sought an interview with His Eminence the Grand Sheikh, Rector of Al-Azhar University to ask His Eminence's opinion regarding the part of the conversation concerning Al-Azhar. His Eminence made the following statements:

"I have read the report of "Al-Ahram" and the first thing which occurred to me as I read it, was that some confusion or distortion in the quotation or translation of the conversation must have taken place before the report was transmitted to "Al-Ahram". I could not bring myself to believe that an eminent man such as Mohammed Allouba Pasha who was a Minister of Wakfs and had naturally been conversant, by virtue of his office, with the regulations of Al Azhar, would say that there were restrictions barring the admission of foreign students to Al-Azhar University. For, since its foundation, Al-Azhar University has always been the fountain-head of Islamic culture and learning to which Moslems of different nationalities and languages repair. No student has ever been denied admission to Al-Azhar on account of his nationality. Article No. 8 of Law No. 49 of 1930 has maintained the procedure of old. It provides that "Al-Azhar University, the Religious Institutions and Irregular Sections are open for the admission of Moslem students whatever their nationality might be".



هَذِهِ جَمْعَةُ نَوَاحِي كِتَابِ مُنِيرِ الْبَهَائِ بِأَمْرِ مَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
وَالْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَمْرِ مَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ

# بَيْتُ الْإِسْلَامِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصديرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

الجزء الرابع	ربيع الثاني سنة ١٣٥٢	المجلد الرابع
مدير إدارة المجلة	رئيس التحرير	
عبد العزيز محمد بك	السيد	
المستشار بمحكمة الاستئناف (سابقاً)	مؤرخ	
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى	من علماء الأزهر	

الادارة	الاشتراك
شارع محمد مظلوم باشا رقم ٩	داخل القطر المصري ... .. ٤٠
تيليفون : ٨٤٣٣٢	خارج القطر المصري ... .. ٥٠
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	للمعلمين غير المدرسين وأئمة المساجد
	والمساعدين ومعلمي المدارس
	الاولية والطلاب ... .. ٣٠

من الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارج

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٩٣٣ - ١٣٥٢



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التعاون في الاسلام

الاسلام في مقدمة الشرائع المتضافرة على حفظ حقائق هي الدين والنفس والعرض والعقل والنسل والمال ، فمن قصده الى المحافظة على الدين فرَّضه القيام بالدعوة إليه والدفاع عن حوزته ، ومن قصده الى المحافظة على النفس شرَّعه القصاص وفرضه حضامة الأُطفال ورعايتهم ، ومن قصده الى المحافظة على العرض تقريره لعقوبة القذف بالزنا وأمره بتأديب من يتناول على غيره بلمز أو هجاء ، ومن قصده الى المحافظة على العقل شرَّعه لعقوبة من يتناول المسكرات أو يسعى في إزالة عقل شخص بالضرب ونحوه ، ومن قصده الى المحافظة على النسل حثه على النكاح وسنه لعقوبة من يعتدى على شخص فيبطل منه قوة التناسل ، ومن قصده الى المحافظة على المال شرَّعه لعقوبة السارق وقاطع الطريق .

وقد يقع بعض هذه الحقائق في ضياع أو يكون مشرفاً على الضياع ، ويتمنر على الشخص الواحد العمل لسلامتها ، فكان من مقتضى ثقل أعبائها أو كثرة شعبها ، أن يمد إليه أشخاص آخرون أيديهم ليتعاون الجميع على حفظ دين أو نفس أو عرض أو عقل أو نسل أو مال .

ومن المعلوم المسائل أمام كل من تفقه في الدين أن الاسلام قد راعى عجز الأفراد عن القيام بكثير من المصالح الخاصة أو العامة ، فأمر بالتعاون على وجه عام ، ثم أقام

كثيرا من أحكامه وآدابه على هذه القاعدة التي ينتظم بها العمران وتخف بها متاعب الحياة .

أما الأمر بالتعاون على وجه عام فنشاهد قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ) .

يتناول التعاون على البر والتقوى للمؤازرة في كل عمل ينتج عنه الخير ، سواء كان القائم به فرداً أم جماعة ، وسواء كان الخير عائداً الى فرد أم الى أمة ، ولا فرق في أصل طلب التعاون بين أن يكون الخير من مصالح الحياة الدنيا التي أذنت الشريعة بإقامتها ، وأن يكون من وسائل السعادة في الآخرة ، فن التعاون على البر والتقوى أن يقوم الرجل للصلاة فتناوله وضوءاً ، أو تهيء له مصلى ، ومن التعاون على البر والتقوى أن ينهض القوم لإعلاء كلمتهم بنحو بناء المدارس أو المستشفيات أو اللجان أو إقامة مصانع تسد جانباً من حاجاتهم المدنية ، فتبذل في إسعادهم ما تستطيع من قوة .

ويدخل في الإثم والعدوان كل عمل يعطل شريعة من شرائع الدين أو يعود على النفس أو المرض أو العقل أو النسل أو المال بالفساد ، فن التعاون على الإثم والعدوان أن تقضى للخصم بقطعة من مال خصمه وأنت تعلم أنه يدعيها زوراً وبهتاناً ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تشهد حفلات ترتكب فيها بعض محرمات كبتاع المسكرات ، أو رقص الفتيان مع الفتيات ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تشتري ورقة من تلك الأوراق التي يصدرها جماعات ، ويؤمنها « اليانصيب » فانها من اليسر الذي وصفه الله تعالى بأنه رجس من عمل الشيطان ، ومن التعاون على الإثم والعدوان أن تكون كاتب البطاقة التي يأمر فيها الظالم بالاعتداء على نفس أو عرض أو مال .

ومما ورد في التعاون قوله صلى الله عليه وسلم : ( أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ) فإن قصد أحد الى من بينك وبينه إخواناً ليمتدحى عليه في نفسه أو ماله أو عرضه ، وجب

عليك الانتصار للمعتدى عليه ودفع المعتدى بما يكفي للخلاص من شره ، وذلك معنى الانتصار له وهو مظلوم ، أما الانتصار له وهو ظالم ، فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث بمعنى الأخذ على يده ومنعه من الظلم ، وفي كفه عن الظلم الذي يذيقه عذاب الهون في الآخرة ، ويلبسه ثوب الخزي في الأولى ، انتصار له أى انتصار .

ومن الوجوه التي تدل على قصد الشريعة الى التعاون تحريم السؤال على مستطيع الكسب ، وفي هذا التحريم باعث له على القيام بواجب من حاجات الأمة ، وفي إخلاد القادر على الكسب الى السؤال بلينان اجتماعيتان : (أولاهما) فوات الانتفاع بشخص يمكنه أن يكون كقطرة صالحة في دم حياة الأمة فتزداد به قوة على قوتها ، (ثانيتها) بقاؤه في جسم الأمة كمضو يشرب من دمها ويأكل من لحمها ، بل كمضو يسرى منه مرض البطالة الى أشخاص لا تعرف نفوسهم العزة ، فيكثر سواد هؤلاء الثقلاء في البلاد ، قال صلى الله عليه وسلم : (والذي <sup>(١)</sup> نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتمط على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه) فحرام على من يستطيع كسب الرزق أن ينكث يده عن العمل ويجلس ، تشوقاً لما سمحت أو تسهع به نفوس المحسنين أن قعد به العجز عن طريق الاكتساب .

فلو بدا لأولى الأمر أن يهينوا للعاجزين عن الكسب ملاجئ ، يأخذوا على أيدي المتسولين حتى يضطر صحيح البنية الى مباشرة بعض الأعمال الحوية ، لوجدوا في الاسلام ما يحثهم على أن يبنوا الملاجئ ، وينعوا للمتكففين من التجول في الطرق والأسواق .

وقد بث الاسلام روح التعاون في النفوس لأول ظهوره ، ترى هذا في حياة المسلمين بالمدينة عقب الهجرة ، فقد ورد في الصحيح أن المهاجرين قدموا من مكة وليس

بأيديهم شيء ، فعرض الأنصار على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم النخيل بينهم وبين المهاجرين ، فقال : لا ، فعرضوا عليه بعد أن يكفهم المهاجرون مئونة العمل ويشركوهم في الثمرة ، فأجاب لذلك ، فقاسمهم الأنصار على ذلك ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين بما عندهم وإن كانوا في حاجة اليه ، وهو الإيثار الذي مدحهم الله تعالى به في قوله : ( وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) .

ومن قصد الشارع الى التعاون على وجه عام أنه نظر الى الأعمال المنطوية على مصالح ، فكان منها ما تحصل مصلحته لكل شخص يقوم به ، وتوجد هذه المصاحبة كلما قام به قائم وهو مستوفى الشروط والأسباب والأركان ، فجعل الخطاب فيه موجهاً الى كل من بلغ سن التكليف ، كالصلاة والصيام والحج والزكاة ، وهذا ما يسميه الفقهاء بالواجب على الأعيان ، ومنها ما تحصل مصلحته بفعل شخص أو أشخاص ، ولو قام غيرهم من بعدهم ليفعله وجد المصاحبة قد تحققت ، فجعل الخطاب فيه موجهاً الى الأمة على أن تقوم به طائفة منها ، كتجهيز الوقت وإنشاء ما يكفي حاجة البلاد من المدارس ، وهذا ما يسمى في عرف الفقهاء بفرض الكفاية .

والحقيقة أن الطلب في فرض الكفاية يتوجه الى من فيهم الكفاية للقيام بالعمل المطلوب ، وإذا قام به بعضهم سقط الطلب عن سائرهم ، فولاية القضاء مثلاً يتوجه الطلب فيها الى من درسوا أحكام الشريعة وكان لهم مقدرة على تطبيق الأصول على الوقائع ، وإنفاذُ الغرق يتوجه الطالب فيه الى من يحسنون السباحة ، وإغاثةُ المضطرب يتوجه الطالب فيها الى من يستطيعون الإغاثة ، ونصرةُ المظلوم يتوجه الطالب فيها الى من كان قادراً على أن ينصره بانفراده أو بالانضمام الى غيره ، وإنما جعل الخطاب في فرض الكفاية موجهاً الى الأمة لأنه يجب على من لم يكن فيهم أهلية للعمل المطلوب أن يهيئوا وسائله لمن فيهم أهلية ، أو يجبروهم على القيام به إذا أهملوا أو تباطؤوا ،

فدفع الشبه وتقويم الزرع واجب على العارفين بأصول الدين ، فإذا دخلت الضلالة في قرية لا يوجد فيها من فيهم الكفاية لتقويم الزائعين ، وجب على من فيهم الكفاية ببلد آخر أن ينتقلوا لإرشاد أولئك الضالين ، وإن احتاجوا إلى نفقة أو وسيلة غيرها وجب على القادرين على مساعدتهم بالمال أو بهيئة ما احتاجوا إليه من الوسائل أن يعينهم على أداء واجب الإرشاد فيسقط الوجوب عن الجميع . وقيادة الجيوش تجب على من جمع إلى الشجاعة العلم بالفنون الحربية ، فإذا امتنع من تحققت فيهم شروط القيادة من الخروج إلى مواقع القتال ، لا يتركون وشأنهم بعله أن لا أمر بقيادة الجيش موجه إليهم وحدهم ، بل على أولى الشأن إجبارهم على تولي قيادة الجيش ، فإن لم يجبرهم كانوا في العقوبة سواء ، بل لولى الأمر أن يعتمد إلى من فيهم الكفاية لأمر من الأمور ، ويعين من بينهم شخصا أو أشخاصا للقيام به ، فيصير بهذا التعيين فرض عين لا يسوغ لهم التأخر عنه .

ومن المطالب على الكفاية ما هو ديني محض كالصلاة على الميت ، ومنه ما يرجع إلى مطالب مدنية كتماطى بعض الحرف أو الصنائع المحتاج إليها في انتظام حال الجماعة . والنوع الأول يبعث على القيام به القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وأما النوع الثاني فقد يبعث عليه داعية فطرية ، ذلك لأن هم الناس تختلف في توجهها إلى ما تستدعيه الحياة من الحرف والصنائع ، فيوجد في أغاب البلاد الحداد والتجار والبناء والصائغ والخائط والجمال والكناس ، إلى غير هذا من الحرف والصنائع الضرورية ومن المحتمل أن لا تطرد هذه السنة في بلد أو في عصر ، فيزهد الناس في حرفة أو في صناعة ، فلم يدع الشارع هذه الضروريات أو الحاجيات إلى الدواعي الفطرية وحدها ، بل جعل القيام بكل حرفة أو صناعة يحتاج إليها في الحياة فرض كفاية ، حتى يستقيم أمر الحياة ، فإن لم تختلف هم الناس اختلافا يفي بما تحتاج إليه البلاد من الحرف والصنائع ، وجب على

أولى الشأن العمل لسد حاجات الأمة وإقامة الحرفة أو الصنعة المفقودة ولو بيعت طائفة الى خارج البلاد ليتعلموها ويحسنوا القيام عليها .

وقد دلنا التاريخ الصحيح امهد النبوة أن الناس كانوا يتعاونون على مرافق الحياة ووسائل السعادة ، فقد روى الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : ( إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصِّقُّ <sup>(١)</sup> بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أباهريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون ) .

فدل الحديث على أن طائفة من المهاجرين كانوا يشتغلون بالتجارة ، وطائفة من الأنصار كانوا يشتغلون بالفلاحة والزراعة ، وأن أباهريرة كان منقطعاً لطلب العلم . وعرفنا من طرق غير هذه الرواية أن في الأمة لذلك العهد طائفة كانت تتعاطى بعض الصنائع كالنجارة والحداة .

ولم يكن أهل الصِّقَّة <sup>(٢)</sup> إلا بمنزلة الجند الهباً للدفاع زيادة على ما كانوا يتلقونه من علم ، فلهم من هذه الناحية قسط عظيم من التعاون المطلوب في قوله تعالى : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ) .

ويجربى على شاكلة الحرف والصنائع العلوم والفنون ، فقد قرر علماء الشريعة أن كل علم أو فن يحتاج اليه في الحياة يجب أن تقوم به طائفة من الأمة ، فمن التعاون على تنمية العلوم وتحتيةها إقبال كل طائفة على علم يقتلونه بحثاً ، ويحيطون به من كل جانب ، وإنما اتسمت دوائر العلوم بمثل هذا العمل المسمى بالتخصص . وقد أدرك علماء الاسلام في القديم فائدة انفراد كل طائفة بعلم تفرغ فيه جهودها وتصرف فيه جانباً كبيراً من أوقاتها ، فاختلفت وجهاتهم على قدر ما كان بين أيديهم من العلوم ، وظهر النبوغ في هذه العلوم على اختلاف موضوعاتها وتباعد أغراضها .

(١) البيع والشراء . (٢) موضع مظل في مسجد المدينة يأوى اليه المساكين .



وقد يكون اختلاف الناس في إتقان هذه العلوم من دواعي الفطرة ، بأن يقبل كل إنسان على العلم الذي يجد في نفسه الميل الى تعاطيه ، فإن وجد الرئيس هم الناس منصرفه عن بعض العلوم اتخذ الوسيلة الى حمل طائفة منهم على مزاولته .

وأما أن الشريعة بنت كثيرا من أحكامها وآدابها على قاعدة التعاون ، فشواهد كثيرة ، تبجد هذه الشواهد في التعاون على حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والنسل والمال .

من شواهد التعاون على حفظ الدين أن الشريعة نظرت الى ما ينبغي على التفقه في الدين من إنارة الجاهلين ، وإنذار المسرفين ، وتنظيم الحياة على وجه أدعى الى الارتياح والاطمئنان ، فلم تترك لهم الأفراد التي قد يطرأ عليها ضعف أو انصراف عن التعلم ، بل فرضت على كل فرقة من المسلمين أن يرسل منها طائفة الى المواضع التي يمكنهم أن يتفقهوا بها في الدين ثم يعودوا الى قومهم ، فتبقى عقائد الدين وواجباته وآدابه محفوظة بينهم .

قررت رحلة طائفة للتفقه في الدين ، وفيه معنى التعاون على حفظه ، وورد في الشريعة الأمر بالتعاون على حفظ الدين من وجه آخر ، وهو أن رجال القبيلة أو القرية قد يغفلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتضيع أحكام الدين وآدابه ، ففرضت على الأمة أن يقوم طائفة منها بالدعوة الى الحق والإصلاح ، والتحذير من الباطل والفساد ، قال تعالى : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) .

وقد تختلف وجوه التعاون على حفظ الدين اختلاف الأحوال والأزمان . ومما حدث في هذا العصر أن بعض المخالفين يعملون لريلة أركانهم وطمس معالمه ، بوسيلة ما يفتخونه من مدارس ومستشفيات وملاجئ . يزعمون أنهم يخدمون بها العلم

والانسانية، فهناك يحدون الأطفال والمستضعفين من الرجال والنساء واقعين في حبائلهم لا شاهد عليهم ولا رقيب، فيحدثونهم عن الاسلام باللسنة تفترى عليه الكذب، ويلقنونهم آراء تجماعهم من أشد الناس عداوة لدينهم وازدراء لآبائهم، فن التعاون على الدين في هذا العصر أن ينهض المسلمون نهضة صادقة، فيبسطوا أيديهم باليدل في سبيل إنشاء مدارس ومستشفيات وملاجئ، تغني عن تلك المباني المفتوحة لا يغواء الغافلين، ومن التعاون على حفظ الدين أن ينشط العلماء للإرشاد فيطلقوا ألسنتهم وأقلامهم في نصيح من في قلوبهم بقية من خير، بأن لا يرسلوا أبناءهم الى تلك المدارس التي لو غفل عنها الناس اليوم غفاتهم عنها بالأمس لطوى بساط الدين طي السجل للكتاب.

ومن شواهد التعاون على حفظ النفوس أن الشريعة قد نظرت الى ما يحدث بين الطوائف من التنازع والتقاتل، فأشفقت من أن تذهب نفوس بريئة، وتراق دماء كثيرة، فأمرت الباقيين من المسلمين بالسعى للصلح بين الطائفتين المتقاتلتين.

ومن هذا القبيل فرض إغاثة العطشان والجائع، حتى قال الفقهاء: من لقي عطشانا ومعه ماء، أو لقي جائعا ومعه طعام، فنع العطشان الماء أو الجائع الطعام، وهو يعلم أنه لا يجوز له منعه، وأنه يموت إن لم يسعده بما عنده، حقت عليه عقوبة القصاص.

دعت الشريعة الى التعاون على حفظ النفوس، وجعلت له من الزكاة النصيب الأوفى، فكان من مصارفها الفقراء والمساكين، يسدوا بها حاجتهم ويصونوا بها ماء وجوههم، ثم نذبت الى وجوه أخرى من وجوه البر كالصدقة والهبة، فالقصد من الصدقة أو الهبة مواساة من يتصدق عليه أو يوهب له، وإعانتة على حفظ نفسه أو نفس من يعوله، غالبا.

وفي الناس من لا تسمح نفسه برفع يده عن الشيء المنتفع به جملة ، فجعل له الشارع طريقا الى أن يعين غيره بمنفعة الشيء مع بقاء ذاته تحت ملكه ، كالعارية والعمري (١) ومن الوجوه الراجحة في تفسير قوله تعالى : (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) أن المراد ما يتعاوره الناس من متاع البيت كالقدر والجفنة والسكين . وإذا طلب منك إعارة أمثال هذه الأدوات في حال ضرورة كان منعها حراما ، فإن طلب منك إعارتها في حال لا تبلغ حال الضرورة ، كان منعها خادشا في المروءة ، دليلا على أنك تطوى نفسك على شيء من البخل بما آتاك الله من خير .

ومن شواهد التعاون على حفظ العرض أن الشريعة قد وضعت على القذف بالزنا عقوبة محدودة ، وعلى من يتناول غيره بسباب أو هجاء التعزير بما يكفي لردعه ، وعهدت بإجراء ذلك الجزاء الى الرئيس الأعلى أو من يقوم مقامه ، وفي إجراء ذلك الجزاء تعاون على حفظ الأعراض ، والقاضي الذي لا يحقق النظر في قضايا السباب والهجاء ، ولا يقرر لها جزاء وفاقا ، يعدّ فيمن لا يقدر حق صيانة الأعراض ، ويلحق بمن يجهل أن العرض أعز على الرجل من ماله ونفسه .

ومن مقتضى التعاون على حفظ الأعراض أن لا تترك مجلسك ميادانا يتسابق فيه الطغام الى ثلب الأعراض ، فاذا حرّك أحد لسانه بالقدح في عرض برى أو بريئة ، أجمته بالحكمة ، وكذلك يفعل الصالحون والمصلحون ، قل صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يخذل امرءا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موضع يحب نصرته (٢) » .

(١) ان تعطى شخصا منفعة شيء مدة حياته أو حيوانك أو الى أجل مسمى . (٢) أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من ذبّ عن عرض أخيه رد الله النار عن وجهه يوم القيامة <sup>(١)</sup> » .

ومن شواهد التعاون على حفظ العقل أن الشريعة وضعت عقوبة على من يتناول شيئاً من المسكرات ، أو يؤذى شخصاً فيزيل عقله ، وعقوبة الأول معروفة ، وعقوبة الثاني الدية كاملة ، وهذه العقوبات يجربها القائمون على المصالح العامة ، وإجراؤها من قبيل التعاون على حفظ العقول ،

ومن مقتضى التعاون أن تحول بين الإنسان وما يذهب بقوته العاقلة أو يضعفها ما استطعت أن تحول ، فإن كان لك سلطان منعه يبدك الغالبة ، وإن كنت مرشداً منمته بموعظتك الحسنة . ونصح الطبيب في معالجة من تصاب عقولهم بشيء من الخلل داخل في قبيل هذا التعاون المطلوب .

ومن شواهد التعاون على حفظ النسل أن الشريعة رغبت في النكاح ، وجعلت من شروط صحته الإِشهاد ، فن حضر ليشهد به فقد أخذ بأدب التعاون على حفظ النسل ، ومن الآخذين بهذا الأدب المحمود الخاطب ومن يشفع لدى الزوجة أو أوليها في تخفيف نفقات العرس ، أو الرضا بالميسور من المهر .

ومتى ظهر في الناس قلة الإقبال على الزواج ، وجب على حكاء الأمة والقائمين على مصالحها أن يتعاونوا في البحث عن علل قلة الزواج ، ويتخذوا الوسائل إلى علاج هذه العلل ، حتى تعود الأمة إلى الفطرة السليمة ، وتسير في طهر ، وينمو عددها نمواً يكفل حياتها ، ويكسيها قوة على القيام بنفسها .

ومن شواهد التعاون على حفظ المال بحمايته من التلف أو العمل على نمائه أن الشارع قرّر الإِبْصاء ، وهو أن يعهد الأب لمن يعرف فيه الأمانة وجودة الرأي

بالنظر في شئون ابنه من بعده ، ومن مقتضيات الإيصال حفظ مال الطفل والتصرف فيه على ما تقتضيه المصلحة ، فقيام الوصي على أمر الطفل بحزم ونصيح ، معونة على حفظ ماله وإصلاح حاله .

ومن هذا الباب تقرير الشارع لباب القراض ، وهو إعطاء مال لمن يتجر به على أن له جزءاً من ربحه ، فصاحب المال يعين العامل على كسب جزء من المال كانت يده فارغة منه ، والعامل يعين صاحب المال على تنمية ماله ، ولولا إغاثة هذا العامل لبقى المال عند حد ، وقد ينقصه إلا نفاق حتى يذهب به جملة .

ومن هذا القبيل فتح الشارع لباب عقد الشركات في الأموال ، وهي خلط شخص ماله بمال آخر على أن يتصرف كل منهما في المالين في حال حضرة شريكه وغيبته ، أو في حال حضرته فقط .

وفي هذا النوع من التعاون فائدة عظيمة لا توجد عند عمل كل واحد في ماله منفردا ، فإنّ ضم القليل الى القليل يصيره كثيرا ، وهذه الكثرة تجعل الشركاء قادرين على جلب بضائع مرتفعة القيم ، أو مختلفة الأجناس والأصناف ، ولولا الشركة لضاق باع كل منهم أن يصل الى تلك البضائع ذات القيم المرتفعة ، أو ذات الأجناس والأصناف المختلفة فتقل الأرباح ، ولا يجد أهل البلد على تفاوت طبقاتهم كل ما يقوم بحاجتهم ويوافق رغبتهم ، وتجاح الشركات قائم على تحقق الأمانة والسير على نظم علم الاقتصاد الصحيح ، فمن الملائم لروح التعاون في الاسلام تأليف شركات تحتفظ بعهد الأمانة ، وتسير على نظم يراعى فيها قواعد الاقتصاد المعقولة ، وتسمها أصول الشريعة الغراء .

والتعاون بالنظر الى ما تقع به المعونة إما أن يكون تعاوننا بالنفس ، كأن تدفع يديك أو سلاحك صائلا على نفس أو مال ، وإما أن يكون تعاوننا بالمال ، كالقرض والهبة والصدقة وضرب الدية في قتل الخطأ على العاقلة ، وإما أن يكون تعاوننا بالرأى كأن تشير

على الرجل بما يخرج من حيرة أو ينقذه من عطب ، وإما أن يكون تعاوناً بالجاه ، كأن تشفع لدى حاجة عند من يملك قضاءها ، قال صلى الله عليه وسلم : ( اشفعوا تؤجروا )<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام : ( والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )<sup>(٢)</sup> وتتفاوت هم الناس في مصارف الجاه ، وأصغرهم هم من يستخدمه في منفعه الخاصة ، ولا يوجهه إلى قضاء المصالح العامة ، وقد دلنا التاريخ على أن كثيراً من زعماء الإسلام وعلمائه يدوسون منافعهم الخاصة بأقدامهم ، وإذا وجدوا موضعاً لنفوذ الكرامة لم يذكروا إلا مصلحة عامة أو مصالح أشخاص يبتغون من السعي لها رضا الله في الدنيا والآخرة .

وخلاصة المقال أن الإسلام أقام التعاون على أساس محكم ، ومدّله في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب ، فإذا وضع المسلمون أيديهم على هذه الأسباب الوثيقة ، بلغت بهم المسكنة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله تعالى : ( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ )<sup>(٣)</sup> محمد القنبر مكي

# النفس

## سورة النور

١٦

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَاللَّهُ خَاقٌ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَرَسَهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِرَاضٌ أَمَرُوا بِهَا أَنْ يُخَافُوا أَنْ يُخَافُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

قوله تعالى : «والله خالق كل دابة من ماء» الآية ، متسق مع ما قبله في نسق واحد ، وهو بيان عظمة الإلهية ، والإرشاد إلى الآثار الربانية ، البالغة منتهى النظام وغاية الأحكام ، الدالة على جلال مبدعها ، وقدرة موجدتها ، ونزاهة عن شريك أو ضريب ،

قلو كان هناك إله غيره ما استقام لهما هذا النظام وهذا الإبداع سالما من كل ما يشوبه أو يفسده : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .

والدابة : اسم لكل مادب على وجه الأرض . وقد تستعمل في العرف العام خاصة بذوات الأربع . والمراد هنا كل مادب ودرج من إنسان وأنعام ووحوش وزواحف وطيور وأسماك وغيرها . والمراد بالماء إما العنصر المعروف ، باعتبار أنه لا غنى عنه في تخلق الحيوان ، وإما النطفة التي يتكون منها الحيوان . وكون آدم عليه السلام خلق من التراب بلا نطفة ، وعيسى عليه السلام خلق بنفخ الروح بلا نطفة أب ، لا يقدح في السكينة . لأن المراد بلفظ كل التكثير لا العموم ، كقوله تعالى : «يجي إليه ثمرات كل شيء» ، فإن أريد بالماء العنصر المخصوص فلا ورود لهما لما عرفت أن الماء داخل في قوام كل حيوان ، ولما قيل من أن أصل المخلوقات الماء ، إذا صحت الرواية في ذلك .

وأياً ما كان فإن هذه الآية تشبه في الدلالة على باهر القدرة قوله تعالى : «يسقي بماء واحد ونفضل بمضها على بعض في الأكمل» ففي كل منهما شهادة بعظم اقتداره ورجوع الأمر في التخصيص بالأحوال إلى مشيئته ، فقد خلق الأنواع من أصل واحد ، وباعد بينها أنواعاً وأفراداً ، حتى لا تكاد نجد فرداً يشبه فرداً من جميع الوجوه ، فهو وحده المبدع والمدير والمتصرف في خلقه كما يشاء . ولما كان لفظ دابة قد استعمل في العقلاء وغيرهم ، وكان الاستعمال الفصيح في هذه الحال أن يغاب العقلاء على غيرهم ، أتى بالضمير بصيغة ضمير العقلاء في قوله : «فمنهم من يمشي» الخ ، فإن ضمير (م) خاص بالعقلاء . وبهذا حسن استعمال من في قوله : «من يمشي على بطنه» وقوله : «من يمشي على أربع» وأما قوله : «من يمشي على رجلين» فالأمر فيها ظاهر ، فإنها للإنسان والطيور ونحوهما ؛ وتغليب العاقل أمر معهود . على أن المشاكلة من المحسنات البديعية ، وهي التعبير عن شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، كقول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طيخه فلت اطيخوا لي جبة وقيصا



والحاصل أن لفظ دابة شامل للعقلاء وغيرهم، فماد عاينه ضمير العقلاء في قوله :  
 ففهم ، لتغليب العقلاء . ولفظ « من يمشى على بطنه » و « من يمشى على أربع » خاص  
 بغير العقلاء، مع أن من للعقلاء، فإماتابعة لحكم الضمير السابق، وإيمان باب المشاكلة.  
 ولما كان سياق الكلام لإظهار باهر القدرة واجتلاء الآثار الدالة على أنه لا يعجزه  
 شيء، بدأ بمن يمشى على بطنه أى بدون آلة مشى وهى الأرجل، حتى يبهز السامع لأول  
 ما يلقي به فيعترف بأن ذلك تقدير العزيز العليم؛ ولذلك سمي هذا مشياً وإن كان الأكثر  
 تسميته زحفاً؛ ولا تنس حديث المشاكلة الذى قدمناه آنفاً؛ ثم نبي بما يمشى على رجلين  
 وثلاث بما يمشى على أربع، لأنها تلى ذلك فى الدلالة على المقصود، فكانها تنعيم لها  
 واستيفاء لما قصد منها . وقد اقتصر على من يمشى على أربع مع أن هناك من يمشى على  
 أكثر، إما لدخولها فى قوله : يخاق الله ما يشاء، وإما لما قيل إن الدواب التى تمشى على  
 أكثر أعمادها فى الحقيقة حال المشى إنما هو على أربع والباقي كالمساعد للأربع . والله أعلم .  
 ومع ذلك فلا أكثر فى توجه التأمل اليه هو الأصناف الثلاثة : الماشى على بطنه، وعلى  
 رجلين، وعلى أربع؛ وأما الأصناف الباقية فقلما يتوجه إليها النظر والتفكير لندرتها  
 وقلة ملابسة الانسان فى شئونه لها .

وقوله تعالى : « إن الله على كل شيء قدير » كالنتيجة لما قبله . وإظهار لفظ الجلالة  
 للتنويه بالحكم المقصود واقعا على صريح اللفظ الكريم، إذ كان هو المقصود بالذات،  
 كما أن إظهاره فى قوله : « والله خالق كل دابة من ماء » للعناية بأمر الخلق وإفادة أنه  
 من الأحكام الخاصة بالإله لا يشركه فيها مخلوق . والله أعلم .

قال تعالى : ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) :

بعد أن ساق جل شأنه من الأدلة الباهرة والبراهين الساطعة ما يملأ القلوب إيماناً، ويشبع النفوس يقيناً، ويقطع كل شك، وينفي كل ريب، شرع جل جلاله يبين حال بعض من أضله الله عن الهدى حتى عمى عن هذه الشموس الساطعة ولم تفده تلك الحجج القاطعة، لتعلم أن هدى الله هو الهدى، وأن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، حتى يدوم للمؤمن التجاؤء إلى ربه، ويبقى هو موثله في كل أمر مهما تقوت أسبابه، فلا يأمن مكر الله، ولا يعمل على قواه، ولا يخرج لحظة عن الحظيرة المباركة التي هي منزلة بين الخوف والرجاء، ومعناها الرجوع إليه في كل الأشياء، فقال: «لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» مردفاتها بقصة أولئك المنافقين التي ساقها بعد هذه الآية على وجه يجعل هذه الآية كالمقدمة لذكرها، حتى يكون الكلام كله على سنن واحد، وفي نسق متسق.

وسبب نزولها: أن رجلاً من المنافقين كان بينه وبين يهودى خصومة، فدعاه اليهودى للتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاه المنافق للتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فرارا من التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعا إليه اليهودى، كأن كلا منهما يعلم أن الحق في جانب اليهودى، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيد عن الحق، فلذا كانت رغبة اليهودى في التحاكم إليه عليه السلام، بينما يطمع المنافق في محاباة كعب بن الأشرف له حين يقول له: لقد دعوتني إلى التحاكم إليك وكان يدعوني للتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. ثم انتهى للتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحكم لليهودى، فلم يرض المنافق بقضائه عليه السلام، وقال: بل نتحاكم إلى عمر، وكأنه حدثته نفسه الخبيثة بالطاعية في عمر كما كان يطمع في كعب بن الأشرف، فرضى اليهودى وتحاكم إلى عمر، فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه: تحاكمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففضى لي فلم يرض بقضائه، فقال عمر للمنافق: أحق هذا؟ قال:

نعم ، فقال : مكانكما حتى أخرج إليكما ، ودخل بيته وخرج بسيفه فضرب عنق المنافق حتى برد ، وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . ووجه ذلك أن الرجل قد أعلن الردة برده قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجهره بأنه قد حاف عليه ، وحكم المرتد القتل ، وقد تحاكما إليه ورضيا بقضائه . وروى أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن عمر قد فرق بين الحق والباطل ، فسمى الفاروق من حينئذ . وروى في سبب نزولها أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي كرم الله وجهه شركة في أرض فتقاسماها فوق علي جزء لا يصل إليه الماء إلا بمشقة ، فقال المغيرة : بعني أرضك فباعه إياها وتقابضا ، فقال الناس للمغيرة : اشتريت أرضا سبخة لا يصل إليها الماء فرجع علي عليّ يقول : إنما اشتريتها على شرط أن أرضاها ولم أرضها ، فقال علي : بل اشتريتها وأنت تعرفها ، وقبضتها وأنت تعرف حالها ، لا أقبلها منك ، ودعاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للمغيرة : أما محمد فلست آتية فإنه يبعضني وأخاف أن يحيف علي . فنزلت الآية .

وعلى هذا كله يكون اتساق الآية بعد الآي السابقة التي جلت من البراهين ما جلت ، هكذا : هذه الأدلة ترونها تجلي عليكم فلا تدع مرية في نفس ، ولا يعتريها شك ولا إبس ، وهكذا شأن آيات الله ، لقد أنزل آيات مبينات ، أي تبين الحق من الباطل والرشد من الغي ، أو آيات بينات في نفسها ، يقال بين بمعنى تبين ، كما يقال قدم بمعنى تقدم ، إلا أن وضوح الآيات في نفسها وتبينها السبل تبيننا وإفيا لا يغني عن توفيق الله للهدى ، بل من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، بل قد يصل الأمر ببعض من خذلهم الله إلى أن يعلم الهدى وموضعه والزنج وموقعه ثم يرض عنه إباء واستكبارا ، أو طمعا في عرض الدنيا واستمطارا ، ومع ذلك يكون قد أعطى المهدى على نفسه ، وأعان التزام حكم الإيمان وطاعة الله ورسوله ، ثم يتولى معرضا

عن حكم ربه لأنه لم يوافق هواه، كما حصل من هؤلاء المنافقين، فما كان إعراضهم عن خوف من حيف كما يتشدقون، بل أولئك هم الظالمون وهل أدل على ذلك من أنهم إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين؟

قوله تعالى: «لقد أنزلنا آيات مبينات»: جيء بها هكذا بلا عطف، لأنه ابتداء الشروع في شرح حالة جديدة، وهي حال المنافقين الذين يمانون بالإيمان ويتجلى لهم البرهان، ومع ذلك يتمادون في طغيانهم. والكلام المبتدأ من جديد لا حاجة به إلى العطف على ما سبقه، وإن كانت مناسبته ظاهرة كما شرحناه. ولم يقل: أنزلنا إليكم، كما قال في الآية السابقة، لأن الكلام فيما سبق كان لتوجيه نظرهم إلى الأحكام التي سيقت لهم ليستبصروا بها ويعرفوا مقدارها، فيحرصوا على امتثالها، ثم يأخذوا منها فائدة أجل، وهي علم أنها لم تصدر إلا عن النور الإلهي، فهو وحده الجدير بأمثال هذه الهدايا، فلذا قال: أنزلنا إليكم. وأما هنا فإن الكلام مسوق لبيان حال الآيات في نفسها، وأن الله قد أنزلها بيينة مبينة، لا يشك فيها شك ولا يرتاب فيها مرتاب، ومع ذلك يصادف الخذلان بعض الناس المطلعين عليها فتعشى أبصارهم وتعنى بصائرهم عنها، وهذا شأن يرجع إلى نفس الآيات لا يختص بالمخاطبين. وقوله: «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» لتقرير أن جلاء النور لا يغني عن الرجوع إلى واهب القول على ما سبق. وقد قال القائل:

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وقوله تعالى: «ويقولون» معناه أن من الناس من يقول بلسانه آمنا وأطعنا ثم يتسأل فريق منهم ويعرض عن حكم هذه المقالة، والباقي منهم عرضة لمثل هذا يقرون إخوانهم عليه، فأصحاب هذه المقالة الجوفاء الكاذبة في تصوير معتقداتهم ليسوا من المؤمنين في شيء. وعلى هذا فضمير «يقولون» المنافقين، وهم وإن لم يسبق ذكرهم فإن

بقية الكلام مبين المراد . ومثل هذا فيما يجري بين الناس في مخاطباتهم أن يبدأ الرجل كلامه بمثل هذه العبارة : إني أعجب من هؤلاء الناس يا أخى : يعاهدوننى على أنهم معى الى آخر الأمر ، وبمجرد أن تبدر أول بادرة مكروهة لا أجد حولى منهم أحدا ؛ فقد تعاهد معى فلان وفلان الخ . وتجد للكلام تمكنا فى النفس ليس له إذا بدأت بتعيين المحدث عنه بادئ ذى بدء . وعلى هذا فقوله : « وما أولئك بالمؤمنين » إشارة الى القائلين هذه المقالة جميعهم .

وجوز أن يكون ضمير يقولون اكل من أظهر الايمان صادقا أو كاذبا ، وقوله : يتولى فريق منهم ، المراد به المنافقون . والإشارة فى قوله : وما أولئك بالمؤمنين ، للفريق خاصة ؛ وهذا مع ظهوره لا يساوى الأول فى دقة الأسلوب ، فتميل الى ترجيح الوجه الأول فى تفسير الآية الكريمة .

ومعنى يتولى : يعرض . والانيان بتم التى معناها التراخى فى الترتيب للإشارة الى أن التولى أمر بعيد الحصول ما كان يظنه العقل ، فن صدر منه الاعتراف بالايمان والطاعة فن البعيد أن يعطى على نفسه عهدا بالطاعة بعد تلك الآيات البينة ثم يتولى عن حكم الله ورسوله . وأما على الوجه الثانى فعنها استبعاد تولى هذا الفريق الى طريق الشقاء والضلال بعد أن اندرج فى زمرة المؤمنين ، فما كان يُظن بما قل أن يتولى عن فرقة الراشدين بعد أن اندرج فى زمرتها الى فرقة الغاوين .

وقوله : وما أولئك بالمؤمنين ، إذا رجع الى كل القائلين يكون معناه أن الذين يقولون آمنا ثم يتسللون فيتولى فريق منهم والباقي سكوت عليهم موافقون على مسلكهم — هؤلاء كلهم مأم بالمؤمنين ؛ وإذا رجع الى الفريق المتولى خاصة فأمره ظاهر . وأيا كان فاختيار لفظ أولئك فى التعبير عنهم دون الضمير ، لتصويرهم بالصفات التى تجردوا من الايمان بسببها ؛ وكونه بصفة البعيد لتحقيق منزلتهم وإقصائهم عن أن يلتفت اليهم

أو يكونوا بمقربة من ساحة الخطاب. ويشبه هذا من بعض الوجوه قول الناس في مخاطبتهم حين الذم أو الاستئزاز: (البعيد) أو (الأبعد). فهي مثل هذا في أغراضهم وإن لم يفتنوا إلى تصويره حق التصوير. وقوله: بالؤمنين، بصيغة المعرف بالام، للتنويه بعظمة المؤمنين كأنه يقال. ليس أولئك بالؤمنين المعروف حالهم الظاهر أمرهم الذين لا يلتبسون ولا يخفون. وقوله: من بعد ذلك، مبالغة في استبعاد أن يصدر هذا التولى عن يعقل، من بعد أن اندمج في المهتدين، واعترف على نفسه بالآيمان، وأعطى على نفسه حكم الطاعة، ووضحت له الآيات البينة، أفمن بعد ذلك كله يكون التولى؟ واللاشارة التي للبعيد في لفظ ذلك لتعظيمه. وما أكثر النكات التي يعطيها اسم الإشارة في البلاغة العربية: وقوله تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ):

من تمام تصوير حالهم الشنيعة، فقد وصفهم أولاً بالتولى من حكم الآيمان في الجملة، ووصفهم هنا بإظهار الإعراض والتمرد عند دعوتهم للتحاكم. وقوله: «ليحكم بينهم» أي وبين خصومهم. والتعبير يحكم بينهم دون عليهم، ليقطع ما عسى أن يتلوه عذرا لهم من أنهم فروا من الحكم عليهم، وكل امرئ يخاف من أن يحكم عليه، فلذا عدل إلى هذه العبارة الدالة على أنهم دعوا ليحكم بينهم، عليهم أو لهم. وقوله: «إذا فريق منهم معرضون»: «إذا» هنا تسمى إذا الفجائية، وهي جواب لا إذا الأولى الشرطية. والمعنى أنهم إذا دعوا للمحاكمة فاجأ الداعي إعراضهم وأنهم مصممون على الإعراض معرضون عليه من قبل. وهذا سر المدول عن لفظ أعرضوا في الجواب إلى هذا، فكان المعنى أنهم منطوون على الإعراض عن حكومته مصممون على ذلك من قبل الدعوة، فإذا جاءت الدعوة فاجأها إعراضهم الثابت المستقر. وكأن قوله: فريق منهم، بدل قوله: إذا هم معرضون، للتوطئة لقوله: وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. وكأنه

يبادر بإفادتهم ليسوا كلهم معرضين عن حكمه ، بل إنما يعرضون حين يعلمون أن الحق عليهم لا لهم ، فإن علموا أن الحق بيدهم — وقليل ما يكون ذلك بدليل التعبير بأن التي للشك أو القلة والندرة في الشرط — أتوا إليه مدعين طائعين مستسلمين لحكومته أو مسرعين مبادرين ، كما روى في تفسيره ، فقد روى تفسير مدعين بمستسلمين ويسرعين .

قال تعالى : ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْنَا بُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ) :

هذا أشبه شيء بما يسمونه السبر والتقسيم ، ليبطل الباطل وبحق الحق ، فقد ردد أمرهم في التقسيم بين أشياء في سياق الاستفهام الإنكارى ليخلص إلى النتيجة المحتومة ، وهي بيان أن الباعث الحقيقي على إعراضهم إنما هو توغاهم في الظلم حتى كانوا وحدهم هم الظالمون لا يشاركونهم في ذلك الظلم أحد . ومعنى الآية : أعميت بصائرهم فلم يدركوا رسالته صلى الله عليه وسلم ؟ فرض القلوب معناه عمى البصائر عن الإدراك ، أم هم في شك من أمره عليه السلام فلا يدرون أيوفق في حكومته أم لا ، أم لحقهم الخوف من الحيف لما شعروا به من أنه عليه السلام يبخسهم ، كما صرح بذلك بعضهم علنا ، فأعرضهم خوف على حقهم أن يضيئه بغض الرسول عليه السلام لهم ؟ كلا ، لم يكن شيء من ذلك هو الباعث . فلو كان الباعث لهم على الإعراض أحد هذه الأشياء فلماذا يأتون مدعين طائعين مستسلمين مسرعين إن كان لهم الحق ، ويخصون إعراضهم بحالة ما إذا كان الحق في جانب خصومهم ؟ فهل هذا إلا شيء واحد وهو علمهم أنه لا يقضى إلا بالحق وأن الحق في جانب خصومهم ، فهم جازمون بأنه سيحكم عليهم ؟ وهذا كقول القائل : إذا لم تكن مدينا لي حقا فلماذا نخاف من توجيهي إلى محكمة العدل ؟ فهو لا يمكن الباعث لهم على الإعراض عمى قلوبهم عن الحق وإن كانوا عمى القلوب حقا ، ولا ارتياهم

في عدالة حكومته عليه السلام ولو كانوا غير مؤمنين ، فقد أذعن الكل الى أنه عليه السلام لا يقضى إلا بالحق ، وما اتهموه بكذب ولا جور حتى كبار المشركين في الإشرار ؛ وما كان ذلك لخوف من حيف ، فقد علموا أنه أبعد من أن يحيف في حكومته ، وإنما باعثهم على الإعراض محض تمسكهم بالظلم . وعلى هذا فلا استفهام إنكارى ، وليس محل الإنكار هو مرض قلوبهم وما معه ، فهم مرضى القلوب ولا شك ، وإنما محل الإنكار أن يكون هذا هو باعث الإعراض ، بل باعث الإعراض هو ظلمهم وتمسكهم بغير الحق . وإنك لتعرف موقع البراعة في أن يجمع الاسم الكريم الى اسمه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ( وإذا دعوا الى الله ورسوله ) وفي قوله : ( أن يحيف الله عليهم ورسوله ) ففيه من التنويه بشأن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ، فقد بين أن حكمه حكم الله ، وأن ما يصدر منه فهو صادر من الله ، فكيف يتصور أن يصدر منه حيف . بل قد جىء بالآية على وجه يدل على استحالة ما يخافونه ، على فرض أنهم يخافون ذلك ، فقد قيل : أم يخافون أن يحيف الله عليهم ، وكيف يعقل من الله حيف ؟ ثم عطف عليه لفظ رسوله كأنه ليفهم أنه لا يمكن الحيف من الرسول إلا إن أمكن الحيف من الله ، وهذا مستحيل قطعا ، والنبي لا يحكم إلا بما أمر به ربه ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فنسأل الله أن يجعلنا ممن تمسك بهداه ، لا من اتخذ إلهه هواه ، فأصله عن سبيل الله .

رب إن الهدى هداك وآيا      تلك نور تهدى بها من تشاء

ابراهيم الجبالي



# السُّنَّةُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُبْلَى فِي النَّارِ) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الإيمان: هو التصديق الجازم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن ربه مصحوباً بإذعان النفس وقبولها وطياً نيتها له وعدم إبطالها مكابرة أو عناداً واستكباراً. وقد يوجد الجزم ويرتفع عن النفس الريب والشك ولكن تبقى المكابرة والإباء والعناد وعدم الإذعان، فثل هذا لا يمد إيماناً. ولسكن المؤمن حقاً هو من أذعن نفسه وأطاع قلبه وأنشرح صدره ورأى في ذلك نعمة كبرى من الله عليه يغتبط بنيلها ويحمد الله على منتهى بها ويقول بإسنان حاله: الحمد لله على نعمة الإيمان.

ولكل نعمة لذة تقوى بحسب تنبيه النفس وشعورها بعظم الانتفاع بها، ويزداد الشكر عايتها وتقديرها بحسب ما يدرك من نالها من آثارها. فكم ترى في الناس من آمن في يسر ورخاء وهو غافل عن نعمة الأمن واليسار. وإن المتمتعين بنعمة الصحة مع غفلتهم عن الشعور بها لا أكثر من أن يحصوا، حتى قيل: الصحة تاج على رؤوس

الأصحاء لا يراه إلا للرضى . فالتنعم قد تصادف الراء ويكون واقف الحظ منها وهو مع ذلك لا يتذوقها ولا يحسها لأنه منصرف عن التفكير فيها والالتفات إليها ، وإنما يوجهه إليها ويشعره بها حرصه على اجتناء ثمرها وقيامه بواجب شكرها .

ومن أجل نعم الله على العبد نعمة الإيمان . ولقد نرى الكثير ممن آمن وجزم واستيقن وخلص من الشك والريب وسلم من آفة العناد والمكابرة ، ولم يبتل بكراهية ما أنعم الله به عليه من نعمة الإيمان ، تراه مع هذا مستغرقا في غفلته ، منصرفا عن أن يقدر نعمته حق قدرها ، مقصرا في القيام بواجب شكرها . فمثل هذا مؤمن ولا شك ، إلا أنه لم يذق لإيمانه طعما ، ولم يدرك له لذة . وكيف يدرك لذة لم يلتفت إليها ولم يتنبه لعظيم قدرها ولم يشعر بغبطة لإحرازها ! ومثله مثل من نشأ في مجبوحة من العيش ولم يلتفت إلى حال الفقر والعدم ، فقلما تجده قائما بشكر نعمة السعة ، إلا أن يزجه تعرضها للزوال ، فعندئذ يتنبه لما هو ممرض له من أخطر الأحوال . كذلك تجده هذا قلما يتنبه للإيمان ونعمته ، إلا إذا كان عرضة للمهاجمة فيه ومحاولة انتزاعه منه ، فتنبه حواسه ويستيقظ من سباته ، كما يحكى عن ذلك المؤمن الذي كان منغمسا في الشهوات ولا يتحاشى عن تعاطي المسكرات فعرض له أحد المذمومين الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين وظن أنه يختلس منه إيمانه وهو في غفلة من سكره فتقدم له يقول : إنك شاب مهذب نشأت ربيب نعمة وتعودت الرفاهية ومثلك لا يمكنه إلا القلاع عما اعتاد من ترف ، ولكنك تدين بدن يحظر عليك هذه العادات التي تملكك ، ويتوعد بالنار كل من تعاطاها ، فإن بقيت على ذلك الدين وأنت تتعاطاها حكم عليك بدخول النار ، أفلا أدلك على دين متى اعتنقته استبحت كل شيء ونجوت من عقابه ؟ ذلك أن تؤمن بمخلصنا المسيح ، فانه افتدانا من الخطايا بصلبه ، فتي آمنت به نجوت من كل عذاب مهما فعلت من الجرائم . فها هو إلا أن وصل به إلى هذا حتى تذهبت فيه غريزة إيمانه وتحركت فيه نخوة دينه ،

فصحا من سكرته ، ودفع ذلك للضل في جيبته ، وقال له : اخساً يا كافر : إنا نطلب من الله أن يغفر لنا جرمة السكر فتريد أنت أن توقعنا في الكفر ؟ فذهب عنه خامراً . فمثل هذا ممن شملهم نعمة الإيمان ، ولكن ذهلوا عنها بسكرة الحياة الشهوانية وانغمسهم في حمأة من الترف بل البهيمية ، فقلما يذوق أحدهم لذة إيمانه أو يشعر بعظيم النعمة التي أنعم الله عليه بها ، وكيف يفتنع بالنعمة من لم يعرف قيمتها ، وكيف يقوم بشكرها من لم يقدرها حق قدرها .

ولقد جاء هذا الحديث ينير لنا الطريق الذي به نتعرف مقدار هذه النعمة العظمى : نعمة السعادة الدائمة والتعيم المقيم ، نعمة الإيمان الضامنة لسعادة الدارين ، لنجنى ثمرها ونوفىها شكرها ، فأرشدنا الى ما به نمتحن نفوسنا ، فإن وجدنا فيها أماراة الإيمان حمدنا الله وزدناها نوا ، وإن وجدنا النفوس خلوا منها جاهدناها حتى نحليها بها ونروضها عليها ، وذلك من أعظم وسائل تربية النفوس ومراقبتها ليكمل نقصها وتحلى بما فقدت من فضائل ، فقال عليه أفضل الصلاة والتسليم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » والمراد ثلاث خصال ، وهي الميمنة فيما يأتي . وستعرف مقدارها من الدين ليتجلى لك أن هذا الحديث أصل عظيم جامع لأبواب الخير . وحلاوة الإيمان هو ما يتذوقه المؤمن المطمئن النفس من لذة هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه فهيأها بها لإحراز سعادتي الدنيا والآخرة . أجل : سعادة الدنيا بإرشاده الى ما فيه صلاح معيشته وتهذيب نفسه وتنظيم حياته الخاصة والعامة ، وناهيك بما يفيضه الإيمان على صاحبه من نعمة الصبر على البلاء ، والشكر على السراء ، والنظر الى كل ما يصادفه المرء في حياته بأنه صادر عن الحكيم العليم ، فيشهد فيه ما ينثليج له صدره ويطمئن له فؤاده ، فلا يفتأ يشهد من بديع الحكم ما يربو على المتقل في بستان بين طيب الرياحين وبديع الأزاهير وشهى الثمار . وهذا ما يحده المؤمن من ثمرة إيمانه في الدنيا وما عند الله خير وأبقى . حلاوة

الإيمان بتذوقها المؤمن الصادق في إيمانه في كل مظهر من مظاهر حياته من سرراء وضرراء، فهو في كل شيء يشهد أثر اللطيف الخبير، فيستفيد بإيمانه لذة في الدنيا وأجرا عظيما في الآخرة.

الأولى — أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما:

الحب ميل النفس الى ما تجد فيه لذة أو منفعة أو موافقة طبع . وأسبابه متنوعة ، فقد يحب المرء الشيء ، لأنه يمود عليه بالنفع ، أو يحب الشخص لأنه يسديه الإحسان ، وقد يحب الإنسان الشيء لما فيه من كمال ذات أو جمال صفات أو حسن اتساق . ولقد ذكر الغزالي رحمه الله للحب خمسة أسباب وهي :

( ١ ) حب الإنسان نفسه ، ووجوده ، ودوام وجوده ، وكماله ، وذلك ضرورى .  
( ٢ ) حب الإنسان من أحسن اليه وانتفع منه بمنفعة ما ، وهو ما يشهد به كل إنسان . جبلت النفوس على حب من أحسن إليها .

( ٣ ) وحب المحسن في ذاته لنفس الإحسان وإن لم يصل أثره الى الإنسان ، فإننا إذا سمعنا بشخص له إحسان وبر ، وقد بسط خيره وكثر منه النفع للعباد ، وجدنا من نفوسنا الميل اليه ، وعلقت محبته بالقلوب ، وإن كنا في غنى عنه وعن إحسانه .

( ٤ ) وحب الجمال والحسن في ذاته بقطع النظر عن أن يمود علينا منه لذة أو منفعة ، والجمال يتفاوت الى أنواع ومراتب كثيرة لا تحصى : فمنه حسن كحسن الأزهار والألوان الجميلة والأشكال الهندسية المتقنة والخط الحسن والحيوانات المتناسبة الأعضاء أو الطيور الزاهية الألوان وأمثال ذلك ، ومنه معنى كحسن الأخلاق الكاملة والصفات الفاضلة ، كالعلم والذكاء والشجاعة والعدل وضبط النفس مع القدرة وهلم جرا . فكم ترى لبعض المشهورين بالشجاعة من محبة في نفوس العامة الى درجة

التفاني في التعصب لتفضيلهم والتقاتل في سبيل الذب عن مكانهم، وما ذلك عن رؤية لذواتهم أو صلة بينهم وبينهم، وإنما هو الولوع بالصفة الفاضلة التي تعتبر مثلاً أعلى في الجمال النفسى عند أولئك الأقوام، حتى لقد يكون صاحب الصفة شخصاً خيالياً وتفاض عليه صفات الجمال مضمومة بعضها إلى بعض، ويذكر من شواهد ما يعزز وجودها وكمالها فيه، فتملق محبته بالقلوب ولو صور بصورة زنجى أسود. فهذا من حب الجمال المعنوى حيث لا إحسان فيه لك ولا لغيرك، ولا فائدة منه مرجوة للمحب تعود إليه أو إلى أحد ممن يتصل به.

(٥) وحب الإنسان لمن بينه وبينه مناسبة وألفة ولو لم تكن تلك الأسباب السابقة أو شئ، منها موجوداً، وذلك كما ورد في الحديث: الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وإذا نظرنا إلى هذه الأسباب وجدناها موجبة حب المؤمن العارف لربه حبا لا يشاركه فيه محبوب. فأما السبب الأول وهو حب الإنسان لنفسه ووجوده وكمال بقاءه فهو ظاهر التوصيل إلى حب الخالق الموجد المكمل للبقي. وهل يتصور أمر يجب أن يمشى ولا يحب ما به قوام معيشته وما لا يحيا إلا به كقوته وماله؟ وهل يمنع الوجود والكمال والبقاء إلا الله الموجد؟ وكذلك السبب الثانى فى غاية الظهور، فلا محسن على الحقيقة إلا الله تعالى، وما يتصور من إحسان غيره فهو إحسان مجازى لا يزيد فى مجارى العادات على إحسان خازن مال الأمير على شخص بأمر الأمير. فإذا نظرت إلى ملك الأمير لماله بالنسبة إلى مالك الأمر كله فإنه أضعف من نسبة خازن المال إلى الأمير، فالأمر مسخر فى عطايه للدواعى التى سلطها الله عليه لا يستطيع منها فكاً، كما أن الخازن لا يقدر على مخالفة أمر أميره، بل تسخير الأمير لدواعيه أقوى من سلطان الأمير على الخازن. وفوق هذا فالمحسن من الناس لا يحسن إلا فى مقابلة عوض: من انتظار أجر

وثواب، أو إحرار محمد وثناء، أو اشتها راسم وبعد صيت، أو ما مائل ذلك من دواعي الإحسان. وأما الإحسان الإلهي فإنه إحسان وفضل محض لا يعود منه الى المحسن فائدة ولا له فيه غرض، فقد تنزه جل شأنه عن الأغراض.

هذا في الإحسان الى الحب خاصة. أما الإحسان المطلق وهو السبب الثالث، فأى محسن يتصوره الوهم يمكن أن ينسب إحسانه الى الجود الإلهي المطلق، كيف وكل ما في الوجود هبة من هباته وجزء من نفعاته؟ لا ينكر ذلك بر ولا فاجر، ونعم الله على عباده لا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ). أما الجمال والسكال في الذات والصفات والتنزه التام عن سمات النقص، فمن خواص الذات الأقدس، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقصان. فالحب للسكال والجمال متى نسب إليه فقد ضاع كل حب دونه. بقي السبب الخامس وهو الحب للمناسبة والمشاكلة، ففي هذا النوع خفاء يحتاج الى كشف وإيضاح، فان مشاكلة المخلوق للخالق مستحيلة بالضرورة والبرهان، فما يتحقق منها في هذا الباب يحتاج الى التلطف في الفهم وأناة في التعقل.

لقد اتصف جل شأنه بصفات تفرد بها وكان لها تعلقات وآثار دعا المؤمنين الى التأسى به فيها، كالرحمة والرأفة والإحسان والمعطف والبر. وقد جاء: تخلقوا بأخلاق الله. فانؤمن الذي وفقه الله للتحلي بهذه المكارم والأخلاق الفاضلة يحد نفسه مظهرًا لبعض الصفات التي يمن الله بها على عباده ليتخلقوا بأخلاقه؛ فاذا كان مظهرًا للرحمة أو للعادلة أو للبر والخير وذكر الرحمة الإلهية والعدل الإلهي، فلا شك أنه يحس من نفسه اقترابًا لتلك الصفات السكالية التي ينعم بها الخالق على المخلوق، وتكون من باب التأسى والافتداء، وإن كانت المسافة شاسعة بين المقامين، فيحس حينئذ بالزلفى التي تدفعه الى المحبة والتعلق الروحاني. وأول باب لتلك التقرب بالتواقل. ومن هذا جاء في الحديث

القدسى: «لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به». والمعنى والله أعلم: أنه فى كل ما ينظر ويسمع ويحظر له من خطرات يراعى معنى التقرب الى الله ويتحرى مرضاته، وكفى بهذا تصويرا فى معنى الألفة بل فى تقريب أسباب المحبة من الأفهام، وإلا فالمحبة وجدان تعالى عن أن يناله الشرح أو يكفى فيه الوصف.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يعانيتها  
وإنما أطينا فى هذا المقام لأن بعض الناظرين فسر المحبة بالطاعة والامتثال فحسب وقال: إن المحبة لا تتصور إلا بين الأجناس المتألفة أو التى يتصور فيها التألف، وذلك محال بين الخالق والمخلوق فتحمل على لازمها وهو الطاعة. وقد علمت ما يزيل هذه الشبهة وأن المحبة لا تقتصر على ذلك، إلا إن نظر الى نوع منها هى المحبة الشهوية كمحبة الحيوان للحيوان. وليت شعري كيف يفسر هؤلاء محبة الانسان لمظاهر الكون المنسجمة أو للأزاهير والياحين أو للبلاغة والبراعة أو للأشكال الهندسية المتقنة وهكذا مما لا ينحصر!

نعم ثمرة المحبة الإلهية الطاعة والامتثال، ولكن فرق بين طاعة عن حب وطاعة عن رغبة أو رهبة. روى أن عيسى عليه السلام مر بقوم يعبدون خشية النار أو رجاء الجنة فقال: إنكم تخشون مخلوقا وترجون مخلوقا. ومر بآخرين قد نحلت أجسامهم من العبادة وقالوا: نعبده حبالة وتمظيما لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقا، معكم أمرت أن أجلس. ويقربه من الذهن فى معتاد الناس أن يقول الرجل الذى عرف من آثار ملكه وعدله وحسن تقديره للأمور ونحو ذلك من الصفات الحميدة: إني أخدم ملكي لا بمجرد أن القانون يوجب ذلك بل لأن هذا الملك أهل لأن يحب مستحق لأن يخدم، وإن من عرف فيه ما أعرف من صفات الكمال يجد لذته فى أن يخالص إليه ويتقرب منه.

هذا في أصل الحب وهو أمر يزداد وينمو بقوة الايمان والطاعات حتى يكون ماثلاً دائماً أمام المحب ، فيصل عند بعض المفكرين الى أن تكون قلوبهم دائماً مشغولة بذكره متلذذة بتحميده وتعجيده والزلفى اليه . نسأل الله أن يوفقنا لمرصاته .

وأما حب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حب الله ، فإنه ليس أحد بعد الله أمنّ علينا ممن اصطفاه لتبليغ هدايته وتوصيل رحمته إلينا ، وبه أنقذنا من الظلمات الى النور وأعدنا للسعادة الدائمة والنعيم المقيم ، وقال مخاطباً له : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) . وكون الله ورسوله أحب الى المؤمن مما سواهما ، أى من أهله وولده ووالده والناس أجمعين ، بل أحب اليه من نفسه . وليس في هذا تمع ولا غرابة ، فالمؤمن هو الذى يقتدى بنبيه بنفسه ، حتى لو خیر في الضرر يصيبه أو يصيب نبيه فلا يرغب بنفسه عن نفس نبيه ، ففي افتداء نبيه بنفسه تقديم حياة دائمة وسعادة خالدة على متاع زائل وعرض فان . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

### الخلاصة الثانية — أن يحب المرء لا يحبه إلا الله :

وهذا فرع عن الخلاصة الأولى وهى محبته لله ، فالذى يحب الله حباً صادقاً إذا أحب امرءاً فإنما يحبه لما يراه منه من طاعة ربه ، وليس معنى هذا أن من أحب إنساناً لبعض أغراض نفسية يخرج بذلك عن الايمان ، وإنما المعنى أن الذى يعتبر ثمرة من ثمار الايمان ودليلاً على أن الشخص قد ذاق حلاوة الايمان ، أن يكون منه حب فى الله وبغض فى الله ، أى أن يوجد منه حب لا يكون الدافع اليه غرضاً نفسياً ولا غاية شهوية وإنما يكون داعية هو قيام المحبوب بطاعة الله ، وأنه من المقر بين الى الله ؛ وكذلك داعية البغض تلبس للبغوض بمعصية الله ، فهذا هو الذى يعتبر علامة ذوق المؤمن حلاوة الايمان ؛ فلا ينافى أن يوجد معه حب لشخص آخر لغاية من غايات هذه الحياة الدنيا ،



فإنه فرق بين أن يقال : أن يحب المرء لا يحبه إلا الله وبين أن يقال : ألا يجب أحدا إلا الله ولا يبغض أحدا إلا الله .

الخلاصة الثالثة — أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار :

وهي من الأمارات الظاهرة لرسوخ الإيمان في النفوس بل لحصوله واستقراره ؛ وكيف يكون مؤمنا بالله ورسوله من لم ير أن إيمانه هو وحده المنجى من النار ؟ وكيف يؤمن بالله ورسوله من لا يصدق بقوله تعالى : ( وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) فإياهم حقا هو من لا يمزج عنه أو من لا يشك في أنه إن عاد الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كان لا محالة ملقى في النار نار الآخرة ، فهو يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار . ويصح أن يراد نار الدنيا ، والتشبيه باعتبار أنها أشد ما يخشاه الانسان من الألم المحسوس ، ولأن نار الآخرة أشد وأبقى .

وكما يكره المؤمن لنفسه أن يلقى في النار يكره لأخيه المؤمن صغيرا كان أو كبيرا ولولده ولكل من له به سبب أو صلة نسب أن يلقى في النار . فمن ذا الذي يرى إنسانا ما ولو كان لا يعرفه أو ولو كان عدوه ، يراه يتردى في النار على غفلة منه أو علم ثم لا يسارع لإيقاظه منها مهما كان متحجرا القلب صخرى العاطفة ؟ إن هذا شعور تلميه الحساسة الإنسانية ، فكيف بعاطفة الإيمان التي هي مصدر الرحمة والرأفة والحنان . وإن ما يساق اليه سينو الحظ من ضغفاء العقول : من أخذهم على غرة منهم ، واستغلال ضعفهم وسوء حالهم لردمهم عن دينهم ، إنما هو شر يساقون إليه بأيدي مجرمة انزعت منها الرحمة الى الإيقاع في النار ؛ فهل في المؤمنين من يستهين بأخيه وولده فيرى من يسوقه الى النار على غرة منه ثم لا تأخذه الشفقة لإيقاظه منها واستخلاصه من هذا العدو الجبار ؟ !

وإن من البلية أن يزعم أولئك المضلون أنهم مرشدون ويقولون عن أنفسهم إنهم مبشرون . ولو كانوا على يدنة من أمرهم وعلى يقين من صحة دعوتهم ما عمدوا الى اختلاس الضمءاء على غفلة من ذوبهم وأهلهم ، بل كانوا يعمدون بالحجة والبينة ليدلوا على صحة أقوالهم ، أو على الأقل على أنها ليست سخافة وحمافة . فصاحب الحق المتمسك بالحجة والبرهان لا يخشى المجادلة بالبرهان ولا يعمد الى اختلاس الضمءاء والصبيان ولا ياجأ الى تلك الوسائل الإجرامية : من تغريب وتذيب ، وتشويق الأطفال بقطع الحلوى ، وخداع الشبان بأخس الوسائل النرامية ، واستغلال ضعف المرضى وضجرهم مما هم فيه . وإنها لفتنة لعن الله من أيقظها . وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار . نسأل الله تعالى أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأسمى وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالى

## الى اديو

من الوجهين الدينية والفنية

محاضرة قيمة ألقاها حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير الأستاذ الشيخ محمد بحيث مفتى الديار المصرية سابقا فى مركز فرع جمعية الهداية الاسلامية بالعباسية ؛ وحضرها جمع عظيم من العلماء والفضلاء . وقد بحث فضيلة الأستاذ فى محاضرتة عن هذه الآلة ( الراديو ) من الوجهة الفنية ، وتعرض لحكم قراءة القرآن فى موضع إذاعتها ، وأضاف الى ذلك فوائد جلييلة ، فتلقاها الحاضرون بالإنصات والإعجاب والدعاء لفضيلته بطول البقاء (١) .

(١) ستشر هذه المحاضرة فى عدد جادى الاول من مجلة الهداية الاسلامية

## توحيد الألوهية - وتوحيد الربوبية

جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ما معناه، وما الذي يترتب عليهما، ومن ذا الذي فرق بينهما، وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه ؟ فنقول وبالله التوفيق :

إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره .

قال : إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المنصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين ، بدليل قوله تعالى : ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) ثم قلوا : إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء ، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها ، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالآولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ( بل قل محمد بن عبد الوهاب : إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان ، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة ) فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح ، وفيه عدة دعاوى . فلنعرض لها على سبيل الاختصار ، وانجعل الكلام في مقامين فنتحكما إلى العقل ثم نتحكما إلى النقل ، فنقول :

قولهم : إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية ، وغير معقول أيضا كما ستعرفه ؛ وما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الاسلام: إن هناك توحيدين، وإنك لا تكون مسلماً حتى توحيد توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذاك بكلمة واحدة، ولا تسمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبعون باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحق هو الرب الحق، والإله الباطل هو الرب الباطل، ولا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان رباً، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك، كما قال تعالى: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) فرتب العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبد كما قلنا. ويقول تعالى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتدره التام، ولا معنى لأن يسجدوا لغيره. هذا هو المعقول، وبدل عليه القرآن والسنة.

أما القرآن فقد قال: (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) فمصرح بتعدد الأرباب عندهم، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب: إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وإنما أشركوا في توحيد الألوهية. ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوها إلى التوحيد: (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).

ويقول الله تعالى أيضاً: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي) وأما هم فلم يجعلوه رباً. ومثل ذلك قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ رَبِّي) خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى. وانظر إلى قولهم يوم القيامة: (نَالَهُ إِنْ كُنَّا أَوْيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (أي) في جعلكم أرباباً كما هو ظاهر. وانظر إلى قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) فهل نرى صاحب

هذا الكلام موحدًا أو معتزفًا؟ ثم انظر الى قوله: (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) الى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره .

فإذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية كما قال ابن تيمية ، وما كان يوسف عليه السلام يدعوم إلا الى توحيد الربوبية ، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام ( فهل هم أعرف بالتوحيد منه أو يجعلونه غلطًا في التعبير بالأرباب دون الآلهة ؟ ) .

ويقول الله في أخذ الميثاق: ( أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ) فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم كما يقول ابن تيمية ، ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة : ( إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ) وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق الى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية حيث إن توحيد الربوبية غير كاف كما يقول هؤلاء ، الى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه ، وهو لا يخفى عليك . وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية ، ولو لم يكونا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضا ، ومن ذلك قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ) فإنه إله في الأرض ولو لم يكن فيها من يعبده كما في آخر الزمان . فإن قلوا إنه معبود فيها أى مستحق للعبادة ، قلنا إذاً لا فرق بين الإله والرب ، فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير ، وما كانت محاوره فرعون لموسى عليه السلام إلا في الربوبية ، وقد قل : « أنا ربكم الأعلى » ثم قال : « لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين » ولا داعي للتطويل في هذا .

وأما السنة فمسئال الماسكين للميت عن ربه لا عن إلهه ، لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله ( فإنهم ليسوا تيميين ولا متخبطين ) وكان الواجب على مذهب هؤلاء ، أن يقولوا للميت من إلهك لا من ربك ، أو يسألوه عن هذا وذاك . وأما قوله : ( وَإِنَّ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَاقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ (فهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت ، مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات . ولعلمهم نطفوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل الى نفوسهم ، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم ، وأنهم ينسبون الضر والنفع الى غيره ، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور . وإن شئت فانظر الى قولهم لهود عليه السلام : ( إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ) فكيف يقول ابن تيمية : إنهم يعتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع الى آخر ما يقول ؟ ثم انظر بعد ذلك الى قولهم في ذرعهم وأنعامهم : ( هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ) فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها . وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام : ( وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ) فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم .

ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد : أَعْلَىٰ هُبَلٌ ، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله : الله أعلى وأجل . فانظر الى هذا ثم قل لي ماذا ترى في ذلك التوحيد الذي ينسبه اليهم ابن تيمية ويقول إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية ! ثم انظر بعد ذلك الى قوله تعالى : ( وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي ) ( آي ) وأما هم فلم يجعلوه رباً . ومثل ذلك قوله تعالى : ( لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى : وانظر الى قولهم يوم القيامة : ( تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ تُسَوِّيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) ( آي ) في جعلكم أرباباً كما هو ظاهر لغیر المتعسف . وانظر الى قوله تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ) فهل ترى هذا

كلام موحد أو معترف ؟ ثم انظر الى قوله : ( وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ) الى غير ذلك ، وهو كثير .

وأدل من ذلك كله قوله تعالى : ( وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ) الى غير ذلك مما يطول شرحه ، فهل ترى لهم توحيداً بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه عقيدة ؟ أما التيميمون فيقولون بعد هذا كله إنهم موحدون توحيد الربوبية ، وإن الرسل لم يقاتلوهم إلا على توحيد الألوهية الذي لم يكفروا إلا بتركه . ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذبوا الأنبياء وردوا ما أنزل عليهم واستحلوا المحرمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن الله صاحبة وولدا وأن الملائكة بنات الله ( أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَا يَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ أَكَاذِبُونَ ) الخ الخ وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل في رأي هؤلاء ، وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الألوهية كما يزعمون ، وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء ، أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبد الوهاب : وما علينا من ذلك كله ، ولكن نقول لهم بعد هذا : على فرض أن هناك فرقاً بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية كما يزعمون فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية ، فإنه ليس من العبادة في شيء ، لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، ولم يقل أحد إن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة ، ولا أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يحز بالحق ولا بالميت . ومن المعلوم أن التوسل لم يطلب إلا من الله تعالى بمنزلة هذا النبي أو الولي ، ولا شك في أن لها منزلة عند الله تعالى في الحياة وبعد الممات ، فإن تشبث بتشبهت بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج الى واسطة ، قلنا له : حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء ، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء . ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهي معلومة

من الدين بالضرورة ، فإنها على هذا الرأي لا حاجة اليها ، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى الى واسطة فإنه أقرب من الواسطة ، ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله : إنا نتوسل اليك بـم نبيك العباس الخ الخ .

وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط ، وهو خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها الى آخرها ، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين ، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط ، بل هم أشد الناس تعلقا بها واعتمادا عليها .

ولا يفوتنا أن نقول : إن التفرقة بين الحى والميت في هذا المقام لا معنى لها ، فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلا ، وإنما طالب من الله متوسلا اليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك ، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له ، أم هو حق لا مصرية فيه ، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحتمقون ؟ كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين .

وانظر كتب المذاهب الأربعة ( حتى مذهب الحنابلة ) في آداب زيارته صلى الله عليه وسلم : تجدتم قد استحبوا التوسل به الى الله تعالى ، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركوز في الفطر مخالفا في ذلك العقل والنقل . ونخشى أن يطول بنا القول . فلنقف هنا ، ونؤخر الكلام على نداء الأولياء وتعظيمهم والاستغاثة بهم . وموعدنا العدد الآتى ، إن شاء الله .

يوسف الدموي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف



## أبو بكر الصديق

= <

نأه :

نشأ أبو بكر في بيئة عربية خالصة، ودرج يستنشق حياة بدوية ناعمة، فيها شيء من العناية التي قلما يجدها من يعيش في تلك الصحراء القاسية، حيث الخشونة والجذب . فلا جرم كان أبو بكر لينا هادئ الطبع ، رقيق الإحساس والشعور .

نشأ أبو بكر على ما ينشأ عليه أبناء البادية جميعا : من طلاقة في اللسان ، وفصاحة في القول ، وشدة في الحق ، وتمسك بأهداب الفضيلة . وكان أبو بكر يجمع الى تلك الثقافة البدوية الخالصة علما بالأنساب والشعر الصحيح ، فكان ينسب كل قول الى قائله ، وكل فرد الى قبيلته ، ويكفي أن تعلم أن أبا بكر من قريش سيدة العرب ، لتعلم أنه عريق النسب عربي الأرومة .

نسب وبيته :

هو عبد الله بن أبي قحافة ، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة . ومهما يكن فانه يلتقي نسبه مع نسب سيد الخلق جميعا وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجد الخامس وهو مرة بن كعب . أما أمه فهي سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكان يقال لها أم الخير . فأنت ترى من هذا أن بيته من البيوت التي انتهى إليها الشرف ، جاهلية إذ كانت سيدة العرب وحامية ذمارها ، وإسلاما إذ شرفها تعالى ببعث رسوله

منها، وزاد إكرامها أن كان منها أبو بكر أول المسلمين وسيد الزائدين وخير الداعين الى دين الحق .

ترعرع أبو بكر في تلك البيئة ، وفي كنف ذلك البيت الذي وقفناك على ما خص به من مجد ، وما حبي به من شرف ، وما كان إليه في الجاهلية ، وما صار إليه في الإسلام ، فكان طبيعيا أن يكون لهذا أثر في نفس أبي بكر فينشأ على مكارم الأخلاق ، والصدق في القول ، والاخلاص في العمل .

#### مولده ومبائه :

ولد أبو بكر بعد مولده صلى الله عليه وسلم بسنتين ثلاث ، فهو يقاربه في السن ؛ وهو أيضا من نفس القبيلة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وقد اصطحبا في الطفولة وارتبطا أيام الشباب ، فليس من شك أن عرى الصداقة زادتها الأيام توثقا . وقد ظلّا هكذا صفيين يحب أحدهما لأخيه ما يحب لنفسه ، وبرضى له ما يرضاه لها ، حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، فكان أبو بكر أسرع الناس الى تلبية نداءه ، وتصديق دعائه ، والعمل على نشر الدعوة بين العرب .

كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال ، وأول من صلى منهم ، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها قولها : « ما عقلت أبوى إلا وهما يدينان الدين وما مر علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا بكرة وعشية »

نحب قبل أن نسرع بك الى ما قدم أبو بكر للإسلام من خدمات ، وما ضحى في سبيله من نفس ومال ، وما جهد في تثبيته — أن نقفك على مركز أبي بكر في قومه قبل الدعوة :

يحدثنا أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه أن أبا بكر كان معروفا بالتجارة ، وهي إذ ذاك من أشرف الحرف ، وأنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده

أربعون ألف درهم، فكان يتفق منها في شئون المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة؛ وأبو بكر مع هذا كان في قومه بمنزلة القطب من الرحي : يتحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير؛ فهو في الطود الأشم، يصدق قومه إذا حدثهم، ويحمدون له فعله إذا وفقوا منه على شيء، لا يردون له قولاً، ولا يبتذنون له رأياً، فقد كانت إليه في الجاهلية الأشناق (الديات والمغرم) فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا جمالة من نهض معه.

### صفة أبي بكر :

كان أبو بكر رجلاً نحيفاً، خفيف اللحم، أبيض. وقد صح عن عائشة رضي الله عنها قولها في وصف أبيها حين طلب إليها وصفه : أنه رجل أبيض، نحيف العارضين، أجنباً لا يستمسك إزاره، يسترخى عن حقونه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتيء الجبهة، عارى الأشاجع.

### مزايا أبي بكر :

علمت مما قدمناه لك أن أبا بكر كان في الجاهلية من سادة العرب ومن بيوت المجد؛ ونحن ذاكرون لك هنا ما ميز الله به أبا بكر في الاسلام، فنقول :

إن مزايا أبي بكر في الاسلام قد نبجل عن الحصر؛ وأفضل مزية له هي ذكر الله عز وجل له في كتابه العزيز مثنيا عليه، حيث قال تعالى : (إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وهذه مزية لم يشاركه فيها أحد من المسلمين. وقد أخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال :

عائب الله المسلمين جميعا في نبيه صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر رضي الله عنه فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ: **إلا تنصروه فقد نصره الله - الآية**.

ومنها أنه رضي الله عنه أول من آمن برسالته صلى الله عليه وسلم، وكان صاحبه الملازم، فحصلت له بركة هذه الصداقة الخيرات الجمّة. ولعرفانه بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كان أشد هذه الأمة استعدادا لنور الاسلام. وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرض للإسلام على أحد إلا وكان له فيه وقفة إلا أبا بكر رضي الله عنه. وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت: **لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولا يمر عاينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم**.

ومنها أنه كان صفي النبي عليه الصلاة والسلام وموضع سره، حتى إنه صلى الله عليه وسلم لم يختار لصحبته حين الهجرة غيره، ولم يأمن على سره وعلى نفسه حين أراد الهجرة إلا أبا بكر. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: **هل قلت في أبي بكر شيئا؟ قال: نعم، قال: قل وأنا أسمع، فقال:**

**وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبل**

**وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا**

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال: **صدقت يا حسان**. ومنها أنه كان ثاني اثنين في الغار، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم بقوله: **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**. وهذه منقبة من أفضل المناقب، ومرتبة هي أعلى المراتب، لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أكبرها، وأشار إلى أنه لا شأن أعلى من هذا الشأن، ولا منزلة أسمى من هذه المنزلة. وقد أيد الله ذلك بقوله عز وجل **حكاية لرسوله: « لا تحزن إن الله معنا »** ولا يخفى أن المراد بالمعية هنا معية خاصة هي معية التأييد، ومنها ثبتت صحة أبي بكر بالكتاب.

وقد دلت الآيات الكريمة على فضل المجاهدين على القاعدين وإن كان لكل الحسنى؛ ودلت على تفاوت الناس في الإيمان والعمل. ومما لا شك فيه أن المهاجرين السابقين أفضل من سائر المؤمنين؛ وقد امتاز أبو بكر رضي الله عنه بالسبق في كل شيء؛ وامتاز بأن هجرته كانت مع رسول الله نفسه، وباذن من الله تعالى ورغبة من رسوله. وقد اختص بمدح الله تعالى له دون غيره في القرآن الكريم كما سبقت الإشارة إلى هذا قبل ذلك.

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما تجهز أبو بكر قبل المدينة قال له صلى الله عليه وسلم: على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي. فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك؟ بأبي أنت. قال: نعم. فبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه. قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوم ما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقدما في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإنني قد أذن لي بالخروج، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. إلى آخر ما جاء في قصة الهجرة وحديث الغار.

هذه المزايا وغيرها مما لا يسع المقام ذكرها دلت على أن صحبة أبي بكر أفضل وأكمل من صحبة غيره، وأنه أفضل الصحابة من غير منازع. ومما يرشح هذا ويقرره ما في صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب غضب من أبي بكر رضي الله عنه في محاورة بينهما فطلب منه أبو بكر أن يغفر له فأبى، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يغفر الله لك يا أبا بكر — ثلاثا . قال الراوى وهو أبو الدرداء رضى الله عنه : ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال : أأنتم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى الى النبي عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمتع حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ، مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثنى اليكم فقامت كذبت وقال أبو بكر صدق ، وواسأنى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركولى صاحبي ؟ : مرتين ، فأتى أودى أبو بكر بعدها . وقد صرح أيضا بأن آمن الناس عليه فى ماله ونفسه أبو بكر .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين أصحابه آخى بين أبي بكر وعمر ، فرآهما يوما مقبلين فقال : إن هذين لسيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين : كهولهم وشبابهم إلا النبيين والمرسلين . وقد روى عن عبد الله بن عتبة : لما أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدور بالمدينة جعل لأبى بكر موضع داره عند المسجد . وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قل : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر . وعن عمرو ابن العاص قال قامت : يا رسول الله أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قلت : إنما أعنى من الرجال ، قال : أبوها . وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : إني أبرأ الى كل خليل من خلته ، غير أن الله قد اتخذ صاحبكم خليلا — يعنى نفسه — ولو كنت متخذًا خليلا لا تتخذت أبا بكر خليلا .

### استخفاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر :

عن عائشة رضى الله عنها : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذن للصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : فقلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيء ، وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر : قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقلت لحفصة : قولى له إن أبا بكر رجل أسيء ، وإنه متى يقيم مقامك

لا يسمع الناس فلو أمرت عمر . فقالت له حفصة ، فقال : إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروراً بأبى بكر فليصل بالناس . فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيراً . قالت : فأمرؤا أبى بكر يصلى بالناس ، فلما دخل أبى بكر فى الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان فى الأرض حتى دخل المسجد ، الى آخر الحديث . وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ادعى لى أبالك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتاباً فإنى أخاف أن يقول قائل ويتنى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبى بكر . وعنها قالت : لما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن أبى بكر فقال : ائتنى بكنف حتى أكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه ، فذهب عبد الرحمن ليعوم فقال : اجلس أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبى بكر .

#### بيعت أبى بكر

تبين لك مما أوضناه قبل ما كان لأبى بكر من ميزان لم يشاركه فيها أحد من الصحابة ، كما تبين لك موضعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته العظيمة عنده ، وأنه كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى الغار ، ولم يقف الأمر عند هذا ، بل كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى أكثر المناصب الدينية ، فانه صلى الله عليه وسلم لما أرسل الى الخاق وعرض الاسلام على أبى بكر ، آمن به ، وعرض الاسلام على طاحه والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة فآمنوا على يديه ثم أحضروهم الى الرسول بعد أيام فلائل فكان ثانى اثنين فى الدعوة الى الله ، كما كان رضى الله عنه ثانى اثنين فى مجاهده صلى الله عليه وسلم فى حياته . وقد دفن بعد وفاته بجانب الرسول ، فكان ثانى اثنين هناك أيضاً . ولقد سبق أنه استخلفه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة حيث أمر بأن يصلى بالناس ، فكان ثانى اثنين فى إمامة الناس .

ونزید علی ما تقدم أن من المزايا التي امتاز بها أبو بكر الثبات الذي لم يكن لغيره من الصحابة مثله ، فانه لما انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ماكنت الدهشة جميع الصحابة وذهل بعضهم ، حتى قال عمر : من قال إن محمد قد مات علوت رأسه بسيفي هذا . أما أبو بكر فانه لما بلغه نعيه عاياه السلام وكان غائبا في أهله بالسنع ، أقبل فوجد الناس في اختباط عظيم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض المصدق ومنهم المكذب ، أقبل فوجدهم على هذه الحال ، فلم يرايله الثبات ، ولم يعتوره الدهش ، ولم يذهل ، وبقى ثابتا ، وأعاد الى القوم ثباتهم الذي زایلهم لحظة لحوّل ما هم فيه من الحزن لوفاة الرسول عليه السلام ، فدخل رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله وقال : بأبي أنت وأمي قد ذفت الموتة التي كتب الله عليك . ثم خرج الى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . ثم تلا قوله تعالى : ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَابْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ) فقال عمر : فاهو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فوقعت الى الآن<sup>(١)</sup> ماتحماني رجلاي . وقال غيره : والله ما كنت أحسبها نزلت .

رجل هذا شأنه وهذه أعماله وأخلاقه حرى بأن تتوجه اليه نفوس الناس بعد الرسول عليه السلام ، فلا يستطيع أحد أن يجرأ على القول بأنه أفضل منه . وفي القصة التي نسردها عليك الدليل على ذلك : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال : ابسط يدك فلا بإيمك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله . فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فهة<sup>(٢)</sup> قبلها منذ أسلمت ، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين ؟ وفي رواية أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أتوا أبا عبيدة فقال :

(١) يريد أنه وقع لساعته (٢) سقطه أو جهلة .



أَتَا تَوْنِي وَفِيكُمْ ثَلَاثَ ثَلَاثَةٍ؟ قَالَ أَبُو عَوْنٍ: قُلْتُ لِمَعْدٍ: مَا ثَلَاثَ ثَلَاثَةٍ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى تِلْكَ الْآيَةِ (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)؟ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَذَكَرَ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَقَطَّعَ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍة الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: نَوَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأَخْرَجُوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ وَهُوَ صَرِيضٌ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لِابْنِهِ أَوْ بَعْضِ بَنِي عَمِّهِ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَشُكْوَايَ أَنْ أَسْمَعَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ كَلَامِي وَلَكِنْ تَلَقَّ مِنِّي قَوْلِي فَأَسْمِعْهُمْهُ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ وَيَحْفَظُ الرَّجُلُ قَوْلَهُ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ فَيَسْمَعُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَكُمْ سَابِقَةٌ فِي الدِّينِ وَفُضِيلَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ، إِنْ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبِثَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَوْتَانَ فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا رَجَالٌ قَلِيلٌ، وَمَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْمُوهُمَا رَسُولُ اللَّهِ وَلَا أَنْ يَعْرِزُوا دِينَهُ وَلَا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضِيَاءَهُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ بِكُمْ الْفُضِيلَةَ سَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ، وَخَصَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ، فَرَزَقَكُمْ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْمَنْعَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، وَالْإِعْزَازَ لَهُ وَلِدِينِهِ، وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ، فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عَدُوهِ مِنْكُمْ، وَأَنْقَلَبَ عَلَى عَدُوهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْعَرَبُ لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَأَعْطَى الْبَعِيدَ لِلْقَادَةِ صَاغِرًا دَاخِرًا، حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِكُمْ الْأَرْضَ، وَدَانَتْ بِأَسْيَافِكُمْ لَهُ الْعَرَبُ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ رَاضٍ بِكُمْ قَرِيرَ عَيْنٍ. اسْتَبَدُّوا بِهَذَا الْأَمْرِ دُونَ النَّاسِ فَانْهَ لَكُمْ دُونَ النَّاسِ. فَأَجَابُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ قَدْ وُفِّقَتْ فِي الرَّأْيِ وَأَصَابَتْ فِي الْقَوْلِ، وَلَنْ نَعُدَّوْ مَا رَأَيْتَ، نَوَلِيكَ هَذَا الْأَمْرَ فَانْكَ فِينَا مَقْنَعٌ وَلِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رَضَى. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادَّوْا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: فَإِنْ أَبَتْ مِهَاجِرَةُ قُرَيْشٍ

فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده . فقالت طائفة منهم : فإنا نقول : إذا منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا . فقال سعد بن عباد بن سماعة : هذا أول الوهن . وأتى عمر الخبر ، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى أبي بكر ، وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دأب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى ، فأرسل إليه أني مشة نل ، فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره ، فخرج إليه فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عباد ، وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومن قريش أمير ؟ فضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فمشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقبهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة ، فقالا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون . فقالوا : لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون فقال عمر بن الخطاب : أتيتنا وقد كنت زويت<sup>(١)</sup> كلاما أردت أن أقوم به فيهم فلما أن دفعت إليهم ذهبيت لا بتدئ المنطق فقال لي أبو بكر : رويدا حتى أتكم ثم انطق بعد بما أحبيت ، فنهق فقال عمر : فما شئ . كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

ثم بدأ أبو بكر بحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحدهم وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة ، وإنما هي من حجر منحوت وخشب منجور . ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، وقالوا « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زُنا » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواثاة له والصبر معه

(١) هيات ووتبت .

على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس لهم مخالف زار<sup>(١)</sup> عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم . وأنتم يامعشر الأنصار من لا ينكر فضاهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام ، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتأون بمشورة ، ولا تفضى دونكم الأمور . قال : فقام الحباب بن المنذر بن الجوح فقال : يامعشر الأنصار ! املكوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيثكم وفي ظلكم ، ولن يجترى مجترى على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تحتفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم ، أبي هؤلاء إلا ما سمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر . هيهات ! لا يجتمع اثنان في قرن ، والله لا يرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل ، أو متجانف لأنهم أو متورط في هلكة ! فقام الحباب بن المنذر فقال : يامعشر الأنصار ! املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتهم فاجلوم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ، أنا جذيلها المحكك ، وعزيقها المرجب . أما والله لئن شئتم لنعيدنها جزعة ، فقال عمر : إذن

(١) غائب ومتنقص .

يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير . فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشر الأنصار : إنا والله لنكوننا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبيينا والكبح لأنفسنا ، فإينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغى به من الدنيا عرضا ، فإن الله ولى المنة علينا بذلك ، إلا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى ، وإيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوهم . فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأبهما شتم فبايعوه ، فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين ، فن ذابغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك ؟ أبسط يدك نبايعك . فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، فزاده الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد : عقلت عقاق . ما أحوجك الى ما صنعت : أنفست على ابن عمك الإمارة ؟ : فقال : لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم . ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد ، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن خضير وكان أحد النقباء : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، فقوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا اليه فبايعوه ، فانسكس على سعد ابن عباد وعلى الخزرج ما كانوا أجواله من أمرهم ، فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عباد ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا لا تطؤوه . وتمت البيعة ، ثم بايع بعد ذلك على بن أبى طالب والزبير بن العوام وغيرهم من بنى هاشم . لاخفاء فى أنك علمت من هذا ما باغى الصحابة من جهد فى بقاء الخلافة للمهاجرين أنهم دافعوا عن حق اعتقدوه ما وسعهم الحجة ، حتى تمت لهم الإمارة ، وأجمع

على إمارة أبي بكر أصحاب رسول الله إلا نفراً قليلاً . وقد رأيت من سياق خطب القوم أن الجهاد القولى كان شاقاً عنيفاً كاد يخرج عن القول والحجة الى القوة ، وأن أبا بكر كان دائماً كما عهد المسلمون رقيقاً ليناً فى غير هوادة ، يدعو الى الرفق والتسامح ، يأخذ بالحجة ما لا يأخذ بغيرها ، فأدلى رضى الله عنه بعد هذا اللجاج وتلك المناقشة الحادة العنيفة بحجج كانت أشد فعلاً من السيف البتار ، فما هو أن سمعها المسلمون حتى ركنوا اليه وأسلموا الأمر بعد الرسول اليه .

ولى أبو بكر أمر المسلمين بإجماعهم عليه إلا قليلاً . ولهم وحالتهم غير مستقرة ، ومن القبائل من يرغب أن تكون فيهم الخلافة ، وفيهم من كان بنفس عليه ويرى نفسه أحق منه بها ، فأراد أن يثلج الصدور ويذهب بالفتنة ويغيظ الحاقدين . أراد أن يعجو ما علق فى نفوس بعض المسلمين ويطمئنهم على أن ما عهدوه زمن الرسول من الأمن والعدل والحق سيكون هو عمل أبي بكر ، فافتتح إمارته رضى الله عنه بخطبة جامعة عرض فيها لخطته وسياسته وما هو عازم عليه ، فداوى بتلك الخطبة الجروح ، فقال : « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدقت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذله بحقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه ، إن شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يحكم الله .

نبات أبي بكر وقوة ارادته :

افتتح أبو بكر حياته السياسية بهذه الكلمة البليغة التي جعلها عهداً وميثاقاً ، ولكنه ما كاد يتسلم زمام الأمور حتى فوجئ بأحداث طارئة تمصّدع لها الجبال ، ولكن

أبا بكر كما علمت ثابت الجنان رابط الجأش، لا تذهله نائبة ولا تدهشه فاجعة، وقد مر عليك حديث موقفه يوم توفى صلى الله عليه وسلم وكيف كان موقفنا فيه حكيمًا، فليس عجيبًا أن ينهض بالأعباء الثقيلة، وأن يتحمل الشدائد، فالحوادث مهما عصفت لاتلين قناته، فقد استقبل رضى الله عنه الأنباء المتواترة بامتناع بعض العرب عن إخراج الزكاة وبارتداد بعض المسلمين عن الدين بنفس هادئة وعزيمة ثابتة وصدر رحب، فلم تقل عزيمته الحوادث، بل صمد لها وسار بالسفينة كالريان الماهر وسط الأمواج المتلاطمة حتى وصل بها الى شاطئ السلامة والنجاة، ولم يلحق بربه إلا بعد أن أعاد شوكة الاسلام كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم، وبعد أن قاتل أهل الردة ومانى الزكاة. ونحن ذاكرون لك ما كان منه ومن أكابر الصحابة بعد أن ولى الأمر، لتعلم مقدار ثباته وقوة إرادته :

لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم استنقل بعض العرب دفع الزكاة لأنهم كانوا يعدونها كالأثاوة، حتى لقد قال قرة بن هبيرة لعمر بن العاص: إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالأثاوة، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع السكم وتطيع، وإن أبيتكم فلا تجتمع عليكم. فاتهم بعض العرب فرصة المخرج التي سنحت بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا للتحلل من هذا العبء، فامتنعوا عن دفع الزكاة وطرّدوا عمالها، فلما وصل الخبر الى أبي بكر رضى الله تعالى عنه جمع الصحابة للمشورة، فاختلفوا في هل يقاتل العرب على تركهم دفع الزكاة كما لو تركوا الدين، فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة، وقال قوم: بل نقاتلهم، فكان عمر بن الخطاب ممن يرون عدم قتالهم، ولكن أبا بكر لم يكن ليوافق على هذا الرأي بل خالف عمر وقال: والله لو متعوني عقل بغير كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

إلا الله محمد رسول الله فمن قالهما عصم منى ماله ودمه إلا بحقتها وحسابهم على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال إلا بحقتها ، فقال عمر رضى الله عنه : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

هذا الموقف الذى وقفه أبو بكر رضى الله عنه ولم يمنعه منه تجهيز جيش أسامة كان موقفا كله حكمة ، إذ لو تساهل رضى الله عنه اضاع الدين وتأب الناس يريدون الخروج منه وعدم القيام بشعائره . رأى ذلك جميعه أبو بكر فأصر على قتال مانعى الزكاة ، فلم يكن أبو بكر موقفا فى رأى فحسب ، بل كان موقفا أيضا فى فهم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث قرر رضى الله عنه أن الزكاة حق المال ، فقد قال النبي إلا بحقتها . ولقد أکبر المسلمون له هذا الرأى وعلموا أن التوفيق كان رائده حتى صح أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لقد قننا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبى بكر : أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطاة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخطاة المخزية فأن يقرؤا بأن من قتل منهم فى النار ومن قتل منا فى الجنة ، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم ، وأن ما أخذوا منا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم .

يتبع

طه صيب

عضو المحكمة العليا الشرفية سابقا

# هيئة كبار العلماء

وصحابة الاسلوم والمسلمين

## قراراتها ونـداء للامة

اجتمعت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر الشريف في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ ( ١٧ يولييه سنة ١٩٣٣ ) لتنظيم العمل لحماية الاسلام والمسلمين من خطر التبشير ، وقررت ما يأتى :

١ - أن تضم اليها في هذا العمل حضرات :

صاحب السامحة السيد عبد الحميد البكرى

» الفضيلة الأستاذ السيد محمد على الببلاوى

» » » الشيخ محمد مأمون الشناوى

» » » ابراهيم هروش

» » » أحمد حسين

» » » ابراهيم الجبالى

» » » على الخفيف

» » » أمين الخولى

» » » محمد انخضر حسين

» » » طه حبيب

» » » محمد أحمد عرفة



٢ - توجيه نداء الى الأمة الاسلامية

٣ - تأليف لجنة تنفيذية لهذا العمل برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر وعضوية حضرات أصحاب الفضيلة :

الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم

» » محمد عبد اللطيف الفحام

» » حسين والى

صاحب الساحة السيد عبد الحميد البكرى

٤ - يقوم بسكرتارية الهيئة في هذا العمل حضرات أصحاب الفضيلة :

الأستاذ الشيخ أحمد حسين

» » على الخفيف

» » أمين الخولى

٥ - تأليف لجان لا إعداد ما يلزم لذلك العمل ، منها لجنة علمية ، وتؤلف من حضرات

أصحاب الفضيلة الأساتدة :

الشيخ أحمد حسين

» » على الخفيف

» » أمين الخولى

» » طه حبيب

» » محمد الخضر حسين

» » محمد أحمد عرفه

» » عبد الرحمن قراعه

» » حسين والى

الشيخ أحمد نصر

» » محمد حسنين

» » يوسف المدجوى

» » عبد الرحمن عيش

» » عبد المجيد اللبان

» » ابراهيم حمروش

» » ابراهيم الجبالي

السيد محمد على الببلاوى

واللجنة التنفيذية أن تضم الى أعضائها كل من ترى مصلحة في ضمه .

٦ - تأليف لجنة لوضع لائحة لتنظيم عمل الهيئة في هذا السبيل من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة :

الشيخ عبد المجيد سليم	الشيخ علي الخليف
» محمد عبد اللطيف الفحام	» ابراهيم الجبالى
» أحمد حسين	» أمين الخولى

٧ - تأليف لجان فرعية لمعاونة هيئة كبار العلماء في تحقيق غرضها في المدن الآتية :  
الاسكندرية . طنطا . الزقازيق . دسوق . دمياط . أسيوط .  
وفوضت الهيئة الى اللجنة التنفيذية تأليف لجان في جهات أخرى كلما اقتضت الحال .

٨ - أن يكون للهيئة أمين صندوق هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة بالأزهر .

وترجو الهيئة أن يكون لها من أربحية المسامين أكبر المعونة في مهمتها الشريفة . وبتقبل أمين صندوقها تبرعات ذوى الغيرة والحمية الاسلامية بعنوان :  
(الإدارة العامة للمعاهد الدينية - شارع نوبار - صندوق البريد رقم ٩١٩ بالقاهرة) .

## نداء

هيئة كبار العلماء بالوزع الشريف

أبرها السهمونه :

لقد جاءكم نبأ تلك الأموال المرصدة ، والجموع الحاشدة ، والمكايد المدبرة ،  
والوسائل الساكرة ، التي يتخذها أولئك المتسمون باسم البشرين ، محاولة لإفساد أمر  
الإسلام ونكث حبله .

ولقد تجلى لكم من ذلك ما عزّت معه الجمالة ، وقبح بعده التواكل والإهمال ،  
فأنتم أن يسعى بينكم أولئك المفررون المضلون ، ونهضت نهضة المؤمن الآبي ،  
وغضبت غضبة ذي اليقين الحى . وكان علماءكم منكم حيث يلى عليهم دينهم ، ويضعهم  
واجبهم ، وهام أولاء ، قد ألف كبارهم جماعة للعمل للنظم ، ووضعوا خطة للسعى المحكم ،  
ورببت تلك الجماعة نظامها ، وبدأت جهدها ، مستعينة بالعون الإلهى ، مهتدية بالهدى  
النبوى ، واثقة من غيرتكم الإسلامية ، قوية الأمل فى أريجيتكم الدينية ، ما إن تشك  
لحظة فى أنكم باذلون فى سبيل الله ما لكم ، متطوعون بكل مقدوركم ، مابون داعى  
ربكم ( وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ) .

أبرها السهمونه :

عار عليكم أن تساق تلك الجموع للإضلال ، وترصد تلك الأموال للإغواء ،  
وتقام تلك الصروح للصد عن سبيل الله ، ثم لا يكون لنا بمد تلك الهجمات  
ما يحدث عن إيمان راسخ ، وعقيدة ثابتة ، وإيمان فى أنفة وعزة سخریتنا بهذه

الاعتداءات الخاسرة، وهانئك المحاولات الضائعة، وإيصدقن أبدا قول العليم الحكيم:  
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ  
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ).

أبرها المسلمون :

إن جماعة علمائكم وهي الحريصة أشد الحرص على الذود عن دينها، تكره منكم  
الشغب، وتوصيكم بالصبر، وتذكركم بأن كل عنف في ذلك شر، وكل سفه فيه خطر،  
يضيع غرضها ويعطل عملها (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

أبرها المسلمون :

إن العالم يشهد صراعا بين حق ودع، وباطل جري، ومعاذ الله أن يكون الباطل  
في مهاجمته، أمضى من الحق في مقاومته، وما إن رضيت ولن ترضوا أن يكون بذلهم  
في سبيل الإضرار بكم، أكثر مما تبذلون لحماية دينكم، وإنقاذ كرامتكم، وتخليص  
أبنائكم من التهلكة النفسية، والخسار الديني. وإن الكثير في ذلك من الفرد قليل،  
والقليل فيه من الجمع كثير (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ  
مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا).

إن علماءكم لا يعرفون بكم حاجة الى حث على إنفاق، أو استشارة الى بذل، وإنما  
هي الذكرى فحسب فإن الذكرى تنفع المؤمنين: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَذَكَّرُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

## قصيدة

لفضيلة رئيس تحرير هذه المجلة

بمناسبة سفره الى الافطار المجاوزية

لأداء فريضة الحج في هذا العام ١٣٥١

المجد لا ينال القاطنين ودّع الصعب وحياّ الطاعنين  
شامّ في وجهته يمننا ولو زجر الطير لمرت بالمين  
لا تلوما في النوى من هاجه للنوى لاعمج شوق في الكتين  
شاقه البيت وقبر المصطفى وربوع الخلفاء الراشدين  
سار شوطاً وهو لا يدري أنّي حلم أم في زمان لا يخون  
ذكر الخضر وموسى إذ أنّي جمع البحرين مرثاة السفين  
ركب الطائف<sup>(١)</sup> يطوى البحر في جذل والبحر كالشيخ الرزين  
وإذا هبت جنوب طرّدت ما يلاقيه الندامى من شجون  
هم سكارى ما احتست آذانهم حكمة القرآف في نطق رصين  
ودنوا من رابع فلتسبقوا يذكرون الله جهراً محرمين  
في يساس ناصع تحسبهم بادى الرأى زهوراً في الغصون  
رست الطائف في جدة لا برحت جدة في حصن حصين  
رحلوا في جنح ليل وآتوا مكة الغراء من نحو المجون

(١) الطائف : اسم الباخرة التي نقلتنا من السويس الى جدة .

في رضا الله خُطاً خاضوا بها  
 دخلوا بيتاً حراماً يستوى  
 شاهدوا الكعبة وهناً<sup>(١)</sup> فجرث  
 مقلة الدنيا فإت أبصرتها  
 لثموا من ركنها الأيمن ما  
 هي بيت الله إن طافوا بها  
 وردوا زمزم يشفون بها  
 لوشفا عمرو بن كلثوم بها  
 صعدوا الروة من بعد الصفا  
 وقفوا في عرفات موقفا  
 إن دهرراً طاف ساقيه بهما  
 هبطوا «جما»<sup>(٢)</sup> وقد ساد الدجى  
 هل درى «الشعر»<sup>(٣)</sup> إذا جوابه  
 نزلوا خيف منى حيث رموا  
 وآتوا أمّ القرى فاطونوا  
 ركعوا في مسجد الخيف وهل  
 وقضوا حق منى وارتحلوا  
 سل ثبيراً<sup>(٤)</sup> ماله ظل بها  
 أقفلا يحمل ما تحمله  
 دع ثبيراً قلبي القلب فهل

في حصا يغبطه الدر للصون  
 فيه ذو الناج ومنبر الجين  
 عبرات البشر من بعض الجفون  
 في سواد فعيون الغيد جُون  
 لثنته شفتا طه الأيمن  
 وهم أضياف رب العالمين  
 ظمأ الأكباد حيناً بعد حين  
 غلة عاف خمر الأندرين  
 وسعوا لله سبعا راجلين  
 يطرح الآثام من ماضى السنين  
 تشهى أنفسهم غير صنين  
 وحدوا منها المطايا مصبحين  
 أنهم جند إمام المرسلين  
 بالحصا سبعا على وجه الاعمين  
 ثم عادوا لمنى في العائدين  
 أحرزوا فيه ثواب الخاشعين؟  
 بعد أن أذن بالعصر أذن<sup>(٤)</sup>  
 ثمائق الرجل وقصد بأن القطين  
 لربا طيبة من شوق مكين  
 تلفح الأشواق صفرا فيلين

(١) الوهن: نحو من نصف الليل (٢) جمع: المزدلفة (٣) الشعر الحرام

(٤) الأذن: المؤذن (٥) جبل منى

هذه مكة ما للشمس في صفرة تحكى بها وجه الحزين  
أترينا والتموى قد أزفت كيف تصفرّ وجوه النازحين  
بلدة عظمى وفي آثارها أنفع الذكرى لقوم يعقلون  
شب في بطحاتها خير الورى وشبا<sup>(١)</sup> في أنفها أسمع دين  
إن عزمنا النأى عنها فالذروا ت قد تنثي خدينا<sup>(٢)</sup> عن خدين

\*\*

حاديّ السيارة انهض نفتم فرصة نرقبها منذ سنين  
خض بها البيد الى سلع فلى حاجة في أرض سلع وشئون  
بين ليل مثل أحداق لها ونهار مثل نور الياسمين

\*\*

أحمدُ الإدلاجَ والتأويبَ<sup>(٣)</sup> إذ أرباني خير ما تهوى العيون  
أمتعا طرفي برأى روضة أودعوا تربتها خير دفين  
روضة يصبو إليها كل من عرف الحق وبالحق يدين  
شادها الهادى على أس التقى ونسلا القرآن فيها جبرئين  
حرم كم سقيت حصباؤه في دجى الليل دموعَ القاتنين  
فأسألوا المحراب عن بدر الهدى إذ هو يسجد في ماء وطن  
معهد الحكمة لا ينبت في دوحه إلا الدعاة المصلحون  
مدرسٌ للحرب لم يرم العدا قط إلا بالحكمة الفاتحين  
نُكّنة للجند والقضب إذا لم يكن بُدٌّ من الحرب الزبون

(١) شبا : علا ، وأضاء (٢) الخدين : الصاحب (٣) التأويب : السير في النهار .

حجرات ملئت طهراً أما عمرتها أمهات المؤمنين  
لَقَنْتَ فِيهَا حَقُوقَ أَنْقَذْتَ رَبَّةَ الْمَنْزِلِ مِنْ أَسْرٍ يَشِينُ

\*  
\* \*

ها أنا ذا في مقام مؤنس كسنا البدر مهيب كالعرين  
فلأما في حضور بعد ما كان يزجيه على البعد حنين

\*  
\* \*

جئتَ يا مختار والعالم في ليل جهل وضلال ومجون  
فحوت الهزل بالجد كما دُدت ليل النى عن صبح اليقين  
وأقت العلم صرحاً شامخاً وصرعت الجهل طعناً في الوزين  
سُتت أقواماً فاسسوا أما بيد الإنصاف في حزم ولين  
وقضوا فيها بشرع قيم فأروها كيف يقضى العادلون

\*  
\* \*

دينك الوضاء نارت حوله غبرة من شبهات المبطلين  
من يد ترميه في راد الضهى ويد ترميه من خاف الدجون  
ولهم في كل واد قلم ولسان لاصطياد الغافلين  
كم أزاغوا عن عفاف وهدى من بنات طاهرات وبنين

\*  
\* \*

لم يرعنا يا أبا القاسم من جولة النى دوى وطنين  
إن في الشرق شباباً أيقنوا أنك الداعى الى الحق المبين  
وقفوا يرمون أعداء الهدى بتبال قوسها العلم المتين



يُعشَقون البذل في الخير إذا عشق المال طعام موسرون  
والى الحفرة ما حُمِّلته من نحيات شباب ناهضين

\*  
\* \*

أَيُّ وَرْدٍ لَمْ يَكْدِرْ صَفْوُهُ صَدَّرَ مَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجُونُ (١)  
أَزْمَعَ الرِّكْبُ رَحِيلًا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ وَالضَّرُورَاتُ فَنُونُ  
فَوْقُنَا لُودَاعُ وَالْأَسَى يُلْذِعُ الْآمَاقَ بِالدَّمْعِ السَّخِينِ  
أَفْلا نَأْسَى عَلَى عَهْدِ أَتَى وَتَوَلَّى وَهُوَ مَقْطُوعُ الْقَرِينِ  
بَرْجٍ كَالْوَرْدِ حَلَاةُ النَّدَى بُجْبَانُ (٢) صَيْغٌ مِنْ مَاءٍ مَعِينِ

\*  
\* \*

يَا حَى وَدَعْتُهُ وَالشَّمْسُ قَدْ وَدَّعَتْ وَالتَّحَقَّتْ بِالرَّاحِلِينَ  
هَلْ لَنَا عُدُودُ كَعُدُودِ الشَّمْسِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصْرِفَنَا عَنْكَ الْمَنُونُ ؟  
وَسَلَامًا كَلَّمَ رَتَّلْتَهُ قَالَتْ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا « أَمِين »

(١) المنجون : الدُّوَلَابُ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا . (٢) الْجَان : الْأَوَّلُ .

# الإسلام في بلاد الصين

التركستان الصينية

(سين كيانج (١))

وقد عم الإسلام جنوب جبال «كوين - لون» منذ القرن السادس عشر، وذاك بعد أن واجه البوذية والتشظورية. وكل المسلمين تقريباً سنغيون. وقد دخل المذهب الشافعي في هذه البلاد في القرن الخامس عشر، إلا أن المذهب الحنفي كان أكثر ذيوفاً بفضل تأييد الخوارج (مشايخ الأتراك) الذين جاءوا من بخارا. ويوجد بعض الشيعة (من العبدلين أو الاسماعيليين والباطنيين) في شرق البامير؛ ويبلغ عدد المسلمين بها مليوناً بنسبة ٨٣٪ في المائة، كما يوجد بضعة مئتين من اليهود في كاشجار. هذا ويوجد المرء في بلاد التركستان من الصينيين من أصلهم من الأجناس التالية:

(أ) «الطاجيك» الذين صبغوا بالصبغة التركية، وأصلهم من الجنس الهندي الأوربي (الإيراني)، ويكوّنون الأغلبية، ويبلغ عددهم ٥٠٠.٠٠٠ نسمة.

(ب) صينيين من أصل «طونجاني» واعتنقوا الإسلام، ويبلغ عددهم ٢٠٠.٠٠٠ ويقيمون بالمدن.

(ج) الأتراك المهاجرين، وهم من العشائر الآتية:

عشيرة «كارا - قرغيز» ويبلغ عددها ٥٠.٠٠٠ نسمة، وتقيم في «ايلي» وفي أوج - طورفان. وعشيرة «الكايماك» - دولمان (قازاق) وتقيم في «ترونجاريا» وعلى نهر

« التاربم » ، ويبلغ عددها ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة ، وعشيرة « النوجاي » ويبلغ عددها ٣٠٠٠ نفس جاءوا من قازان وأقاموا في « قولجا » وطائفة النبلاء ( الخواجات ) أو ( العلماء ) .  
( د ) المنغول الذين اعتنقوا الاسلام ، وقيمون في « كاراشار » ولهم سبعة « خوشون » أو ألوية .

( هـ ) الايرانيين الشيعيين السابق ذكرهم ، وقيمون في « بايناب » في « خان — أريق » بعد ٤٠ كيلومترا من جنوب كاشجار ، وفي « تزجون » و « كريا » و « جيرجين » ويبلغ عددهم ٣٠٠٠ نسمة حسب قول « فون ليكوك » و « جرينار » و « بيوه » وعلى بحيرة « لوب — نور » .

( و ) « اللولين » وهم جماعة التور الذين اعتنقوا الاسلام ، وقيمون بالقرب من « خوتان » . واللغة التركية هي اللغة السائدة هناك ، وتكاد تكون اللغة الوحيدة ، أما اللغة الصينية فهي نظريا اللغة الرسمية .

#### المسلمة والادارة :

إن بلاد التركستان الصينية ( سين كيانج ) يديرها حاكم يطلق عليه اسم « شنج شانغ » وقيم في « أورو متسي » ، وله ستة وكلاء يقيمون في أورو متسي و « تار باجاتاي » و « بيلي » و « أكسو » و « كاشجار » و « آ — شان » ، ويشرف في الادارة على ٤٨ مركزا ، والفنصلية البريطانية في كاشجار ، تابع دورا سياسيا ذا أهمية كبرى في آسيا الروسية منذ سنة ١٩١٧

أما نظام الضرائب عند المسلمين والذي وضعه يعقوب بك فقد استبقى وازداد شدة ، وهو يتضمن : ( الخراج ) ، وهو عبارة عن ضريبة العشور التي تؤخذ عن المحصولات الزراعية ، فإن الحكومة قد أوجدت مخازن عمومية للحبوب تقرر عليها . و ( الزكاة ) وهي اختيارية منذ سنة ١٨٨١ ، و ( الضرائب الاضافية ) مثل المال الباجي الذي يؤخذ

على المواثيق ويبيعها . أما النظم الشرعية فقد أضعفت : فصدورت الأوقاف ، وألغيت وظائف المحتسين ، وأصبح الملا ( العلماء ) والقضاة ورجال الإفتاء والأئمة والخطباء خاضعين للإدارة ، وصار القاضي لا يحكم إلا في المسائل المدنية ، أما المسائل الجنائية فمن اختصاص القاضي الصيني ، وكانت خطبة الجمعة تلقى باسم خليفة آل عثمان ، وتوجد بها مساجد عديدة ، منها ٤٤ مسجدا في « خوتان » ، وكثير من المدارس و « مزارات » ( أمكنة يحجون إليها ) وأشهرها مزار « حضرة إيلك » في « كاشجار » ومزار « سلطان أبو سعيد » في « خوتان » ومزار الأئمة الاثني عشر ، ومزار « جعفر الصادق » في « خوتان » ومزار سعد بن أبي وقاص في « طورقان » ، أما الأعياد عندهم فهي الأعياد التركية ، منها « البراءة » في ١٤ شعبان ، ويشمل المذاهب الخاصة في البلاد ، وفي الزواج لا تتسلم الزوجة « القاليم » (١) .

#### الأعمال والحاصلات :

إن زراعة الذرة تعطى محصولا غير عادي ، ويزرع الشعير والقطن في مرتفعات قد تبلغ من ٦٣٤ مترا إلى ٣١١٠ مترا .

#### الصناعات :

صناعة الحرير في مدينتي « قومول » و « طورقان » ، والمنسوجات القطنية في « كاشجار » والصباغة في « طورقان » ، صناعة الأواني المنزلية من النحاس الأصفر في « أسكو » . صناعة السجاد من أصناف « كاشجار » و « ياقند » في « خوتان » و « يورنجكاش » ، والجلود في « كوتشا » ، والسروج في « كاراشاهي » ، والفحم الحجري فيما بين « أسكو » و « قومول » أو في « بوكاليك » ، وصناعة « اليشب » ومنها اشتق اسم « يو - من » ، ومعناه « باب اليشب » الذي أطلق على الممر الموصل للصين .

(١) كذلك في الأصل وربما كان المقصود منها الصداق .

هذا وقد درس المسيو « جرينار » دراسة دقيقة حالة الطبقات الاجتماعية المختلفة للمسلمين في بلاد « كاشجاري » مثل طبقة البهوات ، وطبقة « الملا » ( العلماء ) وطبقة أصحاب الأموال ، وطبقة الزراع ، وطبقة العمال ( ذوى الأجر الضئيلة ) وطبقة الشحاذين . وقد تحايلاوا بحيلة قانونية لإباحة الرق بأن وضعوا قانونا يبيح استئجار الأطفال المسلمين لخدمة امدة خمسين سنة فيبيعهم بيع الأرقاء .

### طرق القوافل المرمزة هي :

#### ( ا ) الطرق الموصلة للصين :

- ( ١ ) طريق الجنوب وهو طريق قايل الارتياد .
- ( ٢ ) طريق جبل طاش داوان ويبلغ ارتفاعه ٣٩٦٠ مترا .
- ( ٣ ) طريق الشمال . وهو الطريق القديم والمعتاد ، ويمر بجبل أورومتسى .

#### ( ب ) الطرق الموصلة للروسيا :

- ( ١ ) طريق كاشجار - نارين - أوش ، وطوله مسيرة أحد عشر يوما ، ويمر بجبل « تريك داوان » ، وارتفاعه ٣٨١٠ مترا .
- ( ٢ ) طريق الشمال : الطريق القديم المسمى طريق الحرير ، ويمر بأورومتسى وقولجا .

#### ( ج ) الطرق الموصلة للهند :

طريق « يارقند - ليه » ويمر بجبل كارا كوروم ، وارتفاعه ٥٦٥٠ مترا ، وتوجد الحرية التجارية بين بلاد التركستان وبين روسيا منذ سنة ١٨٨٠ ، وهل هذا لأن البلاد تتبادل التجارة مع بلاد التركستان الروسية على الأخص ؟ إنه ليس لدينا عن ذلك معلومات إحصائية حديثة .

## ولاية « كان - صو » الصينية

سميت هذه البلاد بهذا الاسم نسبة لمدينتي « كانتشيو » و « سوتشيو » وهذه الولاية واقعة في جنوب « منغوليا » وتبلغ مساحتها ٣٢٥ ٠٠٠ كيلو مترا مربعا، وهي عبارة عن الجزء الأعلى من وادي نهر « هوانغ - هو » وهو نهر وعمر المجرى وسريع الاندفاع من الجهة الغربية، حيث يوجد بها بعض جبال عالية يبلغ ارتفاعها ٦٠٠٠ مترا، أما من الجهة الشرقية فهو سهل المساحة، وعند مصبه يمر بأراضي من الصلصال الأصفر.

إن ولاية « كان - صو » تشمل ثلاث مديريات و ٩١ مركزا، ويبلغ عدد سكانها ٣٨١٠ ٠٠٠ (في سنة ١٩٥٢) وقد يهاون أكثر من ضعف هذا العدد.

أما مدنها التي يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٠٠ ٠٠٠ نسمة فهي: « لانتشيو » وعدد المسلمين بها يبلغ ٥٠ ٠٠٠، وبها أربعة عشر مسجدا، و « تسين - تشيو » وبها ٤ ٠٠٠ مسلم وأربعة مساجد، و « لينغتشيو ». ومدينة « سي - نغ » يبلغ عدد سكانها ٦٠ ٠٠٠، ولها ضاحية خاصة بالمسلمين بها مسجدان، ومدينة « هو - تشيو » يبلغ عدد سكانها ٦٠ ٠٠٠ نسمة، منهم أكثر من ٣٠ ٠٠٠ مسلم يقيمون في ضاحية خاصة يوجد بها من ١٤ مسجدا إلى أربعة وعشرين مسجدا. وأول من دخل فيها من المسلمين هم الجنود المرتزقة للمستعربون الذين جاءوا إليها من بغداد آنجدة الأمبراطور « تانغ - سو - تسونغ » الذي هاجمه التبتيون في سنة ٧٥٥ من الميلاد، ولا يزالون إلى الآن يُجلّون قبر أحدهم وكان يدعى عبد الرحمن البغدادي الذي قتل في سنة ٧٥٧، ولا تزال ولاية « كان - صو » منذ أحد عشر قرنا ثم معقل للتجنيد في الجيش الصيني.

والمسلمون الذين لبثوا خاضعين لحكم بوذي « قاغانات الوبجور » في ولاية « كان تشيو » من سنة ٧٠٠ الى سنة ١٠٢٨ ، ولحكم تيبتي « نانغ هيانغ » في « هيا » من سنة ٨٧٠ الى سنة ١٢٢٦ ، ثم تحت حكم أسرتي « يوان » و « منغ » : هؤلاء المسلمون أثاروا ثورة فيما بين سنتي ١٨٦١ و ١٨٧١ انتقاما من المذابح الرسمية التي وقعت في « شين - سي » وقد كانت هذه الثورة تهدد مدينة « سينغان » بالسقوط في أيدي الثوار فيما بين سنتي ١٨٦٧ و ١٨٧٠ ، هذا وقد احتفظ المسلمون الى الآن بنظم وطيدة بالرغم مما أصابهم من أعمال القمع الوحشية .

وقد يبلغ مجموع المسلمين في هذه الولاية ١٤٠٠ ٠٠٠ ، أي بنسبة ٢٧٪ (في المائة) وهذا تقدير رسمي غير كاف ، إذ لا بد أنهم يبلغون ٤٠٪ (في المائة) من مجموع السكان . وقد طالب المسلمون (في سنة ١٩٢٣) من حكومة بيكين بتقليد وظيفة « الحاكم الحربي » للولاية أحد المسلمين ؛ أما من الوجهة الجغرافية فإنهم ينقسمون الى ثلاث فئات : فئة تقيم في الشمال الغربي في « صو - تشيو » وبها ٢٠ ٠٠٠ مسلم ، وفئة في الشمال الشرقي في « نانغ - هيا » و « كين - تسى - بو » وبها ٢٠٠ ٠٠٠ مسلم ، وفئة تقيم في الوسط الغربي فيما بين « سي غنج » و « لان - تشيو » و « هو - تشيو » وبها ٧٠٠ ٠٠٠ مسلم ، ويوجد في جهة الجنوب في « مين - تشيو » و « تسين - تشيو » ٥٠٠ ٠٠٠ مسلم ، وينتمي سكان هذه الولاية الى ثلاثة أجناس مهمة وهي :

(أ) الصينيون الذين اعتنقوا الاسلام ، وهم على الأرجح ممن اتصلوا بصلات المصاهرة بذرية الجنود العرب المرتزقة الذين جاءوا الى الصين في العهد الأول ، ويبلغ عددهم مليون نسمة .

(ب) الأتراك الونغور الذين اعتنقوا الاسلام ، ويطلق عليهم اسم « تونغ هيانغ هوئي - هوئي » ويبلغ عددهم ٣٠٠ ٠٠٠ نسمة ، ويقعون بالقرب من « هو تشيو » .

(ح) « الأتراك السالار » (سالار مأخوذة من كلمة سالاير ومعناها: تركي) وقد نزحوا الى الصين فيما بين سنتي ١٣٨٠ و ١٤٢٨ من « ساراخس » عن طريق سمرقند وطورفان وصوتشيوتشي حتى سي غنج في الغرب، ومن « هوتشيو »، ويبلغ عددهم ٧٠.٠٠٠ (د) بعض المنغول الذين اعتنقوا الاسلام بالقرب من « نغ - هيا » وأما إخوانهم من البوذيين المتحمسين لبوذيتهم فهم متمردون ضد اعتناق الاسلام كما هو الحال مع أهالي التبت (التنفوت) في « سي - غنج » الذين يقيمون حول أديرتهم البوذية التي يبلغ عددها أربعة وعشرين، ومنها دير « كوم بون » الشهير.

وهؤلاء المسلمون يتكلمون الصينية، وبعضهم يتكلمون التركية (سالار) ويقتنون الكتب الفارسية والعربية، والمدرسون في مدارس تعليم القرآن (أهونغ) يتلقون علومهم في « هو - تشيو » وهي مركز التعليم الاسلامي لجميع بلاد الصين الشمالية الغربية، أما خطبة الجمعة فهي خطبة « بخارا ». والنساء سافرات إلا نساء « هو - تشيو » فانهن مقنعات، ومحظور تدخين الدخان، ولكن لا حرج من تماطى الكحول، ومسحوح اتباع لوحات العبادات التي كان يقيمها أسلافهم القدماء، اللهم إلا عند الأتراك (السالار) فان ذلك محظور عليهم، ويذهب كل عام بعض الحجاج الصينيين الى مكة وجميعهم سنيون، وينقسمون الى مذهبين متناقسين: « القديم » وهو يعادل المذهب الحنفي، إذ أن الصلاة تؤدي فيه « بالذكر الخفي »<sup>(١)</sup> وهو عبارة عن متابعة المؤمنين بفسكرهم للإمام في تلاوته للقرآن عند إقامة صلاة الجماعة جهرا، ثم المذهب « الجديد » وهو يعادل على الأرجح مذهب الشافعية، إذ أن الصلاة تؤدي فيه « بالذكر الجهرى » أو التلاوة بصوت عال.

وقد لوحظ أن الأتراك كانوا يتبعون هذا المذهب الأخير في سنة ١٧٦٠ وفيما بين سنتي ١٧٨١ و ١٧٨٥، ويمزو « ده جروت » الى هذا المذهب الجديد بعض

(١) لعل مراده بهذه العبارة أن الحنفي قراءة إمامه قراءة له فلا يقرأ بخلاف الشافعي فانه يقرأ سرا.



الممول الوهاية ، وقد أدخلت على هذا المذهب بمض التعديلات في سنة ١٨٦٠ ، أدخلها عليه « ماهوا - لونغ » المتوفى سنة ١٨٧١ ، وقد كان زعيم الثورة الكبرى التي قامت في ذلك الحين ، وكان رجلا عظيما مبجلا ، وقد أسس طريقة تدعى الطريقة « الجهرية » ويطلق عليها في بلاد التركستان اسم الطريقة « الفادرية » التي تمارس الطريقة « النقشبندية » وقد انتقل مركز الطريقة « الجهرية » في سنة ١٨٧١ من مدينة « كين نسي - بو » الى « شاكيو » بالقرب من « كو - يين - تشيو » وقد كانت الأغلبية تنظر إلى أتباع هذه الطريقة نظرة استهغار ، فتسربوا الى ولايتي « صوتشوان » و « يون - نان » ، أما التوسل بالأولياء وهو عبارة عن زيارة أضرحتهم فقد انتشر في ولاية « كان - صو » مع كثرة إقبال الناس على الدخول في الطريقتين الدادرية والنقشبندية .

### في ولاية « يون - نان »

إن ولاية « يون - نان » ومناها ( الجنوب الغائم ) وتمتد من الجنوب الغربي لبلاد الصين الى جنوب مصب « يانغ - تسو » وتبلغ مساحتها ٣٨٠ ٠٠٠ كيلومتراً مربعا وتقع في منطقتين : منطقة شمالية ، وشمالية شرقية وغربية ، وهي منطقة ذات جبال شامخة وعرة وقاحلة ، ومنطقة أخرى شرقية جنوبية ، وهي منطقة ذات هضبة عالية ينتشر فيها كثير من البحيرات ، وكثيفة السكان ، وتشمل هذه الولاية أربع مديريات و ٩٧ مركزا .

ويحكم هذه الولاية منذ ٧ فبراير سنة ١٩٢٧ مجلس أعلى يتوب عنه في « إدارة الشئون الحربية » قائد مسلم « ماتسونج » ويبلغ عدد سكانها ٨٠٥٣ ٠٠٠ نسمة حسب إحصاء سنة ١٩١١ ، هذا وقد أثبت الإحصاء الرسمي أن متوسط أفراد كل أسرة إسلامية يبلغ ستة أشخاص وغير الإسلامية خمسة .

أما مدنها حسب البحث الذي قام به « ج . سولية » فهي :

مدينة « يون — نان — سين » ويبلغ عدد سكانها ١٥٠٠٠ نسمة ، منهم ٧٢٠٠ مسلم ، وبها سبعة مساجد . ومدينة « تشاو — تونغ » ويبلغ عدد سكانها ٣٥٠٠٠ نفس ، منهم ١٥٠٠٠ من المسلمين . ومدينة « تونغ — تشوان » ويبلغ عدد سكانها ١٥٠٠٠ نسمة منهم خمسة آلاف مسلم . ومدينة « مونغ — تسو » ويبلغ تعدادها ١٢٠٠٠ نسمة . ومدينة « تنغ — يو » وعدد سكانها ١٢٠٠٠ نفس . ومدينة « طالي » ويبلغ تعدادها ٦٠٠٠ نسمة ، منهم ١٥٠٠ مسلم . ومدينة « لي — غان » وعدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة ، من بينهم ٤٠٠٠ مسلم . ومدينة « مونغ — هوا » ويبلغ عدد أهلها ٣٠٠٠ نفس ، منهم ١٢٠٠ من المسلمين ، و « أنتنسيه » حيث يوجد السوق التبتي ويبلغ ارتفاعه ٣١٠٠ متر . ومدينة « نانتشوانغ » بالقرب من « مونغ تسو » ويبلغ عدد المسلمين بها ٢٣٥٠ نفس من مجموع عدد سكانها البالغين ٢٥٠٠ نسمة . هذا ولم يكن هناك شيء . أكيد عن حالة الاسلام في مملكة « نان تشاو » قبل الفتح المنغولي في سنة ١٢٥٣ .

وقد كان حاكم هذه الولاية الذي عينته أسرة « يوان » في سنة ١٢٧٤ مسلماً يلقب باسم « أمير هين يانغ » وكان اسمه ( شمس الدين عمر بخاري ) ويكنى باسم « السيد الأجل » توفي سنة ١٢٧٩ ، وقد وُطد ابنه « ناصر الدين » وحفيده « سعدى » دعائم استقرار الجالية الاسلامية التي قدمت الى هذه البلاد مع الجند من بخارا .

هذا وقد أجريت الأبحاث عن الآثار التي شيدوها في « يون — نانسين » مثل المساجد الموجودة في « الباب الجنوبي » وفي « يانغ بي » والضريح الموجود في « أول — تو » ومنذ بدء القرن التاسع عشر تار المسلمون المتجمعون في « نالي » و « لينغان » ( في سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨١٩ ، وسنة ١٨٢٩ وسنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٤٠ ) .

وقد نشبت الثورة الكبرى فيما بين سنتي ١٨٥٦ و ١٨٧٣ ، وقام بها المسلمون المتحالفون ، إلا أن هذا التحالف لم يلبث طويلا ، إذ انقسم الى فريقين : فريق المعتدلين بقيادة « حاج ماتوسين » في « يون نان - فو » ، وفريق المتطرفين تحت قيادة « تووين - سيو » الملقب باسم « السلطان سليمان » في « تالي » والذي رفض الخضوع للصين ، والذي استنجد بخليفة آل عثمان في سنة ١٨٧٣ ، إلا أن مدينة « تالي » سقطت في سنة ١٨٧٣ وأيد جميع من كانوا بها من المسلمين .

ويقدر عدد المسلمين في ولاية « يون - نان » بسبعائة ألف ، أى بنسبة ٩٪ في المائة من عدد السكان ، وهم كما يأتي :

( أ ) المسلمون الذين هم من نسل مهاجري بخارا الذين قدموا الى هذه الولاية في القرن الثالث عشر مضافا اليهم الصينيون الذين اعتنقوا الاسلام لاسيما في « يونان - سين » .

( ب ) أهالي « اللولو » الذين اعتنقوا الاسلام في « لينغان » حيث يقطنون قصورا مكعبة الشكل .

وناق خطبة الجمعة باللغة العربية ، ويقرءون الفاتحة كذلك عند انتهاءهم من تناول الفداء شكراً وحمداً لله ، ويقومون كذلك بأداء فريضة الصوم والزكاة ، ويذهب بعض الحجاج الصينيون سنويا الى مكة عن طريق صوتشوان والتركستان وبخارا ، وفي الغالب عن طريق هانوى وهافونغ وبورسعيد ، وجميعهم سنيون حنفيو المذهب ومسموح لهم إبقاء الألواح الكتابية عليها الشعائر الدينية التي كانت يقيمها أسلافهم القدماء .

## ولاية «هونغ - كونغ»

يبلغ تعدادها حسب إحصاء سنة ١٩٢١ : ١٦٦ ٦٢٥ نسمة، ويوجد من بينهم نحو ٣٠٠٠ مسلم، كما يوجد بها مسجدان ومنتدى للمسلمين .

## الخلق الكامل

تأليف حضرة صاحب العزة الباحث القدير الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف .

وهو كتاب جامع لأبحاث خاقية نافعة تعرض فيها للكلام على الفلسفة الخلقية ونسبتها الى سائر العلوم، وبسط القول في الكلام على الغرائز والعادات والاحساسات ونحوها من ينابيع الخلق، وأتبع ذلك بفصول ممتعة في أمثل الطرق لتكوين الخلق وهي طريقة دين الاسلام، وقد أورد حضرة أثناء بحثه آراء علماء الاسلام وفلاسفة الأخلاق مع أمثلة تاريخية وشواهد قيمة تدل على غزارة العلم وسعة الاطلاع . فجاء من أوسع ما كتب في موضوعه ومن أوفى الكتب الخلقية الدينية علما وأعمها فائدة . والكتاب مفصل تفصيلا وافيا، ومطبوع طبعا متقنا ويقع في ٤٦٤ صفحة .

فجزى الله المؤلف عن عمله النافع خيرا .

يطلب من المكتبة التازبة بشارع الصنادقية بمصر .

His Eminence Sheikh Ah Al-Khafif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

7 — The appointment of sub-committees in the following towns to co-operate with the Body of Grand Ulema for the fulfilment of its object :

Alexandria, Tanta, Zagazig, Dessouk, Damietta and Assiut.

The Body has authorised the Executive Committee to appoint further sub-committees in other parts should it be deemed necessary.

8 — The appointment of His Eminence Sheikh Mohammed Maamoun Al Shinnawy, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University as Treasurer to the Body.

The Body of Grand Ulema trusts that it will find the greatest support in the generosity of Moslems to discharge this noble duty. Contributions are received by the Treasurer of the Body at the following address :

Religious Institutions Department,  
Sharia Noubar, P. O. B. 919, Cairo.

---

Following the first convocation of the Body of Grand Ulema to discuss the situation arising from the recent missionary activities in Egypt, His Eminence Grand Sheikh Mohammed Al-Ahmad Al-Zawahiri, Rector of Al Azhar University, has made a contribution of L.E. 200 for the purpose of counteracting these activities. His Eminence Sheikh Abdul-Majeid Selim, Grand Mufti of Egypt, gave L.E. 100.

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham gave L.E. 50 and His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema, gave L.E. 50.

Many other Ulema also contributed.

His Eminence Sheikh Mohammed Hassanem, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Abdul-Rahman Oleish, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Abdul-Majeed Al-Labban, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibhaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Al Sayyed Mohammed Ali Al-Biblawy, Chief of the Descendants of the Holy Prophet in Egypt.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khalif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Taha Habib, professor at the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Al-Khudr Hussain, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Ahmed Arafa, sub-dean of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Abdul-Rahman Qorraa, member of the Body of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema.

The Executive Committee has the right to include in its membership anyone whose inclusion is deemed beneficial to it.

6 — The appointment of a committee to make the necessary regulations pertaining to the organisation of the work of the body in this connection. The said committee to be constituted of the following :

His Eminence Sheikh Abdul-Majeid Selim, Grand Mufti of Egypt

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham, Vice Rector of Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs (Pious Foundations).

His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Jibbaly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khaffi, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Al-Khidr Hussain, professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Taha Habib, professor at the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Mohammed Ahmed Arafat, sub-dean of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University

2 — The publication of an appeal to Moslem people.

3 — The appointment of an executive committee for this purpose presided over by His Eminence the Grand Sheikh Rector of Al-Azhar University and including the following :

His Eminence Sheikh Abdul-Majid Selim, Grand Mufti of Egypt.

His Eminence Sheikh Mohammed Abdul-Latif Al-Faham, Vice-Rector of Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Hussain Wali, member of the Body of Grand Ulema.

His Eminence Al Sayyed Abdul-Hamid Al-Bakry, head Sheikh of Sufis.

4 — The secretarial work of the Body to be entrusted to the following :

His Eminence Sheikh Ahmed Hussain, Mufti of the Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Ali Al-Khalif, Director of Mosques, Ministry of Wakfs.

His Eminence Sheikh Amin Al-Khouly, Professor at the Faculty of Principles of Religion, Al-Azhar University.

5 — The appointment of committees for the preparation of preliminaries necessary for the work and a learned committee to be constituted of the following :

His Eminence Sheikh Ahmed Nasr, head Sheikh of the Malikites.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## RESOLUTIONS OF THE BODY OF GRAND ULEMA FOR THE PROTECTION OF ISLAM AND MOSLEMS

---

On Monday the 24th. of Rabei-ul-Awal, 1352 A.H. (17th. of July, 1934 A.D.), a meeting of the Body of Grand Ulema was held at Al-Azhar University to organise the work for the protection of Islam and the Moslem people against the grave dangers of missionary activities. The Body passed the following resolutions:

1 — The inclusion of the following for the purpose of assisting in this work:

His Eminence Al-Sayyed Abdul-Hamid Al-Bakry, Head Sheikh of Sufis.

His Eminence Al-Sayyed Mohammed Ali Al-Biblawy, Chief of the Descendants of The Holy Prophet in Egypt.

His Eminence Sheikh Mohammed Maamoun Al Shinnawy, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Mohammedan Law, Al-Azhar University.

His Eminence Sheikh Ibrahim Hamroush, Head Sheikh (dean) of the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University.



## من مدير مجلة نور الاسلام

فرائها الكرام

شرفني مجلس الأزهري الأعلى ، بناء على اقتراح حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر ، بإسناد وظيفة إدارة هذه المجلة إلى . وإني حيال هذا التوجيه الكريم ، أعاهد الله على بذل الوسع في الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة ، ووقف كل جهودي ، على إبلاغ هذه المجلة المسكنة التي تليق بها ، من قيادة النهضة الدينية في العالم الإسلامي ، ودفع شبهات خصوم الدين التي توجه إليه ، واستخدام الأسلحة العلمية والفلسفية لإثبات أنه الحق ، وأنه الدين العالمي الخالد ، الكافل لسعادة البشر على اختلاف ينساقهم وأجناسهم .

وإني في هذا المقام ، أرى من أوجب واجباتي ، رفع يد الدعاء والابتغال إلى الله تعالى بأن يبق حضرة صاحب الجلالة الملك « فؤاد الاول » ملاذاً لهذا الدين ، فإن أياديه التي ترى على معاهده ، وعنايته العالية التي تتوالى على قادته ، مما يعجز القلم عن حصرها ، ويمينا الأسان عن القيام بواجب شكرها . أبقى الله ذاته الكريمة ذخراً للأمة ، وأقر عينيه بحضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد الدولة المصرية « الأمير فاروق » .

وإني أقدم نفسي لحضرات القارئ ، واعداداً بإمام بالعمل على إبلاغهم أقصى آمانياتهم ، في أن يجدوا من هذه المجلة منارة للهدى ، وعلماً للحق ، ومورداً عذبا للعلوم الدين وديناته ، بمساعدة حضرات أصحاب الفضيلة محرريها من العلماء الأعلام ، وفقنا الله جميعاً للقيام بمراضيه ، والعمل بمجابهة ، بفضلته وكرمه .

محمد فريز وجرى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١ -

الإنسانية تتدرج نحو الكمال بقدم ثابتة ، وخطى متزنة والجماعات البشرية كلها وإن تناحرت وظهر أن بعضها يهدم بعضا ، فإنها في الواقع مسخرة لقوى تمخضها عنضا لتستخرج منها خلاصة ما أودعته فطرتها من خصائص كريمة وخلال عالية . وقد نزول أمم وتقوم أمم ، وتبيد طوائف وتنشأ طوائف ، ونزول الأرض تحت أقدام الجماعات حتى أيظن الناظر إليها أن العالم مدفوع لدمار محقق ، وخراب لا مرد له . والحقيقة أن أجزاءه تتفاعل تفاعل المواد الكيميائية ، لتخرج مركبا جديداً أجمع منها جميعا للمزايا المتفرقة فيها ، ليؤدي عملا جديدا لا يستطيع أن يضطلع به من كان قبله ، ويكون مقدمة لغيره من الترقيات الصورية والمعنوية التي يأخذ بعضها بأيدي بعض ، متكافلة على تحقيق وعد الله في الأرض .

لقد عاش الناس آمادا طويلة متفرقين شيما ، ومتخالفين أصولا ومبادئ ، وكان العقل الإنساني ملتاثا ببقايا السذاجة الأولى ، يتخذ من هذا النشيم والتخالف عاملين قوين على توسيع شقة الانقسام البشري . وقد اتخذوا الأديان بواعث للمضي في هذا التناحر الى أقصى حد . وما زالوا جارين على هذا السمت حتى تمهدت سبل الاتصال بين الشعوب ، وتساهت وسائل التعارف بينها ، ونجحت حاجات حيوية تدعوها لتبادل الثمرات ، وتداول المنافع ، فنشأ للأمم شعور لم يكن من قبل ، وهو وجوب قيام صلة بينها تسمح لها بالتكافل في الحياة ، ليكمل بعضها نقص البعض

الآخر في أعم الحاجات وأبسطها، فنشأت التجارة العالمية، فكانت وسيلة للتفاهم، والتفاهم يدفع الى التسالم، فكان هذا عهداً جديداً في حياة الأمم ما زال تدفع عوامله بالشعوب بعضها نحو بعض، مهدداً لا كبر عهد من عهود البشرية، ألا وهو القيام على أصل جامع يؤلف بين الكافة في حظيرة واحدة، إخواناً على سرر متقابلين، ليقطعوا مراحل هذه الحياة، مجرّدين قوائم كلهم للتكامل في العلم والعمل، لا متناحرين يبغى كل فريق لخصمه الفشل، ويديت له الويل والخبيل.

وُلد هذا الشعور في العالم، ولكنّه ولد خيالا يطوف ببعض الروس ولا يستقر فيها، إلا أنه كان يزاد على مرّ الأيام قوة، الى عهد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

في هذا العهد أراد قيوم الوجود سبحانه وتعالى أن يجعل من هذا الشعور الخيالي حقيقة واقعة، فشرع للناس الإسلام، وأمر بإشاعته في جميع أكناف الأرض. افتتح به عهداً نهائياً للبشرية لم تكن تتخيله من ناحية الدين قط، لأن كل أمة لقنت أن الأديان كلها مزورة إلا الدين الذي هي عليه، فمن أية جهة تأتي مجموعها الوحدة المرغوبة من قبله؟ ذلك كان من المحالات العقلية، فكان بعض الفلاسفة يتخيل هذه الوحدة من ناحية التخلي عن جميع الأديان. وكيف كان يعقل ذلك في أُمم اختلط حب الدين بدمها وآثرته على نفسها وولدها؟

فكيف حل الإسلام هذه المعضلة الخطيرة في حدود العقل ومتطق الأشياء، وسوّغها للأذهان الى حد أن صار ليس بين خصم الإسلام وقبوله والتحمس له إلا أن يسمها بدين من الداعي اليه، وأن يفهمها حق الفهم؟

حقاً إن هذه لمعجزة لدين يعلن أنه آخر الأديان الإلهية، وأنه الدين العام لمجموع البشرية، وسيصبح دين الكافة غير منازع، بعد أن تتجلى للناس آياته في الآفاق والأفئدة الإنسانية.

أعلن الإسلام أنه في أصوله الاعدادية ليس بدين جديد، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله الى نوح، ثم تابع وحيه الى جميع المرسلين من بعده، فاذا كان الناس يرون أمام أعينهم أديانا مختلفة في هذه الأصول، فانما حدث ذلك من تحريف قاداتها لها، وتحميلها مالا تحتمله من أهوائهم وأهوامهم، بغيا بينهم.

وقد أرسل الله به نبيه محمدا في آخر الزمان، خالصا من كل ما أدخل اليه مما ليس منه، ليقوم الناس على أصل جامع، فينعموا بهزايا الوحدة، ويتوجهوا بجملةهم لتحصيل الكمال الذي وعدت به البشرية. ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ. وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْنَا لَأَجَلُ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ (أى لا حاجة ولا خصومة) اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ).

وقال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ. وَقُلْ لِلَّذِينَ

أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرِ بِأَعْبَادٍ ) .

إذا ألقيت هذا البيان الى كائن من كان ، أسأغه عقله ، وإطمان اليه قلبه ، وحنّ له شعوره ، وإلا فهل يعقل أن الله يوحى أديانا متخالفة في أصول العقائد لأُم تتشابه في عقولها وقابلياتها ووجهاتها ، على حين أن الحق لا يتعدد ، ونواميس الكون لا تتغير ؟ فإذا لم يكن هذا التخالف في الأديان من جنبايات قادة الأديان ، فجنباية من هو ؟ وهل يعقل أن يتوحد العلم الكوني في كل مكان ، حتى تكون أصوله في أية بقعة من بقاع الأرض هي أصوله في سائر بقاع العالم ، ويكون الدين في أصوله ذا وجوه مختلفة ينقض بعضها بعضا ، ويبغى بعضها على بعض ؟

والذي ضمن للدين الاسلامي الخلود أمران : الفطرة الإنسانية ، وسلطان العقل الكامل . والناس جميعا يتفقون في مقتضيات الفطرة ، فما يراه إنسان بفطرته حسنا يراه كل الناس حسنا ، وما يراه قبيحا يراه الكافة قبيحا ، اللهم إلا إذا تعمد الالباء والمربون إفساد هذه الفطرة ، وشرط الاسلام أن تبقى الفطرة سليمة من الشوائب التي تحولها عن منهجها .

وأما سلطان العقل الكامل ، فلا سبيل لأ كبر قوة في الأرض أن تسلبه إياه ، فإنه قبس من نور الله ، ونفحة من حكمته ، وقد حاول طمسه قادة الأديان السابقة أجيالا ، وعاقبوا من يحوم حول حماء بالحديد والنار قرونا ، فأظهره الله على جميع القوى الظلمانية التي جردت لمكافحته ، وتجلّى جوهرها خالصا لم يمسسه سوء ، وهو اليوم فيصل التفرقة بين الحق والباطل في العالم كله .

اعتمد الاسلام على هذين الأمرين الطبيعيين ، اعتماد البناء على ركنيه الركينين فقال عن الفطرة الإنسانية : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )

فإن الخالق جل شأنه يبين للناس أن الدين هو ما جبلت عليه النفوس من الفطرة الإلهية، ولكن بشرط أن لا تشاب بتعاليم تتحكم فيها وتوجهها غير وجهتها الطبيعية. وهذه الفطرة الخالصة من كل شوب: من هوى، أو وهم أو تقليد، أو تعليم، هي الإسلام نفسه. إلا أن هذا الموقف يحتاج لمقوم يقوم به، فإن الناس يتخالفون في الغرائز الطبيعية، وفي الصفات الوراثية: فمنهم المنثبت والمتسرع، والبعيد النظر والقصير، والكثير العلم والقليل، فكان لابد من حكم يرضى الناس جميعاً بحكومته، ولا يشذ عنها إلا مفتون أو متمنت. هذا الحكم هو العقل. ولما كان هذا العقل مناط التكليف، وفيصل التفرقة بين الحق والباطل، وجب أن يكون بحيث يصاح لهذه المهمة الخطيرة. فذلك حث الحق سبحانه وتعالى على تكميله، بالنظر في الأعلام التي نصبها في الكون لتكميله، والمنار التي أقامها لهدايته، ليقوى على ما هو بصده، ويأمن العثار في حكمه، ولا يلتبس عليه الباطل في تلونه.

فهذا الجمع بين حكم الفطرة المعدلة بحكم العقل الكامل، هو الأساس الذي بعث الله خاتم أنبيائه لوضعه وإعلانه بين الأمم، لتتوحد في أديانها وعقائدها، كما هي متوحد في إنسانيتها وفطرها وعقولها.

لقد أنجح الفيلسوف الانجليزي (باكون) واضع الدستور العالمي قبل نحو ثلاثة قرون في توحيد العلم في كل بقاع الأرض، ببنائه على المشاهدة والتجربة، وعلى التحليل والتركيب، وبإخراجه جميع الآراء والظنون من مادته، فاذا كان (باكون) قد استحق إعجاب العالم كله به لتوفيقه إلى هذا العمل العظيم، فإن الإسلام يستحق أكبر ما يتصور من الإجلال والإكبار لإيجائه إلى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الدستور الديني الذي نحن بسبيله، فجمع به بين أمم لا تغرب عن بلادها الشمس، وسيجتمع عليه سائرهما، متى وفق الله المسلمين لإعلانه للناس في هذه الصورة الباهرة، ومتى أراد الله أن يتم هذا الإصلاح الكبير في الأرض.

وبما أن الاسلام يرى الى توحيد الأمم في عهد جديد للبشرية، كانت عقائده على هذا الأصل الجامع، فأمر الآخذين به أن يعتقدوا بجميع رسل الله، وأن لا يفرقوا بينهم، وأن يصدقوا بما أرسلوا به من الكتب، جاعلا ذلك أساس الإيمان، لتكون صبغته عالمية من كل وجه، فقال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ دُونِهِمْ، لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

وبعد هذا البيان لا يستطيع أحد أن ينكر أن هذا الأساس الديني الذي جاء به الاسلام هو أقصى ما يمكن تخيله من نظام يدعو الى دين واحد، والى الاخاء بين الأديان، ويجمع على الرضاء به كل ذى فطرة وعقل. وإن رجلا في أبعد بقعة من الأرض عن العمران، وعن مثل هذه الأحلام العالمية، وفي عصر لم يطف فيه توحيد الأديان والأمم في عقل بشر، لا يعقل أن يكون انفراد بالتفكير في هذا الأمر، وهو لم يفرغ بعد من التوحيد بين القبائل التي نشأ في بيتها. وإذا عقل أنه قد يفكر في ذلك، فلا يعقل أن يأتي بدستور يبلغ من السكال الى هذا الحد.

لا مشاحة في أن هذا أمر جليل، وفي أنه مبرز الى أقصى حدود الإيجاز، وفي أنه سيكسب الاسلام المكانة التي رعى اليها، وهي أن يكون الدين الذي شرعه الله للناس كافة (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

فاذا قدر الله للبشر أن يجتمعوا على دين عام، في عهد من عهودهم، فهو هذا الاسلام، وقد قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). محمد فريد وهبي

# النفسية

## سورة النور

١٧

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ  
بَيْنَهُمْ أَنْ يُقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَيَحْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ  
لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَايَكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ أُطِيعُوهُ  
تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) .

لقد رأيت كيف قصّ علينا جل شأنه في الآيات السابقة حال المنافقين وذبيبتهم ،  
ومقاتلهم المتقلبة مع أهوائهم ، وأنهم يدعون أنهم آمنوا بالله وبالرسول ، وأنهم أطاعوا  
ثم يتولّون معرضين عن مقتضى حكم الإيمان ، خارجين عن حكمه ، فهم وهذه حالهم  
ليسوا من الإيمان في شيء . وزاد ذلك توضيحاً بما يكشف القناع عن تلبيسهم ، ويفضح  
مكون أستارهم ، إذ يتكشفون على حقيقة أنهم حين يدعون إلى الله وإلى الرسول ليحكم  
بينهم ، فتراهم حينئذ : إن كان الحق بيد خصومهم أعرضوا عن حكم الله ورسوله علماً  
منهم أنه لا يقضى إلا بالحق ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين .



هذه الحالة لا يصح أن تصدر عن صادق في دعوى الإيمان . هذه المقالة ليست شعار المخلص فيما يزعم من الطاعة والانقياد . هذه الذبذة ليست صفة المستيقنين ، إنما هي صفة الكاذبين المنافقين ، الذين لا يرتادون إلا مصالحهم الشخصية ، مهما صادمت قضية الحق والعدالة . أما ما يقابل هذه المقالة ، وذلك هو القول الثابت المطابق ظاهره لباطنه ، وهو قول سمعنا وأطعنا حين يدعون للحكم بينهم ، فإنما هو قول المؤمنين وحدهم ، لا ينتظر أن يصدر من تلك الفئات التي لا تعرف إلا أشخاصها ، ولا تقدر إلا مصلحتها . وبإليتها كانت تنظر الى صالحها بالنظر الصائب ؛ إذأً علمت أن صالحها الحقيقي مرتبط بالصالح العام ، فهو المستقر الثابت الدائم ، السكافل للسعادة العامة الشاملة المستقرة . ذلك هو النظام الدائم الذي يعرف الكل طريقه ، فيسلكونه ليصلوا الى ما ينبغي أن يكون به عمار الكون . ذلك هو العدل الذي هو أساس الملك الذي يسند العمران ، ويكفل الطمأنينة والأمن بين الناس أجمعين .

إذا تأملت ما شرحناه لك في مقارنة الآيتين إحداهما بالأخرى ، لتنظر اليهما نظراً واحداً ، عرفت السرّ في نصب ( قول المؤمنين ) على أنه خبر كان ، والمصدر المأخوذ من قوله : « أن يقولوا سمعنا وأطعنا » اسم كان مؤخرًا . وإن كان يجوز في العربية أن يكون كل منهما خبراً لكان واسماً لها ، فكل منهما معرفة . وقد قرئ في غير القراءة المشهورة برفع « قول » على أنه اسم كان . وزعم بعض المفسرين أنه أقدم من جهة المعنى ، وذلك لعدم تنبيههم لما شرحناه لك من أن الكلام في الآية الأولى كان لبيان مقالة المنافقين العوجاء ، فخرى بقارئها أن يتطلع الى المقالة التي تقابلها ، وهي المقالة الثابتة الصادقة ، وينتظر أن يعرف لمن تكون ، ومن ذا الذي يتحلى بها . فكان الإفادة في حين التطلع ، وقيل فيها : هذه الكلمة إنما هي قول المؤمنين ، لا ينتظر أن يتحلى بها سواهم . وكأن تقديم الخبر على الاسم للمبادرة بالتنويه بحالها ، والتنبيه على شرف مقدارها ، بأنها حلية المؤمنين الصادقين .

ولا يفوتك أن تقييد الخبر وهو «قول المؤمنين» بقيد «إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» محط قصد، وهو يحمل الفائدة منتظرة أيما انتظار. ولا تسأم من هذه الجملة النفيسة، فقد دعانا إليها ما رأينا من حيرة بعض المفسرين في الترجيح بين قراءة النصب وهي المشهورة، وبين قراءة الرفع. ولا يستطيع الناظر في تفسير كلام الله - وهو أبلغ كلام - أن يتغلى من النظر في دقائق أسرار البلاغة العربية.

وقوله تعالى في بيان مقالة المؤمنين: «سمعنا وأطعنا» معناه: سمعنا دعوتكم للتحاكم للرسول صلى الله عليه وسلم، وأطعناكم فيما تطلبون. أو سمعنا قولكم سماع انقياد، وأطعنا الرسول فيما حكم. أو سمعنا وأطعنا إطاعة ثابتة على كل حال، ليست متقلبة ولا معرضة للزوال، كما كانت طاعة أولئك الكاذبين المنافقين. وعلى كل حال: فالطرفان وإن اشتركا في إظهار الطاعة، فقد اختلفا أيما افتراق في تمحيصها، فإن الطاعة المقيدة بموافقة هوى المطيع ليست من الطاعة في شيء، وإنما هي اختياره لما فيه حظ له، فلا بدع أن كانت غير جديرة بأن تسمى طاعة مطلقا. من أجل ذلك جاء قوله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» بعد بيان حال المؤمنين فيه لفظ (يطع) على إطلاقه، لم يقيده بمثل طاعة صادقة، أو طاعة صحيحة، أو طاعة في كل حال، إشارة إلى أن ما زعموه طاعة ليس من الطاعة في شيء، وإنما هي تسمية كاذبة.

ومعنى «من يطع الله ورسوله» أي يطع الله فيما كلف، ورسوله فيما بين، أو يطع الله فيما فرض، ورسوله فيما سن. وعلى كل حال: من يطع الرسول فقد أطاع الله. وإنما نص عليه بالذكر تنويها بشرفه صلى الله عليه وسلم، وتنبيها على أن طاعة الرسول مطلوبة المرسل، جل وعلا. وقوله: «ويخش الله» أي يخشى عذابه فيما مضى له من ذنوب، ويتقه فيما يستقبل منها. وخشية عذابه في الذنوب الماضية باعثة على الندم على ما فرط منها، وهي تستتبع اتقائه فيما يستقبل، وذلك من أركان التوبة: الندم على الماضي، والعزم على عدم الوقوع في الذنب. ولذلك قال بعض المفسرين: إن هذه الآية على إيجازها حاوية

لما ينبغي أن يكون من المؤمنين : طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وخشية عذابه لما مضى ،  
واتقاؤه فيما يستقبل . وكيف لا وهي مستجمعة لامتنال الأوامر في : يطع الله ورسوله ،  
واجتناب النواهي في : يخشى الله ويتقاه ؟ فما أحقها أن يرتب عليها الفوز بالآمال ، والظفر  
بالمطلوب ؛ فلذا قال جل شأنه : « فأولئك هم الفائزون » بهذا التعبير الدال على حصر  
الفوز فيهن هذه حاله .

ولقد قلنا مرارا : إن اختيار اسم الإشارة « أولئك » للتعبير في مثل هذه المواطن  
ليدل على أن المحدث عنه استحق هذا الحكم من أجل الصفات السابقة التي استحضرت  
مع موصوفها بالإشارة إليه . والفوز : النجاة والظفر بالخير ونيل المقصود . وقد قرئ  
يتقه بإسكان القاف ، وهي قراءة حفص . وكأن وجهها أن اللفظ وإن كان مركبا من  
الفعل والضمير الذي هو الهاء ، إلا أنه لا اتصاله نزل منزلة الكلمة الواحدة . وهذا الوزن  
كثيرا ما يسكن وسطه للتخفيف ، كلفظ كتف . وقرئ بكسر القاف على الأصل مع  
تسكين الهاء على أنها هاء السكت أو هاء الضمير ، ونزل الوصل منزلة الوقف . وقرئ  
بتحريك الهاء بإشباع الكسرة وعدم إشباعها .

قال تعالى : ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا  
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) :

عود على بدء ، وحكاية لحال من أحوال المنافقين ، زيادة في فضح حالهم ، وكشفا  
لمستور قناعهم ، وتفظيحا لشنيع أعمالهم ، حتى يكمل النفور من تقليدهم . وكثيرا ما نرى  
في القرآن الكريم عند الكلام على المنافقين أن يفيض القول في شرح سوءاتهم ،  
وتقاليب الأساليب الفاتحة لهم . وما أجدر من يزعم أنه يخدع الله ورسوله والمؤمنين  
بأن يكشف حاله وتعلن مخازيه : وانقسم : اليمين . أو أصله خُص يمين القسامة ، وهي  
اليمين التي توجه إلى القبيلة في نفي تهمة القتل عن أحدهم ، فيقتسمونها ، ثم غلب استعماله

في مطلق اليمين . وقوله : « جهد أيمانهم » أى أقصاه ومنتهاه ، كأنه جهد يمينه ، أى بلغ أقصاه . وهو منصوب على الحال ، أى جاهدن أيمانهم ، أو على أنه مصدر لفعل محذوف ، أى يجهدون أيمانهم جهداً .

وقوله : « لئن أمرتهم ليخرجن » جواب القسم ، على أنه حكاية لما كان منهم لا حكاية لمقاتلتهم ، وإلا كان مقتضى الظاهر : لئن أمرتنا لنخرجن . ومعنى أمرتهم ، أى بالخروج ، كما يدل عليه الجواب ، وهو ليخرجن . ومعنى الخروج إما للجهاد ، أو الخروج عن أموالهم وما يمتلكون .

وقوله تعالى : « قل لا تقسموا » رد عليهم ، وتبكييت لهم ، وكشف لخدايعهم . ومعناه : أنكم تقسمون لتثبتوا دعواكم في نفوسنا ، ولكن ذلك لا يفيدكم شيئاً ، فطاعتكم طاعة معروفة ، هي طاعة لا تتجاوز اللسان والشفيتين ، ولا يخفى من أمركم من شئ . أو فالطاعة في حقيقتها أمر معروف ، وليس مما يثبت أو ينفيه دعوى اللسان ، وإنما هي آثار ظاهرة لا يحتاج من اتصف بها إلى ادعائها ، ولا يغنى عن حرمان أن يدعيها ويقسم عليها . فتكون « طاعة » متبداً ، وجاز الابتداء به لأن المقصود حقيقة الطاعة وماهيتها ، لا فرد منها الذى هو محل إبهام يمنع من صحة الابتداء بالنكرة . أو فالطوب منكم طاعة معروفة بينة لا تلك المراءغة . ولعل الأظهر الوجه الأول ، وهو أن التقدير : فطاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنها اسمية لا فعلية . ويشهد له إردافها بقوله تعالى : « إن الله خبير بما تعملون » أى فقد كشف الله ستركم ، وهو لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء ، فكيف تحمدكم أنفسكم أن يخفيه عن نبيه الذى يوحى إليه ما فيه الهداية والإرشاد ؟

يقول تعالى بعد ذلك خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) أى قل لهم : لقد كشف حالكم ، وتبين أمركم ، ولا يغنيكم محالكم ، نفي

لكم أن تعرضوا عن هذا السبيل الملتوى الذى لا يفيدكم، وأن تطيعوا الله وتطيعوا الرسول فيما يأمركم وينهاكم. هذا هو سبيل النجاة لكم. فاقول لهم فى قوله: « قل لا تقسموا طاعة معروفة » فضح وتوبيخ وتبيكيت. والفقول لهم فى « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » إرشاد وتعليم. فالكلامان نوعان مختلفان. ونظير هذا فى متعارف الناس كثير: يعتمد المرء مع مخاطبه حتى يكشف دخائله، ويبين تغريه، ثم يقول له: لا لا، ليس هذا هو الطريق، يجب أن تعمل كيت وكيت، وبرى نفسه قد انتقل من فن فى القول الى فن آخر. وهذا هو السر فى تكرير لفظ « قل » مع « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وعدم الاكتفاء بتسايط قل على لا تقسموا وعلى أطيعوا.

وبعد: فلعلك تشعر بالروعة العظيمة فى ذلك الأمر الجازم الحازم يلقى عليه بإيجاز، فكانه قيل له عليه السلام: قل لهم هذه الكلمة، وأمرهم هذا الأمر وكفى، ولا عليك بعد فيما يكون منهم. وإن هذا يشعر بالعظمة والرهبة، تلك الأمور وتأخذ عليه نواحيه. وقوله بعد ذلك: ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) الخ، يحمل من مكملات الرهبة والتحذير ما يحمل. ثم إن إعادة لفظ أطيعوا مع جانب الرسول يفيد أن طاعة الرسول مأمور بها بعناية مستقلة، وذلك من بواعث الامتثال، إذ كانت طاعته عليه السلام قد أمر بها الله، فيصدق: من يطع الرسول فقد أطاع الله.

وقوله تعالى: ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَآثِلُ النَّارِ وَعَلَيْكُمْ مَآثِلُ النَّارِ ) تولوا، أى تعرضوا. وأصله تتولوا، فهو خطاب لهم بعد خطابه صلى الله عليه وسلم. وتغيير الأسلوب كأن فيه إشارة الى أنه قد أمر فامتثل، وقيل له: قل لهم: أطيعوا فقال لكم، إذ شأنه أنه متى أمر بادر بالامتثال، صلى الله عليه وسلم، وليس كشأنكم: يحتاج الى التكرير والتحذير، ويوجه اليه التخويف، ايقاع عن التسويف، لا، بل متى قيل له: قل، فقد قال حتما. فيبقى الكلام معكم أنتم، فإن تعرضوا عما أمركم وتولوا عنه،

فما ذلك بضارته شيئاً، فإنما عليه ما حمل وقد أذاه، وعليكم ما حاتم، فانظروا لأنفسكم، وأنقذوا أنفسكم من الضلال الذى يردكم، والخيرة التى توقعكم فى التهلكة، ولا عذر لكم فيما تنكصون، فقد بين لكم طريق الرشاد والهدى، وذلك فى طاعته واتباع أمره؛ وذلك قوله عز وجل: «وإن تطيعوه تهتدوا» فهو ترغيب بعد ترهيب. وفى ذلك من سوقهم الى ما فيه سعادتهم ما فيه، فقد دفعوا بالرهبة، وجذبوا بالرغبة. وذلك هو الأسلوب الحكيم: تملأ قلب الجانح المفتر دعماً مما هو فيه، حتى إذا أخذت عليه الجوانب وتلفت يميناً وشمالاً، فتحت له طريق الخلاص، مرغباله فيه، فينساق اليه طوعاً أو كرهاً.

وقوله عز وجل: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاغُ الْمُبِينِ) معناه: فلن يضره تأخيركم عن إجابته، ولا يحق سوء عملكم إلا بكم. وأما هو فما بعثناه عليكم وكيلاً، ولا يتضرر من قبلكم فتيلاً «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات».

فالقصر ليس معناه أنه طوبى بالبلاغ ويتركهم بعد ذلك فلا يعلجهم بوسائل العلاج الناجمة، بل معناه أن ضرر معصيتهم حائق بهم وحدهم، ولا يضره ضلال من ضل متى قام بما طلب منه، فهى كقوله: «فإنما عليه ما حمل» وهذا يحمل الآيات التى من هذا القبيل، مثل قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا). (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاغُ). (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعََيْنَا الْحِسَابُ) وغير ذلك كثير. فمن فهم منها أن وظيفة الرسول مجرد التبليغ، وليس منها أخذ الناس بصنوف التربية اللائقة بمقتضى الحكمة من شدة ولين وغيرها، وكل من ذلك فى موضعه، فقد جهل.

وبعد: فلعلك ترجع الى الآية الكريمة متأملاً متدبراً، لتشهد ما احتوته من معالجة النفاق، وهو من أشد أمراض النفوس استعصاء، فترى كيف بدأ بتحليل نفسياتهم، والتعجب مما يحول فى خواطرهم، بعد ما برغت شمس الهداية، ووضحت أنوار

الآيات البينات التي أنزلها الله على عباده ، ثم أطاعهم وأطلع المؤمنين على حركات نفوسهم متتبعاً لها على وجه يسائر الخواطر التي تعتربهم ، حتى يحزوا مما اقترفوا ، وحتى يأخذوا من ذلك برهاناً قاطعاً على أنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ثم لم يدعهم عند تشخيص المرض ، بل أرفقه بالدواء ، يحثهم على التزود منه والاستشفاء به ، واعدأ لهم بالهداية متى سلكوا طريقه ، مزيجاً عنهم ما قد يهيجس بنفوسهم من أن الأمر مصلحة ذاتية تعود عليه منهم ، فتدفعه إلى الإلحاح عليهم في أن يهتدوا ويرشدوا ، اللهم إلا ما وعد الله به من كان سبباً في الهداية وتوصيل الرحمة الإلهية لأحد من العالمين ، كما جاء في الخبر : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

نسأل الله تعالى أن يلهنا الهداية والرشاد ، وأن يوفقنا لطريق الخير والساد ،

إنه سميع مجيب

ابراهيم الجبالي

## التورع عن ولاية المناصب

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي إلى عدي بن أرطاة : أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشى ، فول القضاء أنقذهما . فجمع عدي بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة : الحسن وابن سيرين . وكان القاسم يتردد عليهما وإياس لا يأتيهما ، يريد بذلك أن يشهدا بكنائيه ، فيسند عدي القضاء إليه ، ويخلص هو منه .

فأدرك القاسم هذه الحيلة ، فقال لعدي : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء . فان كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني ، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي .

فقال إياس لعدي : إنك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم ، فنجى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها ، وينجو مما يخاف .

فقال له عدي : أما إذ فهمتها فأنت لها . فاستقضاء .

# الشيخة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمهُ ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » رواه البخارى .

إن المرء الذى يجاهد نفسه لا يزال مترددا بين نفس أمارة بالسوء ، نزاعة الى الهوى ، ونفس لوامة على التفريط ، جاذبة الى الخير ، توافقه الى التوفيق . أما النفس المطمئنة الراضية ، فتلك نفس المخلصين الصديقين ، والآنسان مهما قارف مشتهى أو شارف هوى ، انطلق يتلمس لنفسه المعاذير ، ويبحث لها عن مختلف التأويل ، حرصا على أن يجمع لها بين الاستمتاع بما تهوى ، والظفر بالنجاة من البلوى . وكيف لا وهو دائما بين هوى متغلب وعقل يردع ، والمراك بين العقل والهوى لا يفتر ، والمركة لا تنتهى . وللعقل سلطان ولكنه كثيرا ما يغفو أو يلهو ، والهوى يقظان مترقب للفرص ينتهزها ، والارادة بينهما كرة بين صوالة .



وإن أكبر الخطر في أعوان الهوى يرجع إلى التلميس والتدليس، وتصوير العمل بغير صورته، وفهم الأمر على غير حقيقته. ولقد تجد الكثير من الأعمال جامعا لصفات عدة، كل صفة منها تلحقه بأصل من أصول الخير أو الشر غير ما تلحقه به الصفة الأخرى. وكل امرئ يقرأ من الكتاب الصفحة التي توافق غرضه. وهنا يجيء اختلاف الآراء وتباعد النزعات.

وقد ما يحصل المراك والتزاع بين قوى النفس المختلفة فيما استبان أمره من حلال خالص أو حرام محض. وإنما يجيء هذا التردد، وتنشأ تلك المعركة بين القوى النفسية خيرية وشرية، فيما اشتبه من الأعمال، وتردد أمره بين الحرام والحلال. فكان هذا الحديث الشريف نعم المرشد، وأقوى العون على قهر الشيطان، وسد باب الشر عن الإنسان. والحلال: ما أذن فيه الشارع ولم يمنع منه والحرام ضده. وقد ذكر الأصوليون أن الحلال يتناول الواجب والمندوب والمباح والمكروه، والحرام خاص بالمنوع المحظور. وقيل: ليس المكروه من الحلال المذكور هنا، بل هو من المشبهات، و«بين» أي ظاهر واضح لا يشتبه فيه.

وقوله: «وبينهما مشبهات» روى بتشديد الباء مفتوحة ومكسورة، أي شبهت بأمرين مختلفين، أو ألحقت نفسها بالأشياء المختلفة المتعارضة في الحل والحرم. وروى: مشتهات ومتشابهات، بمعنى مشكلات في أحكامها، لما فيها من وجوه الشبه بالأشياء المتعارضة فتخفى على الكثير من الناس. والتشابه من الأمور: المختلط النواحي، الذي يعسر تمييز بعضه من بعض. ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الْبَقَرَ كَشَابَهَ عَلَيْنَا) أي اختلط في صفاته، وأشبه بعضه بعضا، فلا ندري ما الذي يراد ذبحه منه، ومثله المشتبه.

و«أتى» من الوقاية وهي الحفظ، أي احتفظ من الوقوع فيها، و«استبرأ لدينه وعرضه» أي طلب البراءة لهما، أي عمل على تحصيلاهما، وسلك سبيلهما. ومعنى ذلك أنه اجتهد في نقاء دينه وعرضه، وسلامتهما من الثلم والخذش والانتقاص.

وقوله : « ومن وقع في الشبهات » أى قارفها وانغمس فيها . والوقوع في الشيء الانغماس فيه والتدهور في جوانبه ، وهو غير الايلام البسيط .

وقوله : « كراع يرعى حول الحمى » هو خبر قوله : ومن وقع في الشبهات . وفي رواية مسلم : « ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى » الخ . والحمى : الحمى . وأصله أن ملوك العرب كانوا يحمون أما كن من الراعى يحظرون على غيرهم أن يرعى فيها ، ويتزلون العقاب بمن يرعى فيه ، فحطوبوا بنا يعمدون . على أن الحمى هو المكان الحمى المحتجز عن غير حاميه . ولا يكاد عظيم من ملك أو غيره يخلو من أن يكون له حمى ، فلذا جاء « ألا وإن لكل ملك حمى » توطئة للتشبيه الآتى في الجلة التالية . ومعنى أن حمى الله محارمه ، أنها هى التى تمنع الناس أن يرتعوا فيها ، أو يقتحموها .

#### المعنى :

ومعنى الحديث : أن الشيطان فى إغوائه للإنسان لا يكاد يأتى المؤمن من طريق صريح فى العصيان ، فهو يداوره ويراوغه ، ويزين له المبادئ ، تخفيا عنه ما فيها من المفاسد والشُرور . فأمر الحلال الصرف والحرام الصرف نهج واضح لا يشتبه على المؤمن المراقب لنفسه . ولكن الخوف كل الخوف هو فى أمور يحسبها المرء هينة ، لما فيها من الانتنساب الى المباحات التى أحاطها الشارع ورخص فيها ، فهو على مقارفتها ، ثم يزين له الخوض والاسترسال فيها ، ثم يغريه بالإكثار منها ، حتى يستدرجه بعدها لما هو أشد منها ، فإذا هو راتع فى الحرام منغمس فيه . والأمر يجر بعضها بعضا ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

ولقد نجد بعض الناس يستهين مثلا بشرب بعض الأنبذة التى لا يسكر قليلها ، استنادا الى أن بعض المجتهدين يرى أن غير الخمر لا يحرم منه إلا المقدار المسكر ، وأما ما دونه فلا حرمة فيه ، فيستدرجه ذلك الى الزيادة ، لأنه يرى استطابة هذا الذى شرب منه ، والفصل بين المقدار المسكر وغير المسكر مما يصدق وبخفى . فهل ترى بعيدا أن ينزلق

في هاوية السكر ويتردى فيها وهو لا يشعر؟ وإنك ترى في الكثير من أنواع الترف أو اللهو المباح بأصله، أنه يجرّ الى هاوية عميقة لا يشعر بها صاحبها إلا بعد أن يتردى فيها. ومثال هذا من المعاملات ما يجري من بعض الناس من المبيعات الآجلة بأثمان عالية، ثم يبيعها المشتري بثمان عاجل أقل مما اشترى، تحايلا على أن يجري قرضا يجر نفعاً، وهو عين الربا. ولا يحدى فيه أنه عمل صفقتي بيع كل منهما حلال في ذاته. فمثل هذا إذا قال بعض الفقهاء فيه بالحل، فغير خاف ما فيه من التوصيل الى الربا المقوت، ولو من وراء ذلك الستر الشفاف، الذي لو فرض فيه أنه أخفى شيئاً على الخلّاق، فلا يصح الطمع في أن يخفى على العليم الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن ذا الذي يعقل أن الحكيم العليم يحرم على الناس أمراً لما فيه من المناسد والشرور والمضار، ثم يفتح له باب الحل من طريق آخر لم تقتل منه شروره ومفاسده؟ وعلى فرض أنه ليس بالحرام المحض لأن فيه يباع على دورين وكل منهما حلال في ذاته، فهل يخفى أن الانغماس فيه يجر إلى اختصار الطريق، والوقوع في الربا المباشر، احتقاراً لهذه المحاولات والمحاكات التي لا تنطلي على أضعف العقول وأقصر الأفكار؟

نعم: الحلال والحرام كل منهما بين واضح لا يلتبس فيه، وذاك هو ما جاء في صريح النصوص الشرعية بعمومه أو خصوصه، كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ) وكقوله جل شأنه: (وُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَبُحِرْمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ) وكقوله عز وجل: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطْنٌ وَلَا إِيْمٌ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ أَلْحَقٍّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبِأَنُودِ الَّذِينَ إِحْسَانًا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) وهكذا من الآيات الصريحة في تحريم الحرام وتحليل الحلال . ومثلها الحديث الذي صح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإنه واجب الطاعة بقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

وأما ما لم يدخل دخولا صريحا في النصوص الشرعية ، فإن كثيرا منه يتردد وجه الشبه فيه بين ما هو حلال بعمومه ، وبين ما هو حرام بعمومه ، فيخفى حكمه على كثير من الناس . وخفاؤه على الكثير لا يقتضى خفاءه على الجميع ، فقد يدرك حكمه الحقيقي من بذل الجهد في تعرف أغاب الأشباه عليه ، فردّه الى نصابه ، وألحقه بما هو الأشبه به ، وحينئذ يتضح حكمه ، ويتجلى أمره .

أما ما بقي على اشتباهه فالورع التحرز عنه ، والاحتياط لسلافة النفس من العقوبات البعد بها عن مواطن الشبهات وحسبك منه أن كل ما فيه من خير إنما هو حظ عاجل زائل ، من حظوظ هذه الحياة الفانية . ولكن ما يعقبه من شر وويل ، سيكون جزاؤه عقابا جسيما ، وعذابا ألما ، لا سيما إذا تدهور فيه حتى جرّه الى الوقوع في المحظور ، وارتكاب الحرام البين ، كما هو الغالب في متبع اللذائذ والشهوات ، المنحدر مع الهوى في أعماق المنحدرات . وقد روى : « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال » .

وقال بعض السلف : المكروه عقبة بين العبد وبين الحرام ، فمن استكثر من المكروه تطرق الى الحرام ؛ والمباح عقبة بين العبد وبين المكروه ، فمن استكثر منه تطرق الى المكروه . فاللائق بحال المؤمن الحريص على إيفاء حق العبودية ألا يجعل كل همه الانفاس والاسترسال في الطيبات واللذات ولو مباحة . فأقل ما في هذا تمكن الشهوات من نفسه ، وغلبة الذائد على قلبه ، فيتملكه الطغيان ، ويأخذه البطر ، وتقل منه همه الاشتغال بالنافع ، حتى في أمور دنياء . ولا تكاد تجد امراً حصر همه في لذائذه ولو مباحة ، وتملكه الرفه والنعيم ، إلا وخارت قواه ، وضعفت همته ، وقلت حميته حتى في المصالح التي تهمة ، فما بالك بأمر الآخرة ، وهو لا يكاد ينقاد إلا للنفوس البهيمية والأرواح الصافية ، والقلوب النيرة ؟ وهل يستقيم هذا لمن جعل همه في نعيمه وترفه ؟ ثم هل ينكر أن الانفاس في هذه مدعاة الى التكالب على الجمع ، والتغالب في أمر الكسب ، من غير احتياط فيما حل وفيما حرم ، فإذا ما انزلق في هذا فقد خرّ الى الهاوية ، واستمر الغش والظلم ، والكذب في سبيل إحراز ما يريد من أمر الدنيا ، فنلبته شقوته ، وكان رعيه حول الحى مزقة له آلت به الى أن يقع فيه ؟ نسأل الله السلامة في ديننا ودنيانا .

يقول صلى الله عليه وسلم بعد هذا : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » . وهذا من الهداية الى طريق العلاج ، وبيان ما ينبغى للمرء أن يرقبه من نفسه ، حتى يصلحه ، فيصلح ما سواه تبعاله . فالقلب سلطان الجوارح ، أو هو مبعث الإرادات ، ومبدأ الميل . ومهما قيل في أن مركز العقل الدماغ أو القلب ، فلا ينكر أن العواطف والميل ، والاستحسان والاستمجان — وهي مبدأ تكوين الإرادة — تستند الى القلب أقوى استناد ، بل كثير من الخواطر والهواجس كان الانسان يشعر بأنه من وحي القلب وحديثه الخفى ، وبخاصة ما لم يستند الى التفكير والاستنباط ، وهو ما نعرفه بأنه إلقاء في الروع .

وإن للقلب صلاحاً وفساداً بحسب ما يعتاد من الأعمال، حسنها وقبيحها، خيرها وشرها، فإن للاعتياد والمران أقوى تأثير في صلاح القلب وفساده، فهو - مع أنه صاحب السلطان على الجوارح - تجده عرضة للتأثر بما يجري عليها، فيمرن ويرناض بكثرة التكرار، حتى يصير الأمر فيه سجية: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

واعتبر بما تراه من اعتياد الإنسان لبعض الأعمال التي يكرها في أول الأمر فلا يزال به التكرار حتى تنقلب الكراهية محبة، والاشمئزاز ألفة، بل يصير ما كان مكروهاً بغيضاً ضربة لازب، يحاول المرء أن يتخلص منه فلا يستطيع. وهل أدل على ذلك من حال شارب التبغ مثلاً؟ إنك لن ترى واحداً يشربه لأول عهده به إلا ويتضرر من رائحته وطعمه، ولكنّه يغريه به المغريات: من حب تقليد، أو محاكاة من يعتقد فيه العظمة أو الظرف، فيتجرعه على كره، ولا يزال يماوده حتى يخف اشمئزازه منه، ثم يتدرج إلى استغابته، وإذا هو بعد ذلك قد أصبح ولاغنى له عنه، ولا مفارقه منه. أصبح مستطاباً مستلذاً، تميل إليه النفس، بل تراه من ضرورياتها ومقومات حياتها. وهل مصدر الاستطابة والميول إلا القلب؟ وهل يعتقد أنه بحاجة أو ضرورة إليه إلا القلب؟ فلو أنه حرص من أول أمره على مراقبة قلبه: فلم يدع العادة السيئة تتحكم فيه، فتغلب إرادته وميوله إلى السيئات، لما تحكم فيه، وأوحى إلى جوارحه ما يضره ويبطش بصحته وماله.

فالقلب من الجوارح بمنزلة السلطان الأمر الناهي، وهي خاضعة له أيما خضوع. فن شاء أن يصلح جوارحه ويحسن أعماله، فلينظر من أين يجيئها الفساد، فيقطع عليه الطريق، ومن أين يرجى لها الصلاح، فيصل ما بينها وبينه، حتى يتم له ما يريد من صلاح حاله وحسن أعماله. وهذا هو القلب، فهو الذي إذا صالح صالح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله.

نسأله جل شأنه أن يصلح قلوبنا، ويحسن أعمالنا، ويرزقنا سداد الرأي، وصدق

إبراهيم الخليل

القول، وثبات اليقين. والله المستعان

## توحيد الألوهية - وتوحيد الربوبية

تفرق قومنا من غير شيء . فخلّ بقومنا وبنا البلاء .

كتبنا في هذا الموضوع في العدد الماضي ، ونكتب فيه اليوم ، ولأننا نكتب فيه غدا . وإعنا نريد بذلك كله الدفاع عن سماحة الإسلام ، غيرةً عليه من تلك الطائفة التي جماعته حرباً لا سلاماً . ولو كان كما زعموا لم يكن دين الرحمة والمحبة والحكمة ، ولا دين الأسم كلها ، بل كان دين الخصام والانقسام ، والنار والدمار ، ولم يصالح إلا لقوم جامدين ، وطائفة مخصوصين .

ولسنا نريد بكل ما نكتب في هذا الموضوع غيراً لا يتنازع المسلمون ، ولا ينقسم بعضهم على بعض ، من أجل أشياء يقع فيها الخلاف ، وبقباين فيها الرأي . فيجب على أولئك المكفرين المسلمين أن يحترموا رأي غيرهم ، ولا يريد منهم أن يتبعوا غيرهم ، بل أن يتركوهم أحراراً كما أنهم أحرار ، وأن يقيموا لأولئك العلماء من أئمة الهدى وزناً ، فلمهم منطق سليم ، ونظر مستقيم ، وسلف صالح . وينبغي أن يعرفوا أن كل ما هو محل للنظر وموضع للاجتهاد ، يجب أن لا يتنازع فيه الناس ، فالأمر واسع . فكم اختلف الصحابة والتابعون وتابعوهم ، مع محبة بعضهم بعضاً ، حتى قاسم الإمام مالك الإمام الشافعي ماله مراراً ، وقد خالفه في أشياء كثيرة وهو تلميذه . وقد قالوا : إن المنكر لا يجب إنكاره إلا إذا كان مجمعا على إنكاره . فكيف بالكفر الذي جاء في الحديث الصحيح أن أحدهما يبوء به ؟ وكيف بالقتل الذي يستبيحه هؤلاء ؟

وقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة حين قتل من قال : لا إله إلا الله - تقية في رأى أسامة - ولم يقبل منه ذلك العذر ، ولا رضى منه هذا التأويل . وإن أكرر عجي

منهم كيف يلزمون غيرهم باتباعهم وهو يتنادى بخطئهم ، ويقم البرهان من الكتاب والسنة والعقل والنقل على ذلك ؟ وهل هذه إلا رتبة المعصوم الذي يجب على الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه ؟ فهل هم معصومون حتى لا يجوز أن نخالفهم بحال من الأحوال ؟ بل نتنزل قليلا ، ونقول لهم : أفتوجبون علينا التقليد وأنتم تحرمون التقليد ، أم تلزموننا أن نتبعكم ونحن مجتهدون كما أنكم مجتهدون ؟ !

وإننا نسألهم : هل كان الصحابة والتابعون يقسمون التوحيد الى توحيد الألوهية والربوبية ، ويدعون الناس لذلك ؟ الجواب أنه لم يسمع ذلك عن أحد منهم ، فلماذا لا يسعنا ما وسعهم ؟ !

وإن من علامات الراسخين في العلم أن يحترموا كلام الأئمة ، وما درجت عليه الأمة . أما إمامهم ابن تيمية فلم يسلم منه أحد ، حتى أبو بكر وعمر ، وعلى وفاطمة . ولا يسعنا تفصيل ذلك الآن .

ومن علامات الراسخين في العلم أيضا أن تراعى ميالين دائما الى اليسر والسهولة ، علما بسماحة الإسلام ، وأنه يسر لا عسر فيه ، وعلا بما كان عليه صلى الله عليه وسلم مع المسلمين ، وأنهم لا ينكرون إلا ما أجمع على إنكاره ، إلا ما اختلف فيه ، كما كان حال أئمة الهدى بعضهم مع بعض ؛ وأن كل ما كان محلا للاجتهاد والنظر كان الأمر فيه واسعا ، متمسكين في ذلك بأن المجتهد إذا أخطأ كان له أجر ، وإذا أصاب كان له أجران ، كما في الصحيح .

ومن علاماتهم أنهم لا يقدسون أنفسهم ، ولا يحتقرون غيرهم ، علما منهم أنهم غير معصومين ولا مقدسين ، فلا يوجبون على غيرهم أن يرجع الى رأيهم ، ولا يفرضون طاعتهم على الناس فرضا ، كما فعل الخوارج فيما مضى ، كما يفعلون الآن .

ومن علامتهم أنهم يجادلون غيرهم بالتي هي أحسن ، وأن الحق إذا ظهر على يد



غيرهم اتبعوه ، كما هو معروف من سيرة السلف الصالح . أما أرباب الأهواء ، فهم على العكس من ذلك كله ، وإن صاموا وصلوا ، وعملوا من ظواهر العبادات ما يحقر أحدنا صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم .

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنهم يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، وأنهم تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب<sup>(١)</sup> بصاحبه لا يبق منه عرق ولا مفصل إلا دخل فيه . وكأنه صلى الله عليه وسلم يحذرننا من مخالطتهم ، مخافة أن يسرى إلينا دأؤهم كما يسرى داء الكلب الذى يسرع انتقاله ويعسر شفاؤه . فجزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياعن أمته .

ولا تكاد تجد لواحد منهم شيئاً يروقه من علم أو عمل إلا وجدت بجانبه ما يفسده ويربو عليه . وسرّ ذلك أنهم يتبعون الهوى ، فهو معهم حيثما كانوا ، ومن كان تابعاً لهواه فلا بد أن يضل عن سبيل الله . وعلامة الإيمان الصحيح ، بل علامة العقل الصحيح ، أن ينهم المرء نفسه ، ويرجع إلى ما عليه الأمة المعصومة التى شهد لها صلى الله عليه وسلم أنها لا تجتمع على ضلالة ، وأكثر ما نجد هذه النزعة التى لا تحترم إلا عقلها ، ولا تقدر إلا هواها ، ولا تبالي بالتضليل والتكفير — أكثر ما نجد لها فى الخوارج الذين هم أضر على الإسلام والمسلمين من كل شيء ، بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه : إنهم شر الخلق والخليقة ، ويقول فى تصائبهم فيما أشربوا من حب الهوى : إنهم لا يعودون إلى الإسلام حتى يعود السهم إلى قوقه ، أى مع كون أحدنا يحقر صلاته مع صلاتهم الخ . ولا بدع فى ذلك ، فإن للأخبار والرهبان من التقشف والزهد فى الدنيا والبعده عن زخارفها وأنواع المجاهدات ما لا يتفق لكثير من أفاضل المسلمين ، ومع ذلك لم يغن عنهم شيئاً ( أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَهَدَى مَنْ يَشَاءُ ) والله يتولى هدى الجميع .

(١) بالتحريك : هو الداء المعروف الذى يصيب الكلاب الكلبة .

وإني أعجب لتفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية ، وجعل للمشركين موحدين  
توحيد الربوبية مع قوله تعالى : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )<sup>١</sup>  
وهل المراد من الأرباب في الآية إلا المعبودون<sup>(١)</sup> ؟ الى آخر ما ذكرناه في مقالنا  
السابق من تفنيد تلك الدعوى التي ابتدعوها ، فإننا لم نسمع أن أحدا سعى المشركين  
موحدين غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب .

واخلاصة التي نريدها من ذلك كله : أن الذي يجب على كل من يحتاط لدينه ونفسه  
هو الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا ، فإن استباحه دماء المسلمين المصلين  
المقرين بالتوحيد خطأ لا يماثله شيء ، فإن الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من  
الخطأ في سفك دم مسلم واحد ، كما قاله حجة الإسلام الغزالي وغيره .

ولابد أن ننبه هنا على أن الشرك والكفر لابد أن يكون معقول المعنى . ولا أدري  
كيف يكفرون بالاستغاثة ونحوها . فإن المستغاث إن كان طالبا من الله بكرامة  
هذا الميت لديه ، فالأمر واضح ، وإن كان طالبا من الولي نفسه ، فإنما يطلب منه على  
اعتقاد أن الله أعطاه قوة روحانية تشبه قوة الملائكة ، فهو يفعل بها بإذن الله ، فهل  
في ذلك تأليه له ؟ ولو فرضنا جدلاً أننا نخطئون في ذلك ، لم يكن فيه شرك ولا كفر ،  
بل نكون كمن طلب من المقعد المعونة معتقدا أنه صحيح غير مقعد ، مع أن عمل  
الأرواح ومواهب الأنبياء والأولياء ثابتة في الدلائل القطعية ، على الرغم من أنوفهم .  
وصفوة القول أننا نقول : هؤلاء المستغيثون يمتقدون أن الله أعطى هؤلاء  
الأولياء مواهب لم يعطها غيرهم ، وذلك جائز لا يمكنهم منعه . وهم يقولون : إنهم اعتقدوا

(١) فكيف يقولون إن عندهم توحيد الربوبية : وكذلك قوله : ( ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين  
أرباباً ) وقد قال عدى : إنما نتخذ الأرباب والرهبان أرباباً فإننا لم نعبدهم . فدل ذلك دلالة صريحة على أن  
كل معبود ربه . وقد أمره صلى الله عليه وسلم على هذا . فلماذا ترى ؟

فيهم الألوهية ، مع أن ذلك لا يقول به أحد ، إلا عند من أساء الظن بالمسلمين ظلما وعنادا . ولو فرضنا أن ذلك مشكوك فيه ، فهل يجوز التكفير والقتل بمجرد الشك ؟ فلاستغانة مبذية عندنا على أن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم كالشهداء ، بل أعلى من الشهداء ، ويمكنهم أن يدعوا الله تعالى للمستغيث بهم ، بل يمكنهم أن يعاونوه بأنفسهم كما تعاون الملائكة بنى آدم . وللأرواح تصرف كبير في البرزخ . وعلى ذلك دلائل كثيرة أطنب فيها ابن القيم ، وهو من أثمة هؤلاء . وأثبت ابن تيمية سماع الأموات وردم السلام في فتاويه وغيرها ، مستندا إلى الأحاديث الصحيحة في ذلك ، وذكر سماع سعيد بن المسيب الأذان من قبره صلى الله عليه وسلم أيام الحرة في كتبه . فإذا استغاث بهم كان كمن يستغيث بالحي سواء بسواء ، لأنهم عندنا أحياء ، بل أعظم نفوذا ، وأوسع تصرفا من الأحياء .

ولو نزلنا غاية النزول ، وفرضنا أننا غلطون في ذلك ، لم يكن هناك وجه للتكفير . وإنما يقال للمستغيثين : إنكم أخطأتم في ذلك ، فإنهم ليسوا أحياء ولا قادرين ، على ما سبق لنا . فإذاً يكون الخلاف بيننا وبينهم مبنيًا على أن الأموات يسمعون ويعقلون ويدعون ، أم هم كالجماد لا يستطيعون شيئا من ذلك ، فنحن نقول بالأول . مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة ، والأخبار المتواترة عن كرامات الأولياء ، وموافقي الصالحين ، وبركات النبي صلى الله عليه وسلم التي حصت للمستغيثين به ، والاستشفاع به عند زيارته صلى الله عليه وسلم . وقد نصت على ذلك كتب المذاهب الأربعة ، حتى الحنابلة عند ذكر آداب الزيارة له صلى الله عليه وسلم . وهم يقولون بالثاني ، وأن الأموات قد دخلوا في عالم العدم ، كما يقول الماديون . وعند ما تخرجهم بالبراهين القاطعة يقولون : إنهم أحياء ، ولكنهم مشغولون بالعذاب أو النعيم :

وهذا كلام خيالي ، ولا نقول خطابي ، فإنه أقل من ذلك . وأكبر ظني أنهم يقولونه بالسننهم وليس في قلوبهم . وليس هذا محل شرح ذلك ، فإن المتنعم حرٌّ

مختار ، ولا ينافي نعيمه أنه يدعو الله لأحد المسلمين ، بل قد يرى من نعيمه أن يساعد ابنه أو محبه بما يقدر عليه . والدلائل على ذلك متواترة مستفيضة ، خصوصا المراتي في ذلك ، كحديث بلال بن الحارث الصحابي رضى الله عنه المذكور عند البيهقي وابن أبي شيبة ، وفيه : أنه جاء قبره صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله استسقى لأمتك ، أى ادع الله لهم ، فجاءه في المنام وقال : بشرهم أنهم سيمسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس . ورؤيته صلى الله عليه وسلم جعفرًا ذا الجناحين يطير مع الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر . وهو في المستدرك وغيره بألفاظ مختلفة . وكروية أم سامة للنبي صلى الله عليه وسلم وإخباره إياها بقتل الحسين وهو في المسند وغيره .

ويكفي في ذلك محاجة آدم لموسى عليه السلام ، وما رأى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من الحوادث الكثيرة ، خصوصا مراجعة موسى في أمر الصلاة ، وكفالة إبراهيم لأطفال المؤمنين . وانظر كيف رأى موسى يصلي في قبره ، ثم رآه في السماء السادسة وبييت المقدس مع الأنبياء . وأى استبعاد في ذلك ؟ وقد قلنا : إن لهم حالة ملكية لا تقاس على أحوالنا .

وإنك لتعرف أن عزرائيل عليه السلام لا يشغله قبض عن قبض ، والتقبض لا يشغله عن العبادة طرفة عين . على أن حال البرزخ بخلاف حال الدنيا . وقد قال أبو الطيب المتنبى ما يفيد هذا المعنى وإن لم يكن مما نحن فيه :

وكالبدر من حيث التفت رأيت بهدى الى عينيك نورا نابقا

(ولكل عالم نواميس تخصه . ومن الغلط البين الحكم على عالم بأحكام عالم آخر) . وقد نهى عمر عن رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونهى الامام مالك المنصور عن رفع صوته كذلك . ونهت السيدة عائشة عن دق الوند بالدور المجاورة للحجرة الشريفة ، مخافة أن يتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كانت

تدخل مشدودا عليها إزارها بعد دفن عمر ، حياءً من عمر . الى غير ذلك مما هو معروف في كتب السنن والآثار .

فلو كانوا منقطعين عن هذا العالم تمام الانقطاع على ما يقول هؤلاء ، لم يكن لذلك معنى ، خصوصاً ما هو خارج عن العقول في العادة ، كعرض الأعمال عليه ، واستغفاره لنا صلى الله عليه وسلم ، ورد السلام على كل من يسلم عليه ، وهوانيت لامراء فيه . وقد كتبنا فيه في العام الماضي . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أذية الميت ، وكسر عظمه ، والجلوس على قبره ، مخافة تأذيه . الى غير ذلك ، وهو كثير . ولا يمكننا في هذه العجالة إلا أن نلمح اليه ، ونذلل على ما وراءه ، ولا نزال نكرر أنه إذا لم يكن في هذا إلا ما كان في حديث المعراج : من أسف سيدنا موسى على بني إسرائيل ، ومراجعة النبي في أمر الصلاة ، واجتماع الأنبياء في بيت المقدس ، وخطبهم ، لسكنى .

وقد ذكر ابن القيم في كتاب الروح حديث مذاكرة الأنبياء في أمر الساعة ، وأنه إذا جاء عيسى عليه السلام كانت كالحامل المزم<sup>(١)</sup> فلو كانت الأرواح على ما يقولون لم يكن لهذا معنى . ومع كل هذا نسلم لهم صحة ما يقولون ، ونفرض أننا نحن المخطئون ، فهل يوجب ذلك شركاً أو كفراً ؟ وقد قلت لبعض أذكى العامة في الولد الحسيني — وقد قال يا رسول الله : إن الوهاية يكفرونك بقولك : يا رسول الله ، كما في الهدية السننية وغيرها ، فقال : إن كنا نقول يا رسول الله على ما نريد ، فلا معنى للكفر ؛ وإن كنا نقوله على ما يريدون من تأليه الرسول ، فنحن كفار . فأعجبني هذا منه ، فقلت له : وهل يسمعك وأنت هنا وهو بالمدينة ؟ فلم يجب جواباً شافياً .

ونحن نقول : إن هذا الاستبعاد منشؤه قياس الغائب على الشاهد ، وقد عرفنا أن سمع الأجسام لا يصل إلا الى مسافة محدودة ضئيلة ، ولكن هل عرفنا المسافة التي

(١) وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنهم يحجون ويلبسون ، ونسأل الله أن يكتفينا شر التسنين

يصل إليها سمع الأرواح ، وماذا أعطيت من ذلك ؟ وكيف ندرك أن عمر وهو بالمدينة  
أسمع سارية وهو بنهاوند من أرض المعجم ؟ وأس الغلط في هذا وأمثاله أننا نعطي أحكام  
العوالم المختلفة بعضها لبعض ، مع أن لكل عالم أحكاما تخصه ، ونواميس ليست لغيره ،  
فقياس عالم الأرواح على عالم الأشباح من أفسد الأقيسة وأبطلها . والواقفون عند  
ما عرفوا من أحكام هذا العالم فحسب ، إنعام الماديون لا أتباع الرسل ( بَلْ كَذَّبُوا بِمَا  
لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَكَمَا يَأْتِيهِمْ نَأْوِيلُهُ ) .

أما قولكم : إنهم يطلبون ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فكلام لا تحقيق فيه ،  
فهو كسراب بقيعة يحسبه الظهآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، فإننا نقول أولا :  
هب أن الأمر كذلك ، وقد أخطأ ذلك السائل فظن غير الممكن ممكنا ، وغير  
المقدور للبشر مقدورا له ، أفيكفر بذلك ، أم يهـذر بجهله وخطئه ؟ ( وهو لم يعتقد  
الألوهية على كل حال ) .

وثانيا - نقول لكم : إننا لم ندّع أنه يفعل ذلك استقلالاً من عند نفسه ، بل نقول :  
إنه يفعل به بإذن الله . وبعبارة أخرى نقول : أعطاه من المواهب ما لا تعقلونه . وهل عرفتم  
ما يصح أن يعطيه الله عبده المقربين وما لا يصح ؟ وهل ثبتت عندكم تلك الحدود التي  
لا يصح لله أن يتجاوزها مع عبده ؟ وهل كان الإتيان بعرش بلقيس قبل أن يرند  
الطرف مما يقدر عليه البشر في نظركم ؟ وهل كان رد عين فتادة رضى الله عنه وقد سألت  
على خذه فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فردها إليه فكانت أحسن عينيه - مما يقدر  
عليه البشر في رأيكم ؟ وهل رؤية عمر بن الخطاب أسارية وجيشه ببلاد المعجم مما يقدر  
عليه البشر ؟ وهل إسماعه صوته وهو بنهاوند مما يقدر عليه البشر ؟

وهل قول بنى إسرائيل لموسى عليه السلام : « لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك »  
مما يقدر عليه البشر ؟ الى غير ذلك ، وهو طويل عريض ، أم الخوارج كلها من هذا

القبيل لا يقدر عليها البشر في العادة، ولكنه يقدر عليها بإقدار الله إياه؟ وهل تقيسون الأرواح على الأشباح؟ وهل عرقت نواويسها وما تنتهي إليه، أم ذلك قياس الغائب على الشاهد كما قلنا؟ فهو قياس مع الفارق، بل مع ألف فارق. وهل إذا رأيتم بنى إسرائيل يطلبون من عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص تقولون إن هذا مما يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتم النبي يضرب جبل أحده ويأمره أن يثبت ولا يتحرك، تقولون إن ذلك يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتموه يأمر الشجر فيمتثل أمره، ويخذ الطريق خدا، تقولون إن ذلك مما يقدر عليه البشر؟ وهل إذا رأيتموه وقد نبع الماء من بين أصابعه قلتم إن ذلك مما يقدر عليه البشر؟ إلى غير ذلك مما جاء في الصحيح، ولا يمكنكم المكابرة فيه.

على أن لنا أن نقول: إن كل شيء متدور للبشر بالدعاء، فالأقرب إليه البشر بالذات يستطيعه بالدعاء، فالفاعل في الحقيقة هو الله لا غيره، والذي يستغيث بالنبي مثلاً لا يريد منه إلا هذا. وقد عرفنا أنه صلى الله عليه وسلم يستغفر لنا بعد موته، كما في الحديث الصحيح: (حياتي خير لكم) الخ. وقد بينا صحته بلا مزيد عليه في العام الماضي. ويمكننا أن نتوسع في هذا المقام كثيراً، فسماع الموتى وإدراكهم لاشك فيه لمن يؤمن بالله وما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال السيوطي في منظومته:

سماع موتى كلام الخلق قاطبة      جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وقد قدمنا أن ابن تيمية نفسه ذكر أن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان والإقامة في زمن الحرة من قبره صلى الله عليه وسلم. وأما جعلهم هذا عبادة وعبادة غير الله كفر، فهو من مجازاتهم الشنيعة، فإنهم إذا فهموا أن كل تعظيم عبادة، أو كل طلب عبادة، فقد برهنوا على جهلهم، فإننا رأينا إخوة يوسف قد سجدوا ليوسف، والملائكة قد سجدوا لآدم، وليس هناك شيء أبلغ في التعظيم من السجود، فإذا

ليس التعظيم شركاً لذاته مهما بلغ أمره . ولو كان ذلك وصفاً ذاتياً له لوجب ألا يفارقه .  
فالتعظيم لا يكون عبادة إلا إذا كان معه اعتقاد الربوبية .

وأما الدعاء الذي يتمسكون به ويستدلون عليه بمثل قوله تعالى : ( فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) إلى آخر الآيات الكثيرة التي نزلت في المشركين ، فطبّقوها على المسلمين ، زاعمين أن الدعاء عبادة وعبادة غير الله كفر ، فهو تلبيس لا ينبغي أن يصدر إلا من غاش أو جاهل ، فإن الدعاء مشترك .

فإذا قالوا : إن كل دعاء عبادة ، ردّ عليهم قوله تعالى : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) ( رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ) ( وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) إلى غير ذلك ، وورد عليهم أنهم يدعون الأمير والوزير ، فهذا دعاء لغير الله ، فيلزمهم على هذا الفرض أن يكون ذلك شركاً ، وأن يكون الدعاء في تلك الآيات بمعنى العبادة ، وهو ما لا يقوله أحد . وإن قالوا : إن الطلب من غير الله كفر ، وهذا هو العبادة ، لزمهم كفر العالم كله . ولا معنى هنا للفرق بين الحى والميت ، كما أوضحناه ، فلا يقول إن مجرد الطلب من غير الله عبادة إلا من لا يدري ما يقول . وإن قالوا : إن الطلب من الأولياء والأنبياء هو الكفر لا غير ، قلنا : إن هذا هو محل النزاع ، وهذه هي الدعوى التي لم يقم عليها دليل ، بل قام على بطلانها ألف دليل .

وإيراد الآيات النازلة في حق المشركين العابدين لغير الله لا معنى له ولا غناء فيه ، فهل نظفر منهم بعد ذلك بشئ من الإلصاف ، حتى يرحوا هذه الأمة المسكينة ، فلا يكفروها ولا يستبيحوا دماءها ؟ إنى أشك في ذلك ، ولا أكاد أتوقعه ، واسكننا نكتب لغيرهم ، خشية أن يتخذوا بترهاتهم وضلالاتهم .



والخلاصة أن هؤلاء، يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بل هم أقل من ذلك، فإنهم يقولون ما لا معنى له ولا مستند فيه، تلبيساً على العوام الذين هم كالأطفال يمكن كل أحد أن يأخذهم إلى ما يشاء.

ولنختم مقالة هذا بما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه :  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذى الخويصرة التميمي : « إن من ضئضىء هذا أوفى عقي هذا — قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وفي بعض الروايات : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه ، هم شرار الخلق والخليقة ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء » الحديث . وفي رواية أخرى :  
 سيخرج في آخر زمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

وعند مسلم من رواية عبد الله بن أبي رافع : يقولون الحق بألسنتهم ، لا يجاوز هذا منهم . وأشار إلى حلقه . وفي رواية عنده أيضاً : « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فإياكم وإياهم » ورواه بإفظ آخر فقال : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » وجاء في وصفهم كما في بعض الروايات عند أبي داود وغيره : أنهم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى فيه عرق ولا مفصل إلا دخل فيه . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت فيهم .

فجزى الله نبينا أفضل ما جازى نبيا عن أمته ، لقد بلغ ونصح ، وأدى الأمانة حتى تركنا على الخنيفة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلها لك . وهذه الفرق الضالة لا يزال يتجدد شرها ، ويتفاقم أمرها الى يوم القيامة . ففي بعض الروايات أنه سيكون آخرهم مع الدجال ، وهم ميتوس منهم ، لحديث البخاري أنهم يعرفون من الدين ثم لا يمودون فيه .

وبعد : فهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون .

وكل ما يقوله الكذوب يزول بالتحقيق بل يذوب  
ولنقتصر على هذا ، ففيه مقنم وكفاية  
برصف الرجوى  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## ان من البيان لسحرا

كان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر عالما جليلا ، وخطيبا مقوها ، وشاعرا مجيدا . كتب الى بعض إخوانه :

أما بعد : فقد طاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبني جفاء ، من غير جريرة ، فأطعني أولك في إحائك ، وأياسني آخرك عن وفائك ، فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك أطراحا ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف أو افتراقنا على اختلاف ، والسلام .

## متى يستيقظ المسلمون لدينهم؟

لقد استحوذ الجلود على المسلمين، واستكانوا للراحة، وشملهم الكسل، حتى تقدمت الأمم وتأخروا، واستيقظ الناس وناموا. تركوا كل طريق نافع من طرق العلم والعمل، بينما أصغر الأمم قد نهضت تبحث في شئونها وما يربقها علميا وعمليا، حتى تتخذ لها مكانا بين الأمم الحية.

غير أن أحدا لم يكن يظن أن تصل الحال بالمسلمين إلى الغفلة عن دينهم، وهو الداعي إلى الحق، والموصل للسعادة. ولكن للأسف الشديد غفل المسلم عن دينه، وعن الاسترشاد بقرآنيه، وهذا هو علة تأخره وتقدم غيره.

ترك المسلم الأخذ بأداب الإسلام، حتى أصبح بعيدا عنها، وأجنبيا منها. نسي المسلم قواعد دينه واستهان بها، ولو أنه تمسك بما دعا إليه الدين من خلق حسن، وتباعد عما نهى عنه من خلق قبيح، لما كانت تلك حاله، ولما تقدم الناس وتأخر!

سها المسلم عن تعاليم دينه فجهلها، وظن لجهله أن الخير كل الخير في تقليد الأجنبي فقلده، وليته قلده في أخلاقه الحسنة، وفي تمسكه بمبادئه وقوميته، ومحافظة على دينه وآدابه، ولكنه قلده في الضار دون النافع، وفي القبيح دون الحسن.

بهرته بهارج المدنية، واستولت على نفسه، حتى ظن أن المدنية في عام التدن، ولوندير، لعلم أن المدنية لا تسمو إلا بالدين، وأن الفخر والجاه والمروءة، إذا لم تتمصم بالدين فهي هباء، غالى بعضهم في ذلك حتى ساءت حاله، وكان من أثر ذلك أن وهت قوة الدين في نفوس البعض من الناس، حتى وصل الأمر إلى أسوأ الأحوال،

وأصبحوا - إلا الخاصة منهم - في غيابة من الجهل بدينهم ، ساهين لاهين عن تعلمه ، وعن الأخذ بأوامره ، حتى ضرب الجهل يجرانه فيهم ، وأخذهم من كل مكان . فالأغنياء منهم يقذفون بأولادهم في بعض مدارس التبشير ، ويتمذرون في ذلك بأن معاهد الترية في القطر تعلم البيئة التي لا تتناسب وأوساطهم ، والمتوسطون من الناس يقلدونها في ذلك ، والجميع غافلون عما نجم وينجم من هذا الشقاء المستور بثوب السعادة ظاهرا ، وما هو إلا تماسة وبؤس ، وغم وهم ، وبلاء وشقاء ، فإن الناشئة هم رجال ونساء المستقبل ، فإذا نبثوا على الجهل بالدين ، وعدم المعرفة به ، ضاعت أخلاقهم ، ولا أمة دون خلق ، ( وإنما الأمم الأخلاق ) .

غفلوا عن هذا وجهلوا أو تجاهلوا ما ينشأ عليه الطالب في هذه المدارس ، وما يتلقاه فيها من بعض التعاليم التي تنافي دينه وتبعده عنه ، حتى ساءت العقبي ، وأصبح حديث الدين بين بعض أبناء الأمة وبناتها ، حديثا ثقيلا على الأسماع ، يمرضون عنه ولا يستمعون اليه . والويل لمن دعا الى أمر ديني ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر . الويل له ، لأنه في نظرم الفاسد جامد بعيد عن ( اللياقة ) وعن الذوق ، جامد يتكلم بالشيء العتيق ، ويدعو الى الشيء البالي القديم !

ينشأ الطالب في بعض هذه المعاهد ، على جهل بدينه ، لأنه لا يتلقى تعاليمه ، ولا يستمع لنصائحه وإرشاداته وأصحاب هذه المدارس لا يراعون كرم الضيافة ، فيقسمون الطلبة على الإتيان ببعض العبادات في غير دين الإسلام ، وهي من غير شك تبعدهم عن دينهم . ويتلون عليهم المطاعن في دينهم ، وفي رسولهم عليه الصلاة والسلام ، وهم لعدم معرفتهم بأصول دينهم وما عليه رسولهم ، لا يبالون بهذا ، ولا يمتنعون عن سماعه ، ولا يعترض آباؤهم عليه ، إما لجهلهم ، أو لأن الاعتراض لا يحديهم ، لأن المدرسة حين البحث نجحت .

يتلقى الطالب في هذه المدارس تعاليم الكنيسة ، وتعاليم « متى » أو « يوحنا » ولا يعلم من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً ، لأنه تعلم الأول دون الثاني . ولوفقه هؤلاء الذين يرسلون أولادهم لما ينشأ عن صديقهم من المفسد ، لما أباحوا لأنفسهم إرسال أولادهم الى هذه المعاهد بحال . ولكن ما الحيلة والكثير من بعض الطبقات أصبح بعيداً عن العلم بالدين ، جاهلاً بتعاليمه ، ومن جهل شيئاً عاداه ؟! ولو أن هؤلاء الذين يرسلون أولادهم التفتوا لما عليه حال غير المسلمين من تمسك بالدين ، وقارنوا بين حال الكنائس وحال المساجد ، لفضت عليهم مروءتهم ونحوتهم بالابتعاد عن هذا الصنيع السيء .

لو تأمل المسلم في شأن غيره ، فهو لا شك عالم بعد قليل من النظر أن تسليم أبنائه لهذه المعاهد لا نتيجة له إلا أن يكونوا غير متدينين بالدين الإسلامي ولو نظر في الناشئة لعلم أن روح الدين قد فقدت منها ، فلا عبادة لله ، ولا حياة من الناس .

انظر الى شبابنا في الطرقات ، في المشارب ، في الملاهي ، في المقاهي ، تجدهم مكدمين يتراحمون بالمناكب . وانظر الى محلات العبادة ، وهي المساجد ، فإنك لا تكاد تظفر إلا بالطقيف من هذه الجوع الحاشدة ، وما سبب ذلك إلا الاسهانة بالدين ، لأنهم لم يتعلموه ، فلم يتمكن في نفوسهم . انظر إلى الشباب في أكثر المحلات العمومية ، تجد البهرجة والزينة التي لا يحلها دين ، ولا تسمح بها مروءة ، وكل هذا من فقد العامل الديني في النفوس :

إن هذا الفساد العام لا سبب له إلا جهل غالب الآباء والأمهات بالدين ، فأنزل — وهو المدرسة الأولى — خلو من الإرشادات الدينية ، ومن تاريخ النبوة ، وما قام به السلف الصالح من فضائل الأعمال . فالطالب يعلم من تاريخ « بابليون » الكثير ولا يعلم من تاريخ الرسول إلا القليل . والطالب يعلم من تاريخ « لوثر » وغيره من رجال أوروبا

الشيء الكثير، ويجهل الجهل كله فضلاء الرجال من المسلمين. فعمرو وفتوحاه، وعلى وقفازة، وعمرو بن العاص وما كان عليه من سياسة، والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من كبار الرجال مجهولون لدى أبنائنا، ولدى الكثير من آبائهم.

سل ولدك أو أخاك الصغير عن العبادات، وأنا واثق من أنك لا تجد جوابا، إذ لا جواب لمن لا يعلم. سل ابنتك التي تذهب إلى مدرسة الأمريكية مثلا عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن السيدة مريم، تلقها عالة بالثانية دون الأولى. ادع من شئت من الناشئة إلى القيام بأمر من أمور الدين كالصوم مثلا أو الزكاة، وانظر بعد هذا ماذا يكون الجواب. أنا واثق بأنك لا تجد سميما لنصحك، ولا مجيبا لندائك:

نشأ كل هذا من تكوين الناشئة على عدم المعرفة بالدين، وعدم تعليمهم حتى أصول العقائد، ومن زجههم إلى معاهد تعلمهم تعليما يبعد بهم عن الرشد، ويدعوهم إلى الغي. هل كنت تسمع أو تظن أنك تسمع أن مسلما يغير دينه ويتبع عن طريق الحق إلى غيره، لو لا ما نحن فيه من هجران للدين، وجهل بوصاياه وما دعا إليه؟ هل كان يدخل في روعك أن مسلما حقا ومؤمنا صدقا يهجر دينه ويتمسك بدين سواه لو أننا أُرشدنا الناشئة وغير الناشئة إلى أصول الدين ومحاسنه؟ وهل كان يكون من الممكن أن نسمع ما نسمع الآن من أن ابنة زيد تنصرت وأن ابن عمرو خرج إلى دين غير دين الإسلام حاجة كلٍّ إلى المال؟

لو كان المسلمون معتصمين بدينهم آخذين بقواعده، أكان أحد يتوهم حصول هذا؟ لو قام المسلمون بما أمرهم به الله من زكاة في المال: يواسون به الفقير، ويسدون به خلة المحتاج، ويكفون إخوانهم سؤال الغير والذهاب إليه، أكان يدخل في الوهم أن مسلما يغير دينه للمال؟

لو أن المسلمين تواصلوا بينهم بالحق، فأعان أقوياءهم ضعفاءهم كما أمرهم الدين،

أكان يدخل في الوهم أن يستحوذ منور، مهما كانت صنوف تقريره على مسلم، فيجعله يبدل دينه؟

لو أن غالبية المسلمين تعلمت الدين وعلمته أبناءها، وتعلمت وعلمت أبنائها أو أوصر الحنيفية السبعة، وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلق وشيم وآداب وسجايا لا يسمو اليها فرد في الوجود من الممكنات، أكان يكون الحال ما ترى أو بعض ما ترى؟

لو استرشد المسلمون بحكمة دينهم واستيقنوا الإيمان وعلموا من شأن المسلمين ما لم يعلموه، أكان يكون تلك حال المسلمين؟ لو تذوقوا حلاوة الإيمان واستمذّبوه، ووقفوا على ما لاقاه المسلمون في سبيل المحافظة على الدين من الشدائد، هل كان يبدل المسلم دينه، إذا علم أن دينه يدعو إلى الخير وإلى الاعتماد على الله دون سواه، وأن الله هو الذي يرزق الناس، وقد كفل الرزق لعباده (وأن التفاوت في الأرزاق من السنن الكونية) وأن على الشخص أن يحد في طلب الرزق، وأن يعمل وأن يتمد على نفسه بعد الله، حتى لا يكون عاطلاً عالة على غيره يتكفف الناس؟

هل كان يبدل المسلم دينه لو عنى المسلمون بشئونهم كبيرها وصغيرها، فأنفقوا أموالهم ابتغاء رضوان الله، ففتحوا الملاهي، وأنشئوا التكايا، وبنوا المدارس وجلسوا عليها شيئاً من تلك الأموال المتضخمة في المصارف، والتي يصرف أغلبها في سبيل الهوى والملاهي، التي لا تعود بفائدة على الشخص ولا على الأمة؟

هل كان المسلم يفكر في تغيير دينه ولو ظاهراً، إذا وجد من الخاصة من يرشده إلى الطريق القويم والعراط المستقيم، فيعلمه أن دينه هو الدين الحق، وأن ما يدعى إليه هو الباطل، وأن دينه يدعو إلى التوجه نحو إله واحد، مستقل بالخلق والرزق، والإشياء والإسعاد، وأنه يرى، من الإشرار، فلا أحد سواه بخالق، ولا أحد غيره برازق، وأن

الرسول عليه الصلاة والسلام هو المرشد الأعظم، وهو خاتم الرسل والأنبياء، جاء بشرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. جاء بمكارم الأخلاق، حاضاً على الفضيلة، ناهياً عن الرذيلة، داعياً إلى التعاون، ناهياً عن التخاذل؟ وهل كان المسلم يغير دينه ولو ظاهراً، لو أن المسلمين لم يتواكلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقاموا بتلك الفريضة ولو لاقوا في سبيلها الأهوال؟

لو عني المسلمون بواجب الأمر بالمعروف وقاموا بالدعوة إلى الرشد والنهي عن الغي مثل ما قام سلفهم الصالح، لكانت الحال غير الحال. ولكن وأسفاه علينا، فإن كثيراً من الناس قد بعد عن تعلم الدين كما قلنا. وارتكسوا في الجهل به ارتكاساً هو أشبه بالجاهلية الأولى.

فواجبنا الآن هو الدعوة إلى الاسترشاد بالدين حتى ينفذ الناس إلى الشرع، ويثوبوا إلى أحكامه. وحسبنا التماذي في الترك، فقد بانت المغيبة، وظهر ظهور الشمس أن ترك فضيلة الأمر بالمعروف أوجب ما نحن فيه الآن وما نشكو منه.

وحبذا لو أن الحكومة السنية ضاعفت عدد الوعاظ حتى يكثروا عددهم في المدن والقرى؛ فنحن الآن أحوج ما نكون إلى هذا، لأن العدو ليس على الباب حسب بل في وسط الصفوف، فإن لم يتدارك المسلمون الأمر كان الخطب مدلهماً. فلنكثروا من الوعاظ الدينيين. وليرشد كل منهم ما أمكنه إلى العمل بالحق، وقول الصدق، وتبيان أصول الدين ومحاسنه، ومزايده وفضائله.

ولنعتمد جميعاً إلى الدعوة إلى الدين كما كان يدعو السلف الصالح. ندعو إلى ما كان عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من حسن الشيم وعظيم المكارم، ونبيّن أن من أعماله أنه قام بالدعوة وحده، حتى ملأ السكون نوراً، وعمت هدايته الخلق في المشرق والمغرب. نعلمهم أن ذلك المبعوث الأعظم لم يترك فضيلة إلا دعا إليها، ولا رذيلة



إلا نهى عنها ، وأن من اتبع دينه وأخذ بما دعا إليه كان له الفوز الأعظم ، ومن نأى وأعرض باء بالخسران المبين . نعلمهم ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من صدق في العزيمة وإخلاص في العمل . نعلمهم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نالوا في سبيل المحافظة على الدين ما لا قبل لهم به ، وأن الرجل منهم كان يُضرب ويعذب ويلقى في الرمضاء وقت الظهيرة ليقول كلمة الكفر فلم يقاها ، وأن البعض منهم مات من شدة العذاب ولم يظفر منه أعداء الدين بمال ، وأن البعض ترك وطنه إلى وطن آخر في سبيل تلك المحافظة على الدين .

نعلمهم أن عزة الدين كعزة النفس بل أقوى ، فكلما يجب على الشخص المحافظة على النفس ، كذلك يجب عليه المحافظة على الدين والذب عنه . نعلمهم أن المال عرض زائل ، وأن الدين هو الباقي ، وأن المرء بدينه ومروءته لا بماله ونشبهه ، وأن من فقد دينه فقد فقد ثروته ونفسه ، وكان شخصا عاطلا من كل فضيلة ، لا ينفع أحدا ولا ينتفع به أحد . نعلمهم أن الدين أساس الفضائل ، وأن الدين وحده كان السبب في العظمة والمجد لأسلافنا ، وأن أبا بكر رضى الله عنه أنفق ماله في نصرة الدين ، وعثمان ابن عفان لم يأل جهدا في نيل الفضيلة بصرف ماله في سبيل الدين ، وأن السيدة خديجة رضى الله عنها صرفت كثيرا من مالها في سبيل الدين وحفظ أصحابه ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينالوا ما نالوه من سؤدد ورفعة يتحدث بها الناس جميعا إلا بالدين ، وتمسكهم بإرشاده وتعليمه ، فقد فتحوا الفتوح وعمروا الممالك بفضل تمسكهم بدينهم الذي هو عماد كل خير ، وأن الدين ليس سلعة تباع وتشترى ، وإنما الدين يقين بالله وإذعان له ، وهو أساس الفضيلة .

نرشدكم إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس جاها ، وكان أعظم الناس منزلة وكان أعظم الناس خلفا . ولم يكن يعنى بالمال ، ولا كان في نشأته كثير المال ، ولم يحتفظ بعدد

بعثته صلى الله عليه وسلم بمال، ولم يجد المال سبيلا الى نفسه الشريفة . وكذلك كان أصحابه : لا يعنون إلا بالفضائل ، ولم يجد المادة اليهم سبيلا ، وقد عظم شأنهم ، وحسن حالهم ، وقد أنام المال بكثرة بفضل الدين والعلم ، والخلق والعمل الصالح . فما كان المال وحده بالذى يكسب مجدا ويكفى لربح فضيلة . وإن من العار الذى لا يماثله عار أن يفكر المسلم فى المال قبل الدين ، أو يفرط فى بعض فرائض الدين للمال ، ومن الخسران الذى لا يشبهه خسران أن يترك المرء دينه للمال لأن ذلك وأد للفضيلة .

فمن هذا الذى سفه نفسه ورضى بخسران الدنيا والآخرة من أجل المال ؟ : وإن الذى يزايل دينه للمال لادين له ، ولا ينبغي لمن ذهب إليهم أن يسروا به ولا أن يفرحوا من أجله ، لأنه تاجر أديان ، فأى شخص أعطاه مالا أكثر كان معه ، فهو عبد المال أين سار وأين أقام ، فلا خير يرجى منه ، ولا فضل يعرفه ، بل هو سلعة تباع فى الأسواق . فمن بذل فيها عطاء أكثر كان له حق الاستيلاء عليها .

نعلم للمسلمين آباء وأبناء ما حاز المسلمون الأولون من الفضائل ، وما ورثوا من مجد بفضل الدين . نعلمهم أن العزة لله ولدين الله ، لا للمال ولا للنوال ، وأن الإنسان الفاضل بدينه وخلقه يواتيه الله بالمال من حيث يدرى ولا يدرى ، بل إن الإنسان بدينه وخلقه يميزه الله على غيره ، ويجعل له السلطان عليهم . وهام أولاء صحابة رسول الله لم يكونوا من أصحاب الأموال ، وقد أفاء الله عليهم المال ، وأعقد عليهم الرزق والعطاء ، وما سكهم الأراضى والدور ، وجعلهم الحكام على الناس ، فكان منهم مع فقرهم فى المال أمراء الجند وقواد الجيوش ، وكان منهم مع هذا الأمراء والوزراء ، ومنهم القضاة والرؤساء ومنهم ومنهم ... الى ما لا قبل للعدد بحصره ، وكل ذلك بفضل دينهم وتمسكهم به ، وجعل المال عرضا غير مقصود . نرشدكم الى ذلك ، ونسرد عليكم من سير الصحابة والتابعين ما فيه من دجر لقوم لا يعقلون ، فضلا عن مسلمين يسترشدون .

نرشدكم الى أن المسلم الحق هو الذى يؤمن بربه إيماناً صادقاً، ويدّعى بأن الله واجب الوجود يجب له كل كمال، وأن من الكمال الواجب لذاته ألا يكون له شريك، وألا يكون له ولد ولا صاحبة، وأنه يتنزه عن أن يحل في جسد، أو يتصل اتصالاً جسيماً بما خلق مهما علت منزلته، وأن الأنبياء والمرسلين كلهم عبيده، وكلهم نشأ بقدرته، ومحتاج في وجوده وبقائه اليه. فميسى مثل موسى وغيره: عبد من عباد الرحمن، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأنه كغيره من بقية الرسل ليس له من الأمر شيء، وأنه وكل الخلق كلهم مفتقر الى الله في وجوده وبقائه، وكل ما أظهره الله على يديه من معجزات فهو بإذن الله وإرادته وقدرته، وأنه لا يقدر على الايمان بأى واحدة منها لولا تأييد الله له، وأن من السخف الذى لا يقبله العقل أنه ابن لله، فلا أبوة ولا بنوة، لأن كل ذلك نقص يستحيل على الله، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه وتعالى عما يشركون، له الخلق والأمر تعالى عما يظنون.

نرشدكم الى أنه لا معبود بحق سوى الله، وأنه تعالى الذى تجب عبادته دون غيره، وأن اتخاذ معبود سواء شرك، إذ لا تأثير لغيره، فالعذراء والمسيح عبدان من عباده، لا ميزة لهما في العبودية عن غيرهما، وإن كان الله قد منّ على المسيح بالرسالة، وعلى والدته بالهداية، وأن من المحال الذى لا يقبله عقل اعتقاد الألوهية فيمن هو محتاج الى غيره، محتاج كغيره للطعام والشراب، وهو ينام حيث ينام الناس، ويصح ويمرض، ولا يستطيع دفع الضر عن نفسه، وهو في ذاته غير باق، بل يفنى ويهلك، وقد وجد بعد أن كان معدوماً، وكان بعد أن لم يكن، وكل هذه صفات تنافي الألوهية، إذ كيف يكون إلهاً من لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه، ومن إذا منع عنه الطعام عدة أيام هلك؟ وكيف يكون إلهاً من يحل العدم ويسبقه العدم؟ وكيف يكون إلهاً من لا يعرف ماذا يراد به؟

إذا عرف المسلم هذا على البساطة لا يكاد يفهم ألوهية لغير الله، ولا يمكنه إجابة داع يدعو به إلى غير التوحيد. وإذا عرف المسلم ما كان من أمر الرسالة والدعوة، وما كان من شأن المسلمين حين البعثة، وإجاباتهم داعي الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث دعاهم إلى ما يحبيهم، وعرفوا أن الخروج من الدين يستوجب الهلاك في الدنيا والآخرة: أما في الآخرة فالخلود في النار، وأما في الدنيا فخرج عن الإنسانية، والبواء بالخسران العظيم، وأن الخارج عن دينه يصبح فاقد الأهلية في كثير من التصرفات، ويترتب على خروجه من دينه أن تبين امرأته منه، وإن عاشرها بعد ذلك فأولاده منها غير نابتي النسب، وأنه مع هذا يحجب السبب والعار لنفسه وعائلته وقرينته.

إذا أنشأنا النشء على معرفة محاسن الإسلام ومزاياه، وأفهمنا العامة ما يجب عليهم الله، وجعلناهم يدركون الحق بأسلوب بسيط لا عوج فيه ولا تعقيد، وأيقظنا فيهم وازع الدين، وسلكنا بهم طريق الحكمة، وأوضحنا لهم ما في عقيدة الإسلام من معارف وما فيها من حكم، وما اشتملت عليه من أنواع الفضائل، لاستيقظ المسلمون لدينهم، وأمننا على الكبير منهم والصغير، ولما استطاع مغرر جاهل من تجار الأديان أن يؤثر فيهم، لأنهم يستطيعون أن يردوا شبه زينه، وأن يكبحوا جماحه بالحجة بفضل ما علموا.

لو رشدنا وأرشدنا لكان لنا من حسن إيمان المؤمنين وصدق إسلام المسلمين ما يجعلنا في مأمن من المحن، وأمان من الإحن، ولباء تجار الأديان بالفشل. بل لو سار المسلمون على الصراط السوي الذي دعانا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، قلقت أو عذمت الجرائم، وأمن الناس على أنفسهم وأديانهم، وأموالهم وأعراضهم، ولما استطاع إنسان أيا كان أن يطلب إلى أحد من الدهماء تغيير دينه أو تبديل عقيدته، بل لما وسعه المقام بينهم، لأنهم بالعلم بما دعا إليه الرسول يعلمون أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لم يدع فضيلة من الفضائل ولا خلقا كريما إلا ودعا إليه ونهى عن ضده. يعلمون أن من اتبع أوامره كان من الناجحين، وأن من حاد كان من الهالكين. وقفنا الله جميعا لما يجب ويرضى

## علة اعراض الشبان

عنه الزواج وعظمها

في الشعوب من يهضم حقوق الزوجة ، ويقسو في عشرتها ؛ وفيهم من تكون إرادته تابعة لإرادتها ، ورأيه ملغى أمام رأيها . وقلما أخلصت المرأة لمن يهضم حقوقها وليس عشرتها . وقلما طاب للرجل عيش مع زوجة تكون كلمتها فوق كلمته . وقلما اغتبط بولد تضعه من لا تحترمه في حضوره فضلا عن غيبته .

أما الإسلام فكان بين ذلك قواما : أنقذ المرأة من أيدي الفريق الذين يزدرون مكانها ، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها ، فقرّر لها من الحقوق ما يكفل راحتها ، وينبّه على رفعة منزلتها ؛ ثم جعل للرجل حق رعايتها ، وإقامة سياج بينها وبين ما ينجس كرامتها . ومن الشاهد على هذا قوله تعالى : ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ عَنَّتَيْنِ دَرَجَةٌ ) فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل . وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يديره ، فأحقهم بالرياسة هو الرجل ، الذي شأنه الإنفاق عليها ، والقدرة على دفاع الأذى عن ساحتها . وهذا ما استحق به الدرجة المومأ إليها في قوله تعالى : ( وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ عَنَّتَيْنِ دَرَجَةٌ ) .

فالإسلام أصلح الصلة بين الرجل والمرأة ، وجعلها بئامن من أن ياحقها وهن ، أو يعلق بها كدر . وبعد أن أحكم صلة الزواج ، وهذب حواشيها ، حث على الزواج ، وجعله من سننه التي يمدّ تاركها من غير عذر ، مستخفاً بما أمر الله .

وإذا نظرت الى أن حكمة الله تعالى قد اقتضت بقاء النسل ، لإقامة الشرائع ، وعمران الكون ، وإصلاح الأرض ، وأن النسل الصالح لا يبقى إلا بالزواج ، رأيت

كيف كان الزواج وسيلة الى تحقيق أمور عظيمة أحب الله أن تكون، وحبب للناس القيام عليها .

وإن كنت من علماء الأخلاق ، ونظرت الى أن هناك فضيلة يقال لها العفاف ، وعرفت أن الزواج مما يمين على التحلى بهذه الفضيلة ، ظهر لك أن الزواج وسيلة من وسائل الفضائل ، وكثيرا ما تأخذ الوسائل حكم المقاصد في نظر الشارع ، وفي عرف الناس .

وإذا نظرت الى النساء ( الجنس اللطيف ) وما فطرن عليه من الضعف وعدم إطفاء الأعمال الشاقة ، شهدت فيهن العجز على أن يهينن لأنفسهن مرافق الحياة ، ويعشن في شيء من الراحة . والزواج يصل ضعفهن بقوة ، ويسوق اليهن جانباً من الهناءة . ولو قصد الرجل كفاية المرأة ما يعينها من مطالب الحياة ، لقصد لعمل يكسبه شكورا ، وترداد به صعيقة حياته نورا .

أوليس الزواج يكسب الرجل رقيقة تخلص له ودّها ، وتشمل منزله برعايتها ؟ ومثل هذه الرقيقة التي تحمل حبه الطاهر ، وتعمل لتدير منزله في غير من ولا تباطؤ لا تتمثل إلا فيمن تربطه بها صلة الزواج .

وليس الزواج صلة مقصورة على الزوجين فحسب ، بل تمتد هذه الصلة من الزوجين الى أسرتهما ، فتكون حلقة واسعة في سلسلة اتحاد الأمة . وللصلات الخاصة ، كالقربة والصهر أثر في التناصر كبير .

والزواج يكسب الرجل ولداً إن يحسن تربيته ، كان له قرّة عين في حياته ، وذِكْراً طيباً بعد وفاته . ومن ذا ينكر أن الولد المذهب من أجلّ النعم في هذه الحياة ؟

فللزواج مصالح تكثر بكثرة ، وتقلّ بقلته ، وتفقد بفقده . وقد عرفت قيمة هذه المصالح ، ومكانها في إعلاء الدين ، وبسط أجنحة العمران ، وتخفيف متاعب الحياة .

ويكنى الإعراض عن الزواج شراً أنه علة خراب الديار ، واليد القابضة لروح العفاف ، والوسيلة الى ابتذال فتياتنا وعيشهن في تعب أو في غير صيانة . فمن واجب من يغارون على الفضيلة ، أو على عمارة الأوطان ، أو على الفتيات المصونات ، أن يعملوا للتعاون على مكافحة هذا الوباء المتفشى في البلاد ، وهو انصراف شبابتنا عن الزواج .

الزواج صلة بين الرجل والمرأة ، تسوق اليه الفطر السليمة ، وتدعو اليه الشرائع الحكيمة . وما زالت نفوس البشر تنساق فيه مع الفطرة ، وتجيّب به داعي الحكمة ، إلا نفوساً لم أسلم فطرتها ، أو عميت عن حكمة خالقها . وقد كانت هذه النفوس المعرضة عن الزواج لعدم سلامة الفطرة ، أو لجهلها بما في الزواج من حكمة ، مغفورة بالنفوس الآخذة بسنته ، العاملة على تحقيق حكمته ، فلم يشعر الناس بالنقص أو الفساد الذي دخل في المجتمع من ناحية أولئك المعرضين عن الزواج .

أما اليوم ، فقد أصبح انصراف شبابتنا عن الزواج في ازدياد ، حتى ظهر في مظهر يندرننا سوء المنقلب ، وما بعد هذا المنقلب إلا الانقراض . فحرام علينا أن نقف أمام هذا الخطر الدام صامتين . وحقيق علينا أن نبحث عن العلل التي أصبحت بها قلة الزواج ظاهرة ظهور للرئى بالعين الباصرة . وعلينا بعد البحث عن هذه العلل النظر في طريق معالجتها ، لعائنا نقطعها من منبعها ، وننقذ فتياتنا ، ونحفظ أمتنا ، ونظهر أوطاننا من خباثت لا تظهر إلا من إعراض الفتيان عن الزواج .

وإذا بحثنا عما يصح أن يكون سبباً لهذه الأزمة الاجتماعية ، وجدناه يرجع الى علل مختلفة .

وأظهر هذه العلل تبرّج كثير من الفتيات تبرج من استولى عليهن الهوى ، ونضب من وجوههن ماء الحياء ، حتى استوى في هذا التبرج الممقوت بعض الناشئات

في بيوت غير فاضلة ، وبعض المترددات على مدارس لا تعنى بتلقين الفضيلة ، ولا يؤاها أن تذهب الفتاة في الخلعة الى غاية قصوى .

وهذا المظهر الذي ظهر به كثير من فتياتنا اليوم ، قد جعل الشاب يحجم عن الزواج مخافة أن ينساق الى قرينة تستخف بجانب الصيانة ، كما تستخف به هؤلاء السافرات المهتمكات .

وليس هذا الخوف بحق ، فإن البيوت المحتفظة بالحشمة ، الآخذة بأدب الصيانة غير قليلة ، بهتدى إليها كل من يبتغى الحياة الطاهرة ، ولا سيما فتى لا يمينه من الفتاة إلا أن يرتاح قلبه إذا نظر إليها ، ويأمن على عرضه إن غاب عنها .

وإذا أردنا معالجة هذا التبرج الذي أوجس منه الشبان خيفة ، فإن تبعته تعود الى أولياء هؤلاء المتبرجات ، إذ لم يأخذوا في تربيتهن بالحزم ، ولا في الرقابة عليهن باليقظة . فمن طرق مكافحة الإعراض عن الزواج ، مقاومة هذا السفور القاضى على كرامة فتياتنا ، وإرشادهن الى أن الصيانة خير من الابتذال ، والحياء أجمل من الصفاقة . وأى صفاقة أكثر من أن تُقَاب الفتاة وجهها في وجوه الرجال :

ومن علل قلة الزواج ضعف العقيدة الدينية ، فإن الايمان بما ينال الفاسق من الخزي والشقاء ، يقر النفس على العفاف ، ويقطع تطامعها الى ما ليس بحلال ، فلا يبقى له إلا الاستمتاع بالزواج المباح . أما مزلزل العقيدة ، فلا يجد في نفسه حرجا من أن يطاق لشهوته العنان ، ويتقلب بها في بيوت الدعارة ، وذلك ما يصرف قصده عن الزواج وهو يستطيع الزواج .

وإذا أردنا أن نعالج هذه العلة ، فإن أكبر جانب من تبعة ضعف العقيدة يقع على المتولين لتربية النشء ، حيث لم يعملوا لتلقينهم العقائد الصحيحة تلقينا يجمعها راسخة رسوخ الشجرة الطيبة : أصلها ثابت ، وفرعها في السماء .



فعلاج هذه العلة أن نسعى لأن يكون نشؤنا على تربية دينية صحيحة ، والدين هو الذى يزكى النفوس ، فلا ترى القبيح حسنا ، ولا الخبيث طيبا .

ومن علل قلة الزواج تشوّف كثير من الشبان للاقتران بذات ثروة ، وذوات الثروة اللاتى يقبلن على التزوج بالشبان المقلّين غير كثير . فهل لأساتيد التربية وخطباء المنابر ، أن يلقوا للنشء نصائح فى الزواج ، ويوجهوا نفوسهم الى الناحية التى تنجى منها راحة البال ، وانتظام الحياة ، ودوام العشرة ، وهى طيب منبت الزوجة ، وسماحة أخلاقها ، وسمو آدابها ؟ ! وأريد بطيب المنبت أن تنشأ فى بيت يرعاه ذو غيرة وحزم وإن كان قوت أهله كفافا ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة <sup>(١)</sup> » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك <sup>(٢)</sup> » . !

وانظروا كيف عنيت الشريعة الإسلامية بوصف الكفاءة بين الرجل والمرأة ، ومن وجوه الكفاءة أن يكون حال الرجل من جهة المال والحسب مناسبا لحال المرأة من هذه الجهة . وإنما عنيت بالكفاءة بين الزوجين ، وجعلت المال من مقوماتها ، لأن أمر الزواج لا ينتظم فى غالب الأحوال إلا أن يكون الرجل محترما فى عين المرأة ، وشأن المرأة أن لا تحترم من يكون أقل منها مالا أو حسبا ، فلا يجد منها المعاشرة التى يودّ دوامها ، ولا يطعم أن تطيعه بالمعروف ، فيكون صرناح القلب للاقتران بمثلها .

وقد يكون سبب الإعراض عن الزواج اتساع رغبات النساء فى صنوف الملابس والمآكل والفرش ، ونحوها من أمتعة البيوت ووسائل الرفاهية ، حتى صارت كل طبقة تنظر الى ما فوقها من الطبقات ثروة ، وتجتهد أن تحاكيها فى الترف ومظاهر الأبهة .

(١) صحيح الامام مسلم . (٢) رواه الامامان البخارى ومسلم .

فإن صممت الفتاة على حكاكة الأسر التي هي أوسع غنى وأمنى ثراء من أسرة زوجها ،  
فإما أن تجد من الزوج غفلة أو ضعف إرادة ، فترهقه بما تقترحه من النفقات إرهاقا ،  
ومصير من ينفق من غير سعة الفاقة والافلاس ، وإما أن يقابل مقترحاتها الخارجية  
عن مستطاعه بشئ من الحزم والنظر في العواقب ، فينفق بمقدار ما يسعه كسبه . وهي  
بعد هذا إما أن تخرج الى الفراق ، وإما أن تبقى مع زوجها الخازم في حالة من ترى أنها  
مبتلاة بهذا الزواج الذي لا يفي بجميع رغائبها . وماذا ترى في عيشة صاحبين يعتقد  
أحدهما أن صحبته للأخر قد جرت عليه شقاء ، وإلى عيشه كدرا ؟ فهل يقطعان مسافة  
الحياة في شئ من الراحة والصفاء ؟

أما التي تعود الى رشدتها ، وتقتنع بالرزق الذي يسوقه الله تعالى الى زوجها ،  
فأمثالها في هذا العصر — ولا سيما الناشئات في المدن — غير كثير .

قد يكون هذا المرض الخلقى المتفشى في فتياتنا أحد الأسباب التي صرفت الشبان  
عن الزواج ، لأن الشاب يخشى أن يكون نصيبه بمطالبتها وما تشتهيه نفسها في حدود  
المعروف ، فإما إن ترهقه عسرا ، وأما أن تسلب ثوبها من ثوبه جانحة للفراق ؛ وإما أن  
تبقى معه على غير مودة خالصة . وإذا لم تخلص المودة بين الصاحبين ، فلا تسلب عن  
كثرة ما يدور من مناقشات ومنغصات .

ونحن لا تنازع في أن اتساع رغبات النساء في شئون الحياة قد تجاوز حد المستطاع ،  
ولكننا لا نسلم أنه نزعة عامة ، وطبيعة لا تتحول ، حتى تتخذ منه للشبان الذين  
لا يقبلون على الزواج معذرة ، بل ترى أن اتساع الرغبات الى الحد الذي يثبط عن  
الزواج إنما هو شائع في طبقات الناشئات في ترف ، أو من يتصلن بهن ولم تسبق لهن  
تربية نافعة . أما الأسر التي تعيش في حالة اقتصاد وفيها أثارة من تهذيب ، فإن  
فتاتهم تقنع بما يسره الله لزوجها من رزق ، ولتغبط بحسن خلقه ومودته وبذله الوسع

في إنعام بالها، غير ناظرة الى ما تقصر عنه يده من الأشياء الزائدة على الضروريات والحاجيات . وليست هذه الأسر المهذبات بقليل ، فلو وجه الفتيان همهم الى لذة الحكمة والعلم ، وعرفوا أنهم يحدون مع الفتاة المهذبة من راحة الضمير والتفرغ لاكتساب المجد ما لا يجدونه مع الفتاة الواسعة الرغبات ، لكان لهم في مصاهرة تلك الأسر الفاضلة ما يجعل ضمائرهم في راحة ، وعيشهم في هناء .

فمن يُبلغ شبابتنا هذه الحقائق ، ليعلموا أن إعراضهم عن الزواج قتل لفضيلة العفاف ، وحرمان للأوطان من نسل طيب ، وإطفاء لمصابيح الحياة الاجتماعية الراقية . ولا أراهم بعد أن يعلموا هذه الحقائق وهم عشاق الفضيلة ، والغيورون على المصالح العامة ، والعاملون لحياة الأمة ورقبها — إلا أن يطهروا نفوسهم من محاكاة الإباحيين في الإعراض عن الزواج وهم يستطيعونه ، فيكونوا بتوفيق الله تعالى أيدياً بانية لا هادمة ، ومصالحة لا مفسدة : ( إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا أُسْتَطِيعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) .

محمد الخضر حسين

## البلاغة في الایجاز

قال رجل لعمر بن العاص : والله لا تفرغن لك ! قال : هنالك وقعت في الشغل . فقال له الرجل : كأنك تهددني ، والله لئن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرة ! فقال له عمرو : وأنت والله لئن قلت لي عشرة لم أقل لك واحدة !

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه : والله لا سببك سباً يدخل القبر معك ! فقال الصديق : معك يدخل لامع .

وقيل لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السجستاني حتى رحناك . فقال عمرو : إياه فارجعوا .

## تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله

( أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ  
مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى )

---

يُخِيلُ إِلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ الْعِلْمَ قَدْ قَضَىٰ عَلَى الْعَقِيدَةِ بِوُجُودِ الْخَالِقِ ، وَيَلُوكُونَ  
عِبَارَاتٍ اقْتَضِيَتْهَا مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ، مِنْ كِتَابَاتٍ مَلْحَدَةٌ الْقُرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ ، أَمْثَالُ  
بُوخَرٍ وَمَلْدَرٍ وَجِيْبِيلَ ، وَمِنْ كُتُبِ الدَّارَوِينِيِّينَ ، يَثْبُتُونَ بِهَا دَعْوَاهُمْ .

نعم : صدرت كتابات كثيرة في مدى القرنين : الثامن والتاسع عشر ، في أثناء  
الغشوة التي أصابت بعض رجال العلم والفلسفة ، من انتصارهم على أوتوقراطية رجال  
الدين في أوروبا . وقد غلبا بعضهم إلى حد إنكار المحسوس من أعلام الكون المنصوبة  
لهداية العقول إلى الحقيقة ، فحولوا جميع هذه الأعلام إلى ما يوافق أهواءهم الإلحادية ،  
فاستاقوا الجماهير أمامهم إلى مثائه الإلحاد ، غير مباليين بنتيجة هذه المغامرة على نظام  
الاجتماع ، وناموس الأخلاق . فافتكت النفوس من شكائهما الأدبية ، وتسكمت  
في عالم الإباحة ، غير مبالية بالغاية التي تتأدى إليها ، مدفوعة بهذه الدوافع الشهوانية .  
وقد اجتازت هذه النزعات من الغرب إلى الشرق ، بحكم اتصالهما العلمي والفلسفي ،  
فجمعت نواجم هذه الفتنة ، وشرع بعض المتسرعين يعلنون إلحادهم في مجالسهم الخاصة ،  
وعمد كتابهم إلى نشره من طريق الدس في كتاباتهم ، يحدوهم إلى ذلك ما يتخيلونه من  
أن ذلك هو الطريق الوحيد لتخليص مواطنيهم من حالة الجلود التي يتخيلون أنها نتيجة  
طبيعية لعقائدهم الوراثية .

جهلٌ مميب بحقيقة العوامل الاجتماعية، وخطط كبيرين العلل الأدبية، وطيش لا يفتقر لرجال نصبوا أنفسهم لقيادة العقول في الحياة المدنية .

ونحن في هذه المجلة نجد أول واجباتنا تعقبهم في مزاعمهم هذه، للتدليل على خطئها ولحماية العقول الحائمة حولهم من الانخداع بما يقدمونه إليها ، من هذا الغذاء الضار بكيانها .

وإنما نسلك الى هذا الغرض من طريقين : (أولهما) نقل ماردّبه أهل البصر من العلماء على مروّجة الإلحاد في أوربا، و(ثانيهما) تعقب أذنانهم هنا فيما يدسونه من هذه السموم القتالة ، لحماية النفس من تسربها إليهم .

كتب العلامة الفرنسي (لوجيل) في كتابه (العلم والفلسفة) يناقش الماديين في ذات أصولهم المقررة ، ويثبت لهم أنها لا تؤدى الى النتائج التي يودون استنتاجها منها ، فقال :

« العلم يستسلم أحيانا لإنكارات وشكوك تزغتنا ، ولكن للعلم مسانير لا يسير لها غور ، فهو يكتفى بالألفاظ كلما لم يجد سبيلا للنفوذ الى سرائر الظواهر المحسوسة .  
« تكثر الكيمياء من ذكر الألفة الكيميائية (أى الميل الذى هو بين بعض الجواهر وبعضها الآخر لاجداث مركبات جديدة ) . أليست هذه الألفة قوة فرضية غير مدركة بالحواس كالحياة والروح ؟

« الكيمياء ترجع الى الفيزيولوجيا أصل الحياة ، وتأبى عايتها أن تشتغل بها ، ولكن المذهب الذى نحوم حوله الكيمياء هل فيه ظل من الحقيقة ؟ هذا الأصل الحيوى لا يدرك ليس فى ينبوعه فحسب ، ولكن فى نتائجه أيضا . فهل يستطيع الإنسان أن يتأمل قليلا فى القوانين المسماة بقوانين (برتلو) مثلا ، دون أن يدرك بأنه حيال سر لا يسير غوره ؟

« وإذا اعتبرنا ظاهرة بسيطة من ظواهر الألفة الكيميائية ، وأشرنا على هذا الليل الذي يدفع بعض الذرات الى بعض آخر ، فراها تتباحث ثم تتضام ، بعد تخلصها من المركبات التي كانت تحويها ، أليس في هذا ما يحير العقل ؟

« كلما أنعم الإنسان في درس العلوم من وجهتها المعنوية ، زاد اعتقاداً بأن ليس في العلم ما يمنع من اتفاهه مع أبعد الفلسفات العقلية مرمى . العلوم تحلل العلاقات ، وتأخذ القياسات ، وتكتشف النواميس التي تنظم عالم الظواهر ، ولكن لا يوجد ظاهرة واحدة مهما كانت نافية لا تضعها العلوم حيال أمرين ليس الأسلوب التجريبي عليهما من سبيل . ( أولهما ) أصل المادة التي تغيرت بواسطة تلك الظاهرة الطبيعية . و ( ثانيهما ) القوة التي استدعت هذه التغيرات فيها .

« نحن لا نعلم ولا نرى إلا الظواهر والقشور ، أما الحقيقة والعلّة فتأنيان أن تنكشف لنا . وإنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التي أفاعيها قد تحللت بالعلوم المختلفة ، صادرةً من قوة أولية أبدية واجبة الوجود ، مصدر كل حركة ، ومركز كل عمل . إذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة نظهر لنا الحوادث الطبيعية ، والكائنات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة إلهية . »

وقال العلامة الكبير ( كاميل فلا مريون ) الفلكي في كتابه ( الاعتقاد بالله من النظر في الطبيعة ) واسمه الحقيقي في عبارة المؤلف ( الله في الطبيعة ) :

« إذا أعلننا أن جميع أنواع النباتات والحيوانات لم تخلق خلقاً مستقلاً على صورة مقدرة لسكل منها ، وذهبنا الى أن هذا التنوع في الصور فعمل قوة متحدة بالمادة ، فهل بمنعنا ذلك من الاعتقاد بوجود عقل خالق ، وبظهور غرضه وقصده في الخليفة ؟ ألسنا نكون متعمدين عدم التدبر بعين البصيرة إذا رفضنا اعتبار هذه القوة الملازمة للمادة نتيجة عقل مدبر لها ؟ ألسنا نكون عمياً إذا رفضنا الاعتراف بهذه الدلائل الناطقة على وجود عامل قادر أزلي في الكون ؟

« إن الزعم بأن الخليقة تتكون بذاتها وترقى بطبيعتها في أعمالها على اتجاه ثابت نحو نتائج متدرجة في الكمال ، يعتبر كنصف اعتراف بأن هذه الطبيعة مقودة نحو الكمال بسبب عاقل .

« كيف يعقل أن الطبيعة الميتة تفكر في أن ترتب على التعاقب في صور نباتية ثم حيوانية ثم إنسانية ، وأن تكون هذه الأعضاء التي تؤلف الكائن الحي ، وتكون مليئة بمحفظ الحياة في خلال العصور ، وأن تبني هذه الأجهزة لهذا الكائن الحي ، ليكون في اتصال مستمر بالأشياء المغايرة له ؟ بأي اتفاق مدهش تكونت هذه الأعضاء يسيراً يسيراً ، لأجل اتصال المؤثرات الخارجية إلى الجسم ، ثم ارتبطت هذه الأعضاء بالبح المدرك الذي هو وحده يفهم ويحكم ؟ وكيف اتفق أن تكون هذه الأعضاء على أكل حالة من البناء والتركيب ؟ وكيف حدث أن أكثر الأجهزة كمات ولم تأت عادمة الجدوى ، أو فاسدة الصنعة ؟ وكيف نستديم الأجسام الحية أنواعها بالتوالد وحفاظة لكل صفاتها ؟ ولماذا كانت الخليقة مؤلفة من أجناس وأنواع وفصائل ؟ ولماذا يستطيع العقل الإنساني أن يرتب هذه الكائنات في مجموعها ترتيباً مؤسسا ، ويحد فيه نظاما عاما ؟ ولماذا لم تكن الطبيعة مجموعا من الكائنات المشوهة ؟

« إنهم يجيبونك على كل هذه الأسئلة بقولهم : إن علة ذلك ناموس الانتخاب الطبيعي ، فتراهم يفسرون جميع المسائل بتكرار قولهم : إن الطبيعة مدفوعة إلى الترقى المستمر ، وإنها تدع الخبيث وتأخذ الطيب ، وتميل دائما لأن توجد الصور الكاملة .

« نعم : ولكن هذا الليل للأمام ، وهذا الترقى الطبيعي ، وهذه الحاجة إلى الكمال ، ما هي إن لم تكن عمل قوة عامة تقود العالم نحو غاية عالية ؟ وما هو هذا التدرج من جميع الكائنات نحو التكمّل إن لم يكن مظهرا واضحا لعامل يعلم أين يوجه سفينة الكون ؟ وكيف يقودها عامل لم تستطع المادة الخاضعة له أن تقيم أمامه أقل العثرات ؟

الى أن يقول :

« إن فوق كل الاستحالات الممكنة للكائنات ناموسا لا يتحول ، يفود التطورات الطبيعية منذ بدء تكون الأنواع الأولية المريقة في السذجة من لدن المصور الأولى لوجود الأرض ، على ما حققته الجيولوجيا والبالونولوجيا ( أى علما طبقات الأرض والحفريات ) . هذا الناموس هو ناموس الترقى الواضح الذى لا ينكر أثره في سلسلة الأنواع المتعاقبة من أول الحيوانات الرخوة الى الإنسان . كيف يمكن أن ينكر على هذا الناموس أنه مقود بعقل مدير ؟ أليس يمثل غرضا ومقصدا ، وقانونا مفروضا على الطبيعة برمتها ؟ نحن نربأ بكل عالم بطبقات الأرض والأحافير ، وبكل طبيعى أن ينكر هذا القانون ! » إن العقل الخالق المدير الذى ندعوه ( الله ) هو إذن للمدير الأزلى الأبدى ، والقدرة الصحيحة العامة ، المؤلفة للوحدة الحية للعالم » انتهى .

وقال الفيلسوف الكبير ( أدوارد ملن ) الانجليزى كما نقله عنه الأستاذ ( كاميل فلامريون ) :

« يجب أن يدهش الإنسان لما يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست إلا نتائج الاتفاق والخطب ، أو عبارة أخرى : نتائج الخواص العامة للمادة ، وأثر تلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الأحجار . وأن إلهامات النمل وأسمى مدركات القوة العقلية الإنسانية ليست إلا نتيجة عمل القوى الطبيعية أو الكيماوية التى بها يتم تجمد الماء ، واحتراق الفحم ، وسقوط الأجسام . إن هذه الافتراضات الباطلة ، بل هذه الأضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى ، قد دحضها العلم الصحيح دحضاً ، فإن العالم الطبيعى لا يستطيع أن يقول بها أصلا . وإذا أطل الإنسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة ، يسمع بعناية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ، ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية » انتهى .

محمد فريد ومجدي



## الدين والدنيا معا

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)

مما يأخذه علماء الاجتماع على أكثر المتدينين أنهم يقصرون في التبسط في الماديات ، ولا يتناولون منها ما به استصلاح معيشتهم ، واستكمال حاجاتهم . بل من الأديان ما صرف الناس عن الماديات جملة ، إما ذهابا منها الى الطرف المناقض لما عليه المترفون ، ليثوب الناس الى الاعتدال ، كما يعالج الأخلاقيون المصاب بالسرف بلزوم الإمساك المطلق ، والممنون باللهم بالحمية المتطرفة ، وهلم جرا ، لتذوق النفوس فضيلة الاعتدال فتعول عليها ، وإما تضليلا من قادة الأديان للناس ، ليركوا ما بأيديهم ليستأثروا هم به ، وفي تاريخ الأديان أمثلة كثيرة لهذه الأضرين .

ولا ننسى أن الدين في ذاته يحجب في الزهد في الدنيا ، والانصراف لأموال الآخرة إيثارا لما هو خير وأبقى . ولقد كان لتغالي بعض الأمم في هذه النزعة أثر كبير في تأخير النهضة الاجتماعية ، وخاصة بعد أن تخلصت أوروبا من الوصاية الكهنسية ، واندفعت في طريق استكمال الوسائل العلمية والاقتصادية ، فزاحت الأمم المقصرة فيها على ما يدها ، فكان ذلك موجدا لموامل جديدة في جودها .

فإن كانت توجد أمة يقبها دينها من مثل هذا الجود المادى ، فهي الأمة الإسلامية ، لأن دينها يدعوها للاهتمام بحاجاتها المادية ، ويحثها على العمل لدينها ، استكمالاً لوجودها العالمى الذى يستدعى أن تكون منهما مثلاً أعلى للأمم فى الأرض فقال تعالى : (وَأَبْتَغِ رِغْمًا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُفْسِدِينَ) وأمر المسلم أن يقول في دعائه: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة  
حسنة» وقال تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ  
أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ).

وحثت السنة النبوية على استغلال الأرض وإحياء مواتها، وعلى السعي على المعاش  
من جميع الوجوه المشروعة. وصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ادخار المال  
ليس فيه بأس، فقال: «ما أدبت زكاته فليس بكنز» أي إذا أدبت زكاة ما لديك من  
الذهب والفضة، فلا يعتبر ادخارك لهما كنزا ينطبق عليه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ  
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).  
وكان أبوذر الغفاري قد رأى أن ادخار المال غير جائز شرعا، وأشاع ذلك في المؤمنين،  
فشكاه معاوية الى عثمان رضى الله عنهما، فنفاه الى الرتبة يقبم فيها بعيدا عن الناس،  
حتى لا يفتتن بمذهبه المسلمون، فيقصرُوا في أمور دنيائهم.

ولسنا نكتفى بهذه الأدلة النقلية وإن كانت بالغة أقصى غايات التدليل العلمي،  
فإن أماننا دلائل عملية ليس في وسع أي مكابر أن يتردد في قبولها، وهي ما بالغة الأمة  
الاسلامية من تأسيس مدنية حاصلة على جميع المقومات الروحية والمادية، فأقامت  
بإزاء كل أصل قيم بثته في الأرض صرحا عاليا من صروح التكميل المادي: من تمصير  
الأمصار، وإقامة المباني، والذهاب في استخراج كنوز الأرض الى أقصى ما تبلغه  
القدرة البشرية، حتى إن كتبهم في الزراعة واستخراج المعادن والانتفاع بها تعتبر الى  
اليوم من أنفع الكتب وأولاها بالعناية. وأعمالهم في الصناعة وترقية فنونها، وفي التجارة  
وتذليل عقباتها، تعد من مفاخر الأمم التي كان لها حظ من خلافة الله في الأرض.  
وإذا كان لا بد من الاستئناس بأقوال المؤرخين الأجانب في هذا الشأن، فإننا نقدم  
للقارئ طوقا منها تأييدا لما نقول:

قال العلامة (دراير) في كتابه (المنازعة بين العلم والدين): «إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية، أي بعد موت محمد (صلى الله عليه وسلم) بست سنين، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى كانوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانية، ومقدرها قدرها الصحيح»

الى أن قال: «ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى خرجنا عن حدود هذا الكتاب، فإنهم قد رَقُّوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم»

ثم قال: «الفلكيون العرب قد اهتموا أيضا بتحسين آلات الأرصاد وتهذيبها، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال، والساعات المائية، والسطوح المدرجة الشمسية، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض.

«أما في العلوم التجريبية، فقد اكتشفوا الكيمياء، وبعضها من محلاتها الشهيرة: حمض الكبريتيك، وحمض النتريك، والكحول.

«استخدم العرب علم الكيمياء في الطب، لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات، والأقرباذينات، واستخراج الجواهر المعدنية.

«أما في علم الميكانيكا، فإنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة.

«أما في الايدروستاتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية، وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابحة، والغائصة تحت الماء.

الى أن قال: «إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر (تأمل) الذي نالته الصنائع على عهدهم، فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري

والتسميد، وتربية الحيوانات، وسمن المنظمات الزراعية الحكيمة، وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن . وقد انتشرت المعامل والمصانع ( تأمل ) لكل أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذنبون المعادن ، ويجرون في عمائها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها .

وقال العلامة الدكتور (جوستاف لوبون) الفرنسي في كتابه (تعدن العرب) ما يأتي :

« العرب مع ولوعهم بالأبحاث النظرية لم يهتموا تطبيقها على الصنائع ، فقد اكتسبت علومهم اصنائهم جودة عظيمة جدا . وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك ، فإننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم ، واستخرجوا منها السكبريت ، والنحاس ، والزئبق ، والحديد ، والذهب ، وأنهم برعوا جدا في الصباغة ، ومهروا في صقل الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع قد برعوا براعة لم يلحق لهم شأ وفيها إلا أن ( فتأمل ) .

وقال العلامة (سديو) في كتابه (تاريخ العرب) : « كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون والصنائع . وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوروبا ، فكانوا سببا تهضمتها وارتقاؤها » .

وقال العلامة (دراير) المتقدم ذكره :

« أول مدرسة أنشئت للطب في أوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بالرم) (عاصمة سيسيليا) من إيطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في أشبيلية بإسبانيا . ولو أردنا أن نستقصى نتائج كل هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رفوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم » .

يرى القارئون من كل ما مر أن العرب الأولون قد انجهموا بحافز من دينهم الى طلب العلم ، منذ احتلالهم الاسكندرية ، تحت قيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأنهم اندفعوا في هذا التيار لا توفية لشهوات عقولهم فحسب ، ولكن ليطبقوه على العمل ، ويزيدوا به مادة المدنية الفاضلة التي تقتضيها خلافة الله في الأرض ، مصداقا لقوله تعالى : ( وَاعْتَدِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) وقد وفوا بما نذبههم الله اليه من الاضطلاع بهذه المهمة ، فأسسوا ملكا لم ينبغ لأمة قبلهم ولا بعدهم الى اليوم ، وانتهت اليهم الرعاية الدائمة في كل ماله صلة بالإنسانية من أخص نواحيها وأعمها . فنحن لا ندعو الأمم لشيء جديد ، وإنما ندعوهم للقيام على سنة أسلافهم الذين عملوا لدينهم ودنياهم معا ، جريا على أوامر دينهم . فإن كان قد قصر بعضهم في العمل لدنياهم ، فإتما فعلوه لانتشار روح أجنبية عن الإسلام فيهم ، على أيدي دعاة يجهلون أسرار الدين ، وسنن الاجتماع معا .

محمد قنبر ومجدي

## ابن المقفع يصف صديقاله

وصف ابن المقفع صديقاله ، فكان مما وصفه به قوله : كان لي أخ أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم إلا بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم . وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قال بز القائلين . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لا يشكو وجمعه إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبيا إلا أن يرجو عنده النصيحة . وكان لا يتبرم ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا يفتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولي ، ولا يخص نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحياته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقها ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل ، خير من ترك الجميع .

# الفتاوى والأحكام

ورد إدارة المجلة الاسئلة الآتية ، تنشرها مع اجوبتها فيما يلي :

## سماع القرآن من الراديو

نرجو الإفادة عن حكم قراءة القرآن ، والآذان ونحو ذلك في الراديو ، مع أن ذلك يسمع في محلات الملاهي ونحوها من الأندية التي تحتوى على ما لا يليق .

## الجواب

إن الذى يُسمع من الكلام بواسطة الراديو هو كلام المتكلم وصوت القارئ ، وليس صدى كلمات كالذى يسمع في الجبال والصحارى وغيرها ، وعلى هذا يكون المسموع من الراديو قرآنا حقيقة . فتى كان القارئ جالسا في محل غير ممتن ، وكان في قراءته مراعى ما تجب مراعاته ، مستوفيا شروط القراءة ، وليس في قراءته خلل ، كانت قراءته جائزة ، والمسموع منه قرآنا سماعه جائز ، ومثاب عليه . أما إذا لم يستوف الشروط كأن جلس في محل ممتن ، أو أخل بشروط القراءة ، أو قصد من قراءته اللهو واللعب ، فلا تجوز . ولا يضر القارئ — متى كان مستوفيا الشروط ، مراعى أحكام التجويد ، وكان على الوصف الذى قدمنا — أن يسمع صوته في محل لا تجوز القراءة فيه . وعلى السامع أن يستمع ، وإذا وجد من يشوش نهاء عن التشويش . ومثل القراءة غيرها في أن المسموع هو نفس المتكلم ، فإن كان مغنيا ، فحكمه حكم الغناء ، وإن تكلم بما هو مباح ، فحكمه الإباحة ؛ وإن تكلم بمحرم ، كان ذلك حراما . والله أعلم .

## تحديد النسل

وورد أيضا على إدارة المجلة سؤال يتضمن طلب بيان الحكم في تحديد النسل .

### الجواب

إن تحديد النسل خوفا من العيلة والفقر غير جائز ، لأن الله سبحانه وتعالى كفل الأرزاق لعباده . وإن في قوله تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ) وفي قوله تعالى : ( وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ) ما فيه الفناء لمن آمن بالله عن التفكير في مسألة الأرزاق . ومن علم أن مال الله غاد ورائح ، وأن الغنى قد يصبح فقيرا معدما ، والفقير المعدم قد يعسى غنيا موفورا الغنى ، لم يشك في أن الغنى والفقر من العوارض التي تتبدل . ومن علم أن الفقير قد يولده أولاد منهم من يكون ذا ثروة عظيمة يستفيد منه شعب بأسره ، لا يرتاب في أن تحديد النسل خوفا من الفقر أو عدم القدرة على الإنفاق غير جائز . ومن أدرك المنفعة التي يجنيها المرء بل والأمة من الأولاد ، والمنافع التي تترتب على كثرتهم وما ينجم عنها ، مما أقله دفع يد المدوان عن الأمة ، لا يعتوره ريب في عدم الجواز . على أن ذلك التحديد قد يؤدي الى عقم المرأة ، فتندم ولات حين مندم . وقد يعتمد الشخص الى تحديد نسله ، فيمدد الدهر على ولده أو أولاده ، ويكون قد تقدم في السن ، فتعتوره الحسرة والندامة .

وعلى المجلة فمسألة تحديد النسل خوفا من الفقر أو العيلة لا تجوز ، ولا يصح أن تكون مدار بحث ديني . أما الأحوال التي تعتور المرأة من أضرار من الحمل أو غير ذلك ، فلكل حادثة حكمها ، وما بالضرورة يتقدر بقدرها . والله أعلم .

### تعليم القرآن بغير تجويد

هل يجوز قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مضبوطة ، وتعليمه لتلاميذ وتلميذات المدارس أو غيرهم بغير أحكام التجويد ؟

## الجواب

ينبغي أن تكون قراءة القرآن وتعليمه على وجه لا يترتب عليه خلل في القراءة، فلا يجوز الإفراط في المد، ولا في إشباع الحركات، كما لا يجوز الإدغام في غير موضع الإدغام. فمن قرأ كذلك أو تعلم كذلك، كانت قراءته وتعليمه صحيحين وإن لم يكن عالماً بأحكام التجويد. على أن مراعاة أحكام التجويد للقارئ وللتعلم مما ينبغي ألا يتساهل فيه. والله أعلم.

## ملابس النساء والرجال

وورد سؤال يعلم من جوابه :

سبق للمجلة أن بينت حكم صوت المرأة، وبينت أن كل بدن عورة، عدا الوجه واليدين. وسبق أن فسرت المجلة آيات الكتاب المجيد المتعلقة بما يجوز إداؤه من الزينة وما لا يجوز، وبيان من هم الأقارب التي يجوز للمرأة الاجتماع بهم، وغير ذلك مما ورد مفصلاً في آيات سورة النور. فعلى السائل الرجوع إليها، ففيها الغناء. أما الخلوة بالأجنبي ولو طيباً، فغير جائزة في أي مكان كانت، بل الواجب أن يكون مع السيدة أحد من المحارم، كالأب أو الأخ أو العم إن لم يتيسر حضور الزوج، أو وجود من وجوده يمنع الخلوة ولو من غير هؤلاء. ولو أن السيدات عالجن أنفسهن عند طيبة، كن ذلك أولى، لأن نظر الجنس إلى الجنس أخف. وقد بينا فيما سبق أن ما بالضرورة يتقدر بقدرها، وأن الضرورات تبيح المحظورات.

أما ملابس النساء فيعلم الحكم فيها مما يأتي :

لا حرج على السيدة أن تلبس الحرير وغيره، كما لا حرج عليها في أن تلبس الثياب بأي لون كانت. ولا حرج عليها في أن تتحلى بالذهب والنفضة، سواء كان ذلك سواراً أو خاتماً أو ساعة. وكل الذي ينبغي هو أن تكون ثيابها غير مظهرة لبدنها، ولا ممثلة



لجسدها . ففى كانت الثياب ساترة غير ممثلة للبدن ، جازت . أما اذا كانت غير ساترة للبدن أو كانت ممثلة له تمثيلا يحلب النظر ، فإنها تكون غير جائزة .

أما الرجال فقد حظرت الشريعة الإسلامية عليهم لبس الحرير فى غير ضرورة ، كما حظرت عليهم التحلى بالذهب والفضة . أما ألوان الثياب فالخطب فيها يسير ، وإن كره بعض الأئمة لبس بعض الألوان . وأجازت لهم التخنم بالفضة لا بالذهب ، نهييه صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب . وكذلك خاتم الحديد والصفرة والنحاس مكروه للنساء والرجال . ويجوز للرجال التمتع بالأحجار الكريمة ، كاللؤلؤ والياقوت ، على شريطة ألا يتحلى بها كتعالى النساء . وعلى الجملة فإن للرجل أن يتمتع فى لباسه بكل ما لم تحظره الشريعة ، بشرط أن يكون ذلك فى حشمة ووقار لا تفتين بالرجال . والله أعلم .

أما البرنيطة ، فلا يجوز لبسها إذا كان القصد منه التشبه بالكفار . أما إذا لبسوها غير قاصدين التشبه بها ، وكان لبسهم لضرورة دفع برد أو حر أو غير ذلك من المصالح فلا إثم فيه . وهذا كله ما لم يوجد من الملابس ما يدل على استخفافه بالدين ، وإلا كفر بالاستخفاف . ومع ذلك فالخير كل الخير فى اتخاذ ما يبقى البرد أو الحر ، على نموذج غير نموذج القبعة ، وهو أمر ميسور . والله أعلم .

## سؤال القبر

هل صحيح أن سؤال القبر سيكون باللغة السريانية ؟ وإذا كان فالحكمة فى كونه بهذه اللغة ؟

## الجواب

إن الدين الإسلامى ورد بسؤال الناس فى القبر ، ولم يقص علينا فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله — على ما أعلم — أن السؤال يكون بلغة خاصة . وغير خاف أن الظاهر المعقول هو أن يكون السؤال بلغة يفهمها المستول . أما أنه بالسريانية أو العبرانية أو غيرها ، فلا أعلم للأئمة شيئا فيه . والله أعلم .

طه مبيب

# الاسلام في نظر بحاثي أوروبا

بقلم البعثة الكبير سنكس

من ترجمة عن المجلد الرومي

« ظهر محمد (صلى الله عليه وسلم ) بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت مهمته هو أيضا ترقية العقول البشرية ، بإيقاظها بالأصول الأولية للأخلاق ، وإصلاحها للاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة . فأحدث في أفريقية وفي الشرق بأسره انقلابا دينيا يشبه الانقلاب الذي أحدثته تعاليم عيسى في أوروبا . ولكن ذلك الانقلاب لم يتم بمجرد الكلام ، والأمثلة الحسنة ، واحتمال الأذى والجد ، بل حدث بمجديد المقاتلة الذين تحمسوا لعقائد الإسلام وآدابه التي حمها إلى النبي الملك جبريل (١) .

« بعد أن أمضى محمد سنين في الحياة التأملية أعلن الأفراد المخلصين له بأنه سيقوم بنشر دين الله ، ويحمل إلى الناس سعادة هذه الحياة وسعادة ما وراءها من الوجود الثاني ، فتصداه قومه في مكة وهددوه بالقتل ، فلجأ إلى قرية سميت منذ ذلك الحين بالمدينة ( مدينة النبي ) ومن تاريخ هذه الهجرة يؤرخ المسلمون .

« لما توفي النبي كان ملكه الذي عاصمته مكة قد تم تأسيسه ، ولم يمض إلا قرن بعده حتى كانت جميع شعوب البلاد العربية وشمال أفريقية من أول مضيق هرمز إلى شواطئ المحيط الأطلسي خاضعة للراية الإسلامية .

---

( ١ ) يريد البعثة الفاضل أن يقول : إن المسيحية انتشرت بالكلام والامثلة الحسنة الخ والإسلام انتشر بالسيف . والحقيقة أن الإسلام هو الذي انتشر بالافتتاح والامثلة الحسنة ، لأنه لا يعقل أنه انتشر بالسيف قبل أن تكون له دولة ورجال ، والمعروف أن المسيحية ظلت بلا دولة حتى تولى أمبراطور الرومان كوستنطين في القرن الرابع ففسرها بالحديد والنار .

« فكانت أسبانيا قد تم فتحها ، وأغار المسلمون منها على فرنسا ، ولم يصدم عنها إلا مطرقة ( شارل مارتل ) دوق الفرنكيين الشديد البأس ، فإنه وقف تقدمهم في بواتيه سنة ( ٧٣٢ ) .

« فلم تناسب ديانة محمد عقول الشعوب التي تكوّن نواة أوروبا الحالية ، فإن الشعوب اليونانية الرومانية التي كانت لا تزال متأثرة بأساطير الوثنية الشعرية ، لم تستطع أن تفهم دعاية غاية في البساطة والصرامة ، ولا تتملق لقوة التصور . لهذا السبب عينة أدخلت المسيحية الى جوهرها بعض الطقوس من الأديان القديمة ، وبعض العقائد التي كانت سائدة في المملكة ، بعد أن أحدثت فيها شيئا من التغيير . وغير ذلك فإن المسيحية وحدها تستطيع بتركيبها القوي ، وبسلطانها وتأثيرها على العقول ، أن تساعد بقوة على جمع الشعوب المغيرة المختلفة الجنسيات ، وعلى إبقائها في الأراضى التي فتحها .

« لما وقف الشرق في فتوحاته دخل الى عهد جديد من الحياة الفكرية ، فارتقت الآداب والصنائع والعلوم ارتقاء عجيبا . فبينما كانت أوروبا تتخبط في غياهب القرون الوسطى ، كان المسلمون قد وصلوا الى درجة من المدنية عالية بالنسبة لما كان موجودا منها ، وأكبر العرب المتعلمون على ترجمة كتابات الفلاسفة والعلماء الأقدمين ، وأسسوا في بغداد وقرطبة جامعات علمية ومدارس ، حفظوا بذلك جميع المعارف الإنسانية ، وزادوا في مادتها ، تلك المعارف التي لم تصل الى أوروبا ولم تدرس فيها بطريقة عامة إلا في عهد النهضة المعروفة . »

ثم أتى الكاتب على وقوف النهضة الإسلامية في القرن الخامس عشر بسبب تعاليم ضالة تسربت الى الناس وأسباب أخرى ، ثم خرج من ذلك الى نفى بعض ما يعاب على الإسلام في نظر بعض المتمعنين ، من مسألة القضاء والقدر ، ودل على أن في المسلمين اليوم نهضة قوية لاسترداد مجدهم ، مما هو معروف . ثم ذكر القرآن الكريم فنقل عن العلامة بارتلي قوله :

« قال المسيو ( بارنابي سنثيلير ) : « إن القرآن قد بقي أجل أثر للغة التي أنزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الانساني . وهذا الأمر يفسر التأثير العظيم الذي أحدثه هذا الكتاب على العرب الذين اعتقدوا بأن محمداً في معارفه الساذجة لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب ، وأنه لابد من أن يكون قد أملاه عليه الملك جبريل » .

« وقد كان محمد يؤكّد بأنه يتلقى معارفه عن الملأ الأعلى . وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب مثل هذه التعاليم العالية الحكيمة المشحون بها هذا القرآن .

« تلك التعاليم هي التي رقت عقول الملايين من الناس ، ولا تزال ترقى كل يوم شعوباً متآخرة ، بأشرابها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية والبيئية . ولن تمضي سنوات قليلة حتى تصبح أفريقيا كلها دائمة للإسلام . والمائة والعشرون مليوناً من المسلمين في آسيا الذين يزدادون كل يوم عدداً لا دلة على حيوية وعظمة ديانة الله ( يريد الإسلام ) .

« لم يأت محمد لكافة التوراة والإنجيل ، فإنه يقول بأن هذين الكتابين قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس الى الحق . وأن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما ، ولكنهما لم يأخذ منهما .

« وقد رفض جميع الرموز والأساطير ، ودعا الى عبادة إله واحد قادر رحمن رحيم ، كما يصفه بذلك في رأس كل سورة من سوره .

« وقد أمر بخمس صلوات في اليوم ، ليضطر الانسان للتخلي عن اشتغالاته المادية لحیظات في اليوم ، ليرتفع في خلالها الى مولاه . وأمر أن لا تجعل العبادة موجهة لأغراض ذاتية ، فإن الله أعلم بما هو أصالح لنا . وقد أوجب على المسلم أن يتصدق بحصة

من إرادته ، وتلك غير الصدقة الاختيارية . وأوجب حماية المرأة بالاعتراف لها بحقوقها البيتية التي كانت غير معترف بها الى عهده : بمنعه أو تهذيبه مبدأ تعدد الزوجات . وحى الأطفال بتحريم قتلهم تخلصاً من إعالهم ، وهي تلك العادة القديمة التي كانت منتشرة . ورعى حق الرقيق : فأمر بماملته كعضو من الأسرة . وقد كان أول من قرر مبدأ المساواة أمام العدالة بين جميع المسلمين ، من أغنى الناس وأقوام ، الى أفقرهم وأضعفهم . وحرم السرقة والقتل والإكراه . ومنع شرب الخمر والميسر .

« وقد أعلن محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن الإنسان حياة مستقبلة فيها عقاب وثواب أبديان ، ولكن رحمة الله تدع آملاً للمذنبين في أن لا تكون عقوباتهم أبدية .

« لقد استهزأ المستهزئون بجنة محمد ، وقالوا عنها أسوأ ما يمكن قوله ، ولكن كل هذه الأحكام الضالة تلتشى متى قرأ الإنسان القرآن .

« ومما هو جدير بالذكر أن المرأة المسلمة تظهر في تلك الآيات ذات مكانة ، فقد صرح بأنها تشارك زوجها في دار النعيم . »

الى أن قال :

« الدين الإسلامى قد أحدث رفياً عظيماً جداً في تدرج العاطفة الدينية ، فقد أطلق العقل الإنسانى من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد ، بين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة ، فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة يجازى فيها على أعماله ، وبإله واحد يمكنه أن يعبد ، ويرتفع بروحه اليه دون أن يضطر لتوسيط وسيط .

« ثم إن محمداً بتحريمه الصور في المساجد وكل ما يمثل الله ، قد خلص الفكر الإنسانى من وثنية القرون الأولى الخشنة ، واضطر العالم بهذه الصورة أن يرجع الى نفسه ، وأن يبحث عن الله خالقه في صميم روحه ، وأن يرتفع اليه عقب ذلك بالعبادة القلبية المملوءة بالاحترام ، والشكر والحب .

« إن الناس لم يلتفتوا للترقى العظيم الذي أوجده الإسلام من الوجهة الأدبية ، فإن ذلك الرقى تحقق بعيدا عنا في أمم اعتدنا أن نصفهم بالبرابرة ، لأنهم ليس لديهم مثل أفكارنا ولا عقائدنا ، ولأنهم متأخرون عنا من الوجهة العلمية والعقلية . ولكن مع هذا كله يجب الاعتراف بأن هذه الحركة الدينية قد ساعدت وتساعد كل يوم لإزالة عقول أمم .

« والاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعظم ما يدركه الانسان عن العلاقات التي يجب أن توجد بين الانسان وخالقه ، وأكثرها انطباقا على الطبيعة والمنطق » انتهى .

محمد فريد وجرى

## اعلان

لحضرات قراء هذه المجلة

بسبب إسناد إدارة هذه المجلة الى عهدتنا نرجو أن يجعل عنوان المراسلات كلها باسمي . وأن يكون عنوان الحوالات والأذونات : ( مدير مجلة نور الاسلام ) دون إضافة اسم اليها .

محمد فريد وجرى

## مشكلة البغاء الى سمي

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبي العيون

للأستاذ المصلح الشيخ محمود أبي العيون جولات في وجوب إلغاء البغاء الرسمي ، بل كان هو أول من طرق هذا الباب ، ونبه إليه بمقالات بليغة طنانة نشرها في الصحف السيارة ، فترددت أصدائها في البلاد ، وأدرك شرف مقصدها ونبالة غايتها القراء ، وكان من أثرها اهتمام الجمهور بهذه المسألة . وكانت الحكومة من ناحيتها قد فكرت منذ زمان في هذه المسألة ، فأصدر حضرة صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا وكيل الداخلية للشئون الصحية استفتاء لأصحاب الفضيلة علماء الإسلام ، ورؤساء الأديان المختلفة ، والجماعات والأفراد الممتازين ، فأجمع الكافة على استحسان إلغاء البغاء ، فتقرر الأخذ بهذا الإجماع . والحكومة الآن تتخذ الأهبة لإلغائه رسمياً . وقد بادرت بعض المديريات بإلغائه فعلاً . وكان قلم الأستاذ الغيور الشيخ محمود أبي العيون أقوم الأقلام حجة ، وأقواها عارضة .

وقد أصدر أخيراً رسالة ضمّنها جوابه على استفتاء سعادة وكيل الداخلية الأمور الصحية ، وهي من أجمع الأجوبة للوجوه التي تحتم إلغاء البغاء ، وأوفاهها بالأدلة على وجوب ذلك . وقد أهداها لملاذمة هذه الأمة وحامى حماها ، حضرة صاحب الجلالة الملك «فؤاد الأول» أطال الله بقاءه . وهي جديرة بأن ترفع الى سدة العلية . فجزى الله الأستاذ كأنها عن عمله خير ما يجزى به المخلصين ، ووفقه للمزيد من خدمة الأخلاق والدين .

# كشف الشبهات

عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات

كتاب يحتوى على حكم إهداء القراءة وسائر القرب للأحياء والأموات من المسلمين ، وهل يصل ثوابها الى المهدي إليهم أولا يصل ؟ وبيان ما يقال ويفعل عند المحتضر قبل الموت وبمده ، وعند القبر ، وما يقضى عن الميت وجوبا أو ندبا مما أوصى به ومما لم يوص ، من دين وكفارة وزكاة وحج وصوم وصلاة واعتكاف وغيرها ، وكل ما ينفع الميت من دعاء وصدقة وغيرها ، والآحاديث الواردة في « قل هو الله أحد » وفي « لا إله إلا الله » وحكم العتاقة الكبرى والصغرى ، وحكم إسقاط الصلاة ، مبينا كل ذلك أنهم بيان ، مع ذكر المذاهب ونحريها ، والآحاديث وتنجيها ، والأدلة وتقريرها ، مما لا تجده مجموعا في كتاب .

هذا ما كتبه بقلمه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود حسن ربيع من علماء الأزهر الشريف في وجه كتابه (كشف الشبهات) الذي تقدم ذكره . وقد وفي الأستاذ بما أخذ على نفسه ، فجمع في كل باب ما ورد فيه من الأحاديث النبوية وآراء الأئمة مما لم يسبق اليه وبكثير السؤال عنه من الناس . وقد أحسن كل الإحسان في ترتيبه وتبويبه وطبعه . أحسن الله جزاءه على خدمته الدينية ، ووفقه لأمثالها في حياته العلمية .  
يباع هذا الكتاب النافع في جمعية النشر والتأليف الأزهرية بحارة الصوافة بالدراسة بمصر . وثمنه ١٥ قرشا .



The Companions of the Prophet and those learned people who followed them continued to interpret the Koran in accordance with what had been authentically cited of the Holy Prophet and in accordance with the usage of the language and their rhetorical style. An era of vast learning and rich literature was initiated by them and it was indeed a great heritage of wonderful philosophy, tolerant laws and pure social codes that they left behind.

But this seemed to be disagreeable to a certain class of men who claimed that the interpretation of the Koran which was revealed in the language of the Arabs, was not given to such men who recited it morning and night but it was entrusted to the like of Mirza Ali, Mirza Husayn, Abbas and Abul-Fadl Al-Garfadkany in order to apply their sophistry and infuse corruption in the interpretation thereof!

In refutation of the Batinists' claim that "The viceregent of Allah is he who proclaimeth Him", Abu Bakr Ibn Al-Arabi says that "The viceregent of Allah is the Prophet who announceth His truth and whom the Lord recalled back to Him and none is infallible after him".

There is a detailed answer in "Fadaihu-Baliniyya" to the claim of the advent of the so-called infallible imam and the ascription of truth to his words only. This infallible imam claimed by the Batinists is the one recognized by the Babists as "Man Yuzhiruhu Allah" (He whom Allah shall manifest).

It is claimed by them that it is him that knows the right interpretation of all that was revealed to prophets. This Persian impostor declares in a book of his that the stories of the Koran are not authentic and says in this connection "It is not not feasible for the historian to derive his historical information from the Koranic verses" and that "The prophets were not precise as far as the historical facts and folklore were concerned. They spoke of what they knew and concealed many facts and truths behind the veil of symbols and metaphors".

The allegation that the Koran contains unauthentic stories symbolic of certain esoteric meanings, has apparently no justification except the wicked intentions which the exponents of such theory conceived against the Holy Koran with a view to cause doubt and scepticism as to its Divine origin.

Indeed no historical or theoretical evidence has up till now been advanced to gainsay the authenticity of a single story given in the Holy Koran. We maintain such authenticity by the verses which point out that Mohammad speaks not out of his own accord. The Moslem historian as well as the history teacher of Moslem youth, derive their historical information directly from the Koranic verses which are in our opinion, more trustworthy and reliable than any account of contemporary events by a historian. This implicit faith could not of course be entertained by those who deny or doubt that the Koran is the word of God unto mankind, and we do not expect the Magians or Babists who doubted the truth of Mohammad's prophethood, to quote in their historical works, events of past generations derived from the Koran.

(to be continued.)

Further on he says : "The divine books themselves declare that the interpretation of its verses into their real meanings shall not be revealed until Doomsday ie. the day of resurrection, the manifestation of God's will and the illumination of the earth's corners by the splendour of God".

Finally he says "It is for this reason that we find the interpretations of the Ulema since the revelation of the Old testament (Torah) up to the revelation of the "Bayan", (1) are trivial, prosaic and bigoted ; nay even misleading, distorted and corrupted".

We would have liked to pass such sophistries over in order to spare our pages the stigma of such heresy and such venomous attack on the Ulema of Islam who have stoutly maintained the truth of their faith against its enemies. But the missionaries of this cult who have succeeded in enticing a few sons of Islam, have had the audacity, to preach their creed in public meetings and in the press. They have even written books which get into the hands young Moslems and we have therefore found it imperative to give a somewhat detailed exposition of their doctrine and beliefs so that Moslems may stand on their guard against them.

The Babists have, in imitation of their co-religionists the Batinists, insisted on this kind of interpretation, so that corruption may find a way into the Koran and the Tradition and cause them to be wrongly understood by interpreting them in a sense which is contrary to the guidance and judiciousness which are meant thereby.

إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البياضى

"Verily We have sent down the Koran whose revelation the unbelievers deny ; and verily We shall preserve it from distortion and corruption".

(Baidawy's Commentary).

The Lord hath revealed the Koran in a clear Arabic tongue and we were told that His Apostle will explain all that was hidden of its meanings, for so the Koran saith :

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البياضى

"We have revealed the Koran unto you that you may explain to men what they were commanded and forbidden to do and make clear unto them things regarding which they are confused".

(Baidawy's Commentary).

---

(1) The Bayan is the book written by Mirza Ali known as Al-Bab.

"When Joseph said unto his father "O my father! Verily I have beheld in a dream eleven stars and the sun and the moon descend from heaven and make obeisance to me".

(Baidawy's Commentary).

Mirza Ali assumes that Joseph is Husayn Ibn Ali, that the sun is Fatima, that the moon is Mohammad, and that the stars are the leaders of truth, all of whom prostrate themselves and shed tears on Joseph!

Abul-Fadl Al-Garfadkany another exponent of Babiism quotes the following two verses in his book "Al-Durarul-Bahiyya".

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"Nay, they hastened to deny the truth of the Koran when they heard it recited for the first time, even before they reflect on its verses and even though they have not yet comprehended its interpretation".

(Baidawy's Commentary).

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ تَسُوهُ  
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"What! have they to wait for the appearance of its truth by the fulfilment of its promises and threats? When its fulfilment shall come, those who were oblivious thereof shall say "Verily the prophets of our Lord did indeed bring the truth".

(Baidawy's Commentary).

He explains that "What is meant by the interpretation of the verses of the Koran is not their apparent meaning or literal sense but the hidden or inner meaning which the words convey by way of metaphor, simile and metonymy".

He then goes on to say that "The Lord has revealed those verses through the media of the prophets but has assigned the interpretation of their meaning and the explanation of the purpose thereof to the spirit of the Lord when it descends from heaven".

He also says "The prophets were only sent to lead mankind to a fixed goal, and general belief on the part of men is considered enough by the prophets until the book attains its allotted span and hearts reach the stage of perfect attainment, then the promised spirit of the Lord will be manifested and the hidden truths be revealed on the memorable day".

In his introduction to the latter book, the author says that he had perused all the books on the Batiniyya and had found out that they comprise two varieties, the one dealing with their history from the very outset, enumerating their missionaries in every country and giving a detailed account of their adventures in distant times and climes.

The other is a detailed exposition of their doctrines and beliefs which were borrowed from the dualists (1) and philosophers and were changed and distorted by the Babists in order to cover up the traces of their origin.

Al-Ghazali explained that he wrote this book with a view to exposing their heresies and as a warning against their sophistic casuistry.

Abu Bekr Ibn Al-Arabi is another who engaged with some of the chief exponents of the cult in debates, an account of which is given in his book "Al-Quasim Wa Al-Awasim".

Ibn Taymiyya also severely criticised and assailed certain sects of the Batiniyya in some works of his.

We have studied the Batiniyya and read a few books of the Babists, and we are convinced that the very spirit of Batiniyya had been transmitted to Mirza Ali and Mirza Husayn Ali and that it came out in a different guise under the name of Babiism or Bahaism.

As the Batinists quote the Koran and Tradition and pervert the meaning thereof such as the interpretation of the pilgrimage to the Kaaba by visiting their head sheikhs, so too do the Babists interpret the Koran and Tradition by such sophistries.

Mirza Ali or El-Bab follows the same instance in giving an interpretation of the verse IV, Chapter XII.

« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن الفيضوى

(1) The followers of the doctrine of dualism, a philosophical term applied to all theories which attempt to explain facts by reference to two coexistent principles. The term plays an important part in metaphysical, ethical and theological speculation.

Metaphysical dualism postulates the eternal coexistence of mind and matter, as opposed to monism both idealistic and materialistic.

In the domain of morals, dualism postulates the separate existence of Good and Evil, as principles of existence. In theology the appearance of dualism is sporadic and has not the fundamental, determining importance which it has in metaphysics. It is a result rather than a starting point. The old Zoroastrianism and those sects which were influenced by it, postulate two contending deities Ormuzd and Ahriman (Good and Evil), which war against one another in influencing the conduct of men. (*Encycl. Brit.*)

They found out that their best plan was to resort to the interpretation of the Moslem Laws so as to convert them into their own doctrines and thereby entice the weak from among the Moslems and sow the seeds of discord among them.

With this end in view, the Batinists cunningly devised a scheme which they carried out in stages :

First, to make sure whether their prospective convert is amenable to conversion or not.

Second, to lure their victims by means of asceticism or profligacy according to whether he is inclined that way or the other.

Third, by scepticism regarding the very principles of religion.

Fourth, a promise from the convert not to divulge any secret of theirs.

Fifth, the claim that their cult is fully approved of by both leading men of religion and laymen in order to entice more converts thereto.

Sixth, making such advances to would-be converts, taking their individual circumstances into consideration, as would secure their approval.

Seventh, reassuring of converts as to the propriety of dropping the physical injunctions such as prayers, fasting etc.

Eighth, the gradual corruption of the beliefs of the Moslem convert and finally the interpretation of the Moslem Law in accordance with their misguided views.

This scheme was adopted as a means of attacking Moslem Religion by many sects professing to be the loyal adherents of the family of Mohammad whereas in reality they did not believe in any prophet or revealed book, nor did they admit the judgment day or the creation of the Universe. They quote profusely the Koran and the Tradition but they distort the meaning thereof and give such renderings as are not meant by the Lord and His Apostle.

Among the Batinists who affect loyalty to the family of Mohammad, are some who claimed prophethood of certain members of that Family as for instance the Ismailites who claim the prophethood of Mohammad Ben Ismail Ben Jaafar. This sect had even gone as far as to presume that there is a prophet for every age until doomsday. Their claims did not stop at that and they further assert the divinity of certain members of the family of Mohammad and claim divinity of Aly, peace be on him, and many others of his sons and grandchildren.

Those who claimed such attributes as prophethood and divinity have often been the cause of untold troubles and afflictions to the Moslem world. The Ulema, on their part, did not fail to rebut their untruths and expose their fallacies. Among those who took up the refutation of their claims, Abu-Hamed Al-Ghazali figure prominently as the author of "Hudjatul-Haqq" in Persian and "Fadaiul-Batiniyya" in Arabic.

Bahau-Allah then embarked on a campaign of propaganda for himself claiming to be "the promised one" whose advent was prophesied by El-Bab.<sup>(1)</sup> Most of the Babists accepted his claims and were thenceforward styled Bahaists. His brother Mirza Yahia styled "Subhul-Azal" (Morning of eternity) was among the dissenters who declined to follow him.

The Ottoman Government then ordered the banishment of the two parties from Adrianople. Mirza Yahia and his adherents<sup>(2)</sup> were banished to Cyprus and Bahau-Allah and his followers to Acre in Palestine where he died in 1309 of the Hijra (1892 A.D.)

His son Abbas called Abdul-Bahai succeeded him as head of the sect. He began to propagate the teachings of the sect and introduce such changes as he deemed fit. These changes did not meet however with the approval of the Bahaists who dissented thereto and turned to his brother Mirza Ali. They wrote books in Persian and Arabic bitterly criticising Abbas and accusing him of deviation from the creed of Al-Bahai.

What are the doctrines held by its founders and their adherents?

Bahaism is by no means a new cult bearing no semblance to other apostatic creeds which served as a foundation on which to establish its doctrines. It is a product of Batiniyya<sup>(3)</sup> and it had borrowed its doctrines from a medley of religions, philosophical and political ideas. It assumed a false show of religion and claimed to be a divine revelation; and were it not for those people who are wont to follow blindly any newfangled idea, it would not indeed have found a single supporter or the least response. We will give in the following pages an exposition of the doctrine of Batiniyya along with an account of Babiism from which it would be seen that Babiism is a direct issue of that wicked doctrine.

The Batiniyya aims at the abolition of the Moslem Law. The origin of this sect goes back to the time when Islam was on the ascendant. A party of the Magians of Persia, fearing the ascendancy of Islam, wanted to interpret its tenets in such a manner as to appear to be derived from the doctrines of their own ancestors. They met and discussed the situation and the glory that was theirs, and they came to the conclusion that it was not possible to overcome the Moslems by the sword on account of their great power and far-flung dominion.

---

(1) The Bahaists claim that El-Bab referred to some one who will come after him and whom they called "Man yuzhiruhu-Allah" (He whom Allah shall manifest).

(2) Those Babists are called the "Azalis". They claim that Yahia is the one referred to as "Man yuzhiruhu-Allah".

(3) A sect which claims that the Holy Koran has an apparent as well as an inner meaning and that the Batinists understand its inner meaning and give the interpretation of the Koranic verses accordingly.

### What is Bahaism?

Bahaism is ascribed to Bahau-Allah (the splendour of God), a title by which Mirza Husayn Ali the second head of the sect was called. The sect is also called Babists and is so styled after El-Bab, a title of Mirza Ali Mohammad who invented the doctrine.

The origin of this sect goes back to Mirza Ali Mohammad who was brought up in Shiraz, South Persia, and acquired some rudiments of knowledge, settling in business later as a trader.

In 1260 of the Hijra (1844 A.D.) on attaining his twenty fifth year, he claimed to be the expected Mahdi. He announced his doctrines and was followed by a few ignorant people some of whom he sent to different parts of Persia to proclaim his advent and propagate his pretensions.

The Ulama's attention was drawn to this propaganda and they rose up against it. Some Walis (governors) arranged for debates to be held between the Ulama and Mirza Ali. On finding out that his doctrine was pervaded with aberration and apostasy, some of the Ulama declared him an unbeliever and apostate. Others on finding out the sophistry and absurdities it contained, attributed them to insanity and the workings of a deranged mind.

He was thereafter imprisoned in Shiraz and then in Asfahan, and in the reign of King Nasir-ud-Din Shah, he was confined by the Persian Government in Tabriz. Disturbances and conflicts between his disciples and the Moslems ensued and bloodshed resulted on animating in his crucifixion in Tabriz by the Government in 1285 of the Hijra (1849 A.D.)

Then came a period in which his adherents disagreed as to his successor until they plotted the assassination of King Nasir-ud-Din Shah to avenge their chief. Two Bahaists attacked the King but the attempt on his life was abortive and the Government began forthwith to hunt the Bahaists down and bring their chiefs to justice before a special court of inquiry.

Mirza Husayn Ali, who was later given the title of Bahau-Allah, was a staunch adherent of El-Bab and an active propagandist of his sect. He was arrested and imprisoned for a few months in Tehran whence he was exiled to Baghdad in 1289 of the Hijra (1853 A.D.)

On realising the grave dangers of this sect and the plots its adherents were constantly hatching, the Persian Government put them under strict and vigilant observation.

Many of them went to Baghdad and there they gathered round Mirza Husayn the self-styled Bahau-Allah. In Baghdad they came into dispute with the Shites, a dispute which well nigh resulted in bloodshed. The Ottoman Government consequently decreed the banishment of the Babists from Iraq and had them transported to Constantinople whence they were exiled to Adrianople.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### BABIISM OR BAHAIISM (1)

---

What is Bahaism? What are the doctrines held by its founders and their adherents? Do they believe in doomsday, heaven and hell? Do they believe in the prophethood of Mohammad on whom be Peace? And if so, how could they believe in a prophet succeeding him and in a religion other than his? What should be done to frustrate their designs so that no one would fall in their snares?

The above questionnaire was sent to us for reply and we give hereafter each question followed by the answer relying for authority, upon the works of the Bahaists (2) themselves and other books (3) written by those who studied their works in Persian and Arabic with a view to exposing their fallacy and as a warning to our Moslem brethren throughout the world against their pernicious propaganda.

---

(1) Translated from the Very Reverend Al-Sayyed Mohammad Al-Khidre Hussain's article in Nour-El-Islam Review.

(2) Al-Durarul-Bahiyya; Book of Abdul-Bahai and Al-Asrarul-Jadid.

(3) Mufidatu-Bahul-Abwab



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامى فى العالم

- ٢ -

إعلان الأئمة العامة بين الشعوب



بعد أن أعلن الإسلام أنه الدين الحق ، وبيّن الأساس الذى يقوم عليه من الفطرة السليمة والعقل الكامل ، شرع فى إحداث إصلاح اجتماعى خطير الشأن ، تستدعيه مدنية فاضلة أراد الله تعالى أن يكون الدين الاسلامى مفتوح عهدا ، وواضع أساسها . هذا الإصلاح الاجتماعى الخطير ، هو دعوة الشعوب كافة الى التآلف امام بين جميع الأجناس .

الاسلام وإن كان لا يخرج فى أصوله الاعتقادية عن الدين الأول الذى أوحاه الله الى جميع الرسل السابقين ، فإن الظروف التى تهيأت له لم تهيأ لغيره من الأديان السابقة عليه ، فقد كان الاتصال بين الأمم على عهد الديانات السابقة من الصعوبة بحيث يتعذر عليها جميعها أن تقوم على دين عام واحد ، حفظ الله هذا الامتياز للدين الاسلامى الذى كان الاتصال على عهده بين الشعوب ميسورا ، وكانت الحكمة الإلهية تقضى بأن يكون خاتمة الأديان حاصلا على جميع المؤهلات والمقومات التى تجعله عاما ، وصالحا لكل زمان ومكان ،

فهل كان العالم عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة الى قارعة سماوية تهيب به

الى كلية جامعة ، والى صيحة علوية ترد المتسكعين في طرق النى الى رشده يقف بهم  
عن المضى في عمايتهم عند حد ؟

هذا سؤال يحسن بنا أن نكل الجواب عليه الى رجل أجنبي ، هو المستشرق  
الكبير الميسو ( جول لابوم ) فقد كتب في مقدمة الفهرست الذى وضعه للقرآن  
الكريم باللغة الفرنسية يصف حالة العالم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم  
جاء منها قوله :

« حوالى ميلاد محمد ( صلى الله عليه وسلم ) كان جو العالم ملبدا بغيوم  
الاضطرابات والفتن »

ثم أخذ يفصل هذا الاجمال منوها بما كانت عليه الأمم من التناحر أمة أمة ،  
ثم خلس من ذلك الى هذه الفذلكة ، وهى قوله :

« خلاصة أن جو العالم الأرضى كان مكفهرًا بسحب الاضطرابات الوحشية  
فى كل مكان ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير .  
وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشد صيحة فى إصلاء نيران الحروب والمعارك . ولم  
يكن يأخذ بعواطف القلوب ، ولا يؤثر عليها تأثيرا حادا ، إلا شىء واحد ، هو الغنم ،  
وسلب الأمم والشعوب ، والمدائن والأعيان ، ورجال الحروب ، وفقراء الخرائين ، حتى  
بسطاء المتسولين . ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع  
الكهنة ، وبعض المبادئ الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب ،  
واتنقلت من روح الى روح أخرى ، بواسطة بعض أصحاب الجرأة من رسل الرقى  
لكانت البربرية أسرع فى خطاها ، مقودة بفطرسه زعماء البهيمية ، واستحالت  
الى وحشية محضة »

ثم قال بعد كلام طويل من هذا الضرب :

« على عهد هذه الأحوال الحالكة ، وفي وسط هذا الجليل الشديد الوطأة ، ولد محمد بن عبد الله في ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ » انتهى .

نقول نحن : ولم تسكن الأمة العربية بأقل من سائر الأمم تفرقا وتناحرا ، فإنها لا نقسامها الى قبائل كانت تؤلف مجموعة من جماعات متعادية لا تعرف للسلام سبيلا ، فكانت جزيرتها ميدانا لحروب جهلت فيها كل ضروب الرحمة والعطف ، حتى كان الرجل يخصف نعله من جلد عدوه ، بعد أن يقتله ويمثل به .

في هذا العهد المشحون بالقلق ، وفي هذا الجو المكفهر بظلمات الفتن ، أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم أن يرفع علم الألفة العالمية العامة ، وأن يضع للناس تحت نور الوحي أساسها ، فنزل عليه قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ خَيْرٍ ) .

كان العرب الذين أنزل بين ظهرانيهم هذا الأصل الكريم من أشد الأمم تباها بالأنساب ، وآساميا بالأباء ، فكانت كل قبيلة تزعم أنها الضاربة في المفاخر بأوفر السهوم ، وقد غلوا في زعمهم هذه الى حد أن جعلوا لإبلهم وخيولهم أنسابا يرفعونها بها على سائر الإبل والخيول ، فما بالك بمن نأى عنهم من الشعوب والقبائل ، واختلف وإياهم في اللون واللسان والتقاليد ؟

ولكن الله الذي أنزل الدين الحق ، بعث خاتم رسله صلى الله عليه وسلم بهذا الأصل الكريم يدعوهم اليه ، وإن استهزأ به المستهزئون ، وصدف عنه الجاهليون ( فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) .

إن مجرد إعلان هذا الأصل الكريم في عالم كل ما فيه يدعو الى الفرقة ، ولا يُعلم في الوحدة ، يعتبر من أدل الأدلة على أنه صادر من رب العالمين ، لأن عقل الحكيم مهما حاق في جو المبادئ الصالحة فلا يستطيع أن يمدو طوره ، فيفكر في وضع أصل عالمي كهذا الأصل ، في وقت تدعو جميع الأحوال الى الصد عن التفكير فيه .

هذه الألفة العامة التي أعلنها الاسلام تعتبر فاتحة لعصر جديد ستدخل فيه الأمم ، ومقدمة لما سيعقبها من الأصول الفرآنية العالمية ، التي قصد بها الى توحيد الجهات والغايات البشرية .

ولا يصح لنا أن نتخطى هذا الموضوع الى غيره دون أن ننبه الى جمال الصيغة الإقناعية ، التي تحلى بها هذا الأصل الخطير ، ككل أصل أعانه الكتاب العزيز :  
بدأ الله تعالى الكلام بندااء الناس كافة الى السماع ، ثم ذكرهم بأصلهم الأول الذي صدروا منه ، تقديم الدليل على الموضوع ، وهو من لب البلاغات الحكمية ، وصميم الأساليب الإقناعية . ومن الذي يشك في أن الناس جميعا — وإن اختلفوا بيئة ولونا ومعيشة — أولاد آدم وحواء ؟

هذا التذكير الذي تخطى كل ما أقامه الناس من الحوائل بين العقول وبينه ، وما أوجدته العادات والتقاليد من دواعي تناسيه وإغفاله ، يحفز النفوس لسماع ما يبتنى عليه من أمر جلال ، فتصغى اليه بكليتها ، فاذا استعدت للسمع تلقته الآية بالعرض من هذا التذكير ، وهو : أن الله جعل الناس شعوبا وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضا ، ويقوموا على سنة النألف والتواد ، والتعاون على تذليل عقبات الحياة ، وتوفير وسائل العمران ، ليكون ذلك ماحيا للتناكر الذي يجر الى الحروب ، ويؤدى الى الدمار . فإن الحرب في العادة سجال ، والنصر دولة بين الناس . وهي إذا كانت للأغراض المادية البهتة أوغرت الصدور ، وملأت القلوب بالسخائم ، واستدعت الانتقام ، وكل هذا يقوض

أركان النظم ، ويحطم صروح الاجتماع ، ويستنفد قوى الشعوب في كيد بعضها لبعض ، وتربص بعضها الدوائر ببعض . وإذا تخيلت عالماً كل ما فيه من الجماعات متأثر بهذا الروح ، ظهر لك كأنه ساحة حرب ، لا يقر فيها السيف في قرابه ، ولا يثوب فيها الانسان الى رشاده ، تجري فيها الدماء أنهاراً ، وتسيل فيها الملح إسرافاً وبداراً . وماذا كنت راثياً لو كانت تبدل هذه الحال المتكررة بألفة عامة بين الشعوب والقبائل ، وسلام يضرب سرادقه عليها جميعاً ؟ أما كانت تتحول قواها الأدبية الى ما خلقت له ، من إقامة صرح الخير العام في العالم ؟

هنا تشعر النفس بسمو هذا الأصل ، شعوراً يكاد يدفعها الى الأخذ به دون أن تردد فيه ، لولا ما يثور فيها من بقايا المصيبة التقليدية ، من ادعاء كل قبيل بأنه الأولى بالزعامة ، والأحق بالكرامة ، محتجاً بأن جنسه أشرف الأجناس البشرية ، وأن من عداه فأجدر به أن يبقى في العبودية ، وأن يحمل له نير التبعية . هنا يتلقاه الأصل الكريم الثاني ، الذي تضمنته هذه الآية الجامعة ، وهي قوله تعالى : ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ) ، أي أخوفكم لله ، وأعملكم بمعابه ، من : العدل ، والإنصاف ، والمساواة ، والوفاء بالعهد ، ومكافحة الشهوات ، والخضوع لسلطان العقل ، والخروج من طاعة الهوى ، والانتداب لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، والتخلق بأخلاق الله ، والاضطلاع بخلافته في الأرض .

بهذا الأصل السامي أصيبت المصيبة في مقتلها ، وجُدع أنف الجنسية من منبته ، وسقطت جميع ضروب الخلافات الاجتماعية الى الحضيض الذي هي أولى به ، فلم يبق ما يمنع أن يعيش الناس إخواناً متعاطفين متكافلين غير ما علق في النفوس من إثار الفرقة ، وأصبح من غرائزها ، بسبب أخذها بعاليم ضالة ، وتقاليد ضارة ، يجب العمل على اجتثاث أصولها ، وتطهير الصدور من آثارها ، وهو الأمر الذي نيط بالإسلام

أن يقوم به ، من طريق بث تعاليمه ، ونشر أصوله ، وتعميم مبادئه بكل وسيلة من الوسائل المشروعة : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

أما وقد انتهينا الى هذا الحد ، فلا نعدم معترضا يشور في وجهنا قائلا : اذا كان الاسلام يدعو كما تقول الى الألفة العامة بين الشعوب والقبائل ، والى السلام الشامل للكافة ليفرغوا الى طلب السكال الشخصى والاجتماعى على سنة التعاون والتكافل ، فلم يعمد الى الحرب فأوقد نارها ، والى البقاع المجاورة لبلاده فطالب استعمارها ، والى الأمم القريبة منه والبعيدة عنه فانساح في بلادها ، وانساب في ربوعها ، فهلا اكتفى بدعوتها الى محبته بالحجة ، والى اكتساب هواها بالإقناع والأمثلة الصالحة ؟

فجوابنا على هذا الاعتراض هو : أن من حكمة الاسلام مشايعة السنن الطبيعية ، ومسايرة العوامل الاجتماعية ، وقد كانت تلك السنن والعوامل الى عهده تقتضى شيئا من القوة ، وإلا بطلت الدعوة وسكنت حركتها ، وزالت ولم تحدث أثرا . ألا ترى أن ديانة عيسى عليه السلام لما فيها من التحريم الصريح للحرب ، قد بقيت أكثر من ثلثمائة سنة في حالة ضعف عام ، حتى إن ملوك الرومان كانوا يقتلون أشياءها تقتيلا ، ويمثلون بأجسادهم وهم أحياء تمثيلا ، ويتعقبونهم في كل مكان ياجأون اليه ، حتى جاءهم الأمبراطور كونستنتين ، وكانت أمه قد دخلت في المسيحية وربته عليها منذ نعومة أظفاره سرا ، فلما تولى الملك استخدم القوة في نشر هذا الدين ، فأمر بهدم المعابد الوثنية ، وأجبر الناس بالحديد والنار على الأخذ به ، فأصبح له من ذلك اليوم دولة وصوله ، ولا يزال الى اليوم راسخ الدعائم في كثير من بقاع المعمورة لهذا السبب نفسه ؟ فلو كان الاسلام قرر الاكتفاء بالدعوة دون استخدام القوة ، لبقى محصورا في جزيرته ، ولتصدى المشركون أتباعه فأجبرهم على تركه . فاذا قدر له أن ينجو

من الحق، كان بمثابة ديانة ابراهيم التي كان يقول بها رجال هنا وهناك من بلاد العرب وليس لهم أثريين الجماعات البشرية .

على أن الاسلام وإن اتخذ أسلحته وعدته للحرب ، فقد لطف من حديثها ، وكسر من شرها ، وحسن من أساليبها ، فجعل لها قانونا عادلا ، ونظاما محكما ، وأمر بعدم الاعتداء فيها . وأكبر ما يسجل له من أمرها أنه لم يشرعها لنيل المغنم ، وفرض المغنم ، ولكنه جعلها وسيلة لنشر كلمة الله بين الأمم ، ولم تشرع أمة قبله الحرب لهذا الغرض قط ، بل شرعها لاذلال الجماعات وسلب ما بيدها ، واجتياح ثمراتها ، والاستيلاء عليها .

ومع هذا فقد وصى الله نبيه بأن يكون مرماه الخير العام في كل ما يحاوله منها ، حتى إذا جنحت الأمم للسلام في يوم من الأيام ، لأي اعتبار من الاعتبارات الاجتماعية ، فعليه أن يلي دعوتها ، وأن يلقى السلاح معتمدا على وسائله الأخرى ، فقال تعالى : ( وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) .

الخلاصة أن هذه الصيحة التي رنت في بلاد العرب تدعو الى التعارف العام بين الأمم لأول مرة في تاريخ العالم ، لا يزال صداها يرن في الآذان ، وقد دفع التطور بالأمم الى محاولة الأخذ بهذا الأصل . فما المؤتمرات التي تعقد لتحديد التسليح ، والعهود التي تقطع على الدول لعدم جعل الحرب وسيلة لنيل مطالبها ، إلا تحقيقا لهذا المبدأ العظيم الذي دعا إليه الاسلام قبل نحو أربعة عشر قرنا ، وله المثل الأعلى في كل ما دعا إليه وعمل عليه ، كما سنبينه تفصيلا في مقالاتنا المتتابعة هنا ، تكميلا لصرح المدينة الفاضلة في العالم كله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

محمد فريد ومجدي

# النفس

## سورة النور

١٨

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَئِشْنُ الْمَصِيرِ).

لقد أرسلت الآي السابقة على المنافقين تلك الصيحة الهائلة التي أزعجتهم، وهتكت سرائرهم، وفضحت ضمائرهم، وألقتهم الحجارة، فلم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم، وأقامت في وجوههم الحجة على نفاقهم، مأخوذة من قبيح أعمالهم، فلم يبق إلا أن يؤمن المؤمنون على نقاء، وأن ينسحب المنافقون عن حظيرة الإيمان مكشوفين مفضوحين. ولما حاولوا استرفضاً تمهم بالقسم على الطاعة رد عليهم بهذا الرد الشديد، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « لا تقسموا طاعة معروفة » الخ الآية .

ولما كان مثل هذا من شأنه أن يدعو إلى التفكير، لاسيما عند قوم هم في دور البناء.



والتكوير ، يهيمهم أن يكثر سوادهم ، وتمكن قوتهم ، ويزداد الإقبال على ما يدعون اليه من هدى الله ودين الحق ، ومن حولهم العرب والأمم تناوئهم وتناصبهم العداء ، فهم بحاجة الى أن يزدادوا وينضم اليهم غيرهم ، وليس من السهل عليهم أن ينتقصوا وينفصل منهم من انضم اليهم ، فلعل خاطرا يهيجس في بعض النفوس قائلا : « لعل الحكمة كانت في أن يبقى أمر أولئك مستورا ، فربما كان في انضمامهم تقوية لعامل القوة وتكثير لسواد الأمة » فجاءت هذه الآية الكريمة مطمئنة لقلوب المؤمنين ، مسكنة لروعهم ، ترف اليهم البشرى السارة التي تفر أعينهم ، ونشد أزرهم ، وثبت عزائمهم . ذلك وعد الله بنصره للمؤمنين ، بل باستخلافهم في الأرض ، وتمكين دينهم ، بتثبيت قواعده ورسوخ بنيانه ، إذ يقول جل شأنه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » الخ . ووعد الله ناجز لا محالة ، وقد ناطه بالإيمان وعمل الصالحات . وقد حقق الله وعده ، فاستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ومكن لهم دينهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

ولا يزال هذا شأن من آمن وقام بحق إيمانه ، وعمل الصالحات التي أمر الله عباده أن يقوموا بها ، فأقام العدل ، وضبط النظام ، ونشر الأمن ، وأخذ الحيطة كما أمر الله سبحانه وتعالى .

والتمكن للدين تثبيت قواعده ، وإعزاز جانبه ، ليرتب على ذلك ثباته واستقراره ، وعدم زعزعته بقيام حجة ضده ، أو وهن البراهين المؤيدة له . وكأنه من التمكن في المكان ، أي الاستقرار فيه ، والسلامة من الزعزعة . وفي إضافة الدين لضميرهم تربية لوجه الامتنان عليهم . كما أن في وصفه بالذي ارتضى لهم تنويعا بشأنه ، وإعلاء لقدره . وقوله : « وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا » فيه طمأنة للمؤمنين ، واقتلاع لجرائم الخوف من أفتدتهم ، ذلك الخوف الذي يلم عادة بقلوب الفئة القليلة إذا تألب عليها

أعداؤها الكثير والعدد، الشديدو البأس والطول . وكان ما يساور بعضهم من الخوف الشديد يدعوهم الى الحرص على تكثير سوادهم ، بالإغماض عما يصدر من بعضهم ، وإن كان كاشفا عن سوء النية ، وفساد الطوية ، ليؤمن جانب أولئك المنحرفين بعض الأمان بكونهم في صفهم ولو بحسب الظاهر ، فجاءت الآية لتثبيتهم ، وتقوية نفوسهم ، وطأ نيتهم على أن الفوز مضمون لهم ، وأن النصر قريب منهم ، وأن هذه المخاوف ستستبدل بالأمان .

ثم ذيل الآية بما يقرر هذا الوعد ويثبته في النفس أبلغ تثبيت ، فقال عز من قائل : « يعبدونني لا يشركون بي شيئا » . وفي هذا الأسلوب البليغ ما يشير الى أن ما وعد به المؤمنون من استخلاصهم ، وإعزازهم في الأرض ، وتمكين دينهم ، وحياتهم بالأمان الشامل ، إنما كان جزاء إخلاصهم لله في العبادة ، وأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئا . أما قوله جل شأنه بعد هذا : « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » فهي لترتيب حكم يأمحه العقل من سابق الكلام ، أي سيكون الأمر على ما ذكرنا من إعزاز المسلمين ، والنمسين للدين ، وتأمين الخائفين ، وحينئذ تنقطع معاذير الضعفاء المترددين ، ويسد باب التضليل في وجوه أولئك الشياطين ، فلا يكفر بعد هذه المظاهر التي أيد الله بها عباده إلا من فسق عن أمر ربه ، وخرج عن حظيرة الهداية ، وصار كأنه وراء دائرة التخاطب المعقول .

وأصل الفسق الخروج عن الدائرة المحدودة المعروفة باللائقة . يقال : فسقت الرطبة ، أي خرجت عن قشرتها التي كانت تحتويها وتحفظها . واستعمال الفسق في العصيان الذي لم يصل الى درجة الكفر استعمال عرفي غير المعنى اللغوي الأصلي المراد هنا .

وقوله : « بعد ذلك » لتقوية الاستبعاد ، أي أن الكفر مع وضوح آيات الهدى لا ينبغي أن يصدر إلا من عدو نفسه : فما بالك وقد تأيدت تلك الآيات بأن

صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز دينه ، وأعلى كلمة أوليائه ، أفينتظر كفر بعد هذا الذي صورناه لك ؟

ثم قال تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحون » :  
يمر مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيرا ، فبعد أن يستوفي أمر الرد على الكافرين ، وبعد أن تقام الحجة في وجه المعاندين ، ويفضح جليا أمر المنافقين المخادعين ، وتبلغ الحجة غايتها وتستكمل نصابها ، يعود الى أم ما يوجه اليه اهتمام المؤمنين ، فيأمرهم بإقامة الصلاة التي هي عماد الدين . وذلك كما يجرى في التخاطب المتعارف ، فإنك تجد هذا الأسلوب كثيرا ما تتساق إليه العقول ، إذ يفيض التكلم في بيان حجته وتقرير دعواه ، حتى يبلغ القصد منها ، ويصبح ولا حاجة له في المزيد على ما قرر بشأنها ، فيقول مخاطبه : ولنعد الى أم ما يعنيننا : إنه يجب أن نعمل ما فيه مصلحتنا ، ونعرض عن الاهتمام بأولئك بعد ما بلغنا منهم ما أردنا .

والصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن أضاعها فهوى لما سواها أضيع . وحسبك في شأنها قوله تعالى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ كُنْهِيَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) .  
ولا يهولك وقوع بعض المنكرات من بعض المصلين ، فما كان عملهم إلا صورة صلاة خالية عن معناها ، وهو الخشوع ، وكال الاستحضار . فما أجدر أمثال هؤلاء بالدخول في قوله تعالى : ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ) .

والزكاة تكاد تلازم في القرآن ذكر الصلاة ، وذلك لأن فيها من كمال الفائدة العائدة على جماعة المسلمين ما يقوى الأواصر ، ويصفي الضمائر ، ويزيل الشحناء ، ويؤكد التراحم والتعاطف .

أما قوله تعالى : « وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » فهو تميم لكل الأحكام التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام . ومن جهة أخرى تنصيص على ما سبق الكلام السابق لتقريره ، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما تحبه النفس وفيما تكرهه ، بل أن تجعل النفس هواها تبعاً لما أمر به صلى الله عليه وسلم ، ولفظ لعل في القرآن الكريم يفيد التعليل المصحوب بالرجاء في جانب المؤمنين . وحاصل معناها : أدوا ما أمرتم به ، فإنه أرجى للرحمة ، وأدنى إلى انتظارها وإحرازها . والتعليل به غير التعليل باللام وكى ونحوهما ، فإن ذلك فيما يكون فيه الارتباط بين العلة والمعلول مطردا البتة ، وأما لعل وعسى فهو تعليل يتصل به أشياء لا بد من توافرها ، كإخلاص النية ومزید التوفيق ، والقبول عند الله عز وجل .

وقوله تعالى : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض » فيه من رفع استبعاد النفوس تحقق الوعد السابق ما فيه ، فكأنهم لما وعدوا بهذه العدة العظمى ، وهى أن يستخلفوا في الأرض بيسط السلطان ، وأن يمكن لهم في الدين بالإعزاز وقيام البرهان ، وأن تزول عنهم المخاوف ويممهم الأمن والأمان ، وكانت هذه المنن بحيث تتطلع النفوس شوقاً إليها ، وتتلطف حرصاً عليها ، والمادة أن يدركها مع عظيم التشوف شيء من الهواجس والترقب ، أزيلت عنهم تلك المخاوف ، وسد في وجهها كل طريق . فالآية السابقة بددت المخاوف من ناحيتهم هم ، وذلك في قوله تعالى : « يعبدونى لا يشركون بى شيئاً » أما هذه الآية ففيها تبديد لمخاوف المؤمنين من ناحية أنه تعالى واسع القدرة ، أى فاذا كنت أنا المهيمن على جميع الأشياء ، القادر الذى لا يعجزه شيء في الأرض ، واهب القوى والقدر ، المزمع المذل ، وكان هؤلاء قد وفقوا لعبادتي لا يشركون بى شيئاً ، بينما أعداؤهم قد اتبعوا الشياطين فضلوا عن سبيل العبادة ، أفلا يكون حقاً أن أنصر عبادى على أعدائى .

وفي هذه الآية إزاحة للاستبعاد الناشئ، من استعظام شأن أولئك الأعداء، فكانت النفوس تنظر الى ما هم فيه من كثرة عدد واستيفاء عدد، فجاءت الآية مزيلة لهذا الهاجس أيضا، فقال جـل من قائل : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض » أى لا تغفلوا عن حالهم الحقيقية، وأنهم لا قدرة لهم من ذاتهم، وكل ما هم فيه فإنما هو إمداد منا، وهم في كل حال في قبضة قدرتنا، فلا يحسبن حاسب أنهم يعجزوننا أو يخرجون عن قدرتنا. فالخطاب في لا تحسبن لمن يتأتى منه الحسبان.

ومعنى الإعجاز: الفوت عن أن نلحق بهم قدرته تعالى، والهرب من وصول أثرها إليهم. وقوله: « في الأرض » تنبيه للأذهان الى ما يقتلع جذور ذلك الحسبان. أى فأين يعجزوننا وهم مهما ذهبوا في الأرض فهم في دائرة سلطتنا؟ فأين يذهبون، وكيف يغلبون؟ ولا شك أن من التفت الى هذا فقد اقتلع من نفسه كل جذور الاستبعاد. فالغرض من قوله: في الأرض، سد جميع المسالك أى لا تحسبنهم فائتين قدرتنا وإن هربوا كل هرب.

وقوله تعالى: « وما أروا النار » وعيدهم بالعذاب في الآخرة، بعد وعيدهم بالإهلاك في الدنيا، فإن الآية الأولى وإن كانت نهيا عن الحسبان فهي دالة دلالة ظاهرة على الإخبار بأنهم هالكون لا محالة. فكانه قيل: لا تحسبنهم يعجزوننا، بل في قبضتنا، ذائقون في هذه الحياة مر النكال منا، وما أروا في الحياة الأخرى النار. وقوله: « ولبئس المصير » تذييل لسابق الكلام، متضمن معنى راحة المساكين من ناحيتهم، فإن مثل هذه الجملة إنما تقال لمن ذهب ربحه، واستراحت النفوس منه الى النهاية.

وإنك حين تتأمل تنويع الإفادة في النظم الكريم، وإيفاء كل مقام حقه على أبلغ وجه، ثم تنقل الإفادة من مهم الى مهم، تجده هداية قد تجأت في كل ناحية من نواحيه والنور يشرق من جميع جوانبه، فاللهم اهدنا بنوره، وأحى نفوسنا بهدايته، إنك سميع مجيب

## الإسلام - والعلم

طلع الإسلام فوجد طرقاً من الباطل مسلوكة ، ومظاهر من الفساد مألوفة ،  
فجاهد تلك الأباطيل حتى زهقت ، وكشف عن قبح تلك المفاصل حتى هجرت . قوم  
النفوس حتى استقامت على توحيد الله تعالى ، والعبادات التي يتقبلها ، ويجزل المثوبة  
عليها ، وعلمها بعد هذا كيف تعيش في هذه الدنيا عالية المهيم ، نبيلة الأعمال ، عزيزة  
الجانب ، محفوفة الكرامة ، مأمونة العواقب ، سديدة الأنظار ، رشيدة الآراء ،  
متواصلة القلوب . وتفاضل الشعوب على قدر أنصابتها في هذه الخصال والمزايا التي  
لا تتحقق المدنية الفاضلة إلا بها .

دعا الإسلام إلى تلك المقاصد السامية ، وأخذ في دعوته بإقامة الحجة ، وإلقاء  
الحكمة ، وضرب الأمثال ، وإيراد القصص العاصرة بما فيه عبرة .

نشأ هذا الدين الحق بين خصوم يناصبونه العداء ، وبأئمنون به ليطفئوا نوره ،  
ويقطعوا السبيل دونه ، وما كان إلا أن خاب سعيهم ، فسطعت حجته ، وعلت كلمته .  
ومع سطوع حجته وعلو كلمته يلتقي في كل عصر طوائف يأكل الزين قلوبهم ، فيقطعون  
فيه علماً ، أو يذهبون في الكيد له مذهب التأويل الفاسد وهم يعلمون

ولم يفقد بتوفيق الله تعالى في كل عصر طائفة من ذوى العقول الراجحة لا يخشون  
في الذود عن موارد لومة لائم ، فيزبحون من طريق هدايته ما يلقىه أولئك  
الجاحدون أو المراءون .

ومن هذه الطوائف الخاطئة من يزعم أن الإسلام لم يبعث الدواعي إلى طلب  
العلم . والواقع أن الإسلام قد رفع قدر العلم ، ونوه بشأن العقل ، وسلك بطلاب العلم

مسالك النظر والاجتهاد، وعودهم على نقد الآراء وتمييز زائف الأخبار من صحيحها، فلما نقلت العلوم النظرية إلى اللغة العربية، وجدت منهم نفوساً تلذ العلم، وعقولا تنشط للمناظرة، وأسنة تعرف كيف تقرر الحجة، ففتحوا لها صدورهم، ووضعوها تحت سلطان أنظارهم، ولم يمنعهم إعجابهم بها، وتنافسهم في التضلع من مواردها، أن يطلقوا الأعنة في مناقشتها، وتقويم المعوج من مذاهبها، فسدوا نفورا يأتي من قبيلها الباطل، وذلّلوا لطلاب العلم الطريق الذي تقيأوا فيه ظلال الرشد، وتدنى فيه الفلسفة المعقولة قطوفها، فقامت للعلوم على اختلاف موضوعاتها سوق نافقة، وأصبحت ترى علوم الشريعة وعلوم الفلسفة المعقولة يلتقيان في النفوس المطمئنة بالآيمان، وتسنى للتاريخ أن يتحدث عن كثير من علماء الاسلام، ويصفهم بأنهم جمعوا بين العلوم الشرعية والعلوم الفلسفية، كالغزالي وابن رشد، وأبي عبيدة مسلم بن أحمد الأندلسي، وهو أول من اشتهر في الأندلس بعلم الفلسفة، وكان مع هذا صاحب فقه وحديث.

ومن الظن الخاطئ ما تخطئه بعض الأفلام من أن هذه العلوم المادية قد تشد أزر الإلحاد، وتجمعه يظهر على دين كدين الاسلام، فإن النظر الصحيح في هذه العلوم لم يأت بما يؤزر الإلحاد، وليس في نصوص الدين الاسلامي وأصوله ما يتعارض مع العلم الصحيح، حتى يستطيع الإلحاد أن يتخذ منه قوة، وإنما الآراء التي تدفعها الحجة، قد تقع في يد من لا يحسن نقدها، ولا يميز رأسها من عقبها، فيعارض بها آية من كتاب الله، أو حديثا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذهب في الحيرة أو الضلالة إلى مكان بعيد. وقد تكون آفة الرجل من عدم تفقهه في الدين وتخيله أن معنى الآية أو الحديث يخالف ما أثبتته العلم الصحيح.

فبلاء أبناء المسلمين الآن من أحد رجلين: رجل يتعلق بآراء المبتغين إلى الفلسفة، لا يفرق بين جيدها وزائفها، حتى إذا لقي في الدين مالا يوافق تلك الآراء

الزائفة ، خالطه الريب أو الجحود ؛ ورجل يدرس الفلسفة ولكنه لم يدرس الدين في طائفة نينة ، ولم يبحث في حقائقه بنظر فاضل ، فيتموهم أن بعض نصوص الدين أو أصوله لا يطابق المعقول .

ماذا يكون مبالغنا من الحكمة إذا لم نزن آراء علماء الغرب بالقسطاس المستقيم ، ولم نفرق بين ما يتبنى على علم أصيل ، وما يقولونه على وجه الفرض ، أو يتعلقون فيه بشبه واهية ، وعمدنا الى كل نص يظهر لنا أنه مخالف لرأى من آراء أولئك العلماء ، فنذهب في تأويله الى معنى يطابق ذلك الرأى ، حتى إذا انكشف الحق ، وظهر للملأ أن ذلك الرأى خيال فى خيال ، عدنا الى ذلك التأويل فحونا بأيدينا ؛ وكذلك يفعل من يستهويه كل ناعق ، ويفتنه كل جديد .

لم يخلص الدين من مبتدعة أو زنادقة افترضوا عليه مزاعم باطلة ، وذهبوا فى تأويله مذاهب فاسدة . وقد قام علماء الشريعة الذين يردون متابعا العالمية ، فيبنوا بطلان تلك المزاعم وفساد تلك المذاهب ، فما كان لأحد أن يأتى الى أمثال هذه الأقذاء التى نفاها أهل العلم من قبل ، ويتخذ منها شبهة على أن فى الدين ما لا يقبله العقل أو لا يرضى عنه العلم .

فإن بدالك أن فى قسم العبادات ما لم يصل العقل الى حكمته الخاصة ، وهو ما يقول فيه بعض العلماء : هذا الأمر تعبدى ، قلنا : معنى هذا أن فى الشريعة أحكاما قد تخفى على العقل حكمها المعينة ، كما أنه لا يستطيع إنكارها إنكارا يستند الى وجه معقول . وهذا النوع على قلته فى شريعة الاسلام ليس بموضع خلاف بين الدين والعلم أو العقل ، وإنما يربنا أن من أحكام الدين ما لا يدخل العقل فى تفصيل حكمته ولا فى نفي حكمته ، ولكن الآيات القائمة على أن الدين حق ، هى الآيات البينات على أن هذه الأحكام مطوية على حكمة بالغة ، وإن لم ندركها بوجه خاص ، فإن الدين الحق لا يدعو إلا الى ما فيه خير (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) محمد الخضر حسين



# حكم الله في التبرج

الحجاب — السفور — التبرج — صور النساء — نعرها في الصحف  
التجديد وفي أى شيء يكون — تزين الرجال بزينة النساء

س — ما حكم الله تعالى في حضور المسلمات حفلات السينما والملاهي التي تبعث في القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التي لا تخلو من نظر رجال الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟ وما الحكم أيضا في ذهاب المسلمات الى حوانيت الخلاقين لقص الشعر بيد الرجال ، أو بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رؤوس النساء وأعناقهن ، فهل يفترض منع جميع ذلك في دين الإسلام ؟

## الجواب

ظهور السيدة خارج منزلها :

خروج السيدة من منزلها متبرجة بأبواب الدين وتأباه الكرامة بإجماع المسلمين ، ولا يرضى به إلا من هو بعيد عن الخلق والدين . فاذا خرجت المرأة لمقتض فلا يباح لها الخروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال . قال الله تعالى : ( وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ) . وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة إلا وجهها وكفيها . فلا يجوز لها أن تبتدى شيئا في الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة لا يجوز إظهارها . أما الوجه فإيضا يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة . أما من لا يأمنها فلا يجوز له النظر ،

ولو أن الوجه غير عورة، لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه، إذ جواز النظر منوط بعدم خشية الفتنة.

وصفوة القول أنه إذا خرجت السيدة لما يقتضى الخروج فينبغي أن يكون خروجها في حشمة ووقار، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظار المارة من الرجال والشبان. وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليلاً أو نهاراً مثل ما جاء في السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السينما التي تقول إنها تبعث في القلوب ينابيع الشر، وإنها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن، لا يجوز، لما في ذلك من الفتنة، ولما فيه من الوقوع في المحرم فعلاً، كنظر الرجال الى أعناق السيدات وشعورهن، وغير ذلك مما لا يجوز النظر اليه.

والقاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محظور غير جائز، لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع. ولا شك أن ذهاب المسامة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها، بيد رجل أو بيد امرأة، مع حضور الرجل ونظرهم الى رؤوس النساء وأعناقهن، أمر غير جائز، لأنه فضلاً عما فيه من كشف الشعر والعنق - وهما عورتان - هو تبرج ممقوت.

الصفحة:

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد في السؤال لا يجوز شرعاً. وقد التبس الأمر على كثير من الناس، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سافرة، مهما ترتب على ذلك من فتنة، كما ظن هؤلاء، أنه ما دام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه، وكلا الأمرين غير صحيح. والأساس الذي يجب السير عليه هو خشية الفتنة، فتي وجدت لا يجوز الخروج، كما لا يجوز النظر لمن لا يأمن الفتنة.

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطئ أن تورط الناس في ذلك تورطاً فاحشاً، فأصبحت بعض السيدات تغشى الطرقات دون حاجة، وتختلف إلى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر البهن، ولا تخرج إحداهن إلا متزينة بأبهى زينة، سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر، دون حياء أو مبالاة بخلاق أو دين. ولقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يبالين بالأخلاق الفاضلة، وفقدن خلق الحياء بالمرة، وأصبحن كالنساء في الجاهلية الأولى. وقد نى الله على أصحابها في القرآن، وأمر النساء بترك التبرج.

#### الدعوة إلى السفور :

وكأني بأصحاب الدعوة إلى السفور يندبون الأخلاق لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يرتب على ما قاموا به من دعوة إلى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن، لأن دعوتهم لم تكن إلا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار، حتى إنهم نعموا حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لا يحجب ما وراءه ويدعو إلى النظر. وما كان ذلك إلا لأنهم يرون أن جواز كشف السيدة وجهها يجب أن يكون مصحوباً بغير تبرج، كما يجب أن يكون مصحوباً بترك الزينة التي تجلب الأنظار. ولقد كانت دعوتهم إلى إبداء الوجه واليدين اعتماداً منهم على أن ذلك أدعى إلى عدم التبرج وترك المهازل التي كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر لا يغيب ما وراءها، بل تكون داعية إلى تمحيق النظر أكثر مما لو كان الوجه عارياً والزينة متروكة.

تلك كانت دعوتهم، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح، فوقعنا فيما نراه الآن : من انهيار الأخلاق، وضياع الحشمة والوقار، بل وضياع الروعة في بعض النساء، حتى أصبحن تبرزن للناس بوجه ليس فيه حياء، تكاد الواحدة منهن تخرج عارية. وإن لك فيما تراه من الصور التي تنشرها جرائد الصباح والمساء لا أكبر العبر فيما وصل إليه الحال الآن.

التبرج والسكوى منه :

ولقد رافني ماقرأته لبعض الكتاب في جريدة الأهرام الصادرة في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ تحت عنوان «ماقل ودل» ، فقد جاء في هذا المقال ما نصه : « الأسكندرية في أوجها ، و« ستانلي باي » صباح الأحد هانج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر مئات المتلفين على رؤيته ، الذين تنقصهم الموارد ، والناس يجذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير في يده ، يلتقط عن يمينه وشماله ، ويجهد في الحصول على الصور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكاراتهم » الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القدير من قوله : « والسكن جزعى ليس من أجل واحدة أو اثنتين أو عشر فتيات ، ولكن جزعى هو من أجل المستقبل . أخشى عشر السنين القادمة ، أخشى التحضير للحرية عن طريق الاستهتار » : الى أن قال : فإننا يجب أن نتفخ في صور الفضائل ، ونمجد اللواتي يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال ، يدرسن ويبدن شبابهن في خدمة المجتمع ، فهؤلاء هن اللواتي يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة الكريمة ، لا اللواتي يقتبسن آخر أزياء البجائات من شاطئ « ستانلي باي » .

صور الفناء :

رافتني هذه الكلمة حقا ، وبقدر ما رافني هذا الأسلوب البديع للدعوة الى الأخلاق الفاضلة وترك التبرج المعقوت ، ساءنى والله ما رأيته في إحدى جرائد الصباح من رسم ثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتاتين بثياب البحر تلعبان مع صديق لهما بقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب على شواطئ البحر ، التي سمتها الجريدة « قذفة الحروف » فإن هذه الرسوم التي تنشرها جرائدنا على اختلافها ليس إظهارها من صالح مجتمعا ، ولا هي تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا في هذا ، وهو ما يتنافى أخلاقنا وديننا .

سأني هذا ، كما سأنى غيره من كثير مما أراه من الرسوم في صحيفة الصور التي تنشر في جرائد الصباح والمساء ، وقلت : حبذا لو أن كُتَّابنا وجهوا عنايتهم وأقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصنيع الممقوت ، الذي لم يقف عند النساء ، بل تعداهن الى الشبان ، فإن منهم — والحسرة تملأ القلب — من يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها ، فهذا والله داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأباه الفضيلة ، ويدعو الخلق الى تغييره . وإنه لما يدى له القلب ويضيق له الصدر أن يترك القوم أوامر دينهم التي يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليها الفضيلة . فإلام نبقى على تلك الحال السيئة ؟ ! وأين الآباء والأزواج ؟ : إنهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا . ألا قاتل الله التمدين إذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه :

لقد اعتدنا وأأسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار ونترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين تقلد بعضهم ، كما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فها نحن أولاء نسمع أن بعض الدول العظمى قد بلغت أسنى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التي كانت لها في العصور الوسطى . أما نحن فع أننا لم نبلغ شأواً في الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنا ، وكثرت فينا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صار القبيح المجمع على قبحه حسناً في نظر البعض ، يحبذه ويدعو اليه . ولك مما تنشره بعض الجرائد الأسبوعية في تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا ننسل من الأخلاق الفاضلة . واليك مثلاً أنت الحكم فيه بعد سماعه :

نشرت إحدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مباراة بين الممثلات ، لابسات ملابس البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم

لبعضهم في أى الفتيات أحسن ، فحكموا لا إحداهن ، وقد رسمتها هذه المجلة بملايس البحر : فهل رأيت أو سمعت مثل هذا في بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟ : إني لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور تبلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ، ولو سمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ، لأن هذا الضرب من التهتك بل الجنون في التهتك انتحار لأخلاقنا :

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن ، والدعوة الى ما ينافي الفضيلة . ولا أدري أى نفس تلك التى تستحسن تحبيذ هذا الفعل القبيح وهو خزى في الدنيا والآخرة ، ومعصية نأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأقتها ومحو جرثومتها ؟ : وما جاءنا هذا إلا من اتباع الهوى ، وعدم تحكيم العقل ، والتفليد الأعمى فى كل صار ، وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يدعو الى خلق حسن وعادة قومية ، وينهى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يسكبون عليه جام غضبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق ، مهما كان من أمره . ولو درى الآلى يعملان هذا وعلم الذين يدافعون عنهم بأن السكل بهذا قد ذهب بخناق الأمة وهدم قوميتها ، وارتكب محظور دينه — لو علم هؤلاء ، ذلك وتفطنوا له ، انشأوا الى رشد ، وحالوا بين الأمة وما هى فيه من سوء الأدب . ولكن ما الحيلة وقد ائتمد الناس عن الدين والخلق المتين ، حتى كاد ينقض من الأساس ، وأصبحت تسمع ممن تنصحه الذراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذى أنت فيه : جيل التجديد والمجددين :

التجديد وبرائة المجددين من أمثال هذه المفاسد :

وإني أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد أن المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق

والتمسك بأهداب الفضيلة . ومن الذى يقول إن التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق ، أو الخط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه . وإنما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية . وهو فى كل شئ ، بحسبه وبما يلائمه ، ولا يكون التجديد إلا فيما يقبله .

ومن البدهيات أن الأديان لا تقبل التجديد ، لأنها عقائد وأحكام يجب على أهلها التمسك بها ، ولا يمكنهم الخروج عنها ، إلا إذا خرجوا عن الدين والأخلاق الفاضلة ، فلا يمكن التجديد فيها ، إلا بكثرة الدعوة إليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة . والمحظورات الدينية لا يمكن تغييرها ، ولا اللباس بجوهرها ، ولا القول بإباحتها . فإذا حظر الشارع أمرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن أفعله ، بل فعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين ، وليس هذا من التجديد فى شئ ، بل هو محو وهدم لا يقول به أحد ، إذ لا يمكن القول بأن ما اتفقت العقول والفطر السليمة على أنه خُلِقَ حسن ، ونصت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه .

أما ما يقبل التجديد فإننا إن لم نجد فيه وتقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقعود والركب سائر ، وهذا ما لا يقول به أحد . ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناز الحقائق العلمية منها .

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين يدينا نص عليها : يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية

ولا ينبو عنها . ولا شك أن هذا تجديد . وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن ، بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه مييلا اليه .

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه . أما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من أن معناه ترك القديم ولودينا ، فهذا مالا يقول به من له مسكة من العقل . وهانحن أولاء نرى علماء أوروبا قد جددوا واستفادوا وأفادوا ، ومع ذلك لم يقل أحد منهم لواحد من قومه : لا تذهب الى محل عبادتك ، وللدن عندم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام في نظر ملوك أوروبا وأتباعه ما هو معلوم ، فهو إذا دعا الى أمر ديني تلقته أتباعه بالقبول . وبما لفت نظري في أوامره أنه أمر بأن النساء اللاتي يكن عاريات الذراع والمعصم لا يباح لهن دخول المعابد .

راقني هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت في الأديان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليها الدين نظرة قبول ، ولا هي حرة بدخول معابده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من أتباعه قال : إن هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصل ، لأن الديانات ليست محل تجديد كما قدمت لك . وهذه الدعوة التي دعا اليها البابا دعا اليها الدين الاسلامي من أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . ولكن بعض المسلمين — كما شرحت لك — قد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى إلا ترك تعاليم الدين ، وما لا يتفق والخلق الحسن . ولا يفوتني أن ألفت نظر المسلمين الى أن ما دعا اليه ديننا الحنيف إنما هو الخير كل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضيلة ، وكل خلق نهى عنه هو الرذيلة . وما نراه



الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص في ديننا . فهذه جرائمنا تقات على سبيل الاستحسان ما أمر به زعيم إيطاليا من حظر الرقص على الضباط إشفافاً على رجولتهم . فهذا الذي استحسنته جرائمنا — وهو حسن في ذاته — دعا إليه ديننا من قبل ثلاثة عشر قرناً . ولكن غفلتنا عن حكم الدين أوقعتنا في الشرور من حيث لا ندري ، وإلا فأى مسلم هذا الذى لا يتقطع قلبه حين يرى بعض الشبان يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحجاب ، ويمحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! إنها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالاً يتركون رجولتهم ، ويأبون إلا أن يرتكبوا ما حظره الدين على النساء في الطرقات :

ولست أبالغ إذا قلت : إن الحالة في حاجة إلى سن قانون يقضى بعقاب كل شاب يلاحظ عليه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجة تتزيا بأزياء الجاهلية ، وتبرج تبرجهم . ففي سن هذا القانون قطع الرذيلة ومحورها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التي عليها الحل الآن في الطرقات والمسارح والملاهي .

فخذالو أن حكومتنا عملت هذا أو ما يقرب منه ، كوضع عقوبة لأولياء الأمور من آباء وأزواج ، وإلا فقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبي . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

ط ميب

## ابن نفسه

تكلم رجل عند عبد الله بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب به عبد الملك . فقال له : ابن من أنت ؟ قال : أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصات اليك . قال : صدقت .

# الماترية ومذهب العلماء الى اسخين

ما هي المادة ، وما هو الأثير ؟

أولع الناظرون في الوجود منذ القدم بمعرفة حقيقة الوجودات ، وقد تكلموا في كنهها على قدر ما كانوا وصلوا اليه من العلم بها ، ولكن لم يدخل هذا البحث في نطاق علمي ، ولم يجعله الباحثون أساسا لفلسفاتهم إلا في نحو القرن السادس قبل ميلاد عيسى عليه السلام .

أقدم من تصدى للبحث في أصل المادة (لوسيب) من فلاسفة اليونان الأقدمين ، وتلميذه (ديموكريت) ، فذهبا الى أن المادة قديمة ، ودعوا الأصل الذي تألفت منه جميع صورها بالهيولي . وكان مؤدى مذهبهم أن هذه الهيولي مؤلفة من ذرات دقيقة جدا لا تقبل الانقسام ، متحركة منذ الأزل بحركة ذاتية فيها ، منها يتركب كل شيء محسوس في الكون .

بقى هذا الرأي معولا عليه الى القرن التاسع عشر ، حتى كاد يلحق بالمحسوسات عند الفلاسفة الماديين .

وقد عللوا به ظواهر الاتحادات الكيميائية ، وقالوا إن الأجسام المركبة لا تتألف عناصرها إلا على نسب معينة . فالماء مثلا يتألف من اتحاد جوهر فرد واحد من الأوكسيجين ، وجوهرين من الهيدروجين ، ولا تحتل هذه النسبة في أية حالة من الأحوال . ويقاس على الماء جميع المركبات ، فلكل عنصر منها نسبة محفوظة إزاء بقية العناصر .

ولكن ما هو هذا الجوهر الفرد في ذاته ؟ أما قول لوسيب وديموكريت بأنه جسم صلب متناهٍ في الصغر لا يقبل الانقسام ، ولا عرض له ولا طول ولا سمك ، فافتراض لا يقف أمام النقد ، فإن المادة مهما تناهت في الصغر فإنها تقبل الانقسام ولو توهماً . وما ليس له طول ولا عرض ولا سمك لا تتألف منه أجسام لها طول وعرض وسمك ، فاضطر العقل للبحث عن افتراض آخر . فذهب العلامة الانجليزى وليم طومسون الى أن المادة حركة زوهمية في الأثير . وتفصيل هذا الإجمال أنه استخدم الفرض القائل بأن الوجود كله مشحون بمائل لطيف لنهاية القصوى ، لا يعقل شئ أظف منه ، لا مسام فيه ، وهو متصل ببعضه ببعض كل الاتصال ، فذهب الى أن الجواهر الفردة فيه ليست بشئ سوى زوابع جزئية حدثت فيه ، فاكتملت بسرعة دوراتها على نفسها صلابة يحس بها ، فتألفت من اجتماع عدد لا يحصى منها الأجسام الجامدة المرئية ، وأجساد النباتات والحيوانات . فالمادة في نظره ليست بشئ غير زوابع أثيرية ، من تركيبها وتفرقها ينشأ تركيب الأجسام ونحلها .

راج هذا التعليل زمناً ، وعالت به بعض الحوادث الطبيعية ، وحات به بعض الغوامض الوجودية ، ولكنه لم يكف لتعليل أكثرها ، فتمسك العلماء به وقتاً ما حتى يجدوا تعليلاً غيره يكون أقرب منه للحقيقة ، وهجر مذهب لوسيب وديموكريت الذى بقى أكثر من ألفى سنة ، وضلل عقولا كثيرة عن عجة الصواب .

والذى حدا بالعلماء أن يتشككوا فيه ، عدم إمكانهم تعليل تلك الحركة الزوهمية التى تحدث في الأثير الساكن كل السكون ، والتى تتولد بسببها الجواهر الفردة ، وعجزهم عن تفسير ميل بعض تلك الجواهر الى بعض على نسب محدودة ، لتأليف المركبات المختلفة .

هذا فضلاً عن أن الأثير في ذاته أمر افتراضى اضطر اليه العلماء اضطراراً

لتعليل بعض الظواهر الطبيعية ، فيكون تدليل وجود المادة به افتراضاً في افتراض وليس هذا من الأمور اليقينية في شيء .

على أنهم بعد هذه الافتراضات قد فوجئوا برأى جديد . هو أن جميع المحسوسات المائلة أمام أعيننا في الكون ليست بشيء في حقيقتها سوى قوة ، فسقطت بذلك نظرية الجواهر الفردة ، وقامت مقامها نظرية أن ليس في الوجود سوى القوة ، تصدر عنها الموجودات .

وهذه خطوة حاسمة نحو إثبات القدرة الإلهية من طريق آراء علماء المادة ، إذ لا يعقل أن تفرض هذه القوة العامة مجردة من تدبير صادر من حكيم يقودها إلى تأليف الجواهر الفردة ، ومنها إلى تركيب المركبات المختلفة المصور .

ونحن لأجل أن نبين للقراء هذا الرأي ننقل لهم ماورد في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية ، فقد ذكرت كل ما ذكرناه من تاريخ الآراء العلمية في المادة ، ثم عقيبت عليها بالعبارة الآتية ، وهي :

« بناء على هذا تكون جميع الافتراضات التي افترضت إلى الآن عاجزة عن حل تناقضاتها الذاتية ، ولا تنطبق على الظواهر المحسوسة . فإذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عن المادة لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المتعلقة ، وهذه الافتراضات باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتماً إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها ، فهي تستخدم على أي حال من الأحوال لضبط الظواهر الوجودية ، ولكنها لا تنفذ بنا إلى ما وراء هذه الظواهر . فنحن محكوم علينا والحالة هذه يجهل ماهية المادة على الدوام »

يرى قارئنا مما مر أن دعامة المذهب الإلحادي - وهي المادة - لم يعرف كتبها الآن ، وما دام الأمر كذلك فكل مذهب يبتنى عليها يكون قائماً على الخيال المحض . فكيف يمكن التوفيق بين زعم الماديين أن مذهبهم قائم على العلوم اليعينية ، وبين إقرار علمائهم بأنهم لا يزالون مجهلون كنهه المادة ؟ :  
محمد فريز وجري

## وصاة على كرم الله وجهه لبنديه

مما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بنبيه قوله لهم :  
يا بني ! عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن فقدتم بكوا عليكم .  
يا بني ! إن القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ بالمودة ، وتتاجى بها ، وكذلك هي في البغض ، فإن أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم ، فارجوه ، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم ، فاحذروه .

ومن حكمه رضى الله عنه :

إن السبب الذي أدرك به العاجز مأموله ، هو الذي حال بين الحازم وطلبته .

وقل :

إذا عظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا صغرت فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب عظمت إلا صغر عند الله ، وما من ذنب صغرت إلا عظم عند الله .

وقال عدي بن أرطاة لياس بن معاوية :

دلى على قوم من القراء أولهم ( يريد بالقراء العلماء ) فقال له : القراء ضربان : ضرب يعملون الآخرة لا يعملون لك ( أى يأبون الولاية ) وضرب يعملون للدنيا . فما ظنك بهم إذا أمكنهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم قلوبهم .

## الحكمة العربية

الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه ، وقد يراد بها الكلام النافع الذي يمنع من الجهل والسفه ، وهي بهذا المعنى فن من فنون الكلام المنظوم أو المنشور ، وذلك ما نريد الحديث عنه في هذا المقال . وهذا النوع من الحكمة ثمرة التجارب والتفكير على الوجه الصحيح ، فنصيب الأمة من الحكمة على قدر نصيبها من جودة التفكير والشعور بما تشترك فيه الحوادث من الأسباب والآثار .

ومن الذي يتكرر ما للأمة العربية من صفاء الذهن وتوقد الذكاء ؟ فلا بد أن يكون حظها من الحكمة عظيما .

نطق العرب في جاهليتهم بحكم تدل على نجارب صادقة ، وأمية مهيبة . وأسوق لك مثلا على هذا قول النابغة الذبياني :

ولست بمستيق أخا لاتله على شعث أي الرجال للهب ؟

فهذه الحكمة لا تصدر إلا من ألمى خالط طبقات الناس زمنا طويلا ، ونقدم طبقة بعد طبقة ، فاستخلص من طول صحبتهم أنه لا يوجد من بينهم الصاحب الذي يصفو لصاحبه في كل حال . والإنسان محتاج الى الإخوان احتياجه الى الماء والهواء ، فليس له إلا أن يتمسك بصحبة من وثق بمودتهم ، ويغضى عن هفواتهم التي لم يقعوا فيها لفساد ضمير ، أو نكث عهد مودة .

كان للعرب براعة في صوغ الحكمة ، حتى طلع عليهم القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فامتلات أسماعهم بالحكم البالغة . أما القرآن فكقوله تعالى : (أَدْفَعْ بِالنَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَيْنُكَ وَيَيْنُهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وقوله

تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وقوله تعالى : (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْأَخْيِثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْأَخْيِثِ) وأما الأحاديث النبوية فكقوله صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »

أفاض القرآن والحديث النبوي أمثال هذه الحكم الرائعة ، وفتحها للحكمة طرقا كانت مقفلة ، فالاسلام ساعد الخطباء والشعراء والوعاظ على أن يسيروا في هذا الفن من الكلام بخطأ واسعة ، ويقطعوا فيه أشواطا بعيدة ، فأصبح الناس يسمعون من الحكم أبلغ مما كانوا يسمعون ، ويجمعون منها أكثر مما كانوا يجمعون . وإذا هممت أن أسوق اليك أمثلة من حكم العرب في الاسلام ، تكاثرت على تكاثر الأطباء على زياد ، فلم أدر ما آخذ منها وما أذر ، فانظر الى ما شئت من الدواوين التي تحوى خطب البلغاء ، ورسائل الأدباء ، وقصائد الشعراء ، ومحاورات العلماء ، ففيها ثمرات قرائهم الخصبية ، ونظراتهم الصادقة .

ولابن الطيب المتنبي في هذا الميدان جولات سبق بها أقرانه من الشعراء ، وللصاحب بن عباد صحائف جمع فيها ما يحسن التمثيل به من شعر المتنبي ، كقوله :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله      مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقدمها هدية لخدمه نخر الدولة الذي كان يتمثل كثيرا بأبيات من نظم هذا الشاعر الحكيم .

وأورد ابن أبي حجة في شرح بديعته<sup>(١)</sup> ما ملأ به صحائف كثيرة من حكم أبي الطيب المتنبي ، وربما أورد بعد البيت أو قبله ما يدل على إعجابه به كما تعرض لقصيدته التي يقول فيها :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة      وإن كثرت في عين من لا يحرب

وقال : منها وأجاد الى الغاية :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب  
وكما أشار إلى قصيدته «واحر قلباه ممن قلبه شيم» وقال: ومنها وليس لثله مثيل:  
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم  
وفي لامية الطغرائي أبيات كثيرة تشتمل على حكم عزيزة، فجرت على السنة  
الأدياء والكتاب مجرى الأمثال السائرة، كقوله:

وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل  
الحكم لذينة، وأحسنها وقعاً ما صدر على البداهة، فإنه أدل على عبقرية الرجل  
وكثره انتفاعه بتجاربه، لام عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز أباه على إرجائه تنفيذ بعض  
ما يراه حقاً، فقال عمر بن عبد العزيز: «أخشى أن أحمل الناس على الحق جلة فيدفعوه  
جلة» وامتدح شاعر الامام محمد بن مسلم الزهرى، فأعطاه جائزة، فقيل له: أيجيز  
على كلام الشياطين؟ فقال: «من ابتغاء الخير اتقاء الشر»

وأشد ما يغبط الشاعر شاعرا آخر، في البيت العامر بالحكمة، أنشد محمد بن  
كناسة إسحاق بن إبراهيم البيهقي:

في انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم  
أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم

فقال إسحاق: وددت والله لو أن هذين البيتين لي بنصف ما أملك! فقال ابن كناسة:  
قد وفر الله عليك مالك، والله ما سمعتهما أحد، ولا قلتما إلا الساعة، فقال إسحاق: فكيف  
لي بعلم نفسي أنهما ليسا لي. وإسحاق إنما غبط ابن كناسة في البيتين لما اشتعلا  
عليه من الحكمة، وهى وضع كل من الحشمة والاسترسال على السجية في مقامه اللائق به.  
والخلاصة أن في آداب اللغة العربية حكماً غزيرة، في ألفاظ عذبة وجيزة، فتود من  
القائمين على تعليم النشء وتربيتهم تلقينها لهم بطريقة واسعة، حتى لا يحتاجوا إلى الاستشهاد  
بأقوال الغربيين وفي كلام حكائنا وبلغائنا ما ينبغي عنه

محمد الخضر صبيح



# تأييد العلم الصحيح للاعتقاد بالله

رأى الفيلسوف الفرنسي ديكارت

كتبنا شيئاً في العدد السابق في هذا الموضوع ، ولا نريد أن نقطع هذا البحث دون أن نبليغ منه حداً يحسن السكوت عليه . ونحن في كتابة هذه الفصول نتحرى نقل آراء رجال العلم المقدمين ، وأركان النهضة العلمية الحديثة من جميع الجنسيات ، ليكون للقارئ من مجموع ذلك مرجع يرجع إليه في استمداد الأدلة التي تخدمه في تقوية إيمانه ، أو في دعوته وإرشاده لغيره ، ممن يمتنون إلى المعارف الطبيعية بسبب ، من أفراد النابتة الجديدة .

فنأني اليوم على براهين الفيلسوف ( ديكارت ) المولود سنة ١٥٩٦ والمتوفي

سنة ١٦٥٠ :

ديكارت هذا فرنسي الجنس ، وواحد من الذين خلدت ذكراهم في تاريخ العقل البشري ، لما انتهجه من الأصول الفلسفية البعيدة المدى . فهو الذي حول وجهة الفلسفة ، وجدّد القواعد التي تقوم عليها . فبعد أن كانت مستقرة على مذهب أرسطو أقرها على قاعدة العلم المجرد عن الظنون والمسالمات المتفق عاها ، والتي ليس لها في ذاتها سلطان يُحلها هذا المحل الرفيع .

وقد نهج في تعرّفه الوجود والموجودات طريقاً لم يسلكه سواه قبله ، حتى ولا ( بيرهون ) الفيلسوف اليوناني القديم . والفرق بينهما أن ديكارت جعل الشك وسيلة لا إدراك الحقائق ، ولكن بيرهون جعل الشك غاية للفلسفة .

نعم : إن من نقدة الأوربيين من قرر أن هذا الفيلسوف اليوناني لم يقصد من الشك إلا أن يصل منه إلى الحقيقة ، كما فعل ديكارت من بعده . فلو صح ذلك فإنه

سرف حياهه فى التشكك دون أن يصل الى حقيقة ، فلم يؤثر عنه أنه أثبت حقائق كما فعل ديكارت الذى جاء بعده بنحو ألى سنة . فإن هذا الأخير لم يعض حياته فى الشك ، وفى بث فلسفة الشك ، ولكنه اتخذ أداة للوصول الى الحقائق ، وقد وصل الى بعضها على عجل .

ونحن لا يعنينا أن ننقل مذهبه هنا ، ولكن يعنينا أن نعرض أدلته فى إثبات الخالق على أساوبه ، فإنه لا يخلو من طرافة وفائدة فى آن واحد .

وهو لأجل أن يصل الى دليل قاطع على إثبات الخالق ، جرّد نفسه عن كل ما يحيط به أولاً ، ثم أخذ يبحث عنه فى أعماق نفسه لا فى الوجود الخارجى ، فلم يسأل الوجود عن صانعه ، ولم ينتاج العوالم مستفسرا عن عللها الأولية ، بل اقتصر على ذاته ، ورغب فى أن ينكشف له ما غمض عايه منها ، فاستخرج منها على وجود الخالق ثلاثة أدلة كلها نفسانية كما سترى .

عند ما حاول ديكارت إقامة الدليل على وجود الخالق قدّم هاتين المسألتين ، وهما : هل يوجد إله للسكون ، وما هو ذلك الإله ؟ راميا بذلك أن يتأدى بالبحث الى حقائق ثابتة لا الى خيالات ذهنية ، فطوح به هذا الميل الى امتحان ذاته أولاً ، فرأى أن ذهنه محشو بمحسورات من عقائد وتقاليد وموروثات مختلفة . قال : فأردت لأول مرة فى حياتى أن أنخلص من هذه الأصار الثقيلة ، وأن أنظر متجردا من كل وراثة لأصل الى حقائق ثابتة من العلم .

سلك ديكارت هذا الطريق ، فأثار الشك فى نفسه على كل شىء : على السماء التى تظله ، وعلى الأرض التى تقفه ، وغلا حتى شك فى القوانين الرياضية نفسها ، وهى أثبت المعلومات البشرية .

يتبادر الى الذهن أن ديكارت هذا اندفع فى تيار شكوكه هذه ، فلم يستقر على حقيقة ، ولكن هذا غير ما وقع له ، فإنه قد فجر من مجموع هذه الشكوك عيون الحقيقة

الصادقة، فقال: «إن في طي هذه الشكوك كلها شيئاً واحداً لا يتناولُه الشك أصلاً، وهو (أنا). وقد كنت قررت بأنى لست بشيء في الواقع، فشككت في وجود شعورى وجسمانى. ولكنى في هذه الحالة التجريدية كنت موجوداً في الواقع، لأنى استطعت أن أفكر، فاذاً أنا موجود حقيقة، ولا يوجد شيء يستطيع أن يقنعنى بأنى لست بموجود ما دمت أفكر. فقولى: (أنا موجود) حقيقة ثابتة لا أستطيع أن أشك فيها كلما قلتها، أو تصورتها في ذهنى.

هنا تمكن ديكارت أن يحل نفسه من قيود الشك، فخرج بعقيدة صريحة واضحة لا تقبل الجدل، وهى أنه موجود، ومن هذا الطريق نفسه توصل إلى استكشاف حقيقة أخرى جليلة القدر، وهى أنه توجد ذات إلهية متصفة بجميع صفات الكمال، فقال: «إن هذه الحقيقة لازم من لوازم فطرتى، وقد ولدت حاملاً أمانتها في ثنايا قلبي، لأنه كيف يعقل أن أدرك بأنى شك، وأنى أريد الوصول إلى حقيقة، وأنى لم أبلغ الكمال الذى أرى إليه، إذا لم يكن مغروفاً في طبيعتى إدراك وجود ذات أكمل من ذاتى؟» لما تأدى ديكارت إلى هذه النتيجة أراد أن يبرهن على أن شعوره بوجود تلك الذات الكاملة لم يأت من التفكير الشخصى، ولكن أتاه من تلك الذات الكاملة الخارجة عنه، فقال:

«إن كلمة (الله) إن لفظت بها فإتما أعنى بها ذاتاً لا بداية لها ولا نهاية لها، أزلية أبدية، ومستقلة عن كل شيء، وعالمة بكل شيء، وقادرة على كل شيء. وإنى أنا وجميع العوالم الموجودة مخلوقة لها. وهذه معارف حجة كلما تأملت فيها. فقه ازددت اعتقاداً بأنى لم أستغبط الشعور بوجود الله من ذاتى وحدها، وعليه فيجب علىّ أن أستنتج من ذلك أن لله وجوداً مستقلاً، وأن شعورى بوجود عالم غير متناه لا يمكن أن يكون أصله في ذاتى أنا ذلك الكائن المتناهى، بل إنه غرس في ذاتى من قبل ذات غير متناهية»

قلنا إن ديكارت استخرج من بحثه هذا في ذاته ثلاثة أدلة على وجود الخالق ، هي ملخص ما تقدم من كلامه ، وهي :

(أولها) قال : إنني مع شعوري بنقص ذاتي ، أحس في الوقت ذاته بوجود وجود ذات كاملة ، وأراني مضطرا للاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسه في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهي : الله تعالى .

(ثانيها) قال : إنني لم أخلق ذاتي بنفسى ، وإلا فقد كنت أعطيها جميع صفات الكمال التي أدركها . إذنا مخلوق لذات أخرى ، وتلك الذات يجب أن تكون حائزة جميع صفات الكمال ، وإلا اضطررت أن أطبق عليها الحكم الذي أجريته على نفسي .

(ثالثها) قال : إن عندي شعورا بوجود ذات كاملة لا يفترق في الوضوح عن علمي بأن مجموع زوايا أي مثلث يساوى زاويتين قائمتين . إذنا فالله تعالى موجود .

أليس هذا كله مصداقا لقوله تعالى : ( وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ) .

نقول : إن ديكارت هذا الذي جعل أصل مذهبه الشك في كل شيء ، حتى في جسمانيته وما يحيط به من العالم المادى ، وغلا حتى تشكك في القوانين الرياضية ، قد تأدى الى الاعتقاد الراسخ في وجود الخالق . وهو بهذا قد دلل على أن وجوده تعالى في عداد الأمور البديهية التي يتأدى اليها الإنسان تأديا ضروريا . وهذه حجة فلسفية تثبت من طريق مباشر قوله تعالى : ( أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ )

فالإ الذين يعتبرون التشكك في هذا المصير من شارات الألمعية ، نسوق هذا الحديث ، ليروا أن إمام الشك في هذه العصور المتأخرة يعترف صراحة بأن العقيدة بالله تستنتج من طريقته استنتاجا فلسفيا ضروريا . فأية حجة بعد هذه يمكن أن يدلى بها الذين يمثلون مذهبه ويعملون على نشره في الشرق ، رامين من وراء ذلك الى زعزعة الايمان في نفوس المؤمنين ؟

محمد فريد ومبدي

# اليسيرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة ) رواه البخارى .

اليسر : هو السهل التناول الذى لا عنت فيه ولا صعوبة . والمشادة : المغالبة والمقاومة . والسداد : التوسط فى الأمور ، ومجانبة الإفراط والتفريط . والمقاربة معناها عدم المغالاة فى الاستقصاء الى غاية الشئ . وأبشروا : أى ارتقبوا من الله حسن المثوبة . والغدوة فى السفر : سير أول النهار وصبيحته ، والروحة : سير وقت الأصيل . والدلجة : السير ليلا ، أو فى وقت السحر خاصة .

قد يدفع الحذر الشديد بعض الناس الى أن يغلو فى دينه ، ويتعمق فى عبادته ، فيكاف نفسه فوق ما تطيق ، فيصبر على ذلك ردا من الزمن ، ثم تفتر همته ، وتكلّ عزيمته ، ويقلّ نشاطه ، فيتراخى فى العمل ، ويخل بما التزم . ولو كان فى هذه الحالة واقفا عند حد التقصير عن بعض النوافل لكان الأمر ، ولكن مثل هذا قلّ أن يصير الى التراخى إلا عن سآمة وملال ، وانصراف نفس عن العبادة ، وقلة رغبة فيها . وهذا هو ما ينبغى أن يحذر من الوقوع فيه .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » معناه أن مبنى التكليف فى شريعتنا السمحة هو عدم الإرهاق ، والبعد عن العنت . وروحها هو الاحتفاظ بالاقبال على الله ،

والرغبة في الطاعة ، والحذر من كراهية العبادة أو سآمتها ، فإن ضرر ذلك يربو بكثير عما ينتظره من ثواب الاشتغال بالثواب الكثرية مدةً وينقطع . وإنك لتجد في المتعارف بين الناس أن من يداوم مودة صديقه ويتردد عليه في مواعيد معينة باستمرار ولو قليلا ، خير ممن يلزمه يوما أو أسبوعا ثم ينقطع لا الى رجعة . وقد ورد أن أحب الأعمال إليه أدومها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولن يشاد الدين إلا غلبه » معناه : ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، كما في رواية أخرى ، وهذه الجملة في معنى التعليل المبين للحكمة المنطوية في صدر الحديث . وكأنه يبين لنا أن الأمر بالرفق والتوسط ليس مبناه الزهد في العبادة والرغبة عنها ، وإنما هو للحفاظ على النفوس من أن تغفل من مجال الخير ، وتحيد عن طريق السعادة ، فإن الشيء إذا زاد عن حده قد ينقلب الى ضده . ومشادة الدين مغالته والاستقصاء في أعماله بغية الوصول الى غايته . وإن المرء مهما بذل جهده في التقرب الى الله والقيام بشكره ، فهو البتة مقصر ، فإن توفيقه لهذا الشكر نعمة تستدعي منه شكرا جديدا ، ومهما راقب جلاله وعظمته ، وجد نفسه في مقام يتطلب منه تعظيما وإجلالا ، وقيامًا بحق العبودية ، إن لم يكن خوفا من عقابه ، خياء من جنابه ، فأى نفس بشرية تستغرق في هذا المقام وتدوم عليه منقطعة عما يلزمها في شأن حياتها ، فلا بد أن ينصرف . ولأن ينصرف على شوق الى الرجوع لهذه الحظيرة القدسية ، خير من أن ينصرف وقد ملكه الملل واستولت عليه السآمة .

وفي معنى هذا ما ورد : أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى . ومعنى متانة الدين أن أعمال طاعته غزيرة ، وأبواب العبادة والزلفى فيه كثيرة ، ومسالك الشكر على نعم الله الوفيرة طويلة ، فعليك من الأعمال ما تطيقون . ومعنى المنبت : الذى يكلف مطيته من السير فوق طاقتها ، حتى تهلك منه

وهو في أثناء طريقه . فلو كان قد بقي مكانه لكان أسلم عاقبة له من الانقطاع وسط الطريق .

وغير خاف أن ذلك كله في باب النوافل والمندوبات والقربات التي ليست من الفرائض ، وإلا فالفرائض التي فرضها لم يرخص في تركها ، إلا إذا عجز عنها المعجز كله ، على تفصيل معروف في كتب الأحكام .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فسدّدوا وقاربوا » كانت نتيجة لما سبق من التعليم والتعليل له . والسداد : القصد والتوسط في العمل ، بالتجافي عن الإفراط والتفريط . ومعنى الأمر بالمقاربة : أن من تعاضى عليه بلوغ الدرجة الكاملة فليقاربها بلا إجهاد ولا كد . وقوله : « وأبشروا » أي بالثواب على العمل الدائم وإن كان قليلا ، ولا تستقلّوا بما تعملون من الطاعات مع المداومة متى أدبتم فروض الله وابتمدتم عن منهيانه ، كما ورد : « أتق المحارم تكن أعبد الناس » وإن البشارة في هذا الموضع لتحبل النفوس على الرغبة في المداومة والابتهاج بهذه المنزلة التي ضمن لها القبول مع سهولتها ويسرها . ومن ابتهج بما هو فيه واغتنبط بحاله ، كان جديرا بملازمته ، ولا سيما إذا كان سهلا هينا .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « واستمعينوا بالغدوة والروحة وثىء من الدجلة » : هذا من باب التمثيل ، فإن الغدوة هي السير أول النهار كما قلنا ، والروحة السير آخره . فكأنه مثل المؤمن في هذه الحياة بالمسافر الذي يكدّ إلى بلوغ الغاية القصوى ، وهي السعادة الخالدة ، والفوز برضائه . ولا شك أن الدنيا طريق للأخرة ، والمسافر ينبغي أن يتلمس في سيره أوقات النشاط الذي يكسبه القوة في سيره ، فكأنه يقول : إنكم جادّون في السير إلى السعادة التي أعدت لكم ، فالتمسوا مسيركم أوقات النشاط ، كما يعتمد المسافر إلى اختيار وقت الغداة ووقت الأصيل للسير فيهما ، حتى لا يهلكه الحر الشديد .

وقوله: « وشىء من الدلجة » ما زال يلمح منه الرفق في السير ، فإن الدلجة هي السير ايلا . وإن من سار كل الليل كل لا محالة ، أو من أخذ وقت السحر كله سيراً عرض نفسه للسكران كذلك . فلذا جاء في جانب الدلجة . والكلام على كل حال من باب تمثيل السائر في عمل دينه بالمسافر ، فيؤمر بالرفق الذي يحسن أن يؤمر به للمسافر .

وبعد : فهذا باب يختلف فيه الناس بحسب قوة إقبالهم على ربهم ، وشديد مراقبتهم لجلاله ، بل يختلف فيه حال الشخص الواحد بحسب سنه شباباً وشيوخه ، وبحسب تربية نفسه وتعويدها على يسير الطاعة ، ليتدرج منها الى عظيمها . والأساس قبل كل شىء هو التنحى عن منهيات الله ، والقيام بأوامره المحتومة ، وأداء فرائضه تامة غير منقوصة . كما أن مراقبة المرء نفسه لينقيها من أدران المساوىء الباطنة من غل وحقد وحب الأذى للناس وغير ذلك من الأمراض النفسية ، أمر هو في الدرجة الأولى أن يرغب في إسماع نفسه ، وفوزها برضا الرحمن .

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بالرحمة والرضوان ، وأن يمنحنا التوفيق ، ويجنبنا الخذلان ، والله المستعان

ابراهيم الجبالي

## الترغيب عن تولي المناصب

طلب رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله ( أى أن يوليه عملاً ) . فقال له :  
إنا لا نستعمل على عملنا من يريده .

طلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولاية ، فقال له النبي : يا عم ! نفس تحبها خير من ولاية لا تحبها ، ولم يجبه الى طلبه .



## معجزة علمية للقرآن الكريم أصل الأديان دين واحد حق

كان الفلاسفة في القرون المتأخرة من الذين عنوا بالبحث في أصول الأديان واشتقاق بعضها من بعض ، يقررون أن الانسان الأول في سذاجته لم يستطع أن يدرك أن للسكون إلهاً واحداً موصوفاً بجميع صفات الكمال ، بل اعتبروا أن وراء كل قوة طبيعية إلهاً يدبرها ، فجعلوا للهواء إلهاً ، وللأرض إلهاً ، وللبحر إلهاً وهلم جرا ؛ وتخيّلوا بينها من العلاقات مثل ما بين الناس من قرابات ومصاهرات ، بل واختلافات ودسائس وحروب . على هذا جرى المصريون والهنود والصينيون وجميع من وصلنا تاريخهم من القدماء ، وأشهر ما وصلنا عنهم تاريخ الآلهة عند اليونان والرومان . فكان الفلاسفة في العصور المتأخرة يزعمون أن الانسان بدأ حياته الدينية وتديناً معدداً للآلهة ، ثم ترقّت فكرة الربوبية عنده يسيراً يسيراً ، فاستحالّت من مادية محضّة الى روحانية ، ثم تدرجت من ذلك الى التوحيد المشوب بشيء من التشبيه ، ثم الى التنزيه المطابق .

هذا الرأي كان من الآراء المقررة في الفلسفة ، الى حد أن واحداً من المشتغلين بهذا الأمر لم يجرؤ أن يبدى عليه نقداً أو اعتراضاً .

بقى هذا الرأي سائداً في أوروبا ، حتى نبغ الأستاذ الألماني ( ماكس مولر ) صاحب المباحث المستفيضة في الأديان الشرقية ، فأثبت بالدلائل القاطعة في كتابه ( أصل الدين وترقيته ) أن الإنسان عبّد في أول أمره إلهاً واحداً منزهاً عن الزمان والمكان والجنسية ، وأن تعدد الآلهة والتشبيه عرضاً على هذه العقيدة بعد التوحيد الخالص ، دُفع إليهما الإنسان بخيالات ذاتية أو بتسويلات خارجية جاءت من رؤساء

الأديان ، كإرادة تصوير تلك الذات المجردة بصور مادية ، وإحاطتها بأشكال رمزية ، ثم طوح به الخيال الى تسمية تديرها قوى الطبيعة المختلفة بأسماء شعرية ، وأنس بهذه المجموعة التصورية أنسا دفعه الى إحلالها محل عقيدة التوحيد والتنزيه . وجرى على ذلك أحقابا نسي أخلافه فيها أصلها الأول ، فقامت الأم على هذه الوثنية وعمتها جميعا . فلما جاء الباحث المعصرى وجدها شائعة في كل مكان ، وخاصة لدى الأم المتوحشة ، فقرر بأنها أصل الأديان ، وأن التوحيد الخالص نشأ بعدها ، زاعما أن الانسان ما كان ليستطيع أن يصل الى دين حق وهو لم يخرج بعد من لفائفه الطفلية .

والذى حدام الى هذا الزعم أنهم في ماديتهم كانوا يجهلون أن للكون إلهام قادرا ، وكانوا يعتقدون أن الأديان ليست في حقائقها إلا ثمرات الخيال المحض ، تورطت فيه الشعوب جهلا بحقائق الوجود . ولو كانوا يعتقدون بالله لما طوح بهم الوهم الى هذا الرأى . فجاء اكتشاف العلامة (ماكس مولر) مقوما لهذا العوج الفلسفى من جهة ، ومقربا للفلسفة الاعتقاد بالله من جهة أخرى ، فإن الشعوب ما دامت لا تستطيع في زعم الفلاسفة أن تصل الى عقيدتي التوحيد والتنزيه بعمولها الفاصرة وهى في عهدها الأول ، فيكون في ثبوت وجود الدين الحق وهى في ذلك العهد دليل على أنها تلقت من خالق الكون نفسه بطريق الوحي ، كما دلت عليه نصوص الكتاب الكريم .

أما الآيات الدالة على أصل الدين فهى آى كثيرة ، منها قوله تعالى : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) .

أبان الله تعالى في هذه الآية أن الدين الحق فطرة في كل نفس بشرية ، فاذا كان الانسان قد اتخذ بدله وثنية خيالية ، فلانما حدث ذلك لخروجه عن تلك الفطرة .

وقوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اُخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ اَلْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

معنى هذه الآية: كان الناس في أول عهدهم أمة واحدة متفقين على دين الفطرة، وهو التوحيد والتزكية، فاختلَفوا، فبعث الله إليهم النبيين، وأنزل معهم الكتاب يرشدكم إلى الحق، وليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في الكتاب إلا الذين أعطوه، أي أنهم عكسوا الأمر، فجعلوا ما أنزل لإزالة الخلاف سبباً لاستحكامه، تحاسداً منهم، فهدى الله المؤمنين للحق، والله يهدي من يشاء إلى صراط قويم.

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاُخْتَلَفُوا، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

فانظر كيف جاءت الفلسفة في القرن العشرين تقرر ما نص عليه القرآن قبل نحو أربعة عشر قرناً؟ وهذا قليل من كثير من معجزات الاسلام العلمية والفلسفية التي سنتم بها هنا واحدة واحدة « ولتعلن نبأه بعد حين » محمد فريز ومهدي

## الفضائل الخمس

قال على كرم الله وجهه: أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها اباط الابل لكانت لذلك أهلاً: لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه. وعليكم بالصبر فإن الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه.

## أبو بكر الصديق

لم يقف ثبات أبي بكر عند الحد الذي أشرنا اليه في مقالنا السابقة ، بل إن في موقفه الذي سأقصه عليك في مسألة إنفاذ جيش أسامة الذي عقد لواءه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبئك بعظمة أبي بكر ، ورفعة شأنه ، مع لين وتواضع : ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد أعدّ قبل وفاته جيشاً ، وأمر عليه مولاة أسامة بن زيد لبعثة إلى الشام ، فتأخر الجيش عن السفر لمرضه عليه السلام ووفاته . فلما بويع لأبي بكر ، وكان الوقت عصيباً ، إذ لم يكدر يبلغ الناس خبر وفاته عليه السلام حتى ارتد منهم كثير ، ومنع بعضهم الزكاة ، كما صر بك ، أنفذ أبو بكر جيش أسامة والحال ما وصفنا ، لأنه لم يكن ليؤخر شيئاً أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد قال له الناس : إن هؤلاء الذين مع أسامة هم جند المسلمين ، والعرب قد انتقضت بك ، فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ! فانظر إلى قوة الإرادة ، وإلى الثبات أمام الأخطار والخطوب في مثل ذلك الموقف الحرج ، لا تجده إلا في مثل أبي بكر رضي الله عنه .

أمر رضي الله عنه بالتجهز ، وأن يخرج الجيش من المعسكر ، فلما خرجوا وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه — وكان معه في جيشه — إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس ، وقال : إن معي وجوه الناس وجلتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون ، فلم يثن ذلك أباً بكر عن عزمه ، بل استمر نابتاً على رأيه ، وقال لعمر : إن خطفتني الكلاب والذئاب ، لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ، ولو لم يبق في القرية غيري لأنفذته .

حصل هذا ، وحصل أن طلب كبار الأنصار ممن كانوا في جيش أسامة من عمر بن الخطاب أن يطلب الي أبي بكر أن يولي أمرهم من هو أسن من أسامة ، فلما أفضى عمر الى الخليفة بما حمل من رسالة ، أبي إلا المضاء فيما أمر رسول الله ، واشتد على عمر حتى أخذ بلحيته ، وقال له : عدمتك أمك وثكلتك يا ابن الخطاب : استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطلب الى أن أنزعه :

ولقد أعطى أبو بكر المسلمين درسا في الأخلاق أراد به أن ينتزع ما في ضمائرهم من آثار الجاهلية ، والتمسك بعرى التفاضل بالأنساب ، وأن يحو من نفوسهم كل أثر من آثار الكبرياء ، فخرج بنفسه رضى الله عنه ، حتى وافى الجيش وشيعة ماشيا وأسامة راكب . فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لا تزلن . فقال : والله لا تزلت ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ! فلم يسمع الأنصار وقد رأوا خليفة الرسول ماشيا في ركاب أسامة إلا السكوت ، ولم يبدر من أحد منهم بادرة قط ، وساروا صحبته وأبدوا ما عرفوا به من إخلاص في الجهاد .

ولم يشأ الوقوف عند هذا الدرس ، بل أراد أن يفهم الجيش أنه تجب الطاعة للقائد ، والوقوف عند رأيه مهما تكن سنه ، فتقدم وهو الخليفة الى أسامة ، وطلب اليه أن يترك له عمر ، قائلا له : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له .

خليفة رسول الله يستأذن من قائد جيشه في أن يترك له جنديا من جنوده ، وقد كان في وسعه أن يستثنى ما شاء من الجند . رجل هذا شأنه حرى بأن تطيعه المسلمون ، وأن تتأدب جيوشه بأدبه . وإذا لاحظت أن أبا بكر رضى الله عنه رأى أنه إن توقف عن إنفاذ جيش أسامة الى الوجه الذي أعد له ، شعرت قلوب العرب بضعف المسلمين عن حماية أنفسهم ، فيقطع الذي في قلبه مرض ، وأن إنفاذه إمضاء لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصوير المسلمين في النفوس بصورة القوى

الجرىء الذى لم يحتاج قلبه خوف ولا وجل ، علمت أن ثبات أبى بكر وقوة إرادته  
كانا مقرونين بحسن الرأى والتدبير .

### أعماله:

قام أبو بكر رضى الله عنه أيام خلافته بأعظم الأعمال ، ومن ذلك بل من أهم أعماله  
جمعه القرآن الكريم ، فقد وفقه الله بسمع مشورة عمر رضى الله عنه ، حيث أشار عليه  
بجمع القرآن من صدور القراء وبعض الصحف ، فأمر بجمعه وكتبه دون أن يلحق حرفاً  
واحداً منه تغيير أو تبديل . أخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر  
مقتل أهل البصرة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ  
يوم البصرة بالناس ، وإنى لا أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من  
القرآن ، إلا أن يجمعه ، وإنى لا أرى أن يجمع القرآن . قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف  
أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر  
يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى ، فرأيت الذى رأى عمر . قال زيد : وعمر عنده  
جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ، ولا نهملك ، وقد كنت تكتب الوحي  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فأجمعه ، فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل  
على مما كلفنى به من جمع القرآن : فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه  
وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله  
صدر أبى بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعشب وصدور  
الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره : ( لقد  
جاءكم رسول من أنفسكم ) الى آخره ، فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر  
حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

ومن أعماله العظيمة عمله على نشر الدين ، وإعلاء كلمة الحق واليقين ، فى كل رقعة من

رقاع الأرض استطاع النفوذ إليها ، فقد أرسل البعوث ، وسير الجيوش الى العراق والشام وغيرها من الممالك ، وهاجم الفرس والروم ، وكاد يتم النصر للمسلمين إبان خلافته لولا أن عاجلته المنية . ومهما يكن من شيء ، فإنه يرجع الفضل في اتساع رقعة الأمة الإسلامية من بعده ، فقد وضع الأساس ، وسار عليه خلفاؤه من بعده .

### سياسته مع الرعية :

كان أبو بكر سياسيا محنكا ، يأخذ الناس بالرفق واللين ، ويغفر لهم هفواتهم ، فمن ذلك أنه عفا عن السمط بن الأسود الكندي ، وعمر بن معدى كرب ، والأشعث ابن قيس ، لما جاءوه مكبلين ، فأسر بذلك نفوسهم ، وامتلك ضمايرهم ، وأصبحوا بعد من أكبر أنصار الإسلام ، وأشد من عونا له على أعدائه . كذلك عفا أبو بكر عن خالد بن الوليد رضي الله عنه ولم يسمع فيه مقالة عمر ، من ضرورة إحضار خالد ومعاقبته . ولقد كانت هذه السياسة سببا في لم شعث المسلمين وجمع كلمتهم ، كما كانت سببا في الخير العظيم لهم . تتبين هذا من عفوه عن خالد ، فقد كان ذلك حكمة نتج عنها الخير العام ، فإن خالد رضي الله عنه كان سيف الله القاطع ، وكان القائد الموفق في الفتح .

وعلى الجملة فإن معاملة أبي بكر لرعيته كانت شدة في غير عنف ، ولينا من غير ضعف ، لا يتعجل العقوبة إلا في قصاص واجب . وكثيرا ما أمر عماله بالرفق والأناة ، قائلا : إياكم والمثلة في الناس ، فإنها مأثم ومنفرة ، إلا في قصاص .

### زهده أبي بكر وورعه :

كان أبو بكر زاهدا ورعا ، تقيا نقيًا . ولنا نذلل على زهده بأكثر من أن نقص عليك أمره بعد أن ولي خلافة المسلمين ، وكيف استكثر على نفسه أن يستعين بأموال المسلمين على سد حاجته وحاجة عياله ، بل آثر أن يبقى على ما هو عليه من تجارة ، ولكنه لما وجد أنها تستنفد من وقته ما المسلمون في حاجة إليه ، قبل أن يعين له شيء يقيم به أوده ،

لينصرف بكليته الى ما فيه صلاح المسلمين . ومع ذلك أبت نفسه إلا أن ترد ما أخذت من مال المسلمين حين حضرته الوفاة ، حتى لقد قال عمر : لقد أتعب أبو بكر من بعده . روى عن عائشة أنها قالت : لما ولي أبو بكر قال : قد علم قومي أن حرفتي لم تكن لتمجذ عن مشونة أهلي ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، وسأحترف للمسلمين في ما لهم ، وسياكل آل أبي بكر من هذا المال . وعن عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح ، فقال له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق ، قالوا نصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فنأين أطعم عيالي ؟ قالوا له : انطلق حتى نفرض لك شيئا . فانطلق متهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن ، فقال عمر : الى القضاء وقال أبو عبيدة : والى النى . قال عمر : فلقد كان يأتي على الشهر ما يحتصم الى فيه اثنتان . وعن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : قل رجل لأبي بكر : يا خليفة الله . فقال : لست بخليفة الله ولكنى خليفة لرسول الله ، أنا راض بذلك .

وقد بويع أبو بكر الصديق يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان منزله بالسنح ، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر ، فآزاد على ذلك حتى نحول الى منزله بالمدينة ، فأقام هناك بالسنح بعد ما بويع له ستة أشهر ، يدعو على رجله الى المدينة ، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشق ، فيوافي المدينة ويصلي الصلوات بالناس ، فإذا صلى العشاء رجع الى أهله بالسنح . قالوا وكانت له قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج هو نفسه فيها ، وربما كفيها فرعيت له ، وكان يحلب لاجى أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لا تحلب لنا منائح دارنا . فسمعها أبو بكر فقال : بلى لعمر لا حلبنها لكم ، وإني لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت



عليه ، فكان يحلب لهم . فربما قال للجارية من الخي : يا جارية أتجبن أن أرغى لك أو أصرح ؟  
 فربما قالت : أرغ ، وربما قالت : صرح ، فأى ذلك قالت فعل ، فكث كذلك بالسنح  
 ستة أشهر ، ثم نزل الى المدينة فأقام بها ، ونظر في أمره فقال : لا ، والله ما يصلح أمر الناس  
 التجارة ، وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شأنهم ، وما يد لعيالى مما يصلحهم ، فترك  
 التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ، ويحج ويعتمر .  
 وكان الذى فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم ، فلما حضرته الوفاة قال : ردوا ما عندنا  
 من مال المسلمين فإنى لا أصيب من هذا المال شيئا ، وإن أرضى التى بمكان كذا وكذا  
 للمسلمين بما أصبت من أموالهم . فدفع ذلك الى عمر ، فقال عمر : لقد أتعب من بعده :  
 هذا ونحب قبل أن تنتهى بك أن نقفك على قضاء أبى بكر ، فقد روى عن محمد  
 ابن سيرين أنه قال : لم يكن أحد بعد النبى أهيب لما لا يعلم من أبى بكر ، ولم يكن أحد  
 بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ، وإن أبى بكر نزلت به قضية لم نجد لها فى كتاب  
 الله أصلا ولا فى السنة أثر فقال : أجتهد رأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ  
 فنى ، وأستغفر الله .

هذه أخلاق أبى بكر ، من الدعة والرحمة والتواضع ، وهو المميز عن سائر الصحابة ،  
 وهو الذى يقول فيه رسول الله وفى عمر ، وقد رآها مقبلين : إن هذين لسيدا كهول  
 أهل الجنة من الأولين والآخرين : كهولهم وشبابهم ، إلا النبيين والمرسلين . فهلا تخلقنا  
 نحن المسلمين الذين لا حول لنا ولا قوة بأخلاق الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم المقربون  
 المكتوب لهم الجنة ؟ ألا إننا ضائعون ، إلا أن تأتينا رحمة ربك ، إنه واسع عليم : ما

طه مبيب

عضو المحكمة العليا الشرعية

سابقا

# تجلى التدبير الالهى فى أعمال الحيوانات

مشاهدات عجيبه فى حياة الحشرات

ينكر الماديون فى سبيل تأييد مذهبهم كل ما يقف فى وجهه ولو كان من المحسوسات ، وهذه خصلة فيهم كانت أشد على مذهبهم من كل الدلائل التى قامت ضده ، فأتهموا من أجلها بما يجب أن يتنزه عنه كل سالم الفطرة مستقيم السيرة .

من أقوى الإشكالات التى رُموا بها ما توجه اليهم من ناحية الإلهام الإلهى للحيوانات ، وخاصة الضعيفة منها ، فقد سُئلوا عن مصدر الأعمال الحيرة للعقل التى يقوم عليها الحيوانات فى بناء بيوتها ، وتربية صغارها ، وتدريبها على ما يحفظ وجودها من المحاولات ، وعدم تركها إياها ، حتى تكون قد بلغت حدا تستطيع معه أن تعيش مستقلة عنها .

فكان جوابهم أن تلك الأعمال كلها عادات موروثه ، أى أن أمهاتها وآبائها قد قامت على وسائل لحفظ وجودها ، وتربية صغارها ، فورثها عنها أخلافها .

فلما سُئلوا : ومن أين نشأت لأسلافها تلك العادات ؟ أجابوا بأنها هديت إليها على طريق التدرج فى آماذ طويلة .

فلما سُئلوا : وكيف أمكن أسلافها ، ولم يهتدوا بعد الى تلك الوسائل كاملة ، أن تحفظ وجودها ووجود أنواعها ؟ أجابوا بأنها قبل أن تصل الى الكمال من تلك الوسائل قد هلك منها عدد لا يحصى ، وما بقى منها تناوله ناموس التطور حتى أوصلها الى ما هى فيه اليوم .

ومن العجيب أن تثلج صدورهم على هذه الأجوبة الركيكة، وترتاح إليها نفوس مقلديهم دون أن يشعروا بأقل حرج منها .

ولكن العلم بُدِّؤ به فى دراسة حياة الحيوانات قد وصل الى اكتشاف عجائب من هذا النوع تجعل هذه التعميلات فى مستوى الأضاليل التى لا يصح أن يقول بها رجال يدعون أنهم من أهل التمهيص الدقيق ، والأسلوب العملى .

فلنأت على شئ من تلك الاكتشافات العلمية التى تهدم آراء الماديين هدمًا لا قيام لها بعده .

لندع ما يبتنيه النحل من الخلايا المسدسة الأشكال ، وما يقيمه كلب البحر من السدود على الأنهار ، وما يأتبه النمل من الأمور المحيرة للعقل ، وما تفعله الطيور من العجائب ، لندع كل ذلك ، وننظر فيما اطلع عليه العلماء من مراقبتهم للحشرات .

فنها أن الفراشة متى وصلت الى الطور الثالث من حياتها، تضع بيضها على هيئة دوائر على الأوراق الخضراء . هذا البيض لا يفقس إلا فى الفصل التالى ، فيخرج على هيئة ديدان صغيرة فى الوقت الذى تكون فيه أمهاته فى عداد الأموات ، أى أنها لا تراها . فن الذى علم الفراشة أن صغارها متى خرجت احتاجت الى التغذى يجنى النباتات الخضراء ؟ ومن الذى هداها الى وضع بيضها على تلك النباتات ؟ هل هدتها الى ذلك أمهاتها ؟ لا ، فإنها لم ترها فى حياتها .

ومن تلك المشاهدات أن الحشرات المسماة ( نيكروفور ) تموت بعد أن تبيض مباشرة ، أى أنها لا ترى لها ذرية أبدا ، ولم ير فرد من أفرادها له أما أو ولدا ، ولكن من العجيب أن هذه الحيوانات قبل أن تبيض تعنى غاية العناية بجمع جثث حيوانية تضعها بجانب بيضها ، لتصلح أغذية لصغارها متى خرجت . ففى أى كتاب قرأت هذه الحيوانات أن بيضها يحتوى على صغار ، وأن تلك الصغار ستخرج محتاجة الى غذاء ، وأن

ما تحتاجه تلك الصغار هو تلك الجثث الحيوانية ؟ ألا يدل هذا على عناية الله بمخلوقاته وعلى تولىه لهم بالإلهام والهداية ؟

ومن أعجب المشاهدات من هذا القبيل أن الحيوانات المسماة (بومبيل) من أكلة الحشائش ، ولكن صغارها تولد محتاجة للتغذى من الحيوانات . فترى الأمهات تعتمد الى وضع بيضها على أجساد الحيوانات ، حتى إذا خرجت صغارها وجدت ما تقتذى به . فن الذى أدراها أن صغارها يجب أن تقتذى فى أول أمرها بالحيوانات ؟

ومن المدهشات فى هذا الباب ، الحيوانات المسماة (أوديتير) و (سفكس) فإن صغارها متى خرجت من البويضات احتاجت أن تقتذى بأجساد حيوانات حية . فترى أمهاتها متى باضت عمدت الى اصطياذ حيوانات ، فمى لا تقتلها ، ولكنها تضر بها بحيث تمنعها الحركة ، وتركها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز ، فإذا خرجت صغارها وجدت أمامها لغذائها حيوانات حية ، وإن كانت لا تستطيع الحركة .

ومن محيرات العقل فى أمر إلهام الحيوانات ما تكلم عنه الأستاذ (ميلن أدوارد) فى جامعة السوربون بفرنسا من حياة الحيوانات المسماة (أكسيلوكوب) ، فقد قال : إن هذه الحيوانات التى تراها طائرة فى الربيع ، تعيش منفردة ، وتموت بعد أن تبيض مباشرة ، فلم ير صغارها أمهاتها ، ولا تعيش هى حتى ترى أولادها التى تكون على حالة ديدان لا أرجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ، ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضى أن تعيش مدة سنة من الزمان ، فى مسكن مقفل ، وهدوء تام ، وإلا هلكت .

فترى الأم متى حان وقت بيضها تعتمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا ، فإذا أتمته على ما ينبغى شرعت فى جاب فخيرة اليه تكفى صغارها سنة كاملة ،

وتلك الذخيرة تتألف من طلع الأزهار ، وبعض الأوراق السكرية ، فتحشوها في قاع السرداب ، ثم تضع بيضة ، وتأتي بعد ذلك بنشارة الخشب ، فتكوّن منها عجينة تجعل منها سقفاً على تلك البيضة ، ثم تأتي بذخيرة جديدة فتضعها فوق ذلك السقف ، وتجعل فيه بيضة أخرى ، وهلم جرا ، فتمنّي بيتاً مؤلفاً من عدة طبقات ، ثم تترك ذلك كله وتموت .

قال العلامة (ميان ادوار) مُورد هذه الشهادة عقب إيرادها :

« يجب أن يدهش الانسان حين يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالاً يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست غير نتائج الاتفاق ، أو بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة » .

ونحن يحسن بنا أن نقف عند هذا الحد ، واعدن بإيراد عجائب من نوعها ، لتكون حججاً ناطقة على وجود الصانع الحكيم ، وعلى توليه المواقاة بالهداية والتدبير ، مصداقاً لقوله تعالى : ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) محمد فريز ومجدي

## من لباب الحكمة الاسلامية

قال علي كرم الله وجهه : لسان العاقل من وراء قلبه ، وقلب الأحمق من وراء لسانه .

قال جامع كلامه رضى الله عنه عقب هذه الحكمة :

« وهذه من المعاني الشريفة ، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ، ومؤامرة الفكرة ، والأحمق تسبق حذقات لسانه وفلمات كلامه مراجعة فكره ، وبماخضة رأيه ، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه ، وكأن قلب الأحمق تابع لسانه . وقد روى عنه عليه السلام ( يريد عن علي نفسه ) هذا المعنى بلفظ آخر وهو قوله : قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه . ومعناها واحد .

## في تنظيم الاحسان طمأنينة المحسنين

قال الله تعالى : ( لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ) .

جدت في هذه السنة حركة نرجو أن يكون فيها للأمة خير وبركة . تلك حركة مقاومة التسول الصناعي ، الذي ابتليت به الأمة في فئة من أبنائها ، انحطت نفوسهم ، وفقدوا الكرامة والعزة ، وذهب عنهم الإحساس بشئ يسمى شمتا أو إباء ، أو شرفا أو عفة ، فلم يكن لهم ثم إلا في إحراز ما في يد الغير بلا مقابل ، سوى الظهور بمظهر العجز والفقر والمسكنة ، يصرفون من التفكير في ابتكار الأساليب الخداعة ما يستدر الدموع من العيون رحمة بهم ، ويدرك الأَكف بالصدقات إحسانا إليهم ، ويبقى الناس في عمية من أمرهم ، وجهل بدخيلة حالهم ، حتى ينقضى عمر أحدهم — وما أطول أعمارهم — فيتكشف الأمر عن ثروة متنوعة من مال مختلف الأشكال ، ما بين فلوس صغيرة ، ونقود ذهبية وفضية وفيرة ، وأوراق مالية كثيرة ، وأمتعة مختلفة الأشكال لا تجمعها رابطة ، ولا يأتلف منها قديم يجديد .

بلى : وقد يظهر مع هذا كله عقارات ثمينة ، وعمارات شاهقة ، فيدرك الناس أمرا لا مفر منهما : دهش يملك عليهم تفكيرهم ، وندم على ما أعطوا لأولئك الخداعين المفررين يملك عليهم أيديهم ، فلا تطاوعهم بعدها بعتاء لمن يظهر بمظهر المسكنة ، بل نرى الكثير من المحسنين يكون أكثر ما يكون إساءة ظن بالمستجدي متى رأى أثر المبالغة في إظهاره المسكنة . وهنا ينجم شران مستطيران ، أشدهما : قبض

يد الإحسان عن المستحقين الحقيقيين ونايهما: ظهور هؤلاء المتسكين بالمظهر المشوه للمجموع الانساني، المصور للأمة بصورة شنيعة: من فقد الشفقة، وانحلال الرابطة. من هذا كله كان نظر العقلاء وأهل الخير الى مشروع قانون التسول نظر اغتياط ورضا، نظر ارتياح واستحسان. وإنا لندرجو من هذا الاغتياط والرضا، من هذا الارتياح والاستحسان، أن يكون مصدر خير عظيم لا يمدد مشروعات الملاجيء الخيرية، التي أعدت لإيواء من يثبت أنهم مستحقون للإحسان استحقاقا صادقا، وأنهم عاجزون عن الكسب عجزا حقيقيا. أولئك الذين لا يستطيعون ضربا في الأرض ومنهم من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهم أقل أولئك التمساء حظا من الإحسان، لأنهم لا يسألون الناس إلحافا، وقد بدت عليهم آثار المتربة، بل المخمصة. فمن تتبع حالهم عرفهم بسيماهم معرفة صحيحة، لا تلبس فيها ولا تدليس.

هذا هو تنظيم الإحسان، وهذا هو باب الطائفة للمحسنين على أن إحسانهم قد صادف محلا، وأن برهم قد لاقى موضع الحاجة، وذلك أكبر ما يعنى المحسن في إحسانه.

ولقد ينقطع بذلك تعامل المتعلمين في قبض أيديهم عن الخير بقولهم: وما يدريك فلعل الذي يستجديك هو أغنى منك وأثرى: وكيف كنا نلومهم وقد تفنن الناس في الأفاضيل عنهم بالحق وبالباطل، بما ملأ النفوس اشتوازا من تلك الفئة وقسوة عايبها، وقد يكون ذلك في بعضهم لا في أكثرهم. ولكن الشك إذا دخل نفس المحسن كان قبض اليد أقرب اليه من بسطها. وإن حادثة واحدة تنشرها صحيفة يومية عن مستجد خلف ثروة كبيرة، لكافية لا ختلاق مائة قصة تشبهها، من قديم وجديد، من خيال مختلق، بتفنن متقن، ومن حادثة حقيقية. والنفوس مولعة بالأصفا المستقرات. وإن أمانة تمكن الخير من نفوس الأمة وتواصل عاطفة الإحسان فيها، أن تقبل

على إمداد هذه الأعمال الخيرية المحضة ، سواء منها الملاحي ، المستجدة أو القديمة ، أو مطاعم الشعب التي أغدقت على كثير من البؤساء الذين لا تكاد أيديهم تصل الى عمل منتج يبرون به أنفسهم وأولادهم . ولو أن عظماءنا سمحوا لأنفسهم الفينة بعد الفينة في تعرف حال العاملين في بعض المهن الشاقة الضعيفة الإنتاج ، لرأوا فيهم بابا واسعا للشفقة والرافقة . وخير أن يكون برغم عن طريق فيه حفظ لكرامتهم نوعا ما ، أو على الأقل فيه السلامة من تعويد الاستجداء الذي متى ذاقوه استمروا وواكبوا عليه ، فلا ترتفع رأسهم لعمل نافع ، ولا لحفظ كرامة .

ولنشعر أنفسنا في كل حال أن هذا العطف والبر بالفقير على ذلك الوجه الجميل يتضمن معنى مما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وكفى بالتسائد في أصل العيش وضرورة الحياة شدا لبناء الأمم ، وتمتينها لصلاتها . نسأله جلت قدرته أن يوفق الجميع الى ما فيه رضاه ، والله المستعان .

ابراهيم الجبالي

## طرائف حكمية

قال على كرم الله وجهه :

قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروءته ، وشجاعته على قدر أنفته ، وعفته على قدر غيرته .

وقال أيضا : إذا قدرت على عدوك فاجعل العقو عنه شكراً للقدرة عليه .

وقال أيضا : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من

ظفر به منهم .

وقال أيضا : إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر .



## تراجع الفلسفة عن موقفها الإلحادي

كلام عن النواميس الطبيعية وآراء العلماء فيها

لما افتتن أهل الفلسفة بنظرياتهم التي تواضعوا عليها في عهد نهضتهم منذ نحو ثلاثة قرون، كان في مقدمة ما تواضعوا عليه وجعلوه أساساً لجميع بحوثهم في الطبيعة، أن المادة محكومة بنواميس ثابتة قديمة مثلها، وأن هذه النواميس في انتظامها وتربطها تكفي لإحداث الخليفة من أدنى رتبها إلى الإنسان نفسه دون أن نحتاج إلى مدير يديرها. وهم يريدون بهذه النواميس القوي التي تربط بين أجزاء المواد، وتتولى تطوراتها المختلفة، وتقود حركات تدرجها إلى الكمال، وتطبع فيها الصور المتنوعة، وتحشد علاقاتها المتبادلة، فإن شئت كائن عن نظامها المقرر لسبب من الأسباب، فلا تزال به حتى تخضعه له أو تبديده.

نعم إن الأقدمين قد قالوا بما يقرب من هذا الافتراض، إلا أنهم لم يبالغوا منه إلى الحد الذي بلغه المحدثون، ولم ينسقوه تنسيق هؤلاء له، فكان هذا الرأي من أراكين الفلسفة حائلاً بين بعض الناظرين وبين القول بالقدرة الإلهية.

ولكن حدث ما لم يكن في حساب أحد، فإن التطور العلمي قد دفع رجالاً من أهل البصر إلى إعادة النظر في هذا الافتراض على ضوء الاكتشافات الحديثة، فتبين لهم أنه من الوهن بحيث لا يثبت أمام النقد، ولا يكفي في تعليل وجود الكائنات وحفظها، وفي تنويع صورها، وتتولى تطوراتها، فصرحوا بأن القول بقدمها يناقض بداهة العقل، ولا يفسر غوامض الطبيعة، وأن في الأصرار على القول به صداماً عن فهم أسرار الوجود، وحائلاً دون الوصول إلى الحقيقة، وهي الغرض الأول لجميع المحاولات

الفلسفية . فكان لهذه المفاجأة أثر كبير فى الدوائر العلمية ، فهتت لدحضه بادىء  
ذى بدء ، ولكنها اضطرت أخيرا الى قبوله ، فكان عهدا جديدا للفلسفة تأدّت به  
الى إثبات القدرة الإلهية من طريق النظر فى الحوادث السكونية .

من أنجب من كتبوا فى هذا الموضوع العلامة الفرنسى ( أميل بوترو ) العضو  
بالمجمع العلمى ، فقد نشر كتابا أسماه ( حدوث النواميس الطبيعية ) جاء فيه ما يأتى :  
« إن العالم يرينا فى كل ناحية من نواحي الوجود تغيرا وارتقاء وانحطاطا ، وهذا  
يقضى القول بحدوث النواميس وقبولها للتغير ، وليس هذا يصدق على النواميس  
الجزئية فحسب ، ولكن على النواميس السكونية التى تجمع تلك النواميس الجزئية  
وتسيطر عليها » .

يريد الأستاذ ( بوترو ) من النواميس الجزئية ، التى تظهر فى صغريات الحوادث  
الطبيعية ، وتقود حركاتها الفردية . ويريد من النواميس السكونية التى يعم حكمها هذه  
الحركات الفردية ، ويوفق بينها وبين النظام العام السائد فى الكون .

ثم شرع الأستاذ ( بوترو ) يتوسع فى التدليل على ما ذهب اليه ، فقال ما مؤداه :  
إذا صح ما يزعمونه من أن المادة قديمة لم تحدث من عدم ، وأنها باقية لا تتلاشى ،  
وفلنا إن النواميس الطبيعية هى التى تقود هذا النظام العالمى ، فما الذى يفسر لنا ما نراه  
فى نواحي الوجود من التغير والارتقاء والانحطاط ، إذا كان هذا العالم مقودا بنواميس  
طبيعية قديمة ؟ أفما كان ينبغى إذا صح ذلك أن هذا النظام العالمى يكون من مبدئه  
الى منتهاه على حالة واحدة ، دون أن يكون لما فيه من الموجودات قيم متفاوتة ، ودون  
أن يتغير من ارتقاء الى انحطاط ، ومن انحطاط الى ارتقاء ؟ ألا يدل هذا على خطأ  
ما يزعمونه من أن العالم مقود بنواميس طبيعية ، وأن تلك النواميس قديمة لا إدراك لها  
ولا اختيار ؟

إن الانسان فى علاقته مع ما يحيط به من العالم ليس واقفا موقف المنفعل الذى لا يستطيع أن يفعل ، ولا أن يؤثر فيما بين يديه من الموجودات ، فهو فى كل آن تعمل يده فى الكائنات التى تدخل فى دائرة قدرته ، فيحولها من حال الى آخر ، ويطبع بعض المواد بما يشاء من الأشكال ، ويستخدم بعض النواميس الطبيعية ، ليحدث أعمالا أرقى من الأعمال التى كانت موجودة . فأتين كانت تلك النواميس الطبيعية حين يعمل الانسان هذه الأعمال ، ولم لم ترقه مرغمة له على احترام أفعالها هى ، فكانت آثارها هى التى تبدو للعالم دون ما يريد الانسان من آثار أخرى ؟ إن وجود الانسان وهو كائن شاعر بذاته ، لا يمكن تفسيره بأنه أثر لفعل النواميس الطبيعية والفيزيولوجية ، لأن وجوده وقيامه بالأعمال المتنوعة والمؤثرة ضد الطبيعة يدل على أنه هو ليس أثرا من آثارها ، ولا منفعلا آليا لقواها .

نقول : هذا كلام صريح حاسم ، فى ضرورة زعزعة سلطان النواميس الطبيعية وإحالتها الى أقدارها الحقيقية ، وليس هو بقول فردى يمكن عزوه الى مؤثرات دينية فى نفس قائلها ومذيعها ، ولكنه هو الرأى العلمى الراهن ، الذى تصدى للكتابة فيه جبهة من أركان العلم المصرى . ونحن مضطرون لإيراد بعض أقوالهم لتقرير هذه الحقيقة الكبرى .

فإليك رأى الفيلسوف الفرنسى (أدوار لوروا) كما نقله عنه العلامة (هنرى بوانكاريه) فى كتابه (قيمة العلم) صفحة ٢٣٤ ، قال :

« العلم لم يتألف إلا من تواضع العلماء على أصوله ، وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره للمهود من الثبوت . فتعليل الحوادث الطبيعية ، والقول بوجود النواميس ، ليس إلا من مخترعات العلماء أنفسهم ، فالعلم لا يستطيع وحالته هذه أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة » .

وقال العلامة (هنرى بوانكاريه) ناقل هذه العبارة فى كتابه المتقدم ذكره  
فى صفحة ٢٧٧ :

« كثيرا ما يتساءل الناس : من ذا الذى يدرى هل النواميس تتطور أم لا ، وهل كانت  
فى العهد الفحشى على ما هى عليه اليوم ، أم كانت على حال أخرى ؟ » .

ثم ذكر أن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة ليست فى قدرة العلم ، فقال :  
« إن هذا الأمر يتعاضى على كل ضرب من ضروب المراقبة ، بحيث إنه إذا كانت  
نواميس الطبيعة ليست اليوم على ما كانت عليه فى العهد الفحشى ، فإننا لا نستطيع  
التحقق من ذلك ، لأننا لا نعلم شيئا عن ذلك العهد إلا ما نستنتجه استنتاجا من  
افتراضنا عدم تغير النواميس الطبيعية » .

هذا قول ثقة فى العلم بالنواميس . ونستطيع أن نضيف اليه قول العلامة الدكتور  
( ج . جويليه ) المدرس بجامعة السوربون فى كتابه ( من اللا شاعر بذاته  
الى الشاعر بها ) قال :

« النواميس التى يزعمون أنها تقود العالم المادى ليست بحاصلة على ما كان يظنه  
الناس لها من وجوب الوجود ، إذ ثبت أن قيمتها نسبية ليس إلا . وعليه فيمكن  
أن لا توجد أجلا محدودا ، وأن تتغير بمرض من العوارض ، وأن يبطل عملها أيضا » .  
وقال العلامة الكبير (وليم كروكس) رئيس المجمع العلمى الانجليزى ، كما ورد  
فى مجموعة خطبه صفحة ٣٦ :

« إن ما نسميه ناموسا طبيعيا هو فى حقيقته وجه من وجوه الاتجاه الذى يعمل  
على موجبه شكل من أشكال القوة . ونحن نستطيع أن نعالل حركات الجواهر الفردة  
كما نعالل حركات الأجرام السماوية ، ونستطيع أن نستكشف جميع القوانين الطبيعية

للحركة، ولكننا مع هذا لا نكون أقرب مما كنا عليه. والمسألة الوحيدة التى يجب حلها هي: أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر موجود خلف هذه الحركات الجوهرية، مجبرا إياها على اتباع طريق مرسوم لها من قبل؟ وما هي العلة العاملة التى تؤثر من وراء حجاب؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للأجواهر الزردة خارجة عن النواميس الطبيعية، بحيث يحماها على تكوين هذا العالم المادى الذى نعيش فيه؟

وقال هذا العلامة نفسه من خطبة له أخرى فى تلك المجموعة نفسها:

« متى امتحننا من قرب بعض النتائج العادية للغاواهر الطبيعية، نبدأ بإدراك: الى أى حد تنحصر هذه القوى، أو كما نسميها النواميس، فى دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم؟ »

هذه حكاية حال بعض كبار العلماء فى مسألة النواميس الطبيعية. ومنها يرى القارىء الى أى حد بلغ بهم الخروج من سلطانها الوهمى. وإنا ننشرها وننشر أمثالها لتغذية عقول الناس، بشمرات العقول العالمية الحديثة، حتى لا يغتروا بالألفاظ الموضوعة، ولا يذهبوا فى تقديسها مذاهب لا تتفق وقيمتها الحقيقية. محمد فريد ومبرى

## حكم اسلامية

قال ابو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد: فر من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت توهب لك الحياة.

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا (أى أن يوليه) فبادر الرجل بطلب العمل قبل أن يقاتحه فيه، فقال عمر: والله لقد أردت لك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يمن عليه.

## الحديث - تدوينه

السنة لغة الطريق المسلوكة . وهي في لسان أهل الشرع : قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، وتقريره . وقد أجمع من يعتمد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة هي الأصل الثاني من أصول الأحكام . وقد ثبت بالسنة أحكام كثيرة ، كتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومغلب من الطير ، وغير ذلك . وفي القرآن ما يشهد بوجوب الأخذ بسنة رسول الله ، قال تعالى : ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) . وقال تعالى : ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وقال : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ )

وكون السنة المطهرة حجة من ضروريات الدين ، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام .

وما روى عن رسول الله من طريق ثوبان : « ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنافقته وإن خالف فلم أقله » موضوع ، قال الإمام الشافعى : ما رواه أحد عمى ثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير . وقال يحيى بن معين : إنه موضوع وضعته الزنادقة .

ولا يخفى على المسلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، وأن الدلائل قد قام على عصمتهم . وقد عنى المسلمون الأولون بما كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظروا فيما فعله ، وفيما قرره ، وفيما قاله ، فبحثوا الخبر من حيث التواتر وعدمه ، وشرطوا شروطا لكل ، كما شرطوا فى الخبر وهو الراوى أن يكون مسلما عاقلا بالغاً عدلاً ، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه ، كما شرطوا أن يكون الراوى ضابطاً لما يرويه .

وأشرف العلوم وأجلها بعد كتاب الله ، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل هذا كانت معرفة هذا العلم موضع نخر الصحابة والتابعين وأتباعهم خلفاً بعد سلف . وقد توافرت عليه رغباتهم ، وانقطعت له همهم ، فكانوا يرحلون له المراحل ، ويحبون له الفياق . وكان اعتمادهم أول الأمر على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر ، ولم يعمروا بكتابه وتسطيره ، لما قيل من أنهم نهوا عن ذلك في أول الأمر خشية أن يشتهب عليهم بالقرآن ، ولسرعة حفظهم ، وكثرة ضبطهم .

غير أنه لما انتشر الاسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار لكثرة الفتوحات ، ومات معظم الصحابة ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييمه بالكتابة ، فإرسوه من هذه الناحية خشية قلة الضبط ودخول التلبيس على الحق ، فأنفقوا في تحصيله زهرة أعمارهم ، دأبين في العمل ليل نهار ، حتى أبرزوا للناس تصانيف عدة كانت قدوة وقبلة . فجزاهم الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء .

وكان أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه بالكتاب ، الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عليه خوف اندراسه كما في الموطأ رواية محمد بن الحسن : أخبرنا يحيى ابن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء . وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق : انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه . فيستفاد منه كما قال الحافظ بن حجر ابتداء تدوين الحديث النبوي . وقال الهروي : ولم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث ، إنما كانوا يؤدونها حفظاً ، وبأخذونها لفظاً ، إلا كتاب الصدقات ، والشئ اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس ، وأسرع في العلماء الموت ، فأمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن محمد فيما كتب اليه : أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه .

وفي فتح الباري أن أول من جمع في ذلك الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروسة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة، وصنف الإمام مالك بن أنس الموطأ بالمدينة، وعبد الملك بن جريج بمكة، وعبد الرحمن الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثم تلاهم كثير من الأئمة في التصنيف كل على حسب ما سنع له، وانتهى إليه علمه، فمنهم من رتب على المسانيد كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع وغيرهم، ومنهم من رتب على العلل: بأن يجمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه، بحيث يتضح إرسال ما يكون متصلاً، أو وقف ما يكون مرفوعاً، أو غير ذلك. ومنهم من رتب على الأبواب الفقهية وغيرها، ونوعه أنواعاً، وجمع ما ورد في كل نوع وفي كل حكم إثباتاً ونفيًا في باب، بحيث يتميز ما يدخل في الصوم مثلاً عما يتعلق بالصلاة، وأهل هذه الطريقة منهم من تقيد بالحيح، كالشيخين وغيرهما، ومنهم من لم يتقيد بذلك، كباقي أصحاب الكتب الستة. وكان أول من صنف في الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري، رحمه الله.

طه حبيب

## طرائف حكيمية

قال الحسن البصري رضي الله عنه — وهو من علماء القرن الاسلامي الأول : يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه ، أترجو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه ؟

قيل : وقع بين الحسن وأخيه محمد بن علي رضي الله عنهما نزاع ، ومشي الناس بينهما ليصلحوا بينهما ، فكتب محمد إلى أخيه الحسن : أما بعد : فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأهلك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلولت الأرض بمنل أمي لكانت أمك خيراً منها ، فإذا قرأت كتابي هذا فا قدم حتى ترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني ، والسلام .



## تربية النفس بالنفس

للدكتور الأستاذ بول دوبوا مؤلف جليل القدر أسماء « تربية النفس بالنفس »  
نرى أن نقتطف منه فذلكات قيمة للاستفادة من بحوثه في هذا الصدد .

قال في مقدمة كتابه : الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي لا يعرف كيف يعيش .  
هذا ما كنت أحدث به نفسي بعد أن استمعت لشكوى مرضى ، فلم يكن أهمهم هو  
الذي أوحى الى هذا الرأي . وإنما هو ما رأيت من أنهم كانوا هم أنفسهم وأقربائهم  
ومعاشروهم أسبابا لشقاؤهم ، وعند تأمل في حال أولئك المساكين كنت أقول في نفسي :  
إن كل ما يشكون منه كان من المستطاع أن لا يقع ، ويجب أن لا يتكرر وقوعه .  
والتربية تلعب من ناحيتها دورا هاما في تكوين تلك العقليات المرضية .

حقا : إنها هي أكبر جان ، وليس هناك فرض آخر ممكن ، ذلك أننا لا نتعلم  
كيف نفكر .

نحن في حاجة الى التفكير في هذه الحياة ، والى إدراك صحيح للأشياء ، فنحن إذا  
تعلق الأمر بحماية مصالحنا المادية ، نظهر كثيرا من التبصر والمهارة ، ولكننا نفقد  
هذا النشاط العقلي متى كان الأمر متعلقا بحياتنا الأدبية وبسلوكنا .

نحن نشعر شعورا مختلف الدرجات بضرورة التخلص من عيوبنا الأدبية ،  
وبضرورة إنماء الصفات الحسنة في نفوسنا ، ونحب أن نفرض على غيرنا هذا العمل  
الشاق ، ولكننا نشعر بشيء من اليأس عند ما نرى ببطء هذا التقدم العام . لذلك نرى  
الناس يقابلون بابتسامة الشك كل اقتراح يرى الى تقويم أخلاق الأفراد والجماعات .  
وليس بمثل هذه الحالة النفسية نستطيع أن نعمل للنفع العام ، بل يجب على العكس  
أن نعتقد بأنه في الإمكان إصلاح عقلية الناس ، وأن نزرع كل نبات ، ونواليه بصبر

وثبات، وأن تتوقع منه محصولاً قيماً، عند ذاك لا تقف عند حد عملنا ولا نعتبره من أعمال السخرة، بل نعجب به، ونجد في هذا العمل جذلاً في الحال، وأملًا في المآل.

### الحصول على السعادة :

لِمَ نجد الإنسان كثير الغيرة، شديد الاهتمام بتربية عقليته، وبالتأثير في معاشريه؟ لا شك أن غرضه من ذلك هو الحصول على أكبر قسط من السعادة الممكنة في هذه الدنيا<sup>(١)</sup> فالباعث الوحيد لأعمال الإنسان هو الحصول على هذه السعادة، وقد اعتبروا أن ميل الإنسان الفطري لحفظ ذاته هو الإلهام الأولي لكل مخلوق حي. ليس هذا بصحيح في جميع الأحوال، والذي يهمنا هنا هو أن نبحث أين تثوى هذه السعادة التي تتعطش لها الإنسانية؟

الذي يجب علينا أن نعرفه أن الحياة غرضاً واحداً، وهو العيش على أكمل الأحوال. والإنسان تعمى عليه الطريق التي توصله إلى هذا الغرض، فيبحث عنها في توفية جميع شهواته بما يسعه إمكانه من متاع مادي وعقلي، ولكن السعادة الحقيقية ليست في إشباع هذه الشهوات مهما كانت مشروعة، ولكن هنالك حقيقة تبهر أعيننا، وهي أن جميع السعادات الجزئية فانية متحولة. فالثروة تضع، والشهرة العلمية والكتاتبية والفنية تتبخر مع الزمن متى صادفت حساداً منافسين، والصحة تضعحل، والمتاع البيتي والزوجي والأبوي لا بقاء له ككل ما سبقه، فهل يقال من أجل هذا إن السعادة (أي الدنيوية) ليست من حظ هذا العالم؟ لا، لست من أصحاب هذا الرأي، فإن كثيراً من الأحداث الحيوية يمكن تجنبها.

أجل: إن كوارث قد تقع فتكدر صفو حياتنا ولا نستطيع أن نتقيها، ولكن أهدم هذه الكوارث سعادتنا النفسية؟ لا.

(١) المؤلف يريد هنا من السعادة السعادة الدنيوية، وأما السعادة الكاملة الحققة فقد تكفل الدين ببيانها

وهي غاية ليس وراءها مطمح.

فإذا كنا نرى كثيرا من الناس يلحقهم الفرع من الحياة، ويأسون لأقل خيبة تنالهم، وهؤلاء هم التعماء حقا، فإن بإزائهم أرواحا تقوى على تحمل جميع الآلام والأسقام والموت الذى ينزل بذويهم، فتمطرهم الأحداث صيبا من المصائب، ولكن سعادتهم القلبية تبقى مع كل هذه الصدمات حية لم يمسهاسوء.

فلنحذر أن نضع كل سعادتنا على مثل أوراق اللعب، لنغير أمكنتها فى كل لحظة بأيدي غيرنا، أو لنجعلها عرضة لريح تهب عليها فتبعثرها فى كل مكان.

أنا لست بكبير الاعتماد على ما تؤاتينا به المدنية من المنافع، وما تمتعنا به من الخيرات المادية فيما يتعلق بمعيشتنا وتغذيتنا وشهوات عقولنا مهما كانت شريفة، لأن السعادة ليست هنا، ولكنها فى أعرق موطن من ذواتنا، وفى الصميم من أفئدتنا، وهى فى عقولنا على أكمل ما تتخيله من مثل عُلَيَا، وفى تقدير الحق والجمل والخير.

هذه الحالة النفسية يمكننا أن نحصل عليها بثابرتنا على تربية نفوسنا تربية أدبية، فنحن قد لا نبلغ السكّال من هذه التربية، ولكننا بمتابعتها نكون على الأقل جارين على الطريق الموصول الى هذا السكّال، وسعادتنا الوحيدة الحقة التى لا يمكن نقضها هى دائما على نسبة ما نحصله من هذا التكمّل المعنوى.

ومهما يكن من جلاله الأعمال التى قام بها الإنسان من ناحية عقله ومثابرته حتى انكشفت له أسرار الطبيعة وسخر قواها لتعمل على إنالته أغراضه، فإنه لا يزال فى الشقاء الذى أوجده لنفسه، وإن هذا الشقاء يشدد وطأته على نفسه كلما رأى أن ثروته التى حصلها له العلم وأوجدتها له الصنائع لا تغنى عنه فى شقائه شيئا.

كل مفكر يرى أن الفضائل التى تقول الأديان إنها تحقق لنا السعادة فى حياة بعد هذه الحياة، هى فى الواقع الفضائل التى تعطينا السعادة فى هذه الحياة أيضا. ومن العجيب أن الانسان يجهل هذه الحقيقة الواضحة، أو يصرح علنا بأنه لا يستطيع الجرى على هذه الفضائل.

وإن تكميل الشخصية الأدبية ليس ممكناً إلا بالتربية النفسية ، فكل خطوة نخطوها في هذا الطريق تساعدنا على الحصول على السعادة ، وتجذب إلينا الذين يخضعون لتأثيرنا من حيث يدرون ولا يدرون . وعلى هذا النمط تهذب الجماعات ، فإن الترقى الشخصى هو الذى يقرب مسافة الخلف بين عقلية الجماعات وعقلية الأفراد الممتازين ، ولأجل وصولنا الى هذا التكامل الضرورى ليس لنا من سبيل إلا الفكر ، فإنه المصباح الوحيد الذى يثير علينا الطريق .

( نور الاسلام ) : فى العدد المقبل نلخص لحضرات القراء ما ذكره المؤلف عن الفكر .

## طرائف حكيمية

قال حكيم : كن وصى نفسك ولا تجمل الناس اوصياءك ، وكيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك وقد ضيعتها فى حياتك !

من حلم العلماء ما رواه العلامة الماوردى فى كتابه ( أدب الدنيا والدين ) قال : كنت يوماً فى مجلسى بالبصرة وأنا مقبل على تدريس أصحابى إذ دخل على رجل مسن قد ناهز الثمانين أوجاوزها ، فقال : قد قصدتك بمسألة اخترتك لها . فقلت له : أسأل عافاك الله ، وظننته يسأل عن حادث نزل به . فقال : أخبرنى عن نجم إبليس ونجم آدم ما هو ؟ فإن هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما إلا علماء الدين .

فعمجت وعجب من فى مجلسى من سؤاله ، وبدر إليه قوم منهم بالانكار والاستخفاف ، فكشفتهم ، وقلت : هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله . فأقبلت عليه وقلت : يا هذا إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم ، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فأسأله ، فيفتد أقبل عليك .

فقال : جزاك الله خيراً ، ثم انصرف مسروراً . فلما كان بعد أيام عاد وقال : ما وجدت الى وقتى هذا من يعرف مولد هذين .

# الفتاوى والأحكام

## الحلف بالمصحف

ورد : ما حكم الحلف بالمصحف ، وقول الحالف : بحق هذا المصحف ما فعلت كذا ؟ وهل يعتبر هذا يمينا شرعيا ؟ وإذا كان فما كفارته ؟

### الجواب

اختلف الأئمة رضوان الله عليهم في الحلف بالمصحف والقرآن وكلام الله : فذهب الأئمة الثلاثة رضوان الله عليهم الى أن الحلف بالمصحف والقرآن وكلام الله يمين. وقال الحنفية إن الأيمان مبنية على العرف فيما لم يرد نهى من الشارع عن الحلف به ، قال الكمال بن الهمام : ثم لا يخفى أن الحلف بالقرآن الآن متعارف فيكون يمينا كما هو قول الأئمة الثلاثة . وأما الحلف بكلام الله تعالى ، فيجب أن يدور مع العرف . ومعناه أن الكلام صفة مشتركة ، فإذا تعارف الناس الحلف بكلام الله كان يمينا ، لأن التقصد حينئذ هو الحلف بصفته تعالى فيكون يمينا . وأما المصحف ، فقال العلامة العيني : وعندى لو حلف بالمصحف أو وضع يده عليه وقال : بحق هذا ، فهو يمين ، ولا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبة العوام في الحلف بالمصحف . أما لو أقسم بما في هذا المصحف من كلام الله تعالى فهو يمين . ولو تبرأ من كلام الله أو من القرآن أو مما في المصحف أو من النبي ، فهو

يمين . ومعنى التبرى من هذا أن يقول : لو فعل كذا كان يميناً من القرآن أو مما في المصحف . وإذا كان يمينا لزم الحالف عند الخنث كفارة يمين ، وهي المنصوص عليها في الآية في قوله تعالى : ( فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم ) والله أعلم ؟

### المطالبة بدين الغير

وورد : هل يطالب الابن بدين أبيه والآب بدين ولده ؟

### الجواب

إن الدين حق في ذمة المدين يطالب به ، ويؤديه من ماله إن كان حيا ، ويؤديه وارثه من مال الميت إن ترك مالا يفي بالدين . وأما الابن أو الأب أو غيرها فلا يطالب أحد بدين أحد ، إلا إذا كان ضامنا للمدين ، أو كان شريكا له في مال ، وكانت الشركة شركة يترتب عليها مطالبة كل منهما بدين شريكه . والله أعلم ؟

### حكم تعليق الطموى

وورد ما خلاصته استعلام عن حكم تعليق الطلاق الثلاث على فعل شيء أو تركه ، ثم فعل المحلوف عليه .



### المنسوب فعدسرا فى اندقرا

وورد السؤال عما يندب عمله شرعا  
فى الأفرار ، وعما هو منهى عنه فيها مما يحصل  
فعله كثيرا ببلادنا .

#### الجواب

إن المنسوب فعله فى الأفرار هو أن  
يولم الشخص ويطعم بقدر ما يسمه ، ولا يطلب  
الى غير القادر شىء . ولا باس بالزفاف وهو  
أن يجتمع النساء وحدهن والرجال وحدهم  
لحضور عرس وزفاف عروس ، ولا مانع من  
أن يكون لدى النساء شىء من اللهو الذى  
لا يصل الى منكر شرعا كالدف . أما اللهو المحرم  
كالرقص وغناء النساء بصوت مرتفع فيحظر  
شرعا ، سواء كان ذلك للنساء أو للرجال .  
ومن هذا يعلم أن ما جرت عليه عادة الناس

الآن من القيام بمحفلات كبيرة يتخللها الغناء  
والرقص وتبرز فيها النساء متبرجات وقد  
يختلطن بالرجال ، لا يجوز شرعا . كذلك  
لا يجوز شرعا أن يرهق الشخص نفسه ويعمل  
ما لا يستطيعه من ولائم وأفرار ليست جائزة  
وتؤدى به الى الاستدانة ، وقد تكون  
الاستدانة من غير طريق شرعى . وحذا الوأن  
أهل العروسين اقتصروا على ما كان عليه  
السلف الصالح من إشهار الزواج وعمل الزفاف  
على الوجه المشروع بدل التوسع والبذخ  
المؤدى لهلاك المال فى غير وجهه الشرعى .  
وحذا لوفقه الناس والتفتوا لما يصيبهم من  
هذا ، فتمارفوا على عدم المبالغة والمغالاة  
فى المهور والجهاز والاحتفالات ، وأعطوا  
ذلك المال للزوج أو للزوجة ، ليكون رأس  
مال لهم ينفعهم عند الملمات . والله أعلم ما

له مبيب

### تنبيه هام لحضرات المشتركين

نرجو من كل مشترك أن يتفضل بذكر رقم اشتراكه (الموضوع على الألاف)  
عند كل كتاب يرسله إلينا ، ليسهل علينا مراجعة اسمه ، وعمل ما يطلبه إلينا على  
وجه السرعة .

## نوابغ الكلم

روى انه اجتمع حكما العرب : عمرو بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي عند أحد ملوك حمير باليمن . فقال لهما : تساءلا حتى أسمع ما تقولان .

فقال عمرو لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذي الرتبة العديم ( أى الفقير ) ، وعند ذي الخلة ( أى الحاجة ) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الحلیم .

قال فمن أحق الناس بالثقت ؟ فقال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والغبي القوال .

قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ فقال : الحريص الكاند ( أى منكر الفضل ) ، والمستفيد الحاسد ، والخائف الواجد .

قال فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ فقال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا مظل صبر ، وإذا قدم العهد ذكر .

قال فمن أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إذا قرب منحه ، وإذا ظلم صنفه ، وإن ضويق سمحه .

قال فمن ألام الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك كنع ، ظاهره جشع ، وباطنه طمع .

قال فمن أجل الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجل إذا انتصر ، ولم تطفه عزة الظفر .

قال فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجعل العواقب نصب عينيه ، ونبتذ التهييب دبر أذنيه ( أى أعرض عنه ) .

قال فمن أخرج الناس ؟ ( أى أحققهم ) ؟ قال : من ركب الخطار ، واعتسف العثار ، وأسرع في البدار ، قبل الاقتدار .

قال فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود .

قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المزيّن ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحريز .

قال فمن أنعم الناس عيشا ؟ قال من تحلى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف الى ما لا يخاف .

قال فمن أشقى الناس ؟ قال من حمد على النعم ، وسخط على القسم ؛ واستشعر الندم على ما انتمى .

قال فمن أغنى الناس ؟ قال من استشعر اليأس ، وأظهر التجمال للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم .

قال فمن أحكم الناس ؟ قال : من صحت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر

قال فمن أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخرق مغنما ، والتجاوز مغرما .



He goes on to say "Doomsday is not one of the ordinary days, but it is a day which begins with the appearance of the Great Manifestation and ends with the universal cycle".

This is how the Bahaists interpret Judgment and resurrection day. They interpret Paradise as spiritual life and Hell as spiritual death. The following is recorded in the above book :

"Paradise and Hell in the Scriptures are symbolic facts. According to Abdul-Bahai and his son Abbas, Paradise is a state of perfection while Hell is a state of imperfection. Paradise is therefore spiritual life and Hell spiritual death"

Ibn Hamed Al-Ghazali records the Batinists to say :

"All the apparent meanings of the ordained injunctions, doomsday and other divine matters are figurative and symbolic of certain esoteric meanings". He then gave a few instances of their erroneous and misguided interpretations.

In the denial of resurrection, they followed in the footsteps of the naturalists and were completely taken in by their heresies which could not withstand the arguments of the Holy Koran :

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِين.  
وَضَرَبَ كُنَّا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ  
يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.

ترجمة تفسير هذه الآية فلا عن اليساوى

"Doth not man who denieth resurrection, perceive that We have created him of a mere clot of blood ? Yet lo ! He is an open caviller. And he setteth forth unto us an instance of his inability and forgetteth our creation of him: "Who" saith he, "shall give life to bones when they have rotted" ?

Say : "He shall give life to them who gave them being at first for He is cognisant of all the details of creation".

(Baidaway's Commentary).

or new. All will find in this creed, a universal religion which is most suited to the present time and constitutes the greatest policy of mankind"(1)

In another article he says that he wishes to unify Moslems, Christians and Jews and bring them together in accordance with the Mosaic Law in which they all believe". (2)

I do not suppose that Abbas meant anything by this but to flatter the Jews and feign loyalty to their cause in order to win their favour and support. It is inconceivable of anyone who believes in the Koran to endeavour to turn people away from Islam in the preceeding fashion.

Ibn Taymiyya says: "The Batinists were always in league with the enemies of Islam". "The Tatars could not have conquered the lands of Islam and kill the Caliph of Baghdad and other Moslem potentates without their co-operation".

In this same wise we find the Babists siding with the enemies of Islam. Abbas Abdul-Bahai, openly takes the part of the Jews and proclaims that Palestine will become their home. "The Israelites will gather in the Holy Land and the Jewish people who were dispersed in east, west, north and south will be unified", says Abbas.

In another article he says :

"The tribes of the Israelites will settle in the Holy Land and gradually increase until it becomes their own home".

The Bahaists and the Batinists are equally alike in their hatred of Islam and their support of its enemies. We confidently trust however that the Arabs and all Moslems backing them will present a united front in face of both the Zionist colonisation and the Bahaist propaganda supporting it, so that Palestine will remain, in spite Abdul-Bahai and the Bahaists, an Arabic Islamic land.

#### Do they believe in Doomsday, Paradise and Hell ?

The Babists do not believe in resurrection, Paradise or Hell. They interpret the judgement day as the advent of Mirza Hussain or Bahau-Allah. The following quotation from "Bahau-Allah and the New Era" is significant :

"In accordance with the Babist's interpretation, the appearance of every divine manifestation constitutes a judgement day. But the advent of the greatest manifestation Bahau-Allah, is the great judgement day for the worldly stage in which we live".

---

(1) "Abdul-Bahai and Bahaism" p. 87 (Arabic Version)

(2) "Abdul-Bahai and Bahaism" p. 93 (Arabic Version).

Bahaism which was built up on the ruins of Batiniya continued to be a creed whose secret aim is the abolition of Islam by means of interpretation, the claim of divine mission and the revelation of a new dispensation abrogating Islam.

This went on until Abbas Abdul-Bahai became head of the sect and wished to present to the world this made-up creed under a new guise. He introduced such topics into the creed as were discussed by certain people as some pressing need of civilisation or some recent scientific discovery. They included such things as the equality of men and women in regard to educational opportunities, disarmament, the adoption of a universal language to be known throughout the world, the establishment of an international tribunal to settle world's problems and the development of man through evolution from the lowest species till he attained his present form (The Darwinian Theory). Universal peace and the renunciation of religious prejudices are also included.

By the introduction of such ideas into Bahaism, Abbas thought to entice into his creed those of the budding generation who blindly follow any new-fangled idea. To this end he preached the following :

"The teachings of Bahau-Allah offer the fulfilment of all hopes and aspirations of the world's parties whether religious, political or social, old

the one and negatively in the other. Ormuzd is light and life, and creates all that is pure and good — in the ethical world of law, order and truth. His antithesis is darkness, filth, death and produces all that is evil in the world. Until then, the two spirits had counterbalanced one another. The ultimate triumph of the good spirit is an ethical demand of the religious consciousness and the quintessence of the Zoroaster's religion.

The evil spirit with his wicked hosts appears in the Gathas much less endowed with the attributes of personality and individuality than does Ahura Mazda. Within the world of the good Ormuzd is Lord and God alone. In this sense, Zoroastrianism is often referred to as the the faith of Ormuzd or Mazdaism.

As soon as the two spirits encounter one another, their creative activity and at the same time their permanent conflict begin. The history of this conflict is the history of the world. All creation divides itself into that which is Ahura's and that which is Ahriman's.

In the soul of man is the object of war. Man is a creation of Ormuzd, who therefore has the right to call him to account. But Ormuzd created him free in his determinations and in his actions, wherefore he is accessible to the influences of the evil powers. Man takes part in this conflict by all his life and activity in the world. By a true confession of faith, by every good deed, word and thought, by continually keeping pure his body and his soul, he impairs the power of Satan and strengthens the might of goodness, and establishes a claim for reward upon Ormuzd; by a false confession, by every evil deed, word and thought and defilement, he increases the evil and renders service to Satan.

(*Encycl. Brit.*)

Learned men of great standing have come forward to falsify the arguments which were advanced in favour of this view. They proved that effect should come later to cause, for cause is that which bestows existence on a thing and effect is that which receives existence from it. It is absurd therefore to bestow existence on a possibility which could be materialised, unless it were to give it existence after being non-existent, and that is nothing short of materialisation.

The astounding thing about this sect is that while they claim prophethood, divine mission nay even more, they deny miracles on the ground that they are irrational. This open denial is to be found in a book of their propagandist Abul-Fadl Al-Gorfadkany. He mentioned such miracles as the cleaving of the sea and bursting forth of springs by Moses, the healing of the leper and blind and the raising of the dead by Jesus, and the flowing of water from between the fingers of Mohammed adding the following comment :

"Many leading men of learning believe that all such happenings recorded in books are merely allegorical of reasonable and possible phenomena which no balanced mind could deny". He then started to interpret the Koranic verses and Traditions in connection with these miracles and give them such far-fetched renderings that only a half-wit or an unbeliever could entertain.

The Bahaists' denial of miracles clearly tells of their blind and headlong pursuit of materialistic philosophy which denies the universe of an omnipotent Creator who does whatever he chuses.

In short Babiism or Bahaism is a creed which is made up of different religions, creeds and philosophic ideas. In describing the Babists, the writer of "Muflahu-Babul-Abwab" says :

"They have a particular creed, a medley of religions including Buddhism, Brahmanism, Zoroastrianism<sup>(1)</sup>, Judaism, Christianity and Islam as well as Sufis and Batinists' beliefs.

---

(1) Zoroastrianism : the doctrine of Zoroaster, the founder of the national religion of the Iranian people from the time of Achæmenidæ to the close of the Sassanian period. Zoroaster was famous in antiquity as the founder of the wisdom of the Magi. Zoroaster taught a new religion rooted in the old Iranian — or Aryan — folk-religion, of which we can form some representation by comparison with the religion of Veda. The Aryan folk-religion was polytheistic. Worship was paid to popular divinities, such as the war-god and dragon-slayer Indra, to natural forces and elements such as fire, but the Aryans also believed in the ruling of moral powers and of an eternal law in nature.

The doctrine of Zoroaster may be summarised as follows:

At the beginning of things there existed the two spirits who represented good and evil. Both Spirits possess creative power, which manifests itself positively in

Isma'il Ibn Jaafar. This claim ie, the incarnation of God makes its appearance in certain articles of the Bahaists.

Abbas, known as Abdul-Bahai says in an article of his : "Bahau-Allah hath told us that the advent of the Lord of the hosts, the eternal father and the world's saviour whose advent is indispensable at the end of the world, according to all prophets, means His manifestation in human form just as He manifested Himself in the form of Jesus of Nazareth, only this time His manifestation is more perfect, glorious and complete, for Jesus and other prophets have prepared the hearts of men for this grand transfiguration".

By this, he means that the Lord hath been manifested in him in a greater measure than in other prophets.

Their babbling month-piece Abul-Fadle says in this connection : "All that is attributed to God and ascribed to Him including might and glory, omnipotence and omniscience, wisdom and will, and other attributes, goes back in reality to the manifestations of His word, the illumination of His light, the descension of His revelation...." !

This is shown by the inscription written by Bahau-Allah in extolling his son Abbas for thus he said : "The tongue of eternity (1) announceth unto men the glad tidings of the appearance of the great name (2) who proclaimeth among nations that he is myself, the image of my soul, the embodiment of my word ; whoever turns unto him, will he turn unto my face, walk in the light of my splendour, recognise my unity and acknowledge my oneness... etc." !

The Bahaists have emulated the philosophers in their claim regarding the infinity of the universe. In the book "Bahau-Allah and the New Era", the following statement is made : "Bahau-Allah knew that the universe had no temporal beginning. It is an eternal issue of the first cause. Creation and Creator were co-existent and co-eternal."

---

stage, the earlier teachers of Islam were shown to be wrong in doctrine and the imams alone were proved to be infallible. In the third, it was taught that there were only seven imams and that the other sects of the Shiites were in error. In the fourth, the disciple learnt that each of the seven imams had a prophet who was to be obeyed in all things. In the fifth stage, the uselessness of Tradition and the temporary nature of the precepts and practices of the Prophet Mohammad were taught, while in the sixth the believer was induced to give up these practices (praying, fasting, pilgrimage etc.). At this point, the Carmathians had completely ceased to be Moslems. In the remaining degree, there was more liberty of opinion allowed and much variety of belief and teaching existed. (Encycl. Brit.)

(1) The "tongue of eternity" is Bahau Allah according to Bahaist's interpretation.

(2) The "great name" is Abbas Abdul-Bahai according to Bahaist's interpretation.

Al-Bab claims prophethood and asserts that his creed abrogates the Moslem Faith. He invented certain precepts for his disciples, which differ from those of Islam. He prescribed an annual fast of 19 days from sunrise to sunset. The fast was fixed for the spring equinox so that Eid-ul-Fitr was to coincide always with easter day. In his book "Al-Bayan", he refers to this fast as "Certain numbered days on the completion of which we ordained easter to be a feast-day".

Mirza Hussain, styled Bahau-Allah, reduced prayers to nine prostrations a day while Abdullah Ibn Al-Kharab Al-Kindi, in whose divinity many so-called people believe, prescribed 19 prayers a day.

The Kiblah (the point towards which Moslems turn in their prayers) of the Babists is whatever place Mirza Hussain or Bahau-Allah may happen to be. The Babists are enjoined by him "Should you wish to pray, then turn your faces towards my most holy direction". His son Abbas says: "We should turn our faces to a certain point where the manifestation of God may be". This so-called "manifestation of God" is, according to their claim, the very person of Bahau-Allah. As to pilgrimage, Al-Bahai suppressed the practice and recommended to pull down the Holy Caaba on the appearance of a powerful man of his disciples.

Certain Batinists have forbidden the common people to acquire knowledge and the upper classes to peruse the early books so that they may remain in darkness regarding the truth.

In his book "Al-Bayan", we find that Mirza Ali, otherwise styled "Al-Bab" had forbidden learning and the reading of books other than his own. It was due to this inhibition that those who believed in "Al-Bab" have burnt the Holy Koran as well as all other books of learning which have fallen into their hands. But Mirza Hussain known as Bahau-Allah realised the evident fallacy of such an inhibition and that it will inevitably result in turning discerning people away from the creed. He consequently ordained in his book "Al-Aqdas" (The Most Holy) a new precept abrogating that of "Al-Bayan". It ran thus "Allah hath abrogated for you what hath been revealed in Al-Bayan concerning the destruction of books and ye are permitted to pursue such studies as ye may find of use".

Some Batinists assert the incarnation of God in certain persons. The Carmathians (1) for instance assert the godship of Mohammed Ibn

---

(1) Carmathians: a sect named after Hamdan Qaimat, who accepted the teaching of the Ismailites toward the close of the 9th. Century.

In their religious teaching they claimed to be Shiites i.e., they asserted that the imamate belonged by right to the descendants of Ali. The adherents of this sect were initiated by degrees into the secrets of its doctrines and were divided into seven classes.

In the first stage the convert was taught the existence of mystery in the Koran and made to feel the necessity of a teacher who could explain it. In the second

The interpretation of the Babists as well as their predecessors the Batinists which is diametrically opposed to the very text of the Moham-medan law, is by no means an innovation of theirs. But by so doing they have merely followed the instance of a certain sect of Hebrew philosophers who came prior to them.

We read in a biography of "Philo" the Jewish philosopher born between 20-30 B.C., that he had written a book on the interpretation of the Torah ( Old Testament ) in which he maintained that many things referred to therein are symbolical of hidden facts. This allegorical interpretation, is said by writers who treated the history of philosophy, to have been familiar to Jewish scholars of Alexandria prior to the time of "Philo". In giving instances of this interpretation, the writers say that Adam was given to mean reason, Paradise to mean self-control, Abraham to mean dogmatic virtue, Isaac to mean instinctive virtue, Jacob to mean empirical or acquired virtue and such like interpretations to which only hypocritical unbelievers have recourse and are only admitted by those who are completely blind to the manifestations of truth.

Abul-Fadl At-Gorfsadkany was by far the worst of the Babists in this respect. He evinced the most bitter animosity to the Ulema of Islam and nothing short than his whole repertoire of vituperative words would satisfy him once he starts heaping abuse on them. In page 147 of his book "Al-Dur arul-Bahiyya" he writes :

"They persisted in sin, insisted on error and delusion, wallowed in folly, were blinded by inebriety, and hopelessly indulged in aberration". It is apparent that the man had memorised certain sentences which he had come across in some paper or old book and used them indiscriminately in his writings thinking that this kind of euphuistic style would convince people against their better judgement.

There are others among the Babists who claim to be prophets or believe in the prophethood of other men. Mirza Ali styled Al-Bab claimed to be an apostle of God and wrote a book "Al-Bayan", by name, which he asserted to be a divine revelation. He had even gone as far as to send an epistle to Sheikh Mahmoud Al-Alucy, the author of the famous commentary on the Koran "Rouh Al-Manni" requesting him to follow his creed. It ran thus "Verify I am the servant of Allah who hath sent me with guidance unto men". In this epistle he dubbed his creed "the religion of Allah" and went on to say "The state of those who did not betake themselves to the religion of Allah is like unto that of those who did not come to Islam".

Bahau-Allah, the head of the sect claims the same thing. In "Bahau-Allah and the New Era" written by one of his disciples, his mission is claimed to establish peace on earth. In speaking of Al-Bab and Al-Bahai, the author of this book says: "It is impossible to find a more fitting description of their greatness save by the admission that they have acted in compliance with divine revelation".

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

### BABIISM OR BAHAIISM <sup>(1)</sup>

(Continued)



---

This Persian impostor asserts that the Prophet proclaims certain scientific principles in order to curry favour with his people whereas in reality those principles are false and unfounded. Evidently this is a rash assertion on his part, for although the Prophet is not sent to establish scientific truths whether they are easily assimilated by the human mind or call for some mental exertion as in the case of natural sciences and mathematics, nevertheless he could not speak authoritatively of any such matters unless they are perfectly true.

The assertion that they are symbolic is an invention of this impostor and his associates to conceal their disbelief. But a flimsy veil concealeth not what lieth behind.

---

(1) Translated from the very Reverend Al Sayyed Mohammed Al-Ahidre Hussain's article in Nour-El-Islam Review.



## سيرة النبي محمد ﷺ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ٣ -

المثل الأعلى في بناء الأمم

ليس المدار في قيمة الأصول والتماليم على أنها بالغة مدى بعيداً من الكمال ، ولكن على تطبيقها والعمل بها ، وإلّا صدق عليها المثل بأنها مجرد حبر على ورق . فقد أتى أفلاطون في جمهوريته ، وأرسطو في سياسته ، بأصول قيمة ، ولكنهما عجزا عن حمل قومهما على الأخذ بها ، فبقيت ثاوية حيث هي من صحائف ذبك السكتابين ، وجرى العمل على تقيضها طول حياتهما وحياة الأمة اليونانية . وخلفها الرومانيون فلم يرفعوا بها رأساً ، ولكن الأصول التي قررها القرآن الكريم ، قد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بتطبيقها على المجتمع الاسلامي تطبيقاً دقيقاً ، وجرى العمل عليها جرياً مطرداً ، واعتبر الخروج عنها خروجاً على القواعد المقررة في الشريعة .

قلنا : إن القرآن الكريم دعا الى الألفة العامة بين الشعوب ، لا فرق بين أيدها وأفرها ، ولا بين أسودها وأبيضها ، مقرر أن مدار الكرامة ليست بالاعتزاز الى هذه الأمة أو تلك ، ولا بالانتساب لهذا البيت أو ذاك ، ولكن بالميزات الأدبية ، والمزايا النفسية ، فأشعر بذلك أنه لا يرمى الى تأليف أمة على مبدأ الجنسية ، كما رى الى ذلك جميع المصلحين قبله ، ولكن الى تأليف أمة عالمية عامة تذيب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، ليتألف من مجموعها أمة تكون المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الناس يوم تسقط من رؤوسهم الأوهام القومية ، والأهواء الجنسية ، التي تفرق بينهم وتجعل من بعضهم أعداء لبعض ، وتؤجج بينهم نيران الحروب والفارات ، وهي حال تنافي الغرض السامي الذي خلق الانسان لتحقيقه في هذا العالم .



وأعجب ما في هذا الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قام بتطبيق هذه الأصول الكريمة، على أم كانت أعصى الناس عن قبولها، وأكثرها أوهاماً فيها، فحقق للعالم معجزة اجتماعية ينظر اليها المصلحون في كل جيل، عاجزين عن مثلها حتى في أمة من جنس واحد، فاظنك بهم إن تخيلوها على مجموعة من شعوب ذات أصول شتى، وتقاليدها متناقضة؟

إن هذه المعجزة من معجزات الاسلام الخالدة، فإن كنا نفردها فصلاً خاصاً فهي جديرة بكتاب ضخم يكتبه علم من أعلام العلم الاجتماعي، ممن درسوا الحالات النفسية للجماعات البشرية، وأدركوا استحالة جمعها على أصول من هذا الضرب.

وإذا غمض على علماء الاجتماع سرُّ هذا الأثر الضخم، وذهبوا في تأويله كل مذهب، فقد كان أقرب سبيل لفهمه على أكل وجه أن يتأملوا في الأصولين العظيمين اللذين يقوم عليهما هذا الدين، وهما: إقامة الفطرة، وساطان العقل، فإن الاسلام بدعونه الى إقامة الفطرة طأب الآخذ به أن يتخلى أولاً عن جميع ما ورثه من التقاليد والأوهام، وأن يكون أمام الحقائق كيوم ولده أمه، خالي الذهن من كل صورة خيالية، أو وراثة تقليدية. ومتى تم له إحداث هذه التخيلية الذهنية طالبه بالأخذ بحكم العقل لا بحكم الهوى والوهم، ومتى كان الحكم للعقل سهل إقناعه بكل جميل وحق. فإن قيل له: أليس الناس كلهم أولاد أب وأم، وأن أجناسهم وألوانهم أمور اعتبارية لا تمنع أن يكون بعضهم إخوان بعض؟ لم يجد مناصاً من الإذعان الى هذا الأصل والتسليم به. وإذا قيل له: ألا يجب أن يكون تفاوتهم في الأقدار والمراتب تبعاً لمميزاتهم العلمية، وميزاتهم الأدبية، لا تبعاً لاعتراثهم لجنس، ولا لتمييزهم بلون، أو لانتسابهم لطبقة من طبقات الغنى والفقر؟ لم يجد عليه اعتراضاً.

هذه الحقائق الكبرى التي لا يزال المتشدنون يعجزون عن الأخذ بها، تعتبر لدى الذي تجرد من أوهامه وأهوائه بإقامة الفطرة على شرط الاسلام،

من الأمور البديهية ، فيندفع الى الأخذ بها محفوزا بالقوى الأدبية المغروزة في جيلاته الأصلية .

هذا هو السر في نجاح القرآن في غرسها في نفوس الآخذين به . ولسكنك لتوجهت بها الى قوم — مهما ضربوا من المعارف الكونية بأوفر السهوم ، ولم يكافوا أنفسهم أن يكونوا من التجرد الذهني على ما شرطه الاسلام في أول أصوله — لعجزت عن تسويقها لنفوسهم .

فالى أى مدى طبقت الأصول القرآنية العالية على المجتمع الاسلامي ؟ طبقت الى آخر مدى يمكن أن تبلغه أصول في أمة . وإنا لراوون اليك طرفا من مزاجها العالمي ، ترى مثلاً أعلى من الاجتماع لم تصل الى مثله أمة في المدنية الى اليوم . كان يقدّم الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم فيبايعه على الاسلام ، فيصبح واحداً من جماعته ، لا فرق بين قرشي من صميم هاشم أو عبد الدار ، وبين آخر من باهلة أو سلول ، وهما أخس قبائل العرب ، بل لا فرق بينه وبين رجل من الفرس أو الديلم أو الروم ، ممن كان يعدّهم العرب الخللص من الأعاجم ، بل لا فرق بينه وبين عبد مملوك أو مولى أو أسود فاحم اللون قد بيع في الأسواق كما تباع البهيمة . يجمع بينهم رباط واحد هو رباط الأخوة بكل ما يسهه هذا اللفظ من معنى الترابط والتعاون ، بعيداً عن جميع الاعتبارات التي أو جدتها التقاليد القومية ، والفوارق الاجتماعية .

حدث هذا كله في بيئة كان للفوارق الاجتماعية فيها المكان الأعلى من نفوس أهلها ، حتى كان الرجل فيهم يعبر بالاصهار الى مقرّف أو هجين . والمقرّف عندهم من كانت أمه عربية وأبوه أعجمي ، والهجين من كان أبوه عربياً وأمّه أعجمية . والأعجمي عندهم الأجنبي من أى جنس كان ، وهو غير الأعجمي الذي ينتسب الى العجم وهم الفرس . بل كان العرب يفرقون بين القبائل المختلفة ، فينزلون أفرادها منازل متباينة ، وكان بنو باهلة وبنو سلول يعتبرون أخس العرب . قال السموءل بن عدياء من قصيدة في الفخر :

ونحن أناس لا نرى القتل سببة إذا ما رأته عامر وسلول

وكان مسلم بن قتيبة من باهلة، فلم يحل بينه ذلك وبين أن يمين قائدا عاما لفتح ما وراء النهر، فقم له ذلك على عهد بنى أمية، حتى ضرب الجزية على الصين، فاتفق له يوما أن التقى بأعرابي فقال للأعرابي مداعبا له: أتود أن تكون ذا مال كثير، ووجه عظيم وتكون من باهلة؟ فأجابه على الفور: اللهم لا. فقال له: أنحب أن تكون أميرا مثلي وتكون من باهلة؟ فأجابه غير متدسكى: اللهم لا. فقال: أنرضى أن ترث الجنة وتكون من باهلة؟ ففكر قليلا ثم قال: لا بأس من ذلك، على شرط أن لا يعرفني أحد.

أما سيرتهم حيال الموالى والعبيد السود ومن لا يعرف له أصل، فقد كان العرب يحفظون كل سمات الترفع، ولا يفرقون بينهم وبين الحيوانات العجم.

فلما جاء الاسلام ببدا المساواة العامة بين جميع الخلق، تغيرت هذه الحال فجأة، فأصبح الكل سواء: لا يسأل أحدهم جاره من أى القبائل هو، ولا الى أى أمة يعتزى، ويخصه من عنايته ورعايته بما يخص به صميم أهله. وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بما يجعل هذه المساواة أمرا واقعا، فقد ولى بلالاً المدينة، وفيها من وجود الناس وجلتهم من ليس يتردد في فضلهم أحد، وأمر أسامة بن زيد - وهو مولى - على جيش كان فيه أبو بكر وعمر، وهما من نسبها وحسبها وشرفا، وولى بإذان الفارسي إقليم اليمن، وهى أخصب البلاد العربية، وقيمتها من الوجهة الحربية لا تخفى على أحد، فلما مات أسند ولايتها الى ابنه شهر فيروز.

وقد حدث أن أبازر الغفارى تناول هو وأحد السود يوما بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فاحتد عليه أبو ذر وصاح به قائلا: يا ابن السوداء. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وقال: «طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح»: فوضع أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود: قم فطأ على خدى، مظهرا بذلك غاية الندم مما فرط منه.

وقد قوى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأصل الكريم في مواطن عدة ، ومن أشهر ما قاله في ذلك : « لقد أذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بالأنساب ، ليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » .

وقد جرى المسلمون بعهد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه السنة الكريمة ، فلم يفرقوا في المعاملة بين الناس بحسب أصولهم وألوانهم ، بل تركوا الحكم المزايا الذاتية ، والمميزات الأدبية ، فبلغ بعض العبدان والموالي ومن لا يعرف له أصل إلى قمة الشرف ، وحكم لهم بالسودد غير منازعين فيه لأى اعتبار من الاعتبار ، حتى قال عمر رضى الله عنه وهو على سرير الموت وقد سمي ستة رجال ونصح للناس أن ينتخبوا للخلافة واحدا منهم : « والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما جعلتها شورى ، أى لا سئدت إليه الخلافة ، وسالم هذا كان رقيقاً لأبى حذيفة . هذه كلمة ستبقى مثلاً أعلى ما بقى للعالم تاريخ يقرأ .

ولما تم للفاروق رضى الله عنه ترشيح الستة للانتخاب ، أمر أن لا يبرحوا الدار التى يجتمعون فيها حتى ينتخبوا واحدا منهم ، وأمر أن يتولى الصلاة بالناس صهيب ، والصلاة بالناس كانت مهمة عالية لا تسند إلا لأهل الكفايات من ذوى السابقات الكريمة ، وصهيب هذا كان أصله عبداً رومياً . فانظر الى أى حد بلغ هذا المجتمع الاسلامي من الإغضاء عن الفوارق الجنسية ، والاعتداد بالمزايا الذاتية !

وبما يؤثر عن هذه الأمة العالمية — وليس له شبيه في تاريخ العالم كافة الى اليوم — أن قادتها وعلماءها والمبرزين في مجال نشاطها العقلي ، كانوا من جنسيات مختلفة ، ومنهم من كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء ، فلم يمنع ذلك أن يحملوا من هذه الأمة حيث وضعهم مواهبهم وكفاياتهم .

فقد كان جميع مقدمى الفقهاء الأولين في الولايات الاسلامية من أجناس مختلفة ، ومنهم عدد من الموالى ، إلا النخس ، فقد كان عربياً . وكان إمام المحدثين الحسن البصرى

فارسيا، واتفق أن أول الأئمة المجتهدين أبوحنيفة النعمان بن ثابت كان فارسياً أيضاً، وقد لقبوه بالامام الأعظم. وكان العدد الأكبر من أصحاب الصحاح في الحديث من أجناس شتى، كالبخاري ومسلم وأحمد والبيهقي والترمذي والدارقطني وابن ماجه، فلم يكن ذلك ليشير عليهم حقداً، ولا ليمنع الناس عن الأخذ عنهم. وكان يجري هذا المجرى أقدم المفسرين وكبارهم، كالطبري والزمخشري والرازي والنيسابوري. وكان من مقدمي علمهم الذين ولوا الأئمة الأولين في مختلف العلوم على هذا النحو أيضاً، فكان الباقلاني ولاسفرابيني وأبو حامد الغزالي الذي لقبوه بحجة الاسلام، والراغب الأصفهاني، ومن لا يحصى لهم عدد، من بقاع مختلفة من الأرض. ولم يستثن من ذلك حفاظ اللغة العربية نفسها، كأبي عبيدة الفيروزبادي والجوهرى، ووضعة آلاتها من نحو وعروض ومنطق، كالخليل بن أحمد وسيديويه ونفطويه وابن خالويه وابن فارس، وأعلام أدبها كبشار بن برد وأبي نواس ومروان بن أبي حفصة ومهيار الديلمي الخ.

فهذا الاجتماع العالمي الذي طمّيع به الاسلام أهله الأولين، صورة مصغرة لما ستكون عليه الحال حين يعرف الاسلام معرفة عامة، ويصبح بعد أن تدرس أصوله على نور العلم، دين البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها. فإن أكبر ما يصد الناس عن الاتفاق، ويحول بينهم وبين نعمة التعاون العام، ويجعل من بعضهم أعداء لبعض، هي روح القومية التي توهم ذوبها أن قومها خير الأقسام، وأنها اختصت من جانب العزة الإلهية بميزات تجعل لها السيادة على العالم كله، وأن جميع الأمم تقصر أن تصل الى مستواها الأرفع، بل منها ما تُخيل لها تلك الروح أن نسبها يتصل بخالق الكون نفسه، فلا عجب أن تتربص بعض هذه الأمم ببعضها الدوائر، وأن تكون البقاع الأرضية في نظرها ساحات لحروب ترتكب فيها أشنع القساوات البربرية.

ولكن اليوم الذي يحمل فيه الروح الاسلامي الأقدس، بما يقتضيه من العدل والمساواة والإخاء، ترتفع من بينها هذه الأوهام الشيطانية، فيعيش السكافة إخوانا

متراپطين بأشرف الروابط الأديية ، وينفتح المجال أمامها للعمل على ما ينفع الناس على السواء ، ويأخذهم الناس عنهم غير متأثرين بروح الأنفة الجاهلية ، فيحل الوفاق بينهم محل الشقاق ، وتبطل من بينهم الحروب والغارات ، والمزاحمت الحيوانية .

نعم : إن هذا مطلب بعيد المنال ، ولكنه كائن لا محالة ، فإن كل ما يشعر به العالم اليوم من الشدائد وضروب الأزمات يعمل على تهديد السبيل له ، وتعميد الطريق أمامه ، وإذ ذلك يتبين معنى قوله تعالى : ( أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ؟ ) .

ومما يجدر بنا أن نزيده على هذا الكلام أن الاسلام وإن كان أعلن الأخوة العامة والمساواة بين الناس ، فقد اعترف بضرورة وجود الطبقات الاجتماعية فى الأمة ، ليقوم صرح الاجتماع على أمتن القواعد ، فلا تنسرب اليه الفوضى من ناحية من نواحيه . وكل ما شرطه فى تأليف تلك الطبقات أن تكون بحسب المؤهلات العلمية ، والمزايا الأديية ، قياما على سنة إسناد كل أمر الى أهله الذين يستطيعون أن يقوموا بهامه على أكمل حال . وقد وجدت فيه هذه الطبقات منذ وجوده الأول ، فهو دين مدنى نظامى من كل وجه : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ) . محمد فريد وجهرى

## الحرص على طلب الحكمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أى وعاء خرجت .

أى أن الحكمة يجب أن تلتقط مع صرف النظر عن قائلها . وقد أطلق عليها كلمة الضالة ، وهى ما يفقده الانسان ويظل يبحث عنه حتى يجده ، مبالغة فى أن الحكمة حاجة لا بد منها . ومن كانت له ضالة فوجدها اضطر لأخذها غير مبال بمن وجدها عنده ، سواء أكان مؤمنا أم كافرا ، طيبا أم خبيثا . وهذا أبلغ ما سمع من الحث على طلب الحكمة .

# النفس

## سورة النور

١٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ  
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ  
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ  
فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ، وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ  
أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرُ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ، وَأَنْ يَسْتَغْفِقْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)  
يكون مع المرأة عادة في داره فئة ممن تربطهم به رابطة المعيشة، كأعضاء أسرته  
وخدمه ومماليكه، ومثل هؤلاء تقضى شئون الحياة أن يختلط بعضهم ببعض اختلاطا  
متكررا، فلا يتحاشى بعضهم أن يدخل على بعض في خلوته، ولا يلتفت الى استئذان  
في كل مرة يربد أن يتصل برفيقه في المعيشة.

ولقد بينت لنا الآيات السابقة حكم دخول المرأة على بيت غير بيته، وشرع الاستئناس  
والاستئذان، والسلام على أهل البيت، وانتظار ما يكون منهم من الأمر بالدخول



أو الأمر بالرجوع ، وأن كلا منهما مقبول وحق مطلوب الامتثال ، وأزالت ما في ذلك من غضاضة على النفس بأنه حق كما يطلب من المرء مع غيره يطلب من غيره معه ، وهذه الآية جاءت مقررّة لحكم الجماعة تجمعهم دار واحدة ، لاتصالهم في شئون الحياة على ما سبق ، وما من امرئ إلا وله شئون خاصة يكره أن يطالع عايبها غيره ، فهو في خلوته يطرح الاحتشام ، ويتبسط في شئونه الشخصية ، فلا يبالي أ كشف شيء من جسمه ، ولا يبالي أن يضطجع أو يستلقي حسب ما يجد راحته ، فهو في حل ما دام في خلوته ، ولكن الحياء والاحتشام ولومع الخادم والمملوك ، بل مع الابن المميز والبنات ، كذلك لها حكم وأثر في النفس لا يحمله من أعطى قسطا من الحياء والاحتشام ، فاحتاج الأمر الى دستور واضح ، ومنهاج يتن ، يحدد لنا ما يكفل للمرء راحته ، ويضمن له احترام خلوته ، ويزيل الحرج والمضايقة بين أفراد الأسرة المربوطة بمعيشة واحدة : ذاك هو ما تضمنته هذه الآية الكريمة .

وقد روى في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل غلاما من الأنصار الى عمر رضي الله عنه في وقت قبولته ، فدق الباب ، ودخل بلا استئذان ، وكان عمر نائما ، فكان شيئا كشف من جسده ، فكره ذلك ، وقل : لوددت أن الله نهى آباءنا ، وأبناءنا ، وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الأوقات بلا إذن : ثم توجه معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد هذه الآية قد نزلت ، فخر ساجدا . وهذه إحدى موافقات عمر رضي الله عنه للوحي ، ويتبين بها وبأمثالها سر نزول القرآن منجبا حسب الحوادث ، فإنه بذلك تتجلى الحكمة في التشريع ، فيقوى العون على الامتثال .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يباغوا الحلم منكم » :

تأمل في أسلوب الآية الكريمة فتجد الخطاب وجه فيها للذين آمنوا ،

ثم وجه الأمر بعد ذلك للمملوكين والذين لم يبلغوا الحلم في قوله : **يَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ**  
**مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ، فإن اللام فيه لام الأمر ، والأمر إذا وجه الى غير المخاطب يؤتى  
مع الفعل باللام . وسر ذلك أن هذا الحكم مما يشترك فيه كلا الطرفين ، ونمرته عائدة  
على السادة والكمّل البائسين ، ومن أجلهم شرع ، وهم المهيمنون على الممالك والصغار ،  
فعمد اليهم أن يقوموا بتعليمهم وإرشادهم ، وأن يتبعوا أمثالهم ، ويتمهدوهم في القيام بما  
كلفوه ، إذ كان ذلك حقاً لهم ، ومعهوداً به اليهم . ويجوز أن يكون المقصود أمر الأواباء  
والسادة أن يأمرهم ، وإن كان في الظاهر قد وجه الى الممالك والعلماء ، وذلك لأن  
الذين لم يبلغوا الحلم لا يتوجه اليهم التكليف ، فيكون ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم :  
**مَرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعِ سَنِينَ** ، واضربوهم عليها لعشر .

وعلى الجملة فالمطلوب منه الاستئذان هو المملوك والصبي ، وكون الصبي غير مكلف  
لا يمنع أن وليّه يعوده على ما يطلب منه من الآداب والحقوق .

وقوله تعالى : **« ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »** أى فى ثلاثة أوقات فى اليوم ، هى ما فصلت بعد  
فى قوله تعالى : **« مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ، وَمِنْ بَعْدِ**  
**صَلَاةِ الْعِشَاءِ . »** هى تلك الأوقات التى يحتاج المرء أن يستريح فيها ، ويخلص من الكاف  
ومراعاة الواجبات نحو الغير . هى الأوقات التى يحلو المرء فيها أن يطرح الاحتشام ،  
ويملك فى نفسه حرية التصرف ، فيختار الوضع الذى يروقه ، والهيئة التى توافقه ، وهو  
آمن من اطلاع غيره عليه مهما كان ذلك الغير . وما منّا إلا من يشعر بأن لابدّ للمرء  
من وقت يتمتع فيه بالحرية الكاملة . وأتى وقت هو أحوج فيه من هذه الأوقات  
الثلاثة ؟ وقت ما قبل صلاة الفجر حين يستيقظ من نومه ويهب من فراشه فيخلع ثوباً  
ويلبس ثوباً ، ولمسه بحاجة الى تدليك بدنه أو إلانة أعضائه ، ولكل امرئ عادته  
الخاصة به ، ومن بعد صلاة العشاء ، حيث يكون قد فرغ من عمله ، وانتهى من عبادته ،  
وركنت نفسه الى أن يأوى لفراشه ، فهو يخلع ثياب اليقظة ويلبس ثياب النوم ، وربما

كان يميل الى الأانس بأهله ، فلا منغص له في هذه الحالة أكثر من أن يفاجأ بدخيل داخل عليه مهما صغرت سنه ، أو قوى اتصاله به ، متى كان عنده عقل وتميز . ولم يتعرض لحكم ما بين الوقتين ، لندرة الدخول حينئذ . ونلمح من هذين الوقتين أدباً في تعجيل النوم بعد صلاة العشاء ، وتبكير اليقظة قبل صلاة الفجر ، فذلك أعون على انتظام الصحة ، وأبعد عما يحجره السم من المنكرات ، أو تنبيه النفس الى فساد الشهوات ، ولا يعين على التبكير باليقظة إلا التعجيل بالنوم أول الليل ، ولقد قال قائل : شباب النوم في شباب الليل . وإن شئت فانظر الى أولئك الذين جعلوا السهر والسمر ديدنا لهم وعادة ، تجد صحتهم غالباً في اعتلال واختلال .

وقوله تعالى : « وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة » هو الوقت الثالث ، وهو ليس محدوداً في ذاته تحديداً تاماً ، فرب امرئ دعاه عمله الى تعجل القيلولة ، وآخر يرى صالحه في تأخيرها ، وقد يستغنى عنها بالمرّة . فلذا ينط الحكم فيها بقوله : وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ولم ينط بنفس الوقت كما في الموضعين الأولين . والظهيرة : هي وقت الظهر ، أو وقت اشتداد الحر فيه . وقوله تعالى : ثلاث عورات لكم ، بيان لحكمة التشريع ، حتى يدعوهم ذلك الى العناية بالامتنال ، وتربى في نفوسهم ملكة الاقتناع بالأحكام ، بل الاغتباط بها ، واعتقاد أنها شرعت لمصالحهم ، ورحمة بهم . والعورات : جمع عورة ، وهي في الأصل من العار وهو العيب ، سمي به كل ما يكره الإنسان أن يطالع عليه غيره ويسوءه كشفه ، ومنه عورة المكان لما اختل منه . وقد قرئ : ثلاث عورات بالرفع خبر لمحذوف ، أى هي ثلاث عورات لكم ؛ وبالنصب على أنها بدل من ثلاث مرات .

قل تعالى : « ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن » : يتنفي الحرج في الاقيا فيما عدا هذه الأوقات ، فإن المرء اذا كان في داره حيث لم يلتزم مكان خلوته الخاصة ، لا يسوء أن يلقاه أحد من أهل بيته بلا استئذان . وفي تكليف أعضاء الأسرة

الواحدة ومن في حكمهم الاستئذان في كل مقابلة حرج ومشقة لا تحتمل . وهذا غير ما سبق من النهي عن دخول البيوت على أى حال إلا بعد الاستئذان ، فذاك في حق الأجانب . والجناح : الحرج والإثم . وقوله تعالى : ولا عليهم ، ظاهر في المالميك ، أما الصغار الذين لم يبلغوا الحلم فليسوا عرضة للجناح شرعا حتى ينشأ ، فإنهم غير مكلفين ، إلا أن الآية سيمت مساق إظهار الجميع في صورة المخاطبين كلهم بحكم واحد متكاتفين فيه ، بعضهم على بعض رقيب ، فنأخذ بشيء منه فعلى الآخر إرشاده وتعليمه وتأديبه وتهذيبه . وفي نفي الجناح عن الصغير في غير هذه الأوقات عون على تربيته على التزام الأحكام ، بإفهامه أنه على شرف أن يكون واقعا في الحرج . على أن باب التغليب في مثل هذا باب واسع .

وقوله : « طوافون عليكم » أى هم طوافون عليكم : بيان لوجه الترخيص باللقيا بلا استئذان فيما عدا تلك الأوقات ، كما بين سر النهي بقوله : « ثلاث عورات لكم » ومعنى « طوافون عليكم » أنهم بصدد مخالطتكم ، والمداخلة معكم في شئون الحياة . وأصل الطواف : الدوران حول الشيء . وقوله : بعضهم على بعض ، زيادة في بيان ما تدعو اليه الحالة ، مؤكدا لحكمة نفي الحرج عنهم ، أى أن كلا منكم لا يستغنى عن مخالطة صاحبه ، فهم طوافون عليكم وأنتم طوافون عليهم على المعنى المتقدم ، فكان في قوله : « بعضهم على بعض » تسلية للمالميك والخدم بأن المعاونة في الحياة أمر مشترك بينهم جميعا .

« كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » : يأتى لفظ كذلك في القرآن على هذا الوجه كثيرا ، ومعناه أنه بعد أن يبين الحكم أو الآية أو القصة أو نحو ذلك بيانا شافيا يلا القلب روعة وجلالا ، ينبه السامع والفارئ الى أن هذه هي العادة الإلهية معكم ، وأن مثل هذا البيان الذى ملك قلوبكم تبين آيات الله التى تتلى عليكم . « والله عليم حكيم » أى شامل العلم بكل ما يصلح ، وبما كان ويكون ، يضع لكم من الأحكام ما يناسبكم ، ويكفل لكم سعادتكم .

قال تعالى : « وإذا بلغ الأطفال منكُم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » :  
 هذا لبيان أن حكم الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم منكم : من السماح لهم بمخالطتكم ، والدخول عليكم بدون استئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة البينة ، إنما هو ماداموا صغارا لم يبلغوا الحلم ، فإذا ما بلغوا الحلم انسحب عليهم الحكم الذي بين في غيرهم في قوله تعالى : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا . وهذا لاقتلاع ما قد يراه بعضهم من أن هذا وإن بلغ فهو معتاد الدخول والمخالطة فلا حرج في ترداده على سابق عادته ، وذلك كما تراه كثيرا في أسر محتشمة ، إذ يتسامحون مع رجال بلغوا حد الرجولة أن يترددوا عليهم ، بحجة أن هذا معتاد من صغره أن يتردد ويرى كل من في البيت ، فجاءت الآية لاقتلاع هذا الوهم ، وتبيين الحكم صراحة في شأنهم . وكان التعبير في هذا الموضع بقوله : آياته ليحملهم على الخضوع لأمره تعالى وإن خالف ما كانوا يزعمون ، فهو أعلم بما فيه مصلحتهم . وأما في الموضع الأول فإن نفوسهم منساقة الى ما يتلهم ، فكانت آية بينة على الإطلاق .

قال الله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فإيس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » :

القواعد : العجائز . سميت قواعد لأنهن لكبرهن أغلب أحوالهن القعود ، أو لأنهن يلزمن البيوت غالبا ، كل قيل به في وجه تسميتهن قواعد . وقوله : اللاتي لا يرجون نكاحا ، أي لا يطعن فيه لكبرهن ويأسهن من أن يتطلع إليهن ، وهو وصف كاشف لعنى القواعد ، وممهّد للحكم بعده ، وهونق الجناح عليهن في وضع ثيابهن ، والمراد بها الثياب التي لا يفرض عليها الى كشف العورة ، مثل القناع ، والجلباب السابغ الضافي ، كما يفيد قوله : غير متبرجات بزينة . والتبرج : الظهور والتكشف ،

خص بتكشف النساء عمدا ليراهن الرجال . وأصله من البرج ، وهو سعة العين مع ظهور بياضها كله محمداً بالسواد .

وهذا المعنى هو الحد الفارق بين من يخشى منها الفتنة ، فالمطلوب لها أن تتحجب وترعى عليها قناعها ، وتضرب بخمارها على جبينها ، وبين من لا يخشى منها الفتنة ، فلا جناح عليها أن تضع ثيابها التي لا يفضى وضعها إلى كشف العورة مع عدم التبرج بالزينة . ومع هذا فالاستعفاف والاحتياط بالتستر خير لمن . وعلى ذلك يكون قوله : غير متبرجات بزينة ، حالاً يقصد بها تقييد نفي الجناح بأن محله إذا لم يقصدن بالوضع التبرج . وحكمته أن التبرج منها قد ينه عوامل النفس الخبيثة من غيرها ، وإن كانت لا ترجو شيئاً من ذلك . ومنهم من يراه لبيان حكمة الحكم ، فيكون المعنى : لا جناح عليهن في وضع ثيابهن ، فإنهن لا زينة لمن يتبرجن بها . والله سميع عليم ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهو المطاع على مقاصد النفوس وحركات الضمائر ، فيجازى كلا بما عمل .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخير العمل ، وأن يحببنا الزين والزلل ، إنه سميع عليم  
وعوف رحيم م  
إبراهيم الجبالي

## الحكمة غرض المؤمن

قال عليه الصلاة والسلام : خذوا الحكمة ولو من السنة المشركين .  
نقول : ويمرر بمجرى الحكمة كل ما هو حسن ونافع ، فلمسلم مأمور أن يأخذ كل ما يجده من علم وصناعة وفن ، وقد عمل المسلمون الأولون بذلك ، فجمعوا كل ما تفرق في الأمم التي احتسكوا بها ، فكانت مدنيتهم أرق المدينيات ، وأجمعها لكل الخبائر الموزعة بين الخلق .

## رجال الله

الله تحت قباب العز طائفة أخفام في لباس الفقر إجلالا

# العقيدة بالله في نظر العلم الصحيح

مذهب العلامة ( نيوتن ) في إثبات المانع

أتينا في العدد السابق على مذهب الفيلسوف ديكارت الفرنسى في إثبات الخالق جل وعلا ، ونأتى اليوم على مذهب الفيلسوف الانجائزى الكبير نيوتن . مكتشف ناموس الجاذبية العامة ، وهو معدود من أهل العقول الممتازة ، والقرائح الجبارة . ناهيك أنه مكتشف الناموس الذى بنى عليه الطبيعيون بحوثهم العلمية ، وأجمعوا على القول به إجماعا لم ينله ناموس غيره ، ولم يجرؤ على نقده إلا العلامة الرياضى ( انيشتين ) المعاصر لنا ، ولكن مذهبه قد صادف أخيرا نقدة أقوىاء كادوا يلحقونه بالخيالات الباطلة .

ولد هذا البهانة سنة ١٦٤٢ ، وتوفى سنة ١٧٢٧ ، فماش هذا المدى الطويل حاصل على إعجاب مواطنيه والعالم أجمع ، ولا يزال اسمه ماثلا بين أسماء الشخصيات الفذة .

الذى يقارن بين مذهب ديكارت ومذهب نيوتن في إثبات الخالق جل شأنه يحدهما قد سلكا طريقين مختلفين ، فإن الفيلسوف الفرنسى قد أغفل جميع البراهين الحسية المنترعة من الوجود المادى ، واعتمد على البراهين النفسانية . فجاء نيوتن فعكس الأمر ، فأغفل جميع الأدلة النفسانية ، واعتمد على الحجج الحسية المنترعة من الوجود المشهود نفسه . فكان بين الرجلين بون بعيد في التفكير والتعليل والبرهنة .

فقد جعل ديكارت التحقق من وجود نفسه المفكرة وسيلة الى إثبات وجود الله ، وبنى على هذين الأصلين إثبات الوجود المحسوس ، وطريق البحث عن نواميسه وقواه وخواص مادته قائلا : « إن غرضى من ذلك تفسير الممولات بعالمها لا العمل بممولاتها » .

ولكن البهانة الانجائزى جعل قاعدة فلسفته النظر في خواص المادة ونواميس الطبيعة ، مستنتجا من ذلك عقيدة وجود الخالق ، والإلهام بصفاته .

ولما اشتهر نيوتن بسلامة النظر وقوة الإقناع، سأله الناس من كل مكان أن يؤاثبهم بدليل على وجود الخالق يكون في درجة المحسوسات، فابى نيوتن دعوتهم وكتب لهم قائلاً:

« لا تشكوا في وجود الخالق، فإنه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها قائدة للوجود ومهيمنة عليه، لأن الضرورة العمياء هي في كل مكان وكل زمان، فلا يتصور أن يصدر منها كل هذا التنوع في الكائنات، ولا هذا الوجود نفسه على ما هو عليه من ترتيب الأنواع وتناسبها، رغمًا عن التغيرات التي تنصب عليها بتأثير الأزمنة والأمكنة. فكل هذا لا يعقل أن يصدر إلا من كائن أولي له حكمة وإرادة ». ثم أخذ في تفصيل ما أجمله في عبارته المتقدمة فقال:

« من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد تأثير الجاذبية العامة، لأن خاصية هذه القوة أن تدفع بالكواكب نحو الشمس، ولكن لأجل تمايل دوران هذه الكواكب حول الشمس، يجب أن توجد إلهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها ». ثم قال:

« من الجلي الواضح أنه لا يوجد أي سبب طبيعي يمكن أن يدزى إليه توجيه جميع الكواكب وتوابعها الدوران في وجهة واحدة، وعلى مستوى واحد، دون أن يحدث فيها أي تغير يذكر. فجرد النظر لهذا التدبير يشعر بوجوب وجود قدرة إلهية تحده ».

« ثم إنه لا يوجد سبب طبيعي يستطيع أن يعطي هذه الكواكب وتوابعها هذه الدرجات من السرعة المناسبة مناسبة دقيقة للمسافات التي بينها وبين الشمس، ولما كز الحركة، بحيث تتحرك هذه الأجرام في مدارات ذات مركز واحد مشترك بينها جميعا. فلاجل تكوين هذا النظام بجميع حركاته يجب وجود مدبر عرف كل هذه



المواد ، وقابل بين كمياتها الموجودة في هذه الأجرام العلوية المختلفة ، وأدرك ما يجب أن يصدر منها من القوة الجاذبة ، وقدر المسافات المتباينة بين الكواكب والشمس ، وبين توابعها ، وساتورن ، وجوبيتر ، والأرض ، وقرر السرعة التي يجب أن تدور بها هذه الكواكب وتوابعها حول أجسام تصالح أن تكون مراكزها .

« ففارنة كل هذه الأمور بعضها ببعض ، والتوفيق بينها ، وجعلها نظاما يشمل كل هذه الاختلافات بين أجزائها ، كل هذا يشهد بوجود وجود سبب لا أعمى ولا حادث بالاتفاق ، ولكن على علم راسخ بأصول الميكانيكا والهندسة . »

ثم قال :

« ليس هذا كل ما في المسألة ، فإن وجود الله تعالى ضروري أيضا ، سواء أكان ذلك لإدارة هذه الأجرام بعضها على بعض — وهو الأمر الذي لا يمكن أن ينتج من مجرد القوة الجاذبة — أول تحديد وجهة هذه الدورات لتتفق ودورات الكواكب ، كما يرى ذلك في الشمس والكواكب وتوابعها ، بينما ذوات الأذئاب تدور في كل وجهة على السواء . »

ثم قال :

« وغير هذا فإن في تكوين الأجرام السماوية : كيف حدث أن الذرات المبعثرة استطاعت من نفسها أن تنقسم الى قسمين ، فالقسم المضيء منها انحاز الى ناحية لتكوين الأجرام المضيئة ، والقسم المغمى اجتمع في ناحية أخرى لتكوين الأجرام المغمى كالسواكب وتوابعها ؟ كل هذا لا يعقل حصوله إلا بفعل إله لاحد الحكمة »

ثم قال :

« كيف تألفت أجسام الحيوانات على هذه الصنعة البديعة ، ولأى المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الإبصار ونواميسه ، والأذن بدون الإلهام بقوانين الصوت ؟ وكيف يحدث أن حركات الحيوانات تحصل بإرادتها ؟ ومن أين جاء هذا الإلهام الفطري لنفوس الحيوانات ؟ »

الى أن قال :

« هذه الكائنات العالمية في قيامها كلها على أيدي الصور وأكملها، ألا تدل على وجود إله منزّه عن الجسمانية، حي حكيم، له سلطان في كل مكان، يرى حقيقة كل شيء في ذاته، ويدركه أكل إدراك؟ » انتهى .

هذه أدلة العلامة ( نيوتن ) في إثبات الخالق، وهو يعتبر من الأعلام المعترف لهم بالعقائيات الممتازة ، وهو باكتشافه لناموس الجاذبية العامة قد جعل اسمه عالميا ، وخلده في تاريخ العلم مقترنا بكل تبجيل واحترام .

وكل ما ذكرناه من مذهبي ديكارت ونيوتن في إثبات الخالق ، قد سبق إليه القرآن الكريم ، وقد جمع بينهما في آية واحدة ، فقال تعالى : ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ) إدلالا على أن الانسان يصل الى الاعتقاد به من النظر في نفسه ، ومن النظر في الطبيعة . وقد أكرر القرآن من لفت العقول الى هذين الينبوعين من العلم ، فقال تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ الْأَسْنَتِ كُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ) بكسر اللام . وقوله تعالى : ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ) . وقوله تعالى : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) .

محمد فريد وجرى

## فضل الحليم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الحليم الحي ، ويبغض الفاحش البذي .  
وقال بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهدي      وأكره أن أعيب وأن أعابا  
وأصفيح عن سباب الناس حلما      وشر الناس من يهوى السبابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه      ومن حقر الرجال قلن يهابا

## نقض شبه القاديانية

- ١ -

كنا كتبنا في مجلة نور الاسلام مقالا نبهنا فيه المسلمين لنزعة غلام أحمد ومزاعمه الباطلة ، فكان له بحمد الله تعالى أثر عظيم في إيقاظ من كانوا في غفلة عن هذه النحلة وما يشهده دعائها في العالم الاسلامي من فتون وشُرور ، فتميز أولئك الدعاة غيظا ، وما كان من داعيتهم في فلسطين إلا أن كتب مقالا يوم فيه الطائفة الواقعة في حياتهم أنه يرد على مقالنا . ووقع نظرنا على ذلك المقال المملوء بالتمويه والالتواء عن آداب المناظرة ، فبدا لنا أن نمود للكتابة في تلك النحلة ، فنزيد حالها إيضاها . وكتبنا في مجلة نور الاسلام مقالين آخرين نبهنا فيهما لبعض ما في مقال ذلك الداعية من مراوغة وانحراف عن السبيل ، وسقنا فيهما بعض ما نطق به كبيرهم غلام أحمد من زور وهذيان ، وحدث بعد هذا أن نشر ذلك الداعية في أوراق يصدرونها في شكل مجلة مقالا حاول فيه الرد على مقالنا الثاني المنشور في مجلة نور الاسلام . والواقع أنه لم يأت في مقاله هذا إلا بما يطمئن في دعوتهم ، ويزيد الناس خيرة بفساد مذهبهم ، وقد كان في عرض بعض أقوال غلام أحمد وشيء من مسلكه الكفاية للدلالة على أنه يكيد للأمة الاسلامية ، ويقول على الله غير الحق . ولا حاجة بنا في إبطال دعواه النبوة والرسالة الى الخوض في أن النبوة منقطعة أو باقية ، فإن تلك الأقوال التي صدرت من غلام أحمد ، تنادى بملء حروفها أن النبوة في ناحية اليمين وهو في ناحية الشمال ، ولكننا آثرنا النزول الى نقض بعض مزاعمهم ، حذرا من أن نجد أذهانا غافلة فتعلق بها . وهانحن أولاء نعرض على حضرات القراء قطعا من مقال داعية القاديانية ، ليزدادوا علما بحال تلك النحلة ، ومبلغ دعائها من لبس الحق بالباطل :

رأى غلام أحمد ومن اتبع خطاواته أن قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم: (وخاتم النبيين) يسد الطريق على من يريد فتنه الناس بدعوى النبوة،  
 محاولوا تأويل الآية على معنى أنه أفضل النبيين، أو سيد النبيين، وابتغوا هذا التأويل  
 ليتهم أن يقولوا على الله ما شاءت أهواؤهم، ويفسدوا على المسلمين أمر دينهم، فقلنا  
 لهم: إن علماء التفسير قد اتفقوا على أن (خاتم) في الآية بمعنى آخر، وهو المني الذي  
 يذكره علماء اللغة، ويسوقون من شواهد هذه الآية، ومن أراد صرف (خاتم النبيين)  
 عن معنى آخر النبيين إلى معنى أفضل النبيين، فعليه بإقامة شاهد أو نقل كلمة عن  
 بعض علماء اللغة يدل على أن وصف الرجل بكونه خاتما لقوم، يقصد منه أنه أفضلهم  
 أو سيدهم، ولكن داعية القاديانية لم يستطع أن يقيم من كلام العرب أو علماء اللغة ولو  
 شاهدا واحدا على أن مثل تركيب (وخاتم النبيين) قد يستعمل بمعنى أفضلهم أو سيدهم.  
 يقول الداعية في مقاله الجديد: «وكناسقنا شواهد واستعمالات العرب في كون  
 لفظ الخاتم مضافا والقوم أولى المناصب مضافا إليهم، وكون استعمال هذا المركب  
 الإضافي، في مقام المدح، ولا يتأتى المعنى في تلك الاستعمالات إلا أن المدوح أفضل  
 القوم وسيدهم».

والداعية لم يورد في مقاله السابق شيئا من كلام العرب يشهد بأن الخاتم إذا أضيف  
 إلى القوم أولى المناصب كان بمعنى أفضلهم وسيدهم، وإنما أورد عبارات لمن لا يحتاج  
 عالم في تفسير كتاب الله تعالى بكلامهم، ولا تتجاوز تلك العبارات وصف أحد الرجل  
 بأنه خاتم العلماء أو الأولياء أو الشعراء، وما هي إلا أقوال صدرت من بعض رجال  
 القرون المتأخرة أو القريبة منها، وإنما يحتاج في تفسير القرآن الكريم بكلام  
 العربي الصميم.

وهل رأيتم مجادلا أسخف قولاً ممن يحتاج في بيان معنى آية من كتاب الله تعالى  
 بما كتبه المطبعة الأزهرية على أول الصحيفة الأولى من كتاب الإتيان، أعنى قوله:  
 «الجزء الأول من كتاب الإتيان في علوم القرآن لخاتمة المحققين».

ثم إن أمثال هذه العبارات من نحو خاتم المحققين أو خاتم الأئمة أو خاتم المجتهدين ، قد ينساق إليها قائلها من شدة إكباره لمقام المدوح ، لحد أن يظن بلوغه مرتبة يبعد أن يتأهلها أحد من بعده ، كما قالوا :

هبات أن يأتى الزمان بمثله      إن الزمان بمثله لبخيل  
وكما قالوا :

حلف الزمان ليأتين بمثله      حينئذ يمينك يا زمان فكفر  
وكما قال السيوطى فى تقي الدين الخرانى : « آخر المجتهدين » .

وفسر الداعية فى مقاله الأول الخاتم بمعنى الزينة ، ولم يجد شاهدا على هذا من كلام العرب أو أقوال اللغويين أو المفسرين ، فتعاق بكلمة للشيخ محمد طريح النجفى ( أحد علماء الشيعة ) اقتطعها اقتطاعا ، فقال : « يقول صاحب مجمع البحرين ما نصه : « ومحمد خاتم النبيين ، يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، فالفتح بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذى هو زينة للابسة » .

والواقع أن الشيخ النجفى قد صرح بأن النبى صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، فقد قال قبل تلك الكلمة التى اقتطعها الداعية : « قوله تعالى : ( وخاتم النبيين ) أى آخرهم ليس بعده نبى » ثم قال : « ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، فالفتح بمعنى الزينة ، مأخوذ من الخاتم الذى هو زينة للابسة ، وبالكسر اسم فاعل بمعنى آخر » . ولما كان صاحب مجمع البحرين يمتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء ليس بعده نبى ، فقصارى أمره أن يكون أخطأ فى تأويل ( خاتم ) على قراءة الفتح بمعنى الزينة ، فإنه مخالف لأقوال من هم أدري منه بتفسير كتاب الله تعالى ، وبوجوه استعمال الألفاظ العربية حقيقة أو مجازا .

وها نحن أولاء نسوق اليكم طائفة من أقوال علماء اللغة الشاهدة بأن الخاتم ( بفتح التاء أو كسرها ) بمعنى الآخر ، قال صاحب اللسان : « وخاتمهم وخاتمهم : آخرهم ،

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين « وقال ابن سيده في كتاب المحكم : « وختم القوم وخاتمهم وخاتهم : آخرهم » وقال : « وفي التنزيل (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أى آخرهم » وقال الأزهري في كتاب التهذيب : « وختم كل شيء آخره ، وقوله تعالى : (رسول الله وخاتم النبيين) معناه آخر النبيين » ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب الصحاح وصاحب المصباح وصاحب القاموس وصاحب أساس البلاغة أن الخاتم يكون بمعنى الزينة .

ولعل الداعية تعلم أن القرآن الكريم إنما يستشهد في تفسيره بكلام العرب ، ويتيقن أن استشهاده بالعبارات التي ينقلها عن بعض الكتاب أو أصحاب المطابع ، لا يتقبله أهل العلم ، ولكنه يسوقها استهواء لقوم يجهلون آداب البحث ، ولا يفرقون بين ما يصح أن يستشهد به في تفسير كتاب الله تعالى ، وما لا يصح الاستشهاد به <sup>(١)</sup> .

وخلاصة البحث أن علماء اللغة يقولون : الخاتم بمعنى الآخر ، والمفسرون يقولون : (وخاتم النبيين) أى آخرهم ، وداعية القاديانية يزعم أن (خاتم النبيين) بمعنى زينتهم أو سيدهم أو أفضلهم . وانتظرنا منه أن يأتي بشاهد على هذا من كلام العرب ، أو من كتب اللغة ، أو من أقوال أئمة التفسير ، فلم يفعل ، وذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير ، بلفظ من الفول ، كأنه لا يشعر أن القرآن الكريم قول فصل ، وما هو بالهزل مـ

محمد الخضر حسين

## من الشديد بحق ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الشديد من غلب نفسه .  
وقال عون بن عبد الله : إذا عصتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يفرئك ثناء من جهل أمرك .

(١) أورد في بعض رسائله أحاديث وآثارا عن بعض السلف ، ووعدها بمقال التالى ، إن شاء الله .

## رجب

رجب : أحد الأشهر الحرم الأربعة التي نص الله عليها بقوله تعالى : ( إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ) هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » وإنما نسب لمضر ، لأنهم أشد تعظيما له من غيرهم ، وكانت العرب تسمى شهر رجب بالفرد ، لعزائمه عن الأشهر الحرم ، وكانوا يسمونه شهر الله الأصم ، أى الذى لا يسمع فيه صوت سلاح ولا صوت مستغيث ، وربما كانوا يستعملون رجبا لحجهم الأصغر ، يعنى العمرة . وكانت العرب تحترم الأشهر الحرم ، فتلقى فيها السلاح ، وترك الغزو ، ولا يستبيحون فيها القتال ، ولا الأخذ بالثأر ، حتى لقد بلغ من أمرهم أن أحدهم لو لقي قاتل أبيه أو ابنه فى شهر رجب لم يتعرض له .

وفى اللسان : ورجب سموه بذلك لتمظيمهم إياه فى الجاهلية عن القتال فيه . والترجيب التعظيم . وفى الحديث : هل تدرؤن ما المتيرة ؟ هى التى يسمونها الرجبية ، كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبون لها إليه . والترجيب ذبح النسائك فى رجب ، وكانت العرب ترجب أى تذبح النسائك فى رجب .

وإنما اعتبرت العرب هذه الشهور واحترمتها ، حتى لا يقف العداء بينها وبين بعضها حرج عثرة فى طريق الحاج منهم ، وكان من عادتهم العمرة فى رجب . وأشهر الحج الأثبات كبر عندهم : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة . وكانوا يحرمون الشهر الذى فيه الحج ، وهو ذو الحجة ، والذى قبله ، لأنه وسيلة إليه ، والذى بعده لأنه تابع له ، لأن الحاج كان يسافر فيه الى بلاده ، فوجب أن يكون فيه آمنا على نفسه وماله .

وقد أقرّ الاسلام احترام هذه الأشهر ، وجعل الطاعة فيها مثابا عليها أكثر من الطاعة في غيرها . ولم يكن القتال مباحا في الأشهر الحرم في صدر الاسلام ، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام ساء ما نسب لبعض أصحابه من أنهم قتلوا قرشيا في رجب وقال : والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . وضاعت الصحابة بصنيع إخوانهم ، وعبرت قريش المسلمين المقيمين بمكة لأنهم سفكوا الدم في الشهر الحرام ، فلما نزل ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ) طابت نفوس الصحابة ، وسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا كانت الأزمان تمتاز بما يقع فيها من الحوادث ، فلرجب فضل كبير ومزايا عظيمة ، لوقوع كثير من الحوادث العظيمة فيه . فمن ذلك أولا :

حصول الإسرائء والمعراج للنبي صلى الله عليه وسلم فيه . أما الإسرائء فتثبت بقوله تعالى : ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ) والمسجد الحرام هو الكعبة ، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس ، والمباركة حوله : تخصيصه ، لأنه متعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبلة لهم ، وكثرة الأتجار والأشجار حوله ، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض ، لخبر أبي ذر : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . وقد ورد أن الصلاة فيه يضاعف فيها الأجر . وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن الإسرائء كان لإطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على الآيات الكبرى ، والمعائب العظيمة .

وأما المعراج فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام عرج به إلى السموات ليلة أسرى به ، وأراد الله تعالى من الآيات والكائنات ما لم يطلع عليه غيره ، وأطلعه على أحوال الجنة والنار ، وعلى عجائب الخلق من الملائكة وغيرهم ، وأودعه من أسرار الحكمة والفضل ،



وقربه وأدناه ، وجعل منزلته أعلى المنازل . وقد جاء في حديث المعراج أن الصلاة فرضت ليلتين ، وقد جعلها الله خمسا في الفعل ، وخمسين في الأجر .

ولا شك أن الصلاة من أهم فروض الدين بعد الإيمان ، وقد فرضت في رجب ليلة المعراج ، فهي من أهم الحوادث التي يمتاز شهر رجب بمحدثاتها فيه . وقد ثبتت فرضية الصلاة بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) وقال : ( إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ) وقال تعالى : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ) وقد بين صلى الله عليه وسلم الأوقات المفروضة ، كما بين عدد الركعات في كل وقت وما يفترض فيها ، بتعليم الله له على لسان جبريل عليه السلام .

ومن الحوادث التي حصلت في رجب تحويل القبلة ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الهجرة متجها نحو بيت المقدس بأمر من الله له ، واستمر على ذلك نحو ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان يجب أن يتجه في صلاته نحو الكعبة لأنها قبلة إبراهيم ، فأنزل الله تعالى : ( قَدْ رَأَىٰ قَلْبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ) والأكثر من العلماء على أن ذلك كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . هذه أم حوادث هذا الشهر الذي كان معظمها كما قلنا في الجاهلية ، وإنه يكفي لعظمته في الإسلام أن الطاعة فيه تضاعف ، والسيئة تقع أكثر نكرا منها في غيره ، وأنه ظرف لهذه الحوادث الهامة .

#### الصوم فيه :

قد علمت أن هذا الشهر من الأشهر الحرم ، وأن هذه الأشهر معظمة عند الله ، وأن الحسنة فيها تضاعف ، فن تطوع فيها بصوم أو صلاة كان له أجره ، وصوم التطوع مشروع

ما جاور عليه ، وقد دلت الآثار والأحاديث على استحباب الصوم في الأشهر الحرم ، ورجب منها . وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذب إلى الصوم في الأشهر الحرم ، ورجب أحدها . وأخرج مسلم عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم . فقلت لها : من أي أيام الشهر كان يصوم ؟ قالت : لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم .

وأخرج مسلم أيضا عن أبي قتادة في حديث طويل قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله — الحديث . وأخرج أيضا من حديث آخر فيه أن رسول الله سئل عن صوم يوم وإفطار يومين ، قال : ليت أن الله قوّانا لذلك . قال : وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم ، قال : ذلك صوم أخي داود عليه السلام . قال : وسئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : ذلك يومٌ ولدت فيه ويومٌ بعثت ، أو أنزل عليّ فيه . قال : فقال : صوم ثلاثة من كل شهر ورمضان إلى رمضان صوم الدهر .

وأخرج مسلم أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن سألته : صُم ، أفضل الصيام عند الله صوم داود عليه السلام : كان يصوم يوما ويفطر يوما . وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب فضعيف . فظهر من هذا جميعه استحباب الصوم في رجب ، خصوصا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع شهرا حتى يصوم منه ، فلا وجه لمن أنكر الصوم في رجب . نعم لم يرد في استحباب صوم يوم معين من رجب سنة ثابتة .

أما صوم رجب جميعه ، وشعبان جميعه ، ليتصل صومهما بصوم رمضان ، فلم يثبت أن رسول الله فعل ذلك أو طلبه إلى أحد من أصحابه فيما أعلم ، ولكنه مشروع مثاب عليه .

بقى بعد الذي بيناه من أن الطاعة في هذا الشهر تضاعف فيها الحسنات ،  
 ألا تغفل عن أن السيئات في هذا الشهر أشد عقاباً عند الله منها في غيره .  
 وبما يجب التنبيه إليه أن الإقدام على الفعل المكروه على أنه مندوب أو سنة  
 أو مستحب ، من أشد الأمور ضرراً ، لأن الشيطان يزينه في نفس من يعمله ، ليؤاخذ  
 عليه ويدعو اليه ولا يتوب عنه ، لأنه لا يعلم أنه معصية ، فيلقى الله وهو مذنب لم يتطهر  
 بالتوبة ، وفي هذا بلاء عظيم . فليحذر المسلمون من المعاصي تزيّن لهم في صورة الطاعات .  
 ولا يفوتنا أن نقول : إن الاجتماع في شهر رجب في القبور ، والبيات بها ، وإيقاد  
 الأنوار ، وعمل الولائم ، واجتماع النساء بالرجال اجتماعاً مخلاً بالآداب ، من الأمور  
 المنكرة شرعاً ، ولا يجوز لمسلم أن يفعلها ، ولم يرد في الدين استحباب زيارة القبور في يوم  
 معين من رجب ، أو في رجب بخصومه . وليس معنى هذا عدم جواز زيارة القبور  
 في رجب ، بل معناه أن خصوص يوم للزيارة فيه لم يرد في الدين . أما من زار القبور للعظة  
 والاعتبار ، فلا حرج عليه أن يزور في أي يوم من أيام السنة ، ما دامت زيارته لا يترتب  
 عليها معصية : من انتهاك حرمة الأموات ، واجتماع النساء بالرجال ، وما إلى ذلك من  
 أمثال ما تفعله العامة . وفقنا الله جميعاً لما فيه خيره .

طه ميبب

عضو المحكمة العليا الشرعية

سابقاً

## فضيلة القصد في الكلام

قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله من قال خيراً ففهم ، أو سكت فسلم .  
 وقال لمعاذ : أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أو ناك .  
 وقال علي كرم الله وجهه : اللسان معيار أطايشه الجبل ، وأرجحه العقل .  
 وقال بعض الحكماء : أزم الصمت فإنه يكسبك صفوة الحجة ، ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك  
 ثوب الوقار ، ويكفيك مئونة الاعتذار .

## الكتاب - والسنة

الصفات التي يشتركان فيها ، والصفات التي تخص كلا منهما

أساس التشريع في الدين هو الكتاب العزيز. وهو كلام الله المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الإعجاز ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، وعنه تفرعت الأصول الأخرى ، فهو أساس السنة ، ودليل الأخذ بها في قوله تعالى : ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) وفي قوله جل شأنه : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) وقوله عز وجل : ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وغير ذلك من الآي الدالة على أن طاعة الرسول فيما أمر وفيما نهى ، واتباعه فيما فعل ، وفيما قرر من الأعمال ، كل ذلك أمر به الله . فمن هنا كانت السنة من الأصول التي تؤخذ منها أحكام الله .

والسنة : هي أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله وتقريراته . ويتفرع عنهما أصول أخرى تؤخذ منها الأحكام ، ويستدل بها عليها ، كالأجماع المستدل عليه من الكتاب بقوله تعالى : ( وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ) وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجمع أمتي على ضلالة » وكالقياس المستدل عليه من الكتاب ، بقوله تعالى : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) ومن السنة ، بتقريره صلى الله عليه وسلم لما ذ في قوله وقد سألته حين بعثه لأهل اليمن ليقضى بينهم : « بم تقضى بينهم ؟ فقال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسوله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أقيس الشيء بالشيء . » فأقره على ذلك . وقد يكون هناك أصول أخرى قال بها بعض الفقهاء ، وردها بعضهم إلى ما ذكره .

وليس غرضنا في هذه الكلمة بيان كل واحد من تلك الأصول ، وإنما نريد أن نجلو معنى كل من الكتاب والسنة ، وما يشتركان فيه من الصفات ، وما يخص كلا منهما ،

فهما مشتركان في أن كلا منهما موحى به من قبل الحق عز وجل ، ولولا ذلك ما وجبت الطاعة ، فإن الطاعة والعبودية والعبادة إنما تكون لاسيد الأعلى ، والمالك القادر ، والرب الخالق المنعم ، والمهيمن المسيطر ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . وطاعة من عداه إنما جاءت من أجل أمره هو جل شأنه بطاعته ، وذلك كطاعة الأنبياء ، وكطاعة أولى الأمر ، وطاعة السيد ، وأمثال ذلك .

أما الوحي في الكتاب العزيز فما لا يشك فيه مؤمن . وأما الوحي في السنة فبقوله تعالى : ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) ولا ينبغي عنا أن هذا في شأن التشريع وبيان الأحكام الدينية ، وأما في العادات فليس كل ما ينطق به عن وحي أوحى إليه به ، بل غاية أمره أنه لا ينطق عن الهوى والميل عن القصد ، وإن كان بعض ما ينطق به صادرا عن حكم العقل ، ووجدانات النفس ، ومألوف المخاطبات ، وذلك كمشثونه في طعامه وشرابه ولباسه وجلسه ونومه وما مائل ذلك ، فليست كل هذه يوحى بها ، وإنما غاية أمرها أنها منطبقة على ما ينبغي أن يكون ، وما تقضى به الفطر السليمة . ولقد كان عليه الصلاة والسلام يسكت وهو معهم ، فيعرفون أنه قد جاءه الوحي ، فيلزمون الأدب والصمت حتى ينتهي من الوحي ، فيبلغهم ما نزل به عليه الملك . وكانت عصمته صلى الله عليه وسلم كعصمة إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أما ناله من أن يقع منه محذور ومعصية توجب غضب الله . نعم كان يجتهد صلى الله عليه وسلم في بعض الأحكام فيصيب الحكم الذي رضى الله لعباده ، وقد يكون منه جل شأنه أن يوحى إليه بما يخالف ما أداه إليه اجتهاده ، وذلك كما ذكره في تفسير قوله تعالى : ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ) . وفي تفسير قوله عز وجل : ( مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْتَرَى حَتَّىٰ يَبْخُنَ فِي الْأَرْضِ ) . فمن أنه ينطق عن الوحي لا عن الهوى ، ومن أنه معصوم عن مخالفة الله فيما يأتي وفيما يذر ، ومن أن الله ضمن له ألا يقره على اجتهد على خلاف ما يشرع له ولا مته من الأحكام — كان كل ما يقوله واجب الاتباع ، وما يفعله

لا يكون فيه حذر، ما لم يدل الدليل على اختصاصه به، وما يقره يكون مما يقر مثله في نظر الشرع.

ويبقى في أفعاله صلى الله عليه وسلم نظر آخر بعد أن تقرر دلالتها على الجواز، وهو: هل تدل على أن ما فعله مطلوب وعبادة، أو هو لمجرد الجواز، أو أن ما فيه معنى التعبد يدل على الطلب، وما هو من قبيل العادات لا يدل على نفي الحرج؟ هذا مقام يعني علماء الأصول، فلهم فيه أقوال واستدلالات، وردود لا تتسع هذه الكلمة لاستيفائها. فأقواله صلى الله عليه وسلم في باب التشريع موحى بها قطعاً، والكتاب العزيز موحى به قطعاً. فالوحي من عند الله مما يشترك فيه الكتاب والسنة. وسيأتي ما يفترقان فيه من أمر الوحي. والكتاب والسنة يشتركان كذلك - بناء على هذا - في وجوب امتثال ما فيهما، والطاعة والخضوع لأحكامهما. لا يخالف في ذلك مسلم، وإنما الخلاف الواقع بين الفقهاء في أمرين (الأول) في الافتناع بأن هذا الحديث صح إسناده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لم يصح. و (الثاني) في هل هذا النص يدل على هذا الحكم أو لا يدل؟ وقد دُوِّنَ للأول علم رواية الحديث، وبينت مراتب الأسانيد، وحللت عبارات الرواة، وفحصت سير الرجال باعتناء واستقصاء بالذين بالمطلع مبلغ الطمانينة وانتلاج المصدر. ولقد استباحوا في هذا الباب ذكر عيوب الرجال وزلاتهم مع كون الغيبة محرمة شرعاً، ولكن هذا كفحص حال الشهود في القضايا، بل هو أهم وأعظم. ودُوِّنَ للثاني فن أصول الفقه، حيث فحصت الصيغ والأساليب، وحقق ما تدل عليه، واستدل على كل بحث مما يتعلق بذلك بما لا مزيد عليه لمستزيد.

نقول: هذا ما نشأ عنه اختلاف الفقهاء في استنباط الأحكام. فأما الوجه الأول وهو ما يرجع إلى السند وتصحيحه، فهو خاص بالسنة، إذ الكتاب العزيز قد روى بطريق التواتر في كل طبقاته عن جمع يستحيل أن يتواطأ على الكذب، أو أن يقع في الخطأ. وتخصص في كل عصر وفي كل مصر فئات جمة عنوا بضبط حركاته وشداته

ومده وغنه وأحكام تجويده عناية لم يفتهم فيها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها. والقراءات للتواترة كل منها نزل به القرآن، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وقد نعرض لهذا الحديث في فرصة أخرى، إن شاء الله.

قلنا: إن كلام الكتاب والسنة موحى به من عند الله، إلا أن الوحي في السنة وحي بالمعنى، ويعهد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعبر عما ألقى في قلبه باللفظ الذي يؤلفه. وأما في الكتاب العزيز فالوحي متناول للأمرين جميعا: اللفظ، والمعنى. فمثلا قوله تعالى: (وَحَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) في سورة القصص، وقوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) في سورة يس: كل منهما ماتزم في مكانه ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من باب أولى أن يقدم لفظ رجل في سورة يس على «من أقصى المدينة» ولا أن يؤخره في سورة القصص.

والوحي: هو إلقاء المعنى في قلب نبي من الأنبياء، مصحوبا بلفظ يلتزم، أو متروكا أمر اللفظ فيه لاختيار النبي الموحى إليه. وقد بينت طرقه في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) ومعنى وحيا في الآية: أى إلقاء في القلب بلا سماع لفظ. ومعنى من وراء حجاب: أن يسمع اللفظ ولا يرى، كما كان لموسى صلوات الله عليه وسلامه. ومعنى أو يرسل رسولا: أن يرسل ملكا يبلغه عن ربه، ويصحب ذلك جزم النبي واستيقانه أن الرسول من عند ربه، فيتخلص هذا في أن معنى الحديث موحى به دون لفظه. وأما الكتاب فوحي بمعناه ولفظه جميعا.

قد يكون من الحديث حديث ينطق به على لسان الحق جل وعلا، أى كأنه صادر من الخالق مباشرة، وهو ما يسمى بالحديث القدسي، كما في حديث «ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مستزق فأرزقه؟» وكما في حديث «عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يده» فهذا أيضا مما أوحى بمعناه للنبي صلى الله عليه وسلم وترك له التعبير عنه بالمعبرة التي يؤلفها على أنها صادرة عن الحق جل جلاله لعباده.

بقى وصفان يمتاز بهما القرآن الكريم عن السنة ، وهما : التعبد بالتلاوة ، والتحدى بأقصر سورة منه . أما التعبد بتلاوته فعناه أن تلاوته في ذاتها عبادة وطاعة ، سواء أ كانت في الصلاة أم كانت خارجها ، وسواء أفهم معناه — وهو ظاهر ، وذلك هو الأكل في التلاوة — أم لم يفهم . ووجهه أنه إذا فاته الفهم فلم يفته أنه يسام بقسط في حفظ كتاب الله الذي تعهد بحفظه ، والأمن من تغييره وتحريفه ، في قوله تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) وطريق حفظه بتوفيق الله طوائف في كل عصر يحفظونه ويدارسونه ويكثررون من تلاوته ، حتى يكون بعضهم على بعض شهيدا . وسبيل ذلك أن يجعل الله مجرد تلاوته عبادة ، حتى يشترك فيها من يقوى على فهمه ومن لم يقو عليه . وأما التحدى بأقصر سورة منه فعناه أن يدعو السامعين الى معارضته إذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وذلك ليتبين عجزهم عن معارضته والافتيان بسورة من مثله ، والسورة تصدق بأقصر سورة . ومتى عجزوا جميعا وفرادى — ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا — كان هذا صادرا عن القوة الإلهية ، ليس للقدرة البشرية دخل فيه ، فهو من عند الله ، فلا آتى به إنعما يبلغ عن الله ، فهو رسول الله ، ومن يعطى الرسول فقد أطماع الله . وبذلك ترى أن التحدى راجع الى ثبوت الإعجاز له .

أما حديثه صلى الله عليه وسلم فليست تلاوته عبادة ، وإنما العبادة في تباينه لاغير من باب إعلام الغير أنه صلى الله عليه وسلم قال كذا ، فهو تعاليم ، أو في تفهمه وتدبره ليهتدى بهديه ويستضاء بنوره ، فالعبادة فيه في التعلم أو التعاليم . وكذلك ليست عبارة الحديث معجزة للابشر من أن يأتوا بتعلمها ، وإن كان قد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، وأوتى قسطا من النصيحة والبلاغة قبل من يدانيه فيه ، إلا أن التفوق شئ والإعجاز وانقطاع الأعناق دونه شئ آخر .

هذا : وأما وجوه إعجاز القرآن فكثيرة مستفيضة ، قد نعرض لها في فرصة أخرى إن شاء الله . والآن نجتزئ بهذا المقدار ، ونرجو أن نسط منه في مقال آخر ما يمن الله تعالى به . والله ولى التوفيق م

ابراهيم الجبالي



## الفتاوى والأحكام

ورد الى إدارة المجلة خطاب من الشيخ عبد العظيم محمد الصيفي يتضمن ما يأتي :  
هل ينتفع الميت بالقراءة بعد الموت ؟ وهل يحل أخذ الأجرة على القراءة للميت ؟ وهل ينتفع الميت بالقراءة إذا كانت بأجرة ؟ وهل للعنافة والسبحة — وهو ما يعملها الناس في الأرياف من قراءة مائة ألف صمدية وسبعين ألف لا إله إلا الله — أصل في الدين ؟ وهل فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وما الحكم فيما يفعله فقهاء الأرياف من تفهيم الناس — خصوصا أهل الميت — بأن الميت لا يغفر له ولا يدخل الجنة إلا إذا عمل له عتاقة وسبحة ؟ وما الحكم في احتكائهم في أخذ أجر معين ؟ وهل يأخذ الإنسان النقود بالربا لأجل ذلك ؟ وهل يجوز أن يتصرف في التركة التي للقصر حق فيها لهذا العمل ؟ وما الذي يجب عمله ليصل ثواب القراءة للميت ؟

المجواب : جرت الشريعة الإسلامية على أن للإنسان أن يعمل ثواب عمله لغيره صدقة أو غيرها ، فيما يراه الحنفية ، واستدلوا بما في الصحيحين من أنه صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحداية الله وشهد له بالبلاغ ، وبما رواه الدارقطني أن رجلا سأل صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما ، فكيف لي ببرهما بعد موتهما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك ، وتصوم لهما مع صيامك . وقد روى الدارقطني أيضا عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما معناه أن من قرأ « قل هو الله أحد » إحدى عشرة مرة وهب أجرها للأموات ، كان له من الله أجر كبير . وروى عن أنس أنه سأل صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونمجد عنهم وندعو لهم ، فهل يصل ذلك إليهم ؟ قال : نعم إنه يصل إليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم

بالطبق إذا أهدى إليه . وعنه صلى الله عليه وسلم : اقرءوا على أمواتكم يس . وبقوله تعالى : ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ) ، وبقوله تعالى : ( وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ) ، وبقوله تعالى : ( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ) وبغير ذلك من الآثار .

ومن المقرر شرعا أن زيارة القبور مندوب إليها ، وقد زار النبي صلى الله عليه وسلم قبور أصحابه ، ودعاهم وترحم عليهم واستغفر لهم ، وأمر الصحابة إذا زاروا أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية .

من هذا يتبين أولاً جواز القراءة للميت والاستغفار له ، وأنه ينتفع بذلك . وعليه فاجتماع جماعة من الناس فقهاء كانوا أو غير فقهاء لقراءة سورة من القرآن سواء أكانت سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرها أو ذكرهم لله ، وإهداءهم ثواب ذلك للميت ، أمر جائز مشروع ، ما دامت القراءة خالية عن التشويش ، مستوفية شروطها الشرعية ، وما دام ذكر الله بعيدا عن التلاعب . والشأن في هذه القراءة بنية النفع للميت أنه ينتفع بها . فمن أراد القراءة لأبيه أو الاستغفار له ، فليفعل بنية الدعاء والاستغفار . والمرجو إن شاء الله أن ينفع ذلك المقروء له . أما الاجتماع على الوجه الذي يعمله الآن فقهاء الأرياف أو فقهاء المدن ، فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله ، كما لم يثبت عن أحد من الخلفاء الأربعة فعله على الوجه الذي يعمل الآن فيما أعلم .

بقى القول في جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن ، وهل ينتفع الميت بالقراءة التي يأخذ عليها القارئ أجرا ؟ فذهب الحنفية أن القراءة بأجر لا ثواب فيها للقارئ

ولا للميت . قال العيني في شرح الهداية ويمنع القارئ الدنيا ، والآخر والمعطى آثمان . وأطال في ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار . وله رسالة خاصة أطال فيها ، ونقل فيها نصوصاً أعنتنا . فمن شاء المزيد فليرجع إليها .

ويرى السادة الشافعية أن الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدراً معلوماً ، جائزة ، للانتفاع بنزول الرحمة حيث يقرأ القرآن ، ويكون الميت كالحي الحاضر ، سواء أعقب القراءة بالدعاء له ، أو جعل ثواب قراءته له أم لا ، فتعود منفعة القراءة إلى الميت في ذلك ، ولأن الدعاء يباحقه . إلى آخر ما قرره السادة الشافعية . وعلى ذلك فتكون القراءة بالأجرة غير مفيدة عند السادة الحنفية ، ولا ثواب فيها للقارئ ، ولا للميت ، والإجارة فيها غير صحيحة . أما مذهب السادة الشافعية فلا إجارة عندهم صحيحة ، وجائزة ، وينتفع الميت بالقراءة . فليعمل الآن من تأجير الفقهاء لقراءة الخلمات ، أو عمل العتاقة للميت ، جائز في مذهب السادة الشافعية . وما دامت القراءة بأجرة ، فسواء في هذه الإجارة الغنى والفقر ، لأن للأجير أجر عمله ولو كان غنياً ، مادام قد أجر نفسه ورضى أن يعمل بالأجر . أما من لم يعمل ، فلا يجوز له أخذ الأجرة ، ولا المطالبة بها ، فقيراً كان أو غنياً ، إلا إذا أعطاه أهل الميت صدقة ، وكان فقيراً ، فيحل له الأخذ . أما احتكام الفقهاء في أخذ مقدار معين من المال ، فإنه يحل لهم أخذه إن تم عقد الإجارة عليه ، لأنه يكون أجراً متفقاً عليه . وأما ما يفعله الفقهاء الذين وصفهم في خطابك من تفهيمهم أن من لا يقرأ له لا يدخل الجنة ، فهو تقرير بالناس لا يجوز ، ولا ينبغي لمسلم إقرارهم عليه ، كما لا ينبغي لأحد أن يصدقهم فيه ، لأن من مات من المسلمين أمره مفوض لربه .

وأما أخذ المال بالربا للقيام بالمآثم أو الأفراح أو أي عمل آخر ، فلا يجوز . كما أنه لا يحل لأحد صرف مال القاصر في مثل هذه السبل ، والله أعلم .

وورد الى إدارة المجلة من الشيخ عبد الغنى قريظم خطاب يتضمن عدة أسئلة  
تتلخص فيما يأتى :

١ - هل يجوز لمن يبغض زوجته بغضا لا مزيد عليه أن يعذبها فى بيته بدلا  
من أن يطلقها ؟

٢ - هل يقع طلاق السكران سكرًا جعله غير مدرك لما يقول ؟

٣ - هل يصح تمنى الرجل الموت لنفسه ؟

٤ - هل يموت مسلما من ينتحر بسكين أو بغيرها من أدوات القتل ؟

٥ - هل ورد صيام رجب وشعبان ورمضان وصيام الخميس والاثنين ؟

٦ - هل يصح تأخير أداء الصلوات عن وقتها لعامل يعمل بحل تجارة  
ولا يستطيع الأداء فى الوقت ؟

٧ - ما حكم المريض والأعمى إذا قتل أو سرق أو زنى ؟

٨ - من هو الملحد ؟

الجواب : ١ - مضارة الزوج لزوجته لا تجوز شرعا ، والواجب هو المعاشرة  
بالمعروف ، أو التفريق بإحسان ، فمن ضار زوجته وأساء اليها ، كان آثما .

٢ - طلاق السكران على الوصف الوارد بالسؤال ، يقع عند السادة الحنفية  
زجرا له عن المعصية ، ولا يقع على قول راجع للإمام أحمد ، وقول فى المذاهب الثلاثة .  
وقد صدر مرسوم ملكى باتباع المحاكم الشرعية رأى القائل بعدم الوقوع ، فالمحاكم  
لا تحكم بوقوع طلاق السكران الآن . راجع المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم ٢٥  
لسنة ١٩٢٩ ، وعدم الوقوع لا يخلّيه من إثم السكر والعقاب عليه .

٣ - لا يجوز الرجل تمنى الموت لفرض نزل به أو ضيق فى ديناه ، للحديث الشريف :

لا يتمنين أحدكم الموت لفرض أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت  
الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى . ولا يكون تمنى الموت خوفاً فتنه  
فى الدين . أى أن من خشى على دينه جاز له تمنى الموت .

٤ - الانتحار رذيلة من أكبر الرذائل ، ومحصية من أشد المعاصي عند الله بعد الشرك ، ومركب هذه المصيبة فاجر فاسق وجبان سخييف يستحق عند الله عقاباً أشد من عقاب مَنْ يقتل غيره عمداً . وإذا علمت أن الله قال في كتابه العزيز : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا جُزَاءُ هُوَ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ) وعلمت أن أئمتنا يرون أن قاتل نفسه أشد عقاباً عند الله من قاتل غيره عمداً ، علمت مقدار ما أعد الله لأمثال هؤلاء من العذاب الأليم ، حتى لقد ذهب بعض العلماء الى القول بكفره ، ولكن الحنفية يرون أنه وإن أتى بكبيرة من أكبر الكبائر لا يخرج عن دينه بذلك الفعل ، وإنما هو عاص باغ عاد على نفسه . ولذلك كان المفتى به في مذهب الحنفية أنه يُقْسَل ويصلى عليه كبقية الفساق من المسلمين . ومن أدل الأدلة على عِظَم جرم المنتحر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع من الصلاة على قاتل نفسه زجراً لغيره عن مثل هذا الفعل القبيح ، وناهيك بدلالة امتناعه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على من انتحر . وهذا كله إذا كان قد قتل نفسه عمداً ، أما إذا كان القتل خطأ ، فإنه يُقْسَل ويصلى عليه بلا خلاف بين الأئمة .

٥ - أجب عن هذا السؤال في الكلام عن الصوم في رجب وهو منشور بهذا العدد ، فليراجع .

٦ - أداء الصلوات في وقتها فرض لا يصح التواني فيه ، ولا الكسل في أدائه ، ويفسق من لا يؤدي الصلاة في وقتها كسلاً ولغير عذر . أما من لم يستطع لعذر ضرورى قهرى ، فعليه القضاء والإسراع به . ومتى كان معذورا عذرا صحيحا فبالقضاء يخرج عن العهدة . ولا قائل من الأئمة بعدم صحة الصلاة قضاء . وليس من الأعذار الاشتغال بالتجارة ، ولا عدم قبول الأجير لمن يعمل عنده ، ولا الاشتغال بالدرس ولا غيره مما يفهم الناس أنه عذر .

٧ - حكم المريض في هذه الأشياء حكم الصحيح ، وحكم الأعمى في القتل والزنا حكم الصحيح . فما قدر من العقاب لهذه الموبقات ، فهو مقدر عليه كالصحيح والبصير .

أما السرقة فيرى الحنفية أنه لا يحد حد السرقة ، لاشتباه ماله بمال غيره ، نظرا لفقد بصره ، ولكنه يعاقب عقابا شديدا حسبما يراه الحاكم . أما قوله تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الْاَنفِى حَرْجٌ ) فظاهر أنه في غير الحدود والعقوبات . وسيأتى تفسير هذه الآية في تفسير سورة النور بعدد المجلة المقبل .

٨ - سبق للمجلة إيضاح معنى الملحد واللاحد . فليراجع ما كتبته .

\*  
\*  
\*

وورد من حضرة الشيخ أحمد ابراهيم الضبيع أسئلة يتاخص أولها - على طوله في الاستعلام عن الصلاة وراء إمام متكبر ، يتشبث بالإمامة ، ولا يريد التنحي عنها : أصحبة هي أم باطلة ؟

الجواب : الجماعة سنة مؤكدة ، والأعلم بالسنة أحق بالإمامة من غيره عند الإمام الأعظم ، لحديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قل : يؤم القوم أعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقرؤم لكتاب الله تعالى ؛ واتموله عليه الصلاة والسلام : مروا أبا بكر فليصل بالناس . وكان فيهم من هو أقرأ للقرآن منه مثل أبي وغيره . ثم الأقرأ ، ثم الأورع ، لقوله عليه الصلاة والسلام : اجعلوا أئمتكم خياركم ، الحديث . ثم الأسن . وتكره الإمامة الفاسق ، لأنه لا يهتم لأمر دينه ، ولأن في تقديمه للإمامة تعظيمه . ولكن إن صلى الفاسق ، جاز ، لحديث : صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ . والأصل عدم اشتراط العدالة في الإمام . ومن صحت صلاته لنفسه صحت لغيره . وقد ثبت إجماع أهل العصر الأول من بقية الصحابة ومن معهم من التابعين إجماعا فعليا على الصلاة خلف الجائر . وقد أخرج البخارى عن ابن عمر أنه كان يصلى خلف الحجاج ابن يوسف ، وأمره مشهور .

من هذا يتبين أن الصلاة خلف إمام متكبر مثلاً ، أو متشدد في أن يكون إماما صلاة صحيحة ، وإن كانت الصلاة خلف غيره ممن لا يتصف بهذا الوصف أولى وأجدر .

وورد الى إدارة المجلة من الشيخ شمس الدين الحرأوى ما خلاصته السؤال عن ثبوت النسب، ووجوب النفقة لزوجة وأولاد من تزوجت بعقد، ثم ثبت بعد العقد والرزق بالأولاد أن الزوجة أخت الزوج رضاعا.

الجواب : نسب الأولاد ثابت من أيهم في هذه الحالة ، ونفقتهم واجبة عليه إن كانوا فقراء ، ويرث كل منهما الآخر بعد موته . أما الزوجة فليس لها نفقة عدة ، لظهور فساد العقد ، لأن المتزوجة زواجا فاسدا لا نفقة لها .



وورد من الشيخ أحمد برقي تمام ما خلاصته :

- ١ — هل الرجل تلزمه عدة ؟ وما هي المواضع التي يعتد فيها ؟ وما سبب ذلك ؟
- ٢ — ما سبب إسراع نعش الميت ، وتأخره ، وخفقه ، ونقله ، وطوافه حول بعض المزارات ، وتعذر دفن جثته في مقبرة معينة ، وسهولة دفنه في مقبرة أخرى ؟

الجواب : ١ — من المعلوم شرعا أن الله سبحانه وتعالى أباح للرجل أن يتزوج أربعاً من النساء ، وحظر عليه الزيادة على ذلك ، كما حظر عليه أن يجمع بين الأختين ، أو بين المرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها ، كما حظر على الرجل أن يعود الى زواج من طلقها ثلاثاً ، إلا إن تزوجت غيره وانقضت عدتها من الزوج الثاني ، بعد أن يكون الزوج الثاني تزوجها بعقد نكاح صحيح . وقد نص الفقهاء على أن المعتدة لها حكم الزوجة في هذه المواضع . وعليه فمن أراد بعد طلاق سيدة أن يتزوج أختها مثلاً ، لزمه الانتظار حتى تنقضى عدة زوجته ، حتى لا يكون جامعاً بين الأختين نكاحاً .

ومن طلق إحدى نساءه الأربع لا يصبح له أن يتزوج غير المطلقة ، إلا إذا انقضت عدة الرابعة المطلقة ، حتى لا يكون متزوجاً بأكثر من أربع . ومن أراد الرجوع الى زوجته بعد طلاقها ثلاثاً ، وجب عليه الانتظار حتى تنقضى عدتها منه ثم يتزوج غيره زواجا صحيحاً وتنقضى عدتها من الزوج الثاني . هذا هو المراد من قول الفقهاء : يعتد الرجل في بعض المواضع . وقد حصر الفقهاء هذه المواضع ، وبينوها في باب العدة .

٢ - لله الخلق والأمر، يصطفى من عباده من يشاء، ويكرم من يشاء. وقد ورد في الحديث الصحيح أن الله سبحانه وتعالى أكرم سعد بن معاذ الأنصارى بعد موته شهيدا من جرحه الذي أصيب به في غزوة الخندق، فقد روى أنه كان رجلا بادنا، فلما حمّله الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المسلمين: والله إن كان لبادنا، وما حملنا من جنازة أخف منه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن له حلة غيركم، والذي نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش» ويؤخذ من هذا أن بعض من يكرمهم الله ويصطفاهم يكون من إكرامه إليهم تخفيف ثقل جنازتهم على حاملها، وقد يكون من إكرامه الإبراع به إلى ما أعد له من النعيم. وغير خاف أن هذا - إن وقع - يكون إكراما من الله لبعض عباده المتقين. وهذا المقدار هو المعروف في الشرع، وما عداه فلا أعلم أن له أصلا في الدين.



وورد إلى إدارة المجلة ما خلاصته: هل لما يجري في المساجد من ختم الصلاة بالتسبيح والاستغفار أصل في الدين، وهل يجوز الجهر به؟  
 الجواب: ذكر الله واستغفار الله أصل أصيل في الدين، سواء في المساجد أو البيوت أو غيرهما، وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وكان يقول عقب كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وكان يقول غير ذلك من دعوات مبينة بإيضاح في كتب السنة. وندب أمته صلى الله عليه وسلم إلى أن يقولوا عقب كل صلاة: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك، وتعالى المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد. وقد روى: من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة مكتوبة كان



فى ذمة الله الى الصلاة الأخرى . وفى فتح القدير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير . وعنه : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعت . وقد روى مسلم عن أبى الزبير أن ابن الزبير كان يقول عقب الصلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الى آخر الحديث . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتل بهن .

من هذا الذى ذكرناه لك تبيين هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء بعد الصلاة ، وتعلم ما نذب اليه أمته ، وتبين أن الجهر بالاستغفار بعد الصلاة جائز غير ممنوع ، بشرط أن يكون فى خشوع وخضوع ، وأن يكون فى وقار وسكينة لا تشويش فيه على مصل ولا قارى . وهذا العمل سنة ليس فرضاً ، كما تدل عليه الآثار . والله أعلم .  
طه حبيب

## صفات على كرم الله وجهه

قال ضرار بن ضمرة : دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فقال لى : صفه . فقلت : أعفى . فقال : لا بد من ذلك . فقلت : أما إذ لا بد ، فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوانه ، ونحن والله مع تقريبه لنا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه هيبة له . يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . فأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغابت نجومه ، قابضاً على لحينه يتململ لملم السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا غرى غرى ، أبى تعرضت ، أم الى تشوقت ، هيهات هيهات ! قد أبنتك ثلاثاً لارجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك يسير ، وعيشك حقير . آه من قلة الزاد ، وبعد السقر ، ووحشة الطريق !

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ! فكيف حزنك يا ضرار عليه ؟ فقلت : حزن من ذبح ولدها فى حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها .

## هل أفلست المدنية الغربية ؟

ليس لنا أن نجيب على هذا السؤال لثلاثتهم بالتعامل على هذه المدنية ، ولكننا ندع الجواب عليه لفيلاسوف من صميم فلاسفتها ، هو الأستاذ ما كس نوردو الألماني ، فقد أعلن ذلك وفصله أكل تفصيل ، في كتابه المشهور ( الأكاذيب المتفق عليها في مدينتنا الراهنة ) فإليك مؤدى الباب الأول منه ، قال :

« الإنسانية دائبة وراء البحث عن العلم والسعادة ، ولكنها لم تكن في عهد من عهودها أبعد عن الارتياح إليها ، والغبطة بها ، مما هي عليه في هذا العصر .

« نعم : إن العلم والمدنية ينتشران في كل مكان ، ويرفعان أعلامهما في أكثر البقاع جهالة وجاهلية . وكل يوم يظهر اكتشاف عجيب يجعل الأرض أكثر ملاءمة للسكنى ، وشدائد الحياة أخف وطأة على النفس . ولكنها ترى الإنسانية رغما عن توافر شروط السعادة والهناء تزداد كدرا واضطراب بال ، ونرى العالم المتمدن قد استحال الى باحة مكتظة بالمرضى ، يملأون الجو بعويلهم المؤلم ، ويتلوون متأثرين بجميع صنوف الأوجاع . فطف الأرض بلداً بلداً ، واطرق كل باب ، ملقيا على أهل كل بيت هذا السؤال : هل يسكن الارتياح هذه الدار ؟ وهل أنتم مطمئنون وسعداء ؟ يجبك جميع من تسألهم بهذا الجواب : ابحت عما تطلب بعيدا عنا ، فليس لدينا ما تسأل عنه ؛ ثم تسمع الأصوات على حدود بلادك ، تحمل اليك الرياح صيحات المعارك ، والحروب ، والثورات » .

ثم أخذ الفيلسوف يفصل أحوال الأمم الأوروبية أمة أمة ، مثبتا أنها جميعا في قلق وغم واضطراب . ثم قال :

« هذا هو الوصف المميز لمصرنا الحاضر ، كما كان الوصف المميز لأسلافنا الأقدمين الغبطة بالحياة ، ولأهل القرون الوسطى التقوى والصلاح .

« فكل إنسان اليوم يشمر بضجر وعدم احتمال يعزوها الى ألف عارض من الأسباب، وكلها ليست على شيء من الصواب. وتراه محمولا على أن ينتقد جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، بل ويحكم عليها بالفساد. وقد اعتاد بعض الناس أن يعتبر هذا الضرب من عدم الاحتمال الذي تخيله المؤثرات الخارجية الى غضب وقنوط، من قبيل الأمراض العصبية، وقد يدعوه بعضهم الآخر تشاؤماً، ويسميه غيرهم إلحاداً، فتختلف الأسماء والمرض واحد لدى الكافة على السواء.

« هذا المرض الأدبي يصادف في جميع مظاهر العقل البشري اليوم، فتجده في الآداب والفنون، وفي الفلسفة والعلم، وفي السياسة والاقتصاد. وقد ظهرت بوادر هذا القلق الأدبي في الآداب في أخريات القرن الثامن عشر، فهي التي فتحت باب هذه الحالة النفسية، ونشرتها بين الناس. فبينما كانت الطبقة المتعلمة منغمسة في الملاذ معتبرة الحياة مجالا للشهوات، وكانت الطبقة الثرية في حياتها البهيمية مريحة الى سير الأحوال، هبّ الفيلسوف (جان جاك روسو) فصاح صيحاته المعهودة بوجوب الخلاص، فأعلن الحرب على هذه الأحوال رغما عما فيها من السحر لبعض الناس، وأشار في حماسة وبيان الى وجوب الرجوع الى الحالة الطبيعية في الحياة، فترددت أصدااء صيحاته في رموس جميع معاصريه بالإجماع، فكان المترفون والأثرياء على السواء يتحدثون عن جمال الحياة في الغابات على انفراد، فكان في هذا تناقض غريب بين ما كانوا عليه من استخدام جميع الوسائل والقشور المدنية للتبسط في شهواتهم، وبين ما يستحسنونه من مذهب التقشف والاعتزال.

« لقد وقفت طويلا حيال الأدب، لأنه المظهر الأكثر تنوعا، والأكثر اكتمال تصويرا لعقائيات الأمم في كل عهد من العهود. وليس معنى هذا أن جميع مظاهر الفكر الإنساني في هذا العصر لم تتأثر بأعراض هذا المرض العضال، فإننا نشهد دائما وفي كل مكان آثار القلق والمرارة وعدم الارتياح ظاهرة عند بعض الناس بمظهر الألم

أو الغضب، وعند البعض الآخر بادية بشكل رغبة حادة في تغيير كلِّ أسلوب الحياة. « أما في الفلسفة فقد ساد مذهب التشاؤم كما يسود شكل من الأزياء، فيبلغ مذهب شيخ المتشائمين (شوبنهاور) وتلميذه (هارتمان) أوج الرواج.

« وقد ظهر هذا المرض في مجال الاقتصاد الاجتماعي بمظهر آخر، ولكنه ليس بأقل تميزاً عن سواه. فن البعث أن نبعث عند المثرى عن عاطفة الارتياح والاطمئنان، وعند الفقير عن خصائص الصبر والاحتمال، فالأول معذب بما تجول به خواطره من الذعر من ضياع ما بيده، ويرى في مباشره وفي الحوادث تهديداً محققاً له، فتظهر ثروته لمعينه كأنها عارية ستسلب منه في يوم من الأيام. وأما الفقير فهو واقع تحت برائن الحسد، لا شغل له إلا في الحصول على ما بأيدي الناس.

« هذا الاضطراب العام، وهذا التمزق النفساني يؤثران أسوأ تأثير في حياة الأفراد، فترى الخوف يساورهم من كل مكان في ألف مظهر، وبأقدار مزعجة، متى اضطروا لتصور العالم في شكله الصحيح. لذلك ترام يندفعون لتضليل مشاعرهم وحواسهم، وإفساد أعصابهم، بتناول المخدرات، مظهرين بذلك ذعرهم من حقائق الأحوال. « إن الإنسانية المتمدنة لترتكب في جماتها ما يرتكبه الفرد حين يحاول نسيان مؤلماته بالخر، فهي تريد أن تهرب من الواقع إلى الأوهام، والخيالات الكاذبة.

« فهذا الإفساد للفطرة الإنسانية، وهذا الهرب الوقتي من وجه الواقع، نتيجتها الطبيعية الخروج منها بترك الحياة نهائياً، فإن عدد المنتحرين يزداد يوماً بعد يوم، على نسبة ما يستهلك من الخمر، ومن المواد المخدرة الأخرى في كل مكان، وخاصة في البلاد المتمدنة. وترى كل رجل في هذا العصر ينطوى على حالة من الحمى تكسب محاولاته للحياة مظهراً وحشياً جهنمياً، لم يكن يُعهد عليه الإنسان في الأزمنة الغابرة.

« يشكو الناس اليوم من ضياع الأخلاق، فهل يسمح الإلحاد بها وقد أزال الإيمان من القلوب، وأزال معه المبادئ الصالحة؟ فإذا خدت النجمة القطبية، وزال

القطب الكهربائي، أصبحت البوصلة عادمة الجدوى . والإلحاد نفسه — وقد أصبح مرضاً شائعاً — ليس في حقيقته إلا وجهاً من وجوه عدم الارتياح من كل ما هو موجود . فالقول بأن كل شيء باطل ، وبأن ليس في الوجود شيء جدير بالطلب ولا بالمحاولة ، ولا بأن يعترك فيه الواجب والهوى ، هذا القول لا يكون له سلطان على النفس ، إلا إذا كان صاحبها يحترق كل شيء ، ويعتبره ناقصاً ، وليس فيه مقنع لحجاء .

« لقد كانت الإنسانية في قديم الأزمان تشكو مما تشكو منه من القلق وعدم الارتياح . ولكن الذي منعها أن تنور ثورتها أنها كانت تستمد من إيمانها تعزية وسلاماً يجعلانها تحتل جميع المصائب وهي مطمئنة مستبشرة ، فإن الذي ينتظر سعادة أخروية ، يسهل عليه أن يصبر على شرٍ وقتي ، بل ويخفّ وقعه عليه .

« فن أيّ العوامل نشأت للإنسانية هذه الحالة النفسية التي لا تحتل ؟ إنها نشأت من السبب الذي كان يوحى إلى الرومانيين المتعلمين كراهة الاستمرار على حياة ليس لها معنى ، وكانت هذه الحياة تقنعهم بأنهم لا يستطيعون التخلص منها إلا بقتل أنفسهم .

« إننا اليوم ندرك الوجود على صورة مادة متمتعة بحركة ذاتية ، هي القوة الوحيدة التي ندركها على صور مختلفة . ونرى أن هذه الحركة مقودة بنواميس ثابتة ، حققنا بعضها وحددناه ، ولا يزال نتوقع تحقيق ما بقي منها ، وقد حملنا على أن نعتقد بأن هذه النواميس ثابتة لا تتغير ، وحملنا أيضاً على أن لا نبحت عن السبب الأول ، وعن أصل الكائنات .

« فإذا تنزّلنا من مجموع الكون إلى الإنسانية ، أدّانا عقلنا العلمي إلى اعتبار الإنسان جزءاً لا ينفصل عن الكائنات ، وإلى أنه محكوم بالنواميس نفسها التي تحكمها ، وقد حيل بيننا وبين أن نعتقد أن للإنسان مزايا خاصة ليست لغيره من حلقات السلسلة الحيوانية ، بل والنباتية أيضاً .

« هذه هي مدركاتنا عن الوجود، وقد استمتعتنا منها جميع أصول الحياة، وكل مبادئ الحقوق والآداب. وقد أصبحت قواعد المدينتنا بحيث يستحيل علينا أن نتخلص من سلطانها.

« فهذا التناقض بين أعمالنا الاجتماعية وبين عقائدنا العلمية، يحدث في نفوسنا أسوأ الآثار وأشأمها، فثقلنا منها كمثل المثل الهزلي يضحك الناس بما يعمل وهو منه في كمد ومرارة، انتهى ملخصا.

(نقول): لقد أجاد الفيلسوف ما كس نوردو في تصوير ما عليه العالم المتمدن من الهم والاضطراب، ولكنه أخطأ في تحديد الأسباب. وهي في رأينا ليست في عمل الأمم بنقيض ما تعلم، ولكنه فيما تعلم نفسه، فإن الأمم التي تدرك الوجود على صورة مادية بحتة، وتتخيل أنها محكومة بنواميس فولاذية، وتصد العقل عن البحث في السبب الأول وأصل الكائنات، وتتصور الإنسان جزءا ماديا من الكون لا يمتاز بأية مزية عن آحاد السلسلة الحيوانية بل والنباتية، كل هذا لا ينتج إلا ما يشكو منه من الغم والاضطراب، وضياع الأخلاق والآداب، لأن الإنسان في سمو ما غرز فيه من القوى الروحية، لا يطيق أن يعيش معيشة حيوانية، محروما من كل ما يتناسب هذه القوى من العقائد الحقة، والمثل العليا. فكان الأولى بما كس نوردو أن يبحث عن أسباب القلق الذي أجاد تصويره في هذه المعيشة الحيوانية نفسها التي دفعته فيها فلسفة مادية توفظ فيه الفراغ الوحشية، دون أن تنبه فيه ما يقابلها من القوى الروحية. وإذا كان هو يعلن أن المدنية المادية قد أفلس، فلا يستطيع أن يعلن أن العلم نفسه قد أفلس، فإنه في تماديهِ على النظر والاستقراء والاستدلال، قد كشف للناس في هذا العصر عن حقائق تعتبر في الدرجة العليا من الخطورة، فقد اكتشف وجود الروح الإنسانية واستقلالها عن الجسد، وأتى على ذلك بأدلة لا تقبل النقض.

وهذه خطوة حاسمة في سبيل التجديد الأدبي، الذي أصبحت أوروبا في أشد

الحاجة اليه ، وقد كتب في ذلك علماء لا يحصى لهم عدد . أما في مجال الاعتقاد بالله عز وجل ، فقد أقيمت في سبيل وجوده أدلة لا تقبل النقد ، وقد حُلت الإنسانية على أن تتذوق هذه الحقائق ، وتجعلها عنصرا من عناصر كيانها . ومتى تم لها هذا الانتقال من المادية الى الروحانية ، تعدلت جميع الإفراطات الإنسانية وتفريطاتها ، واطمأنت النفوس على وجودها ، واستقامت الفطر على صراطها ، وحصلت المدنية على مقوماتها ، من حاجات الروح والجسد ، فدفعت الإنسانية دفعا منتظما الى كمالها الصحيح ، وغاياتها البعيدة هذا هو العلاج الصحيح لهذه الحالة النفسية التي يضعها ما كس نوردو . وقد تداركها الله بما فتح على العلماء من طريق البحث من إثبات الخالق والروح ، وسوف نرى أثر هذه الفتوح العلمية على المدنية في عهد غير بعيد ، والله غالب على أمره .

محمد فريد ومجدي

## آداب الكلام

قال حكيم : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .

وقال بعض الشعراء :

رأيت العز في أدب وعقل وفي الجهل المذلة والهوان  
وما حسن الرجال لهم بحسن إذا لم يسعد الحسن البيان  
كنى بالمرء عيبا أن تراه له وجه وليس له بيان

وقال بعض الحكماء : إذا جالست الجبال فأنتصت لهم ، وإذا جالست العلماء فأنتصت لهم ، فإن في إنصاتك للجبال زيادة في الحلم ، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فإن كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له .

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه .

## البخارى

أحب قبل أن أحدثك عن الإمام البخارى أن أوجه نظرك الى أن عدم تدوين الحديث الشريف في العصور الأولى كان سببا في استباحة قوم لم يجاوزوا الايمان حفاجرهم، ولما يدخل في قلوبهم، وضع بعض الأحاديث، ونسبها لنبيها الى رسول الله، مع أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من كذب على متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار» ولست الآن بصدد أن أبين لك ما أحدثه الوضعون، وأسباب وضعهم الحديث، ولكننى أقول لك: إن أئمة الدين في العصر الثانى للهجرة تذهبوا لهذا، وعملوا على تلافيه، فصنّف إمام دار الهجرة الإمام مالك الموطأ، وألف الإمام أحمد مسنده، وكتب غيرهما من الأئمة الأعلام كتباً. ومن أجل من كتب في القرن الثالث: الإمام محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله، فقد صنّف كتابه الجامع الصحيح، ثم صنّف قبله كتاب قضايا الصحابة والتابعين، وكتاب التاريخ. وقد أحببت أن يحيط القراء علما بشئ من سيرته وضى الله عنه:

فهو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخارى حافظ الإسلام، وإمام أئمة الأعلام. ولد رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفى ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما، ولم يعقب ولدا ذكرا.

نشأ رحمه الله في بيئة أهل الحديث، لأن والده إسماعيل بن إبراهيم كان من رجال الحديث.

روى عن حماد بن زيد، ومالك بن أنس، وصحب ابن المبارك، فشب محمد بن إسماعيل البخارى على حب الحديث، فقد نقل عنه أنه قال: ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكتاب - وكان عمره إذ ذاك عشر سنين أو أقل - فخرجت من الكتاب



فجعلت أختلف الى الداخل وغيره ، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم . فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فأنه رنى ، فقلت له : ارجع الى الأصل إن كان عندك ، فدخل فنظر فيه ، ثم رجع فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير ، وهو ابن عدى عن ابراهيم . فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لى : صدقت .

ولما بلغ سنه ست عشرة سنة ، حفظ كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرف كلام أصحاب الراى ، ثم خرج مع أمه وأخيه الى الحج . ولما بلغ سنه ثمانى عشرة سنة ، صنف كتاب قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنف بعد ذلك التاريخ فى المدينة . وقد رحل البخارى فى طلب العلم الى جميع محدثى الأمصار ، وكتب بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر ، وأخذ الحديث عن جماعة من كبار الحفاظ ، منهم مكى بن ابراهيم البلخى ، وعبد الله ابن عثمان المروزى ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، واسماعيل بن أبى أوس المدنى ، وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام .

وكان سبب تأليفه للجامع الصحيح ما تقدم من كثرة الوضع . وقد اطلع رحمه الله على ما صنف فى الحديث من المسانيد وغيرها ، فوجد فيها ما يدخل تحت التصحيح والتجسين ، والكثير منها يشمله التضعيف ، فترك ذلك جميعه همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين ، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه : اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه ، فقد حدث البخارى رحمه الله قال : كنا عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فوق ذلك فى قلبى ، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح . وحدث رحمه الله قل : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكأننى واقف بين يديه ، وبين يديّ مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب عنه الكذب . فهذا الذى حملنى على إخراج الجامع الصحيح .

وقد التزم البخارى فى مؤلفه أنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا ، فقد شرط أن يخرج

الحديث المتفق على ثقته نقلته الى الصحابي المشهور، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع . وإن كان للصحابي راويان فصاعداً ، فحين ، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق ، كفي . وشرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً ، وأن يكون راويه مسلماً ، صادقاً ، غير مدلس ، ولا مختلط ، متصفاً بصفات العدالة ، ضابطاً متحفظاً ، سليم الذهن ، قليل الهم ، سليم الاعتقاد . واشترط أن يكون الراوي قد ثبت له لقاء من روى عنه ولو مرة . ولقد جهد البخاري في التحري عن أخذه عنه ، وقد عرض كتابه على الإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وغيرهم ، فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة ، إلا في أربعة أحاديث . قال العقيلي : والقول فيها قول البخاري ، وهي صحيحة . ولقد شهد المنصفون في عهد البخاري بأنه كان أحفظ أهل زمانه للحديث ، وأعرفهم بأسانيده ورجاله ، حتى قال بعضهم : محمد بن إسماعيل إمام ، فمن لم يجعله إماماً فاتهمه . وقال بعضهم : ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري . وقال إسحاق بن راهويه — وهو أمير المؤمنين في الحديث : يامعشر أصحاب الحديث : انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه ، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لاحتاج اليه الناس ، لمعرفة الحديث وفقهه .

وقال محمد بن أبي حاتم : سمعت محمد بن إسماعيل يقول . قال لي محمد بن سلام : انظر في كتيبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه ، ففعلت ذلك . وكان محمد ابن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل البخاري : رضى الفتى . وفي الأحاديث الضعيفة : لم يرض الفتى . فقال له بعض أصحابه : من هذا الفتى ؟ فقال : هو الذي ليس مثله ، محمد بن إسماعيل .

وقد جاء في كتاب الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ما خلاصته أنه روى عن أبي صالح خلف بن محمد أنه قال : سمعت محمد بن يوسف بن عاصم يقول : رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد ، وكان اجتمع في مجلسه

زيادة على عشرين ألف رجل . وروى عن أحمد بن الحسن الرازى قال : سمعت أبا أحمد ابن عدى يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن اسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوا الى عشرة أنفس : الى كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ، ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله ، انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى : لا أعرفه . فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه . فإزال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخارى يقول : لا أعرفه . فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم . ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالمعجز والتقصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل آخر من العشرة ، وهكذا حتى فرغ العشرة ، والبخارى لا يزيد على : لا أعرفه . فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا ، التفت الى الأول منهم فقال : أمّا حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على الولا ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن الى إسنادده ، وكل إسناد الى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، وأسانيدها إلى متونها . فأقرله الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن العلم وأهله أحسن الجزاء .  
 عضو المحكمة العليا الشرعية  
 سابقا

## نصيحة من معدن النبوة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : خذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فانك لا تدري ما اسمك غدا .

## الدين والعلم

يتوهم بعض الناس أن العلم قد يعادى الدين ويباينه، لأن بعض النظريات العلمية المروفة لا تتفق هي وبعض القواعد الدينية ظاهراً. غير أن التأمل الذى يحقق ويبحث يعلم أن كثيراً من نظريات العلم يطرأ عليها التغيير، وأن كثيراً من الآراء العلمية التى كان يرى أصحابها أنها هى الثابتة، والتى أفضى إليها البحث، قد أظهرت الاكتشافات الحديثة خطأها وعدم صحتها.

من يتحقق هذا ويملمه — وهو ما تدل كل الدلائل عليه — يجزم بأن ما يرى من الآراء العلمية فى ظاهره مخالفاً للدين، لا يباينه فى الواقع ونفس الأمر، وأن الصحيح فى الأمر هو ما ذهب إليه الدين، وأن رأى العلمى هو الذى لم ينضج ولم يستوف الباحثون بحثه. وإنا نأفلون لك كثيراً من الشواهد على ذلك، ولكنى أحب أن أعلمك قبل كل شيء أننا لسنا ممن يعادى الجديد أو ينكر فضل تقدم العلوم الطبيعية والمكتشفات الحديثة فى هذا العصر الى حد لم يكن يحلم به أهل المصور الأولى.

ومن ذا يستطيع أن ينكر ما بهرنا به العلم من فوائد يرتقى بها العمران، وعوائد قد عادت بالخير العميم على نوع الانسان؟ ولكن هناك ظاهرة من الظواهر لا تكاد تفارق بعض الباحثين، وهى فى الحقيقة ظاهرة من ظواهر الضعف الخلقى. تلك الظاهرة التى لا يكاد بعض الناس يخلص منها أو ينفك عنها، هى تلك الكبرياء المعقونة التى تخيل له أنه قد قتل الأشياء بحثاً وأحاط بها خبراً، فتراه (وما أوتى من العلم إلا قليلاً) يتكلم فى كل شيء، ويحكم على كل شيء، حتى إنه كثيراً ما يعتقد أن الخارج عما وصل اليه من النواميس وحدده من القوانين لا نصيب له من الصحة، ما دام مجاوزاً دائرة فهمه وحدود علمه، حتى إذا جاء من بعده ضحك من غروره، وهزاً بما كان يتبجح به من معلوماته، مبيناً ما كان له من زلات، وما تورط فيه من جهالات.

وقد ترى ذلك الهازي الساهر قد وقع فيما اعترض به على السابقين ، وكان فوزه فيما استدركه عليهم من أكبر الأسباب لأن يطفى عقله قنزل قدمه . ولو وقفوا عند ما وصلوا اليه من المعلومات الحقة التي شهد لها الحس وأقرها الامتحان وقام عليها البرهان ، ولم يتعرضوا لما سوى ذلك ، لكانوا في أمن من الزلل ، وعصمة من الخطل . ولكن طغيان نفوسهم أبى عليهم أن يعرفوا قدرهم ، أو ينسبوا أنفسهم لجهل أو قصور . الخلاصة أن من تأمل فيما يتجدد كل يوم من العلم الحديث ، ويظهر من آن لآخر من أسرار الكون ، لا يشك في أن العلم البشري لا يزال طفلا ، وأن الناس ما أوتوا من العلم إلا قليلا . وهذا هو مقتضى الضعف البشري ، وهو لازم من لوازم وجوده بموجب خلقته وتكوينه . وبهذا يتبين أن قول المتبحرين من قصار النظر : إنهم عرفوا ما يمكن وما لا يمكن ظنا منهم أنهم أحاطوا بنواميس الكون ، غرور يبرأ منه التحقيق العلمي ويستهيء به النظر الواسع المدقق . ولنا على ذلك الشواهد الكثيرة والأمثلة العديدة :

(١) لو قال قائل : إن الهواء أو الماء مؤلف من عدة عناصر لسخر منه أساطين علماء الطبيعة الأولون ، وعده أكبر علماء الفلسفة السابقون قائلًا بالجهل مابذا للعلم لا يدري ما يقول ، فإنهم كانوا مجمعين على أن كلا منهما عنصر بسيط ، وقد قامت البراهين من عهد غير بعيد على أن قولهم هو الجهل ، وأن ما سموه علما ولم يكن محلا للشك ليس بعلم ، وجدير أن يقذف به في عالم الخرافات ، وإن شهد أهل زمانهم بأنهم الاختصاصيون في ذلك .

(٢) لو واجه أولئك العلماء باحث بأن بعض الجواهر كالذهب عنصر بسيط تلقى منهم أشد الإنكار ، والعامية تكون في جانب المنكرين لا محالة ، لما يرون فيهم من الزعامة لهذا الشأن . وقد أصبح اليوم إنكار هذا الأمر هو الجدير بأن يُنكر ، إلى غير ذلك من الأمور العديدة التي تجدد بها العلم .

(٣) هذا الجسم الانساني كم فيه من جزء كانوا يظنون أنه لا منفعة فيه ، ثم تبين

بعد ذلك أن فيه عدة منافع . وناهيك ما يقولون الآن في الغدد ، وما اكتشفوه فيها من الأسرار والخصائص . ولا يزال العلم بأسرار ما أودع الله في مخلوقاته في دوره الأول . ولذلك يقول القرآن الكريم : ( سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحَقٌ ) ولا يزال قوله تعالى : ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) صادقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى تقوم الساعة . ولا ينبغي أن ينخدع منخدع بكثرة ما ظهر من الآلات الدقيقة كالمجهر ( المنظار للمعظم ) فإن المنصفين من أهل العلم لا يزالون يقولون في بعض الحيوانات التي تسبب بعض الأمراض : إنها تحت المجهر ، يريدون أن المجهر لا يزال قاصرا عن كشفها ، وإنما عرفوها بآثارها . ولا يزال كثير من الأمراض مجهول الميكروبات إلى اليوم ، رغم تقدم الأبحاث العلمية والتفني في صناعة الآلات الكاشفة . وكمن شيء في العقاقير الطبية يعرف تأثيره في بعض الأدوية ولا يدري لماذا يكون هذا التأثير ، ولذلك نرى الطب كل يوم في تطور ، حتى لقد قال لي بعض حذاق الأطباء الذين مارسوا صناعة الطب زمانا طويلا : إننا اليوم نسخر من أشياء تلقيناها في المدرسة ، وكانت إذ ذاك هي العلم الذي لا يعمل على غيره . وما يدرهم أن ما هم عليه الآن سَنُظْهِرُ فِيهِ الاكتشافات المقبلة من الخطأ ما ظهر لهم في خطأ من قبلهم ؟ وقد قرر ذلك غاية التقرير أحد علماء أوروبا في مجمع ترقى العلوم البريطانية بمدرسة أكبرج الجامعة أثناء أغسطس سنة ١٩٠٤ . ولا بدع فيحرج عجائب أسرار القدرة الربانية مشحون بالدرر ، ولا يدرك غوره أحد ، ولا ينتهي منتهى إلى كل ما فيه ( وأنى للمتناهي أن يبلغ ما لا يتناهى ) ؟

وإن من الحقائق الفلسفية المقررة الثابتة التي تكاد تاحق بالبدهييات أن هناك فرقا بين عدم العلم بالشيء وبين عدم الشيء في نفسه ، وأن الأول لا يستلزم الثاني ، وأن عدم الدليل على الشيء ليس دليلا على عدمه .

يوسف الرجوى  
من هيئة كبار العلماء

## معجزات القرآن العلمية

القرآن يضع أصول علم الاجتماع قبل العلم بأكثر من ألف سنة

كان الفلاسفة الأقدمون لا يبحثون في حياة الجماعات البشرية إلا من نواحي التربية والتعليم ، وأخذها بأحكام القوانين . ولما تأسست المدرسة اليونانية ، وأنجبت كبار العقول ، أمثال فيثاغورس ، وسقراط ، وسولون ، وأفلاطون ، وأرسطو وغيرهم ، جروا على طريقة أسلافهم في علاج الجماعات ، فاقصروا على ما اقتصر عليه الأولون من المباحث الخاصة بالاجتماع ، وكان همهم مصروفا الى وضع برامج لتعليم الشعب وإرشاده ، ووضع النظم الحكيمة لرفع مستواه البدني والعقلي ، وتقسيم طبقاته وطوائفه ، ولم يكونوا يتخيلون أن للاجتماع طبيعة خاصة تتسلط عليها نوااميس طبيعية ، وأن تلك النوااميس تتبع في ترقبها وتذبذبها وتحولها ما يدخل فيه الشعب نفسه من انقلابات ، وما يطرأ عليه من حالات ، وما يجري عليه من تقاليد وعادات ، وما يمتوره من هزائم وانتصارات ، بل وما يصادفه في حياته الشخصية من ثروات وأزمات الخ . فكانت الشعوب في نظرهم كأوراق اللعب يرتبها المشرع على النحو الذي شاء ، ويتخيل اليه أنه لو وكل اليه أمرها لأوصلها الى ما يريد لها من نمو وارتقاء .

هذا كان مذهب الفلاسفة اليونانيين ، فلما ورثهم الرومانيون لم يكونوا أبعد منهم نظرا في هذا الشأن ، فنهضت الأمم وانحطت ، ونشطت وجدت ، وتأنفت وتحللت ، مقودة بتلك النوااميس المقررة ، دون أن يتخيل وجودها أثقب الناس نظرا في أحوال الخلق .

فلما جاء الاسلام وشرع أهله في إحياء موات العلم ، ونقل كتبه القيمة الى لغتهم ، نظروا في كل شيء ، مستهدين بالأصول الأولية للقرآن الكريم ، كقوله تعالى :

(إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَالِقُنَاهُ بِقَدَرٍ) وقوله: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) فأدركوا على وجه عام أن لكل شيء في هذا الوجود نظاما يجري عليه، كما فعل بعض مؤرخيهم، وخاصة ابن خلدون. ولكن المعارف التي كانت قد جمعت عن الأمم لم تكن تكني لتكوين علم خاص بها. وتلت هذا الدور نهضة أوروبا، فأدّخر الله هذا السبق للفيلسوف الفرنسي الكبير (أوجست كومت) سنة ١٧٩٨ - ١٨٥٣ واضع أصول الفلسفة الوضعية، فإنه أول من جعل للاجتماع علما، ووضع في رأس جميع العلوم البشرية، لشرف موضوعه من ناحية، ولأنه لا يتدنى إلا لمن يأخذ من كل علم بطرف، لتشعب بحوثه، واستنادها على جملة المعارف البشرية.

فعلم الاجتماع البشري أحدث العلوم وضعا، ولكنه أشرفها موضوعا، إذ يعرفنا على أيّ الأصول تقوم الجماعات، وبأيّها تحفظ وجودها وترتقي، وما هي عوامل التأليف التي تقوّي وجودها، وعوامل التحليل التي تفصم عرى ألفتها، وهذه كلها معارف عالية، ضرورية للمجتمع ضرورة علمية، قوانين الصحة والطب لا حاده.

إن علماء الاجتماع في تحسّسهم من نوااميسه الطبيعية اضطروا أن يتساءلوا أولا عن حقيقة الجماعة، فقالوا: لا يمكن أن تكون الجماعة مجرد آحاد ساقهم الضرورة للاجتماع بإرادتهم، ويستطيعوا بتلك الإرادة نفسها أن يجتمعوا أو لا يجتمعوا، لأن المشاهد غير ذلك، فإن الجماعة متى تألفت فقد أفرادها الاختيار الشخصي في أمر وجودها، وأصبحت هي القائدة لهم، لأم الفائدون لها. وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا اكتسبت شخصية خاصة تفنى فيها شخصيات جميع الآحاد المؤلفين لها. من هنا اعتبر العلماء الجماعات أشخاصا ذوي شخصيات مستقلة، وأمكنهم تشبيهها بالأحياء من كل وجه. ولما كان الأحياء يبدأ وجودهم بدور طفولة، يليه دور مرهقة، فشبّية، فرجولة فكهولة، فهرم، فموت، ولكل من هذه الأدوار نوااميس تحكمها، وبواعث تحركها، وعلل تعثرها، ومؤثرات خارجية تؤثر فيها تأثيرا مقويا أو مضعفا الخ، رأوا أن يطبقوا



كل ما يصحب هذه الأدوار والمؤثرات من النواميس على الجماعات ، فتأدوا من ذلك الى تأليف بيولوجيا<sup>(١)</sup> اجتماعية تشبه البيولوجيا الفردية من كل وجه .

هذه مباحث في أقصى مراتب السمو ، وهي مع سموها لا تخلو من طرافة تأخذ بالآل باب ، فإن البحث في تركيب هذا الكائن الاجتماعى الضخم الذى يعتبر الفرد فيه خلية من خلاياه ، والتنقيب عن القوى المسككة له ، والبواعث التى تحركه ، والمؤثرات التى تعمل فيه ، يعتبر من أجمل الفتوحات العلمية التى هدى الله اليها الخلق فى دور الأوج الذى بلغوه من نهضتهم الحديثة ، وهو فى الوقت نفسه يدع لنا باب الأمل مفتوحا لا مكان علاجه من أمراضه ، أو توجيهه الى وجهة صالحة له ولا حاده . وهذا دليل جديد على سمو الفطرة الإنسانية ، وجلالة المواهب العقلية ، التى منحها هذا الكائن الضعيف .

نعم : إن الإنسان لا يستطيع أن يؤثر فى المجتمع لمجرد رأى يبدوله فى إصلاحه ، ولكن ذلك لا يكون إلا إذا فهم الكافة سداد هذا الرأى وعملوا به . عند ذلك يحدث فى المجتمع ميل جديد للتحويل عن الوجهة التى يراد تحويله منها ، الى الوجهة التى يريده على أن يكون عايمها ، وهذا كله مصداق لقوله تعالى : ( إِنْ أَلَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) فمعنى الآية : أن الأمة التى تريد أن يحول الله عنها حالا لا ترصاه لمجتمعها ، يجب عليها أن تغير من نفسها أولا ، فإن فعلت حول الله عنها ما تكره ، ووجه اليها من نعمه ماتجب وهذا وحده معجزة علمية للقرآن كان يجب أن يعقد لها فصل خاص ، وأن يشاد بذكرها أعظم إشادة .

كشفت هذا السر العظيم يجعلنا ندرك سر تنبيه القرآن على وجوب الدعوة الى المعروف والنهى عن المنكر ، فقال تعالى : ( وَتَسْكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) . وقال :

(١) البيولوجيا : علم الحياة .

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وقد ذم الله في كتابه الأمم التي تهمل هذا الأصل الكريم، فقال حاكيا حال أمة من الغابرين: (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).

وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إذا خالفت هذا الأصل، فقال: «لنأمرن بالمعروف ولننهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم فتنا كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانا».

لقد استطرنا إلى ذكر هذه الأمور، فلنعمد إلى موضوعنا الأصلي، وهو إثبات معجزة علمية للكتاب الكريم من ناحية النواميس الاجتماعية، فقول:

القرآن أثبت أن للاجتماع نواميس ثابتة قبل أن يتخيلها أعلم علماء الأرض تخيلا. وقد رأيت أن تعين تلك النواميس والتحصن مما خفي منها هو الشغل الشاغل اليوم لفلاسفة الاجتماع، فقال الله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) وقال تعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) وقال: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا).

ولم يكتب الكتاب بهذا وحده، ولكنه قرر أيضا أن الجماعات كالأحاد: لها آجال لا تستطيع أن تتعدها، وهو ما هدى إليه علم الاجتماع بعد أن وجد أن وجوه الشبه بين الفرد والمجتمع واحدة، فقال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) وقد تكرر مثله في سور كثيرة من الكتاب الكريم.

الذي يتأمل في سبق القرآن الكريم العالم كله أكثر من عشرة قرون في وضع أصول العلم الاجتماعي، ويكون من غير أهل هذا الدين، يدهش كل الدهش، ولا يكاد

يصدق عينيه . وسندأب نحن من جهتنا على تجاية الأصول العلمية ، مستخرجين إياها من الكتاب الكريم ، ليتحقق العالم أنه على ما يقوله موحيه سبحانه وتعالى : ( مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) . وبذلك يتضح سر نهضة المسلمين التي حصّات لهم زعامة العلم والحكمة في العالم في سنين معدودة ، فإنهم لو كانوا بدأوا حياتهم العلمية على النحو الذي تبدؤها بها كل أمة ، ما استطاعوا أن يبرزوا الأمم التي تقدمتهم في هذا السبيل بقرون كثيرة ، ولكذبهم لبدنهم إياها مستنيرين بهذه الأصول القرآنية العالية ، بلغوا منها أوجاً في مدى قصير لم تبلغه أمة في آماط طويلة . وعلى المسلمين اليوم أن يدركوا هذا الأمر الجلل ، وأن يجعلوا كتابهم نبراساً لهم في اقتباسهم العلم عن الأمم الغربية ، ليلغوا منه ما بلغه أسلافهم في عهدهم الأول ، ويزيدوا عليه ما هدى إليه البشر في المصور الأخيرة

محمد فريد وجدي

## فضل الزراعة

روى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 التمسوا الرزق في خبايا الأرض . يعني الزرع .  
 وحكى عن أمير المؤمنين المعتض بالله أنه قال : رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام يناولني المسحة ( أى مجرفة ) وقال : خذها فانها مفاتيح خزائن الأرض .  
 وقد أثبت علم الاقتصاد السياسي صدق هذا القول ، فقرر أن الثروة الحقيقية هي المحاصيل الأرضية ، وكل ما يستغله الناس من الصناعة والتجارة فهو تبع لها ، ولا تغنى واحدة منها عن الانسان شيئاً . وقد عرفت الأمم الراقية للزراعة هذه المنزلة ، فجعلتها من محالاتها في المكان الأول . فالفلاح أحق الناس بشكرنا وإعجابنا ، وأولاهم بعنايتنا ورعايتنا .  
 وقد كافأ الله تعالى الفلاح ، بأن جعله يشهد أجمل مظهر من مظاهر الابداع الالهي ، من نشوء الحياة من الأرض الجامدة ، ثم تدرجها في أطوارها حتى تبلغ السكال تحت بصره .

## الحكمة وأثرها في النفوس

أريد بالحكمة الكلام الذي يتمتع من الجهل والسفه ، كالمواعظ والأمثال النافعة ، وهي وليدة الذكاء والتجارب ، فاذا أقبل الذكي على ناحية من نواحي الحياة المدنية كالإقتصاد وغيره من شئون الاجتماع ، أو الخلقية كالكرم والشجاعة ، ودرسها بذهن حاضر ، كانت أقواله فيها أقرب إلى الصواب ، وآراؤه فيها أرسخ في الحكمة ، ولا سيما ذكيا يقرن النظر بالتجارب العملية ، فقلما يقول الجبان كلمة تحمل على الإقدام في مواقع الخطوب ، وقلما يقول البخيل كلمة تحث على الإنفاق في وجوه الخير .

ولا غرابة أن تصدر الحكمة ممن لقي العلماء ، وضرب في العلوم بسهم . وموضع الغرابة أن نخرج الحكمة من أفواه أناس لم ينشأوا في علم ، ولم يعرفوا بمجودة رأى . والحكمة في نفسها فضيلة ، والتمسك بها غنية ، وصدورها من غير ذى علم أو رأى ، لا يبغض قيمتها ، ولا ينقص شيئاً من فضائها ، فلا ينبغي للرجل يسمع الحكمة من رجل غير معروف بعلم أو سداد رأى ، فيستخف بها ، ويذهب في اقتنائها ، قال صلى الله عليه وسلم : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخير من جدها ، فهو أحق بها » فالحديث الشريف ينبه على أن الحكمة قد توجد في غير مظانها ، وتستفاد من غير أهلها ، كما يقولون : « رمية من غير رام » .

قل ابن الأثير في كتاب المثل السائر : « ومنذ سمعت هذا الخبر النبوي جمعت كدى في تتبع أقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم ، فإنه قد تصدر الأقوال البليغة والحكم والأمثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله » وأورد من كلام بعض العامة شواهد على أن الحكمة قد تستفاد من غير أهلها ، ثم قال : « يجب على التصدي للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم ، فإنه لا يعدم مما يسمعه منهم حكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه . ويحكى عن أبي تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التي يقول فيها :

« على مثلها من أربع وملاعب »

انتهى منها الى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل      كسته يد المأمول حلة خائب  
ثم قال : « وأحسن من نور يفتحه الصبا » .

ووقف عند صدر هذا البيت يردده ، وإذا سائل يسأل على الباب وهو يقول :  
« من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا » فقال أبو تمام : « بياض العطايا في سواد المطالب »  
فأتم صدر البيت الذي كان يردده من كلام السائل .

قد يقصد الرجل لإلقاء الحكمة في لفظ يستقل بها ، وقد نجى تبعاً للحديث  
عن أشخاص أو أشياء معينة ، كما فعل ذلك الشاعر الذي قصد في نظمه الاعتذار عن  
قوم التزموا اللثام في سائر أحوالهم ، حتى قال :

لما حووا إحراز كل فضيلة      غلب الحياء عليهم فتلثموا  
والحكمة التي انسافت تبعاً لهذا الاعتذار ، هي أن كثرة الفضائل تستدعي  
غلبة الحياء .

ومن الشعراء من يقصد للهزل ، ويرى الى غرض المزح ، فتجود قريحته في أثناء  
ذلك بالحكمة ، نظم على بن عبد الواحد الملقب ( صريع الدلاء ) مقصورة في الهزل  
يعارض بها مقصورة ابن دريد ، وما زال يخوض بها في هزل الى أن جاء فيها بيت يقال  
إنه قد حسد عليه ، وهو :

من فاته العلم وأخطاه الغنى      فذاك والكلب على حدسوا  
وقد يتوهم متوهم أن الشعر يغلب فيه التخيل ، فلا يكون موطناً للحكمة ، فأزاح  
عليه الصلاة والسلام مثل هذا الوهم بقوله : « إن من الشعر حكمة (١) » .

يختلف الناس في النطق بالحكمة اختلافهم في ألوان نشاطهم، وأساليب تربيتهم،  
ويختلفون في الإصغاء إلى الحكمة، أو الإعجاب بها اختلافهم في الارتياح للغرض  
المسوقة إليه، فالكريم مثلاً - يطرب لسماع الحكم الواردة في الكرم أكثر مما  
يطرب له البخيل، والشجاع يرتاح لسماع الحكم الواردة في الشجاعة أكثر مما يرتاح له  
الحيان، اتل في حضرة جواد وبخيل قول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله  
لا شك أنك ترى أثر الطرب في وجه الجواد أكثر مما تراه في وجه البخيل.  
واتل على مسامع شجاع وحيان قول الشاعر:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال: وبحك لن تراعى  
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعى  
ثم انظر كيف وقع البيتان من أنفسهما، فإنك ترى وجه الشجاع في ابتهاج،  
ولا تكاد ترى في وجه الحيان طلاقة، إلا أن يتكلفها تكلفاً.

وانظر في كتب التراجم تجد المؤرخين ينبهونك في كثير من الأحيان للحكمة  
التي أخذت من نفس صاحب الترجمة مأخذ القبول والإعجاب، ينبهونك لهذا حين  
يقولون لك: «وكان كثيراً ما ينشد كذا» كما قالوا في سيرة الإمام مالك بن أنس رضي  
الله عنه إنه كان كثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع  
وقالوا: كان عضد الدولة كثيراً ما ينشد قول أبي تمام:

من كان مرعى عزمه وهوميه روض الأمانى لم يزل مهزولاً  
وقالوا: كان الحسن بن علي الملقب «نفر الكتاب» كثيراً ما ينشد:

يندم المرء على ما فاته من ليلات إذا لم يقضها  
وتراه فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها

إنها عندي وأحلام الكرى      لقريب بعضها من بعضها  
وقالوا : كان الخليل بن أحمد كثيراً ما ينشد قول الشاعر :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد      ذخراً يكون كصالح الأعمال  
ولا أريد من هذا أن الحكمة لا تلقى إلا لمن شأنه الارتياح لسماعها ، بل عليك  
أن تقرع بها أسماع المنحرفين عن الحق أو الفضيلة أو العمل الصالح ، لعلهم يألّفونها ،  
ويعود انقباضهم منها ارتياحاً .

وكثيراً ما ينهض الرجل للعمل الصالح يكون في غفلة عنه ، وما ينبهه له إلا بيت  
يحتوى حكمة . قال عبد الملك بن جريج : كنت مع معن بن زائدة باليمن ، فحضر وقت  
الحج ، ولم تحضر في نية ، فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعة :

بالله قولي له في غير معتبة      ما ذا أردت بطول المكث في اليمن  
إن كنت حاولت دنيا أو نعت بها      فما أخذت بترك الحج من ثمن  
قال : فدخات على معن ، فأخبرته أنني قد عزمتم على الحج ، فجهزني وانصرفت  
محمد الحضر مسج

### فضيلة السخاء

قال الله تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للإسرى ، وأما من بخل  
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .

أي أن من بذل من ماله ، واتقى الله في وضعه مواضعه ، وصدق بالكاملة الحسنى ، وهي  
كما قال ابن عباس رضي الله عنه : ما وعد الله من إخلافه ومضاغفته ، فسيهيئه الله للطريقة الأكثر  
يسراً . وأما من شح بماله ، وتخيل الغنى به ، وكذب بالكاملة الحسنى ، أي بما وعد الله من  
إخلافه من فضله فسيهيئه الله للطريقة الأكثر عسراً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم غربت فيه شمسهُ إلا وملكاً نادياً :  
اللهم اعط منفقا خلفاً ، وعمسكا تلفاً .

ومن كان يعلم أن لا قوام للأمم إلا بالمال ، عرف مكان هذه الآية من أصول علم الاجتماع ،  
وأدرك سرا من أسرار الدين في بناء الجماعات القوية .

## نظرة علمية في الكائنات الحية

الماديون ينكرون عنصر الحياة ، والعلم يثبتها

أسرف الماديون في تحميل المادة الميتة العمياء ما لا تطيقه ، حتى خرج بهم ذلك الى الهذيان المحض ، فذهب بهم الحق الى الزعم بأن الحياة صفة كامنة في المادة يظهرها فيها أن تتركب تركيبا خاصا على صورة خلية ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فزعموا أن القوة الإدراكية ، التي تتجلى على أكمل حالة في الإنسان ، ليست في حقيقتها إلا ثمرة من ثمرات تركيبه العالى . وكان قد افتتن بهذا الرأى عدد عديد من أهل العلم ، فنشبت بينهم وبين القائلين بوجود عنصر مستقل للحياة تستمد منه المادة صفة الحياة ، معارك قلمية لم تقف عند حد ، حتى كثرت المكتشفات اليوم ، فرجع أكثرهم الى القول بوجود عنصر حيوى عام مستقل عن المادة يتصل بها فيخرجها من حالتها الجامدة الى الحالة التي تكون عليها في النباتات والحيوانات ، فيحدث فيها حركة ونموا وارتقاء وتطورا يصل بها الى كمالها الذى قدره لها الخالق الحكيم ، الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

من أجل المصادر لنقل صورة من صور هذه المناقشات العلمية كتاب (عالم الحياة) للأستاذ (روسل ولانس) الانجليزى ، نقلها معربة عن ترجمته الفرنسية . ولسنا فى حاجة للتدليل على مكانة هذا الأستاذ ، ونكتفى بأن نقول إنه علم من أعلام التاريخ الطبيعى فى هذا العصر ، ومؤلفاته مرجع عظيم القيمة لجميع المشتغلين بمسائل الممالك الثلاث : النباتية ، والحيوانية ، والإنسانية .

جاء فى كتابه المذكور آنفا تحت عنوان (طبيعة النمو) من صفحة ٣٩٨ وما بعدها ما مؤداه :

«إن نشوء أى جسم على صورة مركبة مماثلة لفرد من نوعه ، أمر لا يثير فى كثير من الناس أقل دهش ولا استغراب ، ومع هذا فإنه لا يزال باقيا بلا تعليل معقول .



«نعم : إن أهل العلم قد كشفوا ظواهر كثيرة تتعلق بالنظام الذى تتبعه الأحياء، فى نموها ، ولكنهم فيما يتعلق بطبيعة القوى العاملة فى هذا النمو ، وبالعوامل التى تقودها وترشدّها وتنظم أحوالها ، لم يعطونا غير ظنون مبهمّة ، وافتراسات لا تغنى عن الحقيقة شيئاً .

«لقد عُرف من زمان مديد أن كل نموسواء أكان حيوانيا أم نباتيا يكون بنشوء، خلية أولية، وبتكاثرها الى حد ما . ولكن ما هى الخلية فى ذاتها ؟ أى شئ غير مقدار قليل من المادة البروتوبلاسمية التى اعتبرها أهل العلم المادة الأولية للحياة ؟ على أنها من الناحية الكيميائية أكثر المواد المعروفة تركبا ، لأنها وإن كانت تتألف من العناصر الأربعة : الكربون ، والهيدروجين ، والأكسجين ، والأكسجين ، فقد علم الآن أن ثمانى مواد أصلية أخرى تدخل فى تركيبها ، وهى : الكبريت ، والفوسفور ، والكلور ، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، والحديد . ويزيد على هذه المواد ست أخرى قد تصادف فيها وإن كانت ليست من المقومات الأصلية للبروتوبلازما ، وهذه المواد هى : السيلييس ، والفلور ، والبروم ، واليود ، والالومينيوم ، والماسنجائيز .

« فالبروتوبلازما والحالة هذه مادة شديدة التركيب ، لا بكثرة عدد المواد الداخلة فى بنائها فحسب ، ولكن بشكل اتحاد هذه المواد كيميائيا ، وهو الأمر الذى يستعصى على كل تحليل فنى .

«الأستاذ ماكس فيروورن Max Ferworn يفكر فى كتابه على الفيزيولوجيا العامة ضرورة وجود قوة حيوية مستقلة عن المادة فى هذا التركيب ، ويؤكد بأن كل قوة من هذا القبيل هى خاصة المادة البروتوبلاسمية نفسها . ومن العجيب أنه فى الوقت نفسه يقرر وجود فوارق كبيرة بين الخلية الحية والخلية الميتة ، معترفا بأن معارفنا عن الأولى لا تزال ناقصة للغاية ، ويعلم أن من تلك الفوارق أن عددا من المواد الموجودة فى الخلية

الحية لا يكون له في الخلية الميتة وجود، ويصرح أن من تلك الفوارق أيضا وجود حركة باطنية مستمرة في الخلايا الحية، وعدم وجودها في الخلايا الميتة. فهل يعقل أن الخلية التي تستطيع على كثرة عدد المواد الداخلة في تركيبها أن تحفظ وجودها سليما آمادا طويلة مقاومة لجميع عوامل الهدم، مادامت في حالة حياة، وتفقد كل قوة وكل مقاومة إذا أصابها الموت، أن لا تكون متمتعة بقوة حيوية تحفظها من الدور، ما دامت حالتها؟ إن قبول هذا الرأي يناقض العلم مناقضة شديدة جدا. ومع هذا فإن الدكتور فيروورن لا يعطى أى دليل على وجود هذه القوة المستقلة عنها، والمنظمة لظواهرها، والمعقول أن وجود هذه القوة لا بد منه لحفظ وجود الكائنات ذات الخلية الواحدة، وهو يكون أئزم وأوجب كلما صعدنا في سلم الكائنات الى النباتات والحيوانات العليا المركبة الأعضاء، لتعمل على حفظها لأشكالها في كل جيل من أجيالها خلال كل الأدوار التي تنتاب خلاياها من دور وتجدد. وهذه الأدوار يستمر تعاقبها في هذا المعمل العضوى الفسيح الأرجاء حتى تبلغ أجسامها وأعضاؤها وحواسها وآلات تكاثرها درجة السكال في التركيب والتناسب الى حد يقضى بالدهش العظيم في كل كائن حي منها.

« لنضرب على صحة ما نذهب اليه مثلا بريش الطائر، فنقول: إن كل ريشة متى وصلت الى حدها الطبيعى قد تتألف من أكثر من مليون من الأهداب بعضها ممتاز عن البعض الآخر، وهذه الأهداب تجعل كل ريشة صالحة لأداء مهمتها الخاصة، باعتبار أنها أداة للطيران، وكساء للطائر في آن واحد، يحفظ لجسمانه الحرارة الغريزية. ولكن هذه الأهداب في ذاتها أعضاء ذات صفة خاصة، لها أشكال وتراكيب محددة، وكل واحدة منها تتصل بمجاورتها الجانبية وبما يليها، بمشابك تكاد تكون رخوة، وهى في نفسها مؤلفة من عدة ملايين من الخلايا تختلف فيما بينها في الأشكال، بحيث تنتج لنسيج الجناح كله القوة والرونة، وصفة الاستمرار.

« ومن المحقق أن كل ريشة تتولد من الجلد مباشرة، وخلاياها التي تتكون وتتغذى من دم الطائر يجب أن تتجدد كل سنة لتحل محل الخلايا التي دثرت منها. ولكن هذا الدم نفسه يعطى لكل جزء من أجزاء جسم الطائر مواد مختلفة تدخل في بنائها، سواء أ كانت عضلات أم عظاما أم أوعية أم جلدا أم أعصابا أم مخاً. فإما إذاً تلك القوة التي تستخرج من الدم لكل عضو من أعضاء الطائر ما به قوامه ووجوده، فتنشئ له هنا خلايا عظمية، وهناك خلايا عضلية، وهناك خلايا ريشية، لضرورة أن كلا منها يجب أن يكون له خواص متميزة عن سائرهما؟ ولما كانت هذه الخلايا المنوعة متخالفة فيما بينها، فما هي القوة التي تصبها في قوالب تناسبها، فتجعل من بعضها عظاما صلبة، ومن بعضها الآخر عضلات قابلة للتقبض، ومن غيرها مادة خفيفة وقوية ومرنة؟ وهذه الأخيرة من أعجب أعمال هذه القوة التي أمد الله بها الكائنات الحية. وغير هذا فما هي طبيعة هذه القوة التي تقضى بأن تنمو كل ريشة في شكلها الخاص؟ وما هو ذلك العامل المنظم الذي يحدد توزيع المواد الملونة للريش وهي مستمدة من الدم أيضا، بحيث تأخذ منها كل ريشة القدر الضروري لها لا تتعداه، لا تمتاع الطائر بألوانه الأصباغ على تنوعها العظيم، وتناسبها الدقيق، ليتألف منها مجموع وُضع لأداء مقاصد مختلفة، من إخفاء الطائر أو إظهاره، أو لجذب الإناث إليه في زمن التزاوج؟

« لا مشاحة في أن استحالة تحليل هذه الظاهرة بالأسباب الطبيعية يسرى على سائر أعضاء الحيوان، ولكننا ضربنا المثل بالريش، لأنه ظاهر ومرئى لكل إنسان، ويمكنه درسه وامتحان دقائقه بواسطة المنظار العظيم للمريئات.

« أما أنا فلم أصادف في كل ما كتب عن خواص البروتوبلازما — وهي المادة الأولية للخلية — ما يلقي بصيصا من النور على هذه المسألة الخطيرة، فلا بد من الاعتقاد بوجود قوة مدبرة أمد الخالق بها الكائنات النباتية والحيوانية، بل وأمد بها كل خلية منها، ليتمكن تحليل وجودها، وما يحدث منها في الأدوار المختلفة »

نقول: يشير الأستاذ (روسيل ولاس) بقوله هذا الى ضرورة وجود قوة خلقةها الله في كل كائن ، تتولى تكوينه وتربيته وإيصاله الى كماله . فالعلم كما ترى يتدشى بنحو الايمان بخطوات وإن كانت بطيئة ، إلا أنها ثابتة وموصلة للنهايات القصية . فأين هذا ونحن في القرن العشرين من إلحاد علماء القرن التاسع عشر وما قبله ، وتشددهم في نكران بدايات العقل في سبيل بناء صرح علمي على أساس مادي محض ؟ .

إن كل هذه الأوهام قد تبددت ، وظهرت الطبيعة اليوم ، بفضل ما فتحه الله على الناس من علومها ، تشهد بأفصح لسان بوجوده تعالى ، وبسريان قدرته في كل شيء .  
 حَقَرُ أَوْجَلِ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ )  
 محمد فريد وجرى

## فضيلة التودد الى الناس

روى ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس .

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام قال لابنه : لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد ، فالواحد كثير . فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال :  
 فكثر من الاخوان ما اسطعت إنهم بطون إذا استنجدتهم وظهر  
 وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير  
 وقيل لعبد الملك بن مروان وهو أمير للمؤمنين : ماذا أفدت من ملكك هذا ؟ قال : مودة الرجال . وقال بعض الحكماء : من علامة الاقبال اصطناع الرجال .

وقال غيره : من استصلح عدوه زاد في عدده ، ومن استفسد صديقه نقص من عدده .  
 وقال بعض الأدباء : العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضره من عداوته ، ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه ، بحسب صنائعه وأياديه

## الاسلام في الصين

عنيت مجلة العالم الاسلامي الألمانية بنشر تقارير أعضاء الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية ، الذين درسوا أحوال بلاد الشرق الاسلامي ، وخبروا تطوراته ، وتنبهوا اتجاهات الثقافة العربية على العموم ، والاسلامية على وجه أخص . ولقد جاء في أحد أعدادها مقال لأحد أعلام المستشرقين الألمان « مارتن هارتمان » عن الاسلام في الصين ، نلخص للقراء أهم ما جاء به فيما يلي :

لم يذكر في كتب التاريخ الصينية القديمة الشيء الكثير عن تفاصيل دخول الاسلام في بلاد الصين ، بل إنه في كثير من الأحوال كانت أخبار المؤرخين مبهمة متضاربة يداخلها كثير من الشك والالتباس ، لا يمكن أن يعتمد عليها المؤرخ الحديث كل الاعتماد ، وكل ما يمكن استنتاجه على كل حال هو أن الاسلام تسرب الى هذه الأقاليم الواسعة تدريجيا . ولقد أجمع مؤرخو الصين على أنه دخل على يدى سعد بن أبي وقاص ، وله في « كانتون » قبر تذكاري يخصصه حتى الآن بالإكبار والإجلال . دخل الاسلام الى بلاد الصين براً عن طريق « خاي كومول » ( وهي إحدى واحات المقاطعة الصينية « سينكيانج » وهي ملتقى هام للقوافل ومحطة للبرق ) بواسطة البرد المسلمين في عصر القيصر « ناي تسونج » ( ٦٢٧ — ٦٥٠ ميلادية ) . وأقدم الآثار التي قد ترجع اليها الأخبار عن فجر الاسلام في الصين هو الجامع الأكبر في « سنجافو » الذي يستدل من بعض أجزائه على أنه شيد في أول سنة حكم فيها القيصر « تين باو » فيكون ذلك على تقدير « برو مهول » في عام ٧٤٢ ميلادية . ولقد أدخلت تعديلات كثيرة في بناء ذلك الجامع ، وأهمها تلك التصليحات التي تمت على يدى « ساي تين شى » ويلقبونه في الصين « سيدى الأجل » في عام ١٣١٥ ميلادية .

وكان المسلمون يلقبون في جميع المراجع الصينية القديمة باسم « تاشيه » وهي كلمة مأخوذة من لفظة « تاجق » الفارسية التي يرجع أصلها الى اللغة الآرامية، وكان يُقصد بها في الأصل العرب من نسل طي ، وذلك لأن الأعراب الطائيين الذين دخلوا الاسلام من الفريق الفارسي كانوا يعتبرون ممثلي العرب والعربية ، وأطلق اسمهم على العرب على وجه العموم ، ثم إن هذا الاسم اتسع مدلوله حتى شمل المسلمين عموما ، وأصبح لا فرق في المعنى بين عربي ومسلم . وفي المصور المتأخرة أطلق على المسلمين اسم « هوى هوى » نسبة الى « الويچور » الذين يعتبرهم الصينيون ممثلين للاسلام ، وبذلك أصبح اسمهم الشعبي دالا على الديانة الاسلامية .

وأما الأخبار التي وصاتنا من المؤلفين العرب عن تاريخ وطريق دخول الاسلام في الصين ، فإنها على جانب عظيم من الأهمية ، لتوخيها الحقائق ، وبمدها عن المغالاة . ومن أمثال تلك المراجع كتاب التاريخ الطبرى الذى ذكر فيه جميع الحوادث التى عرفت في عصره بشكل منسق جميل ، دون أن يغفل شيئا من التقارير الهامة .

ولا يقل الجغرافيون من العرب عن مؤرخيهم شأننا في هذه الأبحاث ، فإنهم كتبوا كثيرا عن طرق السفر الى الصين برا وبحرا ، ويؤخذ من أبحاثهم الجغرافية أن دخول الاسلام في الصين كان عن أحد طريقين مختلفين ، فالأول هو طريق البر ، ويؤدى الى شمال الصين ، ومنه وصل الاسلام الى النواحي الغربية من مقاطعات الصين الشمالية ، ولم يساعد على تأسيس جاليات إسلامية في الجهات الساحلية . والطريق الثانى هو طريق البحر من الناحية الجنوبية ، ويمس سواحل الصين لغاية « كانسو » أو « هانج شوفو » ، وبواسطة هذا الطريق تمهدت السبل لتأسيس الجاليات الاسلامية ، ولكنها لم تمتد نحو الداخل . ولم ينتشر الاسلام في داخل الصين انتشارا واسعا إلا أثناء حكم المغول ، بل لنا أن نقول إنه ما كان يتيسر بدون مجهودات أسرة « ييان » نشر الاسلام في داخل المقاطعات الصينية الواسعة ، ولا يمكننا التكهن بعدد المسلمين

الذين بعث بهم حكام المغول الى بلاد الصين ، ولكنهم كانوا على كل حال نواة صالحة للاسلام في الصين .

وقد اصطحب « جنغيزخان » فريقا من الموظفين ومعهم رجل من « بخارا » اسمه شمس الدين عمر يقال إنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي لقب فيما بعد باسم « سيدى الأجل » ، وقد جاء ذكره في كتب كثيرة ، كما ذكر الرحالة العالمى الشهير « ماركو بولو » في تقاريره أحد أولاد شمس الدين هذا المدعو ناصر الدين . وأهم ما كتب في تاريخ حياة شمس الدين عمر ما جاء في مجموعة « ناشنج بى تونج شيه » وقد عني بترجمة هذا الجزء الى اللغة الفرنسية « فيسيير » في مجلة العالم الاسلامى الفرنسية في شهر فبراير سنة ١٩٠٨ ، وكذلك ما جاء في مجموعة « فاهسيانج » وقد علق عليها « لابلج » في تقارير بعثة « أولون » ، وأخيرا ما كتبه رشيد الدين ونقله الى الفرنسية « بلوشيت » في تقارير بعثة أولون أيضا . ومما جاء في مجموعة « فاهسيانج » المذكورة أنفا أنه الحفيد السادس والعشرون للنبي (صلى الله عليه وسلم) .

ولقد تقلد شمس الدين عمر مناصب رفيعة عدة في زمن « كويلاى » ( ١٢٦٠ — ١٢٩٤ ) وسماه القيصر « ساي تين شى » وهى ترجمة « سيدى الأجل » وعينه حاكما على مقاطعة « يونان » الصينية ، وفي أيامه الأخيرة حاز لقب « أمير هسين يانج » وترك خمسة أولاد وتسعة عشر حفيدا . وتكاد تجمع كل التقارير على أن سيدى الأجل نشأ في مدينة بخارا ، وقدم الى مقاطعة « يونان » الصينية ، وتولى إدارتها من عام ١٢٧٣ حتى وفاته سنة ١٢٧٩ ودفن بجوار عاصمة بلاده .

ولقد كان لسيدى الأجل شأن كبير في نشر الاسلام بين الصينيين في مقاطعة « يونان » ولم يزه في الدعاية للدين الاسلامى إلا ولده الأكبر ناصر الدين الذى كانت له اليد الطولى في اتساع حلقة المسلمين وزيادة نفوذهم ، واليه يرجع الفضل في الوصول بمسلمى الصين الى درجة من الانتشار كانت تناوئ في عصور مختلفة الجماهير الغفيرة

من البيانات الأخرى في هذه المقاطعة . وكان ناصر الدين في أول أمره في مقاطعة « شينزى » ثم ولى حكومة « يونان » حيث توفى بها في سنة ١٢٩٢ وخلفه أخوه حسين في إدارة شئونها . وكذلك تقلد أولاد شمس الدين عمر وأحفاده من بعده مرا كز رفيمة في الحكومة .

ومن أحفاده البارزين في تاريخ الاسلام في الصين المدعو « ماخو » وهو من ذريته الرابعة عشر ، واهتم بالأبحاث الدينية ، وظهر له كتاب سماه « الابرّة المغناطيسية في الاسلام » في عام ١٦٦٥ ، وعاش من سنة ١٦٣٠ الى سنة ١٧١٠ ، ومن أعماله أنه قام بتعمير مقبرة جده الأكبر « سيدى الأجل » واليه ترجع النقوش المحفورة في القبر المذكور ، وترجمها « فيسير » في تقارير بعثة « أولون » .

وأكبر أفراد هذه العائلة الآن هو « ماواشنج » إمام مسجد « ماشوشاي » بمدينة « يونانفو » .

وقد يرجع السبب في أهمية شأن الاسلام في مقاطعة « يونان » الى الطريقة التي دخل بها ، وانتشاره تحت حكم أسرة « ساي » ، ولم تحصل هجرة ذات بال من الخارج منذ ذلك العهد . وأما الغالبية الساحقة التي هاجرت الى هذه المقاطعة ، فإنها جاءت راحلة من داخل الأقاليم الشمالية ، دون أن يكون لهذه التنقلات أى أثر محسوس في الجاليات الاسلامية في السواحل الخارجية .

## استدراك

جاء في السطر الأول من صفحة ٤٤٦ : أبو حنيفة . والصواب : أبا حنيفة .



“Do the unbelievers seek a religion other than Allah’s and to Him had everyone in heavens and earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return.”

(Baidawy’s Commentary).

If humanity is destined by Allah to come to a universal religion at one period of its history, this religion will be no other than Islam for The Lord saith:

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ،  
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

“We will shew the unbelievers Our signs in distant climes through the signal victories achieved by Islam, and through the wonders wrought in the creation of man till it becomes manifest unto them that the Koran is the truth. Doth it not suffice that thy Lord is witness over all things.”

(Baidawy’s Commentary).

---

(1) The Koran.

This was made the basis of belief so that Islam may be given a universal character from all stand-points and in this connection The Lord, saith:

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ  
مِنْ رَبِّهِمْ، لَا تَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

"Say ye believers: We believe in Allah and that which hath been sent down to us (1), and that which hath been sent down to Abraham and Ismael and Isaac and Jacob and his offspring, and that which was given to Moses and Jesus and that which was given to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them and to Allah we are resigned."  
(Buidewy's Commentary).

No one could deny in face of this explanation that the religious code proclaimed by Islam is the highest imaginable, calling to one Faith and the universal brotherhood of man.

It is inconceivable that a man who lived in a corner of the earth far away from civilisation and such universal ideals, and in a time in which the idea of the unification of religions never passed in a mortal's mind, should think alone in this matter when he had yet to achieve the unification of the tribes among which he was born. And if it were possible at all that such an idea could have passed in his mind, he would certainly have failed to devise such a perfect system which reaches this high standard of perfection.

There could be no doubt that this is a great and miraculous phenomenon which will gain for Islam the position at which it aims i.e. to become the religion of humanity.

« أَفْمَبِرُ دِينَ اللَّهِ يَتَعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلاً عن البيضاوي

diposed. No one could change the creation of Allah. This is the right Faith but the greater part of men know it not."

*(Baidawy's Commentary).*

The Creator, be praised, explains that religion is just a streak of divine nature inborn in human souls provided that this nature remains unimpaired by teachings which force it to change its natural course. This pure and untainted nature which is free from passion, illusion or imitation, is nothing but Islam itself.

Yet this situation requires a certain element to direct it in the right way. Men differ in natural instincts and hereditary traits. They may include the staid and the hasty, the foresighted and the imprudent, the resolute and irresolute, etc. It was therefore imperative to set up an arbitrator whose judgment will be binding on all, and no one but a vain and bigoted caviller would take exception thereto. This arbitrator is reason; and since it is the basis of accountability and the umpire of right and wrong, it should be in such a position as to discharge satisfactorily this all-important function.

For this reason The Lord, be praised, has urged to the perfection of the human mind through the meditation of the signposts which He has set up in the universe to shed perfection thereon, and the beacons which He raised to light the way unto guidance and truth, so that it may gain strength and confidence in the judgment it pronounces and is not confused by falsehood in its variegated forms.

This combination of human nature mitigated by the influence of pure reason is the religious basis with which the Lord has sent the last of the Prophets to proclaim unto nations so that they may be unified in religions and beliefs inasmuch as they are united in humanity, nature and intellect.

Bacon who had established the scientific system over three centuries ago, had succeeded in the unification of science all over the world by founding it on observation and experiment as well as on analysis and composition, and by excluding conjecture and hypothesis from its subject matter. And if Bacon has merited the admiration of the world for this great achievement, Islam rightly deserves the greatest honour imaginable for the revelation of that religious system which contributed to the unity of distant people on whose lands the sun never sets. The whole of humanity will some day come to it when Moslems will be able to proclaim it unto the world and when Allah wills this great reform to be accomplished on earth.

Since Islam aims at the unification of nations in a new era of humanity, we find its doctrines are based on this universal principle. It enjoined its followers to believe in all the messengers of God, to make no distinction between them and believe in the dispensations they were sent with.

Should this explanation be given to anyone, it will find ready acceptance in his mind inasmuch as it lends peace and security to his heart and soul. For how could it be that God would reveal various religions differing in their doctrinal principles to nations who are potentially and intellectually similar whereas truth is one and the laws of nature are unchangeable !

Where then does the responsibility of this criminal difference rest if not with the heads of religions?

Is it conceivable that universal knowledge should be one and the same everywhere and that its fundamental principles in any part of the world should be the same as in all other parts while religion should have different phases which contradict and impair one another?

Two things have ensured indefinite continuation and immortality to Islam; one is human nature and the other is the influence of pure reason. Men are the same in so far as the essential requisites of human nature are concerned. Whatever man's nature deems good or bad, all men deem the same, unless parents or teachers deliberately introduce corruption into this nature. It is a fundamental condition of Islam that this nature should remain pure and free of all taints which are apt to change its course.

As to the influence of pure reason, there could be no power on earth to rob man of it. It is a ray of God's Light, a breath of His Divine Wisdom.

For centuries, the heads of anterior religions have endeavoured to destroy it and have chastised by fire and steel, whomsoever sought its aid. But the Lord has lent it His support and rendered it victorious over all the evil forces which were marshalled against it. From this conflict, it has emerged pure and unsullied and to-day it is the final arbiter of right and wrong throughout the whole world.

Islam has fully depended on these two natural things even as an edifice rests on its main pillars, and in this connection the following Koranic verse is significant:

« فَأَوِّمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ  
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ، وَإِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية قلاً عن البيضاوي

“Wherefore set thou thy face towards the true Faith deviating not therefrom: the law of Allah to which men are created and are naturally

the Judgment Day, verily the matter would have been decided by the destruction of the gainsayers.

They who have inherited the Scriptures after them are in perplexing doubt concerning it. Wherefore summon thou them unto the true Faith and go thou straight on as thou hast been bidden and follow not their vain desires and say: I believe in all the Scriptures which The Lord hath sent down, and I am commanded to establish justice among you: Allah is our Lord and your Lord, the Creator and Sustainer of all: Unto us will our deeds be imputed and we will be recompensed thereon and unto you will your deeds be imputed and you will be recompensed thereon.

Let there be no strife between us and you, for Allah will bring us together on Resurrection Day and unto Him is the final judgment."

(Baidawiy's Commentary).

And:

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَا يَدْتَنِبُهُمْ . وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَأُولَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

ترجمة تفسير الآية نقلًا عن البيضاوي

"Verily the true Religion with Allah is Islam and none other is acceptable unto Him; and those who were given the Scriptures (1) differed not concerning it until after the knowledge of its truth and authenticity had come unto them, out of mutual jealousy and the desire for supremacy; and whomsoever believeth not in the signs of Allah, verily Allah is prompt in reckoning with him!

If they dispute with thee in religion, say: I have faithfully given myself unto Allah, as have they who followed me: And say unto them who received the Scriptures, and unto the ignorant who have no knowledge thereof: Do ye give yourselves unto Allah even as I have done now that its truth has been established? If they embrace Islam, then they are rightly guided and are benefited thereby: but if they turn away, verily thy task is only preaching that which hath been revealed unto you; and Allah is regardful of His servants "

(Baidawiy's Commentary).

(1) Jesus and Christians.

Noah and continued to reveal to all Prophets after him. If men however, find religions to differ in those principles, it is because of the corruption and distortion effected by the heads of those religions and the arbitrary and misguided interpretations which they gave thereto out of spite and mutual jealousy.

It was with this pure and unadulterated Faith that the Lord had eventually sent His Prophet Mohammad unto the world so that men may unite on a universal basis to enjoy the blessings of unity and turn in their entirety in an endeavour to attain the perfection promised to humanity.

The Lord's saying fully bears this out:

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُّرِيبٍ . فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَلَوْلَا آمَنَتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »

ترجمة تفسير الآية نقلا عن البيضاوى

“Allah hath ordained to you the religion which He commanded unto Noah, and which We revealed to thee and which We commanded unto Abraham, Moses and Jesus; Observe this religion by true belief and obedience, and divide not into sects concerning it. The worship of one God to which thou callest them is intolerable unto the unbelievers. Allah will choose to that Faith whomsoever He pleaseth, and will guide thereunto whomsoever shall turn unto Him.

Nor were the past generations divided among themselves, out of spite and mutual jealousy, till after the knowledge of the true Faith had come to them; and had not a decree from thy Lord gone forth respiting them unto

used as incentives to carry the strife to its furthest limit. This went on till means of communication and intercourse between races were facilitated and the need was felt to exchange products and utilities.

A new consciousness, hitherto unknown to the world, was born among nations necessitating the establishment of some relation between them which provides for co-operation in life in order to satisfy their mutual needs in their commonest and most simple forms. World trade was thus established and proved to be a means of understanding which contributed in its turn to tranquility and peace. A new era in the history of nations was inaugurated bringing nations more and more together and paving the way for the greatest epoch of humanity, the epoch of uniting mankind on a universal basis and rendering them mutual friends who strive together throughout the stages of life making every effort for the perfection of human knowledge and attainments.

This consciousness was born a mere idea in the world. It passed through some minds hardly taking root therein, yet growing stronger day by day until the advent of Mohammad the last of the Prophets (Peace be on him).

It was in that period that the Creator had seen fit to render the mere idea into an accomplished fact. He ordained Islam for mankind and bade it spread into the furthest corner of the earth, inaugurating thereby a final era which humanity never before contemplated. Individual nations have been taught that all religions were false save the particular religion they followed. Whence then could the desired unity come to bind them all in one religion?

This was an intellectual impossibility. Some philosophers imagined this unity to be attainable only through the abandonment of all religions! But could that be conceivable among nations in whose blood ran the love of religion and to whom it was dearer than life itself!

How then did Islam solve this all-important problem within the bounds of reason and nature of things?

How did it justify itself in the minds of men to such an extent that all that was needed to convince and win an adversary of Islam was just to give him a clear and lucid exposition thereof?

Indeed this is a miracle of Islam, the Faith that proclaims to be the last of divine dispensations, the universal religion of humanity in all its entirety which will eventually become the common Faith of mankind once its signs are revealed in far-off climes and manifested in human souls.

Islam has proclaimed that, in its doctrinal principles, it is not a new religion; but it is the first Faith which the Lord had revealed unto

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD (1)

---

#### I.

Humanity is steadily progressing towards perfection and despite the existent strife between human communities and their seeming desire to overturn and destroy one another, they are in reality subordinated to certain forces which vigorously stir them up in order to bring out the best of those noble traits inherent in human nature.

Nations may rise and others may fall, communities may flourish and others may go, the earth may quake under the very feet of society so much so that the onlooker would feign the world to be heading towards sure and inevitable destruction. The truth however is that its components parts are undergoing a reaction, even as that which chemicals undergo, to produce a new compound embodying all the destructive qualities of those parts, and to discharge a new function which none prior to it could have discharged, thus forming a prelude to further material and moral developments which follow one another and act conjointly for the fulfilment of the Lord's promise on earth.

For ages men lived in divided and contending communities differing widely in principles and doctrines. The human mind was shrouded in the vestiges of early primitiveness and those contentions and differences were wielded as strong factors to widen the human schism, while religions were



---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامى فى العالم

— ٤ —

دعوته الى وحدة العقيدة الدينية من جهة أن أصل الأديان واحد

من المسائل الانسانية الكبرى التى تجعل للاسلام أثرا خالدا مستمرا ، وحقاً تاريخياً نابتاً فى الاتصال بالشعوب المختلفة ، ما أتى به من الدعوة الى الوحدة الدينية من ناحية أن أصل الأديان واحد ، وإنما تعددت الأديان وتخالفت بسبب ما أدخل على الدين الأول من الزيادة والنقص والتحريف .

هذه الدعوة كانت تعتبر — لو خطرت فى ذهن رجل من الأقدمين — من المحالات العقلية ، بسبب الاختلافات الكلية التى كان يراها بين الأديان ، ولا تزال تعتبر فى نظر المشتغلين بالشئون الاجتماعية ممن لا يعرفون الاسلام ، من الأمانى البعيدة التحقق ، بسبب ما اختلطت به الأديان من الشئون القومية ، والتقاليد الجنسية ، فجعلوا جهدهم موجّها الى عزلها جميعاً عن مجال المعاملات المادية ، وإلى إبطال تأثيرها فى تكييف المجتمعات ، حتى يتم للانسانية ما تعمل للوصول اليه من السلام العام ، والتعارف المتبادل ، دون أن يتف فى طريقها مانع من أى نوع كان .

ولكن لو تأمل هؤلاء المشتغلون بالشئون الانسانية فى القواعد التى بنى عليها الاسلام هذه الدعوة ، وفى الحقائق التاريخية التى استند اليها ، لرأوا أنها أسرع فعلا فى جمع الأمم من كل الوسائل التى يستخدمونها لذلك . وقد ظهر تأثير أسلوبه هذا فى جمع الأمم لأول عهده ، رغما عما كان للفوارق القومية بين الأمم من السلطان المطلق على عقولها ، فما ظنك اليوم وقد رقت حواشى هذه الفوارق فى نظر الشعوب الى حد أنها تعتبرها وهمية محضه ، وذلك بسبب ما انتشر بينها من التعاليم الفاسفية ، وما ذاع

فيها من الآراء العلمية . فالرجوع اليوم الى أسلوب الاسلام في جمعها من الناحية الدينية يكون له أضعاف ما كان له من قوة التأثير في الشعوب الطفلة البعيدة عن كل ثقافة عقلية .

هنا يمكن أن يتصدى لنا معترض فيقول : إن الأمم المتقدمة اليوم لا ترفع بالأمور الدينية رأساً ، حتى إذا فرضنا أنهم استجابوا لدعوة الاسلام واتبعت ديناً واحداً ، فأمامها المسائل الاقتصادية قد تطأ على بعضها فتجعلها على مقابلة بعضها بعضاً ، فأى أثر يكون لدعوتنا إياها الى توحيد الدين وهي على ما هي عليه من التأثير بالعوامل الاجتماعية ؟ .  
نقول : نعم ، ولكن ألا يرى المعترض علينا أن هذه الأمم قد أدركت أن الحروب أصبحت وسيلة ممقوتة ، وأنها تضعف المقهورين والفاهرين على السواء ، وخاصة بعد أن توشجت مصالحها في النواحي الاقتصادية توشجاً أصبح ما يضر بعضها من الاضطراب يضر بعضها الآخر ، فجعلت تتحسس من وسائل فعالة لحذف هذه الأداة ؟ فإذا أضفت الى هذه الجهود التي تبذل في كل مكان بث فكرة وحدة الدين بينها ، ألا يمود هذا بالخير عليها وعلى العالم أجمع ، ويقوّى عوامل توحيد الأمم ، ويعملها تتغلب على عوامل التفريق التي لم تبق ولم تذر ؟

ثم ألا يعود من هذه الدعوة فائدة لا يمكن تقديرها على الشرق الإسلامي حين يعرف بوجه عام أنه صاحب أكبر وأرفع دعوة وجهت الى البشر ؟

فلننظر الآن في القواعد التي قلنا إن الاسلام بنى عليها دعوته في توحيد العقيدة الدينية ، وفي الحقائق التاريخية التي استند اليها لجعل تلك الدعوة سائغة في العقول ، تصل منها الى مواطن الاقتناع ، وتصبح في نظرها من البديهيات التي لا يجوز التردد فيها ، فقول :  
(١) قرر الاسلام أن دين الله واحد في جميع المصور ، وأنه أوحاه الى أول رسول أرسله للبشر ، ثم وإلى إزاله على المرسلين في فترات من تاريخ الأمم ، تجديد لما طمس من معالمة ، وبياناً لما غمض من أصوله ، وتصحيحاً لما حُرف من آدابه . قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).

(٢) وأن الدين وضع إلهي غرزه الله في صميم الفطرة البشرية، لا تشذ عنه نفس إنسانية، وأنه بهذا الاعتبار أصبح في حكم جميع الغرائز الجبلية التي لا يختلف فيها اثنان من الناس، فقال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَاسِمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ). المراد بتفريق الدين الخلاف في أصوله لا في فروعه.

(٣) وأنه نصب العقل الكامل علماً للاستهداء به في كل خلاف تحت نور الوحي الإلهي.

(٤) وأن منشأ كل خلاف يشق عصا الناس في أمر الدين، وبوجب عليهم التفرق، هو: إرادة البغي، وإهمال العقل، والتقليد الأعمى، فقال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) وقال: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ).

(٥) وأن الإسلام الذي أوحاه الله الى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم هو ذلك الدين الأول، أرسله الله به على فترة من الرسل الى الناس كافة، ليبلغهم هذه الحقائق، ويرفع من بينهم الخلافات التي فضت عليهم بها أهواؤهم، وليست من مقتضيات العقل، ولا من حقائق العلم في شيء، فقال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَرِيعٌ لِحَسَابِ) وقال تعالى: (أَفَمَنْزِرُ

دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ).

ولأجل أن يجعل الله لهذه الوحدة الدينية الاعتبار الأعلى في الأذهان جعل آية الإيمان مشتملة عليها في عبارة تفصيلية لا يتسرب إليها أى تأويل، فقال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِبَعْضِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ).

فهذه القواعد التي أبانت أن أصل الأديان واحد، يقبلها العقل بمجرد التأمل فيها، لأنها من بداهاته الأولية. فأما أن أصول دين الله كانت واحدة في جميع العصور فأمر لا يسبغ العقل الكامل سواء، لأن الحق لا يتعدد. وأما أنه وضع إلهي في مستوى الفرائض الفطرية، فأمر لا يمكن التردد فيه، لأن النفوس مفعورة على طلب الحق والخضوع له، والإذعان لحكمه، ما دام يهديها إليه نور العقل السليم. وأما أن منشأ الخلافات في الأصول التي تفرق الشعوب هو إرادة البنى، وإغفال حكم العقل، والتقليد الأعمى لما كان عليه الأسلاف، فحقيقة لا يمكن إنكارها، والتاريخ أصدق شاهد على صحتها.

فإذا تجرد الإنسان من هذه النقائص كلها، وترك للعقل الصحيح الحكم في إدراك الدين الحق، أفضى به ذلك إلى الإسلام لا محالة. وأخذ الناس بهذه القواعد في العصر الحاضر أصبح من أيسر الأمور، فإن انتشار العلم في طبقات الناس، وكثرة ما يصادفونه في مطالعاتهم من وجوب الاستقلال في الفكر والنظر، وتكون الأحكام

الخاصة الخ، قد مهد الطريق لهذه القواعد الاسلامية، وإنما المدار على تقديمها للناس في أسلوب جدير بجلالتها، وبيان خليق بقيمتها.

فلا جرم قد أصبح الإسلام—وقد نأزر هو والعقل السليم، والعلم المحقق البعيد عن الظنون والأوهام— ليس بينه وبين الدولة المنتظرة له إلا تنظيم الدعوة اليه، وبيان أصوله العالمية للناس بكل لغة، فلا تقوى على صدّ تياره بعد ذلك أكبر قوة في الأرض. نعم: إن العقائد الدينية المنتشرة بين الأمم قد اختلطت بكيانها القومي، فأصبحت عنصرا من عناصرها، حتى إنك لترى كثيرا من الأمم مع اعتقادها بطلان أديانها تتمسك بها إبقاء على قومياتها، ولكن مبدأ القومية أخذ ينحلّ بما تنفثه الحوادث في روع الأمم من روح اتقرب بينها، واعتقاد أن سلامتها جميعا تتوقف على التعارف الذي قد يفضي بها الى العيش كأمة عالمية واحدة. أضف الى هذا أن الأزمات الاقتصادية التي تولدها المنافسات التجارية شرعت توحى للأمم ضرورة إقامة نظام عالمي عام للإنتاج الزراعي والصناعي، حتى لا يكون أثر المنافسات إيقاع العالم كله في فاقة قد تدفع بشعوبه الى التناحر على طريقة أسلافهم الأولين، وهذه الطريقة لم تصبح ممقوتة فحسب، ولكنها أصبحت أيضا مهلكة، لأن العلاقات الاقتصادية بين الشعوب على النحو الذي اقتضاه نظام المعاملات الحديث، تتأثر تأثرا يضيع على الغالب ثمرات انتصاره الذي يكون قد حصله، بخسائر في الأرواح قد تفوق خسائر الشعب المغلوب نفسه. ألا ترى أن الأمم أجمع قد أصبحت سواسية في الضيق الاقتصادي، لا فرق بين قاهرها ومقهورها؟

كل هذه الاعتبارات تدفع الأمم اليوم للبحث عن وسائل للحياة العامة تناسب هذه الأطوار الحديثة، وتوافق التهذيب النفسى الذي أوجده العلم من كل وجه، ولا تدفع بالجماعات البشرية الى مأزق جديدة قد تقذف بها الى عهد البربرية الأولى.

فكل حامل مبدأ من مبادئ توحيد الحكامة اليوم إنما يحمل الى الإنسانية المعذبة علاجا جديدا لأرب صدوعها، ولألم جراحها، وتلتقي دعوته بارتياح عام، وإن كانت

العقائد المختلفة قد أصبحت عنصرا من عناصر القوميات ، لأن تلك القوميات نفسها قد زلزلت زلزالا شديدا ، وأصبحت الجماعات كلها بحاجة الى تجديد بنائها على نظام يلائم حياتها الراهنة والمستقبلية . ألا ترى اليوم أن شعوبا من ديانات ونحل مختلفة قد عقدت بينها محالفات دفاعية هجومية ، وهو أمر كان لا يتأتى حدوثه الى القرن الماضي ، وقد هاج الفرنسيون على ملكهم فرانسوا الأول لاستنصاره بالأتراك على حرب خصمهم (شرلكان) أمبراطور المانيا والنمسا في القرن السادس عشر ، مع أنه كاد يحتل دولتهم ؟ فالإغضاء عن هذه الاعتبارات اليوم يعتبر تطورا جديدا في العلاقات الدولية بين الأمم ذوات الأديان المختلفة ، ويدل على تداعي الحوائل التي كانت تفرق بينها ، وهذا كله تمهيد للعهد الذهبي الذي يدعو الاسلام اليه مجموع الأمم .

على أن في قيام المسلمين بدعوة الأمم الى اتباع دين واحد على الأسلوب القرآني الذي يستهوى العقول من ناحيتيه المنطقية والعلمية ، يلفت الناس بشدة الى دراسة الاسلام دراسة جدية لا تؤدي اليها أية دعوة من نوع آخر .

فإن كل من يبأغه من الأمم أن الإسلام يدعو الى وحدة العقيدة الدينية مبينا أن أصل الأديان واحد ، وأن الأديان ما وصلت الى هذا المدى البعيد من الخلاف إلا بتحريف قادتها لها بغيا بينهم ، وأن الإسلام نفسه هو ذلك الأصل الأقدم يُقدّم اليها غير مُحَرَّف ، فلنا كل من يبلغه ذلك من الأمم يتولد في نفسها باعث قوى لدراسته ، ليعرف أين هو من الدعوى الضخمة . فإذا فعلت ذلك تجسّلى لها من أصوله ما يأخذ بقلوبها وألبابها معا ، وتبين لها أنه هو الوضع الإلهي الذي يصلح للأمم كافة في عهد بلغ فيه العلم والفلسفة رشدما ، وفي كل عهد بعده حتى تقوم الساعة (سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ يُخْلَقُ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) ؟

# النفس

## سورة النور

- ٢٠ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( لَيْسَ عَلَى الْأَنْفُسِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَاجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِهِ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ نَحْمَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) .

هذه أحوال تتصل بالمعاشرة التي يُبين من أحكامها ما بين في الآي السابقة ، وهي مما تختلف فيها الأنظار ، وتباين فيها الآراء ، يتخرج عنها بعض الناس ويستسيغها آخرون ، و يرى كل فريق فيها رأيا بحسب ما يوافق مشربه ، وما يتمكن في نفسه من خلق ، فيحسبه حكم الله الذي لا محيد عنه .

جاءت الآيات الشريفة توضح أن هذه الأحوال ليس لها في نظر الشارع الحكيم ما يجعل أحد جانبيها محتوما لازما ، بل هي تدور مع ما تستريح اليه أنفسكم ، وما يوافق المألوف ومحاسن العادات .

فمنها حالات الضعفاء وذوى العاهات ممن أصيب بعمى أو عرج أو مرض . كانوا ممن يتخرجون عن مؤاكلة الأصحاء ، لأن الأعمى قد يبدو منه ما يتقرز منه البصير ، فقد تطيش يده على غير هدى فينفر منه من يجالس في الطعام ، أو قد يتوهم هو ذلك فلا تستقر نفسه للمخالطة في الطعام . والأعرج قد تضطرب حالته الى جاسة ربما تضايق منها غيره ، أو حسب هو ذلك . والمريض عادة دقيق الشعور ، شديد الإحساس والمراقبة أن معه : هل تأذى منه أحد ؟ فكانت الطوائف الثلاث تتحاشى أن تؤاكل من من الله عليه بالسلامة . وكان كذلك الأصحاء : منهم من يتخرج عن مخالطة أولئك الطوائف في الطعام ، مراعين في الأعمى أنه لا يرى الطعام الجيد الذى قد اشتبهه نفسه ويستحي أن يطلبه ، فقد تمتد اليه يد غير دون أن يشعر برغبته . والأعرج لا يتمكن من الجلوس المستريح بسهولة ، فلا يملك راحته مع غيره . والمريض لا يتأنى له أن ينال بغيته كما يتأنى للسليم ، فكانوا تجنبوا لهذه المظان يفردونهم بطعام ، ليأخذوا راحتهم ، ويمسكوا غرضهم .

وأيا : كان من عادة الغزاة والمجاهدين في سبيل الله إذا خرجوا للغزو وتختلف الضعفاء من عمى أو عرج أو مرضى ، أباحوا لهم أن يأكلوا من بيوتهم في حال غيبتهم ، فكان هؤلاء الضعفاء يتخرجون عن ذلك .

كل ذلك قد روى في سبب نزول الآية ، ولا مانع من حصول الجميع ، إذ لا تعارض بينها ، وهى عادات يصح أن تحصل عند طوائف من الناس ، فجاءت الآية لحل هذا الحرج ، وتوسيع الأمر في مخالطة الناس بعضهم بعضا ، متى حسنت النية ، وطهرت الطوية . وعلى ذلك يكون المعنى : ليس على الأعمى ومن في حكمه حرج في أن يؤاكل السليم المعافى ، فليس من شأن النفوس المهذبة أن تدنى بتتبع مثل هذه الشئون الصغيرة ، وليس أمر الطعام من العظم بحيث يحتاط فيه كل هذا الاحتياط . كيف وللمؤمنون إخوة ينبغي أن يكون دينهم الإيثار لا الأثرة ، ويحمل بهم



أن ينظروا الى الطعام نظراً الى وسيلة غير مقصودة لإلحفظ الحياة، فمن حقهم أن يكونوا ممن يأكل ليعيش، لا ممن يعيش ليأكل، فقد قال جل شأنه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) وينتظر منهم أن يطمئن بعضهم الى بعض. ويثق بعضهم ببعض، ويدلموا أن ما يعنى أحدهم يعنى الآخر، وما يسره يسره، وعلى هذا البيان تجد المعنى: ليس على أولئك الطوائف حرج في أن يأكلوا مع الأصحاء، وليس عليهم حرج في أن يأكلوا من بيوت غيرهم حيث أباحوا لهم ذلك في غيبتهم، ولا على من يؤاكلهم حرج في أن يجتمع معهم في مائدة واحدة. والمعنى الجامع: ليس في شأن هؤلاء حرج يثقی، لا عليهم ولا على من يخالطهم، فالأمر أوسع مما تتوهمون، والخرج إنما هو فيما يمس مهمات الشئون. ومعنى الحرج في اللغة: الضيق، وهو في لسان الشرع بمعنى الإثم.

أما قوله تعالى: (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) الخ، فإنه كذلك توسعة على الناس فيما تمس اليه الحاجة عادة، بل تستدعيه الصلوات الحسنة ولو بدون حاجة. وقد عدد مواضع رفع الحرج عن الأكل في الآية، وهي أحد عشر، تشترك كلها في استكمال أواصر القرابة أو المودة أو المعاونة. والمواضع ظاهرة المعنى، إلا أن في الموضوع الأول سؤالاً، وهو: ما فائدة التنصيص على إباحة أكل المرء من بيته وهو ظاهر غنى عن الإيضاح والتشريع؟ وقد قالوا في توجيهه: إن المعنى من بيوت أولادكم. وجعل بيوت أولادكم بيوتكم، لأنهم أقرب الطوائف اتصالاً بهم، وقد ورد: أطيب ما يأكل الرجل من كسبه. وولده من كسبه. وقال صلى الله عليه وسلم: «أنت وما لك لأبيك» ويشهد لهذا المعنى أن الآية لم يذكر فيها بيوت الأولاد مع أنهم أقرب الى الوالدين من الطوائف المذكورة. ويصح أن يكون ذكر بيوتهم لإظهار أن ما سيذكر بعده من البيوت هو بمثابة بيت المرء نفسه في هذا الحكم، فكانه يقال: ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوت آبائكم ومن ذكر معهم، كما ليس عليكم

جناح في أن تأكلوا من بيوتكم، وهو قريب مما قيل في قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) إن المعنى: لا يستأخرون أصلاً، كما أنهم لا يستقدمون إذا جاء أجلهم، فإن الاستقدام وقد جاء الأجل محال، فجعل مثله الاستئجار. هذا وليعلم أن نفي الحرج في الأكل من هذه البيوت إنما هو فيما إذا علم أو ظن أن ذلك موضع رضا منهم، كما هو الشأن الغالب، وكما هو المنتظر منهم أن يكونوا عليه. فإذا غلب على الظن أن بعض هؤلاء تمكن منه الشح أو الاحتياج إلى حيث يتأذى من أكل طعامه، لم يحل ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه» فالآية محمولة على ما هو الغالب من طيب نفس الأقارب والأصدقاء، بل سرورهم لتناول أقاربهم طعامهم ولو بغير استئذان منهم، بل قد يسوهم ذلك الاستئذان. وإنك لترى من الناس من يقصد إلى تناول طعام غيره في حال غيبته ليدخل السرور عليه، وليعلم أنه من الثقة به والطاعة إليه وخالص المودة معه بحيث يتبسط في ملكه، ويطلب الطعام من خادمه بدون حضوره. وكما ترى من حالات تفتتح بها المحبة بين الناس، وتتناكد مودتهم بحالة من هذا؟ فكم يسرك أن تدخل بيتك فيقال: حضر فلان هنا وطلب الطعام أو القهوة بنفسه، فيتضاعف له الشكر منك، وتهتز لذلك ارتياحا، وقد يقتلع بذلك كثيرا من وساوس تكاد تطفئ مصباح المودة بينكما. بل نحمد الصديق يقابل صديقه فيقول: لقد زرتك وطابت التحية بنفسى، يمتن عليه بهذا، فيجد من الارتياح ما يكون نعم الجواب. روى أن الحسن البصري دخل بيته فوجد حلقة من أصدقائه فيه قد أخرجوا طعاما طيبا وانكبوا عليه يأكلون، فتهلل سرورا وبشرا وقال: هكذا وجدناهم. أي أكابر الصحابة الذين أدرکهم. ويحكى أن أحد الصالحين قدم إلى بيته فأخبرته جاريته أن فلانا — وكان صديقه — قدم هنا فقدمت له طعاما وأكل، فسر لذلك وقال: إن صدقت فأنت حرة.

ليس الأمر واقفاً عند حد الأكل والشرب، ولكنه يبسط ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في أخلاقهم ومعاملاتهم، وتوابعهم وتعاطفهم. وإنما ضرب الأكل مثلاً لأنه أكثر ما تظهر فيه هذه الأخلاق، بل أكثر ما يجعل عنواناً لصفاء النفوس وكمال الصلة، ثم هو من الحاجيات التي تتكرر كل يوم لكل إنسان.

وأما قوله تعالى: (أو ماملستكم مفاتيحه) فذلك في شأن وكيل الرجل في ضيعته القيم على إدارتها، أو رعي حاشيته أو نحو ذلك: لا حرج عليه أن يتناول من ثمرها، أو يشرب من لبنها ما اعتيد مثله، لا أن ينقل أو يدخر. وذلك أن النفوس عادة تطيب بمثله. فإذا علم أن صاحبها لا تطيب نفسه بذلك وجب أن يمتنع، على ما صرح من قوله عليه السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه».

والمفاتيح: جمع مفتاح. وجمع المفاتيح مفاتيح. ولما كان عمل هذا الحكم هو الأكل بغير إذن، لأن الأكل بالذن لا يخص هذه الطوائف، كان ذلك دليلاً على جواز الدخول في هذه البيوت بغير إذن، مع مراعاة أحكام الآية السابقة في الدخول وأوقاته. ولذلك كانت تلك البيوت لا تعتبر حرزا في السرقة، فاستنبط منها بعض الفقهاء عدم الحد في السرقة منها، وسقوط الحد يكفي فيه الشبهة، وإلا فالحرمة متحققة، ووجوب الرد كذلك.

أما قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) فإنه كذلك إباحة للسكيفيات المتعددة التي تختلف الأنظار في تفضيل بعضها على بعض، فقد كان أناس يتعرجون عن أكل طعامهم وحدهم، وينتظرون أن يحضرهم من يشاركونهم فيه من ضيف أو ابن سبيل يؤاكله، وقد يمكث أحدهم يومه ينتظر ورود من يشاركه في طعامه، وكان هذا من العادات الموروثة عند العرب يتمدح بها، ويوصى على التزامها، قال شاعرهم:

إذا ما صنعت الزاد فالتسى له أكيلاً فاني لست آكله وحدي

وقد جاء في الحديث الشريف « شر الناس من أكل وحده، ومنع رفقاه، وضرب عبده » ومعنى الرفد : العطاء . والحديث ذم لمن اعتاد ذلك والتزمه ، بخلاً أن يشاركه أحد في طعامه . ونفى الجناح في الآية محمول على الحصول اتفاقاً بلا تعمد اختفاء عن المشاركين .

وكان أناس يعمدون إلى أكل كل منهم بانفراده ، حتى لا يحصل من أحدهم ما يتقزز به غيره ، أو لا تمتد يده إلى ما اتجه إليه بصر غيره . وكان أناس إذا نزل بهم ضيف رأوا ألا يأكلوا إلا معه ، وقد يكون لأحدهم مصالح تدعوه لتجيل أو تأخير ، فربما أوقعه ذلك في الحرج ، فزالت الآية الكريمة لنفي الجناح في ذلك ، وأباح كل كيفية ليس فيها إضرار بأحد أو منع رفقته . وهذا لنفي الجناح في الكيفية التي بها يتناول الطعام ، كما أن أول الآية لا بإباحة أصل تناول من طعام الغير . ولعلك تجد في التعبير بنفي الحرج في الأول حيث كان التوهم التضيق على المكاف في تناول طعام غيره ، وفي نفي الجناح في الثاني حيث كان المقام مقام تردد بين كيفيات كل يميل إلى كيفية ، لعلك تجد في هذا التعبير من الجمال والدقة ما هو جدير بالاعتبار .

أما قوله تعالى : « فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » فهو بيان للأدب الذي ينبغي أن يراعى في حال دخول تلك البيوت التي أذن الله بدخولها ، فكان الآية تشير إلى أن هذا الإذن ليس معناه الاقتحام مع إغفال الآداب وحقوق الموانسة ، بل ينبغي أن تبدوا دخولكم بالسلام على أهل تلك البيوت ، فهم منكم وأنتم منهم ، فما أحقكم بتبادل التحايا بعضكم مع بعض ، فسلموا عليهم ، فهم في المودة ولحمة القرابة بمنزلة أنفسكم ، فكانكم تسلمون على أنفسكم .

وكان في هذا إشارة إلى السر في إباحة تناول الطعام من هذه البيوت ، أي فإن من فيها بمثابة أنفسكم ، فكان الواحد منكم قد أكل في بيته . وقد قيل في توجيه قوله :

«فسادوا على أنفسهم» : إنه لما كان المسلم عليه يردّ النجية بمثلها أو أحسن منها، فكان المسلم مسلم على نفسه باستجابة السلام عليها .

وقوله : «نجية من عند الله» أصل النجية مأخوذة من قولهم : حيالك الله ، فكأنها طلب الحياة ، أو طلب صفوها وسعادتها وكاملها . وتعرف في كل نجية بأى لفظ وأى دعاء ولو كانت بغير لفظ الحياة . ومعنى أنها من عند الله : أنها نجية عظيمة بعظم من طلبت منه ، أو نجية مشروعة من عند الله ثابتة بأمره وإرشاده . والمباركة أى المحتوية على زيادة الخير للحيا والثواب للمحيى ، وطيبة أى أطيب بها نفس من نجونه بها ويستريح اليها .

( كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ) أى على هذا النحو جرت عادة الحق جل جلاله فيما يبين لكم من آيات تملأ حكمتها قلوبكم ، وتشمل رحمتها حياتكم ، وإذا تأملتم فيها وعقلتم ما احتوت من منافع وهدى ، رأيتموها من أجل نعم الله عليكم ، ومما يستوجب عظيم شكركم ، فهو يحلوها على هذا الوجه البين لعلكم تعقلونها ، فبزداد تمسككم بها ، وشكركم لله من أجلها ؟

ابراهيم الجبالى

## ذم البخل والبخيل

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : الشحيح أعذر من الظالم فقال : لعن الله الشحيح ولعن الظالم .

وقال بعض الحكماء : البخل جلاباب المسكنة . وقال : البخيل ليس له خليل .  
وقال بعض البلغاء : البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته .  
وقال بعض الشعراء :

إذا كنت جماعاً لما لك ممسكاً      فانت عليه خازن وأمين  
تؤديه مذموماً إلى غير حامد      فبأكله عفوا وأنت دفين

## حديث الغرائيق

ورد من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد عبد الحميد قاضى  
مدبرية دارفور سؤال يتلخص فيما يأتى :

إن مما ندين الله عليه تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به ،  
وأنه من عند الله ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ) .

وقد جاء فى بعض الكتب أن سبب نزول قوله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) أن النبي صلى الله عليه  
وسلم لما بلغ فى قراءة سورة النجم قوله تعالى : ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ  
الْأُخْرَىٰ ) ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى .

فكيف يتفق جريان مثل هذا على لسانه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى :  
( وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) ومع اعتقادنا بالعصمة ، وأنه النبي المعصوم ،  
وهو المقتدى به فى أقواله وأفعاله ؟

وقد بعثنا الى فضيلته جوابا مفصلا تلخيصه فيما يأتى :

## الجواب

الذى نعتقه ويجب أن يعتقه كل مسلم أن هذه القصة باطلة موضوعة ، فإن  
المسألة من أصول العقائد التى لا تكفى فيها أخبار الآحاد ، بل هى من القطعيات لا من  
الظنيات ، وإن البرهان العقلى لقائم على كذبها . ولنسق لك شيئا مما قاله أئمة النقل  
والعقل فى المسألة :

قال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضى عياض فى الشفاء :  
يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة  
بسند صحيح سليم متصل .

وفي البحر لأبي حيان أن هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا. وقال الشيخ أبو منصور المازندراني: الصواب أن قوله « تلك الغرائق العلي » من جملة إيهام الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين الشبه ليرتابوا في صحة الدين، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية، ويلزم على هذه الرواية أمور كثيرة كل منها باطل وغير معقول :

١ - منها تسلط الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم بالإجماع معصوم من الشيطان، ولا سيما في مثل هذا من أمور الوحي والتبليغ والاعتقاد، وقد قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) وقال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإذا كان ذلك في عباد الله المخلصين، فكيف بسيد الخلق أجمعين؟

٢ - ومنها زيادته صلى الله عليه وسلم في القرآن ما ليس منه، وذلك مما يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم لمكان العصمة.

٣ - ومنها اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس بقرآن أنه قرآن مع كونه متناقضا مع ما ذكر معه من الآيات غاية التناقض، فإنه ذم الأصنام بما لا مزيد عليه في هذه السورة، فقال: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) وقال في حق عابديها: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ) إلى غير ذلك. فكيف يقال إنهم فرحوا بمدح أصنامهم، وسجدوا معه في آخر السورة؟ وكيف ينسب ذلك التناقض الشنيع والخطأ الفظيع له صلى الله عليه وسلم؟

٤ - ومنها أنه إما أن يكون معتقدا ما فهموه من مدح آلهتهم ، وهو محال عليه صلى الله عليه وسلم ، أو غير معتقد ، فيكون مقرا لهم على الباطل ، بل على الكفر .  
٥ - ومنها كونه صلى الله عليه وسلم اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه الملك ، وهو يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم على غير بصيرة فيما يوحى إليه .

٦ - ومنها أن هذا يوجب جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا على النبي ، ولا يصح ذلك كما أوضحه القاضي عياض في الشفاء . وقال أبو بكر بن العربي : تصور الشيطان في صورة الملك ملبسا على النبي ، كتصوره في صورة النبي ملبسا على الخلق ، وتسليط الله له على ذلك كتسليطه في هذا ، فكيف يسوغ في لب سايم استجازة ذلك !

والحاصل أن حديث الغرائق مخالف للقواطع ، وأنت تعلم أن تفسير الآية أعنى قوله تعالى : ( وما أرسلناك ) لا يتوقف على ثبوت أصل لهذه القصة . وسنسهك شيئا في ذلك . وكون الشيطان ألقى ذلك على لسان بعض الرواة أقرب في العقل من كونه ألقاه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعد ذلك كله يلزم على ما ذكرناه أن يكون للشيطان تسلط على وحي كل رسول وكل نبي زيادة على تسليطه على القرآن العزيز ، لقوله تعالى : « من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » فإن الآية تقتضى على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه جميعا ، إذ الضمير في « تمنى » يعود الى ما قبله من الرسول العام ، إذ هو تكرة واقعة في سياق النبي ، وقد اقترنت بمن الاستغراقية ، وهي حيثئذ تكون نصا في الموم .

ولا نزال نكرر أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين ، فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء . وقد قدمنا لك أن الأصوليين عدوا الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الخبر الذي يجب أن يقطع بكذبه .



وقد علم ما للناس في ابن أبي صالح كاتب الليث وأن المحققين على تضعيفه، ولا نطيل في ذلك، ويكفيينا قول البيهقي وأمثاله من أئمة الحديث فضلا عن تلك الحجج العقلية. وأما قول من قال إنه تكلم بذلك ساهيا أو ناعسا، فيرده ما قرروه في علم النفس من أن الإنسان لا يتكلم حال عدم الشعور إلا بما يكون مستقرا في نفسه، منتقشا في قلبه مستوليا على لبه، فيظهر حينئذ على لسانه من غير قصد ولا روية. وهل يمكن أحدا أن يقول إن مدح الأصنام كان في نفسه صلى الله عليه وسلم حتى يظهر على لسانه ساهيا أو ناعسا؟ اللهم إن ذلك غير معقول ولا مقبول!

#### تفسير الآية على سبيل الإجمال:

المراد من الآية على سبيل الاختصار أن الله تعالى ما أرسل رسولا من الرسل ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتعنى الإيمان لأئمة، ويحبه لهم، ويرغب فيه، ويحرص عليه كل الحرص، ويعالجهم عليه أشد المعالجة، وفي جملتهم نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قال له الرب سبحانه وتعالى: (قَلَمَكَ بَارِئُ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) وقال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) وقال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وقال: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى. ثم الأمة تختلف كما قال تعالى: (وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) فأما من كفر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوسوس القاذحة في الرسالة الموجبة لكفره. وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وسوس، لأنها لازمة للإيمان بالذنب في الغالب، وإن كانت تختلف في الناس بالشدة والضعف، والقلة والكثرة، فعنى تمنى: أنه يتعنى الإيمان لأئمة، ويجب لهم الخير والرشد، والصلاح والنجاح، فهذه أمنية كل رسول ونبي، وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يليق به في قلوب أمة الدعوة من الوسوس الموجبة لكفر بعضهم، ويرحم الله المؤمنين فينسوخ ذلك

من قلوبهم ، ويُحْكَمُ فِيهِمُ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرَّسَالَةِ ، وَيُبْقَى ذَلِكَ عَزْ وَجَلَّ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ لِيَفْتَنُوا بِهِ . فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْوَسَاوِسَ تَلْقَى أَوَّلًا فِي قُلُوبِ الْفَرِيقَيْنِ مَعًا ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَدُومُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَتَدُومُ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وصفوة القول : أن التفسير الصحيح لهذه الآية هو الذي يجمع بين أمور ثلاثة :

العموم الذي في أولها ، والتعميل الذي في آخرها من قوله تعالى : ( لِيَجْعَلَ مَا يُنَاقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) ، مع كونه يعطى الرسالة حقها . وقد سمعت القول الفصل في ذلك ، وليس يخفى عليك ما سواه ، والله يتولى هدايتنا جميعاً بمنه وكرمه .

يوسف الرمزي

## فضيلة الحلم والتجاوز

روى أن رجلاً أكثر يوماً من سب الأحنف بن قيس ، فلم يجبه بشيء ، فقال الرجل : والله ما منعه من جوابي إلا هوانى عليه !

وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء :

نجا بك لؤمك منجى الذباب حتمه مقاذيره أن يتالا

وأسمع رجل ابن هبيرة كلاماً مقدماً ، فأعرض عنه . فقال له الرجل : إياك أعنى . فأجابه ابن هبيرة : وعنك أعرض !

وفي مثل هذا الرجل يقول الشاعر :

فأذهب فأنث طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنث ذليل

وقال عمرو بن علي :

إذا نطق السفية فلا تجبه خفي من إجابته السكوت

سكت عن السفية فظن أنى عيت عن الجواب وما عيت

وقال بعض الحكماء : احتمال السفية خير من التحلي بصورته ، والانعزاء عن الجاهل خير من مشاكسته .

## شهادة كبار الفلاسفة والمؤرخين

لنبي الأعظم صلى الله عليه وسلم

المؤرخ الانجليزى المشهور المستر ( بوسوورث سميث ) بتاريخ خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه ( محمد والدين المحمدى ) فأظهر إنصافا يستحق أن يسجل له ، قال فى عرض كلامه عنه :

« وكما كان محمد رئيسا للدولة كان رئيسا للدين أيضا ، أى أنه كان قيصرًا وبابا فى شخص واحد ، ولكنه كان بابا فى غير مزاعم البابا ، وقيصرًا دون أن يكون له جيوش قيصر . فإذا حق لا إنسان أن يقول عن نفسه إنه يحكم بحق إلهى فقد كان ذلك الإنسان محمداً ، إذ كان حاصلا على كل سلطان الحكم لا من طريق وسائله العادية ، ولا بمقوماته المعروفة .

« كان محمد فى وقت واحد مؤسساً لآمة ، ومقياً لمبراطورية ، وبانياً لدين . وهو وإن كان أمياً فقد أتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا ، وأخلاقا عامة ، وكتبا مقدسة فى كتاب واحد ، وهو كتاب يقده الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلالة الحق ، كان يقول عنه محمد إنه معجزته الخالدة . حقا إنه لمعجزة .

« ثم إذا نظرنا الى ظروف الأحوال ، والى ما كان لمحمد من الاحترام الفائق الوصف عند أتباعه ، وقرآنه بأباء الكنيسة وبقيسى القرون الوسطى ، فإن أدعى شئ للدهش فى محمد أنه لم يدع قط القدرة الذاتية على إحداث المعجزات . نعم كان يفعل ما يقول ، وكان أتباعه يرونه يقوم بتحقيق كل ما يقول ، أفتريد بعد هذا برهانا قاطعا على صحة صدقه وإخلاصه ؟

« لم يحرص محمد الى آخر حياته على شئ إلا على ذلك اللقب الذى تلقب به من أول

أمره ، وهو لقب اعتقد بأنه سيأتي يوم ترضى فيه أرق فاسفة ، وأخلص مسيحية أن تسلم له به ، وهذا اللقب هو أنه رسول ، رسول الله حقا ، انتهى .

نقول : لقد وفق المستر (بوسوورث سميث) الى الصواب كله فيما ذكره عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكثر ما أعجبنا به من عبارته قوله : إنه يعتقد بأنه سيأتي يوم تسلم فيه أرق فلسفة وأخلص مسيحية بأن محمدا كان رسول الله حقا .

نعم : وكيف يعقل غير ذلك وكل ما في حال النبي صلى الله عليه وسلم يوجب التسليم له بالنبوة ؟ قال المؤرخ والفيلسوف الانجليزى المشهور (كارلايل) عند ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم في كتابه (الأبطال وديانة الأبطال) ما مؤداه : أرايت إن ادعى لك رجل بأنه بناء ، أكنت تطلب اليه دليلا على صدقه أكثر من أن يبني لك شيئا يوجب عليك التسليم له بهذا الوصف ؟ فما ظنك لو شيد لك بناء يسع مائتى مليون من النسمات ، ويبقى ما بناء سليما من العطب قرونا كثيرة ؟ فهذا محمد قد أعلن الناس أنه نبي ، وأتى لهم بدين دخل فيه نحو مائتى مليون منهم ، وبقي الى عهدنا هذا قوى السعائم ركين الأركان ، وأهله أشد تمسكا وحباله من أهل أى دين كان لدينهم ، أنض عليه بوصف النبوة وقد أقام على صدق قوله هذا البرهان ؟

نقول نحن : هذا دليل محسوس يرضى به الفيلسوف المؤرخ الكبير وكبار العقول من العلماء ، ولكن قد لا يرضى به صغار العقول من الذين يتخيلون أن الصفات الذميمة من التدليس والتزوير قد توصل الى النجاح الكبير ، وتقوم مقام الصفات النفسية العليا من الصدق وتقديس الحق ، بل منهم من يتوهم أن تلك أفعال في تحصيل الصيت البعيد والفوز العظيم من هذه . فمع هؤلاء يعجز التعليل ، ولا يجدى الدليل ، لا لضعف فيهما ، ولا لقصور منهما ، ولكن لجهل أولئك الخاططين ، وعمايتهم عن حقائق الشئون .

لا تنكر أنه قد يبلغ المجد الكاذب رجل يعتمد على خسيس المحاولات استغلالا لجهل الناس أو ضعف أخلاقهم ، ولكن ذلك لا يخفى على أعبي رجل من معاصريه ،

فيعلم أنه ما وصل الى ما وصل اليه إلا من طريق الخداع واللقى والتليس ، فإذا مات تولاه التاريخ فكشف من حاله ما كان مستترا ، ونقده نقد الصيرف للدينار الزائف ، وبطل عمله كما يبطل كل ما لم يبن على أساس صحيح . فإن كان يخلط عملا سيئا بآخر صالحا فارق التاريخ بين سيئه وصالحه ، كما يفرق المحك بين الذهب الخالص وما شابه من الخبث الدخيل ، وعين النسب المضبوطة لكل منهما . ولولا ذلك لكان أمر الناس فوضى ، وشأنهم مرتبكا مشوشا ، ولما كان للأعمال قسطاس مستقيم ، ولما ألهم الناس مدح الفضائل وذم الرذائل منذ أن برأ الله الخلق الى اليوم .

إن الخبط بين الحق والباطل ، والصالح والطالح ، مستحيل في الأمور الطبيعية البحتة ، فلا يمكن أن تصادف فيها شيئا لا يجرى منها على قانون ثابت ، ونظام حكيم ، أفيقل أن يكون ذلك جازا في الأمور المعنوية كالآداب الفاضلة والأخلاق الذميمة وهي أوضح عند الناس وأولى بأن تنال إجماعهم عليها .

وإذا كان هذا مصير الباطل في حياة الأفراد ، وذاك حاله من علم المعاصرين ونقده التاريخ ، فما ظنك به فيما يختص بحياة الجماعات التي عرف بوجه خاص أن شئونها مرتبطة بنواميس مقررّة ، ونظم ثابتة ، ابنتى عليها علم هو أرفع جميع العلوم ، وهو علم الاجتماع البشرى . فهل مما يعقل والحالة هذه أن يقوم في جماعة منها مداس فيجمع شتمتها ، ويوحد كلمتها ، ويقوم وجهتها ، ويمين غايتها ، ويأتى لها بقانون حكيم يضمن حياتها ، ويقيم أودها ، ويكفل سلامتها ، ويقود تطوراتها ، ويحي عواطف الصلاح والاستقامة في نفوسها ، ويملؤها روحا وقوة وثابة تدفعها للنهوض المادى والأدبى على حال يحصل لها زعامة العالم وخلافة الله في الأرض ؟

هذا أمر يوجب الدهش ، فكيف يعقل من لديه مسكة من عقل أن نفسا مريضة منحلة كنفس مدلس كذاب تكون مصدرا لحياة أمة برمتها ، فتنتقلها من الظلمات الى النور ، وتدفعها في طريق الحياة الصحيحة حتى تبلغ بها الى زعامة العالم ، وهي درجة لا تنال

اعتباطاً، ولكنها تتوقف على علم وعمل، وفضائل خلقية ونفسية، وعلى فخر معنوى تستمد منه الأمة في كل طور من أطوارها قوة على مكافحة المعضلات، ومقاومة المحللات من كل ضرب؟

إن نشوء الأمة الإسلامية وقيامها وانتشارها في الأرض، واضطلاعها بالخلافة الإلهية في العالم كله، وتأسيسها للدولة بلغت من سعة الملك وقوة السلطان إلى عالم تبلغ إليه أمة قبلها ولا بعدها، قد دوى في العالم دويًا لا يزال صدهاء برن في الآذان إلى اليوم، وقد تغيرت له خريطة العالم كله، وقامت به أمة وسقطت أمة، وماتت به لغات وحييت لغات، أفيعقل أن تكون عوامل هذا الحادث الجلل الذي لم تر الأرض ما يشبهه مرتكزة على أساس من الكذب والزور والتدليس، ودعامة من الختل والخديعة والتليس؟

اللهم إن هذا محال! ويدل التأمل المجرد عن الهوى في هذا الأمر أن نحمدا كان نبيا حقا وخاتم المرسلين، وأن أرقى فلسفة وأخلص مسيحة كما يقول المستر (بوسوورث سميث) ستسلم له بذلك كل التسليم، صلى الله عليه وسلم صلاة وتسليما يكونان إزاء مقامه المحمود، وفضله المشهود

محمد فريد وجدي

## آداب الكلام

روى أن أعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال، فقال له النبي: كم دون لسانك من حجاب؟ فقال الأعرابي: شفتاي وأسنانى. فقال له: فإن الله عز وجل يكره الانبعاث في الكلام، فنضر الله وجه امرئ أوجز في كلامه فاقنصر على حاجته.

وقال بعض الحكماء: كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجليل، واقنصر منه على القليل.

وقال غيره: الحصر خير من الهذر، لأن الحصر يضعف الحجة، والهذر يتلف المحجة.

## فضل الأخوة والألفة وشروط الصحة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). وعن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ نِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه مسلم.

المسك: طيب معروف، وهو من أطيب الطيب. والكبير: المنفاخ الذي تفرم به النار. ومعنى يحذيك: يعطيك. وتبتاع: أى تشتري.

المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. والألفة: عقد روجي بين الناس، يؤلف بين قلوبهم، ويفرق بين مصالحهم، ويكمل توادهم. معين على مرافق الحياة، مساعد على الصدق في تبادل المنافع، يشعر كلاً من المتآلفين بأن مصلحته مرتبطة بمصلحة أخيه، فيسعى فيها ويساعد عليها كما يسعى في مصلحة نفسه. وأبلغ ما يشرح فائدتها تشبيهها بالتساند في البنيان يشد بعضه بعضاً، كما جاء في الحديث الذي يشرح حال المؤمن مع المؤمن، أو بأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما جاء في الحديث الآخر، وكلاهما يشرح الأخوة التي دلت عليها الآية الكريمة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ).

فهذا كانت الأخوة والألفة نعمة من الله أنعم بها على عباده، كما جاء في قوله تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) ولقد أشار الى عظيم اللذة فيها في آية أخرى، بإسنادها الى ذاته، وتجربتها عن مدخلة غيره، في قوله عز من قائل : (هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وكل شئون الحياة تملى حكما يتنا لا خفاء فيه : أن المرء بحاجة الى إخوانه ومعاونيه ، لا يكاد يستغنى في أمر عن الاستعانة بهم . وقد قالوا : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

وأكبر مظاهر الأخوة والألفة ارتياح النفس للنفس ، وميل الطبع الى الطبع حتى تمتزج الغرائز، وما أرفها وأسرعها الى الامتزاج ! فترى الإلفين يسرى الى كل منهما من طبع صاحبه حتى يصيرا كالطبع الواحد، فينشأ منهما مزاج وسط جامع لخواصهما جميعا ، وقد تتمكن صفة وخاصة في أحدهما فتسرى بكل خصائصها الى الآخر بدون أن تأخذ منه شيئا ، والتجارب شاهد عدل .

وإنه لما يقوى تأثير أحد الطبعين في الآخر وتغلبه عليه ، أن يساعده ميل النفوس الى الهوى ، والهوى يقظان لا يغفل ، بينما داعي العقل والهدى تدركه السنة والنوم والغفلة ، فكان الخوف من فساد الطبع السليم أشد بالاختلاط بالطبع السقيم من الأمل في صلاح المريض بمخالطة السليم، وقد قالوا : يمرض السليم بعدوى المرض ولا يبرأ المريض بعدوى السلامة . اللهم إلا إذا أسعده الحظ ، وخالط طبيبا معالجا ، وناصحا أميناً وهاديا حكيما ، فقد يرجى له السلامة على يديه، والانتفاع بنصحه وتذكيره ، والذكرى تنفع المؤمنين . وإن تأثير المريض في السليم من باب الانحدار والهدم والعدوى ، وتأثير السليم في المريض من باب الارتقاء والبناء والعلاج ، والفرق بينهما مما لا يكاد يحمله أحد .

هذا الذي نذكره هو أكثر ما يجري بين الناس ، لأن الغالب في الطباع المرونة والاستعداد للانتقال تبعا للتزيين والاستحسان . وقد يكون من النفوس ما استقر



على حالة من خير أو شر ، فيمتعاضى عن التغير والتبدل ، ولذلك قال بعضهم : « الناس أربعة : اثنان قد تبين أمرهما وكفيت تجربتهما ، واثنان أنت منهما على تجربة ، فأما اللذان تبين أمرهما وكفيت تجربتهما ، فصالح بين فاسق وفاسق بين صالحة ، فلو كان للصالح الى نفس هذا أو للفساد الى نفس ذلك من سبيل ، لكان في بيئته وغالطته ما يكفي لتبديل حاله ؛ وأما اللذان أنت منهما على تجربة ، فصالح بين صالحة وفاسق بين فسقة ، فلعل أحدهما لو كان في غير بيئته لكان حاله غير ما تراه . »

يبد أن الأمن على الطباع أن تسوء وتتغير لا يقطع دابر المفسد التي يحرمها الاختلاط بالسيئين والأشرار ، فقد تكون مضارم في توجيه ضرورم اليه إذ لم يكن شريكاً لهم في الشر . وكما ترى من حرص الأشرار على حمل خطائهم أن يشاركهم في مفسداتهم وضرورم ، فإذا ينسوا منهم دبّروا لهم من الكيد والخفوا بهم من الأذى ما لا قبل لهم باحتماله . ولعل حرص الأشرار على تعديم ضرورم ودعوتهم الغير الى التأسى بهم أكثر من حرص بعض الأخيار على تعميم الدعاية لهدايتهم بل لو أمنا هذه الناحية وكان المخالط لهم من القوة والمكانة بحيث يعتصم منهم ، لكفاه التضرد برؤية الشرور ، والتأذى بمشاهدة المفسد ، وهذا هو ما يشير الحديث اليه بقوله : « أو تجد منه ريحاً خبيثة » فإن لم يتأذى بمشاهدة تلك الشرور والمفسد فقد صرنت نفسه عليها ، فلييك على نفسه ، وليعلم أنه اطمان اليها ، إذ ضعف أو زال تأذيه بها ، وهذا باب الخسارة ، وبوشك أن يألفها ويستحسنها ، ثم يقارفها وينغمس فيها . وللشيطان مسالك لا يتنبه لها المرء إلا إذا أخذ حيطته من بعيد . ولذلك قالوا : إن المكروه حجي ، من قارفه وانغمس فيه انحدر منه الى الحرام ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

لا إخالك بعد هذا إلا مقتنماً بأن الوحدة خير من جليس السوء ، وممثلةا بعقيدة أن جليس السوء كنافخ الكير : إما أن يحرق نياك ، وإما أن تجدد ريحاً خبيثة ، فأحراق الثياب ، بالمشاركة وسريان الطباع ، أو بنزول آثار الشرية . والريح الخبيث ما تجده من الاستمرار لمشاهدة السيئات .

أين هذا من الجليس الصالح ؟ فأنت بين أن تفتدى به وتمتدى بسيرته ، وبين أن تغتبط بمشاهدة الآثار الصالحة والآداب الكريمة تتجلى بها النفوس الطيبة الطاهرة ، وإن لمشاهدة ذلك الذة يشعر بها من لديه شعور ، ولم تتحجر نفسه الى درجة الفجور والعراقة في الإجرام ، حتى إن من يلم بالمعاصي ، ويأتى في بعض حالاته شيئاً من المنكرات ، تجده يهش لرؤية آثار الخير تبدو على نفوس الأصفياء الطاهرين ، فإما أن يهتدى بهم ، وهو أبلغ منفعة تصل من الأخ لأخيه ، وإما أن يناله قسط من حسن المعاشرة ، وهو المرتبة الثانية . وقد أشير إليهما بالتشبيه بأن يتتبع منه ، أو يحذيك أى بمنحك . والثالثة وهى مرتبة أن تسر لرؤية آثار الخير ولو من الغير نحو الغير — بالتشبيه بأن تجد منه ريحاً طيبة .

أفلا ترى مع هذا البيان صدق قولهم : الجليس الصالح خير من الوحدة ؟ نعم : تكون الوحدة خيراً من جليس السوء إذا لم يكن المرء ممن ينتظر منهم النفع والتأثير ، وإلا فن كان بهذه المثابة ينبغي أن ينزل نفسه منزلة الطبيب يباشر المرضى لعلاجهم ، ويتعدهم لإصلاح شأنهم ، فإذا أفلح فقد دخل في مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : « لأن يهذى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وإن فشل فلم يخسر شيئاً من جزائه عند ربه على ما أبلى وجاهد في صلاح قومه وعشيرته ، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

نسأله جل شأنه أن يجعل الهداية رائدنا ، وحسن النية قائدنا ، والنفوز بالسعادة غايتنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل م  
ابراهيم الجبالي

## الصواب والهدر من الكلام

قال الهيثم بن صالح لابنه : يا بني إذا أقلت من الكلام أكثرت من الصواب .  
وقال أبو عثمان الجاحظ : للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا الى الاستئصال والملال ، فذلك الفاضل هو الهدر .

# مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

اتضح وهن أصوله وضعف أسانيده

لقد شغلت عقول الفلاسفة منذ القدم مسألة ظهور المخلوقات وتنوعها من الناحية العلمية البحتة، فخطبوا في حلها خبط عشواء، وتأدّوا إلى آراء أشبه بأحاديث العجائز، واستمرت الحال على ذلك، وظهر الفيلسوف ( لا مارك ) الفرنسي في القرن الثامن، فأثنى بمذهب افتتن به كثير من العلماء، وما كاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى اشتهر الأستاذ الإنجليزي (شارل دارون) بمذهب جديد في تعليل نشوء الأنواع، كان له دوى كبير، ولم يمس عنه أكثر من عشر سنين حتى عم الفارّتين، وأصبح معول الذين يشتغلون بمثل هذه المسائل، وسرى هذا المذهب إلى الشرق فوجه فيه كتاب تطوعوا للدفاع عنه، موهمين قراءه أنه الكرامة الأخيرة للعالم في هذا الموضوع.

ولكن رجال العلم في أوروبا ما برحوا يوسعونه بحثاً وتمحيصاً، ويقلبونه على كل وجه، حتى انضح لهم بفضل مكتشفات جديدة في عالم الأحياء، أنه كسكل المذاهب التي سبقته: لا يمثل الحقيقة في شيء، وأن أصوله التي كان أشياعه يتبنون بها إعجاباً ظهر أنها لا ترتكز على حقائق ثابتة.

ولما كانت هذه المباحث من الخطورة بكان، رأينا أن نأثني فيها على ما كتبه عنها الأستاذ الدكتور (جوستاف جوليه) المدرس في جامعة السوربون بفرنسا ماخصاً من كتابه ( من لا شاعر إلى شاعر ) قال :

إن العقبات التي يرتطم بها مذهب النشوء والارتقاء يمكن حصرها في خمس، وهي :  
( أولاً ) العوامل التي يقوم عليها هذا المذهب قد ظهر عجزها في تعليل أصل الأنواع  
( ثانياً ) قد تبين عدم كفايتها لتعليل وجود الحشرات .

( ثالثاً ) قد انكشف عدم غناها في تفسير التحولات الفجائية المولدة لأنواع جديدة

(رابعاً) قد اتضح قصورها عن تعميل تولد طبائع الأنواع الجديدة وثبوتها نهائياً. وقد ثبت أنها متى تولدت فيها بسرعة تبقى ثابتة لا تتغير .

(خامساً) ثبت عجزها عن تفسير عوامل التطور الذي تدخل فيه الكائنات ، فتحولها من حالة ساذجة الى حالة مركبة ، وتدفعها من النقص الى الكمال .

فلنشرح كلاً من هذه الأمور الخمسة ، فنقول : ليس من الصعب أن نبين أن كلا المذهبيين : مذهب دارون ومذهب لامارك ، لا يستطيعان أن يفسرا لنا كيف تتولد الطبائع الخاصة بتويع جديد .

يقول دارون : إن أي تغير يطرؤ في الصفات المميزة لنوع من الأنواع أو لأحد أفرادها يعطى هذا النوع أو ذاك الفرد ميزة قيمة تميزه عن غيره في تنازع البقاء ، يجب أن تكون هذه الميزة ذات أثر ظاهر ليتمكن أن يتفوق بها على سواه .

وبناء على هذا لا يعقل أن عضوا قريب عهد بالنشوء ، أو تغيراً في أول أدواره ، يحدث اتفاقاً <sup>(١)</sup> لسكان واحد أو لجماعة من الكائنات يمكن التفوق به وهو على تلك الحالة الساذجة .

هذا مما يمكن الاعتراض به في هذا الموطن ، وهو أنه ليس من العلم ولا من الفلسفة في شيء أن نجعل الاتفاق عاملاً رئيسياً في إيجاد التطور .

يقول دارون : إن المصفور نشأ من الزواحف . ولكننا لا نعقل أن صورة أولية من جناح تولدت بالاتفاق ، تكنى أن تعطى لأحد الزواحف أقل ميزة ( أي يستطيع بها الطيران ) كما لا يعقل أن ما تولد بالاتفاق يكون له صفة الثبوت بحيث يستطيع الاستفادة منه والانتقال بواسطته الى تكوين نوع جديد لم يكن موجوداً من قبل . وليس مما يفهم أن يحدث عضو كالجناح بحض تأثير الاتفاق .

(١) يشير المؤلف بكلمة اتفاق إلى ما يزعمه من أن التغيرات التي تطرأ على الأنواع وتبينها إلى التطور تأتي من طريق الاتفاق لا من طريق تأثير البيئة كما ذهب إليه لامارك .

والانتخاب الطبيعي الذي هو أساس مذهب دارون لا يمكن أن يحدث بوساطته أعضاء تتولد على هذا الأساس الواهي من العماية والخبوط .

فلننظر الآن في مذهب لا مارك : إنه يدعى أن حدوث الأعضاء الجديدة التي تولد الأنواع الجديدة بين الكائنات يحصل بتأثير البيئة . أى أن الكائن الحي قد يشعر من تغير الأحوال عليه بضرورة حدوث عضو جديد له ، فينفع للحصول على ذلك ، فيحدث في أحاده يسيرا يسيرا ، كالظرافة ، فقد كانت في زعمه كسائر الحيوانات ذات عنق قصيرة ، ولكنها لما احتاجت الى أكل أوراق الأشجار العالية ، صارت تنفع لذلك وتشرب لتناول الورق العالي ، فطالت عنقها يسيرا يسيرا حتى وصلت الى ما هي عليه الآن . فالحاجة هي التي تنشئ الأعضاء الجديدة عند لا مارك لا الاتفاق ، كما هو عند دارون .

هذا المذهب إن أمكن به تحليل بعض الخلافات العضوية الثانوية ، فإنه يعجز كسابقه كل العجز عن تحليل التحولات الكبيرة في عالم النبات والحيوان ، لأن هذه التحولات تقتضى حدوث تغيرات ذرية وسريمة ، لا بضع تغيرات تافهة وبطيئة . فهذه التغيرات التافهة البطيئة تزول بتوالي العوامل عليها أولاً فاولاً ، أو تنكس الى زوائد ضارة .

إن التحول من الحياة المائية الى الحياة الأرضية ، ومن هذه الى الحياة الهوائية لا يمكن أبداً أن يعتبر من نتائج تأثير البيئة . فإن أسلاف هذه الأنواع التي اعتادت الحياة في بيئاتها الخاصة لا يعقل أنها شعرت بالحاجة الى تغييرها ، ولو كانت شعرت بتلك الحاجة لما استطاعت أن تغير من شكل تركيبها الطبيعي .

فكيف يعقل أن الحيوان الزاحف الذي كان سلفاً لطائر يتولد منه ، أمكنه أن يتناسب هو وبيئة لم تكن له ، ولم تصبح له إلا بعد أن تم تحوله طائراً ؟ ومثل هذا يقال في تحول الأسماك من الحياة المائية الى الحياة الأرضية . والموطن

الذى تظهر فيه استحالة التحول بواسطة ناموس التلاؤم<sup>(١)</sup> استحالة صارخة هو موطن تطور الحشرات ، فإنه لا يوجد أية علاقة بيولوجية ( أى حيوية ) بين الحالة الدودية التى تكون عليها كل حشرة فى أول عهدها بالوجود ، وبين الحالة التى تكون عليها وهى حشرة نامة التركيب ( أى طائرة أو زاحفة ) فلم يتوصل أحد الى معرفة أسرار التطورات التى تدخل فيها الحشرة التى تعودت الحياة الدودية تحت الأرض أو فى لجج المياه ، فينشأ لها بالتدرج أجنحة تسبح بها فى الهواء ، وهى حياة كانت مجبوبة عنها ، وليس لها أقل علم بها .

ومتى أدرك الإنسان أن هذه السلسلة الخفية من التطورات قد تحققت لامرأة واحدة من طريق المعجزة الطبيعية ، ولكن عددا من المرات ، بقدر ما يوجد من عدد الحشرات ذوات الأجنحة ، نقول : إذا أدرك الإنسان ذلك ، يتقن أن لا أمل له فى إدراك تعليق ظهور هذه الأنواع على العوامل اللاماركية ، ويرى عرض الحائط كذلك بالعوامل الدارونية .

وبناء على هذا فإن اللاماركية والدارونية تستويان فى المعجز عن إعطائنا تفسيراً عاماً لظهور الحشرات ينطبق عليها فى جميع الأحوال .

يزعم بمض اللاماركيين الجدد مثل الأستاذ ( باولى ) أن لعناصر الأجسام وللأجسام أنفسها بل وللتبائنات والمعادن نوعاً من الإدراك لذواتها ، وهذا الإدراك يقود جميع تطوراتها وملاءماتها ، فإنه ليسأهد فى سلسلة جميع درجات التطور جهد مستمر مقصود لتحقيق ملاءمة الكائنات عند انتقالها الى حالات جديدة .

( نبادرنح هنا قبل إتمام كلام الأستاذ (جوستاف جوليه ) الى إظهار ما فى قول الفيلسوف ( باولى ) من البعد عن التحقيق العلمى ، فإننا لسنا حيال تصيد افتراضات

(١) يريدون بناموس التلاؤم : القوى التى تدفع الكائن الحى إلى ملاءمة بيئته الجديدة غير بيئته الأصلية .  
ويضفهم يسميها ناموس المطابقة .

أيا كانت لسد فراغ عمليات مسألة ثانوية ، ولكننا بصدد مسألة علمية لا يصح ابتناؤها على الفرض والتخمين ، هي تفسير تنوع الأنواع بالعلل الطبيعية البحتة ، فإن لم يُسدّ الفراغ الذي فيها بقرارات يقينية أصبح بناؤها كله متداعيا للسقوط ، كما هي الحالة التي انتهت إليها اليوم . وإنا لنعجب من عالم كالأستاذ (باولي) يزعم — لأجل أن يرتق هذه الفتوق في مذهب النشوء والارتقاء — أن لعناصر الأجسام والأجسام أنفسها ، بل وللنباتات والمعادن نوعان الإدراك لذواتها ، وهذا الإدراك هو الذي يقود تطوراتها . فإذا كان هذا الفرض يسوغ لرأب صدوع مذهب دارون رأبا سطحيا ، فهو لا يسوغ لإظهار هذا المذهب بمظهر مذهب واجب الاحترام ، ما دام يستمد أصوله من عالم الخيالات والتصورات الشعرية ) .

نعود الآن لنقل بقية ما قاله الأستاذ (جوستاف جوليه) قال :

أما الأستاذ (نايجلي) فإنه أبعد مدى في هذا الموطن ، فقد زعم أن الأجسام تحتوي على نوعين من البلاسما أي من المادة الحية ، إحداها مغذية والأخرى منوعة . وهذه تمتاز بميل باطني إلى التطور مستوف جميع القابليات للتحويل والتكامل . وهذه القابليات هي من الخصائص الأصلية للحياة ، وقد انسافت للعمل من أول عهد وجود الكائنات الحية ، أما العوامل الخارجية فلم تفدها إلا في تيسير الملاءمات الجديدة عليها ، ولكن هذه العوامل وحدها تعجز عن إحداث أي تطور في تلك الكائنات . انتهى ونحن نقول : حقا لقد أبعد الأستاذ (نايجلي) في المدى ، فقد قسم البلاسما إلى نوعين بدون دليل ولا إثارة من علم ، ومنح أحدهما خاصة مستوفية لجميع القابليات التحويلية والتكاملية دون أن يجري على الأسلوب المقرر للبحث في خصائص الأشياء من إقامة التجربة أو البرهان دليلا على ما يدعى ، فأصبحت مذاهب النشوء والارتقاء مجموعة افتراضات لا تقف أمام النقد . فإذا كان هذا كله هربا من القول بوجود قدرة إلهية مدبرة للكائنات صغيرها وكبيرها ، ومهيمنة عليها ، يمكن الاستدلال عليها عقليا

وعلميا ، فقد لجأ الماديون الى افتراضات خيالية لا تقوى على أضعف نقد يوجه اليها . وما دامت المسألة مسألة افتراضات ، فقد تركوا الباب مفتوحا لما لا يحصى من أمثالها ، وبذلك تخرج مسألة النشوء والتطور من حظيرة الأمور العلمية ، الى باحة المسائل الخيالية ، وكفى بهذا مسقطا لسلطانها على العقول .

نعم : إن لجأ هؤلاء النقاد الى مثل هذه الافتراضات — يعنى هدم مذهبي لامارك ودارون من أساسيهما ، ولكننا نطمع منهم في أكثر مما فعلوا — فإن وقوفهم عند حدود الافتراضات الخيالية لا يخرجهم من اللاماركية والدارونية فحسب ، ولكن من المجال العلمي نفسه ، فإن العلم يجب أن يبتنى على المشاهدة والتجربة كما يقول ( باكون ) واضع الدستور العلمي ، لا على أمثال هذه الخيالات .

ننظر في المقالات الآتية في بقية الوجوه التي سردها الأستاذ ( جوستاف جوليه ) في دحض مذهب لامارك ودارون .

محمد فريبر ومبرى

## كلمات مأثورة في العلم

قيل للمهلب : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فإن غيرك قد علم أكثر مما علمت ، ولم يدرك ما أدركت . قال : ذلك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

وقال مهمل بن هرون وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه . وقد يرغب عن بعض العلم ، كما يرغب عن بعض الحلال .

فقال له المأمون : قد يسمى بعض الناس الشيء علما وليس بعلم ، فإن كان هذا أردت فوجه الذي ذكرت . ولو قلت أيضا إن العلم لا يدرك غوره ، ولا يسبر قعره ، ولا تبلغ غايته ، ولا تستقصى أصوله ، ولا تنضب أجزاؤه ، صدقت . فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأهم فالأهم ، والأوكد فالأوكد ، وبالفرض قبل النفل ، يكن ذلك عدلا قصدا ، ومذهبا جميلا وقد قال بعض الحكماء : لست أطلب العلم طمعا في غايته ، والوقوف على نهايته ، ولكن التماس ما لا يسع جهله . فهذا وجه لما ذكرت .



## نقض شبه القاديانية

- ٢ -

ينكر داعية القاديانية أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ويذهب الى أن ( خاتم النبيين ) في الآية بمعنى أفضل النبيين أو زينتهم ، وأورد في الاستدلال على أن لفظ خاتم يستعمل بمعنى أفضل أو زينة ، حديثاً هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس رضى الله عنه : « أنت خاتم المهاجرين في الهجرة ، وأنا خاتم النبيين في النبوة » . وهذا الاستدلال مدفوع بأن الذى ورد في كتاب أسد الغابة : أن العباس استأذن للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له : « يا عم أقم مكانك الذى أنت به ، فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة » وقرأنا فى كتاب الإصابة أن العباس « هاجر قبل الفتح بقليل » وقرأنا فى غزوة الفتح من سيرة ابن هشام أن العباس رضى الله عنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

فصاحب كتاب الإصابة يقول عن العباس رضى الله عنه : إنه هاجر قبل الفتح بقليل ، وابن هشام يقول : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة مهاجراً بعياله . فتنى ثبت حديث « أنت خاتم المهاجرين » صح أن يكون العباس خاتم المهاجرين بمعنى آخرم ، أى آخر المهاجرين من مكة الى المدينة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » وداعية القاديانية لم يأت بشاهد على أن بعض المسلمين قد هاجر بعد العباس ، حتى يمتنع أن يكون خاتم المهاجرين بمعنى آخرم .

وأورد داعية القاديانية على تفسير خاتم بأفضل أو زينة حديثاً عزاه الى « كتاب الصافي » الذى هو تفسير لأحد علماء الشيعة ، وهو « أنا خاتم النبيين وأنت يا على خاتم الأولياء » ولكن صاحب كتاب الصافي لم يروه بسند ، ولم يسنده الى كتاب ، حتى

نبحث في سنده ونتبين حقيقته ، بل قال في تفسير قوله تعالى (وخاتم النبيين) : « آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على اختلاف القراءتين ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا خاتم النبيين وعلى خاتم الأولياء » .

فصاحب كتاب الصافي معترف بأن النبي صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، ولا يتم الاستشهاد بقوله «خاتم الأولياء» إلا أن يذكر سند الحديث ، ويكون رجاله ممن يوثق بهم في الرواية ، أو يسنده الى كتاب من الكتب المعروفة بالتحري في رواية الحديث . ومن الأحاديث الموافقة لهذا الحديث في المعنى وقد حكم عليها الحفاظ بالوضع حديث « كما أني خاتم النبيين كذلك على وذريته يختمون الأولياء الى يوم الدين »<sup>(١)</sup> وقال ابن الجوزي : ولفظ «خاتم الأولياء» باطل لا أصل له ، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن بقي من الناس ، وليس هو أحسن الأولياء ولا أفضاهم ، بل خيرهم أبو بكر وعمر<sup>(٢)</sup> (رضى الله عنهما) .

سقنا أحاديث صحيحة كثيرة في معنى انقطاع النبوة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب ذلك الداعية بحرفها عن مواضعها ، ويقول فيها قول من لا يقدر الحديث النبوي قدره ، ولا يبالي أن يخرج بالكلام العربي عن وجوه دلالاته ، وقد أريناكم فيما سلف نموذجاً من تأويلهم الباطل لبعض تلك الأحاديث ، واليوم نسوق الى حضراتكم مثالا تشهدون فيه كيف يمتسفون في غير طريق ، ويحاولون إرضاء شهواتهم ولو بأقبح التأويل :

أوردنا في جملة ما أوردنا من الأحاديث ما جاء في سنن الترمذي ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » فشق ذلك على الناس ، فقال : « ولكن المبشرات » قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة » .

(١) انظر اللآلئ المصنوعة (٢) تذكرة الموضوطة .

وهذا الحديث صريح في انقطاع النبوة بعد البعثة المحمدية، ولكن الداعية القاديانية حاول صرف هذا النص عن معناه، وذهب في تأويله والخروج على حجته مذهب التفتت، حتى زعم أنه معارض لبعض آيات القرآن الكريم، فقال: «إن القرآن المجيد يقرر نزول الملائكة على المؤمنين وتبشيرهم أيام بنصرتهم في الدنيا والآخرة، وذلك قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) ويقول في مقام آخر: إن الملائكة وجبريل أيضا تنزل كل ليلة قدر (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) وكلام الملائكة مع البشروحي في اصطلاح القرآن المجيد (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ) فإذا ثبت وجود الوحي من حيث القرآن المجيد، فلا بد من تأويل في معنى الحديث».

وليس في هاتين الآيتين ما يعارض الحديث، أما الآية الأولى فتفسيرها عند بعض الساف على أن تنزل الملائكة وقولهم للذين استقاموا: «ألا تخافوا ولا تحزنوا» يكون عند الموت، وهذا ما يقوله مجاهد والسدي، ومنهم من يقول: إن الآية إخبار عما يكون عند البعث، وهو قول مقاتل، ومنهم من يقول: إنها إخبار عما يكون عند الموت وفي القبر، وهذا قول زيد بن أسلم. وذهب آخرون في تفسيرها إلى أن الملائكة تمد صدور المؤمنين بما يشرحها ويدفع عنها الخوف، على طريقة الإلهام، كما أن الشياطين تغوى الكافرين بتزيين القبايح، وتوسوس لهم بما يثير في قلوبهم الخوف والحزن، قال تعالى: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) وقال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) وقال تعالى: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيَّ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) فليس بين حديث الترمذي وآية

(إن الذين قالوا ربنا الله) تعارضُ أو ما يشبه التعارض ، إلا في نفوس باضت فيها الأهواء وفرخت ، ولم يكن للحكمة ولا للموعظة الحسنة عليها من سلطان .

ولو صح هذا الذى يقوله داعية القاديانية فى تفسير الآية ، لوجب أن يكون كل مؤمن مستقيم ، نبياً بوحي إليه ، ولا أقوى إيماناً من الخلفاء الراشدين ، ولا أقوم منهم سيرة ، وما ادعى أحد منهم أنه نبي أو رسول ، أو أنه تأتبه الملائكة بالوحي ، وما كان أحد من المسلمين يصفهم بالنبوة أو الرسالة ، أفيزعم داعية القاديانية أنهم لم يقولوا : ربنا الله ولم يستقيموا : أو أنهم لم يبلغوا فى الاستقامة مبلغ غلام أحمد الذى أوغل فى الضلالة ، وأثار فتنة صادفت بعض الناس غفلة أو جهالة ، فكانوا لنارها حطباً !

وأما آية ( تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ) فلايس فيها ما يدل على أن الملائكة يخاطبون المؤمنين على طريق الوحي الذى هو من خصائص الأنبياء عليهم السلام . وأئمة التفسير من الساف والخلف يقطعون بكذب دعوى النبوة بعد البعثة الحمدية ، ولا يجدون فى هذه الآية ما يعارض الأحاديث الواردة فى انقطاع النبوة . ومن الوجوه التى تساعد على البلاغة ، وتطابق بها الآية سائر النصوص ، أن يكون تنزل الملائكة من أجل الأمور التى عهد إليهم بتدبيرها ( فالمدبرات أمراً ) فإن محل الأمر فى الآية على معنى الحكم الشرعى ، كانت إخباراً عن تنزيلهم ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن الحكيم . والتعبير بالمضارع لاستحضار ذلك التنزل بصورة البديعة ، وهو من أحسن الطرق المعهودة فى البيان .

وزعم الداعية القاديانى أن حديث الترمذى « إن النبوة والرسالة قد انقطعت » يعارض الحديث الذى يقول : إن المسيح الموعود « بوحي اليه أن حوز عبادى الى الطور ، فإنى قد أنزلت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم »

وردت أحاديث صحيحة فى نزول المسيح عليه السلام ، ولم يجد أهل العلم بينها وبين

الأحاديث الصريحة في انقطاع النبوة معارضة ، والراسخون في فهم الأحاديث النبوية العارفون بوجوه استعمال الألفاظ العربية في حدود وضمها ، وعرف البلغاء من الناطقين بها يقولون : إن الأحاديث الواردة في انقطاع النبوة تنفي وقوع نبوة بعد البعثة المحمدية ، ولا تتناول عيسى عليه السلام ، لأن النبوة نابتة له من قبل . ومن هؤلاء من يحمل الأحاديث على امتناع بعثة نبي بعد البعثة المحمدية على وجه عام ، ويستثنى من هذا العموم عيسى عليه السلام للأحاديث الواردة في نزوله آخر الزمان . ومن حمل النصوص الواردة في انقطاع النبوة على نفي النبوة التشريعية كالملاّ على قارى ، لا يقصد فتح باب النبوة غير التشريعية بإطلاق ، حتى توضع دعوى غلام أحمد النبوة موضع النظر واحتمال أن تكون صحيحة ، وإنما يقصد لوجه في تفسير الآية أو الحديث يتفق به مع الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام .

فعلماء الإسلام على اختلافهم في تفسير الآية والأحاديث يتفقون على أن لاني ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا ما ورد من نزول عيسى عليه السلام . وقد يأتي داعية القاديانية الى عبارات بعض من ذهبوا في تفسير الآية أو الأحاديث الى معنى نفي النبوة التشريعية ابتغاء الجمع بينها وبين الأحاديث الأخرى ، ويأخذ منها ما يقولونه من أن الآية أو الحديث في نفي النبوة التشريعية ، ويدع بقية كلامهم الصريح في أنهم ارتكبوا هذا التأويل لقصد خاص : هو أن لا تكون آية ( وخاتم النبيين ) وما يوافقها من الأحاديث نافية بمقتضى عمومها مجيء عيسى عليه السلام ، وقد نهينا في مقال سابق على هذا النوع من التزوير في كلام نقله عن الشيخ عبد القادر الكردستاني .

واليك مثالا آخر من هذا القبيل : قال الداعية : يقول الحق الملاّ على قارى : « فلا يناقض قوله ( وخاتم النبيين ) إذ المعنى لا يأتي نبي ينسخ ماته ولم يكن من أمته » . والواقع أن الملاّ على قارى أورد حديث « لو عاش إبراهيم لكان نبيا » وحديث

« لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> » ثم قال : لو عاش إبراهيم وصار نبيا ، وكذا لو صار عمر بن الخطاب رضى الله عنه نبيا لكان من أتباعه عليه السلام كعيسى والخضر والياس عليهم السلام ، فلا يناقض قوله تعالى : ( وخاتم النبيين ) إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته ولم يكن من أمته .

فهذا التأويل مع عدم الحاجة اليه في تحقيق معنى الآية إنما ارتكبه الملاح على قارى ليدفع به ما يقال من أن حديث « لو عاش إبراهيم » يقتضى أنه لو عاش وصار نبيا ، لزم أن لا يكون نبينا عليه السلام خاتم النبيين . ولا حاجة الى هذا التأويل ، فإن حديث عمر بن الخطاب حجة على انقطاع النبوة بعده عليه الصلاة والسلام .

وأما حديث « لو عاش إبراهيم لكان نبيا » فقد أوردته الداعية في شبهه وقال : « فلو بقى إبراهيم عائشا ما كان ثمة مانع من صيرورته نبيا لا آية « خاتم النبيين » ولا أى حديث .

وهذه الشبهة مدفوعة بأن هذا الحديث قد أنكر وروده طائفة من أهل الحديث ، كما أنكره ابن عبد البر في كتاب التمهيد ، وقال الإمام النووي في تهذيبه : « هذا الحديث باطل وجسارة على الكلام بالمفنيات ، ومجازفة وهجوم على عظيم » والأحاديث الموضوعة أو الضعيفة لا تقف في وجه الأدلة القطعية ، ومن أراد أن يعقد بينها وبين الأدلة القطعية وفاقا ، فليبقى الأدلة القطعية بمجالها ، ويذهب في تأويل الضعيف أو الموضوع على فرض ثبوته ما شاء .

محمد الخضر حسين

## حد الاعتدال في الكلام

قال جعفر بن يحيى : إذا كان الإيجاز كافيا كان الاكتفاء عيا ، وإن كان الاكتفاء واجبا كان التقصير مجزا .

وقال بعض الحكماء : إذا تم العقل نقص الكلام .

(١) دواء أحمد والحاكم .

# بيان الى العالم الاسلامي من شباب التحقوا بالقاديانية مخلصين ويعلمون الآن براءتهم منها مخلصين

نفر بمجلة نور الاسلام الجزء الاول من السنة الرابعة أن بعض النفر الذين تأثروا بدعاية القاديانية قد انكشف لهم باطل ذلك المذهب ونبذوه بنذ النواة ، فأ نكر الداعية القادياني هذه الحقيقة ، فجاء الواقع مؤيداً لما نفرت به المجلة ، وذلك أن جماعة ممن كانوا قد اتصلوا بمذهب القاديانية بحسونه دعوة إسلامية صحيحة قد أعلنوا براءتهم من هذا المذهب المضل . وإليك نص براءتهم المختومة بكتابة أسمائهم ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين .  
وبعد: فنحن طائفة من شباب المسلمين ، نشأنا مخلصين لدين الله الحق ، حريصين على انتشار دعوته ، واعتزاز رايته . وفي وقت كنا فيه خالية أذهانتنا من حقيقة النحلة القاديانية اتصل بنا بعض دعاةها ، وذكروا لنا أنها إنما أسست لخدمة الاسلام ، وأنها الطائفة الوحيدة التي تدعو الى الاسلام بنظام ، فبايعناهم على الدخول في زميرتهم ، وخدمة الاسلام معهم . وكنا مخلصين يوم أقدمنا على ذلك ، وبلغ هذا الإخلاص بأحدنا (أحمد حمدي) أن تولى رئاسة هذه الجماعة في القطر المصري أربع مرات بالانتخاب ، ولا يزال رئيسها الى ساعة إعلان هذه البراءة .

التحقنا بهذه الطائفة ، ولم نكن واقفين على دخالها ، ولا على سيرة مؤسسها غلام أحمد القادياني ، لأن القوم يكتمون كثيراً من أحواله ، بل يحرصون على ألا يطلع الناس على كثير من مؤلفاته ، لأنها كافية لحل كل مسلم على البراءة منه ومنهم .  
والآن وقد اطلعنا على ما كانوا يكتُمونه من أحوال الرجل ومؤلفاته ، ويكني

أن نشير هنا الى قوله في الخطبة الإلهامية : إن البعثة الثانية ( أى بعثته هو ) أفضل من البعثة الأولى ( أى البعثة المحمدية ) ؛ ويسكن من سيرته معرفة محاولاته وألأعييه فيما كان يبتغيه من الزواج بمحمدى بيكم .

فلما اطلعنا على هذا وغيره من دخائل هذه النحلة ، رأينا أن ما هم عليه غير الذى بايعنا عليه ، وأيقنا بأن إخلاصنا للهداية المحمدية يحتم علينا المبادرة الى البراءة من غلام أحمد القاديانى ، وكل من انتسب اليه . وزادنا إقداما على هذه البراءة وقوفنا على دعوته المسلمين الى الرضوخ لئير الاستعمار الأجنبي ، ورأينا أحد دعائمهم يقول عن كلام سخيف لغلام أحمد القاديانى : إن ذلك الكلام فى نظره الشخصى أعظم إعجازا من القرآن ، وإن جلال شمس القاديانى أفضل من الأنبياء ؛

فلما وصل الأمر الى هذا الحد ، وانقضت دخائل القوم ، وتبين لنا أن ما هم عليه بعيد عن الذى بايعناهم عليه بُعد الجحيم عن الجنة ، بادرنا الى إعلان إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بأننا نبرأ الى الله ورسوله من هذه النحلة ، ومن كل خادع بها ومخدوع . نشهد الله على هذا ، والله خير الشاهدين .

سكرتير الدعوة والتبشير للجماعة الاحمدية بمصر

عبد الحميد السيد

بمصلحة التجارة والصناعة

عبد السلام أحمد

رئيس مطبعة جريدة المطرقة

حسن أحمد عبد السلام

طالب ثانوى

عبد العزيز محمود

بمصلحة البانى الاميرية

كمال سليم

رئيس الجماعة الاحمدية بالقطر المصرى

أحمد محمدى

كاتب محكمة استئناف مصر العليا الأهلية

على فاضل

كاتب محكمة الاستئناف الاهلية

سيد عبد السلام

بجريدة المطرقة

محمد فرحات

مدرس بالمدارس الابتدائية

حافظ محمد

ناظر مدرسة ابتدائية بمصر



## نداء

الى كل أحمدي يبلغه هذا البيان

إن الرجوع الى الحق من أفضل الفضائل ، والحق قريب من طالبه ، وهو  
في متناول يد كل من يبحث بإخلاص وروية . وإن أملي في كل ذي قلب طاهر ،  
ونفس بعيدة عن الهوى ، من إخواني الذين خُدعوا بالانتساب الى هذه النحلة : أن  
يتقربوا الى الله بسرعة البراءة منها ، حتى تستريح ضمائرهم ، ومن كان مع الله وفقه الله  
الى ما فيه رضاه

أحمد هدي

## شرف العقل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى  
أو يريده عن ردى » .

وفسر الضحاك قوله تعالى : « لينذر من كان حيا » فقال أى لينذر من كان عاقلا .  
وقال عمر رضى الله عنه : أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خلقه .  
وقال الحسن البصري رحمه الله : ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما .  
وقال بعض الحكماء : العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو .  
وقال : صديق كل امرئ عقله ، وعدوه جهله ، وقال : خير المواهب العقل ، وشر  
المصائب الجهل .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناؤه

وقال ابراهيم بن حسان :

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

## تحليل الروح العصرية

كثرت الدعوة الآن في البلاد الشرقية للأخذ بالروح العصرية الغربية ، اتصل شعوبها الى مثل ما وصلت اليه الشعوب الأوربية من رفعة الشأن والعلم والمدنية ، فتوهم كثير من الناس أن هذه الروح تتألف من كل ما يشاهدونه مطبوعا بطابع أوربي ، حتى ما كان منه من الإباحيات والإلحاديات ، وضروب التهلك ، والمذاهب المتطرفة ، والخروج على القوانين والنظم المقررة ، وذهاب كل إنسان محلول الرّسن الى حيث يدفعه الهوى ، ويجره اليه النّفى ، ويدسه في حمأة الباطل .

والواقع أن هذا الخليط من الصفات الذميمة ليس هو الذى أقام صرح المدنية الغربية ، ورفع من أعلام علومها وفنونها وصناعاتها ، وبعث من مخترعاتها ومكتشفاتها ، ولكنه مجموع من فتنها وأدوائها وأباطيلها وعوامل تحطيمها . فمن أوجب الواجبات على المشتغلين بالدعوة والإرشاد فى الشرق أن يفرقوا بين الخلال القويمة التى كانت العوامل الحقيقية لنهضة أوروبا هذه النهضة الرائعة ، وبين تلك الصفات الذميمة التى أجمع قادة هذه المدنية أن الإبقاء عليها يوشك أن يكون سببا فى حلها ، كما حل أمثالها جميع المدنات القديمة ، وجعلتها أثرا بعد عين .

من المقررات التاريخية أن أوروبا بقيت طوال القرون الوسطى أى أكثر من ألف سنة فى ظلام حالك من الجهل ، والغفلة عن ينابيع الحياة الصحيحة ، مقودة برجال لا تم لهم إلا إشباع مطامعهم ، تمكنوا من القبيض على نواصى أممها بالحديد والنار ، وشغلوها بخوض غمرات الحروب والغارات ، فلم تجد متسعا من الوقت للتفكير فى حاضرها ومستقبلها ، وفى الوسائل التى تعتمد عليها لتخرج من حالة الجمود التى وقعت فيها الى حالة تستفيد فيها من وجودها ، وتعود بها ولو الى مثل ما كانت عليه على عهد اليونانيين الأقدمين ، والرومانيين الذين خلفوهم فى زعامة الأرض .

ومما تذرعه به هؤلاء القابضون على مُحَنَّقِها ليأمنوا شر انتقاضها عليهم أن عُنُوا أكبر عناية بالترصد لحركاتها العقلية ، فكانوا كلما نجمت ناجمة من فكرة حرة ، أسرعوا الى طمس معالمها ، وخنقها وهي وليدة ، حتى لا تكون أصلاً لغيرها ، وأنزلوا بمنتهجها عقوبة رادعة تمنعه العود الى نشرها ، أو الاِتيان بمثلا ، فإن عاد نكلوا به شر تنكيل ، وجازوه بالاحراق بالنار ، أو بقذفه من شاهق من الجبال ، أو صرقوه إرْبا إرْبا ، لينال وبال أمره ، ويرعوى سواه عن مثل فعله .

وفي الوقت نفسه تركوا الباب مفتوحاً لصنوف الفساد الخلقى ، وضروب الانحلال الأَدَبِي ، لتتلهى الشعوب بهذه الفاذورات عن الاشتغال بالأُمور الجدية التي يتوقعون أنها قد تفتكهم من قبضة أيديهم .

فكان من أثر ذلك أن مانت العزائم في أوروبا ، وعميت البصائر فيها ، وعمتها الفوضى ، وذاعت فيها الفحشاء ، وطمست فيها معالم العلوم والفنون والصنائع التي كان لها على عهد اليونانيين والرومانين دولة قائمة ، وبات الناس من أمورهم على شر ما تكون عليه جماعات أُخِذَتْ عليها طرق الحياة من كل مكان . (راجع ما لثبناه هنا نقلاً عن البعثة المستشرق جول لابوم مؤلف فهرست القرآن ) .

فلما أراد الله أن يخرج العالم من هذه المحنة التي طال عليها الأمد أجيالاً متعاقبة أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الله ، يهيب بالشعوب الى موارد الحياة ، ويدعوهم الى النظر والاعتبار ، ناعياً عليها استسلامها للمتعمكين فيها ، وحافزاً إياها على التخلص من نيرهم ، والتفصى من إسارهم ، وماهى إلأمد قصيرة حتى اجتازت هذه النعالم جزيرة العرب من مسارب شتى ، فأصغت اليها أسماع ، وتأثرت بها نفوس ، وحنّت اليها قلوب ، ولكن أتى لها أن تتحرك وقد أحيط بها من كل جانب ، وسدت في وجوها جميع طرائق النجاة .

فأراد الله أن يسوِّغ لها سبيل الحياة ، فدفع بالمسلمين الأولين لفتح الأندلس ،

وجزء من البلاد الفرنسية والإيطالية، فجروا فيها على سنتهم: من فتح المدارس، والنظر في العلوم، والاجتهاد في المذاهب، ودعت طبيعة الجوار إلى تسرب تعاليمهم إلى من جاورهم من الأمم، ثم تعدت بهم إلى من وليهم، واقتضت حاجة التبادل نزوح الأفراد من تلك الأمم إلى الأراضى التي استولى عليها الاسلام، فتولدت في جميع أرجاء أوربا روح جديدة لم تكن فيه من قبل، واتفق أن التحق بمدارس المسلمين آحاد آخرون نهلوا من علومهم، وتضلّعوا في معارفهم، ثم عادوا إلى بلادهم ينشرون ما تعلموه سرا في أول أمرهم، ثم أعلنوه مطلقا بعد ذلك، كيلا يوقظوا حذر ساداتهم، فكان ذلك سببا في نشوء ميل قوى في أممهم إلى الخلاص مما هم فيه، مهما كلفهم من الاستبسال والاستمانة في سبيله.

فنجم من ذلك الحين بين تلك الأمم وبين القابضين على أزمتهام نضال ابتدأ في مجال التفكير والعلم، ثم انتهى إلى الحديد والنار، فكان النصر حليف طلاب الحرية، ففازوا على خصومهم، ولكن بعد أن أحرق بالنار، أو أغرق في البحار، أو رمى به من شواهد الجبال، أكثر من ثلاثمائة ألف وستين ألفا من العلماء والفكرين وكبار المجددين، وبعد أن هلك في الحروب من أبناء تلك الشعوب عدد لا يحصى.

بسبب هذه المنازعات القاسية، والمكائفات المسلحة، ولدت الروح المدنية في أوربا مشوبة بتطرفات من ضروب شتى. ولدت متأثرة بعداء الدين لا يقف عند حد، للقيانها من أهله عنتا لم تلقه الأمم في تاريخ العالم. وولدت مطلقة للحرية إطلاقا يلحقها بالإباحة، بسبب ما ذاقته من شرور الإفراط في تقييدها قرونا طويلة، فكان هذا التطرف في إطلاقها سببا في التباين بصنوف شتى من النقائق الأدبية، والإغراق في الشهوات، لأن السادة الأولين تركوا كما قلنا الباب مفتوحا لجميع الديول البهيمية، إلهاء للناس عن التفكير في الخلاص، فجاءت مدينتهم ملتانة بكثير منها، ولم يقو العلم ولا الفلسفة على إزالتها، رغما عما يكتبه قادمها من التشنيع عليها، والإنذارات المروعة إذا استمر الناس فيها.

هذه هي حقيقة حال الروح المصرية ، ومنها يتضح بأجلى بيان أنها تقوم على عنصرين : أحدهما مؤلف من جهود جبارة بذلت في سبيل العلم والحكمة ، والفنون والصنائع ، وكل ما هو نافع وصالح للحياة ، وهو ما يجب علينا الأخذ به ، واحتذاء مثاله ، لنصل الى مثل ما وصل النرييون إليه من الرقي الباهر في جميع مجالات النشاط العقلي والعمل . وثانيهما مؤلف من إفراطات وتفريطات خلقية وأدبية لها أصول قديمة في كيان تلك الأمم ، لا يجوز الأخذ بها ولا إعارتها التفاتا ، بل يجب علينا التدليل على أنها علل وأدواء ينبغي تجنبها والعزوف عنها ، لأنها تقطع علينا سبيل النهوض ، وتبعدنا عن العوامل الحقيقية للمدنية الفاضلة .

وإني لأعترف هنا أن الخلط بين هذين العنصرين المرواح المصرية قد أوقع كثيرا من المجددين السطحيين في الشرق في ضلال بعيد من هذه الناحية ، بل منهم من خيل إليه أن هذه الانحرافات الخلقية من لوازم النهوض المدني ، وهذا خطأ فاحش ، فإن النقائص الأدبية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون مفيدة للأمم ، وخاصة إذا كانت في بدء حياتها الانتقالية . وقد ضرب المغفور له محمد علي الكبير مؤسس الأسرة الملكية في مصر أحسن الأمثال في الأخذ بالعنصر النافع من الروح المصرية ، وترك العنصر الضار منها ، فقد فتح في مصر المدارس ، وأمر بترجمة المؤلفات النافعة الى العربية ، وأقام المصانع والمعامل لجميع ضروب الحاجات ، ولم يشب هذا الاقتباس المفيد بشيء من بدع هذه المدنية ، فهضمت الأمة المصرية نهضة صادقة ، خرجت بها من مصاف الأمم الإفريقية حتى ساع لحفيده العظيم الخديوي إسماعيل ، وقد بنى على أساس ما بناه جده ، وعمل مثل عمله ، أن يقول : إن بلادى قطعة من أوروبا .

فلم لم يأتس المجددون بهذه الأمثلة الصالحة ، فيقتصروا على منافع هذه المدنية الفاتمة ، وينزهوها من شوائبها ، ويقدموها للأمة خلاصة سائغة تؤديهم الى مثل ما عليه أوروبا ، دون أن يلتفتوا بعلمها ، ويتأثروا بعوامل فسادها ؟ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ )

# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْاوَى

## حكم المحلل

ورد على المجلة سؤال من حضرة ابراهيم افندى حلمى برجوش خلاصته ما يأتى :  
يحصل أن بعض الأشخاص يطلق زوجته طلاقا مكلا للثلاث ، ثم يندم ويطلب طريقا لرجعتها ، فيشير عليه بعض الناس بعمل محلل يكتب فيه بمجرد العقد والطلاق قبل دخول الزوج الثانى ، فهل هذا يكفى لحل الزوجة كما يقول بعض الناس ، أو لا بد من الدخول ؟ وهل عمل المحلل جائز شرعا أو غير جائز ؟ لأن بعض العلماء يقول بعدم جوازه . نرجو شرح ذلك على صفحات المجلة على المذاهب الأربعة .

## الجواب

أطبقت كلمة جمهور المسلمين على أن الزوجة لا تحل لزوجها الأول بعد طلاقه لها الطلاق المكمل للثلاث إلا إذا تزوجت زوجا غيره زواجا صحيحا خاليا من الموانع الشرعية ودخل بها الزوج الثانى ، وكان بينهما ما يكون بين الزوجين ، ثم طلقها ، وانقضت عدتها منه ، لقوله تعالى : ( فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ) ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفهم من ترافعت إليه فى هذا الشأن أنه لا بد من الدخول والمس . وهذا هو رأى كبار الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، والأئمة الأربعة ومن على مذاهبهم ، ولم يشذ عن ذلك سوى نفر قليل جدا . ولا عبرة لرأيه لمخالفته ظاهر الآية ، ومخالفته الحديث المشهور .

وقد علمت من هذا أنه لا خلاف بين المسلمين قاطبة فى أن الزوجة تحل لزوجها الأول بعد زواجها غيره ودخوله بها وطلاقه إياها وانقضاء عدتها منه . ولا خلاف بينهم فى أن ذلك أى الزواج بآخر جائز وسائغ ومباح ، متى كان الزوج الثانى تزوج بالمرأة

المطلقة زواج رغبة، حتى إذا ما طلقها بعد ذلك وانقضت عدتها حلت للأزواج، ومنهم الزوج الأول.

أما زواج الرجل بالمرأة المطلقة طلاقاً باتاً مكملًا للاثلاث على أن يحلها للأول، وعلى أنه يطلقها بعد دخوله، وهو ما يعرف بالمحلل، فهذا فيه خلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم:

فيرى الإمام أحمد أن من تزوج زوجة بشرط أن يحلها الزوج كان قبله، فإن نكاحه حرام باطل. ويرى الحنابلة أن هذا رأى كثير من أهل العلم، كالحسن والنخعي وقتادة والليث والثوري وسواء في ذلك قال: زوجتكها إلى أن تحلها للأول فتطلقها، أو شرط أنه إذا أحلها للأول فلا زواج بينهما. واستدلوا بما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المحلل والمحلل له» وهو حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أهل العلم من أصحابه صلى الله عليه وسلم. أما من تزوج ولم يشترط حين العقد ولكن نوى التحليل من غير شرط، فإن زواجه باطل أيضا. قال اسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك، قال: هو محلل إذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون. وروى نافع عن ابن عمر أن رجلا قال له: امرأة تزوجتها أحلها لزوجها، ولم يعلم. قال: لا، إلا زواج رغبة: إن أعجبتك أمسكها وإن كرهتها فارقها. وعلى الجملة فإنه لا يصح العقد إلا إذا خلا عن نية التحليل وشرطه.

ويرى السادة المالكية ما هو قريب من هذا، فقد نصوا على أن البتوة لا تحل لزوجها إذا تزوجت زواجا فاسدا، وعدوا من الفاسد الذي لا يثبت بالدخول زواج المحلل وهو من تزوج امرأة بآنت من زوجها بينونة كبرى بنية إحلالها له أو بنية الإحلال مع نية الإمساك إن أعجبتته، لانتفاء نية الإمساك المطلقة المشترطة شرعا في الإحلال. والمعتبر نية المحلل، لأن الطلاق بيده. وأمانية الزوج الأول (المطلق)

ونية الزوجة ( المطلقة ) فلفو . وبعاقب المحلل ومن علم ذلك من الزوجة والشهود والولى ، وكل هذا مالم يحكم بصحة العقد قاض يرى صحته .

ويرى السادة الشافعية أنه إذا تزوج الرجل امرأة على أن الزواج ينتهى بالدخول والمس ، فهذا العقد باطل ، لأنه نوع من نكاح المتعة . ومثل ذلك لو شرط طلاقها حين العقد بعد الدخول ، لأنه شرط يمنع دوام العقد ، فأشبهه التأقيت . أما لو تزوجها على أن يحلها لأول دون اشتراط شىء فى العقد ، فالمعتبر فى هذا الصحة ، لأنه لم يشترط الفرقة . وعلى الجملة فإن من عقد بغير شرط صحح عقده وكان مكروها للخلاف ، وحلوا الحديث وهو « لعن الله المحلل والمحلل له » على من يشترط .

ويرى الحنفية أن الرجل إذا تزوج بشرط التحليل بأن يقول : تزوجتك على أن أحلك له ، أو تقول هى ذلك ويقبل هو ، فإن هذا الزواج صحيح تترتب عليه أحكامه ، ولكنه مكروه كراهة التحريم المقتضية للعقاب ، لحديث « لعن الله المحلل والمحلل له » فإن طلقها بعد الدخول والمس حلت لأول لوجود الدخول فى عقد صحيح ، لأن الحديث سبى الزوج محلا والمحل هو المثبت للحل ، فلو كان الزواج فاسدا لما سماه الرسول عليه السلام محلا . والله أعلم .

## المسجد الموقوف وأحكامه

ورد على إدارة المجلة من حضرة عبد المطالب محمد عثمان افندى المدرس بمدرسة بنى عباس الازلامية ما يأتى :

أولا — ما هو المسجد الموقوف ، وما هى الأحكام التى تجرى شرعا بالنسبة إليه ؟  
ثانيا — هل المساجد التى بناها واحد أو جماعة فى القرى أو فى الأمصار واشتهرت مسجديتها بإقامة الصلوات فيها ولم يقفها البائون لها تأخذ حكم المساجد التى وقفها أصحابها وحبسوا عليها شيئا ؟ نرجو الإجابة على هذا .



## الجواب

من بنى مسجدا لا يزول ملكه عنه حتى يفرزه عن ملكه ويأذن للناس بالصلاة فيه ، فإذا أفرزه عن ملكه وصلى فيه صلاة بجماعة زال ملك الباني عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله . وفي رواية عنهما أن الملك يزول بصلاة واحد ، وهي ظاهر الرواية . أما عند الإمام أبي يوسف فيزول ملك الواقف بمجرد قوله : جعلته مسجدا ، لأن من قال جعلته مسجدا قضى العرف بزواله عن ملكه . وإنما اشترط الامام الأعظم ومحمد رحمهما الله الصلاة فيه ، لأنه لا بد من التسليم ( أى تسليم الموقوف ) لواليه عندهما ، خلافا لأبي يوسف ، والتسليم فى كل شئ بحسبه ، فى المقبرة مثلا بدفن واحد ، وفى السقاية بشربه ، وفى اخلاء بنزوله ، وفى المسجد بالصلاة فيه . واشترط الجماعة على الرواية الأولى لأنها المقصودة من المسجد ، ولذا اشترط أن تكون جهرا بأذان وإقامة ، وإلا لم يصير مسجدا . ولو اتحد الامام والمؤذن وصلى فيه وحده صار مسجدا ، لأن الأداء على هذا الوجه كالجماعة .

وإذا كانت الصلاة فيه أقيمت مقام التسليم ، فبالتسليم الى المتولى ( الناظر ) يكون مسجدا دون الصلاة فيه ، لأنه بالتسليم اليه يحصل تمام التسليم ، غير أنه ينبغي أن يلاحظ أن صلاة الواقف فيه وحده لا تكفى ، لأن الصلاة إنما اشترط لأجل القبض للعامة ، وقبضه لنفسه لا يكفى ، فكذا صلاته وحده لا تكفى .

وقد فرع مشايخنا على مذهب الامام ومحمد أنه لا يحتاج مع الإفراز والصلاة الى قول الباني وقفت ونحوه ، فمن بنى مسجدا وأفرزه عن ملكه وأذن للناس بالصلاة فيه ، خرج عن ملكه وصار مسجدا تجرى عليه أحكام المسجد ، ولا يملك الباني التصرف فيه بعد ذلك يبيع أو شراء ، ولا يورث عنه ولو لم يقل وقفته مسجدا . وبهذا قال كل من الإمام مالك والإمام أحمد . وقال الإمام الشافعى : لا بد من قوله : وقفته أو حبسته ، لأنه وقف على قرية ، فكان كالوقف على الفقراء .

ونحن نقول : إن العرف جار بأن الإذن في الصلاة على وجه العموم والتخليّة يفيد الوقف على هذه الجهة ، فكان هذا العمل كالتعبير بقوله : وقفت ، ولذلك نظائر : فمن قدم طعاما الى ضيفه كان ذلك منه إذنا في أكله منه . وقد علمت مما تقدم أن الإمام أبا يوسف رحمه الله يكتفى في زوال الملك بمجرد قول المالك : جعلته مسجدا ، أذن في الصلاة فيه أو لم يأذن . وبذلك قالت الأئمة الثلاثة . ومما ينبغى ألا يعزب عن الذهن أن أبا يوسف يوافق الإمامين أبي حنيفة ومحمد في زوال ملكية الباني بالإفراز والإذن بالصلاة .

ومن هذا جميعه تعلم أن المسجد الموقوف هو أرض أفرزها مالكها عن بقية ملكه وأذن للناس بالصلاة فيها أبدا ، أو أذنهم بالصلاة فيها ناوليا أن يكون ذلك أبدا ، ولو لم يصرح به . ومثل ذلك الأرض التي يقول صاحبها جعلتها مسجدا عند أبي يوسف والأئمة الثلاثة . كما أنك تعلم مما تقدم أيضا أن الأراضى التي اتخذها واحد أو جماعة في القرى أو في الأمصار تكون مساجد إذا كان الباني أو البانون ملاً كما وجمالوها مسجدا ، إما بالإفراز والإذن بالصلاة عند الإمام ومحمد ، أو بقولهم جعلناها مسجدا عند أبي يوسف والأئمة الثلاثة . أما إذا لم يكونوا ملاً كما فلا عبرة بعملهم إلا إذا كانت الأرض محتكرة وبني مستأجرها مسجدا وأذن للناس بالصلاة فيه ، أو قال جعلته مسجدا . ومتى كانوا ملاً كما وبنوا على الوجه السابق شرحه كان ما بنوه مسجدا لا يباع ولا يورث عنهم ، لأنه تجرد عن حق العباد وصار خالصاً لله وانقطع تصرف العبد فيه ، فلا يملك التصرف فيه بحال . ولا يضر في المسجدية عدم التصريح بقولهم : وقفنا ، ماداموا مالكيين وأفرزوا ما جعلوه مسجدا ، وأذنوا للناس بالصلاة فيه على الوجه المتقدم ، كما لا يضر في المسجدية عدم حبس شيء منهم على مصالح المسجد .

أما الأحكام التي تجرى شرعا على المسجد فهي كثيرة — منها أنه يكره الدخول فيه بغير طهارة ، ويكره تلويثه واتخاذ طريقا ، وجعله محلا لحديث الدنيا ، ويكره أن

يشهر فيه السلاح . ومنها ألا يمنع من دخوله أحد بسبب أمر دنيوى ، لقوله تعالى :  
 (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فلا يجوز لأحد مطلقاً أن يمنع مؤمناً من عبادة يأتى بها فى المسجد ،  
 لأن المسجد مابنى إلا للعبادة ، كالصلاة ، والاعتكاف ، والذكر الشرعى ، وتعليم العلم  
 وتعلمه ، وقراءة القرآن . ولا يتمين مكان مخصوص فى المسجد لأحد ، حتى لو كان  
 للمدرس موضع من المسجد يدرس فيه فسبقه غيره إليه ليس له إزعاجه وإقامته منه .  
 ولا يحل لأجنب والحائض المرور منه ولا الوقوف على سطحه ، ولا ينبغى إدخال  
 الصبيان والمجانين فيه ، ولا البيع والشراء ، ولا رفع الصوت وسل السيوف . ولا يجوز  
 إدخال النجاسة للمسجد . وينبغى لمن أراد أن يدخل المسجد أن يتعاهد نفسه وخلفه  
 عن النجاسة ثم يدخل ، احتراساً عن تلويث المسجد . ويكره الوضوء والمضغضة فيه  
 إلا أن يكون موضع فيه اتخذ للوضوء . ويكره مسح الرجل من الطين باستطوانة  
 المسجد أو بحائط من حيطانه . ويكره غرس الأشجار فى المسجد إلا أن يكون به  
 نفع للمسجد .

وعلى الجملة لا يجوز اتخاذ ما يحل بجرمة المسجد فيه . ومن جاس لكتابة القرآن  
 أو العلم فى المسجد فلا بأس إن كان بغير أجر ، لأنه عبادة . وبقية أحكام المسجد تعلم  
 من مراجعة كتب الفقه . والله أعلم

طه ميبب

عضو المحكمة العليا الشرعية سابقاً

## فراسة المؤمن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم .  
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا أنا لم أعلم ما لم أر ، فلا علمت ما رأيت .  
 وقال عبد الله بن الزبير : لا عاش بخير من لم ير برأيه ، ما لم ير بعينه .  
 وقال ابن الرومى :

ألمى يرى بأول رأى آخر الأمر من وراء المنقب

# تجلى التدبير الالهي في أعمال الحيوانات

الحشرات التي تنسج لنفسها ملابس

كلف الله الإنسان أن ينظر في ملكوت السموات والأرض ، وأن يتخذ من الأعلام التي نصبها الله في الوجود هاديا الى الطريق القويم : طريق العلم بالله ، والإذعان لقدرته الشاملة . وخلق فيه قدرة على التأمل ، وصبرا على التفكير ، وميلا لا اكتناه الحقائق ، تصل به الى أبعد الغايات العقلية ، وأقصى النهايات الروحية . وقد حث الكتاب الكريم الناس على النظر في الكون والكائنات في آيات كثيرة ، كقوله تعالى في وصف أولى الألباب : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وقوله : ( وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ) وذم الذين يعرضون عن النظر في الكون والكائنات فقال : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) . وقد جرى الانسان منذ وجوده على سجيته من النظر في الكون ، وحصل من وراء ذلك علما جما ، وجنى منافع في كل ضرب من حاجاته سهلت له سبل العيش ، ووطأت له أكناف الأرض ، وسخرت له القوى المودعة فيها . وقد أغرى الانسان ذلك كله الى مواصلة الدأب على دراسة الكون والكائنات ، وانقسم الناس على حسب ميولهم الفطرية في تعرف عوالمه ، فمنهم من قصر شغله على النظر في الأجرام العلوية ، ومنهم من وقفها على أصغر الكائنات كالحشرات والميكروبات ، وتوزع غيرهم ما بين هذين الطرفين ، فلم يحرم الله الجميع ثمرات جهودهم ، فكانت جملتها علما لا يستطيع فرد واحد أن يحيط به تفصيلا .

ونحن في هذه المجلة نقتطف من هذه الثمرات ما تمس اليه حاجة العقل والقلب اهتماما بما حض عليه الكتاب الكريم ، فنتخير مما وقف عليه الباحثون في ناحية من النواحي الخفية ، فنعرض لحياة الحشرات التي اعتدنا أن نحقرها لصغر أجسادها ،

فإنها لا تخلو من آيات باهرة تصمد بعقولنا الى مشهد من مشاهد الإبداع الإلهي لا تقف غرابته عند حد . فهل سمعت قبل اليوم أن بعض الحشرات الدنيا تلبس الملابس ، وأنها تصنعها بنفسها لنفسها بحكمة على أجل الأشكال وأرقها ، فن الذي نفث في روعها صناعة الحياة والتطريز ، وجهازها بكل ما تستدعيه من وسائل وذرائع غير المبدع الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ؟

من تلك الحيوانات ( العثة ) التي تقع في ملابسنا الصوفية فتأكل منها وتخرقها ، وقد عني بدراستها الطبيعي المشهور ( ريو مور ) صاحب الترمومتر المنسوب اليه .

هذه العثة دودة غرز الله فيها ميلا لتفغية جسدها العاري ، فتعتمد لنسج حلة له من المنسوج نفسه الذي تقع فيه ، وتتخذ منه غذاء لها ، يكون لون حلتها كلون المنسوج الذي تستعير منه خيوطها . فإن كان لونها واحدا كانت حلتها ذات لون واحد ، وإن كانت ذات ألوان جاءت حلتها ذات ألوان شتى . وهي تعتنى بأن يكون باطن حلتها مغشى بالحرير وظاهرها من الصوف ، فتلتصق النسيجين أحدهما بالآخر بصناعة تحير العقل . ومتى بدا لها أن توسع حلتها تخرج رأسها من أحد طرفيها وتتحرى أصلح الخيوط لها ، فإن لم تجدها على مقربة منها مدت عنقها للأمام ، ومتى عثرت على مطلوبها أمسكته بسنن لها وجذبت به بمهارة ، ثم شرعت في نسجه . وقد شوهد أنها متى زادت قليلا في أحد طرفي حلتها عملت بالطرف الثاني ما عملته بالأول حتى يتم الانجام بين الطرفين . ولقد تعجب كثيرا إذا رأيتهما تتقلب في حلتها بسرعة لتخرج رأسها من طرف الى طرف .

ومتى طال جسم العثة ازدادت غلظا كما لا يخفى ، فيضيق ثوبها عليها ، ثم لا يلبث مراقبها أن يرى أنه قد اتسع ، فيخيل إليه أن ذلك الاتساع نشأ من ضغطها بجسمها على باطنه ، فيظهر له بإدمان المراقبة أن ذلك كان خطأ منه ، فإنها تزيد ثوبها اتساعا بنسج جديد تقوم بعمله ، وهذا محل العجب والدهش فوق ما مر كله . وقد أثبت الطبيعي

(ريومور) ذلك بالحس ، وذلك بأنه أخذ عثا ذوات حلق مختلفة الألوان قد ضاقت على أجسادها ، ووضعها على ملابس ذات ألوان مباينة لألوان حلقها ، فوضع مثلا ذات الحلة الحمراء على ثوب أزرق ، وذات الحلة البيضاء على ثوب أسود ، فرأى بعد مضي زمن ما أن العث أدخلت من ألوان تلك الأثواب الى حلقها ، فدل ذلك بالحس على أنها استمدت من خيوطها في توسيع ألبستها .

أما كيفية توسيعها حلقها فهي السكيفية نفسها التي يجري الإنسان عليها إزاء ثوب ضيق يريد توسعته . وأول ما يخطر بفكر الإنسان من ذلك أن يشق الثوب الضيق ويضع مكان الشق قطعة على طوله . ولو كان شكل الثوب يقتضى أن يضع في كل جانب قطعة فعل . وهذا ما تفعله العثة أيضا لتوسعة ثوبها ، ولكنها تفعله باحتراس أكثر ، وباقتصاد أوفى ، وذلك أنها تشق حلقها الضيقة الى النصف خشية أن تبقى عارية مدة توسيعها . ثم تهتمك في توسيع ذلك النصف ، حتى إذا أتمته شقت النصف الثانى وعملت به ما عملته بالأول .

بقى علينا أن نعرف كيف تبطن العثة حلقها ببطانة من الحرير الثمين الأغلى من المنسوج الذى تستمد منه خيوطها ، وبأى صناعة عجيبة تربط خيوط الصوف بعضها ببعض ؟ لقد راقب العلماء ذلك ، فوجدوا أن العثة مثل سائر الديدان التى من نوعها ، أودع رأسها غدة تفرز سائلا لزجا تخرجه بإرادتها على حالة خيسوط لا ترى إلا بالميكروسكوب ، فيتصلب بمجرد ملامسته للهواء ، وهذا الحرير هو الذى تستفيد العثة منه في تبطين حلقها وفي ربط خيوط الصوف بعضها ببعض . وقد شوهد أنها تجعل سدية حلقها من الحرير ولحمتها من الصوف . ولكن يظهر أن العثة لا تكتفى في ربط خيوط الصوف بحريها الذى تخرجه من رأسها ، ولكنها تربطه أيضا بخيوط من الصوف . وقد رنى أن الثقب الذى في أسفل فها يفرز خيوطا صالحة لأن ترتبط بما فوقها بمساعدة حركة رأسها أثناء النسيج ، فهي تحرك رأسها حركات

سريعة ومتعكسة لتؤدي وظيفة المكوك والإبرة في آلة الخياطة من ربط الخيوط بعضها ببعض .

ومن أعجب العجب أن أحد الناس لو أخرج عثة من حلتها فلا تعمل للعودة إليه ، لأنه يصير في نظرها مظنة الإفلاق والإزعاج ، فتعتمد الى نسيج غيره أسرع ما يمكن حتى لا تبقى عارية أمام مشيلائها .

ومن الحشرات ذوات الملابس ديدان يقال لها ( فريجان ) تعيش في المستنقعات . هذه الديدان تصنع لنفسها عباءات من مواد مختلفة ، فتخرج منها أحيانا البعض شأنها ثم تعود اليها متى لاحت لها بادرة خطر . وهي تحمل عباءاتها معها حيث تسير ، وتحتجب بها بين الخضرة فلا يراها أحد .

أما المواد التي تكون منها عباءاتها فتارة تتخذها من الأحجار الصغيرة والرمل ، وطورا تختارها من الحشائش ، فتقطعها على طول واحد ، ثم تضعها متوازية متحدة في الاتجاه أو متخالفة ، وتارة تنسج عباءاتها من القواقع تجمعها الى بعضها وتلبسها وفيها حيواناتها الأصلية .

قال الطبيعى ( ريو مور ) الذى راقب هذه الحشرات : « إن هذا النوع من الملابس جميل جدا وعجيب للغاية . وإنك لو رأيت رجلا متوحشا يجمل النسيج يتخذ لنفسه عباءة من الفيران ، أو من الحيوانات الحية الأخرى ، لدهشت من لبوسه جدا ، فهذه هي حال هذه الديدان ، فإنها تكتسى بالقواقع التى فيها أحيائها الأصلية » .

هذه الحشرات تستطيع تغيير شكل عباءاتها على حسب المواد التى تنتخبها لها . وقد وصف الأستاذ الطبيعى ( جيرار ) كيفية عمل هذه الحيوانات للملابس فقال : إن هذه الديدان تبتدىء بعرض المواد فتختار منها المناسب ، فتجمل سطوحها المصقولة الى الداخل ، وتربطها بواسطة خيط حريرى تخرجه من فمها ، ثم تمسك الأحجار حجرا حجرا كما يفعل البناء وتضعه بجانب أمثاله بحيث يكون ما فيه من بروزات وجفوات

ملائمة لما فى مجاوراتها منها حتى لا يوجد فراغ بينها، ومتى تم لها وضع الحجر على هذه الصورة تلتصقه بخيوط تخرجها من فيها، وهى تم هذا العمل فى خمس أو ست ساعات، فلما يحىء الدور الثانى من حياتها، وهو الدور الذى تتخدر فيه، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، تدخل فى عبااءاتها الحجرية وتسدها عليها من طرفيها خوفا من اعتداء الغير عليها.

ومن صنوف هذه الديدان ما تسد قوهى عبااءاتها بشباك من حرير تصنعها بحيث تترك الماء يدخل اليها ويخرج لا يميقة شىء.

ومنها ما تضع فوق هذه الشبكة أحجارا وحشائش وغير ذلك.

ومنها ما تسد طرفى العبااءات بحجرين مفلطحين، فاذا كانت الديدان مما تعيش فى الماء الزاكد، فهى إما أن تطفو بعباءاتها فى دور الخدر على وجه الماء، وإما أن ترسب الى أسفله. والتى تعيش فى ماء جار فتتخذلا نفسها حيلة أخرى خشية أن يقذف بها التيار الى حيث تهلك نعمد الى مقدم عبااءاتها فتلتصقها بنبات بحرى أو بحجر بواسطة خيوطها الحريرية التى تخرجها من فيها، وتغنى بوضع جسمها مائلا لكى تسمح للماء بالتجدد دون أن يصادف حائلا.

ومن هذه الحشرات ذوات اللابس المنكبوت البحرى، فتراه دائما وراء جمع أجزاء من النباتات البحرية وبعض الحيوانات الدنيئة والاسفنج وغيرها يلتقطها ويضعها على ظهره، فيصير بها كأنه مجموعة آثار حيوانية ونباتية، ثم يذهب بحمله العجيب هذا الى حيث تكثر النباتات البحرية فلا يهتمدى اليه أحد.

وقد عنى أحد الطبيعيين بمراقبة هذا الحيوان مراقبة دقيقة بعد أن حصره بين أوراق الورد، فأخذها الحيوان وألصقها على ظهره، فصار لا بسا ثوبا وديا يحسده عليه الإنسان نفسه، وأضحى بين أقرانه عجيبه من العجائب.

ومن هذه الحشرات ذوات الحلل دودة تسكن الأماكن الرطبة من الدور،



والأركان المظلمة منها ، ومادة حلتها التراب ، فتتمرغ عليه حتى يتغطى جسمها كله به ، فتقلب بهذه الحلة الترايبية كأنها من بعض القاذورات . وهي تتجشم هذه الحيلة لتخفي نفسها عن أعين الذباب والبعوض ، وهي الحيوانات التي تفتذى هي منها . فتلبث على هذه الصورة ساكنة حتى تقرب منها ذبابة أو بعوضة فتري الدودة بذفسها عليها ، وترشقها بإبرتها ، ثم تستولى عليها وتأكلها .

ألا يرى القارئ من خلال كل هذه المعجائب القدرة الإلهية تفيض على هذه الحيوانات من إبداعها ما يقضى على أعتى العقول بالعجب ، وبهوى بأعصى الجباه الى السجود لقيوم الوجود ، ومصور كائناته على أعجب الصور وأدعاهها للدهش ؟ فأين تقع تلك الأصول اللاماركية والدارونية من هذه الإبداعات الخيرة للعقل ، وهي لا تكفي في تحليل وجود أبسط خلية حية ، فما ظنك بهذا المجموع الذي لا يحيط به العلم من عجائب التكوين ، وهو لا يقف عند حد ، ولا ينتهي الى غاية ؟ وأين تقع شبهات الماديين الذين يزعمون أن الكون تقوده الماية المطلقة ، ويحكمه الاتفاق والخط ، من هذه الآيات الباهرة التي تتجلى في كل ناحية من نواحي الخليفة ؟

محمد فريد ومهدي

## وقوف الانسان عند حد ما يعلمه

قال بعض الحكماء : من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم ، فخبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم .

ولقد أحسن زرارة بن زيد حيث يقول :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملئ أو تناهي فأقصرا

ويخبرني عن غائب المرء قملة كفى القعل عما غيب المرء مخبرا

وأبلغ من هذا كله وأحكم قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا » .

## الامثال في اللغة العربية

المثل في أصل وضعه : المثل والشبيه ، ويطلق على الكلام البليغ الشائع المشهور لحسنه ، أو لاشتماله على حكمة ، وذلك ما نبغى الحديث عنه في هذا المقال :  
توجد الأمثال حتى في غير اللغات الراقية ، ولا تكاد لغة تخلو من الأمثال .  
وها نحن نجد بين الجماعات البعيدة من العلم والمدنية أقوالا من نوع كلامهم يضربونها في مواضع تشبه مواردنا ، ولا فارق بينها وبين ما جاء في الفصيح من الأمثال إلا الفرق الذي نحسه بين اللغة الدارجة واللغة العربية الخالصة .

من خواص المثل الإيجاز ، وأن يكون جيد العبارة . ولا يجازه وجودة عبارته تداولته الألسنة ، وقبلته خاصة الناس وعامتهم . قال الزمخشري : ولم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للسير ، ولا جدرا بالتداول والقبول ، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه . وقال الفارابي : « المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى ابتدلوه فيما بينهم ، وقاهوا به في السراء والضراء » . وقال : « وهو أبلغ الحكمة ، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة ، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة » وقال أبو عبيد : اجتمع في الأمثال ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه .

يصور المثل الحقائق في أجلى صورة ، ويريك المعاني السكينة في الكلمات القليلة ، فإذا أردت أن تصف رجلاً بالدهاء وجودة الرأي ، والأخذ في تدبير الأمور بأنجح الطرق ، ودمت أن تعبر عن هذا المعنى بلفظ موجز ينقش في نفس المخاطب حتى كأنه يراه رأي العين ، ضربت فيه المثل : « يعرف من أين تؤكل الكتف » .  
وإذا سمعت كلاماً كثيراً لا تنجي منه فائدة ، وأردت أن تصفه بكلمة يخف وقعها

في الأذن وتضع ذلك المعنى موضع المشاهد، ضربت فيه المثل: « أسمع جمجمة ولا أرى طحنا ».

يجسّن ضرب المثل حيث يكون سبب وروده معروفا للمخاطبين . وكثير من الأمثال لا يفهم منها معنى وإن كانت ألفاظها واضحة الدلالة على معانيها المفردة، فالمثل « إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر » مفرداته واضحة المعاني، وليس في تركيبه حذف، ولا لفظ يتوقف فهمه على كلام يسبقه أو يأتي من بعده، ولو سقته في الحديث مع من لا يعرف مورده لم تصل به إلى الغرض الذي تستعمل من أجله الأمثال، وهو إبراز المعنى في صورة مألوقة تتلقاها النفوس بارتياح، وإعماي في هذا المثل بالغرض، ويقع المعنى المقصود في نفس المخاطب موضع الجلي الواضح، متى عرف « أن بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة: يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس، فتراضوا برجل جعلوه حكما، فقال واحد منهم: إن قوى يبنون على، فقال الحكم: « إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر ».

قد يستعمل المثل على وجه الاستعارة، كضربك المثل « الصيف ضيعت اللبن » في حق من كان متمكنا من أمر فأضاعه من يده، ثم جاء يطلبه بعد فواته، فإنك شبت حال هذا الرجل بمورد المثل، وهو حال المرأة التي كانت تحت شيخ موسر فسألته الطلاق فطلقها زمن الصيف، فتزوجت شابا فقيرا، فلما دخل الشتاء أرسلت إلى الشيخ تستسقيه لبنا، فقال لها: « الصيف ضيعت اللبن » واستعرت هذا المثل إلى حال الرجل الذي أضاع أمرا كان طوع يده، ثم رغب في مناله . واستعمال الأمثال على هذا الوجه هو الذي تحدث عنه البيانون فقالوا: متى فشا استعمال المجاز المركب، سمي « مثالا » وقد يستعمل المثل على وجه التشبيه الصريح، كأن تذكر شخصا تريد أن تصفه بأنه يشتهي قربه، ويخاف شره، فتقول: هو « كالخمر يشتهي شربها، ويخاف صداعها ».

وقد يستعمل على وجه الحقيقة المحضة، كأن ترى شخصا اعتبر في بعض الأمور بما وقع فيه غيره من عاقبة مكروهة، فأخذ حذره من ذلك الأمر، فتقول: «السعيد من اتمظ بغيره» فليس في ضرب هذا المثل استعارة ولا تشبيه.

والكتب التي صنف في أمثال العرب كأمثال أبي عبيدة والليداني وابن قتيبة وابن حبيب وابن الانباري وابن هلال والشيخ طاهر الجزائري، تجمع الأنواع الثلاثة ولا تختص بما تحدث عنه البيانيون، وهو المجاز المركب الذي يفشو استعماله.

يلزم في المثل أن يكون قولاً موجزاً شائعاً، وقد يكون حكمة أي كلاماً ينهى عن سفه، أو يدعو إلى خير، نحو «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وهو مثل يضرب لمن يجهد نفسه في طلب الشيء، ويبالغ في الطلأ حتى إنه ربما يدركه التعب أو الملل، فينقطع دون البلوغ إلى الغاية.

وقد يكون خالياً من الحكمة بالمعنى المشار إليه، ولكنه يدل على معنى مقبول، كالأمثال الصالحة للاعتذار، نحو «مكره أخاك لا بطل».

والحكمة التي تؤدي ما يؤديه المثل إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص، يسميها بعض الأدباء بالنادرة.

ومن الأمثال ما يكون كلاماً مستقلاً بنفسه، نحو «حبك الشيء يعنى ويصم» ونحو «رب أخ لك لم تلده أمك». وقد يكون مقتطفاً من كلام، نحو «إن المقدرة تذهب الحفيظة» قال أبو عبيد: باغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلاً بثأراً فلما ظفر به قال: لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقم منك. ثم تركه. وإلى هذين الضربين من الأمثال أشار المرزوقي في كتاب النصيح، فقال: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول.

يقول علماء الأدب : إن الأمثال لا تغير ، بل تجري كما جاءت ، حتى إنهم يحافظون عابها وإن جاءت على بعض الوجوه الشاذة ، قال الزجاج في شرح أدب الكاتب : الأمثال قد تخرج عن القياس ، فتحكى كما سمعت ، ولا يطرد فيها القياس فتخرج عن طريقة الأمثال . وقال الرزوقي : من شرط المثل أن لا يغير عما يقع في الأصل ، ألا ترى أن قولهم : « أعط القوس باريها » تسكن ياؤه وإن كان التحريك الأصل ، لوقوع المثل في الأصل على ذلك .

ويتصل بهذا أن لا يغير المثل ليوافق حال من ضرب في شأنهم من نحو التذكير والتأنيث ، أو الأفراد والتثنية والجمع ، بل يستعمل باللفظ والحال التي نطق به العربي في أول ما نطق به<sup>(١)</sup>

والعلة العامة في امتناع تغيير ما يسمى مثلاً ، أن تغييره يخرج عن أن يكون اللفظ المتداول المشهور ، وفي امتناع تغيير المثل الذي يستعمل على وجه الاستعارة علة خاصة ، هي أن الاستعارة مبنية على استعمال لفظ المشبه به ، ولو غير المثل كأن قلت : « الصيف ضيعت اللبن » بفتح تاء الخطاب لما كان لفظ المشبه به مستعملاً في المشبه بعينه ، ومن تصرف في المثل بالتغيير كان مشيراً إلى المثل لا ضارباً للمثل نفسه .

وقد عدت علماء الأدب فيما يجب أن يعرفه الكاتب والشاعر الأمثال العربية ، قال ابن الأثير في المثل السائر : وكنت جردت من كتاب الأمثال الميداني أوراقاً خفيفة تستعمل على الحسن من الأمثال التي يدخل في باب الاستعمال .

وإذا كان في الأمثال حكمة وبلاغة ، كان في العناية بجمعها ودرسها وسيلة من وسائل ترقية التحرير والخطابة

محمد الحضر حسين

(١) قال الزجاجي : لم يغيروا مثلاً إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحى عن التنوير .

## الزواج عند الأمم المختلفة

لا يعرف الإنسان ما للإسلام من الفضل على الجماعات البشرية، ولا يدرك مكان شريعته من السمويين جميع الشرائع، إلا إذا ألم بحصة صالحة من الشئون الإنسانية القديمة والحديثة لدى الشعوب على اختلاف منازلها من الثقافة والتمدن. لذلك رأينا أن نعرض على قرائنا أحوال الأمم في جميع الشئون الاجتماعية، ليتألف لهم من مجموع ذلك علم عظيم القيمة يعرفون به حقيقة معنى قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ).

وقد اخترنا اليوم موضوع الزواج عند الأمم المختلفة، اقتبسناه من كتاب الفيلسوف الاجتماعي الكبير (هربرت سبنسر) الانجليزي، فنقول:

الحيوانات التي تعيش مجتمعة كالقردة والفيلة وغيرها يتقاتل ذكورها على حيازة إناثها، وكذلك يفعل المتوحشون من الناس، فإن الرجل منهم إذا أعجبته امرأة وأراد أن يستأثر بها قاتل زوجها، فإن تغلب عليه أخذ منه امرأته، وهي تنقاده ولا نجد من يحميها منه. وكل من زار بلاد قبائل (الشيبيويان) بأمریکا أو (البوشيان) في أفريقيا يجد ذلك شائعا فيهما، وهو كل ما يعرفون من أمر الزواج.

هذا القتال الشهواني لا يحصل بين الرجال فحسب، ولكنه يحدث بين النساء أيضا. وذلك أن الرجل في بعض قبائل (كينسلان) بأفريقيا يتزوج عددا من النساء، فتري كلا منهن تتطلع الى بلوغ المسكنة الأولى عند زوجها، فالذي يحسم هذا التنازع بينهما هو أنهن يجتمعن في مجال واحد وفي يد كل منهن عصا غليظة، فيتضاربن حتى تسيل دماؤهن، فن تثبت منهن في القتال يعترف لها بالتفوق، وتصبح محظية عند زوجها. ومن عادات قبائل استراليا أنه إن حدث قتال بين قبيلتين وانتصرت إحدهما على الأخرى، ذهب نساء اللغويين الى الغالبين عن طيب نفس وبلا أدنى مقاومة.

إن ما نعرفه نحن من نظام الزواج وصيغ التعاقد فيه ليس بموجود عند المتوحشين،

شأنهم في ذلك كشأنهم في كل أمورهم الحيوية ، فإن في أمريكا متوحشين ليس لديهم احتفال بالزواج ، مما يدل على سقوطه في نظرهم ، وعلى أنه أمر عرضي ، وكيف يحتفل بزوجة تكون اليوم لرجل فتصبح غدا بحق الغلبة لرجل آخر .

وقد روى أن قبائل كاليفورنيا من أمريكا الشمالية ليس لديهم احتفال بزواج ، بل ليس في اغتهم ما يدل على معنى الزواج ، فهم يتخالطون كما تتخالط الطيور والبهائم . وفي كثير من بلاد المتوحشين يتم الزواج بالاختطاف ، فتى تمكن رجل من اختطاف امرأة أصبحت زوجته ، سواء أرضيت أم لم ترض ، فإن اتفق أن اختطفها من زوجها رجل آخر صارت زوجته وأنف مختطفها الأول راغم .

ويوجد في بعض القبائل المتوحشة آثار من الاحتفال بالزواج ، فترى هذا الاحتفال ينحصر في أن يضرم مریدا الزواج نارا ويجلسا بجانبها .

وعند البعض الآخر يتم الزواج بين الراغبين فيه متى قامت الزوجة ببعض الخدم البيتية للزوج .

وعند قبائل ( غينا ) الجديدة من استراليا يتم الزواج متى أعطت المرأة لزوجها قليلا من التبغ .

وعند قبائل ( التفاجوس ) يحصل الزواج بين الرجل والمرأة لمجرد جلوسهما في شبه قصعة كبيرة ، وأكلهما مما من الأغذية التي يكونون قد وضعوها فيها .

ومن عادة قبائل ( النوبيين ) من استراليا أنه إذا عرض لأحد الرجال أن يطلق امرأته وهبها لرجل آخر .

ومن النظم المتبعة عند ( التاسمانيين ) من استراليا إجبار الرجال على التطليق باعتبار أنه من الأمور الضرورية .

وأما عند قبائل ( السكازياس ) فإن الطلاق يكثر الى حد أن لم يبق معه معنى للزواج . ومما يدل على انحطاط أقدار النساء في نظر المتوحشين وسقوط منزلة الزواج عندهم تجرد الرجال من الغيرة على الزوجات ، فتجد من عادات كثير من قبائلهم تقديم زوجاتهم

لضيوفهم ما داموا عندهم ، بل تقديم بناتهم لهم أيضا . من هؤلاء الأقوام قبائل (الاسكيمو) القريبون من القطب الشمالى ، ومتوحشو أمريكا وبعض قبائل (بولينيزيا) والسودان والحبشة والكفرة الخ .

ونقل رواد الأقاليم أن المرأة من قبائل (البوشيمان) تستطيع بإذن زوجها أن تعاشر رجلا آخر ثم تعود اليه . وهذه العادة تشبه ما كان عليه بعض عرب الجاهلية من إذن الرجل لزوجته في الذهاب للإقامة مع رجل معين ثم عودها اليه ثانية . وهذه العادة تعتبر من مكارم الأخلاق وكرم السجاياء عند الاسكيمو ( سكان جزيرة جرونيلادا ) .

هذا الانحلال في الروابط الزوجية عند هؤلاء الأقوام يشعر بأنهم لا يعلقون كبير قيمة على عفة المرأة ، فقد روى أن في جهات الكونغو من أفريقيا يعرض كثير من الرجال بناتهم للفسق ليكسبوا من وراء عملهم هذا دراهم معدودة . وعند أهل المكسيك الأصليين من أمريكا الشمالية أن البنت متى بلغت سن الزواج أمرها أهلها أن تخرج الى الرجال لتكسب مهرها ، فتضطر لتطواف البلاد في حالة عهارة مطلقة ، حتى تجمع القدر الذى يرضيها من المال ثم تعود الى بيتها لتتزوج . ونقل عن السكان الأصليين لأقاليم (داريان) من أمريكا أنهم ما كانوا ينظرون للفسق بعين المقت ، فكان أمرا شائنا فيهم ، بل كان معدودا من الظرف حتى شاع عن نساء أعليائهم أنهم كن يقلن لمن يسألهن عن ذلك من رواد الأقطار : إن من أخلاق سفلة النساء أن ترد إحداهن طلب طالب .

ولم تزل نساء (اندمان) من آسيا يعتقدن أن من حجة المرأة أن تمتنع على راعب . وروى عن قبائل (الشيبشاس) من أمريكا الوسطى أن الرجل يعتبر مغازلة الرجال لامرأته بل وفسقهم بها من موجبات الفخر والمباهاة ، ولو تزوج أحدهم بامرأة ووجدها بكرا احتقرها واعتبرها من سقط المتاع .

وقد اعتاد قبائل (الشوشوايس) من كولومبيا بأمريكا الجنوبية أن يعدوا من



العار الذي لا يحتمل أن تتزوج المرأة قبل أن تهدي أسرته مالاً مما كسبته من الرجال . هذه عوائد القبائل التي راد بلادها مكتشفوا الأقطار . ونستطيع أن نزيد عليها أن النساء العربيات على عهد الجاهلية لم تكن حاتهن تمتاز عن حالة أخواتهن المتوحشات ، فكان محرمات من الحقوق ، وكان الرجل يرث امرأة أبيه ، فيقتنيتها لنفسه أو يعطيها لرجل سواه ، وكن لا يرثن آباءهن ولا أقرباءهن . وكان زواج السفاح منتشر فيهم ، وكان بعض الرجال يشترون الإماء ويعرضونهن للفسق والفجور طلباً للكسب من وراء ذلك . فلما جاء الإسلام رفع من قيمة المرأة إلى مستوى لم تبلغه إلى اليوم للمرأة الغربية ، فسن الزواج بإيجاب وقبول ، وشرط أن يؤخذ رأي المرأة فيه ، وأن يعمل به ، وقرر للمرأة حقوقاً على زوجها تطالب بها أمام المحاكم ، ولم يكلفها أن تدفع لأهلها ولا لزوجها مالاً ، بل كلف الزوج أن يدفع لها صداقاً ، وجعل لها حق التصرف في أموالها استقلالاً ورهنًا ويبيعاً دون أن يتوقف ذلك على إذن الزوج ، كما هو الشأن في أوروبا حتى الآن ، فإن المرأة هنالك متى تزوجت وقعت تحت وصاية الزوج ، فلا تملك التصرف في مالها إلا بإذن . وزاد الإسلام في حقوقها فلم يكلفها الإنفاق على نفسها وإن كانت غنية ، وجعل على الزوج القيام بجميع حاجاتها من مأكل وملبس ومسكن على قدر ما تسمح له به وسائله ، وقد منحها الإسلام حق وراثة أبيها وأقربائها بعد أن حرمت منه آماداً طويلة طوال العهد الجاهلي .

ومن الميزات التي تعتبر غاية الغايات في الاعتراف بمكانة المرأة من الهيئة الاجتماعية أن الإسلام أباح لها أن تكون عصمتها بيدها إذا رضى زوجها ، فتحل عقدة الزواج متى شئت .

هذه كلها حقوق لم تحصل على مثلها المرأة المتمدنة ، أفلا تدعجب بعد هذا إن رأيت كتاباً من الغرب يدعون أن المرأة المسلمة أسيرة لزوجها ، وأنها لا تملك لنفسها صرفاً ولا عدلاً ، وأنها في حاجة لمن يخلصها من ربقتها ، ويهب لها مثل حقوق المرأة الغربية ؟

محمد فريد ومجدي

## كيف انتشر الاسلام في العالم

أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب مهبط الأنوار الدين العالمى الأخير، فأرسل به خاتم أنبيائه محمداً صلى الله عليه وسلم، فلما تم نزوله، واختار الله رسوله لجواره، انتشر نوره في الخافقين، فعنى الباحثون بمعرفة المنافذ التي سرى منها الى الجهات الأخرى، فكان من بينهم المستشرق الألماني الأستاذ (مارتن هارتمان) فآلم بهذا الموضوع في كتابه (الاسلام)، فرأينا أن نأتى على ثمرة بحثه في هذا الصدد، فإن فيه تحقيقاً تاريخياً جديراً بالنشر، قال ما مؤداه:

لباد العرب منفذان الى الشرق، وهما: العقبة وهي على طريق الشام، والطف يجوار نهر الفرات، فانتشر الاسلام منهما الى الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأذربيجان، ووصل الى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان في القرن السابع، ووصل الى خوارزم في أوائل القرن الثامن، وما زال يمتد حتى تعدى حدود الصين من تيانشان، واحتل مدينة كاشغار من بلاد المغول، وبلغ بلاد الهند، وجعلت مدينة مولتان مركزاً للدعوة الإسلامية. ومن هنالك ومن بخارى انتشر في شمال الهند، حيث ظهر في سنة ١٠٠٥ م رجل من مدينة لاهور يقال له الشيخ اسماعيل، فأبلى في الدعوة الى الاسلام بلاد حسنا، وتلاه في الدعوة اليه في تلك الأصقاع من بلاد الفرس رجل يقال له محي الدين تشيشتي توفى سنة (١٢٣٤) م.

وقد اشتدت حركة الإسلام في ذلك العهد بشمال الهند حتى آل الى أهله الملك في البنغال سنة (١٢٠٠) م، كما نوج أول ملك مسلم في كشمير من بلاد المغول سنة (١٣٠٠) م، ومنها انتقل الإسلام الى تيبب الصغرى، وقد وصل اليها أيضاً من ولاية يونان في جنوب الصين.

ودخل الإسلام الى بلاد الصين من منفذين : الساحل الجنوبي ، ومن الولايات المتاخمة لبلاد التركستان .

وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين بغداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين ، وكان الدعاة المسلمون يؤمّون تلك البلاد من طريق ما وراء النهر .

وقد بكر الإسلام في الظهور بالصين على بعد الشقة بينهما وبين البلاد العربية ، حتى إنه قد بنى مسجد في عاصمة ولاية شينزى سنة ( ٧٤٢ ) م ، أى بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام في شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه ، وقد وصل بعضهم الى المناصب الحكومية الرفيعة ، ونزع بهذا السبب كثير من الفرس الى الصين ، ونشروا فيها لغتهم ، حتى إن كثيرا من مسلمي الصين يعدّون اللغة الفارسية لغة المتقنين منهم ، وفيها كتب إسلامية بهذه اللغة .

وقد أخذ بالدين الاسلامي كثير من اليهود هنالك ، فزاد بهم زيادة كثيرة يصعب تقديرها .

ولما دخلت بلاد التركستان المسلمة في حوزة الصين ، واحتك المسلمون بالأهالي هناك ، تعرفوا منهم سباحة الاسلام وفضائله ، فكان ذلك سببا في زيادة انتشاره في تلك الأصقاع . وفي هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من الأصل التركي في الصين ، حتى إن القيصر الصيني كين لونج تزوج بأميرة تركية وأمر ببناء مسجد إكراما لها ولحاشيتها . وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية هنالك ، وعد نحو عشرين ألف أسرة تركية في مدينة يكينج عاصمة الصين . وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة . وعلا شأن المسلمين في الصين الى حد أنهم أحدثوا ثورة في كانصو وشينزى سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة في إخمادها إلا بعد مكافئها عشرين سنين . وفي هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندى من اقتطاع التركستان من جسم المملكة الصينية ، فلم تستطع الحكومة استردادها إلا بعد موت الزعيم المذكور .

أما المنفذ الآخر الذي سلكه الاسلام الى الصين وهو الساحل الجنوبي ، فقد هدى اليه العرب والفرس منذ زمن بعيد ، وقد ثبت أنه تأسست جالية إسلامية في كاتون منذ العصور الأولى للإسلام . وروى أن الخليفة العباسي المنصور أرسل أربعة آلاف جندي لمساعدة قيصر الصين في بعض حروبه . وكان المسلمون يفدون من تلك الناحية جماهير جماهير نازحين من بلادهم للعيش في الصين ، لذلك اشتدت شكيتهم هنالك . وقد حدث في العهد الأخير أي سنة ١٨٥٥ أن قامت ثورة كبيرة في ولاية يونان ، فلم تتمكن الحكومة من إخمادها إلا بعد عشرين سنة بذلتها في الكفاح الشديد . ( نقول ) : إن الذي يتأمل في طول المسافة بين بلاد العرب والصين لا يسمعه

إلا أن يكبر تلك الروح التي كانت تدفع المسلمين الى تجشم هذه المتاعب لنشر دينهم وتثبيت أعلامه في الخافقين ، ويدرك أنه يمثل هذه القلوب الكبيرة تعز الأثم وترقى ، وتبنى لنفسها ولا أخلافها مجدا يخلد خلود الدهر . وقد عجز دعاة الأديان أن يصلوا الى الصين إلا في القرون المتأخرة ، وعجزت المدنية الأوروبية على ما فيها من الفواتن والجواذب أن تعدى السواحل الشرقية للصين الى آخر القرن التاسع عشر ، لا يصاد تلك الامبراطورية الضخمة أبوابها في وجهها ، ولكن المسلمين لم يجتازوا حدود السواحل فحسب ، ولكنهم استطاعوا نشر ديانتهم وثقافتهم فيها أيضا ، وهذا أعجب ما يسجله التاريخ من نشاط أمة وجواذب ديانة . فترجع الآن لما نقله عن الأستاذ مارتن هارتمان ، قال :

أما في كورية وفي اليابان فإن الدعوة للإسلام لم تنجح نجاحها في الصين ، ويرجع ذلك الى انصراف اليابانيين عن الفاسفة الروحانية ، وإكبابهم على النظر في مصالح بلادهم للمادية .

أما في مجموعة جزر الملايو فإن عدد المسلمين لا يستهان به ، وقد بلغ نشاط المسلمين بها في الدعوة الى دينهم حدا يستحق الإعجاب ، وذلك دون أية مساعدة من حكام البلاد ، بل كثيرا ما كانوا يحدون معاكسة منهم .

وصل العرب والفرس الى هذه الجزر وهم في طريقهم الى الصين، وإن لم يبحى ذكر عنها في كتبهم إلا ابتداء من سنة (٨٥٠) م. فكان العرب الذين يفدون الى هذه الأسواق والمراكز التجارية الهامة ويتخذونها وطناً لهم، دائمي الاتصال بالمدن الواقعة على ساحل الهند، فكان ذلك سبباً في تعرف سماحة الإسلام وشيء من الأخلاق التي يدعو إليها. ولم يغفل العرب كمادتهم الاختلاط بالوطنيين ومعاملتهم بالحسنى، بل صاهروهم واختلطوا بهم، وكانوا يستكثرون من الأتباع والخدم، مما زاد في قيمتهم في نظر الأهالي. وقد ساعدتهم توحدهم كلمتهم، وتضام صفوفهم. وطاعتهم لكبرائهم وزعمائهم، على التفوق على الأمراء الوطنيين المنخاضين.

نهض المسلمون بدعوة قوية لدينهم في سومترا سنة (١١٧٠) ميلادية، وبدأ ذلك من مدينة (أتجه) Atjeh بالاستيلاء على الساحل الغربي. وثبت لابن بطوطة في سنة (١٣٤٥) م وجود ممالك إسلامية في السواحل الشمالية، وسرعان ما أصبحت دولة (مينانجا) حصناً منيعاً للإسلام حوالي سنة (١٥٠٠) م.

أما في جاوة فأخذ الإسلام ينتشر فيها بقدم ثابتة، وخطى متزعة، حيث نزل بها العرب واجتذبوا اليهم بعض الأهالي، حتى إذا آنسوا من أنفسهم القوة أظهروا أصولهم، وبسطوا سلطانهم، فخضع لهم أهالي غرب الجزيرة، حيث كانت الديانة الهندوكية لم تثبت قدماً فيها الى ذلك الحين، وما لبث الإسلام بعد ذلك أن عم جميع أنحاء الجزيرة. ولم يعوز الإسلام أن يجد أنصاراً كثيرين في جزائر الملوك والفليين وصولو. وفي الجملة انتشر الإسلام في مجموعة جزر الملاي. بحيث يصعب أن تخلو منه إحدى بقاعها خلوا تاماً، وقد كان لأتباعه من السلطان والوجهة ما لا يشاركهم فيها غيرهم، وهم هنالك على قسط وافر من الحضارة والثقافة العلمية.

وأما في سيام فلم يبلغ انتشار الإسلام ما بلغه في الأقطار المتاخمة لها، إذ لا يزيد عدد أتباعه عن خمس عدد الأهالي. ويعتبر الإسلام حديث عهد في تلك الجهة، وليس

فيها من الشأف ما فى غيرها مما ذكرناه . وقد تسرب الاسلام اليها من الصين ومن جزر الملايو أيضا .

وقد وصل الاسلام حتى الى الاقيانوسية واستراليا ، ولكن عددهم هناك ليس بكثير ، وليسوا فيهما بعنصر ذى بال .

(نقول) : يرى القراء فى هذا الفصل من نشاط المسلمين فى الدعوة الى دينهم ما يوجب الدهش والحيرة ، فقد حدثهم الى ذلك همة لا تعرف الوكى ، ولا يعتمريها الفتور . وإذا قابلت ما أتوا به من العظام فى هذه السبيل بإدخالهم فى دينهم ملايين من أم شديدة الاعتزاز بقوميتها ، كثيرة التمسك بديانها ، بما قام به فى القرون الأخيرة دعاة الملل الأخرى على حذقهم فنون الدعوة ، واعتمادهم على الفواتن من الجاه والمال ، وتمرسهم بأساليب الأخذ والتأثير ، تعجب غاية العجب ، ولا تجد له تعليلا يقبله العقل إلا فى أن للإسلام سلطانا على العقول خارقا للعادة بحيث تدين له منفادة اليه متى عرض عليها فلا تجد بدا من الإذعان له .

وقد أبان الاسلام عن هذا السلطان نفسه فى كل مكان اتصل به المسلمون قديما وحديثا ، فلقد اعترف دعاة المسيحية أنفسهم بأنهم قد يلبثون فى الأقطار النائية عشرات السنين فلا يتجحون إلا فى كسب أفراد يأوون اليهم طلبا لرفه العيش ، حتى إذا قدم الى هذه النواحي بعض نجار المسلمين وشرح للناس ما عليه الاسلام من السباحة دخلوا فى الاسلام أفواجا ، وسرعان ما يكتسح بدعوته الجماعات التى تتصل به ، مع أن هؤلاء التجار لم يتخرجوا فى أساليب الدعوة ، ولم يملكوا من الفواتن بعض ما لأولئك الدعاة الفنين ، حتى كتب الكردينال لا فيجبرى الفرنسى منذ أمد قريب أن الدعوة المسيحية قد فشلت فى إفريقيا بمزاحة الإسلام لها ، وأن الإسلام قد ربح فى القرن الماضى نحو ستين مليونا من الأتباع الصادقين .

هذا كله يرجع الى طبيعة الاسلام نفسه ، من سلامة العقائد ، وارتكازها على العقل

وأصالة أصوله ، وارتباطها بمصلحة الفرد والمجتمع ، وبخلوص مبادئه من العناصر التي لا يسيغها الطبع ، وبمسيرته للتطورات التي تدخل فيها الأمم محفوزة بناموس الارتقاء ، فمذه المزاياء كلها متى أدركها الانسان اضطرت فطرته الى الميل اليها ، وتغلبت على تأثير الوراثة فيه ، تخلف ربقها وانقاد اليه طوعا .

وفي رأينا أن الأمم المتمدنة متى أدركت الاسلام على وجهه الصحيح كان تأثيره عليها أشد من تأثيره على غيرها من الأمم التي لم تتطور في العلم ، ومن هنا نعتقد أن الاسلام ستصبح له الدولة في العالم كله كما وعد به كتابه الكريم في قوله تعالى : (سَرِّبْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

## الترفع في غير كبر وحفظ كرامة العلم

رويت أبيات في هذا المعنى لعلي بن عبد العزيز القاضي تعتبر من عيون الشعر ، نرويه عنه في هذا المعنى :

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلا عن موقف الذل أحجبا
أرى الناس من دانا هم هان عندهم	ومن أكرمه عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا طمع صيرته لي ساهما
وما كل يرق لاح لي يستغزني	ولا كل من لا قيت أرضاه منما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكن نفس الحر تحتل الظما
أنهنها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أو لما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
أشقي به غرسا وأجنيه ذلة	إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما

## انا لله وانا اليه راجعون

ننعي الى قراء هذه المجلة زميلا كريما ، وأخا وفيا ، طالما غذى هذه المجلة ببحوثه القيمة ومقالاته الشائقة ، وفتاواه المدققة ، هو الاستاذ النابغة خريج الازهر المعمور الشيخ طه حبيب فشق نعيه على أسرة هذه المجلة ، كما شق على زملائه في القضاء والتدريس ، وورصفائه أخيرا في الحمامة .

كان رحمه الله غزير المادة ، بليغ القلم ، شديد المعارضة ، شديد الزاي ، قويم السيرة ، تقيا ورعا ، فإن كنا قد فقدناه فقد فقدنا فيه كائنا مبدعا ، وعالما ثقة ، ومحاميا نزيها ، فكان مصابنا فيه عظيما فادحا ، وخسارتنا به كبيرة باهظة .

خدم الفقيد رحمه الله التدريس بالازهر فكان عالما يهتدى بهديه ، وعالما يعشئ الى ضوئه ومنهلا عذبا يغترف من فيضه . واشتغل في تحرير هذه المجلة ، فكان قراؤها يستهدون بعلمه ويستنيرون برأيه ، وعمل في القضاء ، فكان فيصلا يفرق بين الحق والباطل ، وفي الحمامة ، فكان يكشف المعاضل ، ويفض المشاكل ، وخالط الناس ، فكان مثالا في كرم الخلال ، وشرف الخصال ، محبوبا من الكافة ، وهذه غايات لا يبلغ إليها إلا الآحاد الموفقون .

فاذا استدرونا عليه اليوم رحمة الله فاعلمنا نساق الى ذلك بقلوب يعمرها الاخلاص له ، والظن به ، أسكنه الله فرايس جناته ، وعزى فيه خاصة أهله وجميع إخوانه ، وأغدق عليه من نعمائه ما يكون كفاء فضله ، وإزاء علمه ، وجزاء عمله ، إنه ولي الصالحين .

## كتاب الشريعة الإسلامية

انتدب أحد قضائنا الأماثل حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الزين قاضي محكمة كثر الدور وأبى حمص لوضع كتاب جامع في الشريعة الإسلامية ينحويه نحوا جديدا يكشف به عن أسرار الشريعة ويجعلها سهلة المأخذ على المعاصرين . وسيبدأ عمله بالقاء محاضرات في مبادئها العامة . فنحن نترقب سلسلة تلك المحاضرات لنوفيقها حقها من التنويه والثناء . جزاه الله عن الدين خير ما يجزى به أوليائه الصالحين .



« وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“And if they incline unto peace or surrender, incline thou also unto it and treat with them and put thou thy trust in Allah and have no fear of treachery, for Allah and is cognisant of their intentions.”

*(Baidawiy's Commentary)*

The mighty cry which resounded in Arabia calling to universal brotherhood of nations for the first time in the history of the world, still reverberates into the ears until to-day. Evolution has forcibly urged nations to try the adoption of this principle. The conferences which are held for the limitation of armaments and the conventions that are made by nations to stop war being used as a means to secure their objects, are nothing short than the fulfilment of that great principle which Islam had proclaimed nearly fourteen centuries ago.

The principles of Islam are one and all great ideals which we will discuss in detail in the articles to follow for the enlightenment of mankind and the completion of the edifice of goodness in the world.

---

amount of a force, otherwise the mission of Islam would have been a failure and no trace would have been left of it.

On account of the open prohibition of war ordained by Christianity, it continued in a weak condition for over three hundred years. The Roman Emperors were wont to put to death all its adherents, dismember them while they still lived and hunt them down like animals wherever they went.

When Constantine, whose mother had embraced Christianity, and secretly brought him up as a Christian, came to the throne, he used force to propagate this religion and gave orders to pull down the pagan temples and forced people, under penalty of torture, to embrace it. The ascendancy of Christianity goes back to that date and for this very same reason, it is firmly established up to this day in many parts of the world.

Should Islam have contented itself with preaching without having recourse to force, it would have been restricted within the Peninsula and the unbelievers would have forced its adherents to forsake it.

Even if it were spared annihilation, Islam would have found itself in a similar position as that of the Religion of Abraham which was preached by a few men scattered throughout Arabia of whom no trace could be found among human communities.

But although Islam had prepared for war, yet it had certainly mitigated a great deal of its severity and rendered more humane the laws pertaining to it. A just code was established by Islam which definitely prohibited aggression. Indeed, the greatest merit in favour of Islam is that it did not ordain war for despoiling nations or levying tributes thereon, but it was wielded as a means for the propagation of the word of Allah among nations. Never before had any nation waged war for this reason. Wars were waged to subjugate people, appropriate their wealth and products and finally take full possession of everything in the land.

Yet withal, The Lord had commanded His Prophet to make the universal welfare of men the object of all his wars, and if nations wished for peace one day for any consideration, it is incumbent on him to acquiesce to their demand and to sheathe the sword depending for the propagation of the Faith on other means for thus saith The Lord :

By "the most pious among you," is meant the one who fears Allah most and fully carries out His commandments taking Him for a pattern so that he may be His viceregent on earth.

It was with this high principle that racial partisanship was laid low, and nationalism was extirpated from its very roots.

Social differences fell to pieces and nothing remained which could obstruct the desire of men to live together in brotherly co-operation, except the tendency to contention which has become well-nigh instinctive in some souls on account of the misguided teachings and pernicious traditions in which they were steeped.

It is the mission of Islam to exterminate such taints and purge the hearts of men of their pernicious effects by the inculcation and the propagation of its teaching with every fair means:

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن البيضاوى

"Let there be from among you a people who call unto Islam, enjoin the good and forbid the evil and those will be afforded complete success."

(Baidawwy's Commentary)

And now that we have come to this point, some one might raise an objection: If Islam call to universal brotherhood of nations as well as to universal unity and peace among men so that they may devote themselves to attain personal and social perfection, then why did it have recourse to war? Why did it seek expansion in neighbouring countries? and why did it flood near and distant people the way it did? Why did it not content itself with evidence and proof in calling those people to its cause? and why did it not seek to win their approval by mere conviction and good example?

Our answer to this objection is that Islam is primarily a religion which conforms to the laws of nature as well as to the social factors governing life. Up to the advent of Islam, those laws and factors required a certain

smoothing down the hardships of life and strive to attain the welfare and prosperity of the human community at large.

This will put an end to contention which leads to war and can only result in destruction. War is a ceaseless strife and victory oscillates from one nation to another and should war be waged for purely material ends, it will only serve to fill the hearts with hatred and increase the desire for vengeance.

All this will lead to the repudiation of law and order and eventually to the disruption of the whole social structure throughout the world. The vital forces of nations will be spent in conspiracies and intrigues and the anticipation of defeat for one another. Should such a spirit prevail, the world will be thrown into a vast battlefield in which the sword is for ever unsheathed and man is maddened beyond recall.

But what if that terrible state were changed into universal brotherhood and peace?

Would not the moral forces of nations be directed to the end for which they were created: the establishment of universal good throughout the world?

It is here that the mind conceives the greatness of this principle and is urged by the force of this conception to accept it unhesitatingly were it not for the vestiges of traditional partisanship which influence every people to claim that it is the most worthy of honour and leadership and that its race is the greatest among human races while others should remain in bondage as vassals thereto.

Here the second great principle of this Koranic verse comes forward:

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »  
ترجمہ تفسیر هذه الآية نقلًا عن البيضاوي

“Verily, the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious: Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts.”

(Baidawī's Commentary)

ciple to call them thereunto even though he evoked derision and was not heeded by the ignorant ones :

« فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية تقلا عن البضاوی

"Wherefore proclaim what thou hast been bidden and heed thou not what the polytheists say."

(Baidaway's Commentary)

The mere declaration of this noble principle in a world in which everything urged to discord and disunion is in itself a mighty evidence of its divine origin, for indeed the philosopher's mind, no matter how high it soars, could never have overstepped its bounds as to conceive such a universal principle at a time in which circumstances urged to its very reverse!

This universal brotherhood proclaimed by Islam may well be considered a herald of a new era in the history of nations, and a prelude to further universal Koranic principles calculated to achieve the unification of human views and objects.

We could not however leave off this subject without alluding to the beauty of the convincing style in which this great principle, like every other principle preached by the Holy Koran, is couched.

The Lord has first called the attention of mankind. Then He reminded them of the origin from which they have come advancing thereby the proof before the facts, a procedure which is acknowledged as the highest of rhetorical and convincing styles. For indeed who could deny that all men, despite their difference in environment, colour and mode of life, are the sons of Adams and Eve ?

This reminder which overrode all the barriers raised by men and trampled over the prevailing customs and traditions which have long caused it to fall into abeyance, urges the souls to listen attentively to what is to follow, and thus prepared, the souls are apprised with the object of this reminder, namely that The Lord has made men into peoples and tribes so that they might know one another, live amicably together, cooperate in

atmosphere, that Mohammed Ibn Abdallah, was born on the 29th of August 570."

Indeed! the Arab nation itself was no less divided and contending than the rest of the world. Through tribal division, it formed a collection of antagonistic communities which knew no peace and were for ever on the war-path. The Arabian Peninsula was a vast battlefield on which all the dictates of love and mercy were completely ignored so much so that a man was to clout his sandal from the very skin of his enemy after having him slain and mutilated.

It was in that chaotic era, in that atmosphere of stygian darkness and ruthlessness, that The Lord bade Mohammad to raise high the standard of universal brotherhood and to establish for mankind the foundation of that unity. The Lord's saying was thus revealed to him:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ،  
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوي

"O, men! Verily We have created you all of Adam and Eve, and We have made you into peoples and tribes that ye might know one another and boast not of your lineage. Verily the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious: Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts."

(Baidawy's Commentary)

The Arabs among whom this high and noble principle was preached, were most proud of lineage and boastful of forefathers. Each tribe claimed the greatest honour for itself in that respect and so much indeed had this tendency been exaggerated among them that they were wont to establish the pedigree of their camels and horses to raise them thereby above all others of their kind. The reader may well imagine their disdain for other distant peoples and tribes differing from them in colour, language and traditions.

Yet the Lord had sent the last of His Prophets with this high prin-

nations was so difficult that it was well-nigh impossible to bring them all together to one universal religion. This privilege was destined by The Lord to be granted to Islam in whose time intercourse between nations was rendered feasible. The Divine Wisdom has seen fit to afford it all the qualifications and advantages which make it a universal religion fitted for all times and climes.

Was the world then at the advent of Mohammed in need of a violent blow from heaven to urge it to unity, or a wrathful cry from on high to stop the misguided in their career of sin and aberration?

We may well leave the answer of this question to a foreigner, the great French orientalist Monsieur Jules Le Baum. In the introduction to his index of the Holy Koran, he described the world's conditions prior to the advent of Mohammed in the following terms :

"At about the time when Mohammed was born, the world was seething with trouble and unrest."

He then began to detail the generalities of this statement pointing to the animosity and contention which raged fiercely between nations:

"The world's atmosphere was charged with fierce vibrations. Evil was more counted upon than good and the minds of men were not at rest. The chiefs who won most of the confidence of the people, were those who raised the strongest war cry. Only one argument touched the hearts and made strong though passing convictions : the booty, despoiling of nations, cities, lords, men of arms, poor labourers and even simple mendicants.

Had it not been for the small light which flickered in the depths of some cells of cenobites, and for some philosophic principles sheltered from the raging storms and transmitted from soul to soul by the bold apostles of progress, barbarism, accelerated in its march by the arrogance of the masters of brutal force, would have become pure savagery."

After long dwelling on the condition that then prevailed, the writer said:

"It was during those sad circumstances, and in that heavily charged

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD (1)

---

#### II.

#### DECLARATION OF UNIVERSAL BROTHERHOOD OF NATIONS.

Following the proclamation that it is the true Faith, and the inculcation of the twofold basis of human nature and pure reason on which it was founded, Islam sought to introduce a momentous social reform requisite for a great civilisation which The Lord has willed Islam to establish on earth. This momentous reform was the calling of mankind to universal brotherhood. For though Islam did not differ, in its doctrinal principles, from the first faith revealed to previous Prophets, yet it was favoured by certain circumstances which anterior religions lacked. Intercourse between

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El Islam" Review.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامى فى العالم

— ٥ —

نعيه على مبدأ التقليد الأعمى

لم يُؤمن المصلحون فى جميع المصور ، وفى كل أدوار التاريخ البشرى ، بمقبة أقوى  
مراسا من عقبة التقليد الأعمى للأباء السابقين ، وللقادة المحتكرين للدين ، فكان هذا  
الجمود سببا فى بقاء أديان محرفة الى هذا العهد ، يعتبر بقاؤها خزيا للعاقبة الإنسانية ،  
كما كان سببا فى استمرار وجود طوائف تستغل جهالات شعوب كانت تصالح لأن تأخذ  
مكائنها من مجموعة الأمم الناهضة ، فقيمت لهذه العلة فى الظلام البهيم الى العهد الحاضر .  
لا يدرك مبلغ تأثير التقليد الأعمى فى حياة الشعوب ، ومقدار ما يجنيه على أهله  
من مجافاة المنطق والعلم ، ولا يفهم معنى قولنا إن بقاء ذلك يعتبر خزيا للعقلية البشرية  
إلا من يعنى بدراسة الأديان التى يدين بها السواد الأعظم من الأمم المعاصرة انما ،  
والفروع التى اشتقت منها ، ويبلغ عددها بضع مئتين .

فأول ما تصدى الاسلام له بعد تقريره العقائد الأولية ، عادة التقليد الأعمى  
للأسلاف والقادة ، دون عرضها على محك النظر ، وزنها بمقاس العقل المستقيم .  
نعم : إن هذا المنطق الاعتقادى ما كان يمكن إثرا به للعقول فى الأجيال  
السحيقة المظلمة التى لم تبلغ رشدها بعد ، ولكنها بعد أن بلغت هذا الرشد فى الأجيال  
التي نتها ، كان وجوده فى الدين العالمى العام من أزم لوازمه ، فلذلك شرع الله هذا  
الأصل فى دينه الأخير ، لامواتة لهذا التطور العلى الخطير فحسب ، ولكن لا يقاظ  
العاطفة الدينية أيضا فى نفوس الجماهير .

إن من يُعنى بالبحث في الشئون الإنسانية في عهدها الأخير يجد أن النفوس قد خلعت شكائها ، وأن الشهوات قد افتكت من عقابها ، وأن الفتنة قد ركبت رأسها ، واشتطت في جماحها ، وأن العاطفة الدينية ، وهي القوة المعنوية العليا المعدلة لهذه التطرفات ، قد ضعفت عن أداء وظيفتها عند كثير من الأمم حتى ظنت بها الظنون عندهم ، ولذلك التمس بعضهم طريقا آخر للتخلص من هذه التطرفات ، وبعضهم ذهب إلى تلصص معدل غيرها من العلم ، أو من سلطان الرأي العام ، أو من غريزة بشرية أخرى . ولكن الذي يتعمق في دراسة العلل الأولية يدرك أن العاطفة الدينية هي أصلح الغرائز الإنسانية لمعالجة هذه التطرفات ، وأنه لا يوجد أقوى منها تأثيرا في النفوس . فإذا كانت قد ضعفت عن أداء وظيفتها عند بعض الأمم ، فإنما اعترأها هذا العرض بسبب ما أصاب سلطان أديانهم أنفسهم من الضعف ، وهي لم يصيبها هذا الضعف إلا لأنه قد وقر في نفوس الدهماء أن بعضها مع ما حملته من أوهام الأقدمين ، وما طُبعت عليه من مجافاة العقل والنظر ، أمور تقاليدية يجب أن تؤخذ جملة أو تترك جملة ، ولكنهم لو علموا أن هنالك ديناً ينمى على التقليد والمقلدين ، ويدعو إلى النظر والعقل في الدين ، ويبني عقائده على الحق اليقين ، والدلائل المتين ، ويقوم من هذا كله على أسلوب يفوق الأسلوب العلمي الحديث في سمو أصوله ، ودقة تمحيصه ، أقوى أملهم في عود سلطان الدين ، ومتى عاد سلطانه تيقظت العاطفة الدينية في قلوب الآخذين به ، واستردت قوتها في تعديل عوجهم ، وتقويم أودهم ، وإقامتهم على جادة المدنية الفاضلة ، والكمال الصحيح . من أجل هذا اشتد الإسلام في تذليل عقبة التقليد الأعمى للأولين ، فعالج ذلك في ألوان شتى من البيان والتدليل ، بحيث لا تدع لأهل الجلود مجالاً للتعطيل ، ولا لأنصار الاحتكار مطعماً في التضليل . وكان ذلك منه لإصابة أغراض ثلاثة : (أولها) ليتمكن هو من نشر الأصول المحيية التي قصد بها إحياء البشرية في عهدها الأخير ، ولا يحول دونها غير التقليد للأولين . و (ثانيها) ليحفظ للعاطفة الدينية قوتها الذاتية

لنستطيع بها تأدية وظيفتها في ضبط النفوس، وكبح جماح الشهوات، وصدد تيار الفتنة عن اجتراف الجماهير، وذلك يجعل الدين مسابرا للتطورات العقلية، والثقافة العلمية. و (ثانها) ليجعل أسلوب النظر الديني أرقى وأدق من أسلوب النظر العلمي، حتى لا يطنى الأخير على الأول، فيكسف من جماله، ويغض من جلاله، ويجرى الناس خلفه مفتونين به.

هذا صرامٌ خطير رعى اليه الإسلام، لسكيلا ينفرد العقل وحده بالسلطان على النفوس، مستقلا عن العاطفة الدينية التي جعلها الله معدلة للميول البهيمية التي تلازم الحالة البشرية، ولا تقوى أية ثقافة عقلية على كبحها، كما هو مشاهد ملموس. وهذا لا يأتى إلا بإرغام العقل من طريق الحجة والبرهان على احترامها، وعلى الاعتراف بسلطانها، وهو لا يمتد لها بذلك إلا إذا قامت على مثل ما يقوم عليه من وسائل التمهيص والتحقيق، وتجردت عن مثل ما تجرد عنه من آثار الوراثة والتقاليد، التي لا يميزها دليل، ولا ينهض على إثباتها برهان عقلي أو محسوس.

استطاع الإسلام بهذا التدبير الخطير أن يؤاخي بين العقل والعاطفة الدينية لأول مرة في تاريخ الأديان، فتمكن من تأليف أمة تقوم على هذين الأصيلين الكريمين، فتأدت الى أرقى ما يبلغه البشر في الحالين، فكما انتهت اليها زعامة الثقافة العقلية والعلمية في الأرض، انتهت اليها الزعامة الدينية فيها أيضا، وأصبح الإسلام أهلا لأن يؤسس أرقى مدينة فاضلة، دون أن يصطدم فيها العقل والدين، ودون أن يتدهور الناس في ميولهم وآدابهم الى الخضيض، كما هو الشأن في مدينة هذا العصر اليوم.

فلننظر الآن الى أى مدى بلغ الإسلام من إحكام هذا التدبير الجليل؟ شرع الاسلام والناس مستعبدون لما ورنوه عن أسلافهم من أديان باطلة، وتقاليدها معطلة، لا ييغون عنها حولا، ويعتبرون كل من يريد زحزحتهم عما هم عليه منها عدواً لدوداً، لا شئ. غير أنه يأتيهم بإصلاح جديد.

فبدأ حملته عليهم بالإِذار والوعيد ، موقظا فيهم غريزة العقل ، منبها إياهم الى النظر والتأمل ، وداعيا لهم الى الاعتبار بمصاير الأُم التي سبقتهم ، فلما تم له هذا التمهيد أخذ يهاجم العلة الرئيسية التي تصرفهم عن الأخذ بالجديد ، وهي تقليد الأُمم لما ورثوه عن أسلافهم الأولين ، وإن كانوا منه على ضلال مبين ، فقال تعالى في لون بديع من البيان : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مِمَّا أُنزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمْى فهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) .

لقد مثل الله في الآية الثانية حال من أعمى التقليد ، فجعل من يدعوه الى الخير كن يصيح بالبهايم التي لا تفهم لدعاء الداعي معنى ، فهم صم بكم عى لا يعقلون ، وذلك لشدة تمسكهم بما ورثوه عن آبائهم ، وتجنّبهم التفكير والعقل .

يقول الله : إذا قيل لهؤلاء الكافرين اتبعوا ما أنزل الله ، أجابوا داعيهم قائلين : لا ، بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا ، فرد الله عليهم منبها فيهم غريزة العقل بقوله : أفتبعمونهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الى حق ؟ ثم صور حالهم ذلك التصوير الذي لا يرضى به من لديه مسكة من كرامة ، استفزازا لهم لطلب المخرج مما هم فيه .

ثم عمد الى لون آخر من البيان لتحويلهم عن هذا الجلود فقال : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ، قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) .

أى وإذا دعاهم داع الى ما أنزله الله من الهدى في القرآن ، أجابوه قائلين : يكفيننا ما ورثناه من العلم عن آبائنا الأولين . فرد الله عليهم قائلا : أفتقولون هذا وقد كان آبائكم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون سبيلا ؟

وفي هذا المقام طالبتهم بما يدعون لا بأنهم من العلم المزعوم فقال: (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) ؟ وقال في موطن آخر: (أَتُؤْنِنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا، أَوْ أَنْارِقَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

ثم أخذ بفيض لهم في بيان مصير الذين يقلدون آباءهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فقال: (إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) (أى رجعة الى الدنيا) فَتَنْتَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا، كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ).

وقال تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ، كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا، حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِاجُهُمْ لَأُولَاكُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَقَالَتْ أُولَاكُمْ لَأَخْرِاجُهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ).

ينبذ الله الناس بهذه الآية الى أن التائبين إذا احتجوا بأنهم مجنى عليهم، فلا يقبل ذلك منهم، لأن الله وهب الكافة عقولا وطالبتهم بالترقية بها بين ما هو حق وما هو باطل، فكلهم يستوون في التبعة، لا تمتاز طائفة على أخرى فيها، ولما طلب المقلدون الى الله أن يضاعف العذاب لكبرائهم الذين قلدوهم، رد الله عليهم بأنهم وإياهم سواء في التبعة، وبأنه قد زاد كلا منهم ضعفا من العذاب، وهذا أبلغ ما يعرف من الزجر عن التقليد الأعمى والتسكع فيه.

وقال تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ، لَا مَرْحَبًا بِهِمْ، إِلَيْهِمْ صَالُوا النَّارِ. قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ، أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيُبْسِ الْقَرَارُ).

ومعناه أن الملائكة في أثناء دخول الكافرين الى جهنم يقولون للزعماء: هذا فريق

مقتحم معكم النار، يريدون الذين كانوا يقلدونهم، فيقول هؤلاء الزعماء، لا مرحبا بهم، لقد كان لهم عقول يفرقون بها بين الحق والباطل، فجزاؤهم مثلنا النار، فيرد عليهم أولئك المقلدون قائلين: بل أنتم لا مرحبا بكم، فإنكم الذين زينتم لنا هذا الضلال فاتبعناكم فيه، فيئس ما انتهينا اليه من المال.

يريد الحق سبحانه وتعالى أن يبين لنا في مثل هذه الألوان الباهرة من البيان، أن القادة ومن تابع القادة سواء في سوء المنقلب، فلا ينفع الأخيرين أنهم كانوا تابعين لسوام، ما دام قد منحهم الله عقولا يميزون بها بين الهدى والضلال. وليس بعد هذا مذهب في تصوير سوء مغبة التقليد الأعمى، وفي حض الناس على استعمال عقولهم فيما يليق اليهم من التعامل.

بهذه الزواجر الأخاذة بالألباب، هدم الاسلام مبدأ التقليد الأعمى للأباء والأجداد، وأيقظ الشعور بالمسئولية الشخصية، فخلص الضعفاء من العبودية للأقوياء، وحطم حصن الاحتكار الذيع الذي كان ياجأ اليه المتصدرون لقيادة الدماء.

إن الاسلام أراد بما هدم من أركان التقليد الأعمى أن يلاشى حالة جاهلية كان الناس فيها مستعبدين لطوائف احتكرت فيهم العلم والدين، وتحكمت فيهم ما تحكم السادة الأعلى، لا يطبقون فيه على ما يقولونه نقدا، ولا يقبلون في هيئتهم من ليس منهم وإن بلغ السها فهما، وملا طباق الأرض علما، وهي حالة متى رسخت أصولها في أمة أصبح العلم والدين فيها وقفا على طائفة تتلاعب بهما أهواؤها، وتحولها الى ما يوافق مصالحها وشهواتها، فاستحالا على طول الزمن الى مجموعة من أوضاع جامدة تحول بين الأئمة وارتقائها، وتقف بها دون غاياتها.

هذا ما رى اليه الاسلام، فتأدى أهله الى أكمل ما تتأدى اليه أمة من تعاون العلم والدين، وتأخى حاجات القلوب وحاجات العقول، فبلغوا مدى من الارتقاء، وأوجب لهم زعامة العالم قرونا طويلة، والأمل معقود أن تعود اليهم هذه الزعامة متى قاموا بحق هذا الدين المبين، والله ولي الصالحين

محمد فريد وجدي

# النفس

## سورة النور

- ٢١ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ) .

ما أحسن ما يحتم به تلك الأحكام البالغة ، والارشادات النافعة ، والبيانات المفصلة فيما يتعلق بمخالطة الناس بعضهم بعضا ، فيختصها ببيان حال المؤمنين بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يجب أن يكونوا عليه من الاستسلام وتام الانقياد ، وأن يتماسكوا في الارتباط به ، وألا يرغبوا بشئونهم عن مجالسته ، وأن يروا السعادة لهم كل السعادة في أن يستوفوا أكثر ما يمكنهم أن يستوفوه من رحمت الله تساق إليهم

عن طريقه ، فلا ينصرفوا عنها ، ولا يزهدوا فيها ، ولا يقدموا عليها غيرها . ولقد نوه بشأن هذه المحافظة على الاستفادة من مجالسه وعدم التفریط فيها حتى جعلها من مقتضيات الإيمان ، بل جعلها في المرتبة الثالثة بعد الإيمان بالله ورسوله ، فقال جل من قائل : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » .

وقد قيل في سبب نزولها : إن قوما من المنافقين كانوا ينصرفون عن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الخطبة ، لما كانوا يحسونه من الأذى والألم إذ يشرح حال المنافقين ، وهم يعلمون من قرارة أنفسهم النفاق ، فلا يعطيهم سماع ما يعلمون أنه منطبق عليهم ، فيتسللون . وقيل : بل نزلت في تسليهم يوم الخندق إذ كان صلى الله عليه وسلم هو والمؤمنون مهتمين كل الاهتمام في حفره والاستعداد لمقابلة الأحزاب ومقاتلتهم ، وناهيك ببقايا العرب وقد تجمعوا من كل صوب يقصدون غزو المدينة ، حتى إنه عليه الصلاة والسلام كان يعمل بنفسه في ذلك ، تشجيعا للمسلمين ، وتقوية لعزائمهم ، وحفزا لهم ، فالانصراف في مثل هذه الحال من أشد الجرائم . والأمر الجامع عام في كل أمر مهم ، ديني أو دنيوي ، فيشمل الاجتماع للجمعة والعيد ، والتشاور في الحروب والاجتماع لها ، والاستعداد لدفع الطوارئ ، وما يماثل ذلك من مهمات الأمور . ومعنى كون الأمر جامعا أنه مدعاة للاجتماع للتعاون أو التشاور . فالانصراف في هذه الحالة جناية من المرء على نفسه ، لحرماتها من المشاركة في عظام الأمور ، وجناية على المجتمعين ، لأنه يفت في عضدهم إذا كان الأمر مما يدعو إلى التسانف فيما بينهم ، وإيذاء لهم في شعورهم بوجوب تعظيم الشعائر الدينية واحترامها إذا كان الأمر دينيا محضا كالجمعة وخطبتها ، وإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان شديد الحرص على هدام وسعادتهم ، وإعلاء كلمة الله ، وتوحيد صفوف الأمة ، وجمع الكلمة ، وتعظيم شعائر الدين . وكل ما فيه إخلال بشيء من هذا كان فيه إيذاء له وإيلام . فلا جرم جعل



الإيمان منوطاً بالاستمسك بجبل جماعة المسلمين ، ومنع الانصراف إلا بإذن منه عليه الصلاة والسلام ، وذلك قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » فقد حصر المؤمنين حقاً فيمن جمع هذه الصفات الثلاث : أن يؤمن بالله ، وأن يؤمن برسوله ، وأن ياتزم مجتمعه إذا كان في أمر مهم ، فلا يذهب حتى يستأذنه . ويكون من أحل بواحدة منها لا يستحق أن يكون في زمرة المؤمنين . وكفى بهذا في بيان آداب المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه معه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : « حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » أى ويأذن لهم إذا شاء ، على ما سيأتى في الآية التالية في قوله : « فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ » فإذا استأذنوه ولم يأذن ، لم يكن لهم أن يذهبوا ، فليس الخروج عن العهدة بمجرد طاب الإذن ولو لم يصدر لهم الإذن ، وإلا لم يكن للاستئذان معنى . ولوضوح ذلك لم ينص عليه ، ألا ترى أنه يعد من السخف في الفهم أن ينصرف مرءوس عن عمله لمجرد أنه طلب الإذن من رئيسه ولو كتابة قبل أن يصدر له رئيسه الإذن المطلوب ؟ وإذا احتج بقوله قد استأذنت قيل له : فهل أذن لك ؟

ولقد أعاد جل وعلا هذا الحكم بأسلوب آخر ، فجعل المستأذنين هم الذين يستحقون الوصف بأنهم مؤمنون دون سواهم ، فقال عز من قائل : « إِن الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » أى فالذين يذهبون ولا يستأذنون ليسوا من الإيمان في شيء ، ولا يستحقون أن يحشروا في زمرة المؤمنين . وكأن في إعادة ذكرهم بقوله « أُولَئِكَ » إشارة إلى أنهم استحقوا وصف الإيمان بهذه الصفة التي ذكروا بها وهي الاستئذان ، فقد قال علماء البلاغة : إن التعبير عن الخبر عنه باسم الإشارة بعد وصفه بصفات ، يدل على أنه استحق الخبر المذكور من أجل تلك الصفات . ونظيره قوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » بعد وصفهم بالإيمان

بالغيب ، وإقامة الصلاة ، والإيفاء بما رزقهم الله ، الى آخر تلك الصفات المذكورة في أول سورة البقرة .

ولا يذهب عنك أن مثل هذا الحكم وربط الايمان ببعض الأعمال لا يراد به أن كل من خالف هذا العمل كان كافرا ، بل ذلك من المبالغة في التنويه بالحكم ، والحث على رعايته ، وشدة الاستمساك به ، وله نظائر كثيرة في الكتاب والسنة . ويصح في هذه الآية الكريمة أن يحمل ذلك على نفي الايمان عن أولئك المنافقين الذين كانوا يتسللون من حضرته صلى الله عليه وسلم ، فتكون الآية لبيان علامة بها يعلم المنافقون الذين يندسون في وسط المؤمنين ، ويتظاهرون بأنهم آمنوا وعم في الحقيقة كاذبون .

وقوله تعالى : « فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم » يفيد جملة أمور : ( أولا ) أن الاستئذان لا ينبغي أن يكون لكل شأن طرأ ، بل ينبغي قصره على بعض الشئون ، وذلك بالضرورة هو المهم منها . ( ثانيا ) أن الإذن وعدم الإذن موكول الى مشيئته صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أن مشيئته عليه الصلاة والسلام مشيئة عن رأى وروية ، وتقدير مصالحة ، وتمييز ما يستحق الإذن وما لا يستحقه ، وليست مشيئة الهوى والتشهى . ومن هذا يؤخذ أن بعض الأحكام يصح أن يسند لما يراه عليه السلام من المصلحة ، فلا يقيد بحكم بعينه . ولعل مثله عليه السلام في ذلك من يוכל اليه أمر جماعة المسلمين ، فينأط الحكم بما يراه من المصلحة التي تنغير وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والملابسات . و ( ثالثا ) أن الأولى والأحق بالمؤمنين أن يتحاشى عن الانصراف ولو بإذن ولو في شئون الشخص المهمة ، فالمصلحة العامة للمؤمنين والأمر الجامع أحق بأن يتفرغ له ، وأن يقدم على الشئون الخاصة .

تفهم هذا من قوله تعالى : « واستغفر لهم الله » فإنها تفيد أن هذا الاستئذان من حقه أن يستغفر منه مهما كان داعيه . وفي ذلك حث عظيم على الاستمساك بما يدعو اليه

صلى الله عليه وسلم من الاجتماع ، وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة . وما أحق المسلمين بأن يتفهموا هذا ويفقهوه على وجهه ، ويروضوا أنفسهم على العناية بأمور الجماعة بدل أن يقصر كل امرئ، همه على مصلحة نفسه !

وقوله تعالى : « إن الله غفور رحيم » فيه تطمين للمسلمين وتخفيف الحرج عن نفوسهم ، لكيلا يقعوا في العنت ويضيقوا على أنفسهم ، فيهملوا مصالحهم الخاصة إهمالا كبيرا . فهي كتخفيف للشدة التي قد تقهّم من قوله عز وجل : واستغفر لهم الله . ومعناها أن الله كثير الغفرة واسع الرحمة ، فلا يكلفكم من أمركم رهقا . وكون الاستغفار صادرا من النبي صلى الله عليه وسلم مما يقوى هذه الطمأنينة ، فترى في قوله واستغفر لهم الله أمرين : (الأول) تصوير هذا الموضع بأنه مما يستغفر منه ، فقهّم ألا يغرقوا فيه كثيرا . و (الثاني) أنهم إذا راعوا ذلك فإن الغفرة مضمونة لهم ، فالاستغفار هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار منه بأمر الله ، وفي ذلك أعظم طمأنينة .

واعلم أن مثل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحكم كل من له ولاية عامة على جماعة من المسلمين في أمر ديني أو دنيوي بحيث يجب عليهم طاعته في ذلك ، فإنهم إذا كانوا على أمر جامع قايس لأحد منهم أن ينصرف عنه حتى يستأذنه ويأذن له ، وإن كان ذلك المستأذن يشعر بأنه ليس له عمل في الحال ، فقد يكون ذلك المنوط به تدير الأمر الجامع قد رتب في نفسه عملا لهذا المريد للانصراف ، أو يطرأ عليه من الشئون ما يحتاج معه إليه ، فللاعمال العامة طوارئ ليست في الحسبان عادة . ومثل الأعمال العامة للجماعة المسلمين الأعمال التي يشترك فيها فئة من الناس بطريق التعاون والتساند ، فإنها تأخذ هذا الحكم بحسب ما لها من المقام الذي يوجبها أو يؤكدّها فقاعدة (وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) قاعدة يجب أن تراعى عند كل القائمين بالأعمال المشتركة التي يناط أمر تديرها بواحد برأس أولئك القائمين بها .

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضاً) :

زيادة في الحث على التزام الطاعة وملازمة الجماعة التي اجتمعت لأمر جامع ، وتنبيهه إلى خطر الموقف ، وأنه ليس كبقية المواقف ، فليس دعاء الرسول إياهم أن يجتمعوا ليتشاوروا وليتعاونوا أو ليقوموا بأي غرض مهم من أغراض الدنيا أو الدين - وغرض الدنيا المراد به المصالح العامة ، فهي راجعة أيضاً إلى الدين ، والمراد بغرض الدين المقابل للعبادة الصرفة - نقول : ليس دعاء الرسول إياهم لذلك كدعاء بعضهم بعضاً في الشؤون التفاهة المبنيّة على التسامح من الجانبين ، فلا يبالي الداعي أجيب أم لم يجب ، ولا على المدعو في أن يجيب أو لم يجب ، بل هذا أمر خطر يتعاق بمصلحة لها الأثر العظيم . وذلك هو الشأن فيما يدعو إليه صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ما أشبهه وأخذ حكمه من دعاء إمام المسلمين أو من ينوب عنه في تدير أمر من أمور الأمة ، فقد أوجب الله طاعته كذلك ، فالمراد بدعاء بعضهم بعضاً فيما لا ولاية فيه لأحد على أحد من قبل الحق جل وعلا ، فتمت الولاية الموجبة للطاعة جاء معها هذا الحكم . والله أعلم .

(فد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) :

هذا وعيد لمن تحدّثه نفسه بالانصراف خفية وخلسة ، فسدّ في وجوههم طريق التفكير في هذا ، وبين لهم أن من تحدّثه نفسه بأنه يستطيع الانصراف خفية هل يظن أن يستخفي على الله وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟ وأنه هو الذي أمر وأوجب ، فمن حاد عن أمره فانما عصاه هو ، وليس العصيان واقفاً عند حد الخلق الذي حسب أن يختلس نفسه منه .

والتسلل : الخروج من البين على التدرج والخفية . واللواذ : مصدر لاوذ ، مأخوذ من لاذه به يلوذ أي التجأ إليه ، كأنهم كانوا في تسللهم يلوذ أحدهم بالآخر يتستر هذا بذلك وذلك بهذا ، أو يخرج واحد كالمعتذر والثاني كالتابع له . وهذه الطرق تشاهدها في الكثير من الناس إذا انصرفوا عن مجتمعين ، فإن كل منصرف يشعر بأنه مقترف نحو المجتمعين ذنباً بخروجه ، فيترقب أن يوجد من يلوذ به حتى ينسل معه ، وربما اتفق

اثنان أو أكثر على أن يبدأ واحد منهم ويتبعه غيره ، فيشد كل منهم أزر صاحبه في مقارفة ذلك الذي ينكره عليهم المجتمعون . فكلمة لوإذا تحدد بالضبط هذا الشعور ، وهو أن كلا منهم يلوذ بصاحبه ، حتى إن المتقدم كأنه يتستر بمن يليه ويشاركه فيما اقترف ، وقد يكون أحدهما لا ذ بالآخر دون أن يلوذ الآخر به ، فقد روى أنه كان بعض المسلمين يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم لعذر لحقه كرعاف أو غيره ، فيشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه التي تلي الإبهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج ، فيخرج معه الرجل من المنافقين لأندأ به ، إما بتستره به ، أو بالتظاهر بأنه من أتباعه .

( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) : زيادة في تعظيم الأمر وتهويل الخطب ، وأنه ليس من الهنات الهيئات ، بل يخشى منه ما ليس لكم على بال ، فرب أمر استصغرت وإذا به يجر الوبال والمصاب الكبير . وما أحق هذا الموضوع بأن يكون من هذا القبيل : ولنضرب لذلك مثلاً : هب أن الأمر الجامع كان غزوا وربط له جيش كبير ، فتححدث بعض الجنود نفسه بأنه في هذا الجمع كقطرة في بحر ، فينصرف بلا إذن ، فيتسلل معه آخر يلوذ به ، وقد يكون الخاطر بعينه خطر أميرهما فيشجعه عملهما على أن يقتدى بهما ، فتوجد ثغرة في الصفوف يكون منها النكبة على الجميع . وليس الأمر قاصراً على الحروب ، بل تجد المصالح المشتركة يرتبط بعضها ببعض ، ويتوقف كبيرها على صغيرها ، ويعطل نافعها خطيرها . فالخالفه مهما استسهلها صاحبها في الأمور العامة قد تجر إلى الضرر العظيم ، فكان المقام حقيقاً بأن يؤمر الذين يعتادون المخالفة أن يرقبوا ما يصيبهم من الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة . والفتنة تتنوع بحسب الأمر المجتمع عليه ، فقد تكون القتل ، وقد تكون التعذيب ، وقد تكون المذلة والمهانة ، وقد تكون تضيق الرزق وأمثال ذلك ، مما يتعرض له المرء بالخالفه . والعذاب الأليم فسر بعذاب الآخرة ، وكلمة (أو)

لا تمتنع اجتماعهما . هذا وفي الإتيان بلفظ (عن) في قوله « يخالفون عن أمره » تضمنين يخالفون معنى يصدون ويعرضون ، وهى في تفتيح المخالفة أبلغ من قولك : يخالف أمره ، لما تشعر به كلمة (عن) من الابتعاد والإعراض .

قال الله تعالى : ( ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ) :

هذا أحسن ما يهتم به هذه الأوامر والتكاليف ، فيبين فى ختامها أنها صادرة من مالك الأمر كله ، المتصرف فى ملكوت السموات والأرض ، الشاملة قدرته لجميع الموجودات إيجادا وإعداما ، بدءا وإعادة ، إحياء وإماتة ، فهى بأسرها فى قبضة يمينه خلفا وتصرفا وملكاً ، فله الأمر وله الملك ، وهو على كل شئ قدير . فمن ذا الذى يستطيع أن يتعرض لعقوبته بخالفة أمره ، ومن ذا الذى يخرج عن قبضته وهو مالك بناصيته ؟ هذا قوله : « ألا إن لله ما فى السموات والأرض » أى فأنتم مندجون فى ملكه ، مشمولون بسلطانه . وأما قوله : « قد يعلم ما أنتم عليه » الخ ، فهو تهديد من ناحية أخرى وهى ناحية العلم ، فهو يقول : إنكم مع شمول القدرة لكم من جميع نواحيكم فإنه لا تنفى عليه منكم خافية ، فهو يعلم ما أنتم عليه ، يعلم سركم ونجواكم ، يعلم ما تبدون وما تكتمون ، يعلم ما تعملون وما تفكرون ، فيجازى كل عامل بما عمل ، يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، حتى تقوم عليهم الحجة ، ويعترفوا بذنبهم ، ويعلموا أنه قد أحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة ، والله بكل شئ عليم . وفى الإتيان بلفظ الجلالة مظهرا معنى تربية الروعة والمهابة ، ليحمل السامع على تمام الامتثال والخضوع لأحكامه ، استعدادا لثوابه ، وحذرا من عقابه ، وحياء من جنابه .

نسأله تعالى أن يجعل طاعته شعارنا ، والزلفى إليه طريقنا ، وأن يهدينا بهديه ، وأن يرزقنا رضاه ورحمته ، إنه سميع الدعاء ، مجيب النداء : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

## دحض مفتريات المستشرقين

نشر بعض المستشرقين كتابا في أوروبا ألقوا فيه بذكر إبراهيم عليه السلام ، واستطردوا من ذلك الى التعرض لما ورد عنه في القرآن الكريم ، مما خيل اليهم أنه يصح أن يعتبر شبهات على كتاب الله فيما ذكروه عن والد إبراهيم ، وصلة إبراهيم بولده إسماعيل عليهما السلام ، وعن بناءهما الكعبة ، وعن نسبة العرب للإسماعيلية الى هذا النبي الكريم الخ . ونحن نلخص تلك الشبهات ، ثم نكرعها بالرد ، إحقاقا للحق ، وإزهاقا للباطل ، فنقول :

قال هذا المستشرق ما ملخصه :

(١) إن ما ورد من اسم والد إبراهيم في القرآن يناق ما ورد عنه في التوراة ، فإن القرآن أسماه ( آزر ) والتوراة دعتة ( تارخ ) .

(٢) إن شخصية إبراهيم مرت في القرآن بدورين ، فقد ذكر عنه في أولهما بالسور المسكية أنه رسول كسائر الرسل ، أرسل لقومه المعاصرين له ، ولم يذكر له صلة بإسماعيل ، وصرح فيها بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم من نذير ، ولم يذكر عنه في هذا الدور أنه أول بانٍ للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين .

فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة تغيرت الحال ، فجاء ذكر إبراهيم في السور المدنية مشفوعا بأنه مؤسس لملة لا يرغب عنها إلا من مدقه نفسه ، وأنه حنيف مسلم ، وأنه هو الذي بنى الكعبة ومعه ابنه إسماعيل .

قال : وسر هذا التطور أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود في أول أدوار دعوته للإسلام بمكة ، فلما لم ينصروه التمس نصيرا غيرهم بتلك الدعوى .

فهداه ذكاؤه الوقاد الى إعلان أن إبراهيم أب للعرب ، فخلص بذلك من يهودية

عصره ، الى يهودية ابراهيم نفسه ، تلك اليهودية التي يزعمون أنها أساس للإسلام الذي انتدب لنشره .

فلما أصبحت مكة تشغل جُلَّ تفكير الرسول ، نسب الى ابراهيم إقامته لبیت الله الحرام بمكة .

هذه شبهات أولئك المستشرقين ، ونحن نكر عليها بالدحض بحسب ترتيبها فنقول :  
أما عن الخلاف الموجود بين القرآن والتوراة في اسم والد ابراهيم ، فلم يجعله خلافاً غير هذا المستشرق ، إذ لم يعلنه أحد قبله ، وكان أحق بهذا الاعلان وبالظنونة به اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أحرص الناس على إبطال دعوته ، وصرف الناس عن رسالته . وكانوا من أجل ذلك يترصدون لجميع ما يبدر منه من أقوال وأفعال ، ليتخذوا من بعضها وسائل للإرجاف ، وذرائع للخلاف . فلو كانوا رأوا في مسألة والد ابراهيم وجهاً لإثارة شبهة للأول الجوبها اعتراضاً ، ولا يتخذوها نكأة قوية لهم للتشكيك في القرآن فأما وقد مررت عليهم هذه التسمية ولم يتشبث بها أى معترض ممن كانوا يناوئون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعنى ذلك حتماً أنها لا تستدعى أقل التفات ، ولا تثير أوهى شبهة .

فلقد مررت على وجود هذه التسمية أحقاب متطاولة ، واحتدم الخلاف كثيراً في أدوار شتى بين المسلمين واليهود ، في الدين ، وفي الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ونهيات ظروف كثيرة للإرجاف والتشنيع من المنافقين واليهود ، كل هذا حصل ولم يستطع أحد من هؤلاء الخصوم العتاة أن يتمسك بما يسميه المستشرق اليوم خلافاً بين القرآن والتوراة .

أفلا يدل هذا قطعا على أن كلمة (آزر) كانت تطلق في ذلك العهد وقبله على (تاريخ) إطلاقاً صحيحاً شائعاً بين العرب واليهود ، فهو إما أن يكون لقباً عرف به والد ابراهيم ، أو صفة غلبت عليه فجرت مجرى العلم ؟



إن هذا المستشرق يفترض أن محمداً كان يعتمد في نشر الاسلام على يهودية إبراهيم المزعومة ، فهل يعقل أن بخطىء في اسم أبيه وهو بين ظهرائي ألوف مؤلفة من اليهود ، وفي أيديهم التوراة مترجمة الى العربية ، وذكر إبراهيم ذائع بينهم كل الذبوع ، ويسهل عليه أن يعرف اسم أبيه من أى طريق شاء ؟

هذا ما يتعذر فهمه كل التعذر ، ويسوغ لنا أن نقول : إنه ليس لهذه الشبهة قيمة على الإطلاق .

فلننظر الآن في بقية ما نشره ذلك المستشرق من الشبهات ، وهو أن شخصية إبراهيم قد مرت بدورين : فاعتبر أولاً واحداً من المرسلين ، ولم تذكر له صلة بإسماعيل ، وصرح القرآن بأن العرب لم يرسل اليهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم من نذير ، ولم يذكر عنه أنه أول بان للكعبة ، ولا أنه أول المسلمين . فلما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة تغير ذلك كله ، فاعتبر إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وعدّ مؤسساً لملة لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه ، وأنه بنى الكعبة مع ابنه اسماعيل ، الخ .

رتب هذا المستشرق هذه الخيالات يقصد من ورائها أن يقول في صراحة : إن القرآن الكريم ليس من كلام الله وإنما هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه قد اتخذ فيه مارآه من ضروب السياسة ومصالحته الشخصية أمام العرب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» .

ونحن نقول : إن هذا الكلام قد أملاه على قائله جهل بحقيقة الاسلام ، وخبط في تاريخ أدواره ، وغفلة عن الأصول التي بنى عليها من أول يوم إيماناً .

وقبل أن نعرض لبيان هذه الشئون نتصدى لبناء هذه الشبهة ، فتبين تفكك أجزائها ، وتداعى أركانها ، وثبت أنها أسست على جهالات تاريخية لا تغتفر لكاتب . فأما أن القرآن جمل إبراهيم واحداً من المرسلين ، مثله كمثل سائر النبيين ، فهذا لا علاقة له بأحد دورين دخات فيهما شخصيته ، ولكنه وصفه الملزم له في جميع

الأدوار ، فكل مسلم من أول وجود الإسلام الى اليوم يقول بذلك ولا يعدوه الى غيره ، فإن كان لإبراهيم شأن في تاريخ الإسلام غير ما لإخوانه من الرسل ، فذلك لأنه الجدا الأول لفريق كبير من العرب ، ومؤسس البنية التي كانوا جميعا سواء الإسماعيليون منهم والقحطانيون يحجون إليها في كل عام مرة ، وكان يدين بدينه منهم رجال كانوا موزعين في جميع قبائلهم .

والعرب أجمعون بفريقهم قبل الإسلام كانوا يعتقدون أن بيت الله الحرام بناه إبراهيم وابنه إسماعيل ليقيميا فيه الصلاة .

هذه كانت عقيدة العرب في الجاهلية ، ولذلك اتخذوا هذه البنية بيتا مقدسا يحجون اليه في كل عام مرة ، ولم يختلف أحد منهم في شخصية بانيها ، وقد اختلفوا في كل شيء حتى في أسماء معبوداتهم إلا في نسبة هذه البنية الى إبراهيم وإسماعيل . وليس في الأمر نفسه ما يوجب العجب من أية ناحية حتى يتخذ منه الناقدون المعاصرون شبهة على القرآن الكريم ، فالمسألة أصبحت بعد هذا البيان تنحصر في هل نزل إبراهيم عليه السلام بلاد العرب ؟ فالعرب يقولون : نعم ، وبني فيها هذا البيت الذي نحج اليه ، واليهود الذين يعتمد المستشرقون على كتابهم يوافقون العرب على ذلك ، ويؤمنون المكان الذي نزل فيه وأودعه امرأته هاجر وابنه منها إسماعيل ( راجع التوراة ، الفقرة الثامنة عشرة من الإصحاح الخامس والعشرين ، والفقرة العشرين من الإصحاح الحادى والعشرين ) .

هذا كله كان يعرفه العرب الجاهليون واليهود النازلون بين ظهرا نبيهم ، أفيعقل أن ينسب الى الاسلام أنه مخترع هذه القصة ؟ وإذا عقل بعضهم هذه الشبهة ، فهل يعقل معها أنه هو الذي وضعها في التوراة نفسه ؟

وما معنى قول هذا المستشرق : إن القرآن في أول أمره لم يصرح بصلة إبراهيم بإسماعيل ؟ أفكان منه هذا الصمت لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها وهو بمكة مع وجودها في التوراة وشيوعها على السنة اليهود هنالك ؟

غريب أمر هذا المستشرق : يزعم أن القرآن في أول عهده وفي سورة المكية لم يصرح بصلة إبراهيم بإسماعيل ، مع أنه قد ذكر تصريحاً في إحدى تلك السور المكية وهي سورة إبراهيم ، فقد قال الله تعالى فيها على لسان إبراهيم : ( اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِيْ عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ) . فعلى أى أساس شيد هذا المستشرق زعمه الذى زعمه غير جهله بالسور المكية وما ورد فيها ؟ أيعقل أنه كان يطنطن بدعواه هذه ويقيم عايتها تلك المفتريات التى رتبها عليها إذا كان قد وقع نظره مرة على سورة إبراهيم المكية ووجد فيها صراحة صلة إبراهيم بإسماعيل ؟

نحن نعلم أن من المستشرقين من يفتري الكذب على الإسلام ، ولكننا كنا نظن أنهم يستحيون من نفي شئ ، ذكر صراحة في كتابه الكريم .

أما قوله : وقد صرح القرآن بأن الله لم يرسل الى العرب رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم مستندا الى مثل قوله تعالى : ( لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَانَهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) فليس بصحيح ، لأن المراد من مثل هذه الآية أن الله لم يرسل الى تلك الطبقة من العرب المستعربة رسولا قبل محمد ، ولم يقصد بما قاله في أمثال هذه الآيات نفي إرسال أى رسول الى العرب في كل الأجيال على الإطلاق ، فقد ذكر القرآن الكريم نفسه في نصوص صريحة بأنه أرسل هودا عليه السلام الى بنى عاد ، وصالحا الى بنى ثمود ، وجميع هؤلاء العرب من طبقة العرب البائدة .

وقد صرح القرآن الكريم أيضا بأن إسماعيل كان رسولا نبيا . وليس بخاف أنه نشأ في بنى جرهم الذين أصهر اليهم ، فنشأت من هذا الاختلاط طبقة العرب الايسماعيلية الذين منهم قريش وريعة ومضر وغيرهم ، فكان إسماعيل عليه السلام موجودا في أول أدوار تكوين تلك الطبقة . وأشار الكتاب الكريم الى أن رسالته خصت عشيرته الأقربين ، فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق ، ولم يكلف أن تعدو رسالته تلك العشيرة ، فلم يكن مبشرا ونذيرا عاما ، وعلى رأس انقلابات كبيرة

كما كان شأن محمد صلى الله عليه وسلم . وقد دل التاريخ على أنه منذ أن نشأت القبائل العدنانية الى عهد خاتم النبيين لم يرسل الى العرب نذير قبله صلى الله عليه وسلم . فإذ ذكره القرآن صحيح وموافق للتاريخ العام كل الموافقة ، ولا تناقض فيه من أية ناحية من نواحيه .

أما قول ذلك المستشرق : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتمد في قيام أمره على يهود مكة ، فليس بصحيح ، ولا يوجد في الكتاب ولا التاريخ ما يثبت ، فلم يوجه إليهم الدعوة مرة واحدة ، ولم يُنقل أنه كان يجتمع بهم أو يشاورهم في أمر الدعوة الإسلامية . والذي ورد في الكتاب أنه في أول أمره أمر أن يدعو الى دينه سرا ، ثم بأن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أمر بإعلان دعوته ، فعاداه قومه لهذا السبب ، وعملوا على إبطال أمره ، ولم تذكر اليهود في تلك الأدوار ولا مرة واحدة . ولم يبين لنا ذلك المستشرق نوع تلك المساعدة التي كان يرجوها منهم ، أم هي مساعدته في نشر الدعوة ولم يوجه إليهم الخطاب مرة واحدة ، أم إعانته بالقوة ولم يكونوا ذوى عدد يخشى لهم بأس في وسط تلك القبائل القوية ، بل ما كانوا يفتنون عن أنفسهم فيها ؟ إن الله لم يصارح أحدا بالعداء في القرآن الكريم كما صارح اليهود ، فكيف يتهمهم محمد ويستعين بهم ! اللهم إن هذه أقوال مافقة على عواهنها ، وليس فيها ظل من التحقيق العاقل .

إذا كان هذا الأمر صحيحا ، أما كان الواجب أن يرد في القرآن الكريم ما يستوجب عطفهم ، ويستنزل جنوحهم ، من التنويه بسلامة عقائدهم ، أو الإشادة بذكر قرابتهم ؟ فكيف ذلك وهو يقول بأن الكتاب لم يعلن أبوة إبراهيم للعرب إلا في المدينة ، أليس كان أولى أن يكون هذا وهو بمكة يستريح فيها عون اليهود ، من أن يكون بالمدينة وهو يصارحهم فيها بالعداء ، ويكشف عن سيئاتهم ؟ أليست هذه شبهة مفككة الأوصال ، منحلة العرى ، داحضة من نفسها دحوضا لا قيام لها بعده ؟ :

ثم قال ذلك المستشرق : إنه لما يئس من اليهود وجهه شطر قوم آخرين . فمن أولئك القوم الآخرون ؟ النصارى ، ولم يكونوا بذوى عدد فى بلاد العرب ، ولا يأتهمون لقراية العرب الى ابراهيم وابنه ، ولا بأنهما هما اللذان بنيا الكعبة ؟ أم كان أولئك القوم الآخرون هم أهل المدينة ، وقد كانوا من القبائل الميزية الذين نزحوا بعد سيل العرم الى بلاد العرب ، وكان لا يعنهم من أمر ابراهيم شيئا ؟ أم كانوا أولئك الأفراد الذين كانوا يدينون من العرب بدين ابراهيم ، وكانوا نفرًا يعدون عداموزعين فى القبائل ، ولا تجمعهم جامعة فى طول بلاد العرب وعرضها ؟ أم كانوا قوما آخرين لا نعرفهم ولا يعرفهم التاريخ نفسه ؟

لقد تبين القارئ من كل ما مر أن هذه الشبهات التى أوردها ذلك المستشرق لا تقوم على أساس مطلقا ، وما أملاها عليه إلا الخيال المحض ، وإرادة النقص من كرامة الإسلام بمثل هذه الأقوال الفارغة .

وقد غفل هذا المستشرق عن أمر جليل ، وهو ما بنى عليه الاسلام من أصول عالية ، وما أقيم عليه صرحه من وطائد عالمية راسخة .

إن الاسلام لم يعتمد فى قيامه على تأليف شعب مختار تستند أبوته الى شخصية ممتازة ، ولكن رعى الى تأليف أمة عالمية تذوب فيها الجنسيات والفوارق الاجتماعية ، بإسنادها الى الأبوة العامة المتفق عليها ، وهى أبوة آدم ، فقال تعالى مخاطبا الناس كافة : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ) (١) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

أما عن الاعتراف الى الشخصيات الممتازة ، والأبوات الماجدة ، فقد قال الله تعالى : ( أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلِمُ أَمِ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ،

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

فالاسلام يسوى في الحق بين من كان أبوه إبراهيم الخليل أو محمدا خاتم النبيين وبين من كان أبوه عبدا أسود، أو من لا يعرف له أب أصلا، فليس هو بالدين الذى بنى أمره على هذه الشئون التى لوراجت في زمان محدود، أو لدى طائفة معينة في دور من أدوار عقليتها الساذجة، فلا تروج في كل زمان ومكان، ولا لدى الأقوام الذين ارتقت عقولهم، ويعمدون أمثال هذه الأمور حاطة بكرامة الاجتماع.

الاسلام دين شرع للناس كافة: أبيضهم وأسودهم، عربهم وأعجمهم، فسوى بينهم مساواة لا محل فيها لأبوة ممتازة، ولا لأصل ماجد، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد أزال الله عنكم دعوة الجاهلية واعتزازها بالأنسب، كلكم من آدم وآدم من تراب». وقد رعى الى تأليف أمة عالمية ذات دين موحد، لا هو دين ابراهيم ولا دين نوح، ولكن دين الله نفسه، القائم على الفطرة التى فطر الناس عليها، وعلى العقل والعلم، فقال تعالى: ( أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ؟ ) وقد قرر الله في غير آية أن الاسلام هو الدين الأول الذى أوحاه الله الى أول رسول، فقال تعالى: ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ).

فاذا كان الكتاب يقول عن الاسلام بأنه دين أبيكم ابراهيم فلذلك، لا باعتبار أنه أول من جاء به، فإن عبارة الآية السابقة تمنع ذلك، ولكن باعتبار أنه كان أكبر تمثليه في العالم. وإذا كان الكتاب قد صرح بأن إبراهيم أول المسلمين، فذلك بمعنى أنه في مقدمة من دان بالاسلام، لا بمعنى أنه واضعه، أو أول من تلقاه عن الله تعالى. وذلك على حد قول الله تعالى: ( قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ) فعنناه أن محمدا يبادر الى عبادته، لا أنه أول من قام بعبادته من الناس أجمعين.

فالاسلام كما نرى لا يقوم على أمثال هذه الأصول التى أتعب ذلك المستشرق

نفسه في تخيلها، ولكنه يقوم على أصول عالمية عامة، لم تقم على مثلها أمة الى اليوم، وتعتزف أرقى فلسفة بأنها أكمل الأصول وأولاها بالاجلال. وهو في كل أوامره وتواحيه ينحو هذا النحو العالمى العام، ويحطم في سبيل ذلك جميع الفوارق الاجتماعية التى أقامتها جاهلية الشعوب، وروجتها عصبية القوميات فى أدوار التاريخ. وليس بين هذا الاسلام وبين أن يكون دين العالم كله، إلا أن تعرفه الأمم حق معرفته، وإذ ذاك يصبح الاسلام الدين البشرى العام، فيتحقق معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) «ولتعلن نبأه بعد حين»

محمد فريد ومجدي

## تأثير الغنى والفقر فى الاخلاق

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عامله على العراق أبى موسى الاشعري يقول له : لا تستقضين إلا اذا حسب ومال ، فان ذا الحسب يخاف العواقب ، وذا المال لا يرغب فى مال غيره .

نقول : هذا كلام حق ، فان صاحب الحسب - والحسب كل ما يحصله الانسان لنفسه من الشرف - يغار على كرامته ، ويحرص على سمعته ، فلا يرتكب ما يحط من شأنه فى نظر الناس ، ويقدح فى مروءته عندهم . وصاحب المال جدير أن يعف عما فى أيدي الناس ، فلا يشيب حكه بالرشا ، ولا يضطهد الناس ليضطرم الى مرضاته بأموالهم . وهذه من الحكم العمرية التى امتاز بها الفاروق رضى الله عنه .

وروى عن بعض سلفنا الصالح قوله : إني وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقي والغنى ، وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر .

وقال بعض الشعراء :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وهذا كلام عليه عبقة من الحكمة ، فان الغنى أجدر أن يؤدى الى مكارم الاخلاق ، ولكن الفقر قد يؤدى الى ارتكاب المعاصى .

## فضل الصلاة وبيان أسرارها

وشرح حديث شريف

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات أف يبقى ذلك من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس : يمحو الله بها الخطايا » . أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . وفى لفظ آخر : « إنما مثل الصلاة كمثل نهـر عذب غمر بباب أحدكم يفتـحـم فيه كل يوم خمس مرات » . أخرجه مالك فى الموطأ من حديث طويل . وعن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » أخرجه أبو داود . وفى رواية : « حزنه » بالنون ، والمراد نزل به وأهمه . الى غير ذلك وهو كثير .

فاعلم أن الصلاة أعظم العبادات شأنًا ، وأوضحها برهانًا ، وأكبرها أثرًا فى تطهير القلوب والنفوس ، ولذلك اعتنى الشارع بها أعظم عناية ، حتى قال : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة . وقد جرى على ظاهر تلك الأحاديث الإمام أحمد ، فكفر تارك الصلاة ، ووافقه على ذلك ابن حبيب من كبار علماء المالكية . وكأنهم رأوا أن الصلاة من أعظم شعائر الإسلام وعلاماته التى إذا فقدت حكم بفقده ، لقوة الملابسة بينها وبينه ، فإن الصلاة هى الحقيقة لمعنى إسلام الوجه لله ، فكأن من لم يكن له حظ منها لم يبو من الإسلام إلا بما لا يعبأ به . وبالجمله فهى فى نظر الشارع أعظم شعائر الدين ، ولذلك أوصى بها الصغار والكبار ، وحذرهم غاية التحذير من التهاون بها والتفريط فيها ، لتكون ملكة راسخة فى النفوس ، بحيث تكون صفة لها ، متمكنة منها ، مسيطره عليها ، حتى تمنعها من اقتراف الذنوب بسطرتها القاهر وما تورثه فى النفس من الخشية والمراقبة ، ولذلك يقول الله تعالى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى



عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ويقول : (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأِئُومُونَ) وسنشرح ذلك تمام الشرح ، ومن المعلوم أن كل إنسان إنما تحكم فيه خلاقته وملكانه التي انصبقت بها نفسه ، وانتعش بها قلبه . ولتلك الحكمة البالغة أمرنا أن نعلم الصبي الصلاة لسمع ، ونضربه عليها لعشر ، حتى نصادف منه قلبا خاليا قبل أن تفرقه الأهواء التي تجعل النفس شعاعا ، والقلب أوزاعا .

وسر ذلك أن الصلاة أعظم وسيلة تقرب العبد من مولاه ، وتمنعه من التردى في أسفل سافلين ، فإنها مقدسة للنفس كل التقديس ، حتى ترتفع بها الى عالم الملكوت . والمصلي إذا قصد من الصلوات أرواحها لا أشباحها ومعانيها لا صورها ، فلا بد أن يخوض في لجة عظيمة من الرحمة . وكأنه بدخوله في الصلاة قد اندرج في سلك الملائكة ، وخرج من هذا العالم بالكلية ، ولهذا يحس المؤمن الكاملون بأنها تطرح عنهم أثقالهم . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرحنا بها يا بلال . ويقول : وجعلت قرة عيني في الصلاة ، لما كان يحس فيها من الرحمت والفيوضات ، والانسلاخ من عالم الآفات والظلمات ، والاستغراق في عظمة رب الأرض والسموات .

وقد جعل الله الصلاة المفروضة مئتي وثلاث ورباع لتكون كأجنحة الملائكة ، فكانه أراد أن يجعلك كالملائكة ويجعل الصلاة لك أجنحة تطير بها الى الله تعالى مئتي وثلاث ورباع . كما أنه جمع لك فيها بين أنواع العبادات التي تفرقت في صنوف الملائكة الذين منهم الراكع والساجد والقائم والسبح ، فجمع لك فيها بين القراءة والتسبيح ، والركوع والسجود ، والثناء والدعاء ، لتحظى بالفضائل كلها ، وتذوق من تلك الحضرات ما قدر لك . ولذلك كانت الصلاة معراج المؤمنين ، وقرة عين الواصلين ، حتى إنهم إذا أتوها وأرادوا الخروج منها قالوا : السلام عليكم ، يريدون بذلك التسليم على الملائكة والمؤمنين . وكانهم يقولون لهم : إتنا كننا مع الله تعالى لا معكم ، ومن كان مع رب العالمين لم يكن مع أحد حتى الملائكة المقربين .

والخلاصة أن المصلي قد خضع لله بقلبه، وذكر الله بلسانه، وعظمه غاية التعظيم  
بجسده، فقام بين يديه يتناجيه ويضرع له، ثم تدرج في التعظيم ونرقى في الإجلال، فأثني  
بالركوع، ثم بالسجود الذي هو أكبر مظهر للعبودية. ولما كان الحق متعالياً عن الجهة  
أقام التوجه الى بيته مقام التوجه اليه.

### كلمة تفصيلية عن بعض ما في الصلوة من الأسرار :

إذا قام المسلم الى الصلاة قال قبل الدخول فيها تلك الكلمات المعروفة في الأذان  
والإقامة . وكأنه يريد بذلك أن يشعر نفسه بأن الله أكبر من كل شيء . وقد أراد  
أن يدخل حضرته ويشغل بمناجاته ، فعليه ألا يشغل قلبه بشيء سواه ؛ ثم يشعرها  
بعمق الإيمان الذي ربط قلبه عليه ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛  
ثم يخاطب نفسه أمراً بإياها بالإقبال على الصلاة والقيام بواجباتها قائلاً لها : يا نفس أقبلي  
على الصلاة ، يا نفس أقبلي على الفلاح ؛ فإن حى في لغة العرب تستعمل لطلب الإقبال ؛  
فكأنه يقول لنفسه : إن هذا هو فلاحك فأقبلي عليه ولا تعدلى عنه ، فالعاقل لا يعدل  
عما فيه فوزه وفلاحه ؛ ثم يؤكد ذلك بيقية كلمات الإقامة ، مما يملأ النفس خشوعاً  
وهيبة ، وتقربها ويقظة ، لما هي مقبلة عليه ، ومتوجهة اليه ؛ ثم يرفع يديه عند الدخول  
في الصلاة ، وكأنه يشير بذلك الى طرح الدنيا وراء ظهره ، قائلاً لنفسه : الله أكبر  
من كل شيء ، فلا تعولى إلا عليه ، ولا تلتفتي إلا إليه ؛ ثم يقول : إني وجهت وجهي  
للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين ؛ أو يقول : إن صلاتي ونسكي  
ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ؛ أو يقول : تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله  
غيرك ، الى آخر ما هو معروف .

يقول ذلك لأجل أن يحرك من نفسه الإحساس بعظمة الله تعالى ، ويوقظها  
للإخلاص في عملها ، والحضور في صلاتها . وإذا كان الإنسان بحضرة الملك لا يفكر  
في غير مناجاته وما يليق بعظمته ، فكيف بحضرة الله عز وجل وهو يخاطبه بقوله : إياك

نعبد وإياك نستعين . ثم إنه يقرأ الفاتحة بعد ذلك ، فيثنى على الله تعالى الثناء الواجب تقديمه بين يدي الدعاء ، فيقرع به باب الكرم ، ويحرك به سلسلة الإجابة ، ويقضى به واجب التمظيم وآداب المواجهة ، قائلا : الحمد لله ، أى أن كل حمد في الحقيقة إنما هو لله عز وجل ، لأنه هو المنعم لا غيره ، فكل نعمة صادرة منه وراجعة إليه ( مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ) ( فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ نَفْسٍ ) ثم يشعر نفسه بموجب ذلك الحمد من الترية العامة لجميع العوالم بقوله : رب العالمين .

وانظر ما ذا يخالج قلبه من عظمته تعالى عند ما يتصور سعة العوالم وعظمتها ، وما اشتملت عليه من العلويات والسفليات التي أصبحوا يقولون إنها لانهاية لها ، وإنما خلق الله من النجوم والشموس والكواكب المختلفة الأحوال والأشكال ما لا يعلمه إلا الله الذي قدرها أحسن تقدير ، ودبرها أحكم تدبير ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وفي كل أرض ما يحفظها ، لأنه الرحمن الرحيم ؛ ثم ينتقل من ذلك الى أنه مع تلك الرحمة البالغة يجب أن نرهب منه غاية الرهبة ، وأن نستقيم على السنن السوى ، فإنه لا بد من الجزاء على ما عملنا من خير وشر ، في يوم يدان فيه كل عامل بعمله ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) فيعرف نفسه أن ذلك الاإله العظيم الذي لا حد لعظمته هو مالك يوم الدين .

وعند ما يمتلئ قلب المصلي بتموته الجلالية والجمالية يقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، لأنه لا يستحق العبادة غيرك ، ولا يملك المعونة على الحقيقة أحد سواك ؛ ثم يطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم ، الذي يعلمه هو ، ولا نعلمه إلا بتعليمه تعالى وهدايته سبحانه ، وهو صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وكانه وهو العالم الحكيم يقول لنا : إن الناس منقسمون الى هذه الفرق

الثلاث ، فإن شئت فكن من المنعم عليهم ، أو من الضالين الذين جهلوا طريق السعادة وما رسمه الله لعباده من سبل الهداية ، أو المغضوب عليهم الذين عرفوا طريق الهدى فتكبروه ، وسبيل الرشاد فعدلوا عنه ، فهو يحذرنا من الانحراف عن الصراط المستقيم ، فإن من انحرف عنه كان من إحدى الطائفتين لا محالة . ولو ترك المصلي سبحانه وتعالى ولم يعلمه هذا الدعاء السكلي الجامع ، لدعا بالأدعية الجزئية ، ولم يسأل غير المطالب المحدودة التي تملئها عليه شهواته ، وترشده إليها نزعاته .

والقول المختصر في ذلك أن الله أنزل الفاتحة يعلم الناس فيها كيف يحمدهونه ويننون عليه ، ويقرون له بتخصيص العبادة والاستعانة به تعالى ، على ما يقتضيه التقديم في قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، ويعلمهم سبحانه كيف يسألونه الطريقة الجامعة لأنواع الخير ، ويتعوذون به من طريقة المغضوب عليهم والضالين .

ولا يسع للمقام غير هذا التلميح ، فلننتقل إلى ما بعد ذلك ، فنقول : إن المصلي بعد أن يقرأ الفاتحة يقرأ في الركعتين الأولىين من القرآن ما يزيد ذلك الذي وفر في قلبه تأكيداً وتشجيلاً ، ويملاً نفسه إيماناً وتوحيداً ، فيقرأ مثلاً قوله تعالى : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » أو سورة الإخلاص ، أو بعض آيات الوعظ ، أو سور الزجر ، فيزداد خشوعاً وخضوعاً ، فلا غرو أن يركع لتلك العظمة قائلاً في ركوعه : سبحانه ربّي العظيم ، ثم يرى أن ذلك غير كاف في التعظيم ، فيخر ساجداً لله تعالى إرازاً للعبودية في أعظم مظاهرها . ولما كان أعظم ما يحبه الله تعالى هو التواضع ، لأنه أخص أوصاف العبودية ، وما خلقنا الله تعالى إلا لنتصف بالعبودية ، ونقوم بحق الربوبية التي أخص أوصافها العظمة والكبرياء ، كرر المصلي السجود إظهاراً لما امتلأ به قلبه من عظمة الربوبية وذل العبودية . وقد ورد : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . وسر ذلك أن بُعد العبد من ربه على قدر ما فيه من الأثنية والكبرياء ، وقربه منه على قدر ما فيه من تواضع وخشوع .

ثم يكرر ذلك كله في كل ركعة من صلاته، فإذا أراد الخروج من الصلاة كان بمنزلة من يريد الانصراف من حضرة الملك، فيثنى عليه أبلغ الثناء، ويحييه أفضل التحيات، ثم يطلب منه ما شاء من المطالب، فكذلك المصلي عند ما يريد الانصراف من حضرته تعالى يقول: إن كل نعمة وتعميم لا يستحقها في الحقيقة إلا الله، فكل نعمة زائفة مباركة طيبة ليست إلا لله عز وجل، وهذه الصلوات التي نقيمها لا ينبغي أن تكون إلا لرب العالمين لا للمريوين المقهورين؛ ثم أمرنا بالسلام على النبي تنويها بذكره، وإظهارا للإقرار برسالاته، وأداء لبعض حقه؛ ثم يعم المصلي بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السموات والأرض؛ ثم يأتي بالشهادتين بعد ذلك لأنه أعظم الأذكار، وهو بعد تجديد لعقد الإيمان أمام الله قبل الانصراف من حضرته؛ ثم يختار من الدعاء بعد الصلاة على النبي التي هي مقدمة ووسيلة لإجابته أعجب الأدعية إليه.

وسر الدعاء في ذلك المقام أن المصلي عند ما يصل إلى آخر الصلاة يكون قد خاض في بحر من الرحمة، وكاد ينسأخ من عالم الحس ويلتحق بعالم القدس (أو ثم له ذلك إن كان من أهله) وحينئذ لا يسقط له مطلب ولا يرد له دعاء؛ ثم ينصرف من الصلاة مسلماً على من معه من الملائكة والمؤمنين، لأنه لم يكن معهم، بل هو راجع من الملأ الأعلى، أو تقول من معية الله عز وجل كما أشرنا إليه.

فهل ترى أن من صلى هذه الصلاة يبقى عليه شيء من دنس الطباع أو ظلمات النفوس؟ وقد علم الله أنه لا بد لنا من الاشتغال بأمور الدنيا ومقارفة ما تلوث به أثناء اشتغالنا بأمورها، فأمرنا بتكرير الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، فهي بمنزلة الدواء الذي نكرره كلما خفنا من صولة المرض أو خشينا من تحرکه، فإذا عشنا بعض الظلمات، واعبت بنا بعض الشهوات، تاركنا الله بالصلاة الأخرى، فأزالت ما لحقنا

من آفات ، وما وقعنا فيه من زلات ، فجددت لنا تنبيه النفس ويقظة القلب ، فزالت عنا الغفلة ، وعادتنا المراقبة ، فسبحان الحكيم العليم اللطيف الخبير .  
وأظن أنك بعد ذلك لا تشك في أن الصلاة بمنزلة ذلك النهر الذي يكون على باب أحدنا ، فكلما أحسنا بشئ ، يدنسنا تطهرنا به ، فزالت الأذناس ، وذهبت الألواث ، كما سبق في الحديث الشريف الذي صدرنا به المقال ، وكما قال تعالى : ( إِنَّ أَحْسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ) .

والخلاصة أن المصلين يسرون فيما بين الصلاتين بذلك النور الذي اكتسبوه منها ، حتى إذا كاد ينمحي بسبب المعاملات الدنيوية والدخول في مضايقتها وظلماتها ، تداركهم الله بالوقت الثاني ، فقاموا للصلاة يستدركون ما عسى أن يكون قد فرط منهم فيما بين الصلاتين . ولا شك أن من حافظ على الصلوات لا يزال معه بقية من نورها ، فلو فرضنا أن اقتراف بعض الهنات والهفوات لم تصل ظلمة الخطايا والغفلات الى جذر القلوب ، فتكون تلك الهفوات كخيار مر على ظاهر العين ثم أزيل قبل أن يستقر فيها بفضل الصلاة التي تليها . وبهذا تبين غاية البيان سر قوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله : « إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » وهذا هو الدوام المتيسر عند ما امتنع الدوام الحقيقي . ولنتقف هنا ، وامل لنا عودة م  
يوسف الرمبوى  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## تخير الاخوان

قال بعض أهل الرأي : ليكن غرضك في اتخاذ الاخوان ، واصطناع النصحاء ، تكثير العدة ( بضم العين ) لا تكثير العدة ( بكسر العين ) وتحصيل النفع ، لا تحصيل الجمع ، فواحد يحصل به المراد ، خير من ألف تكثر الأعداد . وقد قيل في هذا المعنى :  
وإذا صفاك من زمانك واحد فهو المراد وعش بذلك الواحد

## هل الحرية الشخصية معناها الإباحة؟

إذا أقيمت هذا السؤال على قادة أية فلسفة في العالم حتى الفلاسفة المادية الإلحادية لم يكن جوابهم إلا بالنفي بجمعين . فإذا عاودت سؤالهم قائلاً : فهل الحرية الشخصية تقتضي والآداب النفسية ، والفضائل الاجتماعية ، وتسمح لكل إنسان أن يخوض غمرة كل شهوة تسنح له دون أن يفكر في نتائجها على نفسه وماله ومواطنيه وبنى نوعه ؟ صاحوا بك : لا لا ، منكرين مستهجنين .

فإذا حصلت منهم على هذه الاعترافات ، وعرضت على نفسك الجماعات البشرية ، وخاصة المتقدمة منها ، رأيت العجب العجائب . رأيت الناس قد خلعوا عُدْرهم ، وركبوا دءوسهم ، يمحرون في أعقاب كل غي ، يتدافعون بالمناكب ، محفوزين إليه شباباً وشيباً ، كأن وراءهم سائفاً يلهب ظهورهم بسوط من نار ، باذلين صحتهم ومالهم ، مستهينين بكل تبعة أدبية ، ليصيبوا مما يتزاحون عليه نصيباً وبياً ، حتى إذا أدركهم الإعياء ، انتظروا ريثما يستجمعون قواهم ، ثم عاودوا الكرة على نحو ما تقدم ، دائبين على ذلك ما واثام الاحتمال والإمكان ، غير معطين أنفسهم مهلة ليوازنوا فيها بين ما يعطونه وما يحصلون عليه ، كأنهم قد فقدوا نعمة الإرادة والاختيار ، دون أن يحاولوا استرجاعهما ، أو أن يأسفوا على ضياعهما ، يسمعون من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيماهم وشمالهم صيحات التشجيع والتسويل ، بعد أن تكون قد طالعتهم جرائدهم كل صباح من أنباء الملييات ، وصور المائتين والمائلات ، ما يملؤهم غروراً بما هم فيه .

فإن سمعوا نبأاً من نصيح ، وضعوا أصابعهم في آذانهم ، استشفالاً لما يقول ، وأشاحوا بوجوههم عنه ، إعراضاً وسوء تقدير . وكثيراً ما اعتبروه جاهلاً بمقتضيات المدنية والروح الجديد .

هذه أحوال في أطوائها كل ما يستكره العلم ، وتأباه أصول الاجتماع ، وتنافية مصلحة العمران ، وفيها ويلة الأخلاق والآداب ، وبجزة الأعراض والكرامات ، ومضيعة الثروة ، ومفسدة البلاد .

فهل مبدأ الحرية الشخصية التي جاهد الناس للحصول عليها يسمح لهم أن يرتكبوا باسمه كل هذه المخازي ، ويتسكعوا تحت عنوانه في جميع هذه المنكرات ، الماحقة لكل خير نالته البشرية بمد جهود مضنية ، وتطورات كثيرة شاقة في خلال العصور ؟

الحرية أصل كريم رُفعت به عن كواهل الآحاد ما كانت تضمه عليها الطبقات المستعبدة لهم من نيور ؛ فانطلقوا أحرارا يعملون ما ينفعهم وينفع أسرهم وأممهم في حدود القوانين العادلة ، لا هملا خالي الشكائم الأدبية ، يأتون كل ما تدفهم اليه أهواؤهم وشهواتهم .

هذا هو الأصل في تقرير مبدأ الحرية الشخصية ، وهذا ما يقره كل عرف ، وتؤيده كل فلسفة ، ويندب اليه الدين الحق ، فكيف تسبغ هذه المدنية أن تشوه النفوس الجائعة جمالها ، وتسقط جلالها ، وتظهرها في مظهر من الإباحة يمجج الطبع ، ولا يوافقها عليه وضع ولا شرع ؟ .

فهل لهذه الحرية الشخصية مدى أبعد مما يتراعى لنا فقينا عنه ، فهي تسمح أن تأني كل نفس ما يمن لها ، غير حاسبة أقل حساب لمصلحتها ومصالح الارتبطين بها من أهل وعشيرة ومواطنين ، بل غير حاسبة حسابا لمصالح الإنسانية بأسرها ؟ .

لم يشر قانون في الدنيا الى هذا ، بل نصت جميع القوانين على أن الإنسان حر في أن يعمل بنفسه ما لا يضر بها ولا بغيرها ، فإن هو تعدى هذا الحد أخذ على يده وأخذ على فعله . أما ترى جميع القوانين العالمية تضرب على أيدي البذرين وتنصب عليهم القامة ، فتحرمهم بذلك المتاع بثرواتهم ، وتقطع من السنة المتفحشين قدر دعم عن الخوض في أعراض الناس ، وتردع المستغفين بالآداب العامة ، فتجبرهم على احترامها



ومراعاتها؟ بل هي تتجاوز هذا الحد إلى ما يعتبر خصوصيا محضا، فهي تعاقب على البصق والتنخم في الطرق العامة، وعلى لبس ما لم يصطاح عليه الناس من الأزياء، فإذا نجم ما يخشى منه على الصحة العامة امتد تدخل القوانين إلى ما هو أخص من هذا، فإنها تسمح لمثلها بأن يفتشوا الدور فيلاحظوا على ما يجدونه فيها من القذارة، وأن يأمرؤا أهلها بتجسيصها ومعاقبتهم على إهمال ذلك بالحبس والتفريم. فهذا كله لا يعتبر في تلك القوانين تقييدا للحرية الشخصية، فيفهم أن هذا المبدأ لا يصح أن يؤخذ على إطلاقه بوجه من الوجوه.

فإذا كان هذا كله حاصلا، فهل تسمح الحرية الشخصية أن يكتب كاتب كل ما يمليه عليه خياله من حوادث الغرام والتهتك، في ألوان من سحر البيان تغرى الشبان والشابات على ورود هذه الموارد المنكرة، وتأذن لدور التمثيل والسينما أن تمثل ما لا يصح أن يراه الجمهور، ولا يجوز أن يعرض تحت نظر الأحداث من المناظر التي تثير ما كمن في الطبيعة البشرية من ميول بهيمية، وتغرى ذوى الأمزجة الحادة بالخروج عن المألوف لتقليد أبطال الأقاصيص التي تمثل أمامهم، وقد ثبت أنها تفعل في النفوس الساذجة فعل السحر وأكثر؟

وهل يحتمل معنى الحرية الشخصية أن يفتتح من شاء داراً للرقص والفسوق يختلط فيها الجنسان، ويؤمها من أراد، غير متحرج من إثم، ولا متستر من رقابة؟ وهل تبيح أن تباع الراح في أكبر شوارع المدن، فيقصد حوانيتها القاصدون، يحتمسون أم الخبائث عائنا، ويخرجون منها ثملين يترنحون عينا وشمالاً؟

هذه هي الفوارق بين القوانين الوضعية والشرع الإلهي، وهي فوارق كانت لا توجد إذا نظر المشترعون للصالح العام عند سنهم القوانين نظرا بريثا مقرونا بالإخلاص لمصلحة الجماهير، وبالروية الحازمة، أما ولم يفعلوا فقد نافضوا أنفسهم، وناقضوا العلم الذي يفتخرون به، فتركوا بذلك الباب مفتوحا لكل الأذواء الاجتماعية التي تولدها تلك التسامحات القانونية.

وما دامت الحرية الشخصية مقيدة بشرط عدم الإضرار بالنفس والغير ، فإن الشرع الإلهي ينفذ هذا التقييد ، فلا يسمح لأى فرد بأن يأتى عملاً يكون من ورائه ضرر بنفسه أو أهله أو بنى وطنه ، أو أى أحد من أفراد نوعه على أية حال من الأحوال .

فهو يحرم الخمر لأنها تضر شاربها ، ويتعدى ضررها الى كل من يرتبط به . ويمنع المقامرة لأنها تضع الثروات ، وتحل البيوتات . ويردع عن تمثيل الخنا وما يناقض الآداب ، لأنها أمثلة سوء تقصد نفوس من تمثل أمامهم . ويصد عن كتابة الفسوق والعصيان وتصويرها ، لأنها تبعث فى نفوس قارئها وناظرها الميل الى إتيانها ، وهى أمور لا تقف أضرارها عند حد .

فالشرع الإلهي يجرى من أوامره ونواهيه على منطق لا يأنى الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقوانين الوضعيه لا تحترم هذا المنطق ، فتجرى على اعتبارات ليست من المصلحة الحقة فى شىء ، فهى تبيح الخمر لأنها تجنى من ورائها مكوساً ، وتقر تمثيل الدعارة والفجور عادةً إياها من الملاحى الضرورية ، لأن وضعة قوانينها يرون ذلك ويعتقدونه ، لا لأنه يعود بشىء من الفائدة على المجموع . وتطبق أن تنتشر الكتابات الخلة بالآداب ، والى تثير فى نفوس مطامعها الميول البهيمية ، لأن وضعها يتخيلون أن ذلك يعتبر أدباً ، والآدب يجب له التشجيع والتأييد .

وقد دلت الدلائل المحسوسة على أن هذا الآدب قد طوح بالنفوس الى متاهات الإباحة ، وجنى على الناس جنایات شنيعة . وقد اتنى على كل هذه الإباحات أن أصبحت كلمة (مدنية) مرادفة لكلمة (إباحة) . فكيف لا تنشأ فى هذا الجول المشحون بضروب المسولات والمغريات جميع صنوف الإفراطات والتفريطات الخلقية ؟

إن العالم للمتمدن ليغلى اليوم غليان المرجل على نار شديدة ، ويتخض عن أغرب ما يتصور من شكول المذاهب والآراء والفلسفات المتطرفة ، وتصف به أزمات

اقتصادية واجتماعية لو دُرست من قرب لكانت أسبابها المباشرة ما أثمره بهرج الحرية الشخصية الزائفة ، من جو مشحون بالمرامى الباطلة ، والمزاعم العاطلة ، التي تولدها نفوس تطالب المتاع المادى اغتصابا لا اكتسابا ، وإفراطا لا اعتدالا .

أنا لا يخالجنى أقل شك فى أن كل هذه الإفراطات والتفريطات ستعمل على رد الناس الى طريق الحق المستقيم ، فهو وحده ملاذ اللادين ، ومرقد الغالين والمقصرين ، وإذا ذاك يجد الناس أنفسهم فى منطق الدين ، فتخلص الإنسانية من كل هذه الشرور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

محمد فريد ومهدى

## مجاهدة النفس

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشديد من غلب نفسه » . وقال عون بن عبد الله : إذا عصنت نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحببت ، ولا يفرئك ثناء من جهل أمرك .

وقال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين : يجب أن يكون ( يريد الانسان ) فى التهمة لنفسه معتدلا ، وفى حسن الظن بها مقتصدا ، فانه إن تجاوز مقدار الحق فى التهمة ظلمها فأودعها ذلة المظلومين ، وإن تجاوز بها الحق فى مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل . وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم . وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس .

وقال كشاجم :

لم أرض عن نفسى مخافة سخطها ورضا الفتى عن نفسه إغضاها

ولو أننى عنها رضىت لقصرت مما تزيد يمتلئ آدابها

وتبينت آفارى ذاك فأكثر عذلى عليه فطال فيه عتابها

وقال حكيم : من قوى على نفسه تنهى فى القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ فى المروءة .

# الْبَيْتُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال صلى الله عليه وسلم : ( اتَّقِ المحارِمَ تَكُنْ أعبدَ الناسِ ، وأَرْضَ بما قَسَمَ اللهُ لك تَكُنْ أغنى الناسِ ، وأَحْسِنِ الى جاركِ تَكُنْ مسلماً ، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسك تَكُنْ مؤمناً ، ولا تكثرِ الضحكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تَمِيتُ القلبَ ) رواه أحمد والترمذي والبيهقي .

هذا من جوامع الكلم وروائع الحكم ، تضمن شعبا كثيرة من الطرق الموصلة الى السعادة الدنيوية والسعادة الآخروية ، سعادة الفرد ، وسعادة المجموع .  
ولقد اشتمل على خمسة أو مر وثمناها ، وما من ثمرة منها إلا وهى مطمح الأنظار ومتجه الأفكار .

الجلّة الأولى « اتق المحارم تكن أعبد الناس » :

ما من امرئ مؤمن إلا وهو يتمنى أن يتاح له أعظم قسط من العبادة ، ويجب أن يكون من أولى الزلفى عند الله ، الحائزين لرضوانه ، المشمولين برحمته وإحسانه ، إلا أن النفس ملولة سثومة ، إذا حملت قسطا كبيرا من النوافل انهمضت به حيناً وفترت عنه أحيانا ، وربما شاب فتورها شيء من الضجر والكراهية ، فيكون ملحقها من الضرر لتكررها من العبادة أضعاف ما نالت من المثوبة بما أدت من النوافل . ومهما احتاط المرء لنفسه واستيقظ في معالجتها وراقبها في أطوارها ، فهو عرضة في بعض غفلاتها للاستراحة البتة ، وقد يستمرئها فيركن إليها ويستطيعها ، فإذا أراد قطع ذلك عليها أحس بعراك

شديد بين عامل الطبع الحاضر وعامل الثواب العاجل . ومن ذا الذي يضمن أن يكون مالكاً نفسه وضابطاً زمامها يسيرها في كل آن وفي كل حالة طبق ما يراد منها ؟ اللهم إلا من اصطفاكم الله من خيرة عباده ، وتولاهم بتوفيقه ورعايته ، وقليل مأم . ألا ترى الى قوله جل شأنه : ( وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ) . وما يدريك فلعل بعض المكثرين من النوافل المستغرقين فيها أوقاتاً كثيرة قد يتطرق الى أحدهم من المنهيات النفسية الخفية ما تكون السلامة منه أكبر غنيمة .

أما إنه ليوجد فيهم من هو عرضة للعجب والعزة والاستكبار بما قام به من عبادة ، ومنهم من ينقم على الناس أنهم لم يعرفوا له منزلته من الطاعة فيعطوه من الإجلال والتعظيم ما ينبغي لمثلته ، ومنهم من تميل نفسه الى أن يعرف عنه ما يقوم به فيدخل من الرياء في شغل شاغل . لا تريد بذلك التنفير من إكثار النوافل والقربات على اختلاف أنواعها ، فذلك ما لا يقدم عليه مؤمن معترف بما يطلب منه لربه من عظيم الشكر ، وإنما نقول : إن الطريق المضمون السلامة والتوصيل الى الفلاح واكتساب رضا الله هو توطئ النفس توطئاً صادقاً على اجتناب ما نهى الله عنه ، خوفاً من الله ، وامتنالاً له ، فقد قال تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ أَجْرَهُ هِىَ أَعْلَىٰ ) وقال جل شأنه : ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ) .

وليس بخاف على أحد أن من اتقاء المحارم أداء الواجبات والفرائض ، فإن الإخلال بشيء مما أوجبه الله على عباده محرم يقينا ، فن ترك فرضاً فرضه الله فليس بمقتضى المحارم . فكلمة « اتق المحارم » تشتمل على الأمر بأداء الواجبات واجتناب المنهيات . ومن قام بكليهما امتثالاً لأمر ربه فقد أفلح ولو لم يأت معها بالتطوع ، فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، فقال : هل على غيره ؟ فقال : لا إلا أن تطوع ، وذكر له

الزكاة ، فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع ، فأدبر الرجل وهو يقول : لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق . وفي رواية : دخل الجنة إن صدق . وروى في حديث مثله : لئن صدق ليدخلن الجنة . فهذا الوعد منه صلى الله عليه وسلم مؤكداً بالقسم كما ترى في الرواية الأخيرة ، ومعبراً عنه بالفلاح في الرواية الأولى ، هو منتهى ما تسمو إليه نفس المؤمن . وإذا أضيف إليه الآيتان المتقدم ذكرهما وهما قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » ازداد الأمر وضوحاً ، وازدادت النفس به يقيناً واطمئناناً .

وبعد : فلا يذهب عليك أن كون تارك المنهيات أعبد الناس لا ينبغي أن يبين أفراداه تفاوتا ، فالتارك لها الذي يضم إلى تركه إكثار النوافل والقرب ، يزيد على المقتصر على الترك بدون أن يضيف إلى تركه إكثار النوافل ، وإن كان كلا منهما في العبادة أرقى ممن يقع في بعض المنهيات أحياناً مهما أكثر من التطوع .

ثم إنك إذا نظرت إلى روح العبادة وثمرة التدين نجدها متجالية في كف النفس عن المناهي ( ومن ضمن ذلك الكف القيام بأداء الفرائض على ما سبق ) وتجلبها فيها أكثر من تجلبها في الأوراد والأذكار والإكثار من القرب . ذلك أن روح العبادة وأثرها يظهر أن أتم ظهور في ضبط النفس وإيقافها عند حدود الشرع . وتجدها المعنى في الصبر عن المنهيات أشق وأصعب على النفس منه في الإتيان بالقرب النافلة ، فقد قالوا : الصبر صبران ، صبر عن الشيء ، وصبر على الشيء ، وأشقهما أولهما ، ذلك أن الصبر على الشيء في الغالب محدود المدة قصيرها ، وذلك ربما ينتهي وقت ذلك الشيء ، وأما الصبر عنه فهو دائم متجدد كلما سنحت فرصة . وإذا رجعت إلى مراقبة نفسك وجدت فيها مصداق ذلك ، فقد يسهل أن تمضي معظم الليل في صلاة وتسبيح وقراءة وذكر وأمثال ذلك وتطيقه حيث صممت عليه ، ثم تبلى النفس برغبة تلك عليها نواحيها ، فيكون

علاجها بكبحها عنها من أشق ما تقاسيه ، وقد تصرفها عنها الآن فتعاودها الظروف مرة أخرى إما غلبتها وإما غلبتك ، ولئن ظننت أن الأمر سهل في بعض المنهيات الظاهرة ، فكم فيه من صعوبة في أمراض النفوس الخفية ونزغاتها الشيطانية ، وكم يجد المجاهد لنفسه من الصعوبات في تنزيه نفسه من الأثرة وتجييبها في الإيثار ، ومن الغضاضة عليها في فوات أمر كانت تبتغيه فيظفر به غيرها ، والرجع في كل ذلك إلى التوفيق الإلهي والمعونة الربانية . نسأله عز شأنه أن يمنحها من ذلك حظا كبيرا .

الجملة الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » : ليس أشق على النفس وأشد إذلالاً لها من الفقر والحاجة . وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم في دعائه من الفقر والعيلة . وجاء في دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عن سواك » ومن ذا الذي يتصور الفقر ولا يفزع إلى الله في أن ينجيه منه ومن شره ؟ إلا أن الفقر فقران : أحدهما فقر بفقد ما تدعو ضرورة الحياة إليه ولا تستطاع الحياة بدونه ، وهذا لا لوم على المرء في التخلص منه ، بل يجب الجِد في السعي لاسد الخلة وإصابة الرزق ، فالتخلص منه بالسعي في طلب الرزق من وجوه الحل مأمور به شرعا ، قال تعالى : ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ) والثاني فقر بفوت رغائب النفس ومحابها التي تتطلع إليها ، وهذا لانهاية له ، فتي أولمت النفس بتحصيل محابها فهي مولعة دائما أبدا . والله در القائل :

نروح ونغدو لحاجتنا وحاجات من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وقد ورد « لو كان لابن آدم واد من ذهب لمتى ثانيا ، ولو كان له واديان لمتى ثالثا ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . هذا النوع هو المتعبة الكبرى ، وهو باب البلاء ، وموجب الشقاء في الآخرة والأولى . هذا هو الموقع

في التهلكة على حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة . هذا هو المنقص للحياة ، المشقى  
للتفوس ، المفوت للسعادة ، الصارف للمرء عن شكر ربه . هذا مدعاة لاحتقار المرء نعمة  
ربه عليه ، وذهاب نفسه حسرات على ما حرم منه ، فإذا ما أحرزه هان أمره في نظره ،  
وانصرفت نفسه عنه إلى إحراز ما فقدته ، وهكذا دواليك ، فمن كان هذا شأنه فإن نفسه  
لا تستقر على حال من القلق ، ولا ينعم له بالنعمة .

ومن الأساطير الخيالية ما يحكى — على طريقة ضرب المثل — أن رجلاً فقيراً كان  
يقتات بقطع الحجارة من الجبل ، فر عليه ملك بأبيهته ، فجاء الجند يدفعونه من طريق  
الملك بإزعاج واحتقار ، فشق عليه ذلك ، فدعا أن يكون ملكاً ينحى الناس من طريقه  
ولا ينحى هو من طريق غيره ، فلما استجيب له خرج يوماً للصيد فغاظه حر الشمس حتى  
اضطر أن يتقيها بمظلة ، فغاظه أن يتلبه شيء وهو في عزة مملكته ، فتمنى أن يكون تلك  
الشمس التي تتقى وهي لا تتقى شيئاً ، فكأنه تم له ذلك وإذا بالسحاب يتنع شعاعها أن ينفذ  
إلى ما أرسلت إليه ، فلم يرقه ذلك وتمنى أن يكون هو السحاب الحاجب لا الشعاع المحجوب ،  
فلما كان سحابة وجد الجبل يعترضه في سيره فيمزقه إرباً ويفرقه شعباً ، فتمنى أن يكون  
الجبل وإذا بالحجارة يتسلط عليه ويقطعه بفأسه ، فطلب أن يعود هو ذلك الحجار .

فهل ترى أمانى الحياة على هذه الوتيرة ، ما من أمنية إلا وهي مشوبة بنقص  
يكون قد استكمل في أخرى ، ألا ترى كم يتمنى الأغنياء صحة الفقراء وابتهاجهم  
بمعيشتهم وغبطتهم بمرحهم ؛ ألا ترى أن التاجر ينظر إلى ما فيه الموظف من ضمان  
المرتزق والخالوص من الفزع لمراقبة صعود الأسعار وهبوطها ، مع ما هو فيه من عزة  
ونفوذ ، وهذا يتمنى ما هو فيه من رزق مستور مبارك فيه ليس بمعدود ولا محدود ،  
مع كفالة حريته وتصرفه حسبما يريد لا حسبما يراد منه ، وكلاهما يرى ما ينعم به الزارع  
من طلاقة جو وتقلب بين الخضرة والماء تحت أشعة الشمس الصافية ، وهو يتمنى  
ما هو فيه من رفاهية ونعومة عيش ؛ وهكذا ما من حالة إلا وفيها ما يرغب فيه وما يشتهي



منه ، وإذا قالوا : « إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى » فإن هذا القول منطبق على كل نعمة لا يكاد يراها إلا من حرم منها ، وقد يكون متمتعاً بخير منها فيذهل عنه ويتطلع إليها ، اللهم إلا من وفقه الله لشكر نعمته « وقليل من عبادى الشكور » . ولقد جاءت هذه الجملة في الحديث الشريف تنير الطريق لمن يبتغى أن يكون سعيداً في حياته هنيئاً في معيشته ، فردت نفسه عن أطامعها ، وأبانت أن إحراز كل الرغائب غاية لا تنال ، وأن الغنى إنما هو فى القناعة والرضا ، فارض بما قسم الله تكن أغنى الناس .

الجملة الثالثة « وأحسن الى جارك تكن مسلماً » :

الجوار مظنة المنافسة ، وطريق لتراحم المصالح ، ومؤد الى تعارض المنافع ، ولا يخلو غالباً من احتكاك يولد الشر بين المتجاورين ، ومن منا لم يشهد ذلك ولو فى بعض الأحيان ، أو فى غيره من الناس المتجاورين إذا كان قد من الله عليه وعلى جيرانه بالسلامة مما ذكرنا ؟ ولكنه مع ذلك أمر لا بد منه ولا مفر عنه ، فقل من الناس من يستطيع المعيشة منفرداً منعزلاً ؛ ثم لا بد أن ينتظر فيه الجيران بعضهم من بعض معونة ومساعدة على مهام الحياة . فالجوار إما متممة منقص ، وإما نعمة مرفه ، وبهذا وذاك تحل الحياة ، ويتفرغ كل من الجارين لعمله ، مؤتسماً بجواره مستنداً اليه ، أو تمر وتشتى ، وينشغل كل منهما بمراقبة الآخر والحذر من ضرره ، وأعمال المساكيد للإيقاع به .

وكم بين الحالين من تفاوت . فالجوار نعمة عظيمة ، أو نقمة كبرى .

ولقد جاءت هذه الجملة تبين للناس طريق الخلوص من الشقاء والشرور ، وتنير طريق الانتفاع المتبادل بينهم . وليس أبلغ فى ذلك من فتح باب الإحسان والتراحم بينهم بعضهم مع بعض ، وجعل ذلك من موجبات الاسلام ومقتضيات الدين ، ومتى فتح باب الإحسان من جانب تبعته المحبة من الجانب الآخر ، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، ومتى سادت المحبة بينهم فقد تم التعاون والتساند ، وأصبحوا كما جاء فى الحديث فى صفة المؤمنين أن مثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحصان  
 وإن الإحصان الى الجار لا يبلغ من الإحصان الى غيره ، لأنه يطنى ، جرة المنافسة ،  
 ويعطف المتقاربين فى الأماكن ، حتى يكون بينهما اقتراب فى القلوب .  
 وحق الجار فى الإحصان زائد على ما تقتضيه الأخوة العامة بين المسلمين من  
 الحقوق ، فقد روى أن الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، وهو الجار المسلم ذو الرحم ،  
 وجار له حقان ، وهو الجار المسلم ، وجار له حق واحد ، وهو الجار المشرك ، وقد كان  
 بعض الصالحين يبدأ فى الإحصان بجاره الكافر كأنه يخشى أن ينزاق إليه الشيطان  
 بوسوسته ، فيزين له الأعراض عنه لكفره ، فيبدأ به سدا لطريق وسوسته ، فإن  
 إبليس يسلك للنفوس الخيرة من طريق التلبيس .

ولا يقتصر حق الجار على كف الأذى ، بل منه احتمال أذاه ما أمكن ، وإسداء  
 الخير والمعروف اليه ، وغض البصر عن عواراته ، وألا يتجسس على أحواله ، وألا يضايقه  
 فى المرافقة المشتركة ، وأن يعود مرضاه ، ويشاركه فى مسرته ، وينعشه من صرخته ،  
 ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته . ويتلطف بولده فى الإرشاد والإيتاس ، ويرشده  
 الى ما يجمله فى أمر دينه ودنياه ، وحسبك فى تحديد هذا ما رواه الامام أحمد والطبرانى  
 عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم : كيف لى  
 أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد  
 أحسنت ، وإذا سمعهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » فانظر كيف جعل مقياس  
 الإحصان والإسائة ما يتسمع عن المرء من جيرانه .

الجملة الرابعة « وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » :

ومعنى محبته للناس ما يحب لنفسه : أن يحب لهم إحراز الخير فى الدنيا والدين كما يحب  
 لنفسه ذلك ، وهذه المحبة تشمل كل الناس حتى الكافر ، فيحب له أن يهتدى كما اهتدى ،  
 وأن يسعد كما سعد ، فإن من أحب الكافر للكافر فقد كفر أو كان على خطر .

ولما كانت المحبة معنى في القلب ، وذلك يناسب الايمان القلبي وكان الإحسان معنى عمليا ، رتب الاسلام على الإحسان للجوار في الجملة السابقة ، ورتب الايمان على المحبة في هذه الجملة ، وإن كان كل من الاسلام والايمان لا ينفرد عن الآخر في نظر الشارع .  
الجملة الخامسة قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » :

وهي حكمة عالية ، وثمره غالية ، وزنت بميزان معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط ، فلم يثنه عن أصل الضحك بحيث يكون المرء دائم العيوس والانقباض ، ولم يطلق سراحه بحيث يكون المرء ضحكة مهزارة ، فذلك مما يؤدي الى الابتذال والإعراض عن المهام ، واللهو عن الواجبات ، وهو معنى موت القلب ، كما أن دوام العيوس منفر مذهب لثمره الألفة بين الناس . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يضحك قليلا ، وكان ضحكه التبسم ، وكان يضحك حتى تبدو نواجذه . والمراد بعدم إكثار الضحك عدم كثرة مراته بحيث يصبح عادة وديدناله ، وعدم الإغراق فيه بحيث يخرج عن حد الوفاق .

وترى التناسب بين هذه الجملة تأما من جهة أنها تشترك في تحصيل السعادة للنفس ، والراحة للقلب ، والهناء في الحياة ، والرضا في المعيشة للفرد والمجموع ، فإن شعور النفس بإحرازها من العبادة قسطا وافرا مرضاة لها ، وراحة لضميرها ؛ وكذلك شعورها بالانقياد وعدم الحاجة يوجب من ذلك حظا عظيما . ولا يخفى ما في الإحسان للإنسان وحب الخير للغير من دواعي النبطة وشهول المسرة وكمال الابتهاج . وهنا نشعر بجمال ارتباط الجملة الخامسة بتلك الجملة ، إذ كانت كالحارس للنبيه ، لتحول بين النفوس وبين الإفراط في المرح والمسررات ، والاسترسال في الضحك والمزاح ، مما لا يليق بهذه الحياة الدنيا والدين ، التي ينبغي أن تكون حياة الجد والعمل ، والتسابق الى إحراز الخير والفضل من شئون الدنيا والدين ، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسعادة في الدنيا والآخرة ،  
إنه قريب مجيب

## عمر الفاروق رضى الله عنه

هو الخليفة الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أبوه الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، وأمه حنتمة بنت هشام .

كان عمر فى الجاهلية من الذين انتهى اليهم الشرف من قريش ، إذ كانت له السفارة فيهم .

وكان من التجار المعروفين بالأمانة وصدق المعاملة ، وبقي كذلك تاجرا حتى تولى أمر الخلافة .

اشتهر عمر الفاروق فى الجاهلية بالمنة ، وعزة الجانب ، وشدة اليأس ، فأعز الله المسلمين بإسلامه ، فقد كانوا قبل أن ينضم اليهم يجتمعون فى دار الأرقم مستخفين هربا من اضطهاد قريش ، فلما أسلم عمر قال : يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قليل وقد رأيت ما لقينا . فقال له عمر : والذي بيمتك بالحق لا يبقى مجلس جاست فيه بالكفر إلا جاست فيه بالإيمان ! ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين ، حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة . ومن هذا اليوم أسمى رسول الله عمر بالفاروق ، لأنه فرق بفعلته هذه بين الحق والباطل ، وقال المشركون : قد انتصف القوم منا .

صحب عمر الفاروق النبي صلى الله عليه وسلم أخلص صحبة ، وبذل فى نصرته نفسه وأعز عزيز عنده ، وكان يؤثر عنه من الغيرة فى الدين ما لا يصدر إلا ممن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه .

كيف انتخب للنخوة :

ذكر ابن الجوزى فى السيرة العمريّة عن عاصم قال : جمع أبو بكر الناس وهو

مريض فأمر من يحمله الى المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أيها الناس ! احذروا الدنيا ولا تشقوا بها فإنها غرارة ، وآثروا الآخرة عليها وأحبوها ، فحب كل واحدة منهما تبغض الأخرى . وإن هذا الأمر الذى هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صالح به أوله ، ولا يتحمله إلا أفضلكم مقدرة ، وأملككم لنفسه ، أشدكم فى حال الشدة ، وأسلمكم فى حال اللين ، وأعلمكم برأى ذوى الرأى ، لا يتشاغل بما لا يعنيه ، ولا يحزن لما نزل به ، ولا يستحي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوى على الأمور ، لا يجوز بشئ منها حده بعدوان ولا تقصير ، يرصد لما هو آتيه أعتاده ( أى أدواته ) من الحذر والطاعة ، هو عمر بن الخطاب . »

ثم نزل ، فتولى من رضى بما قاله أبو بكر إقناع الساخط عليه ، فتم لعمر الأمر .  
تولى عمر الفاروق بإجماع من المسلمين ، فكان مثال العدل والزهد والرحمة ، ضربت به الأمثال فى حب الرعية والسهر على راحتها ، والدأب على ما فيه صلاحها .  
لما استتب له الأمر رقى المنبر فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله وصلى وسلم على نبيه :

« إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فوردب الكمية لأحملهم على الطريق » :

أول عمل عمله الفاروق رضى الله عنه بعد توليه الخلافة إرسال سعد بن أبي وقاص للحرب الفرس ، وعزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيش بالشام وإسنادها لأبي عبيدة ابن الجراح ، وبعث يعلى بن أمية لاجلاء نصارى نجران من بلادهم باليمن . وهو رأى خاص له . فقد رأى إذ ذاك من المصلحة أن لا يكون فى جزيرة العرب دينان ، ولكنه عهد لمن أرسله فى أن يتلطف فى إجلائهم ما استطاع فقال له :

« أتتهم ولا نفتنهم عن دينهم ، ثم أجلبهم : من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ،

وامسح أرض كل من تجلى منهم، ثم خيرهم البلدان، وأعلمهم أن أنجليهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك يجزيرة العرب دينان، فليخرجوا من أقام على دينه منهم، ثم تعطىهم أرضاً كأرضهم، إقراراً لهم بالحق على أنفسنا، ووفاء بدمتهم فيما أمر الله من ذلك، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف .

وكتب لهم كتاباً بهذا صورته :

«أما بعد : فنن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض، وما اعتملوا من شئ، فهو لهم مكان أرضهم باليمن .»

فاختار بعضهم النزول بالشام، وبعضهم التجرانية قرب الكوفة، وبهم سميت . ليس فيما فعله عمر إجحاف بهؤلاء القوم، فإنه لم يفعل ذلك كراهة أن يجاور المسلمون مخالفهم في الدين، ولكنه فعله لأمر كان يقتضيه الحال في ذلك الوقت، ولم يقذف بهم خارج المملكة الإسلامية، ولكنه خيرهم فلم يختاروا إلا جوار المسلمين، لما عهدوه فيهم من التسامح وحسن المعاملة، فاختار بعضهم النزول بالشام، وبعضهم النزول بقرب الكوفة .

### فتح بلاد الشام :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجهه أبا عبيدة وخالد بن الوليد لفتح الشام وكانت في يد الرومانيين، فحدثت بين الفريقين وقائع أولية توفى في خلالها أبو بكر وتولى الخلافة عمر فعزل خالداً عن القيادة العامة وولاه أبا عبيدة وحده، فحدثت واقعة اليرموك التي انهزم فيها الرومانيون شر انهزام ؛ ففتحهم أمبراطورهم إلى حصص، وولى أخاه القيادة العامة .

أما قائد المسلمين أبو عبيدة فإنه بعد انتصاره في معركة اليرموك خرج حتى نزل بمرج الصفر، وهنا لك سمع بأن المهزمين اجتمعوا بمدينة فيحل، وأن مدداً أتى أهل دمشق، فلم يدر أيبداً بدمشق أم بفحل، فكتب يستشير عمر، فأمره أن يبدأ بدمشق

لأنها عاصمة الشام، فتقدم إليها وحاصرها نحوًا من سبعين يومًا. وكان أبو عبيدة أرسل جيشًا تحت إمرة ذى الكلاع ليرد عن دمشق كل مدد يأتي من حمص، فضعف أهل دمشق عن تحمل الحصار. وفي أثناء ذلك ولد لقائد دمشق مولود، فاحتفل به أهلها فأكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم، فاتخذ خالد بن الوليد سلايم من الحبال ونذب معه جماعة، ففسروا السور ونزلوا إلى الباب ففتحوه وأمر الجيش بأن يقتحمه، فهاج أهل دمشق وطلبوا الصلح وفتحوا جميع أبواب المدينة وأمر الجيش بأن يقتحمه، فذعر أهل دمشق وطلبوا الصلح، وفتحوا بقية الأبواب. وكان ذلك سنة ١٣

#### وقعة فحل بين المسلمين والرومانيين:

بعد فتح دمشق اتجه جيش المسلمين لئلا يجزءه هرقل أمبراطور الرومانيين، فسار إليه أبو عبيدة فجعل خالد بن الوليد في المقدمة، وجعل نفسه وعمرو بن العاص على اليمين واليسرة، وجعل ضرار بن الأزور على الخيل، وعياض على المشاة، وسلم القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة. فلما انتهوا إلى أبي الأعور، وكان بين الأردن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق، قدموه إلى طبرية فحاصرها ونزلوا بمفحل. وكان الرومانيون قد رأوا صدوعهم وجمعوا فلولهم، واعتزموا أن ينزلوا بالمسلمين كارثة، فباغتوهم ليلاً فدارت رحى معركة حامية انهزم فيها الرومانيون، وحالت دون إفلاتهم عوائق، فوقعوا أسرى في أيدي المسلمين.

ثم انصرف أبو عبيدة ومعه خالد إلى حمص، وسار شرحبيل بن حسنة إلى ييسان وطبرية، ويزيد بن أبي سفيان إلى سواحل الشام.

أما أهل ييسان فتحصنوا في مدينتهم ثم انتهى أمرهم بالصلح. وصالح أهل طبرية أبا الأعور على أن يبلغ الأمر إلى شرحبيل، ونزل قواد المسلمين في مدن نهر الأردن وقرأها.

فلما سمع أمبراطور الرومان ما حل ببحروده رأى أن يرسل جيشا الى دمشق ليشغل أبا عبيدة عن حصص ، فنزل ذلك الجيش في مرج الروم غرب دمشق ، فأسرع أبو عبيدة ومعه خالد فنازلا ذلك الجيش الذي سار قسم منه الى دمشق ، فتبعه خالد واستقبله يزيد ابن أبي سفيان فاقتتلوا ، فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتل خالد بيده قائدهم .  
أما أبو عبيدة فقاتل من كان يخاف من ذلك الجيش بمرج الروم ، فأصاب الرومان فزع عظيم ، وقتل قائدهم .

#### فتح سواحل الشام :

ذكرنا أن أبا عبيدة وجه يزيد بن أبي سفيان لفتح سواحل الشام ، فجعل يزيد على مقدمته أخاه معاوية بن أبي سفيان ، ففتح صيدا ثم عرقة وجبيل وبيروت ، فلسترد الرومانيون بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان ، فقاتلهم معاوية حتى أجلاهم عنها .

#### فتح حمص :

قصد أبو عبيدة حمص عن طريق بعلبك ، وقدم السمط بن الأسود إليها ، وأرسل خالد بن الوليد الى البقاع فاقتحمها ، ونزل أهل بعلبك فصالحوا أبا عبيدة .  
ثم توجه الى حمص فوجد السمط بن الأسود قائده هناك قد صالح أهلها ، فأجاز صاحبه .

#### فتح فلسطين وأمناديير :

لما سار أبو عبيدة من فحل الى حمص وافتتح عمرو بن العاص وشرحبيل بيسان ، وصالحهم أهل الأردن ، وقصد عمرو فلسطين ، كتب أمير المؤمنين عمر الى يزيد بن أبي سفيان وهو أخو معاوية ليشد أزرعهم من خلفهم ، وأن يسرح أخاه معاوية الى قيسارية ، وأمر عمرو بن العاص بمقاتلة القائد الروماني المشهور المسمى



الأرطبيون في أجنادين ، ووجه علقمة بن محرز لصد القائد الروماني المسمى الفيقلار في غزة .

فصعد معاوية بالأمر ، فوجد في قيسارية جنداً للرومان ، فقاتلهم وانتصر عليهم وافتتح المدينة .

وأما علقمة بن محرز فحصر قرنه الفيقلار ، وضيق عليه الخناق .

وأما عمرو بن العاص فسار نحو الأرطبيون ، الذي تتابعت عليه الأمداد من هرقل ، فسفرت بينه وبين عمرو السفراء ، وتظاهر عمرو نفسه مرة أنه سفير ودخل على الأرطبيون ، وأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمل حضوره . فحدثت الأرطبيون نفسه بأن هذا السفير هو قائد المسلمين نفسه ، فأرصد له في الطريق من يقتله ، ففطن عمرو لذلك ، فاحتمل بحيلة ، وذلك أنه قال للأرطبيون قبل أن يبرح معسكره : إن معي قومًا هم شركائي في الرأي ، فأمرني أن أذهب فأتيك بهم . فأجابه الأرطبيون إلى ذلك ، وأرسل لمن أُرصدته لقتله أن لا يتعرض له ، فذهب عمرو ولم يعد . وأمر عسكره بالزحف على عدوه ، فحدث اقتتال عنيف انتهى بهزيمة الرومانيين ، فانتقلوا إلى إيليا ، فأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها ودخلها ، ثم اضطروا للتقهقر إلى أجنادين .

### فتح بيت المقدس :

لما فتح عمرو أجنادين ، ترك أهل بيت المقدس محصورين ، وشرع يتم فتح مدن فلسطين ، فافتتح غزة ، واللد ، ونابلس ، وبيت جبرين ، ومرج عيون ، ويافا . ثم قصد بيت المقدس ، وأخذ بخابرها الأرطبيون ، فامتنع عليه ، ثم بدا لأهل المدينة أن يصالحوا الغيرين عليهم خوفاً على كنيساتهم الكبرى أن تهدم بسبب الحركات الحربية ، ولكنهم اشترطوا على محاريهم أن يحضر أميرهم نفسه ليتفاوضوا في شروط الصلح وأن يوقع عليه بنفسه . فكتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بهذا الأمر ، فأمرع بالشخص بنفسه إلى ميدان القتال ، وتولى بنفسه أمر المفاوضة في شروط الصلح

وأراهم من سماحة الاسلام ما لم يكونوا يتوقعونه ، ثم وقع بنفسه على تلك الشروط ، ورجع الى المدينة .

سار عمر وأمر قواده أن يوافوه بالجاية ، فكان أول من لقيه يزيد بن أبى سفيان ثم أبو عبيدة ، ثم خالد على الخيول ، وكانوا فى رواء وأبهة ، فكبر على عمر أن يرى آثار الترف بادية على رجاله بعد تلك الخشونة والشظف ، فنزل عن دابته ، وأخذ أحجارا من الأرض فرماهم بها ، وقال :

«سَرَّعَ مَا أَقَمَ عَنْ رَأْيِكُمْ ، إِيَّايَ تَسْتَقْبِلُونَ بِهَذَا الزِّى ، وَإِنَّا شَبِعْتُمْ مِنْذُ سَنَتَيْنِ : سَرَّعَ مَا نَدَتْ بِكُمْ الْبِطْنَةُ ، وَتَالَلَّهِ لَوْ فَعَلْتُمُوهَا عَلَى رَأْسِ الْمَائَتَيْنِ لَأَسْتَبَدَلْتُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ » : فقالوا : يا أمير المؤمنين إنها بلامعة ، وإن علينا السلاح ( اليلامعة مالمع من السلاح ) قال عمر : فنعم إذاً ، وركب حتى دخل الجاية ، وبينما هو بها إذ جاء أهل بيت المقدس - وكانت تسمى إيلياء - طالبين الصلح ، طائفين على كنيستهم العظمى وقبيلتهم المقدسة ، فأمنهم عمر رضى الله عنه على أموالهم وأعراضهم ودينهم ، وكتب لهم بذلك عهداً ، وكان ذلك سنة خمس عشرة .

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهى الى المسجد الأقصى فصلى فيه ، ثم قام الى كنيسة كان الرومان جملوها على محل هيكل لليهود هدموه وألقوا عليه تلك الكنيسة نكابة فى بنى إسرائيل ، فقال : أيها الناس اصنعوا كما أصنع ، وحشا فى أصلها ، وحشا التراب فى ذيل ثوبه ، فسمع تكبيرا من خافه ، وكان يكره سوء النظام فى كل شئ ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : كبر كعب الأخبار وكبر الناس بتكبيره ، وكان كعب هذا جبلا من أحبار اليهود بالمدينة صحب النبي وصاحبيه ولم يشأ أن يسلم حتى تتحقق جميع العلامات التى قرأها فى كتب بنى إسرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم أسلم فى خلافة عثمان . فقال عمر : على به . فأتى به ، فسأله عن سبب تكبيره ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ بما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

### فتح حمص واللاذقية وقنسرين :

فتح هذه البلاد الثلاثة أبو عبيدة بن الجراح قبل مسيره من مدينة حمص .  
صالحه أهل حماة ، ثم بعث خالد بن الوليد الى قنسرين ، وسار هو الى اللاذقية فامتنع  
عليه أهلها ، فأمر الجند أن يحفروا أسرابا في الأرض كل سرب يستتر الرجل وفرسه ،  
فأظهر الفحول الى حمص ، فلما جن عليهم الليل عادوا الى معسكرهم وحفائرهم ، وأهل  
اللاذقية يظنون أنهم انصرفوا ، ففتحوا بابهم وأخرجوا سرحهم ، فلم يرعهم إلا أن صبحهم  
المسلمون ، فطلبوا الأمان ، فصولحوا على خراج يؤدونه ، وبني المسلمون بها مسجدا لهم .  
وأما خالد فلما وصل الى قنسرين زحف اليه قلدها ميناس يجيش الرومانيين ،  
فاقتتلوا قتالا عنيفا ، فقتل ميناس ، وأسلم بعض أهلها ، وأقام بعضهم على النصرانية  
ثم أساموا بعد ذلك .

فلما فرغ من حاصر قنسرين وهي قرية قريبة من قنسرين ، تحصن منه أهل تلك  
المدينة ، فقال لهم خالد : إنكم لو كنتم في السحاب لحانا الله اليكم أو لا نزلكم الله اليها .  
فنظروا في أمرهم فرأوا أن يصالحوه ، فأبى إلا إخراج قلعتها فأخربها .

أما هرقل فقصد بعد حمص أنطاكية ، ثم انتقل عنها الى الرها في الجزيرة ، ليجمع  
جيشا يمد به أهل حمص قبل سقوطها ، ففطن له المسلمون فأرسلوا اليه عمرو بن مالك  
من قبل قريسياس ، وعبد الله بن المعتم من الموصل ، والوليد بن عقبة من الجزيرة يجيوش  
من المسلمين ، وكذا لحقهم من قنسرين خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، فاضطر هرقل  
أن يرحل الى القسطنطينية .

فلما بلغ عمر ما فعله خالد قال : لقد أمر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم  
منى بالرجال .

قال عمر ذلك لما رآه من جليل أعماله ، وقد كان عمر عزله عن القيادة العامة ،  
وعزل المشي بن حارثة الشيباني ، وقال : إني لم أعزلهما عن ربيعة ، ولكن الناس عظموها ،

نخشيت أن يوكلوا اليهما ( أى خشيت أن يكاهم الله اليهما ، مع أن النصر من عند الله لا من عندهما ) .

### فتح حلب وانطاكية وغيرها:

لما أتم أبو عبيدة فتح حماة وقنسرين واللاذقية وغيرها ، سار الى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى ، فوجد أهلها متحصنين فخارهم حتى طلبوا الصالح . ثم قصد حاصر حلب ، فصالح أهله على الجزية ، ثم إنهم أسلموا بعد . ثم وجه هجمته الى حلب نفسها فحاصرها ، ثم انتهى أمرها بالصالح . فلما سار عنها نقض أهلها العهد ، فأرسل إليهم عياض بن غنم ، وحبيب بن مسلمة الفهرى ، ففتحها على الصالح الأول . بإتمام فتح هذه المدينة تم للمسلمين فتح سورية كلها . وأعظم ما يلفت النظر فيه غلبة الجيوش الإسلامية على الجيوش الرومانية ، وهو حادث جال فتح المسلمين بحال الفتوح واسما لا يجرؤ أن يقف في وجوههم فيه أحد .

هذا هو القسم الأول من سيرة الفاروق رضى الله عنه ، فإن سيرته لا يمكن إيرادها في عدد واحد ، لاستيعابها صحفا كثيرة ، فترجى ما بقى منها الى العدد المقبل ، إن شاء الله م

محمد فريد وجدي

## علو الهمة وشرف النفس

قال شاعر حكيم :

أمطري لؤلؤا سماء مرندب      ب وفيض أنهار تبريز تبرا  
أنا ما عشت لست أعدم قوتا      واذا مت لست أعدم قبرا  
همتي همه الملوك ونفسي      نفس حر ترى المذلة كفرا

هذا أحسن ما يمكن تصويره شعرا من علو الهمة ، وعدم الاستخذاء للذلة ، فإدام الانسان مهما طالت به حياة ، لا يعدم ما يقيمه من القوت من طريق الكسب ، ومادام لومات قلن يعدم قبرا يؤوى جثاه ، فما الذى يضطره الى حمل نير الذل ، والرضا بالهوان فى سبيل العيش ؟

# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

## مسائل تتعلق بصلاة الجمعة

جاءتنا أسئلة كثيرة في هذا الموضوع نقتصر منها على سؤالين ، وفي الجواب عنهما  
جواب عن كل ماوردنا في هذا الموضوع :

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير مولانا الشيخ يوسف الدجوى من هيئة  
كبار العلماء حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فترجو الجواب عن مسألة شرحتها أن هناك بلدة  
قاضيها الشرعي واحد ، وسوقها واحد ، وحاكمها واحد ، تشتمل على قرى متعددة لا تبعد  
الواحدة عن الأخرى بميل ، وبين بعضها بساتين ليست مسكونة ، وكل قرية مستقلة  
بمنافعها الخاصة بجامع الجمعة وغيره . فهل والحالة هذه إذا حضرت صلاة الجمعة في قرية  
ولم يوجد من أهلها إلا اثنا عشر رجلا وكان فيها من القرية الأخرى ما بقى بالعدد المذكور  
نتم بهم العدد ، نظرا الى أنهم من بلد واحد ، أم لا ، نظرا الى أنهم من قرية مستقلة  
ونصلبها ظهرا ؟

جاءنا هذا السؤال وطالب منا مرسلوه أن نعرضه على فضيلتكم ، ولكم الشكر  
ومن الله الأجر .

سليمان الزوي برواق الغاربة  
بالأزهر الشريف

نحن أهالي ناحية الجرفية مركز قنا ومديرية قنا ، نظرا لما يلحق بعضنا من المشقة  
للذهاب الى بلدة الشيخ عيسى لصلاة الجمعة فقد أقمنا الجمعة في بلدتنا التي يبلغ عدد  
سكانها ثلاثمائة نفس تقريبا وتبعد عن قرية الشيخ عيسى بألفي متر تقريبا ، فقليل لنا

إن صلاة الجمعة لا تصح في بلدنكم لأنها تابعة لبلدة الشيخ عيسى . فأفتونا هل تصح الجمعة في بلدتنا أم لا تصح ؟ ولكم من الله الأجر والثواب .  
 حمد الراوى أحمد ومحمود جوده الجرفى

## الجواب

يجب لتوضيح الموضوع أن نجعل الكلام في مقامين :  
 المقام الأول : صحة الجمعة في كل قرية من هذه القرى وعدم صحتها إلا في قرية واحدة منها .

المقام الثانى : انعقادها بمن ليسوا متوطنين بقريتها وعدم انعقادها بهم .

### المقام الاول :

القرى المتقاربة يجب على أهلها جميعاً أن يؤدوا جمعة واحدة في المسجد العتيق ، وهو الذى أقيمت الجمعة فيه أولاً أى قبل إقامتها في غيره ، وإن تأخر أداؤها فيه عن غيره فيما عدا الجمعة الأولى . فكل من كانت قريته خارجة عن قرية المسجد العتيق بما لا يزيد عن ثلاثة أميال وثلاث يجب عليهم السعى لأدائها في العتيق ، فإن جمعوا في غيره فجمعهم باطلة ، إلا إن كان إحداث الجمعة عندهم لضيق العتيق مع عدم إمكان توسعته ، أو لمداداة بينهم وبين أهل القرية التى فيها العتيق بحيث يخشى من حضورهم معهم في مسجد واحد حدوث فتنة ، فإذا تكون جمعهم في مسجدهم صحيحة . وكذا إن حكم حاكم بصحتها في غير العتيق صحت الجمعة . ومن كانت قريته تبعد عن قرية العتيق بثلاثة أميال وثلاث ، فجمعهم في مسجدهم صحيحة ، ولا يجب عليهم السعى لأدائها في العتيق .

### المقام الثانى :

من شرط صحة الجمعة أن يحضرها اثنا عشر رجلاً سوى الامام أحرار متوطنون

بقريتها أى مقيمون بها بنية التأيد . أما المقيم بقرية خارجة عنها وهو ممن يجب عليه السعى لها كما قدمناه ، فإن الجمعة تجب عليه تبعاً لأهل القرية ولا تنعقد به ، فلا يعد من الاثنى عشر ، وحيث إن القرى المستنول عنها كل منها مستقل بمرافقه عن الأخرى ، فلا تعد كقرية واحدة ، ولا يعتبر المتوطن بقرية خارجة عن قرية الجمعة متوطناً بقريتها . فإذا لم يحضر من المتوطنين بقرية الجمعة الاثنى عشر فلا تصح الجمعة . وإذا حضر العدد صحت إقامتها الى ما قبل غروب الشمس زمن يسع ركعة من العصر ، وإن حرم تأخيرها عن آخر وقت الظهر المختار ، وهو ما قبل دخول وقت العصر بزمن يسع ركعة من الجمعة . والله يقولى هدى الجميع .

### ثبوت شهر رمضان بواسطة التلغراف ونحوه

حضرة الأجل الفاضل العالم العلامة الشيخ يوسف الدجوى المحترم ، حفظه الله تعالى علاه ، ولطف به وتولاه ، آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فإننا لكم من المحبين ، ولقد اطلعنا على بعض مقالات لكم مدرجة في مجلة نور الإسلام ، فسررنا بها غاية السرور ، سائلين للمولى أن يمتع الإسلام بحبياتكم .

هذا وإننا نحب أخذ رأيكم في مسألة العمل بالبرقيات التى ترد لنا عن ثبوت الأهلة بما تقتضيه القواعد الشرعية ، لا سيما على مذهب الإمامين الجليلين : مالك والشافعى رضى الله عنهما ، بما هو مشروح فى السؤال ، وهو هذا :

ما قولكم دام فضلكم فيما إذا وردت برقية من الحجاز أو الشام مثلاً الى البحرين برؤية هلال شهر رمضان أو شوال ، مع ما هو معلوم من مباشر عمل البرقية غالباً ، وتغاير حكومة المحلين المذكورين ، فهل يعمل بالبرقية المذكورة فى مسألة الإمساك والإفطار أم لا ؟ وإذا قلتم بالعمل بها فما وجهه ؟ وإن قلتم بعدمه فما السبب فى ذلك ؟

بينوا لنا ما يلزم في ذلك بالتحقيق ، ولكم من الله الأجر ومنا الشكر ، والسلام عليكم ورحمة الله من محبيكم قضاة محكمة الشرع بالبحرين .

محمود عبد اللطيف . عبد اللطيف سيد محمد

## الجواب

قد نُص في مذهب مالك رضي الله عنه على أنه إذا ثبت شهر الصوم لدى حاكم وإن لم يحكم به ، ونُقل ذلك الثبوت الى جهة أخرى بواسطة رجلين عدلين أو جماعة كثيرة يفيد خبرهم العلم بضمونه أو الظن القريب منه ، أو بواسطة رجل واحد عدل ، فإن الشهر يثبت في حق أهل الجهة المنقول إليها ، ويجب عليهم الصوم بناءً على ذلك الخبر ، فإن المسألة من باب الرواية التي يكفى فيها خبر العدل الواحد ، وإن كان ثبوت الشهر عند مالك لا بد فيه من عدلين رأيا الهلال أو جماعة مستفيضة . ولا عبرة باختلاف المطالع عنده ، فيجب الصوم سواء اختلف مطلع الهلال في الجهتين المنقول منها وإليها أم اتحد ، وسواء اتقاربت الجهتان أم بعدتا ، إلا إذا كان البعد بينهما شاسعا جدا فلا يثبت الحكم بالنسبة لأهل إحدى الجهتين بثبوت الشهر في الجهة الأخرى . ومثل ذلك البعد الشاسع بما بين خراسان ( بالشرق ) والأندلس ( بالغرب ) .

ونص المالكية أيضا على أنه يعتمد في الصوم والفطر على القرائن العادية على ثبوت شهر رمضان أو شوال ، كصوت المدافع ، وإضاءة المآذن ، كما يعتمد على صوت المؤذن في معرفة وقت الصلاة ، لجرى العادة بتوجيه الإنكار الشديد اليه من جماعة المسلمين لو كذب .

ونص مولانا الشيخ عlish في فتاويه على أنه يعمل بالإشارات التلغرافية في الصوم ، لأن التلغراف أداة معتبرة للتخاطب من المسافات البعيدة والقريبة بين ملوك العالم وحكامهم والناس أجمعين ، وعلى أن من أفطر في رمضان بعد وصول خبر الصوم له بواسطة السلك متأولا بأن هذا الخبر ميناه أقوال النجمين التي لا تمتد في ثبوت الشهر



شرعا ، فإنه يجب عليه الكفارة (فضلا عن القضاء ) لأنه متأول تأويلا بعيدا لجهله وسوء ظنه ، فلا عبرة بتأويله ( وألفت نظرك لجملة ذلك جهلا وسوء ظن ) .

## الخلاصة

والخلاصة أن مدار وجوب الصوم في رمضان ، والفطر أول شوال ، على الظن الذائب بثبوت شهر الصوم أو الفطر . وحيث إن الغالب في الأخبار التي ترسل بواسطة التليفونات أو التلغرافات السلوكية أو اللاسلوكية إنما هو الصدق في المسائل الدينية كصوم رمضان ، فنرى أنه يجب صوم رمضان والفطر أول شوال بناء على الإخبار بهما من هذا الطريق ، إلا إذا تباعدت الجهتان جدا كما تقدم ، وإن كان عامل التليفون والتلغراف قد يكون غير عدل شرعا ، أو اختلفت حكومة الجهتين المنقول منها واليهما فذلك لا يمنع غلبة الظن التي هي مناط العمل بالأحكام الشرعية العملية ، كأحكام الصوم والصلاة وما اليهما من المعاملات ، فإن الشارع جلت حكمته لم يكلفنا في العمل بالقطع واليقين دفعا للحرج ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) .

ومعلوم أن الأحكام العملية يكفي فيها الظن ، وأنه لا يجب فيها اليقين . وقد قالوا : إن غلبة الظن في دخول وقت الصلاة كافية ، وقالوا : وإن المجتهد يجب عليه العمل بما أداه إليه ظنه ، وإن المسائل القطعية ليست من مباحث الفقه . ولا يعقل في الملة الحنيفية السمحة التي تقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وتقول : « إن هذا الدين يسر » إلا هذا . ولو قلنا : إن أخبار البرقيات السلوكية واللاسلوكية لا يعول عليها بناء على هذه الاحتمالات لوصفنا الدين الإسلامي البعيد النظر الواسع الحكمة بالمجود الذي يبرأ منه وينعاه على أهله ، ولصيرناه مضغة في أفواه أعداء الدين ، وسخرية بين الزنادقة والملاحدين . ولو فرضنا أن عامل التليفون غير عدل أو غير مسلم لم يضر ذلك شيئا ، لأن الخبر ليس منه ، وإنما هو مأثور بتوصيله إلى الجهة المعنية ، فهو كالبريد الذي يحمل الرسائل وعلى كل حال فليس هناك معنى لأن يفتل على ظن الإنسان ثبوت

رمضان بأي وسيلة من الوسائل التي تحتف بها القرأتين الموجبة لغلبة الظن ثم يصبح مفطرا بعد ذلك . ولا شك أنه قد وجدت وسائل كثيرة في هذا العصر لم تكن معروفة في العصور الأولى . والمدار في كل ذلك على حصول المقصود الذي هو الظن الغالب ، والحكم بدور مع علمه وجودا وعدما ( وإلا لم تكن الوسيلة وسيلة بل كانت مقصدا ، وقد فرضناها وسيلة ) والشارع لم ينط الأحكام إلا بحصول الظن الغالب ، فهذا هو اللائق بنظر الإسلام الواسع ، حتى يكون دين العصور كلها والأأم كلها ، وتكون حجته قائمة على المخالفين في كل زمان ومكان . نعم : بعض الأحكام العملية لا يثبت عند الاحتمال وقيام الشبهة ، كوجوب القصاص في الجزية على النفس ، ولكن ذلك لدليل خاص كقوله صلى الله عليه وسلم : « ادروا الحدود بالشبهات » وذلك لخطر القصاص . هذا ما نقول به ولا نفق بشيء سواه .

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل ، ويعننا من الخطل ، وأن يلهنا الرشد في العلم والعمل ، ولا يكلنا لأتقنا طرفة عين بمنه وكرمه .

### مسألة تتعلق بالبيع والدين والربا

قال السائل بعد الديباجة :

ترجو الإفادة عن مسألة صورتها : رجل تدين من آخر بضاعة معلومة بثمن قدره ألف فرنك مثلا إلى أجل معين ، وعند انتهاء الأجل طلب صاحب الدين من المدين دينه ، فقال المدين : لا أملك شيئا أدفعه لك إلا أن تبيعني بضاعة أخرى تساوي ألف فرنك نقدا بألف ومائة مؤجلة لتبيعها الآن بألف وتدفع لك الألف السابق ، فوافقه صاحب الدين على ذلك ، وأخذ البضاعة وباعها ودفع السابق . فهل العقدة الثانية ممنوعة شرعا ، وما جعلت إلا لامتصاص من المطالبة بالدين السابق مع زيادة مائة فيه ، أم هي عقدة جديدة منفصلة عن الأولى ، وحينئذ تكون جائزة شرعا وليس فيها فسح دين في دين ولا شيء من الموانع ؟

سليمان الزوي

برواق المغاربة بالازهر الشريف

## الجواب

قرر العلماء أنه يحرم فسخ الدين في الدين . ومن صورته تأخير الدين الذي حل أجله الى أجل آخر مع زيادة فيه ، كأن يكون لشخص على آخر عشرة جنيهات مؤجلة الى أجل معين فيعجز المدين عن قضاؤها عند الأجل ، فيتفق مع دائته على تأخيرها الى أجل آخر نظير زيادة اثنين ، فتكون العشرة اثني عشر ، وهذا هو ربا الجاهلية بعينه ، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

وقالوا أيضا : إن كل عقد حلال في ظاهره ولكن قصد به التحايل على أمر ممنوع شرعا — يكون محرما متى كان ذلك الممنوع يكتر قصده المتعاقدين بحسب العادة . ولذلك أمثلة مبسطة في كتب الفقه .

وحيث إن أغلب المعاملات الواقعة بين الناس في هذا الزمان لا تخلو من ربا ، إما صراحة أو ضمنا ، نظرا لاستحكام حب المال في النفوس ، والميل الى مجارة غير المتدينين في استثمار الأموال ، والحصول على ربح فيها من أى طريق كان ؛ وحيث إن العقد الواقع بين المتدينين لا يقصد منه إلا الاحتيال على تأخير الألف الذي في ذمة المدين الى أجل آخر في نظير زيادة المائة وجعل الدين ألفا ومائة ، وذلك مما يكتر قصده للمتبايعين وأمثالها نظرا لحالة المعاملات الآن كما قدمناه ، فنرى أن ذلك العقد محرم ، ويجب فسخه ورد المبيع الى بائنه ، ولكن حيث إن المبيع قد فات بخروجه عن ملك المشتري فلا سبيل الى رده للبائع الآن ، إنما الواجب الآن إلغاء المائة الزائدة وإبقاء الدين ألفا فقط كما كان .

ولا يحل للدائن أخذها ، ولا للمدين إعطاؤها ( وَإِنْ تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ) ونسأل الله التوفيق والتأييد .

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

- ٢ -

تقلنا في العدد الماضي بحثنا عن الدكتور (جوستاف جوليه) في دحض مذهب دارون، فنتبعه اليوم بما يليه من البحث في الإلهام الحيواني، وعدم كفاية العوامل اللامازكية والدارونية وغيرها مما تخيله أصحاب مذاهب التحول. فنحن الآن ننقل مؤدى رأيه في هذا الباب، قال:

إن الإلهامات المشاهدة في حياة الحيوانات هي كما يعلمه الناس، لا تنتهى كثرةً، ولا تقف من إدهاشها للعقل عند حد. وهي جميعها تشترك في وصف عام لها، هو أنها تسمح للحيوان أن يعيش مقوداً بإلهام فطري فيه دون أن يفكر فيها تفكيراً منطقياً، ودون توقف أو تلمس، فيصل الى الغاية التي يرى اليها بثقة وطماً نينة لا يسمح بثقلها لنا العقل ولا الترية، ولا الترويض الطويل.

فبفضل هذا الإلهام استطاع الحيوان من أى نوع كان أن يعيش معيشة تنفق ومصالحة النوع الذي ينتمى اليه، وقد يكون ذلك أحياناً على حالة تعتبر شديدة التركيب والدقة، وخاصة فيما يتعلق بهجومه ودفاعه واغتذائه وتزاوجه الخ.

وقد رأينا أن الإلهام الحيواني هذا يكون واحداً عند جميع أفراد كل نوع من الأنواع، ويصعب تغييره بقدر ما يصعب تغيير النوع نفسه. وهو يكون وصفاً نفسياً مميزاً لكل نوع، ومخالفاً لجميع الإلهامات الأخرى، كما تتخالف الأنواع في تراكيها الجسدية.

وقد تكلمنا عن تكون الأنواع في الفصل السابق، فرأينا أن العوامل التي ذكرها لا تنفي إحداثها، وفي هذا الفصل نريد أن نثبت أن الإلهامات الحيوانية لا يمكن تعليمها لا بنظرية الانتخاب الطبيعي كما يزعمه دارون، ولا بنظرية تأثير البيئة كما يدعيه لامارك.

والموطن الذي يمكن فيه مشاهدة الإلهام الفطري للحيوانات في كل حالاتها هو حياة الحشرات . وقد رفع الأستاذ (فابر) أتراخالدا لمباحثته في حياة الحيوان ، فسنأجأ إليها لنذكر مبلغ تخالف الحشرات في هذه الإلهامات ، ومقدار تركيبها ، ومدى ثباتها ، ونبرهن في الوقت نفسه على عدم إمكان تفسيرها بالموامل التي قررها لامارك ودارون . وإني أكتفي هنا لضيق المجال بوضع أمثلة ، فأليك واحدا منها وهو حياة الحيوان المسمى (بالسيتاريس) الذي نوه به الفيلسوف المعاصر لنا (برجسون) باعتباره أن دلالة على ما نحن بصددده من أكبر الدلالات وأعجبها .

فإن هذا الحيوان يضع بويضاته في مدخل سرداب أرضي يحفره نوع من النحل بدعى (أنتوقور) فلما تفقس هذه البويضات تمكث الديدان التي تخرج منها ساكنة ترقب ، حتى إذا مرت بها وحدات النحل المذكور تعلق كل دودة بواحد من ذكرائها دون إناثها ، فتبقى ناشبة فيها الى وقت تزواج النحل ، وفي هذا الحين ترقب كل دودة من السيتاريس أن تنتقل من جسم ذكر النحل الى أنثاه ، منتظرة بطمأنينة موعد بيضها . ومتى حدث انقضت على بيضة من بيض النحل فأكلت ما فيها في أيام ، وبعد ما تبقى أياما أخرى على ظهر قشرة البيضة تؤدي فيه دور استحالتها الأولى ، ثم تنقلب بعد استحالة ثانية الى حشرة طائرة .

كل هذه الأدوار والشئون تمر كأن دودة السيتاريس المذكورة من أول ميلادها تعلم أن ذكران النحل ستخرج من سردابها أولا ، وتعلم أيضا أن دور التزاوج يمكنها من الانتقال عن جثمان ذكر الى جثمان أنثى ، وتعلم أن هذه النحلة ستوصلها الى خلية من العسل تغتذى منها ، وهى المكان الذي تبيض فيه ، وتدرى أن مادة البيضة التي سقطت عليها تكفيها غذاء حتى تم استحالتها الأولى ، وتستعد بعد ذلك للتغذى بالعسل . يحدث كل هذا كأن حشرة السيتاريس نفسها تدرى أن ابنتها تعلم كل هذه الأدوار المرتبة ، ولذلك تتركها الى مثل هذه الأدوار .

اليك مثالا آخر هو مثال الهيمينوبتير جيوايور ( Hyménoptères Geboyeurs )  
هذه الديدان عند ما تخرج من البيض تستدعى طبيعتها أن تغتذى من فريسة  
حية ، ولكن ثابتة لا تتحرك ، فاذا تحركت أضرت بالبيضة قبل أن تنفقس ، ثم بالدودة  
الصغيرة بعد أن تخرج منها . فلاجل أن تحقق الأم هذين الشرطين في الفريسة تشل  
حركتها ولا تقتلها .

فاذا كانت الحشرة تصدر عن فكر وتدير للوصول الى هذه الغاية ، وجب أن  
يكون لها علم ومهارة عظيمان . فيجب عليها أولا أن تستخدم من السم الذي تفرزه  
لتخدير فريستها مقدارا يكفي لتخدبرها دون أن يقتلها ، ثم يجب أن يكون لها اطلاع  
واسع بتشريح وفيزيولوجية تلك الفريسة ، ودقة ونظر صائب لا يخيب ، لتستطيع أن  
تفاجىء تلك الفريسة بضربة في المحل الذي يصلح لإحداث ما تريد إحداثه فيها ، لأن  
الفريسة مسلحة غالبا بكل تسليح ، وأقوى من الهيمينوبتير الذي نحن بصدد  
السلام فيه .

والحكمة السامة ( أى الإبرة ) يجب أن توجه الى المراكز العصبية المحركة للفريسة  
لا الى جهة أخرى ، ويجب أن تضرب بها مرة واحدة أو مرتين أو مرات عديدة  
على حسب عدد أو مراكز العقد العصبية .

وهذه المهمة الشاقة الخفية لم تتعلمها الحشرة من سواها ، فانها متى فقس البيض  
التي هي فيها تخرج من تحت الأرض ، فلا ترى لها أقارب ولا أسلافا ، إذ تكون قد  
ماتت منذ وقت طويل . وهي أيضا ستموت قبل أن ترى لها أعقابا ولا أخلافا .  
فالإلهام الذي شوهد عندها لا يمكن أن يكون قد انتقل إليها بالتربية أو بالتقليد ،  
ولكنه فطري فيها .

نقول : هنا يجب أن يدعى القتل بأن هذه الحركات إنما هي بإلهام إلهي أو حاء  
الله الى هذه الحشرة ، لأنه قدر لها أن تعيش ، فهداها الى مابه تعيش .

ثم قال : ما هو السبيل الى تمليل وجود هذا الإلهام بمحض العوامل الرسمية للتطور ؟

يقولون لنا : إن الإلهام الحيواني عادة أخذ بها الحيوان نفسه يسيرا يسيرا ، فرسخت فيه ، ثم أورثها ذريته من بعده . ولكن الأستاذ ( فاير ) اشتد في بيان استحالة هذا التعليل فقال : « لنفترض أن واحدة من إناث هذا النوع من الحيوانات وصل اتفاقا ومن عهد بعيد الى إصابة المراكز العصبية للدودة التي تصاح فريسة لصغارها ، ووجدت نفسها في حالة حسنة من ناحية أنها استراحت من كفاح لم يكن يستخف بخطره عليها ، ومن ناحية أن صغارها قد وجدت من هذه الفريسة غذاء غضا مملوا بالحياة والعناصر الجيدة ، فلنا : لنفترض هذا ، ونفترض أيضا أن هذه الأنثى أورثت هذه الخاصة ذريتها ، ونفترض أن ذريتها لم تتساو في إتقانها ، وأن تنازع البقاء أباد الضعفاء منها وأبقى الأقوياء حتى تم الانتخاب الطبيعي كما يقولون .

لنفرض كل هذا صحيحا ، ولكن هذه الافتراضات تعجز كل العجز عن تمليل أصل هذا الإلهام ومصدره ، فلا الاتفاق ولا الحاجة يستطيعان كلاهما أن يفسرا لنا كيف أن أنثى الحيوان الأول من هذا النوع استطاعت أن تجرد المركز العصبي للفريسة ، وأن تسلبها دون أن تقتلها . والواقع أنه لم يوجد سبب للاختيار في هذا الموطن ، لأن الحمة والحيوانات في حالة التمارك ، قد توجه الى القسم الأعلى أو الى القسم الأسفل ، أو الى الجنب ، أو الامام ، أو الخلف ، وفي كل هذه الجهات نقط لا تحصى . ومع هذا كله يتحتم على حشرة الهيمينوبتير أن تضرب مرة واحدة وأن تصيب الهدف وإلا تعرضت للخطر . فتكون مهمة الحصول على فريسة لتكون غذاء للصغار تقتضى من الهيمينوبتير أن يكون منزلها عن الخطأ . فالأنثى من هذا النوع يجب أن لا تخطئ في الطعن ، أو أن لا تتعرض لهذا العمل ، فلا وسط بين هذين الطرفين ، فإنها لو كانت تحاولة وهي على شك من الإصابة أهلكتها عدوها وأباد صغارها أيضا .

قال الدكتور (جوستاف جوليه) عقب مامر :  
لا يغبين عنا هذا أن إلهام استعمال الحمة السامة لا يمكن تفسيره بوجه من الوجوه ،  
كما لا يمكن تعليل حدوثها هي .

( نقول ) : قد تبين القارئ من هذه الأقوال أن العوامل الطبيعية التي تخيلها  
دارون أو لا مارك لا تنفي فتيلاً في تعليل وجود الأنواع ، ولا في تفسير حدوث الإلهام  
للحيوانات ، فلم يبق أمام العقل إلا اللجوء إلى عزو ذلك كله إلى مصور الكائنات وممدها  
بأسباب البقاء ، فهو وحده الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . محمد فريد ومهدى

## في ذم الغيبة

قال الله تعالى : « ولا يغضب بعضهم بعضاً ، يجب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » .  
يعني أنه كما لا يحل لحم ميت لا تحل غيبته حياً . روى أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس . فأخبر النبي بذلك ، فقال : صامتا عما أحل لهما ،  
وأفطرتا على ما حرم عليهما .

وقال عدي بن حاتم : الغيبة رعى اللثام .  
وقال رجل لابن سيرين رحمه الله تعالى : « إني اغتبتك فاجعلني في حل . فقال : ما أحب أن  
أحل لك ما حرم الله عليك .  
وقال ابن السكاك : لا تكن الناس على عيبك ، بسوء غيبك .

وقال شاعر حكيم :

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهنك الله ستراً من مساويها  
واذكر محاسن ما فهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك  
عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال : « هي أن تقول  
لأخيك ما فيه ، فإن كنت صادقاً فقد اغتبتته ، وإن كنت كاذباً فقد بهنته » أي أصبته بهتانك .  
ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم مستفنية ، فلما خرجت قالت عائشة رضي الله  
عنها : يا رسول الله ما أقصرها ! فقال : مهلا ياك والغيبة ! فقالت : يا رسول الله إنما قلت  
ما فيها . قال : أجل ، ولولا ذلك لكان بهتاناً .



## انتهاء عهد الفلسفة المادية

كان الماديون يزعمون الى عهد قريب أن المادة هي أصل السكون ، وأنها للوجود الأزلى الأول الذى لا فناء له ولا زوال . وقد كان هذا الرأى سبباً في ضلال الكثيرين عن الصراط السوى في مباحثهم عن الروح والعالم الروحاني . ولكن المباحث العلمية الحديثة ذلت هذه العقبة من طريق المباحث الروحية ، فأصبح طريقها اليوم معبداً بفضل ما هدى العلماء إليه من إثبات حدوث المادة وفنائها وقد تولت المعامل الكيميائية تمحيص هذا المذهب العلمى فأثبتت صحته إثباتاً عامياً . ونحن لأجل أن نعطي هذا الأمر الجلال كل ما يستحقه من العناية نرى أن نعرب المحاضرة التى ألقاها مكتشف هذا الأمر الخطير ، وهو الأستاذ (جوستاف لوبون) الفرنسى ونشرها في كتاب أسماه ( تولد المادة وفنائها ) وكان ذلك في سنة ( ١٩٠٧ ) .

قال لساميه :

« أقص عليكم حديثاً عجيباً لم يكن يحلم به العلم منذ عشر سنين ، حديثاً عن جزء من أية مادة كانت ، ولتكن من حجر نصطدمون به في طريقكم ، أو من ورقة موضوعة أمامكم ، أو قلعة من أى معدن كان من المعادن التى تتداولها أيديكم كل يوم . »

« كان العلم يعتقد في الزمان الخالى — ولا يزال قوم يعتقدون مثل عقيدته تلك الى اليوم — أن المادة تتألف من عناصر جامدة لا يعترىها العدم ، ووجدت في أول الأشياء وتبقى في خلال جميع تطوراتها بقاء سرمدياً . فكانت الكيمياء تقول لا يفنى شئ ، وكانت على ظاهر أساس مما تزعم ، لأن المادة كانت رغماً عن الاستحالات التى نظراً عليها تظهر حافظة لوزنها الأول . »

« ولكن العلم أصبح يعلمنا شيئاً آخر اليوم ، يعلمنا أن المادة مركبة من مجاميع

صغيرة تشبه المجاميع الشمسية ، مؤلفة من ذرات يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا ، وهي إن كانت ترى ثابتة في حَسَنًا فذلك إلا بسبب تلك السرعة المفرطة . « ويقرر لنا العلم أيضا أن الجوهر الفرد مستودع لقوى ضخمة لا تعد القوى التي تستخدمها صنائعنا بجانها شيئا يذكر ، وينتظر أن تنتفع بها تلك الصنائع في يوم من الأيام . ويعرفنا أيضا أن المادة وهي مستودع حياة لها إحساس يجعلها تتأثر بأخف المؤثرات وأطفها . ويفضى إلينا أخيرا بأن المادة ليست أبدية ، ولكنها خضعة للناموس الحتم الذي يقضى على جميع الكائنات بالفناء والتلاشي .

« أنا لا أستطيع أن أصل الى غور بعيد من هذا الموضوع في ساعة واحدة ، فلا كتف في هذه المحاضرة بأن أبين لكم بعض نتائج المباحث التي تتبعها منذ عشر سنين في موضوع تخاليل المادة ، وقد فصلتها في كتابين نشرتهما منذ عهد قريب .

« هذه المباحث التي كانت نتيجتها الأساسية غير منتظرة منذ سنين أثبتت اليوم أن المادة ليست أبدية غير قابلة للزوال ، وقد انتشرت هذه النتيجة بسرعة في جميع المعامل العلمية ، وآراءنا التي كانت تعتبر فيما قبل متطرفة عندما أبديناها لأول مرة ، بدأت تعتبر اليوم من الأمور المألوفة ، وإن كانت لا تزال بعيدة عن إنتاج كل النتائج المرجوة منها . ومتى شاعت هذه النتائج فستؤدي الى بناء صرح علمي يخلد الى الأبد . ثم ألقى على سامعيه نتائج التجارب التي هدى إليها ، والتي أثبت بها عدم أبدية المادة وأنها قابلة للزوال ، وقد أفاض في ذلك كثيرا ، ثم قال :

« يرى من هنا أن علم الأتمس كان مؤسسا على أبدية المادة ، ولكن علم الغد سيتأسس على قبولها للفناء ، وسيكون غرض العلم الأول إيجاد وسائل سهلة لزيادة انحلالها ، ويضع بذلك تحت تصرف الإنسان قوى يكاد لا يكون لها حد .

« بقي علينا حل شبهة ، وهي : إذا كانت المادة في ذاتها لا شيء غير قوة ، فكيف

نحس بها جامدة ؟

«قد عملت تجارب في المعامل الكهربائية المائية ، فأثبتت أن عمودا سائلا قطره سنتيمتران إذا أسقط من أنبوبة من علو ٥٠٠ متر فلا يتأني خدشه من شدة ما يكتسبه السائل من المقاومة . ولو ضرب بسيف قاطع فإن السيف يرتد عن سطح العمود السائل كما يرتد إذا صادف حائطا . وإذا كانت سرعة عمود السائل أكثر فلا تستطيع قذيفة مدفع أن تحترقه ، وإذا قذف الماء على هيئة شريط عريض سمكه بضعة سنتيمترات بسرعة كبيرة يصبح أمام قذيفة المدفع في مثل مناعة الطبقة الفولاذية لسفينة مدرعة فلا تستطيع أن تحرقه .

«فإذا أعطينا الماء المنصب شكل زوبعة كان لدينا صورة من جزيئات الجوهر الفرد والمادة ، وتعليلها شافيا لصلابتها . وبذلك نفهم كيف يصير الأثير اللامادي ماديا وصلبها جدا إذا استحال الى زوايا موزودة بسرعة كافية . ونفهم من هنا كذلك أن هذه الحركات الزوبعية لو بطلت لفنيت المادة لوقتها وعادت لأصلها في الأثير . هذا ملخص ما قاله الأستاذ جوستاف لوبون .

ونحن نقول : هذا عهد جديد دخل فيه العلم الطبيعي ، رفع به من طريق الفلسفة حائلا قويا كان يردها على عقبيها كلما همت لفتق الحجب والوصول الى لباب الحقيقة .

نعم كانت الفلسفة تجرد من مذهب الجواهر الفردة المادية أكبر صائد لها عن التغلغل في بواطن الأشياء ، فإنه ما دام أصلها الأصيل الأقدم المادة كما يقولون ، فلا وجه للفلسفة أن تجتاز هذه الحدود التي كان يزعم العلم أنها حدود المعرفة . فإذا عصت العلم واجتازت تلك المنطقة ، عدت خيالية ، وسقطت الى حيث لا تقوم لها قائمة . أما اليوم وقد تهتك هذا الحجاب الكثيف فقد انفتح الطريق أمام العقل ممهدا مهيمًا يصل منه الى ما قدر له من نصيب في لباب الحقائق . وقد ظهر هذا التحول في الفلسفة منذ ظهر هذا الاكتشاف العظيم وثبت ثبوتًا علميًا ، فإن الفلسفة الحسية التي أساسها التجربة والحس ، أصبحت اليوم أوسع مجالًا وأبعد نظرًا مما كانت عليه أعرق فلسفة خيالية في الأرض .

ولا مشاحة أيضا في أن هذا التجدد الفلسفي يعتبر تمشيا نحو الدين بأوسع معاني هذه الكلمة ، فإن العقبة الكأداء الوحيدة التي كانت تفصل بين الدين والفلسفة ، كانت النظرية المادية في أصل الوجود ، أما وقد زالت هذه العقبة فإن زوالها يعد انتصارا للدين ، لأنه هو الذي يشتد في نقضها ، والنهي على معتقديها . وما داما قد التقيا في مجال واحد بعد افتراق طال عليه الأمد ، فإن الأمر سينتهي بينهما الى الإخاء والمصافاة ، والله غالب على أمره .

محمد فرير ومجربى

## فضيلة الحياء

روى أن علقمة بن علاثة قال : يا رسول الله عظمى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استحي من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك . وقال صلى الله عليه وسلم : قلة الحياء كفر ( يعنى قلة الحياء من الله تعالى ) . وقال صلى الله عليه وسلم : الحياء نظام الايمان . فاذا انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق . وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا ، فتكسب الطريق عنهم وقال : لا خير فيمن لا يستحي من الناس .

وقال بشار بن برد :

ولقد أصرف القواد عن الشيء حياء وجهه في السواد  
وأمسك النفس بالعفاف وأمسى ذاكرا في غد حديثا الانعادي

وقال شاعر رقيق :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء  
إذا رزق التقي وجها وقاحا تقلب في الأمور كما يشاء

وقال آخر :

إذا لم تصن عرضا ولم تحش خالقا وتسحى مخلوقا ثا شئت فاصنع

## تربية النفس بالنفس (١)

- ٢ -

### الفكر

هنا نقول : لا بد لنا حيال الفكر من إرادة تقوده الى ما ينبغي أن يعمل فيه ، ومن نشاط يتحلى به في أداء مهمته . وعلينا أن نستخدم هاتين القوتين بالحرية التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان الأعجم .  
فيحسن بنا الآن أن نبحث في مسألة التفكير وما يؤثر فيه من العوامل المنصبة عليه ، فنقول :

من الوهم الكبير أن يظن الإنسان وهو على حالته العادية أنه يستطيع التفكير فيما يريد وما لا يريد . لا ، فإن الإنسان مهما كان عبقرياً ، لا يملك تفكيراً حراً مالم يُعَنَ عناية خاصة بحمايته من المؤثرات الداخلية والخارجية . فالفكرة على أية حال كانت إنما تنشأ من ترابط الأفكار المختزلة ، وتداعى الخواطر السانحة ، وهذه لا تخضع بأية حالة من الحالات لسيطرة الإرادة الحاكمة . فأفكارنا والحالة هذه تعرض لنا ، وتتواتر في أذهاننا ، دون أن يكون في استطاعتنا أن نمدخل في ترتيبها ، أو أن نطرد ما لا يوافقنا منها ، أو نقف باختيارنا عندما يعجبنا منها . فنحن إذًا لا نسير فكرنا حسبما نريد ، ولكنه يكون وليد السبب المؤثر ، والهواجس التي تخطر على بالنا .

فنحن لا نستطيع أن نقف الفكر عند حد ، ولا الشعور الذي يعقبه ، فالإرادة والحالة هذه تعجز عن مقاومة هذه الحركة الدائرية ، ومقاواة هذا التعاقب المستمر للصور الذهنية .

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب « تربية النفس بالنفس » للاستاذ الدكتور ( پول دوبوا ) أستاذ

علم الامراض العصبية بجامعة يون ( سويسرا ) .

في كل يوم عندما يرجع بنا الفكر الى عمل من أعمالنا السابقة نضطر الى القول : إنه ما كان يجب علينا أن نفعل هذا . وعندما نلام على عدم انقيادنا لاعتبار من الاعتبارات نجيب بقولنا : إننا لم نفكر في ذلك ، ولم يخطر لنا على بال ، فيرد علينا أحيانا بعنف : نعم ، ولكن كان يجب أن تفكروا فيه من قبل .

هذا يسهل قوله بعد وقوع الأمر ، ولكنه كان مستحيلا على الإطلاق قبله ، لأن الفكرة المطلوبة لم تنبعث قبل حدوث الفعل ، الشيء الواجب عمله الآن هو أن نتأمل جيدا فيما يجب أن تفعله للحصول على حرية التفكير ، لا أن نقرع أنفسنا تقريرا لا طائل تحته .

فهل معنى هذا أن سلوكنا لا يتوقف إلا على الظروف الاضطرارية ؟ لا ، إنه يتوقف أيضا على الإرادة ، ولكن الصور الذهنية التي سبق أن وجدت في مدركتنا تنبئه في ذاكرتنا بفعل غير اختياري ، فتفقد الفكر وتسيطر عليه ، وهذه الصور قد رسخت في أذهاننا بواسطة غيرنا ، وهنا تظهر مؤثرات الحياة ومؤثرات التربية كموامل قاهرة تحول تفكرنا الى الوجهة التي تريدها هي لا التي نريدها نحن .

فالفكر على هذا النحو لا يكون عملا اختياريا يحدث بمجهود داخلي يقوم به الإنسان الذي يفكر ، ولكنه عمل آلي محض ، والسبب في ذلك أن آراء الغير تقع على رؤوسنا كقوالب الآجر من فوق الأسطح التي نسير تحتها ، فلا بد هنا من تجارب شخصية تتعلم منها كيف نتقي هذا الخطر .

فالإنسان الذي لم يتوقف فكره إلا تثقفا ساذجا ، أي الذي لم تمنحه التجارب — يشبه مجال تفكيره مائدة البليارد ذات الأربعة الحواجز ، فنجد عنده شيئا من المنطق في تواردها خواطره ، بل نجد عنده كذلك حواجز لمنع تواردها من الخارج ، ولسكنها حواجز موضوعية وضعا فاسدا قضت به عليه المزاعم الباطلة ، والآراء التي حشى بها دماغه بتأثير البيئة المحيطة به ، والتربية الفاسدة التي تلقاها .

ونجد على خلافه الرجل الذى بسبب ذكائه الفطرى والنصائح القويمة التى تلقاها من ذويه وأصدقائه ، وبسبب ظروف الحياة التى صادفته ، قد وضع حواجزه وضعا محكما أى مبادئه المعنوية ، وانتظمت قوى ذهنه ، فتجد الخواطر تتوارد على ذهنه بنظام منطقي ، وتحدد الأعمال والأفعال الأساسية التى تناسب الغرض الأوحد الذى يسمى اليه ، ألا وهو السعادة بأوسع معانيها فى هذه الحياة ، أو فى الحياة الأخرى . يتضح من هذا أنه لا بد لنا من حواجز فى مجال تفكيرنا تقيه المؤثرات الخارجية ، وأصول مرشدة تقاوم الآراء التى تأتى اليه مصادفة ، وتلقى جزافا فى مدرسته . فيجب أن تحول هذه الآراء عن طريقها إذا كانت فاسدة ، وأن توجه فى اتجاه صالح ونافع لأنفسنا ولأهلينا وللإنسانية أجمع إن كانت صالحة .

إننا لا ننسى هذه الحواجز بأنفسنا ، وإنما نعملها من التجارب العامة . قد يقول لنا قائل : إن تأكيذك هذا مبالغ فى إطلاقه ، وإن فى استطاعتنا أن نحتم على فكرنا نظاما . فثلا عندما نخصص ساعة لنعمل فيها مسألة من مسائل علم الجبر ، فإننا نوجه فكرنا فى اتجاه معين ، ونعزله عن الأفكار التى تأتى لتعرقل أساسه استنتاجاتنا . وهذا صحيح — على ما يظهر — فيما يختص بالعمل المستمر ، وكذلك فيما يختص بالأفكار الشاردة ، صحيح إذا لم نطقن لاستعبادنا الداخلى ، نحن لا نحدد باختيارنا وجهة انتباهنا ، ولكنها تتحدد بتأثير العمل نفسه الذى نقول عنه إننا نفرضه على أنفسنا ، والذى هو على العكس مفروض علينا . ومن المهم — لا دارك هذه «الحتمية» إدراكا صحيحا — أن نفهم الصفة القهرية للدافع الذى يحدد عملنا ، فلنضرب لذلك مثلا :

بدأت ليلة فى مطالعة كتاب فى الآداب كانت تالذنى مطالعته ، وعندما استيقظت من النوم فى الغد أعاد على ذاكرتى توارد الآراء القهرية موضوع الكتاب ، وتولد فى نفسى الميل اليه من جديد ، وشعرت برغبة شديدة لتخصيص بعض الأوقات لهذه ، إلا أنه قد خطر لى أن مطالعة شئ نافع أولى منه ، وفى الحال لمحت فوق مكتبى ظرفا

كثيرا بداخله تقرير خاص بالطب الشرعى كان لابد من تقديمه على الكتاب لتعلقه بعملى ، فأثار هذا المنظر فى نفسى شيئا من تأنيب الضمير ، وصار هذا الشعور قويا بحيث قضى على رغباتى المترددة فى مطالعة الكتاب ، فأكبت على مطالعة ما فى الظرف ، فكان مملا للغاية ، وكانت أحيانا نحوم حولى صورة ما كنت أجد من السرور من مطالعة الرواية فتزعجنى ، ولكن ما لبثت أن غابت سريعا هذه الصورة وحلت محلها صورة أخرى ، وهى صورة الضرورة ، وصورة الواجب ، حتى رأيت أنى لا أستطيع أن ألد بمطالعة شيقة إلا إذا انجزت تماما هذا العمل المستجمل ، فالجاذب الحقيقى هو فى إطاعة تلك الأسباب المعنوية المختلفة . وأما تركيز فكرى فإنه — بقدر ما يكون بعيدا عما يعرفه من التعب الذهنى — يكون معادلا لا لرغبة حرة ، وإنما للصفة القهرية التى أعرف بها تلك الدوافع . ففى يوم أرى فيه كيف أقدرها حق قدرها ، وأكب على أداء عملى ، وفى يوم آخر أجد ألف عذر لتأجيله الى الغد .

فنحن فى الحالة العادية أحرار بالمعنى الساذج الذى يطلقه العامة على هذا اللفظ ، ولكننا من الوجهة الفلسفية أرقاء للدوافع التى تفرض علينا بنفقتى طباعنا وخلقنا . إن المبادئ الخلقية التى أثبتناها فى أذهاننا ليست موضوعة بشكل حواجز ثابتة تقينا المؤثرات الخارجية ، إذ أنها تلين فى كثير من الأحيان أمام للمؤثرات الكبيرة التى تقذف علينا بقوة شديدة ، والتى هى فى الواقع ناشئة عن ثوراتنا الشهوانية ، فلم يبق علينا إلا أن نثبت وجود هذا الخلل ، ونصلح حواجزنا ، وأن نوطد دعائمها من طريق الاستعانة بإرادتنا . وقد علمت أن الإرادة وحدها لا تغنى فى هذا الموطن ، وإنما يستعان على ذلك بواسطة النظر للصائب فى حقائق الأشياء ، وهو ما نحصل عليه بتجاربنا الشخصية مشفوعة بتجارب غيرنا . فبذلك نستطيع أن توجد فى مجال تفكيرنا حواجز تمنع تسرب المؤثرات الخارجية اليه ، فننقى بذلك شر تحولته عن صراطه السوى ، وجولانه فى شئون ليس من مصالحنا أن يحول فيها على غير هدى .



## كتاب الام وما يحيط به

أقصد الى بيان من ألف كتاب الأم . وهذا يدعو الى أن أذكر ما يحيط بالكتاب من بعد وقرب . وفي ذلك طرف من حياة الشافعي العلمية . وقد عولت على أقوال العلماء مع البحث ، لتظهر الحقيقة وليس دونها ما يشبه الستر من ناحية .

( مكث الشافعي في بغداد ومصر )

قال الخطيب البغدادي : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : نبأنا أحمد بن بندار بن إسحاق قال : نبأنا أبو الطيب أحمد بن روح البغدادي ، قال : نبأنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : قدم علينا الشافعي بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فأقام عندنا سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين فأقام عندنا أشهراً ، ثم خرج .

وذكر ابن حجر العسقلاني أن البيهقي أخرج من طريق أحمد بن روح ، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال : قدم علينا الشافعي ( أي العراق ) سنة خمس وتسعين ومائة فأقام عندنا سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين فأقام عندنا أشهراً ، ثم خرج الى مصر ( انتهى ) وذكر ابن حجر العسقلاني نحو هذه الرواية عن الخطيب البغدادي .

وقال ابن خلكان : وقدم ( أي الشافعي ) بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ثم خرج الى مصر .

وقال السيوطي في حسن المحاضرة مثل هذا : فأقام بها شهراً ثم خرج الى مصر . وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات وشرح المذهب : قال أبو عبد الله حرمة ابن يحيى : قدم الشافعي مصر سنة تسع وتسعين ومائة . وقال الربيع : سنة مائتين . ولعله قدم في آخر سنة تسع ، جمعاً بين الروایتين ( انتهى ) .

وقال ابن خلكان : وكان وصوله اليها ( أى مصر ) فى سنة تسع وتسعين ومائة .  
وقيل إحدى ومائتين ، ولم يزل بها الى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع  
ومائتين ( انتهى ) قال ابن حجر العسقلانى : ولم تختلف الرواة أن الشافعى ولد سنة  
خمسین ومائة .

وفى ذكر اتفاق على أن الشافعى قدم بغداد أو العراق سنة خمس وتسعين ومائة  
فأقام سنتين ثم خرج الى مكة ، ثم عاد سنة ثمان وتسعين ومائة .  
وفى ذكر الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلانى أن الشافعى أقام ببغداد أو العراق  
فى المرة الثانية أشهراً .

وفى قال ابن خلكان والسيوطى أنه أقام فى المرة الثانية شهراً .  
والأولان سلكا سبيل الرواية دون انتقاد .

واتفق النووى وابن خلكان على أن الشافعى قدم مصر سنة تسع وتسعين ومائة .  
ورجع النووى قول الربيع : سنة مائتين الى قول حرملة : سنة تسع وتسعين ومائة ،  
مع أن الربيع قال : أقام الشافعى ها هنا ( أى بمصر ) أربع سنين . وقد حكى ذلك ابن حجر  
العسقلانى من رواية الآبرى . ولا يتم كلام الربيع إلا إذا كان الشافعى قدم مصر فى  
أواخر رجب على ما أفاده ابن خلكان فى تاريخ وفاة الشافعى ، أو ترك من الحساب ما زاد  
على السنين الأربع من كسر السنة ، وهو ما يؤخذ من قول النووى . والنووى يرجع  
رواية حرملة .

أما أن الشافعى وصل الى مصر فى سنة إحدى ومائتين فحكاية ضعيفة كما أشار  
الى ذلك ابن خلكان . ويبنى على اعتبارها نقص خمسة أشهر من السنة الرابعة أو أكثر .

( الشافعى فى تأليفه والأخذ عنه )

قال ابن حجر العسقلانى : أخرج الحاكم من طريق الربيع قال : لزمت الشافعى قبل

أن يدخل مصر ، وكانت له جارية سوداء ، فكان يعمل الباب من العلم ثم يقول : يا جارية قومي فأسرجي ، فتسرج له فيكتب ما يحتاج إليه ، ثم يطفى السراج ، فدام على ذلك سنة . فقلت : يا أبا عبد الله إن هذه الجارية منك في جهد ، فقال لي : إن السراج يشغل قلبي .

وقال الخطيب البغدادي : أخبرنا محمد بن عبد الملك القرشي ، أخبرنا عياش بن الحسن البندار ، حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني ، أخبرني زكريا بن يحيى الساجي قال : سمعت الحسن بن محمد الزعفراني قال : قدم علينا الشافعي ( أي بغداد ) واجتمعنا إليه فقال : التمسوا من يقرأ لكم ، فلم يجترئ أحد يقرأ عليه غيري ، وكنت أحدث القوم سنا ، ما كان في وجهي شعرة ، وإني لأتعجب اليوم من انطلاق لساني بين يدي الشافعي ، وأتعجب من جسارتى يومئذ ، فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين فانه قرأهما علينا : كتاب المناسك ، وكتاب الصلاة . ولقد كتبنا كتب الشافعي يوم كتبناها وقرأناها عليه وإنما لنحسب أنا في اللعب وما يحصل في أيدينا شيء وأنه ضرب من اللعب ولا نصدق أنه يكون آخر أمره إلى هذا ، وذلك أنه كان قد غلب علينا قول الكوفيين . حدثني الحسن بن أبي طالب ، حدثنا علي بن الحسن الجراحي ، حدثنا أحمد بن محمد ابن الجراح قال : سمعت الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال :

لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي : من أي العرب أنت ؟ فقلت : ما أنا بعربي ، وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية ، قال لي : فأنت سيد هذه القرية ( انتهى ) . قال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : ثم سكن المشار إليه بغداد في بعض دروبها ، فنسب الدرب إليه وصار يقال له درب الزعفراني ببغداد . وفي الدرب المذكور مسجد الشافعي رضي الله عنه ( انتهى ) .

وقال ابن السبكي كذلك عن حسين الكرايسبي : لما قدم الشافعي ( يعني إلى بغداد ) قدمته قلت له : أأأذن لي أن أقرأ عليك الكتب ؟ فأبى وقال : خذ كتب الزعفراني فقد أجزتها لك . قال الخطيب : حديث الكرايسبي يعز جدا ( انتهى ) .

وقال ابن حجر العسقلاني: أخرج الآبري من طريق الربيع قال: لما قدم الشافعي مصر وقعد في مجلسه، كان يجالسه رؤساء أصحاب الخلق: عبد الله بن عبد الحكم ونظراؤه، وكان الشافعي حسن الوجه والخلق، فحبب إلى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان.

قال: وكان يجلس في حلقة إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل العراق فيسألونه، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره، فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة، فإذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار، ثم ينصرف إلى منزله. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: قال الربيع: رأيت من الشافعي مالا أحصى، وكان إذا انصرف اتشح بردائه ووضعت له منارة قصيرة، واتكأ على وسادة ونحته مضر بنان، ويأخذ القلم فلا يزال يكتب (انتهى).

وقال ابن حجر العسقلاني: أخرج الحاكم من طريق حرملة قال: وكان الشافعي يجلس إلى هذه الاسطوانة في المسجد (يعني جامع عمرو) فيلقي له طنفسة فيجلس عليها وينحن لوجهه لأنه كان مسقما فيصنف، فصنف هذه الكتب في أربع سنين.

وذكر ابن حجر العسقلاني أيضا أن بحر بن نصر الخولاني قال: قدم الشافعي من الحجاز فبقى بمصر أربع سنين ووضع هذه الكتب، وكان أقدم معه من الحجاز كتب ابن عينة، وخرج إلى يحيى بن حسان (أي التنيسي) فكتب عنه، وأخذ كتباً من أشهر فيها مسائل، وكان يضع الكتب بين يديه ويصنف، فإذا ارتفع له كتاب جاءه ابن هرم فكتب، ويقراء عليه البويطي وجميع من يحضر يسمع في كتاب ابن هرم، ثم ينسخونه بعد.

وكان الربيع على حوائج الشافعي، فربما غاب في حاجة فيعلم له، فإذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاتته (انتهى).

وكان الشافعي لقصر مدته الثانية في بغداد قال فيه بحر بن نصر الخولاني : « قدم الشافعي من الحجاز » ويموز أن يكون الشافعي جاء مصر من طريق الحجاز وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : قال حرملة : كان أبي قد رتب لي كاتباً وقال للكتاب : اكتب كل ما تكلم به الشافعي ( انتهى )  
وكان الشافعي يملئ على أصحابه أحياناً كما نرى ذلك في مواضع من كتاب الأم المطبوع .

من ذلك في ( الصلح ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أملى علينا الشافعي وفي ( الحوالة ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعي إملاءً وفي ( الوكالة ) أخبرنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي إملاءً وفي ( وثيقة في الحبس ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعي إملاءً وفي ( تفسير وصية العتيق ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي إملاءً وفي ( الوليمة ) أخبرنا الربيع بن سليمان قال : حدثنا الشافعي إملاءً وفي ( إقرار بترك مفسوخ ) قال الربيع : من ها هنا أملى علينا الشافعي رحمه الله تعالى هذا الكتاب

وفي ( إقرار الوارث ودعوى الأعمام ) أخبرنا الربيع قال : حدثنا الشافعي إملاءً .  
( قديم الشافعي وجديده )

قال السيوطي في حسن المحاضرة : وقدم ( أي الشافعي ) بغداد سنة خمس وتسعين ( أي ومائة ) فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وصنف بها كتابه القديم ، ثم عاد إلى مكة ، ثم خرج إلى بغداد ( انتهى )

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : وصنف ( أي الشافعي ) في العراق كتابه القديم المسمى بالحجة ، ورويه عنه أربعة من كبار أصحابه العراقيين ، وهم أحمد ابن حنبل ، وأبو ثور ، والزعفراني ، والسكرانيسي ، وأتقنهم له رواية الزعفراني ( انتهى ) .

وقال ملا كاتب جلبي : (الحجة) للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وهو مجلد ضخيم ألفه بالعراق ، وإذا أطلق القديم في مذهبه يراد به هذا التصنيف . ( قال الاسنوي في المهمات ) : ويطلق على ما أفتى به هناك أيضا ، وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي رضي الله عنه أنه قال : اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة ، فقلت : لا أعرف قولهم حتى أنظر في كتبهم ، فكتب لي كتب محمد بن الحسن ، فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي ، يعني الحجة ( انتهى ) . وقال ابن حجر العسقلاني : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن سريج سمعت الشافعي يقول : أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين دينارا ثم تدبرتها فوضعت الى جنب كل مسألة حديثا ، يعني ردا عليه .

وقال زكريا الساجي : حدثنا ابراهيم بن زياد ، سمعت البويطي يقول : قال الشافعي اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة ، فقلت : لا أعرف قولهم حتى أنظر في كتبهم ، فأمرت فكتب لي كتب محمد بن الحسن ، فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي ، يعني الحجة .

وفي كلام ابن حجر الهيتمي على منهاج النووي أن الجديدي ما قاله الشافعي رضي الله عنه بمصر ، ومنه المختصر ( أي مختصر المزني ) والبويطي ، والأثم ، خلافا لمن شذ ، ( وقيل ) : ما قاله بعد خروجه من بغداد الى مصر ، والقديم ما قاله قبل دخولها ، ومنه كتاب الحجة ( انتهى ) .

وفي كلام الرمل على منهاج النووي أن الجديدي ما قاله بمصر ، وأشهر رواه البويطي والمزني والربيع المرادي والربيع الجيزي وحرمة ويونس بن عبد الأعلى وعبد الله بن الزبير المكي ومحمد بن عبد الله بن الحكم وأبوهم . والقديم ما قاله بالعراق أو قبل انتقاله الى مصر ( انتهى ) .

وفي كلام غيرهما أن الجديدي ما قاله بعد دخوله مصر ، أو ما استقر رأيه عليه فيها

وإن كان قد قاله بالعراق ، والفسديم ما قاله زمن وجوده بالعراق وبعده قبل دخوله مصر ولم يستقر رأيه عليه فيها ( انتهى ) .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : وصنف الشافعي كتبه الجديدة كلها بمصر ( انتهى ) .

وقال ابن حجر العسقلاني : قال الآبري : أخبرنا أبو نعيم الاستراباذي سمعت الربيع ابن سليمان يقول مرارا : لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لعجبت منه ، ولو أنه ألف هذه الكتب على عريته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة ، لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ، غير أنه كان في تأليفه يجتهد في أن يوضح للعوام .

وقال : قال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعي يقول وهو مريض وذكر ما جمع من الكتب فقال : وددت لو أن الخلق تعلموه ولا ينسب إلي منه شيء . وقال في رواية عن البويطي أنه قال : سمعت الشافعي يقول : لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) فما وجدتم في كتب هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه .

( القائلون إن كتاب الأم تصنيف الشافعي )

إن القائلين ذلك كثير جدا ، وهذه طائفة منهم :

قال الأنصاري البهنسي في الكافي : وللشافعي في الأصول والفروع كتب مشهورة ، منها الأم في نحو خمسة عشر مجلدا ، صنفه الشافعي بمصر ، كما نقل عن رواية المزني والبويطي ، والأم من الكتب الجديدة .

وذكر إمام الحرمين في الخلع أن الأم من الكتب القديمة ( انتهى ) .

فالزني والبويطي نفسه - وهما صاحبا الشافعي الكبيران - أخبرا بأن كتاب الأم صنفه الشافعي بمصر . وعلى ذلك يكون كتاب الأم من كتبه الجديدة .

وإمام الحرمين (وهو شيخ الغزالي) أخبر بأن كتاب الأم من كتب الشافعي القديمة . والكتب القديمة صنفها الشافعي قبل دخوله مصر على ما تقدم .

وشذ إمام الحرمين في عد كتاب الأم من الكتب القديمة ، وقد أشار إلى الشذوذ ابن حجر الهيتمي في شرح منهاج النووي كما مر . وسند كرفيا يأتي تنمة لهذه المسألة . فكتاب الأم على أنه من الكتب الجديدة أو القديمة تصنيف الشافعي .

وقال ابن حجر العسقلاني : قال أبو الحسين الآبري : حدثنا الزبير بن عبد الواحد حدثني محمد بن سعيد ، أخبرنا الفريابي هو أبو سعيد قال الربيع : أقام الشافعي ها هنا (أي بمصر) أربع سنين فأملى ألفاً وخمسةائة ورقة . وخرج كتاب الأم ألفي ورقة ، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين (انتهى) . وأقر ذلك ابن حجر العسقلاني وهو الناقد العظيم .

فالربيع صاحب الشافعي الكبير أخبر أيضاً بأن الشافعي بمصر خرج كتاب الأم ألفي ورقة . فالشافعي صاحب كتاب الأم ومصنفه ، والربيع يعلم ذلك ، ويعلم أن الكتاب مسمى بكتاب الأم في ذلك العهد .

وقال ابن حجر العسقلاني : وقد سرد البيهقي كتب الشافعي فليخصتها من كتابه : الرسالة القديمة ، ثم الجديدة ، اختلاف الحديث ، جامع العلم ، إبطال الاستحسان ، أحكام القرآن ، بيان الغرض ، صفة الأمر والنهي ، اختلاف مالك والشافعي . اختلاف العراقيين ، اختلافه مع محمد بن الحسن ، كتاب علي وعبد الله ، فضائل قريش ، كتاب الأم ، أولها الطهارات ثم الصلوات الخ .

وأقر ذلك ابن حجر العسقلاني وهو الناقد العظيم .

فالبيهقي أخبر أيضاً بأن من كتب الشافعي كتاب الأم . والبيهقي من أئمة المسلمين ، ومن كتبه كتاب مناقب الشافعي ، والمبسوط في نصوص الشافعي ، وكتاب السنن الكبير ، وكتاب السنن الصغير ، جعلهما على ترتيب مختصر المزني صاحب الشافعي .



وقال إمام الحرمين : ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة ، إلا البيهقي ، فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرته مذهبه وأقاويله . وتوفي البيهقي سنة ٤٥٨ هـ ، وإذا كان البيهقي هكذا فهو من أعلم الناس بكتب الشافعي وأصحابه .

\*\*\*

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات ( وهو يذكر أحوال الشافعي ومناقبه ) : ومن ذلك مصنفات الشافعي رحمه الله في الأصول والفروع التي لم يسبق إليها كثرة وحسنا ، وهي كثيرة مشهورة ، كالأم في نحو خمسة عشر مجلدا ، وهو مشهور الخ .

وقال في شرح المذهب كذلك : ومن ذلك مصنفات الشافعي في الأصول والفروع التي لم يسبق إليها كثرة وحسنا ، فإن مصنفاته كثيرة مشهورة ، كالأم في نحو عشرين مجلدا ، وهو مشهور الخ .

وقال في مناظرات الشافعي : وهذه المناظرات معروفة موجودة في كتبه رضي الله عنه ، وفي كتب الأئمة المتقدمين والمتأخرين . وفي كتاب الأم للشافعي رحمه الله من هذه المناظرات جل من المعاني والآيات ، والنفائس الجليلات ، والقواعد المستفادات .

وقال في شرح المذهب أيضا : وقول المصنف ( أي أبي إسحاق الشيرازي ) قال في الأم : وقال في حرملة ، يعني قال الشافعي في كتابه الأم وهو الكتاب المعروف . رواه عنه الربيع بن سليمان المرادي . وقوله : وقال في حرملة ، يعني الشافعي في الكتاب الذي يرويه حرملة عنه ، فسمى الكتاب باسم راويه ونقله وهو حرملة مجازا واتساعا كما سبق عند ذكر البويطي .

والذي سبق أن أبا إسحاق الشيرازي قال في المذهب : قال في البويطي ، فقال النووي في شرحه : وقوله : قال في البويطي معناه قال الشافعي في الكتاب الذي رواه البويطي عن الشافعي ، فسمى الكتاب باسم مصنفه مجازا ، كما يقال قرأت البخاري ومسلما والترمذي والنسائي وسيبويه ونظائرهما ( انتهى ) .

وكتاب البويطى هذا هو مختصر البويطى المعروف عند الشافعية . وسيأتى له ذكر .  
 فالنووى أخبر أيضا غير مرة بأن كتاب الأم للشافعى .  
 والنووى إمام الشافعية من عهده الى الآن ، وهو خير بكتب الشافعى وأصحابه ،  
 وباحث كبير ، ومرجع متبع ، أتى بعد الغزالى فكانت له الكلمة . توفى الغزالى سنة  
 ٥٠٥ ، وتوفى النووى سنة ٦٧٦

وذكر السيوطى الامام الشافعى فيمن كان بمصر من الائمة المجتهدين وقال :  
 وصنف الشافعى بها كتبه الجديدة كالأم والأمالى الكبرى والأمالى الصغير الخ .  
 فالسيوطى أخبر أيضا بأن كتاب الأم صنفه الشافعى .  
 والسيوطى أخذ من بعض الكتب التى يصح الاعتماد عليها ، كما يعلم من خطبة  
 كتابه حسن المحاضرة .

فالزنى والبويطى نفسه والربيع ، وهم أصحاب الشافعى الكبار ، وإمام الحرمين  
 والبيهقى والنووى والسيوطى يقولون : إن كتاب الأم صنفه الشافعى .

( القائل إن كتاب الأم صنفه البويطى )

قال أبو طالب المكى فى قوت القلوب ( فى الأخوة والصحة ) : وحدثنا محمد  
 ابن القاسم القرشى عن الربيع بن سليمان عن الامام الشافعى رحمه الله أنه أخى رجلا  
 ببغداد الخ ، وقد كان الشافعى عليه السلام أخى محمد بن عبد الحكم المصرى ، وكان يحبه  
 ويقربه ويقول : ما يقيمى بمصر غيره . واعتل محمد فعاده الشافعى ، فحدثنى القرشى عن  
 الربيع قال : سمعت الشافعى ينشد وقد عاد محمدا الخ ، وما شك أهل مصر أن الشافعى  
 يفوز أمر حلقته اليه وأنه يستخافه بعد موته الخ .

وأخل البويطى رحمه الله نفسه ( أى بعد أن قبض الشافعى ) واعتزل عن الناس  
 بالبويطة من سواد مصر .

وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به ،

وإنما هو جمع البويطى لم يذكّر نفسه فيه ، وأخرجه الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمعه منه ( انتهى ) .

ولو كان الربيع بن سليمان قائل هذا كله لكان الظاهر أن يقول : « وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى » ويجرى بقية الكلام كذلك ، فجعل هذا من كلام الربيع خلاف الظاهر . فهو كلام أبى طالب أو محمد بن القاسم القرشى ، وهو كلام لا يعرف سنده .

وقال الغزالى فى الإحياء ( فى الحق السابع من حقوق الأخوة والصحبة ) : وحكى الربيع أن الشافعى رحمه الله أخى رجلا ببغداد الخ . ثم قال الغزالى : واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين ، بل من الوفاء له المخالفة ، فقد كان الشافعى رضى الله عنه أخى محمد بن عبد الحكم ، وكان يقربه ويقبل عليه ويقول : ما يقيضى بصريه ، فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله الخ ، وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته اليه بعد وفاته الخ .

وآثر البويطى الزهد والخول ، ولم يهجه الجمع والجلوس فى الحلقة ، واشتغل بالعبادة . وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به ، وإنما صنفه البويطى ، ولكن لم يذكّر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره ( انتهى ) ولم يقل الغزالى : « وسمعه منه » كما قال أبو طالب .

وحكاية الغزالى حكاية أبى طالب بشىء من التصرف ، وبلاذكر سند فى أول الكلام .

\*\*\*

والكلام فى الأخوة والصحبة يذكّر فى علم التصوف كالكلام فى إخال النفس . والغزالى إذ كتب فى التصوف عول على كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكي ، وكتاب الرسالة للأستاذ أبى القاسم القشيري .

ذكر ابن خلكان أن أبا طالب المكي توفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ ببغداد، وأن الأستاذ أبا القاسم القشيري توفي في سادس عشر ربيع الآخر سنة ٤٦٥ بدميسابور، وأن الغزالي توفي في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ بالطبران ودفن بظاهر الطبران وهي قصبة طوس .

ولقد تكلم بعض الناس في أبي طالب والغزالي، ولكن ابن السبكي دافع عن الغزالي سالكا سبيل الإنصاف كما ذكر، وشهد شهادة حسنة لأبي طالب وكتابه، وعظم من شأن الغزالي وعلمه .

وقد قال ابن خلكان : أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي صاحب قوت القلوب، كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة، ويتكلم في الجامع، وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيرا ... ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فانتفى إلى مقاتله .. وقال محمد بن طاهر المقدسي في كتاب الأنساب : إن أبا طالب المكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجالس الوعظ خلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام بعد ذلك ( انتهى ) .

وابن سالم يقول : الله جسد على صورة إنسان، له يد ورجل وحواس خمس، وأنف وأذن وعين وفم، وله وفرة سوداء، ونصفه الأعلى مجوف والأسفل مصمت، إلا أنه ليس لحما ودما ( انتهى ) .

والوفرة : الشعر المجتمع على الرأس، أو ما سال على الأذنين منه، أو ما جاوز شعمة الأذن .

وقال الخطيب البغدادي : صنف ( أي أبو طالب ) كتابا سماه قوت القلوب على

لسان الصوفية ذكر فيه أشياء منكورة مستشمة في الصفات ... وامتنع من الوعظ في جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ ( انتهى ) .

فهل يجوز أن يكون ابن السبكي غفل عن هذا ؟

وحكى ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أن الإمام أبا عبد الله المازري المالكي سئل عن حال كتاب إحياء علوم الدين ومصنفه الغزالي ، فجاء في بعض إجابته :  
أما مذاهب الصوفية فلسست أدرى على من عول فيها . ثم أشار إلى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر مافي الإحياء من الأحاديث .

وحكى ابن السبكي كذلك أن أبا الوليد الطرشوشي المالكي قال في رسالته إلى ابن مظفر : فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلته ، ورأيت رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم ، وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العيال ، ثم تصوف فحجر العلوم وأهلها ... فلما عمل كتاب الإحياء عمد بتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها ... وشحن كتابه بالموضوعات .

وذاد ابن السبكي عن الغزالي وفصل في طعن المازري فقال فيما قال : ومن الجهل بحاله ( أي الغزالي ) دعوى أنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي ، والأمر بخلاف ذلك . ولم يكن عمدته في الإحياء بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع بها شمل الكتاب ونظم بها محاسنه إلا على كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتاب الرسالة للأستاذ أبي القاسم القشيري ( المجمع على جلالتهما وجلالة مصنفهما ) .

ثم قال : وأما ما عاب به الإحياء من توهية بعض الأحاديث ، فالغزالي معروف بأنه لم تكن له يد في الحديث بأسطة . وعامة مافي الإحياء من الأخبار والآثار ممدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد .

وقد اعتنى بتفريج أحاديث الأحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه إلا اليسير .  
وسأذ كر جملة من أحاديثه الشاذة ( انتهى ) وهذا فصل في طعن الطرشوشى أيضا .  
لقد شهد ابن السبكي شهادة حسنة لأبي طالب وكتابه ، فذكر أنها تجمع على جلالتهما ،  
وكيف يكون الإجماع مع ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي في أبي طالب  
وكتابه ؟

يجوز أن يكون ابن السبكي حكى إجماعا من غير بحث . ويجوز أن يكون رأى  
ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي وبحث فلم يمدفع عن أبي طالب وكتابه فجعل  
ما ذكره ابن خلكان والخطيب البغدادي في حكم العدم .  
الحق أن المسألة من جهة النظر لا تخلو من شيء .

وقد عظم ابن السبكي من شأن الغزالي وعلمه في موطن آخر فقال في وصفه :  
حجة الإسلام ، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشقات  
العلوم ، والبرز في المنقول منها والمفهوم . جرت الأئمة قبله شأوا ولم تقع منه بالذات ،  
ولا وقف عند مطالب وراءه مطالب لأصحاب النهاية والبداهة .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للعرض مذهب  
حتى أتمل من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخذ من نيران البدع كل  
مالا تستطيع أيدي المجالدين مسها .

وذكر أن شيخه إمام الحرمين كان يصفه فيقول : الغزالي بحر مغدق .  
وذكر أن له في مذهب الشافعي الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة ، وفي أصول  
الفقه المستصفي والمنخول ، أنه في حياة أستاذه إمام الحرمين الخ .

وقال : وهذان الإمامان ( أعنى إمام الحرمين وتلميذه الغزالي ) وصلا من التحقيق  
وسعة الدائرة في العلم إلى المبلغ الذي يعرف كل منصف أنه ما انتهى إليه أحد  
بعدهما ( انتهى ) .

والشافعية يعلمون أن الغزالي إمام جليل من أئمة الشافعية الذين شغلت كتبهم العلماء ، فانتفعوا بها أزمانا ، ويعلمون أن وجيز الغزالي أصل لمحرر الرافعي ، ومحرر الرافعي أصل لمنهاج النووي ، ومنهاج النووي أصل لمنهج شيخ الاسلام زكريا الأنصاري ، والمنهاج والمنهج يدرسان الآن ويرجع إليهما في فقه الشافعي .

وابن خلكان توفي سنة ٦٨١ ، والخطيب البغدادي توفي سنة ٦٨٣ ، وابن السبكي توفي سنة ٧٧١ ، ومن كتبهم جمع الجوامع في الأصول .

\*\*\*

مسألة أبي طالب باقية على ما هنالك من نظر ، والغزالي على احتمال أنه غير آخذ من أبي طالب لم يأت بسند لحكايته ، ولم نجد لحكايته موافقة في كتاب يعتمد عليه . وما حكاه أبو طالب أو حكاه الغزالي من أن البويطي صنف كتاب الآم لم يذكره الأنصاري البهنسي في الكافي ، مع أنه يذكر أموراً دقيقة .

ولم يذكره ابن حجر العسقلاني فيما نقل عن البيهقي وغيره ، مع كثرة ما نقل ، ومن دأبه أن يبحث وينتقد .

ولم يذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات ، ولا في شرح المذهب على سعة ما كتب ، ومن دأبه أن يتعقب كلام من قبله .

ولم يذكره السيوطي ، ومن عادته أن يجمع من هنا ومن هنا .

ولم يذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى عند الحديث عن البويطي والريبع ، ومن عادته في مثل ذلك أن يطنب ويأتي بالأقوال المختلفة ، وإنما قال في الحديث عن البويطي : وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي رضي الله عنه . قال أبو عاصم : هو في غاية الحسن على نظم أبواب البسوط ( قلت ) : وقد وقفت عليه وهو مشهور . قال أبو عاصم : كان الشافعي يعتمد البويطي في الفتيا ويحيل عليه

إذا جاءت مسألة . قال : واستخلفه على أصحابه بعد موته ، فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ، ونشروا علم الشافعي في الآفاق .  
فلم يقل ابن السبكي : وللبويطي كتاب الأم أيضا مع أن كتاب الأم أعظم شأننا من مختصر البويطي .

### الفصل بين الطائفتين

من تقول : إن كتاب الأم تصنيف الشافعي

ومن تقول : إن كتاب الأم تصنيف البويطي

لقد جرى جمهور الشافعية من أول عهدهم إلى الآن على أن كتاب الأم تصنيف الشافعي ، وفيهم أصحاب الشافعي المقدمون : المزني ، والربيع ، والبويطي نفسه . وفيهم الأئمة الأعلام ، كإمام الحرمين ، والبيهقي ، والنووي .  
ولمثل البيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني اجتهاد كبير في جمع ما يحيط بالشافعي وأصحابه ، ولهم معرفة تامة بأحوال الروايات عن الشافعي وأصحابه . ولم نر في الكتب المشهورة التي بين أيدينا على كثرة ما فيها من الروايات والأقوال أن أحدهم ذكر حكاية أبي طالب أن البويطي صنف كتاب الأم .

أخفيت حكاية أبي طالب عليهم ، أم لم تخف عليهم ؟

فإن كانت لم تخف عليهم فقد يقول قائل : لم يذكروها قبولاً أو رداً ؟

ولمثل ابن السبكي والسيوطي نظر في كتاب الإحياء من أوله إلى آخره ، كما يعرف ذلك من تأليفهما . لحكاية كتاب الإحياء أن البويطي صنف كتاب الأم لم تخف عليهما ، ولم يذكراهما في كتابيهما المشهورين قبولاً أو رداً .

فقد بقيت حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي بلا رد .

فهل رأى هؤلاء وأمثالهم أن أدلتهم تجعل حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي

مردودتين هاهنا ؟



نعم رأوا ذلك ، لأن ما رووه ونقلوه صحيح يعضد بعضه بعضاً ، وفيه شهادة البويطى نفسه .

أما ثناء ابن السبكي على أبي طالب وكتابه والغزالي وعلمه ، فإنه لا يمنع من نقد حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي . والعلماء يعرفون مثل ذلك كثيراً .

وانظر مثلاً قول النووى : ومن ذلك مصنفات الشافعى رحمه الله فى الأصول والفروع التى لم يسبق إليها كثرة وحسناً ، وهى كثيرة مشهورة كالأم فى نحو خمسة عشر مجلداً ، وهو مشهور ، وجامعى المزنى الكبير والصغير ، ومختصره ، ومختصر الربيع والبويطى ، تجدد فيه إضافة كتاب الأم الى الشافعى وحده ، وإضافة جامعى المزنى الكبير والصغير ومختصره ومختصر الربيع والبويطى الى الشافعى وإلى المزنى والربيع والبويطى .

وانظر قول السيوطى فى الشافعى بمصر : وصنف بها كتبه الجديدة كالأم والأمالى الكبرى ، والإملاء الصغير ومختصر البويطى ومختصر المزنى ، تجدد فيه إضافة كتاب الأم الى الشافعى وحده ، وإضافة مختصر البويطى ومختصر المزنى الى الشافعى وإلى البويطى والمزنى .

والنووى والسيوطى جاءا بعد أبى طالب والغزالي . وقد علم مما سبق شأن النووى والسيوطى . وتوفى السيوطى سنة ٩١١ .

وقد ذكرنا ما نقل عن رواية المزنى والبويطى أن الشافعى صنف كتاب الأم بمصر . وذكرنا رواية الأثرى عن الربيع أن الشافعى بمصر خرج كتاب الأم ألفى ورقة . وانظر كتاب الأم المطبوع ترفيه فقه الشافعى وعباراته التى هى حجة فى اللغة العربية ، وتعرف أن ما زاد على أصل كتاب الأم من بعض عبارات للربيع بن سليمان أو للراوى عنه ، خفيف متميز ، كالذى يسمى اليوم بالتعليق . وهذا لا يخرج كتاب الأم عن كونه كتاب الأم ، وتعلم أن ما زاد عند الطبع متميز أيضاً لا يسلب الكتاب اسمه .

وتعلم أن راوى كتاب الأم هو الربيع بن سليمان ، وإذا أطلق الربيع بن سليمان فهو المرادى ، ذلك الامام الصادق الذى لا يحكى غير الواقع .

وقد ذكرنا عن النووى أن كتاب الأم رواه عن الشافعى الربيع بن سليمان المرادى . وقال النووى : واعلم أن الربيع حيث أطلق فى كتب المذهب المراد به المرادى . وإذا أرادوا الجيزى قيده بالجيزى . ويقال للمرادى راوية الشافعى .

وقال الحافظ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى فى آخر كتابه ( مناقب الشافعى ) : الربيع بن سليمان المرادى هو راوية كتب الشافعى الجديدة على الصدق والايتقان ، فربما فاتته صفحات من كتاب فيقول فيها : قال الشافعى ، أو يروها عن البويطى عن الشافعى ، وصارت الرواى تشد اليه من أقطار الأرض لسماع كتب الشافعى . وقال البويطى : الربيع أثبت فى الشافعى منى .

وقال الامام أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازى فى كتابه ( مناقب الشافعى ) : سمعت أبا عمرو أحمد بن على بن الحسين البصرى ، قال : سمعت محمد بن أحمد ابن سفيان الطرائنى البغدادى يقول : سمعت الربيع بن سليمان يوما وقد حط على باب داره تسعة راحلة فى سماع كتب الشافعى رحمه الله ورضى عنه ( انتهى ) .

وقد وقع فى رواية بدل ( محمد بن أحمد بن سفيان ) محمد بن حمدان بن سفيان . وقال السبكى فى الحديث عن الربيع بن سليمان المرادى : وكانت الرحلة فى كتب الشافعى اليه من الأفاق نحو مائتى رجل . وقد كاشفه الشافعى بذلك حيث يقول فيما روى عنه : أنت راوية كتبى .

وقال النووى : قال يحيى بن معين وقد سئل عن يكتب كتب الشافعى فقال : عن الربيع . وقال الربيع : جاءنى أبو عبيد فأخذ كتب الشافعى ، يعنى ليكتبها .

وذكر ابن حجر العسقلانى فى بعض أحوال الشافعى والربيع أن الربيع كان على حوائج الشافعى ، فربما غاب فى حاجة فيعلم له ، فاذا رجع قرأ الربيع عليه ما فاته .

وقال أبو الحسين الرازي : أخبرني علي بن محمد بن أبي حسان الزياتي بمجمص قال : سمعت أبا يزيد القراطيسي يقول : سماع الربيع بن سليمان من الشافعي ليس بالثابت ، وإنما أخذاً أكثر ( الكتاب ) من آل البويطي بعد موت البويطي . قال أبو الحسين الرازي : وهذا لا يقبل من أبي يزيد ، بل البويطي كان يقول : الربيع أثبت في الشافعي مني . وقد سمع أبو زرعة الرازي كتب الشافعي كلها من الربيع قبل موت البويطي بأربع سنين . ( ومات البويطي ببغداد سنة ٢٣١ ) أي سمعها من الربيع سنة ٢٢٧

وسنذكر فيما يأتي أن ( الكتاب ) فسر بالمبسوط ، وأن المبسوط هو الأم .  
وقال الراوي عن الربيع كما في كتاب الأم المطبوع ج ٢ ص ٩٣ : « أخبرنا الربيع ابن سليمان المرادي بمصر سنة سبع ومائتين ، قال : أخبرنا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله » وهذا بعد موت الشافعي بثلاث سنين ، وقبل موت البويطي بأربع وعشرين سنة .  
وقال ابن السبكي في الحديث عن الربيع المرادي : صاحب الشافعي ورواية كتبه ، والثقة ثبت فيما يرويه ، حتى لو تعارض هو وأبو إبراهيم المزني في رواية لقدم الأصحاب روايته ، مع علوقه رأياً إبراهيم علماً وديناً وجملاً ، وموافقة ما رواه للقاء . ( وقيل ) : كان فيه سلامة صدر وغفلة ( قلت ) : إلا أنها باتفاقهم لم تنته به إلى التوقف في قبول روايته ، بل هو ثقة ثبت خرج إمام الأئمة ابن خزيمة حديثه في صحيحه .

وكذلك ابن حبان والحاكم . قال ابن أبي حاتم : سمعنا منه وهو صدوق . وسئل أبي عنه فقال : صدوق ( انتهى ) وقال الخليل في الإرشاد : ثقة متفق عليه ( انتهى ) .  
وقال ابن حجر العسقلاني : روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وروى الترمذي عنه بالإجازة ، وحدث عن واحد عنه ، وروى عنه أيضاً أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وابن أبي حاتم وزكريا الساجي والطحاوي وأبو محمد بن صاعد وآخرون . وثقه النسائي وأبو سعيد بن يونس وآخرون ( انتهى ) .

وقال النووي : قال الخطيب : هو ثقة . توفي في شوال سنة ٢٧٠ ( انتهى ) .

لقد قال أبو طالب في حكايته : وأخرجه (أى أخرج البويطى كتاب الأم) الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمعه منه (انتهى) .

فيحتمل أن يكون معنى ( وسمعه منه ) أن البويطى سمع كتاب الأم أو الزائد من الربيع . ويحتمل أن يكون معنى هذا أن الربيع سمع كتاب الأم من البويطى . ولكن الغزالي في حكايته لم يقل : ( وسمعه منه ) وفي هذا إشارة الى رد الاحتمال الثانى على الأقل ، والى أن الربيع معروف سماعه من الشافعى دون توسط أحد بينه وبين الشافعى . فاذا روى عن الشافعى فإنما يروى على الصدق والالتقان .

وإذا علمت جميع ما تقدم علمت أن حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي مرودتان . وقد جاء فى كتاب الأم للطبوع ج ١ ص ٢٤٨ ( غسل الميت ) أخبرنا الربيع ابن سليمان قال : لم أسمع هذا الكتاب من الشافعى وإنما أقرؤه على المعرفة . وجاء فيه ج ٢ ص ٩ وهكذا هذا فى البقر لا يختلف إلا فى خصلة ، فإنه إذا وجب عليه مسنة والبقر ثيران فأعطى ثورا أجراً عنه إذا كان خيراً من تبيع الخ . ( قال الربيع ) : أظن مكان مسنة ( تبيع ) وهذا من خطأ الكاتب لأن آخر الكلام يدل على أنه ( تبيع ) .

وجاء فيه ج ٣ ص ٢٦٤ ( إحياء الموات ) أخبرنا الربيع قال : قال محمد بن إدريس الشافعى : ولم أسمع هذا الكتاب منه وإنما أقرؤه على معرفة أنه من كلامه ( انتهى ) . فانظر الى صدق الربيع واحتياطه .

وانظر الى هذا الذى ذكر ( ومثله قليل ) تعلم أن ما عده قد سمعه الربيع من الشافعى . وقال ياقوت فى معجم الأدباء : والذى لم يسمعه الربيع من الشافعى رضى الله عنه وأرضاه : كتاب الوصايا الكبير ، كتاب اختلاف أهل المراق على على وعبد الله ، كتاب ديات الخطأ ، كتاب قتال المشركين ، كتاب الإقرار بالحكم الظاهر ، كتاب الأحياس ، كتاب اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاب مسألة الجنين ،

كتاب وصية الشافعي ، كتاب ذبائح بني إسرائيل ، كتاب غسل الميت ، كتاب ما ينجس الماء مما خالطه ، كتاب الأمان في الطلاق ( انتهى ) .

وإذا كان كتاب الأم يحتوي على مائة ونيف وأربعين كتاباً كما ذكر ابن حجر العسقلاني ، فهذا الذي لم يسمعه الربع من الشافعي قليل ، لأنه ثلاثة عشر كتاباً . ولا تنس قول البيهقي المتقدم : الربع بن سليمان المرادي هو راوية كتب الشافعي الجديدة على الصدوق والابتقان فربما فاتته صفحات من كتاب فيقول فيها : قال الشافعي أو رويها عن البويطي عن الشافعي ( انتهى ) . وقد عرفت أن الذي لم يسمعه من الشافعي يقول فيه : « لم أسمعه من الشافعي » فهذا هو الفاصل في الأمر . وانظر الكتب التي ذكرها ياقوت في كتاب الأم المطبوع ، فاسأله لا تخلو من نظر .

\*\*\*

قد يقول قائل : إن حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي لم يردهما أحد بصريح العبارة ، فبقاؤهما كذلك قد يؤدي إلى شك بعض الناس في نسبة كتاب الأم .

فيقال له : إن العلماء كثيراً ما يعرضون عن الشيء إعراضاً وبهملونه إهمالاً ، لأنهم لا يقيمون له وزناً ، ويكون ذلك أبلغ من رده بصريح العبارة ، ومرجع الأمر إلى أهل الفهم والعرفان .

وقد يقول قائل : إن الزبيدي شارح كتاب الإحياء نقل بعض عبارات أبي طالب في شرح حكاية الغزالي ولم ينقد كلام أبي طالب ولا الغزالي

فالجواب : أن ما قدمناه كاف في نقد ذلك . وكون الزبيدي لم ينقد لا يدفع كلام جمهور العلماء أهل البحث والنقد ومعرفة أحوال الروايات والأقوال كما هو ظاهر

\*\*\*

فإن غلام معترض وأرخينا العنان ونزلنا كثيراً فقد رنا الحكاية والحكاية صحيحتين فناية ما هنالك أن يحصل ما يسمى ( بالتعارض ) فيقال : إن ما روى ونقل من أن كتاب الأم تصنيف الشافعي كثر وبلغ حد الشهرة ، وليست حكاية أبي طالب

وحكاية الغزالي كذلك، والأصح عند الأصوليين في مثل هذا ترجيح الأول على الثاني، غير أنهم يقولون: الأصح أن العمل بالمتعارضين ولو من وجه أولى من إلغاء أحدهما بترجيح الآخر عليه. وقيل: لا، فيصار إلى الترجيح.

والعمل بهما هنا ممكن من وجه، إذ تكون نسبة كتاب الأم إلى الشافعي من ناحية التصنيف الأول الذي هو الإيثار العرفي الحاصل عن إعمال الفكر والاجتهاد، وتكون نسبته إلى البويطي من ناحية التصنيف الثاني الذي هو لم ذلك المنشأ ونسخه. فيكون كتاب الأم مضافا إلى الشافعي وإلى البويطي كما ذكر، وقد وقعت الإضافتان مرات من الذين يتكلمون في تصنيف الشافعي وأصحابه، وإن كان لكل إضافة قدر. وقد ذكرنا فيما سبق كلام النووي والسيوطي في الإضافتين.

وقال ابن السبكي مثلاً: صنف (أي المزني) كتباً كثيرة: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمختصر الخ.

وقال: وله (أي البويطي) المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي رضي الله عنه، فأضاف ابن السبكي الكتب إلى المزني والبويطي، ولم يضيفها إلى الشافعي أيضاً، ولكن النووي وغيره أضافها إلى الشافعي واليهما. وقد عرف أن عمل المزني والبويطي في هذه الكتب أكثر من عمل البويطي في كتاب الأم إن قلنا إن له عملاً فيه.

والزبيدي شارح كتاب الإحياء الذي لم ينقد حكاية أبي طالب وحكاية الغزالي قال عن الربيع: وأقام الشافعي بمصر أربع سنين فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وأخرج كتاب الأم في ألفي ورقة، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في أربع سنين.

وقد منا أن ابن حجر العسقلاني ذكر عن الأبري نحو هذه الرواية. فالزبيدي أضاف كتاب الأم إلى الشافعي وإلى البويطي. فتكون الإضافة على ما قدمنا من النسبة. ويشبه ما قلنا في الخروج من المعارضة قول ملا كاتب جلبي: كتاب الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ جمعه البويطي ولم يذكر اسمه. وقد نسب إلى ربيع بن سليمان. بوجه الإمام الربيع بن سليمان المرادى المؤذن بمصر، فنسب إليه دون من

صنفه وهو البويطى . فإنه لم يذكر نفسه فيه ولا نسبه الى نفسه كما قال الغزالي فى الاحياء .

قال ( أى الأسنوى ) فى المهمات : وهو نحو خمسة عشر مجلدا متوسطا .

قال ابن حجر ( أى العسقلانى ) فى مناقبه : وعدة كتب الإمام مائة ونيف وأربعون كتابا ، فسره وبوبه ورتبه على المسائل والأبواب أيضا الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد اللبان الأسعردى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ ( انتهى )

فإذا كان ملا كاتب جلبي نسب كتاب الأم الى الشافعى ، فذكره بعد ذلك أن البويطى جمعه وصنفه إنما يفيد أن البويطى لم ينسخ ما أنشأه الشافعى ووضعه ، ويدفع ما أوهمته حكاية أبى طالب وحكاية الغزالي .

وقول ملا كاتب جلبي : « وقد نسب الى ربيع بن سليمان . بوبه الإمام الربيع بن سليمان المرادى » يفيد أن ربيع بن سليمان الأول هو الجيزى كما يفهم الشافعية عند الاخيرة ، وليس الأمر كذلك ، لأن الأول هو المرادى أيضا كما تقدم ، والنسبة الى الربيع من أجل الرواية والتبويب ، والذي دعا ملا كاتب جلبي أن يقول : « وقد نسب الى ربيع ابن سليمان » دون أن يقول : ( المرادى ) أنه وجد فى أول كتاب الأم مثلاً : ( أخبرنا الربيع ابن سليمان قال : أخبرنا الشافعى رحمه الله تعالى ) ووجد فى كتاب آخر أن الربيع ابن سليمان المرادى بوب كتاب الأم ، فنقل العبارة الأولى كما وجدها ، والعبارة الثانية كما وجدها . وقال ملا كاتب جلبي : قال ابن حجر فى مناقبه : « وعدة كتب الإمام » ولكن الذى فى نسخة ابن حجر : « وعدة كتب الأم » .

الربيع كان تلميذ الشافعى ، وقد سمع منه كتبه إلا يسيراً فإنه للضرورة . ومن كتبه كتاب الأم كما مر . وكانت عنده كتب الشافعى يكتبها أو تكتب له . وعادة ذلك العهد تقضى أن يكون عند الربيع كتاب الأم . وكيف لا يكون عنده وفيه أكثر كتب الشافعى فى الفقه ، وكيف لا يكون عنده وهو رواية الشافعى ، وكان يعطى كتب الشافعى لمن يريد أن ينسخها .

فهل يقال بعد هذا على سبيل الحقيقة : « صنف البويطى كتاب الأم » ؟

وهل يقال : ينسب كتاب الأم الذي صنفه البويطى الى الربيع ؟

إن صحت حكاية أبى طالب وحكاية الغزالي فى الواقع ، فكل ما هنالك أن البويطى لم ينسخ كتاب الأم الذى أنشأه الشافعى ووضع عن فكر واجتهاد ، وأن البويطى أعطى هذه النسخة الربيع فصار عند الربيع نسختان وأين نسخة البويطى الآن ؟ إن النسخة المطبوعة أصلها نسخة الراوى عن الربيع ، ليس هنالك غيرها فيما علمنا .  
( عبارات كتاب الأم هى عبارات الشافعى )

إذا كان الشافعى قد خرج كتاب الأم ألفى ورقة كما فى الرواية الصحيحة عن الربيع ، وكان الربيع تلميذ الشافعى وقد سمع منه كتبه كما مر ، وكانت راوية كتب الشافعى وراوى كتاب الأم على الصدق والإتقان ، فعبارات كتاب الأم هى عبارات الشافعى التى يحتج بها فى اللغة العربية .

وإذا نظرنا فى كتاب الأم للطبوع عرفنا أن تصرف الربيع ليس تصرفاً فى العبارة ، وإنما هو تصرف بالزيادة المتميزة كزيادة الراوى عن الربيع ، وعلمنا أن الزيادتين كالتعليق ، وهو لا يخرج كتاب الأم عن أصله ، كما لا يخرج عن أصله ما جدد من الزيادة عند الطبع .

وإليك أمثلة لا من الزيادة التى جددت عند الطبع :

فى ج ١ ص ٢٦ قال الربيع : ثم رجع الشافعى عن هذا بعد .

» ٤٢ قال الربيع : وله قول آخر .

» ٥٨ قال الربيع : وهو آخر قوله .

» ١٩٢ أخبرنا الربيع قال : أخبرنا الشافعى ( فى الإملاء ) والإملاء

غير كتاب الأم كما أشار الى ذلك النووى فى تهذيب الأسماء واللغات .

وفى ج ٢ ص ٤١ قال أبو يعقوب والربيع : وغير ما فيها الركاز لتجارة زكاها  
زكاة التجارة .



وفي ج ٢ ص ٥٢ (باب اختلاف زكاة ما لا يملك) قال الربيع (في أثناؤه): سمعت الكتاب كله إلا أني لم أعارض به من هاهنا إلى آخره. فانظر كيف كان احتياط الربيع في الرواية، وانظر ماذا تأخذ من عبارته هذه. إنك لتأخذ منها أن ما لم يقل فيه مثل ذلك من كتاب الأم يكون قد سمعه من الشافعي وعارض به أي قابله.

وفي ج ٣ ص ٣٣ قال الربيع: قد رجع الشافعي عن بيع خيار الرؤية.

» ٥٦ قال الشافعي في موضع آخر.

وفي ج ٤ » ٤٨ قال الربيع: أنا أجيب فيها أقول

» ٥ » ٢٧ وفي قول آخر

» ٢٦٣ وكذلك امرأة أبيه

» ٢٧٠ وقد قال مرة الخ

وفي ج ٦ » ٥١ قلت أنا وأبو يعقوب

» ١٢٦ للشافعي رحمه الله تعالى هاهنا جواب

» ١٣١ آخر قول الشافعي

» ١٨٢ معنى قول الشافعي في هذا

ذكرنا أن في كتاب الأم المطبوع زيادة حدثت عند طبعه ولكنها متميزة، وقد قال مصححه: (تنبيه) اعلم أنه قد حصلت لنا عدة نسخ من الأم، ومنها بعض أجزاء عتيقة بخط ابن النقيب، منقولة من نسخة بخط سراج الدين البلقيني، نفردت بزيادات مترجمة معزوة لبعض مؤلفات الشافعي رحمه الله تعالى، مثل كتاب اختلاف الحديث، وكتاب اختلاف مالك والشافعي ونحوهما، وربما كان في هذه الزيادات تكرار لبعض ما اتفقت عليه النسخ، ولكنها مع ذلك لا تخلو عن فوائد من فروع وتوجيهات للإمام رحمه الله. ولهذا أثبتنا تلك الزيادات بهامش هذا المطبوع إن اتسع لذلك، وإلا جعلناه في الصلب بعد عبارة الأم مفصولا بينهما يجدول (انتهى).

ومن هذه الزيادات ما تراه في ج ١ ص ١١٤ وقد كتب في الصلب غير مفصول بينه وبين عبارة الآم بجدول، وإنما هو متميز بإشارة أخرى خفيفة، وبالعبارة، مثل (وفي مختصر المزني نصوص في سجود السهولم نرها في الآم قال المزني قال الشافعي الخ) ومثل (في جمع الجوامع قال الشافعي الخ) وجمع الجوامع كتاب مختصر من كتب الشافعي، اختصره ابن العفريس (كقنديل) وهو أبوسهل أحمد بن محمد الزوزني الشافعي. وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: إن أباسهل لا يغير من العبارة شيئاً وإنما يحكى النصوص بألفاظها، وكذلك سائر من يجمع نصوص الشافعي ليس لهم في ألفاظ الشافعي رضى الله عنه تصرف (انتهى).

وقال ملا كاتب جلبي: وهو (أى جمع الجوامع) على ترتيب مختصر المزني (انتهى) ومثل (وقال الماوردي إنه مذهب الشافعي وجماعة أصحابه الفقهاء الخ). وكان الأولى ألا يكتب مثل هذا في الصلب.

\*\*\*

إنك لا نجد باباً مثلاً من أبواب كتاب الآم إلا منسوباً الى الشافعي على إنشائه الأول وبسطه، غير مأخوذ من أبواب شتى مثلاً، وغير منقول من كتاب آخر. وليس ما صنف أصحاب الشافعي كذلك. انظر الى مختصر المزني المشهور مثلاً وإن أضيف الى الشافعي أيضاً، تجد المزني قال في خطبته: اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله، لأقربه على من أرادته.

وقال المزني في أبواب الكتاب:

(مختصر الشفعة) من ثلاثة كتب متفرقة من بين وضع وإملاء على موطأ مالك ومن اختلاف الأحاديث، ومما أجبت فيه على قياس قوله، والله الموفق للصواب.

(إحياء الموات) من كتاب وضعه بخطه لأعلمه، سمع منه

(باب التقاط المنبوذ يوجد معه الشيء) مما وضع بخطه لأعلمه، سمع منه، ومن مسائل

شتى سمعتها منه لفظاً.

(كتاب الوصايا) مما وضع الشافعي بخطه لا أعلمه، سمع منه .  
(الأمة تعتق وزوجها عبد) من كتاب قديم، ومن إملاء، وكتاب نكاح وطلاق  
إملاء على مسائل مالك .

(باب ما يقع وما لا يقع على امرأته) من الطلاق ومن إباحة الطلاق، ومما سمعته  
منه لفظاً .

(باب الطلاق قبل النكاح) من الإملاء على مسائل ابن القاسم، ومن مسائل شق  
سمعتها لفظاً .

(مختصر من الجامع) من كتابي إيمان جديد وقديم وما دخل فيهما من الطلاق من  
أحكام القرآن ومن اختلاف الحديث .

(عدة المدخول بها) من الجامع من كتاب المدد، ومن كتاب الرجعة والرسالة .

\*\*\*

أليس فيما ذكرناه حجة قوية على أن كتاب الأم لشافعي، وأن عباراته  
عبارات الشافعي؟

(الأم والبسيط)

ذكر ابن حجر العسقلاني عن البيهقي أن المزني حمل عن الشافعي كتابه المبسوط (وهو  
المختصر الكبير) والمنثورات، وكذا المختصر المشهور .

وذكر في الحديث عن المزني أن المزني لزم الشافعي لما قدم مصر، وصنف المبسوط  
والمختصر من علم الشافعي .

وذكر النووي أن مصنفات الشافعي كثيرة مشهورة، كالأم في نحو عشرين مجلداً  
وهو مشهور، وجامع المزني الكبير، وجامع الصغير، ومختصر به الكبير والصغير .

فقد أضيف المبسوط إلى الشافعي وإلى المزني، والمبسوط هو المختصر الكبير .  
وكتاب الأم لم يقل أحد فيه (المختصر الكبير) الذي يضاف إلى المزني .

إذاً يكون هذا المبسوط غير كتاب الأم .

وقال ابن النديم في الحديث عن المزني : وله من الكتب كتاب المختصر الصغير الذي بيد الناس وعليه يعول أصحاب الشافعي ، وله يقرءون ، وإياه يشرحون ... كتاب المختصر الكبير ، وهو متروك ( انتهى ) والمعروف أن كتاب الأم غير متروك . فكتاب الأم غير المختصر الكبير ، أي غير المبسوط الذي يضاف إلى المزني . وذكر ابن النديم في الحديث عن البويطي أن البويطي من الكتب كتاب المختصر الكبير ، كتاب المختصر الصغير ، كتاب الفرائض .

وكتاب الأم لم يقل أحد فيه ( المختصر الكبير ) الذي يضاف إلى البويطي . فكتاب المختصر الكبير الذي يضاف إلى البويطي غير كتاب الأم . وقال ابن النديم : وتوفي ( أي الشافعي ) سنة ٢٠٤ بمصر ، وله من الكتب كتاب المبسوط في الفقه ، رواه عنه الربيع بن سليمان والزعفراني . ويحتوي هذا الكتاب على كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب الحج ، كتاب الاعتكاف ، كتاب . ( وسقط باقي الكلام من فهرست ابن النديم ) ثم جاء ما يأتي : قال محمد بن إسحاق : قرأت بخط ابن أبي يوسف ما هذه نسخته : كتاب الرسالة ، كتاب الطهارة ، كتاب الإمامة ، كتاب استقبال القبلة ، كتاب الجمعة ( إلى آخره ) .

ولسقوط الكلام بين ما تقدم وما تأخر يحتمل أن يقول قائل : إن ما تأخر رواية أخرى في المبسوط .

فيقال له : ذكر ابن النديم أولاً أن المبسوط في الفقه ، وذكر فيما تأخر كتاب الرسالة ، وقد اشتهر أنه في الأصول ، وأنه كتاب مستقل ، فليس ما تأخر رواية أخرى في المبسوط . ويحتمل أن يقول قائل : إن ما تأخر هو ما احتوى عليه كتاب الأم ، فيكون كتاب الأم غير المبسوط .

فيقال له : اشتهر أن كتاب الرسالة كتاب مستقل غير داخل في كتاب الأم ، وكتاب

الرسالة في الأصول، وكتاب الأم في الفقه، فليس ما تأخر ما احتوى عليه كتاب الأم .  
وقد ذكر ابن حجر العسقلاني عن البيهقي كتباً ليست من كتب كتاب الأم،  
منها الرسالة القديمة، ثم الجديدة، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وأحكام  
القرآن، وبيان الغرض، واختلاف مالك والشافعي، واختلاف العراقيين، واختلافه مع  
محمد بن الحسن، وكتاب علي وعبد الله، وفضائل قریش .

وهذه الكتب ذكرها ابن النديم فيما تأخر، فما ذكره ابن النديم فيما تأخر ليس  
ببائناً لما احتوى عليه كتاب الأم، وإنما هو بيان لكتب الشافعي مطلقاً . ويؤيده ما قاله  
ياقوت في معجم الأدباء: والبيهقي من أدرى الناس بكتب الشافعي، ومن أدرى الناس  
بالكتب التي احتوى عليها كتاب الأم .

وقال ابن النديم في الحديث عن الربيع: روى عن الشافعي كتب الأصول  
(ويسمى مارواه المبسوط) .

ولم يقل الناس: كتاب الرسالة هو (كتب الأصول) وإنما قالوا: (كتاب  
الرسالة) وقالوا: (كتاب الرسالة أول كتاب وضع في الأصول) .

إذاً تكون كتب الأصول التي رواها الربيع عن الشافعي هي التي تذكر في الفقه  
مثل: كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج  
كتاب الاعتكاف الخ .

وهي التي وجدنا منها طائفة في فهرست ابن النديم ذكرت مما يحتوي عليه كتاب  
المبسوط الذي هو للشافعي في الفقه، وقد رواه عنه الربيع والزعفراني .

وإذا كان المبسوط في الفقه، فعبارة (كتب الأصول) وفق الأصل لا تشمل  
كتاب الرسالة .

ومما يعضد ذلك أن أبا عاصم ذكر أن مختصر البويطي على نظم أبواب المبسوط،  
ومختصر البويطي كل أبوابه في الفقه .

وأن ابن النديم في الحديث عن الزعفراني قال: وروى المبسوط عن الشافعي

(على ترتيب ما رواه الربيع) وفيه خلف يسير، وليس يرغب الناس فيه ولا يعملون عليه، وإنما يعمل الفقهاء على ما رواه الربيع.

والمشهور عن الزعفراني أنه روى عن الشافعي الكتاب القديم المسمى بالحجة وهو في الفقه. أما الرسالة القديمة في الأصول فهي مستقلة.

والمشهور عن الربيع أنه روى عن الشافعي كتاب الأم، وهو في الفقه.

أما الرسالة الجديدة في الأصول فهي مستقلة.

فاذا أريد بكتب الأصول ما يشمل الرسالة، وقف في طريق الإرادة قول ابن النديم: «وروى (أي الزعفراني) المبسوط عن الشافعي على ترتيب ما رواه الربيع» لأن ترتيب ما رواه الربيع لا يشمل الرسالة، لأنها خارجة عنه، وأول الترتيب (الطاهرة).



يؤخذ من كلام ابن النديم أن المبسوط هو كتاب الحجة، وهو كتاب الأم.

فكتاب الحجة يقال له المبسوط، وكتاب الأم يقال له المبسوط، ولكن هناك خلفا يسيرا بينهما، والخلف اليسير الذي في كتاب الحجة لا يعمل الشافعية به، وإنما يعملون بما في كتاب الأم (أي مضافا إليه ما استقر عليه رأى الشافعي).

وقد عد إمام الحرمين كتاب الأم قديما، ولكنه شذ في ذلك، فقد قال الماوردي في أثناء كتاب الصداق: غير الشافعي جميع كتبه القديمة في الجديد إلا الصداق، فإنه ضرب على مواضع منه وزاد مواضع (انتهى).

وقال البيهقي: وبعض كتبه الجديدة لم يمدّ تصنيفها، وهي: الصيام، والصداق، والحدود، والرهن الصغير، والإجارة والجنائز، فإنه أمر بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد، وأمر بتحريق ما يغير اجتهاده. قال: وربما تركه اكتفاء بما نبه عليه من رجوعه عنه في مواضع آخر.

قال ابن حجر العسقلاني: قلت: وهذه الحكاية مفيدة ترفع كثيرا من الإشكال

الواقع بسبب مسائل اشهر عن الشافعي الرجوع عنها وهي موجودة في بعض هذه الكتب ( انتهى ) .

من هذا تعلم الذي جعله ابن النديم خلفا لسيرايين مارواه الزعفراني وما رواه الربيع .  
ومن هذا تعلم الذي من أجله عد إمام الحرمين كتاب الأم قديما فقليل إنه شذ .

\*\*\*

وقال ابن حجر العسقلاني : وأخرج الحاكم من طريق عمرو بن خالد قال : جاءني الشافعي فأخذ مني كتاب موسى بن أعين ، وهو كتاب اختلاف الأوزاعي وأبي حنيفة . ( قال البيهقي ) : وهو كتاب في السير أصله لأبي حنيفة ، فرد عليه فيه الأوزاعي ، فرد أبو يوسف على الأوزاعي رده على أبي حنيفة ، فأخذه الشافعي ورد على أبي يوسف رده على الأوزاعي ، وهو الكتاب المعروف بسير الأوزاعي . ( قلت ) : وهو من جملة كتب الأم .

وقال الحاكم : أخبرنا أبو الوليد الفقيه ، حدثنا إبراهيم بن محمود ، سمعت الربيع يقول : ألف الشافعي هذا الكتاب ( يعني المبسوط ) حفظا لم يكن معه كتب ( انتهى ) وقد مننا أن أبا يزيد القراطيسي يقول في الحديث عن الربيع : « وإنما أخذ أكثر الكتاب » ولم يبين الكتاب . وقد فسر هنا بالمبسوط ، وقد عرف أن المبسوط هو كتاب الأم . فالكتاب وكتاب الأم والمبسوط لمسمى واحد

وفي صنع ابن حجر العسقلاني إشارة الى ذلك ، فإنه أتى بالجملة التي فيها ذكر الأم ، ثم أتى برواية الحاكم التي فيها ( ألف الشافعي هذا الكتاب ( يعني المبسوط ) الخ ، ليشعر أن ما فيها كالبيان للأم ، وفيه رد لما قد توهمه عبارة البيهقي من أن الشافعي كان حين تصنيفه كتاب الأم ينظر في كتب غيره . فكأنه قيل : إن جميع الكتب التي اشتمل عليها كتاب الأم ومنها سير الأوزاعي ألفها الشافعي حفظا لم يكن معه كتب . فلو كان معه كتب ، فهو يحفظها ثم يصنف كما مر

فلا يتوهم أن الإشارة في قول الربيع : ( هذا الكتاب ) الى سير الأوزاعي ، لما علمت ، ولأن ما ذكره أبو عاصم من أن مختصر البويطلي على نظم أبواب المبسوط مع

ما تراه في سير الأوزاعي المذكور في الجزء السابع من كتاب الأم المطبوع - يمنع أن يراد بالمبسوط كتاب سير الأوزاعي ، وينبغي أن يراد بالمبسوط كتب الشافعي كلها . إن مختصر البويطي في أبواب الفقه وهي كثيرة ، وكتاب سير الأوزاعي في أحوال الجند والغنائم وما له اتصال قريب بذلك ، وهو لم يبلغ سبع عشرة ورقة ، فيها أربع وثلاثون ( ترجمة ) كما يقولون ، ومختصر البويطي ليس فيه مثلاً كتاب الرسالة أو مختصره ، وأبوابه كأبواب كتاب الأم .

وليس فيما علم الناس أن كتب الشافعي كلها جمعت كتاباً واحداً أو أبواب منظومة . إذا عطف المبسوط على الأم مثلاً في عبارة فليس العطف للمغايرة . وقد قال الزبيدي في شرح الإحياء نقلاً عن ابن حجر العسقلاني :

والمسند المنسوب إلى الشافعي هو عبارة عن الأحاديث التي وقعت في مسامع الأصم على الربيع من كتاب الأم والمبسوط ، التقطها بعض النيسابوريين وهو أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر من الأبواب فسمى ذلك مسند الشافعي ( انتهى ) .

وقال ملا كاتب جلبي في مسند الشافعي : وجمع مسنده أبو عبد الله بن يعقوب بن يوسف الأصم الشافعي المتوفى سنة ٢٤٦ ( انتهى ) والصواب سنة ٣٤٦

وانظر فيما ذكره النووي مثلاً من كتب الشافعي ، نجد كتاب الأم ولا نجد كتاب المبسوط . وانظر فيما ذكره ابن النديم مثلاً من كتب الشافعي ، نجد كتاب المبسوط ولا نجد كتاب الأم .

معنى هذا ( بعد البرينات التي أقيمت ) أن كتاب الأم هو كتاب المبسوط ، وكتاب المبسوط هو كتاب الأم .

فن ذكر كتاب الأم وحده لم يهمل كتاب المبسوط ، ومن ذكر كتاب المبسوط وحده لم يهمل كتاب الأم ، ذلك لأن المسمى واحد .

وعلى هذا يكون كلام ابن النديم زاد حجة تضاف إلى ما مر على أن كتاب الأم ألفه الإمام الشافعي رضي الله عنه . والله أعلم .  
مسبح والي



Islam is not therefore founded on such principles as those orient-  
alists have tried to imagine but it is founded on universal principles which  
no nation has so far established and which is conceded by the highest  
philosophy of the day to be the most perfect and most worthy of con-  
sideration. In all its precepts, Islam has shown and faithfully followed this  
universalistic tendency and trampled on all the social distinctions that  
were raised by the ignorance of nations and fostered by racial prejudices  
in different periods of the world's history.

There is really nothing that stands between Islam and its becoming  
the world's religion except the ignorance of people concerning it, but once  
the truths of Islam are made known to them, it will become the universal  
human religion in fulfilment of the Lord's saying:

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُشْرِكُونَ»

"It is He who hath sent His Apostle with guidance and the religion  
of Islam that He may exalt it above every religion although the polytheists  
like it not."

(Baidawiy's Commentary)

«وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»

"Ye shall surely know its truth in time."

(Baidawiy's Commentary)

Allah? And who is more unjust than he who concealeth the testimony which he hath received from Allah (in regard to Abraham? But Allah is not regardless of what ye do. That were a people who have passed away, they have their recompense, and ye shall have yours, and ye shall not be questioned of that which they have done ».

*(Baidawiy's Commentary)*

Islam makes no distinction between one whose father is Abraham or Mohammad the last of the prophets and between one whose father was a black slave or even one who knows no father at all. It was not founded on such distinctions which may find acceptance at certain times or with certain people in a primitive stage of intelligence but not at all times or everywhere nor with people of a high standard of intelligence who would consider such distinctions degrading to the honour of human society.

Islam is a religion ordained for mankind in their entirety: white or black, Arab or otherwise which made them equal in such a manner as to leave no room for a distinguished paternity or an illustrious ancestry. In this connection, the Prophet (on who be peace) says: "Allah hath delivered you from the curse of the days of ignorance (pre-Islamic days) and its pride of ancestry ye are all from Adam and Adam is of dust."

Islam aimed at the establishment of a universal nation of one unified faith which is neither the religion of Abraham nor the religion of Noah but the religion of Allah Himself which is founded on human nature and pure reason for thus saith the Lord:

« أَفْتَبِرَ دِينَ اللَّهِ يَتْلُونَ وَالَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

"Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and on earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return".

*(Baidawiy's Commentary)*

The Lord has declared in more than one verse of the Holy Koran that Islam was the first faith which was revealed by Him to the first prophet:

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا »

"Allah hath ordained for you the religion which He commanded unto Noah."

*(Baidawiy's Commentary)*

and his son or even that they founded the Kaba? Or could they have been the natives of Medina who were of the Yemenite tribes that migrated to Arabia after the Aram flood and cared for nothing pertaining to Abraham or the Kaaba? Or could they have been those few numbered individuals among the Arabs who followed the religion of Abraham and were sparsely scattered in the tribes having no connection with one another throughout the Peninsula? Or could they have been some other people whom neither we nor history itself could claim to know?

The reader may well conclude from the foregoing that this orientalist's imputations are totally unfounded and that they were only inspired by pure imagination and the desire to disparage and impair the prestige of Islam by such empty gabble.

It may be well here to remind that orientalist of an all-important point about Islam and that is the basic principles and universal doctrines on which it was founded.

Islam has not relied for its ascendancy on the establishment of a chosen people whose ancestry goes back to a distinguished historical figure; but it aimed at the establishment of a universal nation in which racial and social distinctions melt away by relating it to a common paternity, the paternity of Adam. In this connection, the Lord addresses mankind thus:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

“O, men! Verily We have created you all of Adam and Eve, and We have made you into peoples and tribes that ye might know one another and boast not of your ancestry. Verily the most worthy of honour among you, in the sight of Allah, is the most pious; Allah is all-knowing and cognisant of your innermost thoughts”.

(Bridgman's Commentary)

As to upholding of distinguished figures or illustrious ancestry, the Lord saith:

«أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَتَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَتَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

“Will ye say truly that Abraham, and Ismail, and Isaac, and Jacob and their offspring were Jews or Christians? Say who knoweth best, ye or

The Holy Koran has also declared that Ismail was an apostle and a prophet. It is known that he was brought up among the Beni Jerhem and married from them. The outcome of this marriage was the branch of the Ismaelites which included Koreish, Rabiea, Moddar, etc. Ismail (on whom be peace) lived to witness the growth of that branch in its earlier stages. The Holy Koran has pointed out that his mission was restricted to his tribe and kinsmen. He enjoined prayers, alms-giving and righteousness. His mission was not meant to go beyond his tribe. He was not a universal prophet or admonisher on whose hands great changes were effected as in the case of the Prophet Mohamamad (on who be peace).

History has shown that since the appearance of the Adnan tribes up to the time of the Prophet, no other apostle was sent to the Arabs. The statement of the Koran is therefore true and completely conforms with universal history showing no contradiction in any part thereof.

As to the assertion of this orientalist that the Prophet (on whom be peace) had depended for the success of his mission on the support of the Jews of Mecca, it is equally untrue, and we fail to find in the Koran or in history anything to bear it out. The Prophet never once appealed to them, nor is it recorded that he ever met or consulted them on matters of religion. It is given in the Koran that in his early days, he was commanded to call secretly to his faith, then he was to admonish his nearest kinsmen and lastly to proclaim his mission to the world. It was for this reason that his people became embittered against him and endeavoured to refute his claims, yet never once have the Jews been mentioned in any of those stages. The learned orientalist has given us no idea of the kind of assistance for which the Prophet appealed to the Jews. Was it to further his mission though he never approached them on that score, or to support him with their men though they were of limited and small number to be held in fear amidst those strong and numerous tribes of the Arabs? No one had more openly been condemned by the Holy Koran than the Jews. How could it be then that Mohamamad would flatter them and seek their support?

Such statements are maliciously inspired and have no vestige of truth or scientific investigation in them.

Had that imputation been true, would not the Koran have sought to win the sympathy of the Jews by pointing out the soundness of their doctrines or by making mention of their relationship?

But how is it that this orientalist says that the Koran did not declare Abraham as the patriarch of the Arabs except at Medina? Would not this had better been done at Mecca where the Prophet appealed to the Jews for support rather than at Medina where he openly attacked and censured them? Is not this a weak and loosely-connected imputation? and does it not carry with it the elements of self-refutation?

This orientalist went on to say that when the Jews failed the Prophet he turned to some other people for support. Now who could those other people have been? Could they have been the Christians who were a minority in Arabia and cared very little for the relationship of the Arabs to Abraham

All this was widely known among the Arabs of pre-Islamic days and the Jews who lived in their midst. Is it conceivable therefore to attribute to Islam the concoction of this story? And if this be entertained by certain people, is it conceivable that it was Islam that introduced it in the Old Testament as well?

What is the meaning of that orientalist's assertion that the Koran established no connection between Abraham and Ismail in its early stages? Was that omission due to the Prophet's ignorance of it when he was at Mecca despite the fact of its being in the Old Testament and its prevalence among the Jews there?

Strange indeed is this orientalist's attitude. He asserts that the Koran, in its early and in its Meccan Suras, established no connection between Abraham and Ismail yet this was explicitly established in one of the Meccan Suras, that of Abraham's where he says:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ»

"Praise be to Allah, who hath given me, in my old age, Ismail and Isaac; verily my Lord hath answered my prayers."

(*Baidlawy's Commentary*,

On what basis had this orientalist founded his assertion other than his ignorance of the Meccan Suras and their contents? Would he have persisted in his claim and brought those charges which he framed if he had once seen the Meccan Sura of Abraham and found out for himself the connection between Abraham and Ismail plainly established therein?

We are aware that some orientalists bring false charges against Islam, but we would have thought that they were above barefaced denial of a plain statement which is explicitly mentioned in the Holy Book.

As to the further imputation that the Koran has declared that no apostle was sent by Allah to the Arabs before Mohammad, relying for authority in the Koranic verse:

«لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»

"To admonish a people to whom no admonisher was sent before, that haply they may be guided unto the right way."

This imputation is equally untrue for the meaning of this verse is that no apostle was sent by Allah to this particular branch of the Arabs before Mohammad.

By such verses as these, is not meant the categorical denial of sending any apostle to the Arabs in all times. The Koran has itself declared in plain words that Houd (on whom be peace) had been sent to the Adites and Saleh (on whom be peace) had been sent to the Themoudites, both of whom are of the older branches of the Arabs.

And now let us consider the rest of those imputations viz. that the figure of Abraham appears in the Koran in two distinct stages. In the first, he is an apostle of God, sent to admonish his people. No connection is established between him and Ismail. At the same time, it is declared that the Arabs have had no admonisher before Mohammad. Abraham never appears as the first founder of the Kaaba nor as the first Muslim.

When the Prophet went to Medina, all this was changed and Abraham was called Hanif and a Muslim and was considered as the founder of a religion, also that he founded the Kaaba along with his son Ismail etc.

By arraying these conjectures in the manner he did, this orientalist could only be understood to convey plainly that the Holy Koran is not the word of God but is the work of Mohammad and that he had introduced therein all what he deemed fit to further his policy and personal interest with the Arabs!

Such words as these, we may say, could only be inspired by complete ignorance of the truths of Islam and utter confusion in regard to its historical stages as well as by total inadvertence of the principles on which it was founded since the very day of its revelation.

Before we discuss these points however, we may examine the structure of this imputation in order to show how loosely connected and weak it is and to prove that it was founded on unpardonable historical fallacies.

Now as regards the idea that the Koran has made Abraham an apostle like all the prophets of God, this has no apparent connection with either stage in which the figure of Abraham appeared, but it is his inseparable attribute in all stages. Every Muslim since the advent of Islam up to the present day believes this to be so and if Abraham had had a position in the history of Islam different to that of other apostles, it is because he had been the first apostle to a great mass of the Arab people and the founder of the edifice to which all of them, Ismaelites and Kaitanites alike, made pilgrimage once a year, also that there were many among them who followed his religion and were scattered throughout their tribes.

All Arabs anterior to Islam and including both their branches, believed that the Kaaba was built by Abraham and his son Ismail to perform their prayers within its precincts.

This was the popular belief of the Arabs in pre-Islamic days and it was for this reason that they held it as a sacred place to which they made pilgrimage once a year. No one ever disagreed as to the identity of its founder, while they differed in all other things even the very names of their idols but never in the ascription of this building to Abraham and Ismail.

There is really nothing odd in the matter in any of its phases that might give contemporary critics reason to doubt the Holy Koran. The question is now confined to whether Abraham (on whom be peace) came to Arabia. The Arabs are agreed on this and say that he is the founder of the temple to which we make pilgrimage, and the Jews on whose Book the orientahsts rely, concur with the Arabs on this point and name the place at which he stopped and made an abode for his wife Hagar and his son Ismail. (Vide Old Testament verse 18, Chap. xxv. and verse 20, Chap. xxi.).

Abraham" and is called Hamif and a Muslim, also that he founded the Kaaba along with his son Ismail.

This change, they assert, is explained thus: In the early stages of his mission, Muhammad had appealed to the Jews in Mecca but when they failed him, he sought support elsewhere. He ingeniously declared Abraham to be the father of the Arabs, thus rendering himself independent of contemporary Judaism by appealing to the Judaism of Abraham which was, they assert, the precursor of Islam.

When Mecca occupied the thoughts of the Prophet, the foundation of the Kaaba was also ascribed by him to Abraham.

These are the doubts cast by those orientalists and we give below our argument in refutation thereof in the same order:

As to the discrepancy between the Koran and the Old Testament regarding the name of Abraham's father, no one except this orientalist had considered it a point of difference. For indeed had this been the case, contemporary Jews at the time of the Prophet (on whom be peace) would not have hesitated to make public this difference as they were most anxious to refute the Prophet's claims and turn people away from his faith. They laid in wait for every word or deed of his so that they might make use of them as a means to sow the seeds of sedition and discord. Had there been the least ground for doubt in the question of Abraham's father, they would have raised a mighty cry of protestation against it and would have used it as a strong argument to cast doubt on the Koran. But since this appellation was not commented upon and no one of those who opposed the Prophet (on whom be peace) ever clung to it as an argument against him, it could only mean that it did not attract the least attention or evoke the flimsiest doubt.

Considerable periods have passed on this appellation, controversy raged fiercely in different periods between Moslems and Jews as regards religion and the Book revealed to Mohammad (on whom be peace), and many opportunities offered themselves to the Jews and unbelievers for revilement and slander yet none of these bitter and inexorable enemies could cling to what the orientalists of to-day call a discrepancy between the Koran and the Old Testament.

Would not that prove beyond all doubt that the word "Azar" was popularly applied in that time or even before by both Arabs and Jews to "Tarikh," and it could have been either a name given to Abraham's father or an epithet by which he was popularly known and which, in time, became a proper name?

This orientalist presumes that Muhammad had relied, for the propagation of Islam, on the alleged Judaism of Abraham. Is it conceivable then that he should make a mistake in the name of Abraham's father among those countless thousands of Jews who had the Arabic translation of the Old Testament and to whom the story of Abraham was so well known that it was easy enough to know the father's name?

This indeed is very hard to believe and we may be justified to say that this doubt is absolutely of no weight.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

### Orientalists' Imputations Against The Koran Refuted <sup>(1)</sup>

---

In course of a book which was published in Europe by certain orientalists, the story of Abraham (on whom be peace) was dealt with and allusion was made to the statements of the Holy Koran on the subject which the orientalists imagined to cast some doubts on the Book of God in regard to Abraham's father, his connection with his son Ismail, their building of the Kaaba, the relation of the Ismailites to the Holy Prophet etc.

In vindication of the truth, we give below, a summary of those doubts followed by our answer thereto.

Their imputations are as follows:—

(1) The name given by the Koran to Abraham's father differs from that of the Old Testament. The Koran calls him "Azar" whereas the Old Testament called him "Tarikh."

(2) The figure of Abraham, appears in the Koran in two distinct stages. In the Meccan Suras, he is an apostle of God, sent to admonish his people like all other apostles. No connection is established between him and Ismail. At the same time, it is declared that the Arabs have had no admonisher before Mohamamad. In this stage Abraham never appears as the first founder of the Kaaba nor as the first Muslim.

When the Prophet went to Medina, a change took place. Abraham was referred to in the Medina Suras as the founder of the "religion of

---

(1) Translated from Mr. Mohammad Farid Wagdy's article in Nour-El-Islam Review.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٦ —

الدعوة الى العلم

أبنا في مقالاتنا السابقة ما قام عليه الاسلام من الأصول العليا التي توجب له السلطان المطلق على العقول والقلوب معا ، وتصوغ من متبعيه أمة تكون لها زعامة الأرض قاطبة . ونبين اليوم هنا أنه لم يحرم هذه الأمة من روح قوية تتولى دفعها الى التقدم ، وبعثها الى التطور ، وتحملها شمس الجود الذي يلحق بالأمة فيفضي بها الى التحلل أو الفناء في أمم أخرى . تلك الروح هي العلم بأوسع معانيه ، وعلى ما تقضى به ضرورات الاجتماع ، وحاجات العقول ، وما تستدعيه حياة أمة جعلت لتكون في طليعة الأمم .

لا يوجد دين من الأديان ، ولا نظام اجتماعي من النظم المعروفة قديما وحديثا يبلغ شأوا الاسلام في رفع شأن العلم ، والتنويه بقيمته ، وفي الدعوة اليه ، والتعويل عليه ، فقال تعالى : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ) ، اعتد الله في هذا الأمر الجليل بشهادة أهل العلم ، فرفع من قدر العلم الى حيث لا يرتقي بعده . وقال تعالى : ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) ، وفي هذا من تشريف العلم ما فيه ، إذ حكم بأن أهله يمتازون عن سواهم ، لأنهم حملة النور الإلهي ، والقائمون برفع كسف الجهل عن العقول . وقال تعالى : ( يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) ، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : للعلماء درجات فوق المؤمنين عدتها سبعمائة . وقال تعالى

في وصف القرآن : ( وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ) ، جعل العلم أخص صفات كلامه الإلهي . وقال تعالى : ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) ولا نظن أن فوق هذا تنويعها بفضل العلم ، وإشادة بذكره .

أما ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم فلا يكاد يحصى ، كقوله : « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » ، قال حجة الاسلام الغزالي : وأى منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » ، وليس بعد هذا التقدير الصحيح مذهب في تشريف العلم ، والإشعار بأثره في حياة المجتمع .

وقد زاد الله تعالى هذه الوصايا الكريمة قوة ، فجعل كمال التقوى متوقفا على العلم فقال تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) وربط به فهم الأمثال التي يضر بها للناس ليهديهم الى طريق السعادة ، أو ليستنهض همهم للخير ، فقال تعالى : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) .

وماذا تريد من دين يجب أن يقيم أمر جماعته على العلم أكثر من أن يفرضه عليهم فرضا ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » أو لم يقل « اطلب العلم ولو بالصين » ؟

فأى علم يقصد الدين من كل هذه الوصايا التي يدلى بها والتحذيرات التي يبذلها ؟ لاشك أنه يريد به كل ما يحتمله لفظه من المعارف التي أتيح للبشر الإلمام بها . فإتل قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ) .

ألا ترى أن في تذييله الآية بمحصر خشية الله في العلماء دلالة على أن المراد بالعلماء

هنا العارفون بأسرار هذه الشئون الطبيعية، والواقفون على حقائق المسانير الكونية فوق علمهم بالأمور الإلهية؟

وانل قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَأَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) بكسر اللام.

ألا ترى أن في تذييل هذه الأمور الكونية بقوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ» إشعاراً بأن المقصود بالعالمين الذين يعلمون بما هدى اليه الباحثون من هذه المعارف الطبيعية والإنسانية؟

فالعالم الذي يدعو اليه الكتاب، وتبحث عليه السنة النبوية، هو كل ما يدفع به الجاهل والخبط، سواء أكان في العقائد الدينية، أم في الشئون المادية. فقد علم الله سبحانه وتعالى أن الإنسانية كما تحتاج لعلم صحيح فيما يتعلق بعقائدها، تحتاج كذلك إلى علم بما تستصاح به معيشتها، وتبنى به اجتماعها، وتستكمل به وسائلها، وتحكم به جميع محاولاتها. وقد فهم آباؤنا الأولون هذا الفهم نفسه، فهبوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم بأوسع ما يحتمله هذا اللفظ من معان، فتخصص بعضهم لعلوم الدين، من ضبط قراءة كتابه، وتفسير معانيه، وطرق استنباط الأحكام منه، إلى غير ذلك. ومنهم من وقفوا أنفسهم لدراسة السنة وتدوينها، ونقد رواياتها، وتمييز أصليها من دخليها. وجماعة جعلوا غرضهم اللغة، فعمدوا إلى تحرير مفرداتها، وضبط مدلولاتها، وحصر لغاتها، ووضع معاجمها، وتدوين علومها. وفرق أخرى استهدفت العلوم الكونية على اختلاف موضوعاتها، من فلك ورياضة، وطب وصيدلة، وكيمياء وطبيعة وغيرها، فاستوعبوا كل ما وجدود شائعاً من كتبها، فلما لم يرو لهم غلة شرعوا يترجون ما ادخره اليونان والرومان والفرس في مكشباتهم، فاستخرجوا منها ما كان في حكم المعدوم، فألقوا من ذلك كله مجموعة من العلم لم تتفق لأمة قبلهم، فقد حشروا إليها كل ما ثبت نفعه من المعارف، غير متأثرين بعصبيية، ولا بترعة جاهلية، كما وصاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «خذ الحكمة ولا يفرك من أي وعاء خرجت»، فكانوا

لا يبالون في العلم أن يأخذوه من أي مصدر كان ما دام ينتفع به ، ولا يأنفون أن ينتفعوا بالعلماء وإن كانوا من غير ملتهم ، فأسندوا رئاسة كثير من جامعاتهم العلمية لرجال من ذوى الملل الأخرى ، لما ثبت لهم أن ليس في المسلمين إلى ذلك العهد من يسدون مسكنهم .

وقد ثبت أن أسلافنا لم يتأثروا من تعلم شيء مما ترجموه ، بل تناولوه جملة وأوسعوه تفلية وبحنا ، فنفوا ما ثبت بطلانه ، واحتفظوا بما عرفوا صحته ، فزادوا مادته ، واكتشفوا علوم ما تكن معروفة قباهم كعلمي الكيمياء والجبر . ولم يتخرجوا من البحث في أي مذهب من مذاهب العلم بحجة أن ذلك يضر بالدين ، أو أن الدين يجرمه ، حتى بحثوا في السحر والطالسم والآفاق والازاج والتنجيم والسيما ، وكل ذلك تحت شعار هذه الحكمة العالية : « تعلم السحر ولا تعمل به » .

الخلاصة أن المسلمين قاموا بدافع من دينهم إلى تلخيص العلم من جميع مظاهره ، وشغفوا به شغفا لم يرو التاريخ مثله عن أمة . فهل سمعت فيما قرأت من تاريخ الحروب أن أمة منتصرة تفرض فيما تفرضه على الأمة المغلوبة أن تعطيا مكتبة علمية ؟ هذا ما فعله المسلمون على عهد المأمون بن الرشيد ، فقد شرطوا في صلحهم مع الرومان تسليمهم مكتبة عينوها لهم ، فقبل أمباطورم هذا الشرط وسلمهم المكتبة ، فأكبوا على ترجمة أحسن ما فيها ، وأضافوه إلى ما سبق لهم ترجمته ، حتى أصبحت لهم زعامة العلم في الأرض ، وصارت مدارسهم وجامعاتهم معاهد للثقافة العالية يقصدها الناس من كل بقعة في العالم . فإذا كان لا بد من الاستئناس بقول مؤرخ أجنبي في هذا الشأن ، فإليك ما قاله الأستاذ الفيلسوف (دراير) للمدرس بجامعة نيويورك في كتابه المنازعة بين العلم والدين : « إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨م) أي بعد وفاة محمد بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .

الى أن قال :

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة نخمة ، فلم يأل جهدا في بذل الوسع في نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشرعية .

« ولما تولى حفيده هرون الرشيد سنة (٧٨٦ م) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الآسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون الذي تولى الخلافة من سنة (٨١٣ — ٨٣٢) فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع اليها كتباً لا تحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالع في الحفاوة بهم .

« هذا المركز الذي اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم في العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين في آسيا ، والفاطميين في مصر ، والأمويين في اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فحسب ، بل كانوا كذلك في العلوم والآداب أيضا .

« ذاق العرب في الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي الى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي ، والدستور العملي الحسي . وقد يلاحظ المطالع كتبهم العديدة في الميكانيكا والايديوساتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ، ونظريات الضوء والابصار ، أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي قاد العرب

الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لمدة آلات التتظير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ . وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة ، والسطوح المعلقة ، والإسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته . وهو الذى هدام لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (الأزياج جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات . وهو أيضا الذى عمّ بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية »

ثم قال فى عرض كلامه على مكتباتهم :

« وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة فى أربعة وأربعين مجلدا . وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

« أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتباً فى الفروع العلمية التى تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . » وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا فى الجغرافيا والإحصاء والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله .

« كان الملوك الإسلامى يغص بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة ، التى فاقت الممالك الرومانية كثيرا ، مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد جيراك فى الأندلس .

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ( تأمل ) ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » .

ثم قال :

« إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا في التقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم ، وأفاض في تفصيل ذلك ، ثم قال :

« ليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقا ، ولا أرقى مدنية ، ولا ألطف رونقا من عواصم الأندلس على عهد العرب ، فقد كانت شوارعهم مضائة بالأنوار ، ومباعدة أجمل تبليط ، والبيوت مفروشة بالطنافس ، وكانت تدفأ شتاء بالموافد ، وتهوى صيفا بالنسيمات المعطرة بوساطة إمرار الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهرا ، وكانت لهم حمامات ومكتبات ومحلات للفداء وينابيع مياه عذبة الخ » انتهى كلام الأستاذ درابر .

نقول بعد هذا : بهذه الروح العلمية كفّل الاسلام للأخذين به كل ما تمتدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، وبواعث للنموض والارتقاء ، ودوافع للتبسط في الأرض ، والاختلاط بالأمم والافتباس منها ، واستهداف أغراض قصية ، والدأب على بلوغها . فكان للإسلام ما رى إليه ، فتألفت من أهله أمة لم تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها : صحة في العقيدة ينحني العقل والعلم لإجلالها ، وتسليما بها ، وعلو في الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأمم ، أمشوا إلى نورهم ، وتشهدى بهديهم ؛ ومدنية فاضلة تنعم فيها الروح والجسم معا ، مصداقا لقوله تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَلْبَيْنَهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

محمد فريد وجدي

# النفس

## سورة الاخلاص

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

لقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث عدة، منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددّها، فلما أصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن . وروى عنه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينما يطيق ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يقرأ قل هو الله أحد، فهي ثلث القرآن . وكذلك روى أن رجلاً كان على سرية، وكان يقرأ في صلاته قل هو الله أحد، فلما رجعوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبروه أن الله يحبّه وروى غير ذلك مما هو في معناه .

وقد وجه شراح الحديث كونها تعدل ثلث القرآن بجملة توجيهات ، منها أن القرآن على كثرة ما فيه من فنون الهداية يرجع في الإجمال الى التحديث عن ذات الله وتنزيهه ووصفه بصفات الكمال، والى الأحكام، والى الأخبار . وهذه السورة قد اشتملت على القسم الأول، فتنزيهه في « الله أحد » وفي « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ووصفه بصفات الكمال في « الله الصمد » .



ومنهم من حمله على المعادلة في الثواب . وقد عهد في الأحكام أن الله تعالى يختص بعض الأعمال بمزيد ثواب بالقياس الى أعمال تشاركها وتشبهها في نوعها ، ويكون ذلك تارة لخصوصية في الزمان كليلة القدر وليلة الجمعة ، وفي المكان كالصلاة في المسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وفي نفس العمل كصلاة الفرض بالقياس لصلاة النفل ، ولو كانت صلاة النفل أكثر عددا وأشق فعلا .

ولعل من حكمة ذلك أن أعظم ما يقصد من العبادة أن يكون قاب العبد مستنيرا بنور جلال الله وكبريائه ، وهذا قريب الحصول جدا من تلاوة هذه السورة ، فإنها جلالة معناها للعقول ، واختصارها في الصورة ، تبقى حاضرة في القلوب ، متجالية للعقول ، تتأثر بها النفس أعظم تأثر ، فلا جرم كان لها هذه الخاصية . ولعل في تسميتها سورة الإخلاص ما يقرب هذا المعنى للعقل ، فإنها قد اشتملت على صفات التنزيه وهي صفات الجلال ، وعلى صفات التمجيد وهي صفات الجلال ، في قوله : « الله الصمد » ومتى امتلأ قلب المؤمن بتنزيه الله عن الشريك والكافي ، والولد والوالد ، وعن النظير والشبيه ، وعن الجزء ، وعن الجسمية وما يلحق بها ، فقد أخلص لله العبادة وخلص من شوائب الشرك . وإذا أضيف إليه استيقان النفس بأنه هو الفعال لما يريد ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، الذي شملت قدرته كل ممكن ، فهو الذي يصمد اليه أى يقصد في الحوائج ، انقطع انجماه الى أى كائن سوى ربه ، وكفى بالإخلاص بابا للنجاة ، ولذلك سميت سورة النجاة ، وسورة المعرفة ، ولها أسماء عدة غير ما ذكر ، كسورة التوحيد وسورة التجريد ، وسورة الأساس ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد . والحديث يشير الى البرهان المذكور في الآية الشريفة « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا » فقد قررت أن أساس الإيجاد هو الوحدة ، ولولاها لم يكن هذا العالم الذى نراه على أتم نظام .

هذا وليعلم أن تفضيل سورة على سورة أو آية على آية لا ينبغي أن الكل كلام الله متحد النسبة إليه ، وأنه جميعه حائز من الشرف والكمال والبعاد عن النقص الدرجة العظمى .

سبب نزولها — قيل إن قوما من المشركين أرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من يقول له : لقد شققت عصانا ، وسببت آلهتنا ، وخالفت دين آبائك ، فإن كنت فقيرا جمعنا لك من مالنا حتى تكون أغنانا ، وإن كنت تبغى الملك ملكناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كان يعتريك شيء من الجن التمسنا لك من يداويك . فقال : لست بشيء مما تقولون ، وإنما أنا رسول الله أدعوكم الى عبادته . فقال : انسب لنا ربك أوصف لنا ربك : أمن ذهب أم من فضة ؟ فنزلت هذه السورة .

وقيل في سبب نزولها إن قوما من اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم : هذا الله خلق كل شيء فن خاق الله ؟ فغضب صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل فقال له : اخفض جناحك ، ونزلت هذه السورة . وعلى الأول تكون السورة مكية ، وعلى الثاني تكون مدنية . وقال بعضهم : لا مانع من تكرار نزولها .

قوله تعالى : « قل » أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يقول ، والأمر وما بعده كل من كلام الله عز وجل المتلو ، ويكون الامتثال بعد ذلك فيما يدعوم إليه ، وهو مقول القول بعده ، فهو كقوله تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) وكقوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ) وأمثال ذلك ، ينزل عليه الأمر قرآنا يتلى ، وبمقتضاه يكون مكلفا بالإتيان بما أمر به . والسر في إثباتها مع أن الشأن في امتثال الأمر بقل أن يتلفظ بالمأمور بالمقول لا بلفظ قل ، هو الإشارة الى أن هذا أمر موجه الى كل من تعرض لمثل هذا المقام ، وابتلى بمثل ما ابتلى به عليه السلام ، أو كان كل واحد يعرض له مثل ذلك يخاطب نفسه بقوله : قل .

وقوله : « هو الله أحد » لفظ هو ضمير الشأن ، ويؤتى به عادة في موضع مزيد العناية

بالجملة التي تليه ، ويقرب منه في الاستعمال المتعارف بيننا ما يحرى في كلام الناس إذ يكون أحد المتخاطبين قد أراد جمع ذهن السامع فيقول له : « الأمر وما فيه إنني قابلت فلانا وكتبته في كيت وكيت » فكلمة « الأمر وما فيه » وما يشبهها كقولك : « المسألة كلها » أو « الموضوع » ونحو ذلك ، هي بمثابة ضمير الشأن في اللغة الفصحى ، وهي مبنية على الاختصار والدقة في الإفادة ، ذلك أن المتكلم حين يأتي بالضمير ولم يكن قد سبق له مرجع يفسره ، تبحث النفس عن تفسيره ، فلما لم يجده بعد البحث يتجه أكل اتجاه لما سيلقى بعده عساه يفهم منه معناه ، فيتمكن ما بعده في النفس أكل تمكن .

ولفظ الجلالة ( الله ) اسم للذات الأقدس ، الجامع لكل صفات الجلال والجمال ، فلا يخص صفة بعينها بالتنبيه ، فليس كباقي الأسماء من الرحمن أو العليم أو القدير أو الغفار أو القهار مثلا ، فلكل اسم من أسمائه تعالى معنى خاص يشير إليه من صفاته تعالى ، وأما لفظ الجلالة فهو يشير الى الذات التي جمعت كل تلك الصفات .

ولفظ ( أحد ) بمعنى واحد ، والمراد بها وحدة الذات بمعنى عدم تركيبها أو تجزئتها ، ووحدة الصفات أي عدم وجود مشارك له تعالى في صفة الإلهية ، ولفظ ( أحد ) تفيد للمعنيين ، أي عدم التركيب وعدم التعدد ، بخلاف لفظ واحد فإنها ظاهرة في نفي التعدد ولا تنفي التركيب ، فيقال جيش واحد مثلا ، ولا يقال جيش أحد .

ولا ترى بأسا من ذكر كلمة انوية تختص بكلمة ( أحد ) : ذلك أنها تارة تكون ملازمة للنفي وشبهه ، فيراد بها نفي الجنس مطاقا في انفراد أو اجتماع ، وهي في هذا تخالف لفظ واحد . فلك أن تقول : ليس في الدار واحد بل اثنان ، ولا تقول : لا أحد في الدار بل اثنان . ولذلك يصح وصفها حينئذ بصيغة الجمع ، كقوله تعالى : ( فَمِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ) ، وتارة تستعمل في الإثبات ، وهي على ثلاثة أوجه : إما بمعنى أول ، كقوله تعالى : ( أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَبَشِّرْهُ بِخَيْرٍ ) وكقولك في التعدد مثلا : هم فريقان : أحدهما كذا ، والثاني كذا ؛ وإما مضمومة الى العشرات ، كقولهم : أحد عشر وأحد وعشرون ؛

وإما وصفا فتختص بالله تعالى ، لأنها حينئذ بمعنى التنزيه عن النظير الموجب للتعدد ، وعن الجزئية الموجبة للتركيب . فكان في لفظ الأحد كمال الوحدة بحيث يكون منزها عن التركيب والتعدد خارجا وذهنا ، وما يستلزمهما كالجسمية والمشاركة في حقيقة الألوهية أو خواصها ، كوجوب الوجود وكمال القدرة والعلم وشمولها . فالتنزيه عن هذا كله مستفاد من لفظ « الله أحد » . ولمظم خطره أتى قبل الجملة بضمير الشأن على ما سبق ، لينيه الذهن الى تلقيه والاستشراق له ، فيتمكن في نفسه معناه أقوى تمكن . وناهيك بجملة هي بجمع التنزيه والتقديس ، تفرس في نفس المؤمن أن لا رب غيره ولا معبود سواه .

( الله الصمد ) : الصمد هو الذي ينتهى اليه السؤدد وليس فوقه ولا يسامته أحد . وهو الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وشئونهم أى يقصدونه . فصمد بمعنى مصمود اليه أى مقصود ومتوجه اليه . وقصد الخلاق الى الله تعالى بحوائجهم إما بالاختيار المنبثق عن الإيمان ، وإما بالالتجاء الاضطرارى الذى تدعو اليه الضرورة حتما ، وهو المشار اليه بقوله عز من قائل : ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ) وهو ما تراه يفزع اليه كل من يصاب بما لا قبل له به ، إذ يلجأ الى قوة يشمر بها بين جنبيه وإن انبهم عليه طريق فهمها على الوجه الأكمل . وإما بالاستعداد الأصلى الذى تشترك فيه جميع الماهيات ، وهو مقتضى إمكانها ، واستعداد الوجود والكمال المنشود لكل نوع منها منه تعالى ، فهو جل شأنه مفزع المؤمنين فى آمالهم ، وملجأ المضطرين فى كشف آلامهم ، وهو متجه الخلاق أجمعين فى نيل الحظ المقدر لكل منها ، من الوجود والكمال ، والتطور من حال الى حال . فهو وحده الصمد على الإطلاق ، فهو الفعال لكل شئ ، والمدير لكل أمر ، والمحيط علمه بكل سر وجهر ، والمتناولة حكمته لكل صغير وكبير ، ولكل جليل وحقير ، وهو على كل شئ قدير . فترى فى كلمة « الله الصمد » على وجازتها الوصف بصفات الجمال والتأثير كلها ، كما كانت كلمة « الله أحد » وافية بصفات التنزيه عن الشريك والنظير ، وعن الجزئية والتركيب وما يستلزمهما .

قالوا : وإنما عرف لفظ الصمد دون لفظ أحد ، لأن المخاطبين يعمدون في نفوسهم ويعرفون من فطرم أن هناك من يقصد في الملمات ، ويصمد اليه في إدراك الرغائب وإحراز الكمال ، ويتطلعون الى معرفته ، فجئ باللفظ مرفقا لهذا ، وليدل على الحصر وأنه ليس هناك من يصمد اليه غيره . وليس معنى الوحدة ثابتا في أذهانهم حتى يشار اليه هذه الإشارة ، بل كانت نفوسهم من جهة الوحدة ملوثة بالشرك ، متعلقة بالجسمية ، لا يفهمون الوجود إلا مقارنا لها ، بدليل سؤالهم : أمن ذهب ربك أم من فضة ، وقولهم في بعض الروايات : إن ثلثائة وستين إلها لا يقومون بحاجتنا أفيقوم بها إله واحد ؟ .

هذا وفي تكرير لفظ الجلالة في الجملة الثانية دون الاكتفاء بالضمير أو باللفظ الأول مزيد العناية بإيقاع هذا الوصف الخطير العظيم على صريح اللفظ لا على ضميره ، ليغرس معناه في النفس غرسا مسكينا . وترى في ترك المطف بين الجملتين الإشارة الى أن كلا منهما مستقلة بالقصد إليها ، والتوجه لتقريرها في ذاتها ، بقطع النظر عن تبعيتها لغيرها ، فهي كما تقول في امتنانك على شخص مثلا : أنا أكرمه كل الإكرام ، أنا ساعدته وقت الحاجة ، أنا نوهت بشأنه بعد الجول ، تدعى كل جملة على أنها قائمة بنفسها مستقلة بالقصد إليها .

( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) : كانت الآية الأولى من السورة الكريمة للتنزيه عن الشريك والتركيب ، وما بعدها للوصف بصفات الكمال الثبوتية . وهاتان الآيتان للتنزيه عما زعمه بعض جهلة المتدينين من أهل الكتاب من أنه جل شأنه قد اتخذ ولدا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فقد نسبوا لله الولد ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أخذوا يلفقون أقوالا يتوصلون بها الى زعمهم ألوهية المسيح ، وحاولوا أن يجمعوا بينها وبين دعواهم أنهم من أهل التوحيد ، فلما لم يفلحوا في الإتيان بما تقبله العقول قالوا : هذا مما يعلم على العقل تصوره ، وليس للعقل أن يبحث في قضايا الإيمان ، بل يجب عليه أن يسلم ما يلقى اليه بدون بحث .

وإن العجب ليحيط بالعقل من كل ناحية إذ يهمل العقل الذي ما ثبت الدين إلا به بحكم هذا الدين . فلو لا تمييز العقل القضايا الصحيحة المبرهنة من الدعاوى الكاذبة الباطلة ما استطاع أن يميز بين الرسول الهادى فيتبعه ، والدجال الضال المضل فيحاربه ويردعه ، فكيف يكون العقل هو أساس الدين ثم يكر عليه الدين فيعطله ويهمل أحكامه ؟ وأى شيء يكون الدين في نظر العقل حينئذ ، إذ يبينه ليهدمه ، ويوجد له يهدمه !

نعم قد يكون فى الدين ما يعلو على تصور العقل ، لكن لا على معنى أن العقل يحزم ببطلانه ولا يستطيع أن يسلم به ، بل على معنى أن العقل لو خلى ونفسه لا يستطيع الوصول إليه وإدراكه بنفسه ، بل يحتاج الى مرشدين يهديه اليه ، ومتى فهمه سلمه ولم يجد محالا يتجرعه ولا يكاد يسيغه كما هو فى زعمهم ، فقد زعموا أن الأب هو الأقنوم الأول ؛ والابن هو الأقنوم الثانى الصادر منه صدورا أزليا ، فهو مساو له فى الأزلية ؛ وروح القدس هو الأقنوم الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الإلهية واحدة ، وهى لكل واحد من الثلاثة ، وكل من الثلاثة متحد معها ، وكل من الثلاثة مستقل فى ذاته عن الآخرين ، فالأب ليس هو الابن ولا روح القدس ، والابن ليس هو روح القدس ، ومع هذا هم إله واحد ، وطبيعة واحدة ، وكل منهم يتحد مع اللاهوت ، وإن كان بينهم تمايز . فأنه عندهم ثلاثة أقانيم متميزة بعضها عن بعض تمايزا حقيقيا ، ومع ذلك هو جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه عين ذاته . فالثلاثة متساوية فى أن كلا منهم ذات الإله ويستحق العبادة . ولما لم يكن هذا مما يستطيع أن يهضمه العقل ، تستروا بكلمة : إن ذلك مما يجب الإيمان به وإن كان فوق طور العقل البشرى !

ثم زعموا أن الأقنوم الثانى تجسد - وهو الكلمة - واتحد بأشرف أجزاء البتول بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت ، والكلمة . فهو عندهم إنسان تام وإله تام ذو طبيعتين ، ولذلك تحمل عليه صفات الإلهية والبشرية .

فترى أنه يصح بمقتضى كلامهم أن يقولوا : المسيح ابن الله ، وأن يقولوا : إن الله هو المسيح ، وأن يقولوا : الله ثالث ثلاثة . وهى مزاعم أعجب ما فيها أن تجدد من عقول أناس يفهمون — عُسًا تأوى اليه ومرتعاً ترتع فيه . سبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً .

ولما كانت الأحدية على ما سبق متضمنة نفي النظير والشريك ، ونفي الجزئية والتركيب ، وكانت الصمدية مستلزمة الغنى المطلق عن كل شئ واحتياج كل شئ ، اليه ، كان نفي الولادة والمولودية عنه ونفي النظير المكافئ ، كالنتيجة لهما ، فإن من يلد يكون قد انفصل عنه جزء حقيق الولد ، والولد بالضرورة من جنس والده ، فلو كان له ولد لكان له جزء وكان له نظير مكافئ . وكذلك لو ولد من غيره لكان محتاجاً الى ذلك الغير ، فلم يكن هو الصمد الذى يحتاج اليه وحده ، بل يكون الأحق منه بالصمدية من نشأ هو عنه واحتاج اليه فى صدوره وكنيوته ، ثم يكون نظيراً لمن نشأ هو عنه ، فيكون له كف . فتجد هذا الأحكام الثلاثة بالنسبة لما سبق كالنتيجة للمقدمات .

وقد أتى بهذه الجمل الثلاث متعاطفة بالواو ، لأنها تشترك فى نفي النظير والمماثل والمناسب بأى وجه من الوجوه . وتجد الثلاثة المذكورة كالأقسام لهذه المماثلة ، فإن النظير إما والد أو مولود أو غيرهما ، فلما تغايرت الثلاثة فى أنفسها واشتركت فى مقسم واحد وهو المناظرة والمشاركة ، كانت الثلاثة بذلك متممة لمنى واحد هو المقسم ، فلذلك جاءت متعاطفة ، بخلاف مجموع هذه الثلاثة مع الحكمين السابقين ، فقد عرفت أنه كالنتيجة لهما ، وبخلاف الحكمين الأولين أحدهما مع الآخر ، فإن الأول للتنزيه بنفى ما لا ينبغي ، والثانى للتمجيد بإفادة ثبوت الصفات الكمالية له تعالى .

وقد أتى فى التعبير بلفظ لم التى هى للنفي فى الماضى ، أما فى ( لم يولد ) فظاهر ، لأنه لو كان جل شأنه بصدد أن يولد لكان ذلك قد حصل فيما مضى ، وأما فى ( لم يلد ) فلأن

الذين برؤ عليهم يزعمون أن ذلك قد حصل وانتهى لا أنه أمر يتجدد كل حين ، وأما في ( لم يكن له كفوا أحد ) فلأن الذي يتوهم أن يكون مكافئاً له هو من يكون قد وجد من الأزل ، فاذ لم يكن له كف ، في الماضي فلا يتصور أن يكون له كف بعد ذلك . ثم تقديم لم يلد على لم يولد ، لأنه الأهم ، إذ هو الذي كثر مدعوه ، وإن كان يلزمهم أنه ولد أيضاً ، إذ يقولون إن المسيح إله على ما سبق . وتأخير لم يكن له كفوا أحد عنهما ، لأنه استغراق لنفي كل ما يتصور من وجوه المماثلة ، فهو كالعام بعد الخاص . هذا ، وأنت ترى هذه السورة الكريمة قد اشتملت على معظم العقائد الإلهية مع كمال الإيجاز في اللفظ ، ومنتهى الوضوح في المعنى ، فالأحذية أنت على معظم صفات التنزيه ، والصمدية أفادت كل صفات التأثير : من القدرة ، والإرادة ، والعلم ، ويلزمها الحياة ، بل مما يصمد اليه فيه الهداية التي تجي ، على السنة الرسل يوحى إليهم بكلامه القديم . ثم نفي الولدية والوالدية والمكافي . فيه نفي التنظير بأي وجه من وجوه المناظرة ، سواء أكان من جنسه أم نوعه أم غير ذلك . والمعارف الإلهية هي أشرف ما يقصد اليه من الأحكام الدينية ، وهي الأساس لكل أنواع الهداية الربانية والسعادة الأبدية ، فلا عجب أن ورد في فضلها ماورد ، وأن يقول صلى الله عليه وسلم إن أبلغه أن فلاناً كان يكرر قل هو الله أحد في الصلاة : « أخبروه أن الله يحبه » .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته ، وأن يوفقنا للاهتمام بهدايته ، وأن يشرب قلوبنا معناها حتى تخرج بنفوسنا وأنفاسنا ، وأن يسلكنا مع المقربين من عباده ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي



## عمر الفاروق رضى الله عنه

- ٢ -

ألَمعنا في العدد السابق بحصة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونأتى اليوم على حصة أخرى ، متابعين تاريخه الحافل بمعظّم الأُمور وجلال الأعمال ، فنقول :

### كرة أمبراطور الرومان على سوريا :

لما أتم المسلمون فتح سورية وانتزعوها من أيدي الرومانيين في ثلاث سنين أمضوها في حروب طاحنة ، لم يلبث الأمبراطور هرقل أن كر عليهم بمجنّد كثيف من ناحية حمص عن طريق البحر ، وكان أبو عبيدة بها .

فجمع أبو عبيدة قواده يستشيرهم ، فأشار عليه خالد بن الوليد بأن يبادر الى مناجزة عدوه دون تريبث ، وأشار عليه غيره بأن يكتب لأمير المؤمنين بالمدينة ، فعمل بهذا الرأي الأخير . وكانت جيوش هرقل قد وصلت ، وتواردت عليه الأمداد من كل وجه .

فكتب أمير المؤمنين عمر الى سعد بن أبي وقاص في العراق أن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه ، فيث المسلمين بالجزيرة وأشغل الرومانيين بهم عن حمص . فأرسل سعد جيوشا الى سورية تحت قيادة القعقاع بن عمرو وغيره ، وأمر أن يسلك كل قائد طريقا الى الجزيرة ، فيقصد جيش قرقيسيا ، وآخر الرقة ، وثالث نصيبين ، ورابع حران والرها ، وخرج عمر نفسه ممدّا لآبي عبيدة . فلما بلغ الرومانيين كل هذا التآهب للملاقاتهم ، انفضوا الى مدائنهم ونحستوا بها ، فحاصرهم المسلمون فيها ليمنعهم من إمداد هرقل ، فدبّ الفشل الى جنوده .

فاستشار أبو عبيدة قواده ومنهم خالد بن الوليد، فأشاروا عليه بالخروج لمقاتلة هرقل. فخرج في قلب جيشه وعلى ميحنته خالد، وعلى ميسرته عباس، فحدث قتال انهزم فيه الرومان شر انهزام، وتركوا الشام يائسين منها، حتى روى عن أمبراطورهم نفسه أنه قال وهو خارج منها: أودعك يا سورية إلى الأبد !

### فتح العراق وفارس :

لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة ندب الناس لفتح بلاد الفرس، فلم ينتدب له أحد، لتوهم الناس أن أمر فارس ياتوى عليهم، لما عرفت به من شدة البأس وقوة الصولة. فأعاد عمر ندب الناس إلى فتح بلاد الفرس قائلاً :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين القراء المهاجرون عن موعود الله. سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال : ( ايطهره على الدين كله ) ، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومولى أهله موارث الأئم، أين عباد الله الصالحون ؟ »

فكان أول من لباه أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وتلاد سعد بن عبيد، وسايط بن قيس. فاختار عمر منهم أبا عبيد فولاه قيادة الجيش، وقال له :

« اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأشرعهم في الأمر، ولا نجتهد مسرعاً حتى تبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف، ولم يمنعني أن أوامر سليطاً إلا سرعتته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان الله »

فخرج أبو عبيد على رأس جيش في آخر جادى الأول من سنة (١٣) إلى الحيرة من بلاد العرب، وكانت تحت حماية الفرس، وكان عليها امرأة يقال لها بوران، فاستدعت القائد رستم الفارسي وسلمته القيادة العامة، فالتقى أحد قواده واسمه جابان بجيش أبي عبيد فانهزم أهل الحيرة وأسر قائدهم.

وتقدم أبو عبيد الى كسكر ، فالتقى هناك بقائد فارس اسمه نرسى ، فهزمه .  
ثم تقدم أبو عبيد فى زحفه ، فلقى قائد فارسى اسمه بهمن جاذويه ، وكان جيشه مؤلفا  
من جنود مدرين ، فأسرع أبو عبيد بعبور نهر الروحة مطراً حاصراً نصيحة سليط بن  
قيس فى عدم عبوره ، فقابلهم الفرس بشدة ، فقتل أبو عبيد فى المعركة ، واشتد كلب  
الفرس عليهم ، فانهزم المسلمون وهربوا باجتياز النهر الذى عبروه ، فكبر ذلك على رجل من  
المتحمسين ، فهدم الجسر ايجبر المهزمين على الثبات ، فكان فى ذلك شر كبير على إخوانه  
المسلمين ، إذ أعمل الفرس فيهم السيوف ، فبادر المنى بن حارثة على رأس جماعة من الجنود  
فشاعلوا الفرس حتى أصلح الجسر وأمكن المرور عليه .

لما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة أرسل إليهم مدداً تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي ،  
فلما أدرك الفرس أن المسلمين جادون فى حربهم ، أرسلوا إليهم قائداً مدرباً اسمه مهران  
فمبارهم لهم النهر ، فعبا المنى بن حارثة جنوده ولقى الفرس فهزمهم شر هزيمة .

كان الفرس الى هذا العهد فى دور من تفرق الكلمة خطير ، فقد كان كل حاكم  
على إقليم متغلباً عليه ومستقلاً به ، ليس لهم ملك يجمع كلهم ، فلما رأوا أن العرب قد  
قصدها فتح بلادهم ، اتخذوا لهم ملكاً يوحد صفوفهم ، ويقودهم للدفاع عن وطنهم ،  
فأقاموا يزدجرد بن شهریان من آل كسرى ملكاً عليهم .

فلما بلغ عمر ذلك ضاعف من نشاطه ، واستنفر الناس لقتال الفرس ، وخرج بنفسه  
فمسك على ماء بقرب المدينة ، وجنوده لا يعلمون مقصده من ذلك ، ثم فاتهم بهزمه  
على الخروج بنفسه لقتال الفرس ، وطلب إليهم رأيهم فى ذلك ، فأجمعوا على أن يقيم هو  
بماصمة الخلافة ، وأن يعين قائداً يتحمل أعباء القيادة .

فقبل منهم هذا رأى ، ولكنه حار فى انتخاب ذلك القائد الذى يلحق عليه تبعه  
هذه المهمة الخطيرة ، وفيما هو كذلك ورد عليه كتاب من عامله على صدقات هوازن  
سمعد بن أبى وقاص ، فقال لبعض رجاله : يا أمير المؤمنين قد وجدته . قال عمر : فمن ؟ قال

ذلك البعض : الأستاذ عاديا . قال عمر : من هو ؟ قالوا سعد بن أبي وقاص . فلم يتردد في تقليده القيادة . وكان مما أوصاه به قوله :

« ياسعد : سعد بن وهيب ، لا يفرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يعجو السوء بالسوء ، ولكنه يعجو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقتنا فنزله ، فإنه الأمر . هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . »

ثم لما أراد أن يسرحه قال له :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن السكل عادة عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبك ، يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بمحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء . وأما السرفيع عرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس . فلا ترهق في التعجب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبدا حبه ، وإذا أبغض عبدا بفضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك . »

سار سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل ، ولحق به من لحق من الأمداد ، فما وصل القادسية إلا ومعه ثلاثون ألفا ، فلم يجد بها جندا من الفرس ، فأخذ يبيت

السرايا هنا وهناك ، ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط في مائة ألف مقاتل .

فبادر سعد بن أبي وقاص بإرسال وفد الى يزدجرد ليعرض عليه الدخول في الاسلام أو الجزية ، منهم الأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، والمغيرة بن شعبة . فجمع يزدجرد وجوّه دولته وقبايلهم . فلما مثلوا لديه قال يزدجرد للترجمان : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى حربنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شئتم نكلمت عنكم ، ومن شاء الكلام آثرته . فقالوا له : بل تكلم أنت . فقال :

« إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع قبيلة إلا وقاربها منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد . فمررنا جميعا ففضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدىء بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الإنصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله . فإن أبيتكم ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية . فإن أبيتكم فللناجزة . فإن أجبتكم الى ديننا ، خلقنا فيكم كتاب الله وأقناه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم ( أى وحميناكم ) ، وإلا قاتلناكم .

لما سمع يزدجرد هذا الكلام استشاط غضبا ، ورددا غليظا ، فأظهر احتقاره للعرب ، وتعجبه من تظاهرهم بهذا المظهر العظيم وهم من أفقر الشعوب وأبعدهم عن النظام .

فأجابه المغيرة بأن ما وصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق إلا أنه قد

كان قبل الاسلام ، وأما بعده فالحال صار غير الحال ، ثم دعاه الى مادعاه اليه الخطيب السابق .

فغضب يزدجرد أشد الغضب ، واستدعى بوقر من تراب فقال احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

ثم قال ارجعوا الى صاحبكم وأعلموه أني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم .

فتقدم أحد رجال هذا الوفد وهو عاصم بن عمرو وقال : أنا سيد هؤلاء ، وحمل التراب على عاتقه ، وخرج الى سعد فقال : أبشر والله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم .

فأخذ سعد في بث السرايا للإغارة على الأطراف . وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قائدا اسمه الجالييوس في أربعين ألفا ، وخرج هو في ستين ألفا ، وجعل على

ميمينته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران ، وجعل يطاول سعدا أربعة أشهر ليضجره ويحملة على الإقلاع . وكان سعد قد أعد للمطاردة عدتها ، ثم بدأ رستم في الهجوم بأمر

من يزدجرد نفسه ، فتقابل الجيشان ، فلقى خيالة المسلمين من قبيلة الفرس أمرا عصبيا ، لأنها كانت تنفر أمام تلك القبيلة ، فبادرها مشاة المسلمين بالسيوف على خراطيمها وبجل

أحزمتها لتند عن أصحابها ، واشتد القتال طول النهار الى الليل دون أن يبدو على أحد الجيشين تضعف ، ثم عاد القتال من الغد وانتهى في المساء على ما انتهى عليه بالأمس ،

ثم عاد في اليوم الثالث وانتهى على ما كان عليه في اليومين السابقين .

فلما كان اليوم الرابع ، وكان المسلمون ليلتهم يشاغلون الفرس ، فلم تذق أجفانهم النوم . قال القعقاع بن عمرو للناس ، (وهو الذي قال فيه أبو بكر لا يهزم الناس وفيهم هذا)

قال للناس : إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر .

فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه ، فحمل الجيشان أحدهما على الآخر الى أن زالت الشمس ( أي كان وقت الزوال ) ، فتأخر الفيرزان

والهرمزان ثم ثبتا ، وانفرج القلب ، وانتهى الفعقاع ومن معه الى سرير رستم ، وجاء هلال بن عقبة فضرب رستم فقتله . فانهزم الفرس شر هزيمة ، ومات منهم عدد كبير بالغ في تقديره المؤرخون . أما المسلمون فقتل منهم سبعة آلاف وخمسمائة ، وهى من أكبر الوقائع التاريخية ، وكان هذا الفتح من أكبر فتوح المسلمين الأولين .

فأقام سعد بعد انتصاره هذا شهرين وكان عمر فيما يفعله ، فكتب اليه يأمره بالمسير الى المدائن وهى عاصمة الفرس ، فصدع بالأمر ، وكان ذلك فى شوال سنة (١٩) ، وقدم طليمته ، فالتقت بطليعة الفرس فهزمتها ، ثم نزلوا بابل ، وكان قد اجتمع بها بعض فلول الفرس فهزموهم ، ثم سار سعد فالتقى بجيش فارسى فى كوفى فهزمه ، ثم سار الى يهرشير وهى بالناحية الغربية من المدائن ، فلاح لهم إيوان كسرى ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وكبر وكبر الناس معه . فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزلوا على المدينة .

فأقام سعد أياما من صفر وهو يفكر فى كيفية العبور الى المدينة الثانية التى فيها إيوان كسرى ، فرأى أن يعبر إليهم نهر دجلة سباحة ، فافتحموا النهر ، فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلما فى النهر ، فالتقوا وتطاعنوا فولى الفرس الأدبار ، وتلاحق المسلمون فى النهر سباحة حتى بلغوا الضفة الثانية ، وكان كسرى يزددرد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك ، فجلا عن المدينة بما قدر عليه من الأموال ، وتركوا من المتاع والآنية والنخائر ما لا يحصى . ولم يجد المسلمون بالمدينة إلا حرس القصر الأبيض ، فسلموا بلا قتال ، ودخل سعد إيوان كسرى ، وصلى فيه والجيش خلفه ، ولم يغيروا ما به من التماثيل ، فصلى والتماثيل تحيط به . ولما دخل القصر كان ينابو قوله تعالى : ( كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ) .

ثم شرع سعد بن أبى وقاص فى تقسيم الغنائم التى غنمها ، فأصاب الفارس اثنى عشر

ألف درهم، وكانوا كلهم فرسانا، وأرسلوا الخمس لبیت الدل، وفيها سيف كسرى ومنطقته وزرجدة، فلما رآها عمر قال: إن قوما أدوا هذا لذو أمانة.

لما أتم سعد فتح المدائن أرسل قواده لتقبع المنهزمين، فأرسل زهرة بن الحيوية الى التهروان، فسلم له أهل النواحي وعاهدوه على دفع الجزية، وأرسل سعد بن عبد الله ابن التميم الى الجزيرة ففتح تكريت والموصل، وأرسل هاشم بن عتبة الى حلوان حيث يقيم كسرى، وكان قد فر منها فاحتلها، ثم هاجم الحمراء فافتتحها. وفر يزدجرد الى البلاد الصيفية. وبذلك تم فتح الفرس كلها.

حقا إن هذا أكبر الفتوح الإسلامية، بل أكبر الفتوح على الإطلاق، فإن حربا تنتهى بنهايتها دولة عظيمة كدولة الفرس كان لها نصف السلطان في الأرض لا يوجد لها مثال في تاريخ البشر، إذ أتت الأمبراطورية الرومانية كانت في نزاع مستمر مع دولة الفرس، وناهيك بالرومانيين وعلمهم بالحرب، فلم يحملوا في أكبر انتصاراتهم عليهم أن يحتلوا عاصمتهم، وأن يزيلوا دولتهم. أفيشك شك بعد هذا في أن ذلك مصداق لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ؟

فتح مصر:

كان عمرو بن العاص قد وفد على مصر في الجاهلية وعرف سهولة قيادها، فكان يتطلع أن يعطيه أمير المؤمنين أمرا بفتحها. ففي سنة (١٩) اختلى عمرو بعمر، وكله في شأن مصر، وهون عليه أمرها، فتردد عمر أولا، لأن جيوشه كانت متفرقة في الشام والجزيرة وبلاد العجم تحارب الرومان والفرس، وهما دولتا العالم كله إذ ذاك، ثم قبل أن يذهب لفتحها، فجهز معه أربعة آلاف رجل ودعاه بالتوفيق.

فسار عمرو حتى بلغ الفرما، فقاتله بها الرومان نحو من شهر ثم انهزموا، فتقدم الى القواصر فافتتحها، ثم الى بليس فأمر دنين فمصر فافتتحها جميعا، وكتب الى عمر يستعده



فأمدّه بأربعة آلاف، وكتب إليه أنى أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم أربعة كل رجل منهم يعد بألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسألة بن مخلد .

وحدث أن المقوقس كبير القبط بمصر اتفق مع عمرو على أن يعينه على فتح مصر تخلصاً من عسف الرومانيين بالمصريين، فقصده عمرو الإسكندرية حيث تقيم الجيوش الرومانية ومهرة قوادهم، فحاصرها مدة، ثم هاجمها هجومًا عامًا وأخذها عنوة، وبذلك تم له فتح مصر. ثم سار إلى برقة وهي واقعة بين مصر وطرابلس الغرب، فصالحه أهلها على الجزية، ثم سار إلى طرابلس ففتحها عنوة، وكتب إلى أمير المؤمنين : « أما بعد فقد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية ( أي تونس ) تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل » .

فأجابه عمر بأن يكتفى بما وفق إليه . فولى عمرو على برقة عقبة بن نافع، وعاد هو إلى مصر .

إلى هنا انتهى تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبقي أن ننظر في مقالة ثالثة في آثاره العمرانية، وأعماله المدنية . محمد فريز ومجدي

## النهى عن اتباع الشهوات

قال الله تعالى عن الهالكين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء » . وقال عمر رضى الله عنه : اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلالة تنزع إلى شر غاية . إن هذا الحق ثقیل صری ( بفتح فكسر أى حميد العاقبة ) ، وإن الباطل خفيف وپی ( بفتح فكسر أى مهلك ) ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساءلة أورثت حزنا طويلا .

# بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

## سنة الجمعة القبلية

ورد إدارة المجلة السؤال الاتي :

اطلعنا على مقال مسهب في بعض المجلات تحت عنوان ( الصلاة قبل الجمعة وبعدها ) تعرض فيه كاتبه للركعتين اللتين قبل الجمعة ، وقال : إنها بدعة لا ينبغي فعلهما ، وأطال في ذلك .

وقد تعرض للحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة ، وطعن فيه ، مع أن مذهب الشافعي رضي الله عنه يرى طلبهما وسننهما .

والآن وقد وقفنا بين يين ، نرجو من قادة الدين أن يقولوا القول الفصل في ذلك لنعرف ما هو الحق ، ونقف على دليل الشافعي إن كان له دليل . نرجو الإفادة قطعاً للشك ، وتحقيقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

ولفضيلتكم جزيل الشكر ، ودمتم للدين  
عبد الله العراقي  
أحد قراء المجلة

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

قبل أن نخوض بك في غمرات البحث والاستدلال ، يجب أن نعرف أن هنا شيئاً ينبغى التنبيه له ، وهو أن المسائل الاجتهادية الفرعية يسكن فيها الظن ولا ينبغى فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعي فهو إما جاهل لا ينبغى أن يكون في عداد العلماء ، وإما سيء القصد لا يريد إلا الظهور بأية وسيلة ، وإن لبس على المسامحين ، وتابع غير سبيل المؤمنين ، وهذا هو الغالب على تلك الطائفة . ولذلك تراهم متناقضين ،

فترى الواحد منهم تارة من الظاهرية، وطورا من الباطنية؛ وحينئذ يدعى الاجتهاد المطلق فيخرج على الأئمة الأربعة، زاعما لنفسه درجة هو أبعد الناس منها؛ وتارة تراه غريقا في تقليد ابن تيمية من فرقه الى قدمه، والمبطل لا بد أن يتناقض شاء أم أبى، ولسان حاله بقول :

طورا يمان إذا لقيت ذا يمن وإب لقيت معديا فعدنا

ولو عقلوا لعرفوا أن الناس لا يتركون أئمتهم المشهود لهم بالخير والدين والعلم والتبريز في كل فضيلة، ويتبعوا هؤلاء المشهود لهم بما لا نطيل القول فيه، وهو غنى عن البيان .

هؤلاء يجازفون في كل ما يمن لهم، ولا يبالون بمخرق الإجماع، ولهذا أنكروا شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وهو جمع عليه، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم سلفيون أهل كتاب وسنة .

وأى شيء يريدون بعد أن عرفنا صلى الله عليه وسلم أن المخطئ له أجر والمصيب له أجران، فلم يكتف برفع الوزر عن المخطئ بل جعل له أجرا . وقد عرف ذلك العلماء من أئمة الهدى، حتى ذهب كثير منهم الى أن الحق يتعدد تبعا لظن المجتهد، فإن الله لم يكلفه إلا بما أداه اليه اجتهاده، فكأن الحق بالنسبة اليه هو ما اعتقده، وليس المقصود من التكليف إلا تحقيق العبودية، وعدم الخروج على الله ورسوله، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وقد قالوا : إن المجتهد يجب عليه اتباع ظنه، ويحرم عليه التقليد . فأى شيء بقي بعد ذلك ؟ ولكنهم ملبسون يريدون التهويل حيا في الظهور، أو جاهلون لا يمكنهم التعبد في البحث، ولا الوقوف على منازع الأئمة، ولا ما أصله العلماء في ذلك . وإن من أكبر بلاياتنا التي نث منها ولا ندري منتهايها وجود طائفة بيننا لا تفهم ولا تقلد من يفهم « إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير » . ولو كان عندنا أدنى شفقة على المسلمين أو إخلاص لهم لعرفوا أن الدين

النصيحة، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة للخوض في الأدلة والموازنة بين المجتهدين، فذلك ليس من شأنهم ولا هو في متناول قدرتهم، ولا نتيجة له إلا ضعف الثقة بأنهم، وتشكيكهم في دينهم وعقيدتهم. على أن أولئك المهوشين ليسوا في العير ولا في النفير، ولا من العلماء في قليل ولا كثير. فليس من المعقول كما قلنا أن يترك الناس ما عرفوه من مذاهب الأئمة المشهود لهم بالخير والصالح والدين والورع والبحث والتحري، إلى هؤلاء الذين يسرون وراء الخيال وليس يعينهم إلا أن يقال.

والآن نذكر لك مما استدلل به الشافعي رضي الله عنه على سنة الجمعة ما يكفي بعضه للاجتهاد المعقول المقبول.

ولا نزال نكرر أن الظن كاف في هذا الباب، ولا يطلب غيره، وأنه متى وصل إليه المجتهد وجب عليه اتباعه والقول به. وهاك قابلا من كثير:

فمن ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير عند ابن حبان في صحيحه والدارقطني والطبراني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مامن صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان» ومن ذلك ما رواه الطبراني في الأوسط «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبمدها أربعاً» ذكره العيني في عمدة القاري وإيضاحه عليه، وقد ساقه للاستدلال. وقال في الفتح: روى الطبراني في الأوسط عن عليّ «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبمدها أربعاً» وعلق عليه بقوله: وفيه محمد بن عبد الرحمن السهمي وهو ضعيف عند البخاري وغيره. ولكن هذا الطعن الذي ذكره الفتح لا يمنع الاستدلال به، لا لأن الجرح غير مفسر كما قال بعضهم، بل لأن الطعن غير متفق عليه، فإن البخاري ضعفه، ولكن إماماً آخر من أئمة الحديث وثقه وهو ابن عدي، فيصح أن نقول: إن هذا مثل عكرمة الذي وثقه البخاري واحتج به وضعفه غيره، ومثل سويد بن سعيد الذي احتج به مسلم وقد اشتهر الطعن فيه. وبالجملة فحديثنا هذا غير

متفق على تجريخ رواته ، فيصح الاحتجاج به عند من لا يرى تجريح محمد بن عبد الرحمن السهمي المذكور .

وعن ابن عمر أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . رواه أبو داود . وقال العراقي : إسناده صحيح .

وقال المذنبى : أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من وجه آخر بمعناه . وروى الترمذى : « من صلى في يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة : أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » ونحوه في مسلم من حديث أم حبيبة ، غير أنه لم يذكر هذا التفصيل . وفي رواية عن أم حبيبة بنت أبي سفيان : « ما من عبد مسلم توضأ فأصبغ الوضوء ثم صلى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى له بيت في الجنة » .

أفتى أن ذلك مطلوب كل يوم إلا يوم الجمعة الذى تتأكد فيه الطاعة ، ويزداد فيه الحرص على العبادة وعمل الخير ؟ :

وقد صرح الحديث بالتعميم فقال : كل يوم ، كما سمعت . وفصل الترمذى في روايته المقدمة هذه الركعات غاية التفصيل . ورواية الترمذى وإن لم يذكر فيها لفظ كل يوم ففيها ذكر النكرة في سياق الشرط وهو يفيد العموم ، ولا معنى لإخراج يوم الجمعة الذى هو أفضل الأيام وأولها بالصلاة والعبادة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلى معه ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » الحديث . رواه مسلم . وجاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد بلفظ : « فإن لم يجد الإمام خرج ، صلى ما بدا له ، وإن وجد الإمام قد خرج ، جلس فاستمع وأنصت حتى يقضى الإمام جمعته » الحديث .

فجعل الغاية خروج الإمام وهو لا يخرج إلا بعد الزوال . وقال أبو عيسى الترمذى :  
 إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان يصلى قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً . وإليه  
 ذهب سفيان الثوري وابن المبارك . وروى الشافعى عن ثعلبة بن أبي مالك عن عامة  
 الصحابة أنهم كانوا يصلون نصف النهار يوم الجمعة . الى غير ذلك وهو كثير . وبعض  
 هذا كاف للاستدلال على ما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه .

وهنا روايات ضعيفة لا بأس أن نسمعك شيئاً منها وليس التعويل عليها ، فإن  
 عندنا غيرها على ما سمعت . ولا شك أن كثرة الروايات تفيد قوة الظن ، ويؤكد بعضها  
 بعضاً . ولا داعى لأن نقول إن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال ،  
 فالأمر هنا أعظم من ذلك . ولو لم يكن للشافعى إلا قياس الجمعة على الظهر ، وقوله  
 صلى الله عليه وسلم : « بين يدي كل فريضة صلاة » وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه  
 وغيره لكنى وشفى ، وقضى على تلك الجمعية الحقاء . وهالك بعض الروايات الضعيفة  
 التى وردت فى الموضوع :

روى الشافعى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى  
 عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة . ولكن فى إسناده إبراهيم  
 ابن أبي يحيى وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، وهما ضعيفان . ورواه البيهقى من  
 طريق أبي خالد الأحمر عن عبد الله شيخ من أهل المدينة عن سميد عن أبي هريرة  
 رضى الله عنه . ورواه الأثرم بسند فيه الواقدى وهو متروك . ورواه البيهقى أيضاً  
 بسند فيه عطاء بن عجلان وهو متروك أيضاً . وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه  
 وسلم كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال : إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة . وفيها  
 ليث بن أبي سليم وهو ضعيف . ومن ذلك حديث ابن ماجة الذى فيه بقية بن الوليد  
 وغيره من الضعاف . فهذه الروايات الكثيرة يقوى بعضها بعضاً وإن كان فيها مقال .  
 وقد تقدم لك ما يصح الاعتماد عليه من غير هذه الروايات .

وإخلاصة أن الصلاة قبل الجمعة مرغوب فيها عموماً وخصوصاً . وقد قال بعض العلماء : لم يتمسك المانع من الصلاة قبل الجمعة إلا بحديث النهى عن الصلاة وقت الزوال ، وهو مع كون عمومه مخصصاً بيوم الجمعة ليس فيه ما يدل على المنع من الصلاة قبل الجمعة على الإطلاق ، فإن غاية ما فيه المنع في وقت الزوال وهو غير محل النزاع . وعلى كل حال فما تقدم كاف للمنع ، ولا حاجة للإطالة فيه .

وبعد : فهؤلاء الناس إنما يقصدون التلبيس على المسلمين ، وإيقاع الشقاق فيما بينهم ، بتفريق كلمتهم ، وفصم عرى وحدتهم ، حبا في الظهور . فعلى ولاية الأمر أن يردعهم عن ذلك بالزجر البليغ ، والتأديب الشديد ، كما كان يفعله الحكام في العصور الأولى ، وكما تفعله الحفانية الآن مع من يحكم برأيه ، ويقضى بمذهبه الخاص . فعلى الوعاظ وأئمة المساجد ألا يترضوا لمن يقلد إماماً من الأئمة الأربعة ، ويدعوه وما اختار لنفسه من تلك المذاهب التي تلقاها المسلمون بالقبول ، وقامت البراهين على أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله .

وإني مالكي والمالكية لا يرون سنة الجمعة . ولكني لأحب الخروج على أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسائل الاجتهادية يكنى فيها هذا وأقل من هذا على ما شرحت لك . وما من أمة لا تعظم أئمتها ولا تحترم علماءها وعظماؤها إلا ذهب ريمها وحق القول عليها . نسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن ، ومزالق الأهواء بمنه وكرمه .

يوسف المجرى

## ثم التنافس فيما يقنى

قال القارابي : ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز  
محيط السموات أولى بنا فإذا التزاحم في المركز

## شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

برنارد شو يعتقد بأن أوروبا ستدخل فيه

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزي لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم فحسب ، ولكنه في طليعة الأفذاذ ، والعالم كله يرقب حركانه وسكناته ، ويهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزاته آراء جريئة يبديها بصراحة لا يستطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الإنجليزية ستدخل في الديانة الإسلامية قبل أن ينتهي هذا القرن .

ولقد وقفنا على حديث له في رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته في صلاحية الإسلام لجميع الأمم ، وفي كل الأوطار التي تدخل فيها في أي مكان وزمان .

فقال في ذلك الحديث أثناء سياحته في بمباي :

« لقد وضعت داثمادين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذي يلوحي أنه حائز أهلية المهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة في أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال . ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور أكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان ، إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الدميم .

« ولقد كانوا في الواقع يرون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيت به بعيدا عن خاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية . وإني لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث



لننجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما. ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال كارلايل وجوت وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد، وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام. ولكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيرا، فبدأت تمسق عقيدة محمد. وفي القرن التالي ربما ذهبت الى أبعد من ذلك، فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها. فهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي. وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ومن أهل أوروبا قد دخلوا في دين محمد، حتى لم يكن أن يقال إن تحول أوروبا الى الإسلام قد بدأ، انتهى.

يرى القارئ مما مر أن الفيلسوف الانجليزي برناردشو يعتقد عقيدة راسخة في أن أوروبا قد بدأت تتمسك بالإسلام، وأن القرن الحادي والعشرين لن يمضي حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينها، وعهدت اليه في حل مشاكلها.

وأحسن ما قاله في حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية، ويستطيع أن يكون جذبا لجميع أجيالها.

فهذه الأقوال لا تصدر إلا من رجل يكون قد عرف حقيقة الإسلام، وشعر كيف يؤثر يجماله على القلب، ويتسلط بجلاله على النفس. وليس برناردشو أول من شعر بهذا، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفيلسوف الألماني المشهور المتوفى سنة (١٨٣٢ م) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبُعد نظر. يؤثر عنه أنه نظر في الإسلام فأعجبه فقال: «إذا كان هذا هو الإسلام فتحن إذا فيه». وليس يخفى أن الألمانين في ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف.

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعي في حديث الفيلسوف الانجليزي قوله: إن أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الإسلامية طلبا لحل مشاكلها، وقوله قبل ذلك: إنه لو تولى

رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث انجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة للذين هو في أشد الحاجة اليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فإن القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للإفراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الإلهي على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة ما فتئت تدمو وتشتد وترق الدرجات العلى في كل مجال من مجالات النشاط العقلي والمادي ، حتى انتهت اليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح في معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ، فيطبق عليها ما أرصده القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد ردّدناه في افتتاحياتنا هنا وقرّناه بالأدلة العلمية المحسوسة . فاذا صح هذا على الأمة الإسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوربية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الإسلامية الراهنة ، فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتاءها الزائل ، وتصبح جديرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما ردّدناه كثيرا ونردده في كل فرصة ، وبالله التوفيق .

إن أكبر المسائل الاجتماعية التي تهدد مدنية أوروبا في العصر الراهن المسألة الاقتصادية ، فإن النظام الرأسمالي المتطرف الذي يقوم عليه الغرب قد امتدعى في الأزمنة الأخيرة أن يتولد في السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التي تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية إلا لترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب في جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ، مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات . ولما كان من شأن الأمراض

الاجتماعية أن تستعشى وتعضل إذا لم تستأصل جراثيمها، فإن هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت في مزاعمها، وتبسطت في مدعياتها، قد استحالت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات، بذلك عند سئوح أقرب الفرص، وقد أفضى التناهي ببعضها الى الشيوعية البهتة.

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة، وتؤدي الى تداعى بناء المدنية الغربية وسقوطها عند أول صدمة، فإذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر. وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الإسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرناً قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة؟

نعم: لقد شرع الإسلام للعالم نظاماً تعاونياً حكماً فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب، فجاء نظاماً حاصلاً على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشئ من مساوئهما.

فإذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الإنتاج، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام، وإذا كان المذهب الاشتراكى يتغلب على مكان رؤوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى الأمم، ويرى أن من الواجب هدمه، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام، منضياً كلاهما عما يبتنى على طرفيهما من النتائج الخطيرة، فإن الإسلام لم يغفل ذلك أصلاً، فأتى بنظام حكيم يقر رؤوس الأموال الفردية من ناحية، ولا يغضى عن المحرومين منها، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى. فكان هذا الحل كما نرى وسطاً جامعاً لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين، وخالصاً من عيوبهما، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة، ويبطل تناحرهما عليها، ويحمل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة، ويسود بين فريقها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الإسلام ركناً من أركانه.

فإذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض في مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها؟ وماذا ينبغي صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله في مقابل حصة من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها، مما نص عليه الكتاب في آية الزكاة المعروفة « إنما الصدقات (أى الزكاة المفروضة) للفقراء والمساكين والعاملين عليها » الخ الآية الكريمة؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنازعين سلاحا يشهره في وجه مناظره، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته.

فهذه علة من العلل التي يعنىها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول إنها تشفيها متى أخذت أوروبا بالإسلام وعملت به. وفيها علة أخرى لكل منها دواء خاص في الإسلام لا يتسع المقام للكلام عنها في جملة واحدة، فنذكرها لفرص أخرى إن شاء الله.

وبعد: أفلا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى: (سُئِلَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أُلْخِقَ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)؟

محمد فريد وجدي

## النهي عن اتباع الهوى

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى، وطول الأمل.

فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسى الآخرة.

وقال الشعبي: إنما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه.

وقال بعض الحكماء: من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه.

وقال غيره: العقل صديق مقطوع (أى مهجور)، والهوى عدو متبوع.

وقال هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي ولم يقل غيره من الشعراء:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

# مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

اتضح وهن أصوله وضعف أسانيده

نتابع اليوم الكلام في دحض مذهب دارون معتمدين على ما كتبه عنه الأستاذ الدكتور (جوستاف جوليه) في كتابه (من لا شاعر الى شاعر) .

ألم الدكتور المذكور في فصله الثالث باكتشاف جديد للأستاذ (دوفريس) الألماني في الاستحالات الفجائية لأنواع نباتية وحيوانية، وهو اكتشاف يهدم مذهب دارون ولا مارك من أساسهما، فإنهما يفترضان أن هذه الاستحالات لا تكون إلا يسيرا يسيرا وفي آماط طويلة . حتى اضطر الأستاذ لودانتك مدرس البيولوجيا في جامعة السوربون أن يقول في كتابه (أزمة مذهب التحول) : إن هذه الاكتشافات لا تدحض مذهب دارون ولا مارك فحسب ، بل ومذهب التحول الطبيعي نفسه .

والعجيب أن مسألة الاستحالات الفجائية للأنواع الحية قد رآها وأعلنها رجال من كبار الطبيعيين مثل (جوفروا سانتيلير) ، ولكنها لم تغلب على الجود العلمي ، فبقيت نظرية الاستحالات التدريجية البطيئة سائدة على العقول .

ولكن بفضل هذا الاكتشاف الأخير قد تنبه الناس الى هذا الأمر وراجعوا مادون من المعارف الحفرية ، وفيها أن جميع الأنواع النباتية والحيوانية قد وجدت من طريق الفجأة لا التطورات التدريجية البطيئة . وقد شوهد أن الحيوانات من أول ظهورها تكون حاصلة على الإلهامات الضرورية لحياتها كاملة غير منقوصة ، وأنها تحفظها بعيدة عن التغيرات ما دامت أنواعها موجودة .

وقد ثبت أن الصفات الطبيعية والإلهامات تثبت في الأنواع الحية ولا تتغير . وهذه من أكبر الدلائل على دحض مذهب النشوء والارتقاء ، لأنه يقتضى استمرار تحولها تحت تأثير الفواعل المحيطة بها ، فإذا قد ثبت أن الأنواع نشأت فجأة ولم تدخل

في أدوار تدريجية طويلة . وعليه فقد أصبحت نظرية دارون في الانتخاب الطبيعي ونظرية لا مارك في تأثير البيئة لا أساس لهما على الإطلاق .

ولقد يسر الله هذه المشاهدات العلمية ، فجعل في مقدور كل إنسان أن يراها ، فلا يبقى لديه ذرة من شك في أن كل ما قيل قديما وحديثا في تفسير حدوث الأنواع وتولد بعضها من بعض خيال في خيال . فإن الحشرة بظهورها في أول أدوار الخليقة ، ونبات أنواعها على ما هي عليه طوال تلك الآمال إلى اليوم ، تشهد بأن كل ما يقال عن التحولات الدائمة ، والتغيرات البيئية المستمرة ، في أدوار حياة الأحياء ، ليس من الحق في شيء . وهذه الحشرة ذاتها بمخالفاتها هي نفسها في حالتها النهائية للدودة التي كانت أصلها تشهد بأن العوامل التطورية التي استند عليها لا مارك ودارون كلها أباطيل ليس لها نصيب من الواقع .

ولأجل فهم قيمة هذه الشهادة من العلم ، ومكانها من دحض جميع مذاهب النشوء التدريجي البطيء ، نلفت نظر القارئ إلى حياة أبة حشرة ، ولتكن دودة القطن التي قد لا يوجد في مصر من لم يرها ولو مصورة ، فإن هذه الحشرة تبتدى وجودها بحالة جنينية مشمولة في بيضة صغيرة جدا ، فلما نخرج منها بعد استيفاء أيامها تكون على صورة دودة ، فتحتاج وهي في تلك الحالة للتغذى من الأوراق الخضراء التي تولد على سطحها فتسبب للقطن خسارة تقدر في بلادنا بملايين الجنيهات . فلما تم هذا الدور من حياتها تنسج على نفسها تابوتا حريريا يسمى شرنقة ، مستمدة خيوطه من سائل أوجده الخالق فيها يتجمد بمجرد ملاسته للهواء . هذا السائل مشمول فيها في كيس يقبل التقبض بالإرادة ، ومتصل بالخارج بشقب صغير جدا . فإذا أرادت الحشرة أن تنسج تلك الشرنقة على نفسها ضغطت ذلك الكيس فيخرج منه ذلك السائل على صورة خيوط دقيقة جدا تجف وقت خروجها ، فتنسج منه على نفسها تابوتا حريريا وتسده من جميع جهاته ، ثم تقيم فيه مدة ، وفي نهايتها تنقب ذلك التابوت من أحد طرفيه وتخرج منه على صورة

فراشة تطير من شجرة الى أخرى ، مخالفة في كل جزء من أجزائها للدودة التي كانت أصلاً لها ، ولا تمت اليها بصلة في ناحية من نواحيها . فكيف يتم لها هذا التطور في مدى الأيام التي تقيمها داخل ذلك التابوت ؟

عنى العلماء بهذا الأمر جد العناية ، فشعروا شرنقة لإحدى الديدان في أيام متوالية ، فأروا أنها عند ما تدخل الى شرنقتها يبتدىء جسمها في الانحلال ، ولا يزال ينحل حتى يستحيل كله الى سائل لزج أكثر كثافة من الماء ، ثم يأخذ ذلك السائل في التكاثف والتشكل يسيراً يسيراً حتى ينقلب الى فراشة تامة الخلقة ، ذات عينين براقيتين وجناحين بديعين وجسد مخالف في كل أجزائه لجسد الدودة ، وأرجل دقيقة لم تكن لها ، فلا تلبث هذه الفراشة بعد تمام تطورها هذا أن تثقب شرنقتها من أحد طرفيها وتخرج منها طائفة مرحلة تتطلب التلقيح ، ثم تبيض على أوراق شجر القطن ، فتصادف بويضاتها على هيئة بصاق مخاطي على تلك الأوراق يسمى الفلاحون ( بالاطع ) ، فإذا بقيت على حالتها ولم تُبدَ خرجت من كل بويضة منها دودة صغيرة تغتذى من تلك الورقة فلا تبقى منها ولا تذر .

لما وقف الباحثون في حياة الحيوانات على هذه الأطوار المتوالية ، والاستحالات العجيبة ، أدركوا أن كل ما يقال عن الانتخاب الطبيعي وفعل البيئة ، والعوامل المختلفة ، لاحقيقة له ، وأن الخايقة توجد وتتطور وتبلغ كما لها على نظام اختص الخالق الحكيم بعلمه وليس في قدرة العقل أن يصل اليه .

فانظر كيف أراد الله أن تكون الحشرة الحقيرة هي التي تسقط صروحاً شامخة من البحوث والمذاهب أقيمت لتفسير وجود الأنواع الحية وتسلسلها بعضها من بعض ، تلك المذاهب التي كانت سبباً في تضليل من لا يحصى لهم عدد من خفاف العقول . فإن تحليل قيام الخليقة على هذا النحو من الترقى التدريجي قد جر ضفاف العقول الى عقيدة أن العالم مستغن عن مدبر ، فتمردوا على الأديان وعلى كل ما يثبت الروح من

المباحث العلمية، منتبذين ناحية خاصة بهم، توها منهم أنهم بما حصلوه من إدراك هذه الأسرار صاروا أمة وحدهم، فأصبحوا بعد هذا الاكتشاف العلمي وما سبقه من الاكتشافات الداحضة لمذاهب التطور، حيرى لا يعرفون لهم مذهباً يقومون عليه.

ولعل قارئاً يسألني: ما وجه تأثير حياة الحشرات في دحض مذاهب النشوء والارتقاء؟ فنجيبه بأن وجهه أن هذه المذاهب تفترض أن الكائنات الحية قد تولد بعضها من بعض بتأثير البيئة كما يقول لامارك، أو بتأثير الانتخاب الطبيعي كما يقول دارون، في آماة طويلة لا يحصها العد، فجاءت الحشرة فنقضت هذه الأقاويل المنقمة كلها بحالها الذي يمكن أن يراه كل أحد. ألا يراها تستحيل من دودة إلى فراشة بعد أن ينحل جسدها إلى سائل، فيفقد بذلك كل تركيب عضوي، ثم يعود فيستحيل إلى فراشة ليس بينها وبين الدودة الأولى أي شبهة؟ كل ذلك في أيام معدودة، فاقيمة كل ما ذكره أصحاب مذاهب النشوء والارتقاء من التعليلات التي فتنت عقول كثير من الناس نحو قرن ونصف قرن من الزمان؟.

فاذا أردنا أن نطبق على الاستحالة التي دخلت فيها الحشرة مذهب لامارك أو دارون، لا نضطربنا أن نفترض لها عشرات الألوف من السنين على اعتبار أنها ممكنة في مذهبهم، فما ظنك وهي غير ممكنة في نظرم، لأن الترقق لديهم إنما يكون بحدوث تحسينات في ذات الأعضاء الموجودة، وظهور أعضاء أخرى لم تكن موجودة من قبل، ولكن مع حفظ التناسب بين أصول تلك الأعضاء وما آلت إليه، أو ما زاد عليها من الأعضاء الجديدة. أما الاستحالات المنقطعة الصلات، والتطورات غير المتناسبة، كما هو بين الدودة والفراشة، فلا تنطبق على أصول مذاهب النشوء والارتقاء، وتمدق نظرها مستحيلة الحصول.

وبعد: فإن كل هذا الجهد من رجال العلم موجه لمعرفة سر قيام الخليقة وتفسير تولد



الأنواع النباتية والحيوانية، وهو مطالب مستحيل التحقق فيما نرى . ألم تر أن هؤلاء الرجال كلما تخيلوا مذهباً من تلك المذاهب ، وتوهموا أنهم قد بالغوا في بيانه ودعمه على أصول من المحسوسات ، أنعم من تلك المحسوسات نفسها ما ينقضه ، ويجعل القول به مهزلة لا يصح ارتكابها ؟ فمسألة تأثير البيئة في تحويل الكائنات وهي التي ابتدعها الأستاذ لامارك الفرنسي في القرن الثامن عشر صادفت من الرواج حداً بعيداً جداً ، وصارت حديثاً طريفاً للناس يلوكة منهم كل عالم ومتعلم ، ويكتبه كل باحث وخابط ، حتى نبغ دارون فأذاع مذهباً نقض به نظرية تأثير البيئة تقضاً ، وجعله من العوامل الثانوية في إكساب الأحياء صفات جديدة ، ورأينا نظرية الانتخاب الطبيعي قد أوتيت سلطاناً على العقول لم يكن لنظرية قبلها ، فافتنت بها افتتاناً لم يمهده مثله لمذهب من المذاهب الفلسفية ، وطبقت هي والأسس التي صحتها على كل المحاولات العقلية للناس ، فكنت ترى المشرع والمؤرخ والمتطبيب والأديب وغيرهم يستمدون من أصول مذهب دارون ما يظنون أنه يجعل لمباحثهم أصولاً راسخة من صميم المباحث الفيزيولوجية والبيولوجية . ثم ما هي إلا جولة من جولات العلم حتى تكشف لهم أن هذا المذهب كسابقه لا يستند إلا على خيال محض ، وقد ظهرت دلائل محسوسة تجعل استمرار القول به ضرباً من العبث ، ومتى تقدم الناس في فقه الكون تبين لهم أن هذه المذاهب التي كان لها السلطان المطلق على العقول في أزمانها تدل على عقليات ساذجة كانت لا بآبائهم على نحو ما نحكم به نحن حين نقرأ مذاهب قدماء الماديين في خالق الكون وإيجاد كائناته . فسبحان الذي أعجزت آياته العقول ، وملأت بعظمتها العيون والقلوب :

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) م

محمد فرير ومري

## أزمة الزواج وعلى من تقع تبعاتها

قال الله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) ، وقال جل شأنه : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

الزواج مبدأ تكوين الأسرة ، ومدار استمرار العمران ، وعليه التعويل في بقاء الكون ونمو الأمم . عون على نظام الحياة ، باعث للهمم الى العمل ، وسيلة لهناء المعيشة وجعل الحياة سعيدة . وحسبك منه أنه قاطع لجرثومة الفساد في الأخلاق ، وعون على صون الشرف والأعراض ، وقاطع لدابر الشرور والخصومات ، والعداوات بين الأسر والجماعات ، بل هو قاتح للتواد والتحاب بين الناس أسراً وأفراداً . فكم من شخص كان فذاً في حياته لا نصير له ولا عضد ، فكان بالمصاهرة عزيز الجانب ، مخطوب المودة محفوف الغيبة ، كثيراً بالمصاهرة ، عزيزاً بما استحدثت من أسرة ، وبين انضم اليه من جماعة . وكم ترى من خامل النفس ميت العزيمة متراحي المهمة ، قد اشتد بالزواج أزره ، وانبعثت من رقتها همته ، وتحركت نحو العمل عزيمته ، وأصبح في الحياة عضواً عاملاً نشيطاً يسعى ويحيد ، ويعمل ويسكد ، لأن الزواج أشعره بواجبات كان في غفلة عنها ، وناط به مصالح كان لاصلة بينه وبينها ، فتكسب أمته من نشاطه وحياته العمالية أكثر مما تكسبه منه من أبناء وذرية . ولا تسئل عن حفظ الرء صحة بالزواج ، سواء من جهة ابتعاده عن الخنا الذي يجر الى شر الأمراض ، ومتعاصي الأدواء ، أم من جهة انتظامه في مديشته على الوجه الذي أعدله ، فيستكمل نظامه الحيوى الذى عليه مدار بقاء الفرد وبقاء النوع على وجه لا غيار عليه ، ولا خوف منه ولا خطر فيه . فاذا ما رأى بعد

ذلك منزله وقد عمر بالأبناء والبنات ، ودبت فيه روح الحياة الجديدة ، فيصبح ويمسى يشاهد من نعم الله عليه ما يشرح صدره ، ويقر عينه ، ويدخل السرور الى قلبه ، ويزيل الهموم عن صدره ، ويبعث الحياة جديدة في دمه ، سمت روحه وعالت نفسه ، وأصبح شعوره قويا بمعنى الحياة وسموها ، وهنا يجد النشاط الى نفسه أقوم سبيل ، ويفتق فكره عن وسائل الترقية في الأعمال الحيوية لأمته ، لا لشخص أمته ، بل لأنه يرى في خدمته لأمته الوسيلة الوحيدة لخدمة أمته له ، وهل الرزق إلا قيم الأعمال التي يقدمها المرء للمجموع ، فيأخذ ثمنها من المجموع على حسب قيمة ما أدى إليه ؟

كل هذا إذا أضفت اليه السلامة من الطغيان ، ووساوس الشيطان ، ومعصية الرحمن ، والوقوع في الخسران ، وجدت الأمر أعلى من أن يتنازع فيه ، وأكبر من أن يستهان به ، فكيف وقد دعت اليه الطبيعة السليمة ، بل يكاد يكون مغروسا في بعض الفصائل الحيوانية بالفطرة .

إذا كان الأمر على هذا الوجه من الوضوح والخطورة ، فما لنا نرى أزمة الزواج قد استحكمت حلقاتها ، وشاع بين شبابنا — وبخاصة في المدن العامرة — الإعراض عن الزواج ، بل التبرم به والتأفف منه لمن تزوج ، والفرار والخوف منه بالنسبة لمن لم يتزوج ؟ إنه لأمر عجب ، ولكن ما من حدث إلا وله سبب . وإنا نريد أن نعرض لشرح تلك الأسباب بحسب ما نستطيع ، وإن كانت أسباب ذلك من التنوع والتفرق والكثرة بحيث تشذ عن أراد الإحاطة بها . ولعلنا نوفق للإلمام بأهمها وأكثرها شيوعا وأعمها أثرا . ولنحصر الأسباب الآن في أربعة :

( ١ ) انحطاط الآداب .

( ٢ ) التغالى في المهور والإسراف في الجهاز .

( ٣ ) تراخي المودة الزوجية بسبب إعنات النساء للأزواج في السرف والبذخ

وشقى المطالب .

( ٤ ) التطلع لسعة الحياة المادية ومحاولة ضمان ذلك للذرية .

السبب الاول انحطاط الآداب ، ولعل ذلك أهم الأسباب :

من القواعد الاجتماعية المطردة ولوع الأمم المغلوبة بمحاكاة الأمم المتفوقة في عاداتها ومقوماتها ، هما كانت قبيحة أو مشوهة أو منكرة . وقد كانت أسباب وعوامل أدت الى أن تكون للأمم الغربية حضارة مادية قوية ذاقوا لذتها ، فمكفوا عليها وتوسعوا فيها ، فجنوا منها ثمارا لا يستهان بها ، واستخرجوا من كنوز الأرض والقوى التي بنها الله في الكائنات ما شرح قوله تعالى : « خالق لكم ما في الأرض جميعا » شرحا باهرا ، فكانوا بحق أساتذة أهل العصر الحاضر في اجتناء الثمار المادية ، واستخدام الأسرار الكونية التي رفعت الحياة وسهلت كثيرا من مستصعباتها ، فبهرت الأمم لما دان لهم من هذه المستكشفات والمخترعات ، حتى نسوا ماجاء عن طريق الشرق من حضارة روحية ومدنية معنوية كان لها أعظم الأثر في سعادة البشر .

إن الحضارة نوعان ما في ذلك شك : حضارة روحية قوامها تصفية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وبث الفضيلة ، ونشر التعاطف ، والتودد بين الناس ، والسمو بالنفس الإنسانية الى المستوى العظيم اللائق بها ، وهو إخلاص العبودية لله ، والتحرر عن الرق لكل ما سواه ، وتعديل مزاج قوتها الشهوية والفضبية ، حتى تسير على قانون العدل في كل شئونها ، ودفعها الى العلم والحكمة لتحيط بما به سعادتها في الدنيا والآخرة . وهذا النوع من الحضارة قد استأثر به الشرق ، مهبط الشرائع ، ومبعث الأنبياء والرسال عليهم الصلاة والسلام . والنوع الثاني الحضارة المادية وقوامها استنباط الأسرار التي بنها الله في المادة وهياها لنفع الانسان في هذه الحياة : من آتار البخار والكهرباء ، والآلات السريعة الأعمال ، والدقيقة الآتار ، وما يلتحق بها أو يتفرع عنها . وأستاذ هذا النوع في عهدنا الحاضر هو الأمم الغربية من غير منازعة ولا إنكار . وإن السعادة الكاملة في هذه الحياة الدنيا ورغد العيش للنوع الانساني مرتبط

بهذين السبيين بدون شك . ولكن أيهما أُلزم لهذا الحياة وسعادة المعيشة ؟ للجواب عن هذا يصح أن نتصور انفسك أحد السبيين عن الآخر ، فلنتصور الأمم فقدت مظاهر تلك المدنية المستحدثة ، فلم تتمتع بالقطار السريع ، ولا بالضوء الكهربائي ولا بالطرب للحاكي ( الفونغراف ) وحرمت تسجيل صورها بالمصور الشمسي ( الفوتغراف ) ولم يكن لديها من آلات الجراحة الدقيقة أو أجهزة الأشعة السكاشفة أو الوسائل المدمرة في الحروب الفاتكة في النفوس : من غازات خائفة ، ونسافات وطيارات ، وما يتصل بذلك . نتصورها حرمت ذلك كله ، ولكنها ساد بينها الوثام والمحبة والفناعة ، والثقة والتراحم والمعاونة ، سادها الإخلاص لله في العبادة ، ورضيت بميسور الرزق ، مع ترقية نفسها وأبنائها في الأخلاق والآداب . ثم نتصور الأمم مرة أخرى قد أخذت بأكبر قسط من هذه الحضارة المادية والمستحذات التي تنخفض عنها هذا الزمان الحاضر ، ولكنها حرمت صفاء النفوس بين أفرادها ، وحرمت شيوع الأمانة في معاملتها ، واستفاد الكذب في مخاطبتها ، وغابت شمواتها واسترسلت في أحكام غضبها ، ولم يردعها الخوف من ربها ، وكان الحكم فيها لقويها على ضعيفها ، ولم ينتصر لمظلومها من ظالمها ، فأى العهدين أحق بأن يكون عهد سعادة وحياة ناضرة ؟ إنا لا نشك في أن الكفتين غير متوازيتين ، وأن الأثرين غير متكافئين ، وأن الإنسانية قد استفادت من الشرق ما لا غنى لها عنه ، وقد أخذت من الغرب ما فتح عليها باب شر في الحياة لا منتهى لأمده ولا وصول لحده ، فاندفع بالانغماس في شهوانه والمسارة لرضا نفسه بشكل لا يبق على الهناء .

وإن من عرف حياة المترفين المستغرفين في تتبع مشتهياتهم ، يخدم قد وصلوا الى حالة ضاع معها الشعور بلذة ما كانوا ينعمون به ، والتمست أذواقهم طعوماً أخرى أشد لذة مما هم فيه ، فإذا أعوزهم ذلك عادوا الى بعض ما كانوا يأنفون منه كأنهم يحاولون تجديد

أذواق ماتت عندهم ، فإذا فاتهم ما يؤملون عادوا بحسرة وتنقيص . وخذ لذلك مثلاً بنى إسرائيل إذ ستموا اللبن والسوى ، والنمساو البقل والقنأ ، والفوم والعدس والبصل ، تعرف حال أولئك المنغمسين ، فقد أصبحت الأ طعمة الفاخرة واللذائذ النادرة عندهم مألوفة نافهة ، بل مستومة مملولة كاللبن والسوى عند بنى إسرائيل . فما يظن لذة عندهم ويتوهم أنهم به منعمون ، هم في الحقيقة به يرمون ، ومنه متعلمون .

هذا هو شأن الانغماس في المشتيات والاستغراق في اللذائذ ، يصل بصاحبه الى درجة أن يضعف الإحساس بها حتى يتلاشى وحتى يسأم ويعمل . فإذا أضفت الى ذلك أن هذا المنغمس يستولى عليه الضعف في عزيمته ، وتصبح همته واهنة واهية ، كانت الخسارة فيه أشد والمصاب به أتم . ولقد قال بعضهم : الترف مرض اختياري تجلبه النعم ويأخذه من يشاء . فإذا كان هذا قصارى الثمرة المستفادة من حضارة الغرب تجدها قد آلت بنفسها الى أنها شر ونقمة ، بدل أن تكون خيراً ونعمة ، فكيف إذا ضمنت اليها الحرمان من تلك الفضائل الروحية ، والمزايا النفسية ، والآداب الشرعية ، التي تنهض بالنفس الى المستوى الرفيع ، وتسمو بها الى أعلى عليين ، وتجذب أطراف الإنسانية بعضها الى بعض حتى تنظمها في سلك التواد والتراحم ، والتعاطف والتعاضد ، وتجعلها كأعضاء الجسم الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحنى والسهر .

لقد استطرد بنا الحديث حتى كدنا نبتعد عما سبق الكلام له ، وعذرنا أن المقارنة بين الشرق والغرب وأيهما أعود على الإنسانية بالخير والمنفعة مما خفى على الكثير حتى من المفكرين والتصدرين للزعامة والزعمين أنهم هداة قادة ، فقد اغتروا بتلك الآثار الخلابية ، وأسلموا عقولهم وأفكارهم لأصحابها ، ووقفوا جهودهم على تأييدها والدعاية الى التمسك بأهدابها ، وتقليد أهلها حتى في أخس المنكرات وأحط الآداب ، وغفلوا عما يحجره ذلك عليهم وعلى أمتهم من الشر الويل . فمن ذلك تلك الدعاية المعقولة التي استفاضت على السنة الكثير من المفكرين ، وهي الدعاية الى السفور ونبد الحجاب ، وتحييد اختلاط النساء

بالرجال والرجال بالنساء . لقد استعملوا كل قوام وتعاضدوا من كل جانب لتلك الدعاية ، وترسوا فيها بأن السفور باب العلم والحجاب قفل ذلك الباب ، وأن الداعي للتمسك بالحجاب حائل بين الأمة وبين العلم النافع . ومن يستطيع أن يرى نفسه قد وقفت حائلا بين الأمة وبين العلم النافع ؟ ومن يقبل على نفسه لقب أنه عدو للعلم وهو ما نصب نفسه للإرشاد إلا بما أوتي من العلم ؟ كان ذلك التذرع بنشر العلم سلاحا حادا استعمل يدهاء ومكر شديدين ، وساعد قوته ميل النفوس وبخاصة نفوس الناشئين الى فك العقال واطراح القيود ، والإيغال في بيداء الإطلاق ، فاندفعت فئة ممن لا يبالون بمركز أدبي أو عادات متمكنة أو آداب مرعية ، فزجوا بأنفسهم في التجربة الأولى ، فلما لم يجدوا رادعا تبعهم فئة أخرى ، ثم كان من المترفين جولة جريئة باسم المسدنية التي هم رافعو لوائها ، فتبعهم من يحاول اللحاق بهم حتى انفرط العقد وأصبح السفور عادة غير منكورة . فهل وقف الأمر عند هذا الحد ، وقنع الشر بما اكتسب من فضيلة الأمة الراسخة ؟ . إذاً كان الخطب هينا ، وكنا نقول : بعض الشر أهون من بعض . ولكن ما العمل وبذرة الشر سريرة الإنبات ، والنفوس الشهوانية تربة صالحة للغراس ! لقد جر هذا الى إحراز الشباب أمنيته ، فقد تفتح أمامه سبيل الشيطان ، وزين للناس باب آخر هو من السفور بأتم صلة ، ذاك هو الاختلاط في الأندية والمجالس والمحافل ثم الانفراد . أو الاجتماع الانفرادي — لا أدري بماذا أسميه — أقول ثم تأبط الشاب ذراع الفتاة والابتعاد به عن الرقبة والعيون ، يرتادون الخلوات ، ويتجولون في المتنزهات ، ويعمدون في بعض الأحيان الى دور الملاهي والملاعب ، يتلقيان دروس الغرام ، ومناطق الحب والحيام ، ودور القبلات وأصناف المعانقات ، والمغازلات والمفاضيات . كل أولئك دروس تجري الهيوب منهما على الاقتحام ، ثم ينصرفان لا ندري الى أي مأوى ، ولا يدري أهلها أين هما ، ولا يجوز أن يسألوهما . إنك ستقف من سماع هذا الكلام ،

وستنكر على الكاتب أن يسطر هذا على صفحات المجلة، ولكنها حقيقة تجرى بين فئات، ويخشى إذا استمر الحال أن يتسع خرقها ويتفاقم شرها.

وإذا كان مجرد ذكرها قد جر إلى اشمئزاز القارئ إلى هذا الحد، فكيف يكون مجراها وفشوها. وهل التعامى عنها سيقنع جذورها؟ إذاً لكان الواجب السكوت عليها. ولكن فاض السكيل وعم السيل. هذا شيء موجود في بلدنا، وهو أصل كبير من أصول بليتفا فيما نشكو منه من أزمة الزواج، وهو الموضوع الذي عرضنا للكلام عنه وإن تطوحت بنا السبيل وتشعبت علينا المسالك. فلقد كان من نتائج هذا في المدن أمران: الأول الزهد في النساء اللاتي كن يحتجن بالبعد فأصبحن معروضات بالقرب. واثاني قال القائل:

عرضنا أنفسنا عزت علينا عليكم فاستخف بها الهوان  
ولو أنا منعناها لعزت ولكن كل معروض مهان

والثاني إساءة الظن بهن وقياس الغائب على الشاهد، فظلمت البريئات ولا يزالن يؤلفن الكثرة العظمى في الأسر والله الحمد، ولكن رب مستهتره جلبت سوء الظن على ألف مستهتره، فكان هذا السلاح ذا حدين خطرين، أحدهما الإعراض عما سهل تناوله، وثانيهما إساءة الظن بمن خفي أمره، فأعرض الشباب عن الرغبة في الزواج، والتمس لنفسه من المعاذير ما إذا حاولت إرجاعه عنه كذت تضرب في حديد بارد وإن نرجو القارئ عند وصوله إلى هذه النقطة أن يسكت قليلاً، ويفكر فيما يحيط به من معارف وجيران، ويستعرض ما يقع نظره عليه وما يسمعه من الأقواء، ويستنبط من نفسه مدى هذا الموقف وخطورته، ثم يستنجد بالحمة الإسلامية والزيرة الدينية والمصاحبة القومية له ليتوفى إلى طريق فيه إيقاف هذا السيل الجارف، ولا أحد أصغر من أن يمين، ولا أحد أكبر من أن يمان، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.



### السبب الثاني التعالى في المهور والتنافس في المهر:

هذا سبب له دخل في أزمة الزواج ولكن الى حد ما ، فقد يكون الراغب في الزواج صادق النية في تكوين أسرة وتعمير بيت ، ويريد أن يعيش عيشة صالحة ، ويرى ألا سبيل الى العيشة الصالحة إلا الزواج من زوجة صالحة ، فيدور بعينه يمينا وشمالا يرتاد من يليق به مصاهرته من الأسر التي تناسبه ، فيجد نفسه بين أسرة كريمة ذات حسب وشرف وصيانة وأدب ، فيرغب في الاتصال بها ويعمد اليها يخطف مودتها ، فيجدها قد اعتدت بمركزها ، واعتزت بحسبها وأدبها وحياتها بين الأسر المستهتره ، وعفافها بين الفئات الخليعة وثروتها بين أقوام فقيرة ، وهكذا من المميزات الصحيحة المعتد بها ، والخاصب يؤمن على ذلك ويغتنب به ، ولكن يروعه المفاجأة بتقدير ثمن ذلك كله ، وإذا به مما ينوء بالعصبة أولى القوة ، فما بالك بالفرد الناشئ وهو على أبواب الحياة العملية ، فإذا ما تبرم واستعظمه قيل له : إنا سنستحضر كيت وكيت : الأثاث والرياش وما يتعاق به ، فإذا قال : كل هذا لا حاجة لي به بل سيرهقني ويكلفني ما لا طاقة لي به ، قيل له : وهل تنقص عن كريمة فلان وزوجة فلان أو عن عمتها أو أختها ؟ وهكذا فإذا ما أن يقبل وهو مالا يستطيعه ، وإما أن يتصرف بنية أن يتروى وهو ما يكون غالبا ، وقلمما يكون له بعد ذلك عودة . فإذا اتجهت نفسه الى من لا يغالى في المهر وجد من المنفرات في الآداب والعوائد مالا يحتمل ؛ فإذا ما استشار أحد أصدقائه للخروج من هذا المأزق وحل هذه العقدة ، كان أقرب جواب له : مالك وللزواج أما أنت عاقل ! ألم ترأ لم تسمع ؛ وبأخذ يقص عليه من أنباء الزيجات السيئة ما يحل عزيمته ويجول دفة اتجاهه ، وما يدريك فلعله يقيض له من قرناء السوء من يزين له أسوء الأعمال ، فيرتكس في شر الأحوال . ثم تبقى المخطوبة منتظرة مترقية ، وربما طال عليها الأمد ، فلا ندرى أتصبح عانساً ترضى بالقليل ، أم تسمى بأثمة من الحليل والخليل .

هذا سبب من الأسباب يساعد في كثير من الأحوال على تفادى ذلك الشر ، وإن كان أصله من عدم التبصر لا من نية السوء ، وهو وإن لم يصل إلى ما قبله فله دخل لا يستهان به .

#### السبب الثالث :

إغاثات الزوجات أزواجهن في باهظ المطالب من ملابس غاية الثمن لا يقصد بها إلا التبرج عند الخروج من المنازل ، ومن أدوات التجميل التي قلما يكون للزوج نصيب منها ، ومن طموح إلى ارتياد دور الملاهي على مختلف أنواعها أو المتنزهات العامة أو الخاصة . يضاف إلى ذلك عند بعض الأقسام مصاريف حفلات استقبال أسبوعية أو شهرية بلا داع ولا مناسبة مما يرهق ويضيق الصدر ، فإذا ما تهان الرجل في أداء تلك المطالب الفارغة ، ثار بينهما نزاع ينقص الحياة ، ويقبض الصدر ، ويجعل المعيشة تعيسة متعبة .

يجرى هذا للرجل فيشكوه لصديقه ، وهذا ينقله عنه متفكها متعجبا ، فيزيد الحديث بمستملحات تترد على الألسنة حتى تعم دائرة الأصدقاء ، فتشوه الحياة الزوجية في نظر الجميع ، حتى يعد المقدم عليها مجازفا بهناءه وسعادته ، فتكون النتيجة تقوية فكرة الامتناع عن الزواج والحذر منه ، والخوف الشديد من الوقوع فيه .

#### السبب الرابع :

هو يقتصر على فئة يزعمون أنفسهم من المفكرين تفكيراً عميقاً وبعيداً ، برون أن الحياة قد كثرت مطالبها واشتد الزحام في نيلها ، فلا يأمن إذا ما تزوج أن يعقب أبناء وبنات يعرضهم ويعرضهن لهذا المعترك القاسي ، وليس لديه من التراث ما يكفي ترفيهم ، فيكون بذلك قد قسا عليهم وزج بهم فيما لا قبل لهم به ، وكأنه يتمثل بقول المعري متبرما بالحياة ومتاعبها :

هذا جناء أبي عدى وما جنيت على أحد

بل إنه شبيه بن وجه إليه النهى في قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » فأمثال هؤلاء ، قد انعكست بصائرهم وعميت عليهم الطارق ، وظنوا أن دولاب الزمان في أيدي العباد ، وأن تقديرهم وتديروهم هو الذى يحول اتجاه الفلك ويقدر الأرزاق والأعمار . فلبئس ما سولت لهم أنفسهم وما أوقعتهم عمايتهم وجهالتهم : فمثل هؤلاء لا يعتد بأفكارهم وإن كانوا يزعمون أنهم فوق مستوى الناس في أفكارهم . ومن محاسن الصدف أن هؤلاء قليلون ، وعدوهم مأمونة ، وأفكارهم قاصرة عليهم . والذى يعنيننا هو الأسباب الثلاثة الأولى ، فلعل شرحها وتبينها يلفت أولى النظر السليم الى تلافيه والخلاص منه ، والله يتولى هداانا الى سواء السبيل .

ابراهيم الببالي

## فضيلة العقل ورذيلة الحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والاحمق فقال :

العاقل إذا والى بذل في المودة نصره ، وإذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ، ويعتصم معاديه بعذله ، إن أحسن الى أحد ترك المطالبة بالشكر ، وإن أساء اليه مسىء سبب له أسباب العذر ، أو منحه الصقع والعفو .

والاحمق ضال مضل ، إن أونس تكبر ، وإن أوحش تكدر ، وإن استنطق تخلف ، وإن ترك تكلف ، مجالسته مهنة ، ومعابته محنة ، ومجاورته نعر ، وموالاته أضر ، ومقاربتة صمى ، ومقارنته شقا . وكانت ملوك القرص إذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ، والاحمق يسيء الى غيره ويظن أنه قد أحسن اليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن اليه فيظن أنه قد أساء فيطالبه بالوتر ( أى بالنار ) ، فساوىء الاحمق لانتقضى ، وعبوبه لانتهى ، ولا يقف النظر منها الى غاية إلا لوحث ما وراءها مما هو أدنى منها ، وأردى وأمر وأدهى . فإكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر !

وقال الأحنف : كل شيء يحفظ الاحمق إلا من نفسه .

## العلاقة بين المخ والذكاء

عرف الناس من أقدم الأزمان أن المخ آلة التعقل كما أن العين آلة الإبصار ،  
فحبب اليهم البحث فيه ، ولكن هذا البحث ما كان يتعدى الدائرة الفلسفية النظرية .  
فلما تقدم علم التشريح في المصور الأخيرة كان أول ما عني به الباحثون في المخ أن يعرفوا  
علائق أجزائه المختلفة بالقوى العقلية : من الفكر ، والذكر ، والتصور ، والحفظ ،  
والتخيل الخ ، فحبل اليهم أنهم اهتموا الى تلك المراكز ، فأكثروا من الكتابة فيها  
لأحكام ربط التعقل بالمخ ، فكان ذلك عند الماديين من الأدلة على أن التعقل ليس بمظهر  
من مظاهر الروح ، ولكنه خاصة من خصائص التركيب المخي ، حتى قال زعيمهم  
( بوختر ) : إن المخ يفرز التعقل كما تفرز الكلية البول .

ونحن في هذه المجالة نريد أن نجمل القول في سرد مذاهبهم القديمة والحديثة  
في علاقة المخ بالتعقل ، ثم نردفها بما ثبت أخيرا من المشاهدات الجديدة في المجال التشريحي  
نفسه ، مما يهدم نظريات الماديين هدمًا لا قيام لها بعده ، ويثبت أن التعقل مظهر  
من مظاهر الروح بأدلة لا تقبل النقص .

فإليك هذه الخلاصة الإجمالية مترجمة عن الألمانية من مجلة ( كوسموس ) :  
« كان الناس يرون منذ القدم أن لكمية المخ في الكائنات الحية علاقة كبيرة  
بإدراكها ، وليس هذا بصحيح ، فإن مقدار المخ في بعض الحيتان قد يربو على خمسة كيلو  
غرامات ، ومقداره في الثملة لا يتعدى جزءا من خمسة وعشرين ألف جزء من الغرام ،  
ولا يقول أحد بأن الحوت أذكى من الثملة بما يبلغ مائة وخمسة وعشرين مليون ضعف .  
فاذا اتخذنا معيارا آخر فجعلنا المقارنة بين الكائنات الحية من ناحية نسبة وزن مخها  
الى وزن بدنهما كاملا ، فإن هذه المقارنة تكون أقرب الى تعيين علاقة المخ بالتعقل .  
ففي مملكة الثمل ما يدل على صحة هذا الرأي . وفي هذا المجال نجد الانسان قد

حل محله في التفوق على جميع الكائنات ، فإذا اعتبرنا الانسان والغوريلا وكلب لبونبرجر وغيرها مما تتساوى أوزان أجسادها ، رأينا أن مخ الانسان وهو أذكى الكائنات كافة يزن نحو ١٤٠٠ غرام ، على حين أن مخ الغوريلا لا يزيد وزنه عن ٤٥٠ غراما ، ومخ كلب لبونبرج لا يبلغ أكثر من ١٢٥ غراما .

« وقد شوهد أنه لا عبرة بمقدار المخ إذا كان تركيبه ساذجا ، كما هو شأنه عند الحيوانات القليلة الذكاء . وانضح أنه كلما كان تركيبه دقيقا كان ذكاء صاحبه أكبر . » وقد رأى المعنيون بأمر هذا البحث بأن القشرة الخارجية من المخ هي مركز القوى العقلية ، وأنها تزداد اتساعا كلما زادت الأحياء ارتقاء . ولما كان حجم الجمجمة محدودا فإن زيادة سطح القشرة المخية يحدث من كثرة التجمعات التي تغطي كتلة المخ . وقد شوهد أن هذه التجمعات تختلف قلة وكثرة باختلاف الحيوانات في قوة الذكاء . قال الأستاذ الدكتور فنتسمر كاتب هذه المقالة عقب هذا كله :

« على أن كل هذه الملاحظات لا تصلح أن تكون قانونا يمكن تطبيقه في جميع الأحوال ، فإن أكبر مخ عرف حتى الآن كان لرجل أبله ، وإن بعض المفكرين الذين ارتفعوا الى درجة الزعامة في مختلف العلوم والآداب كانت حجوم مخاؤهم دون المتوسط . والعلاقة التي توجد بين مقدار المخ ودرجة الذكاء ما زالت تحت كسف من الظلام ، يحيط بها الجهل من كل مكان . فلا تصاح الوسائل التي نملكها الآن للتمييز بين مخ رجل عبقرى وآخر من العامة الباهاء . فلنقتنع اليوم بما وقفنا اليه من العلم بأن مقدار المخ والأحوال الأخرى التي ذكرناها آنفا تساعدنا من وجه عام على معرفة درجة الذكاء ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها أصلا للقياس والمقارنة في جميع الحالات الفردية . والرجاء معقود على أن نكشف لنا في يوم من الأيام أسرار العلاقات الموجودة بين القوى العقلية وتركيب المخ » انتهى .

ونحن نقول : إن هذه الحيرة التي بدأت تلوح في أفق العلم من هذه الناحية التي كان

يظن الفيزيولوجيون أنهم بلغوا فيها المدى ، هذه الحيرة ليست كل ما في هذا الباب ، فقد طرأت حوادث في أثناء الحرب العالمية وبعدها كان لها تأثير لا يقف عند حد في تعديل آراء العلماء في مسألة المخ وعلاقته بالقوى العقلية . ونحن نأتي على بعض تلك المشاهدات من كتاب الأستاذ الدكتور جوستاف جوليه ، فإليك ما قاله فيه :

شوهدت أحوال تشريحية مرضية أثبتت أن حرمان إنسان من جزء عظيم من المخ في المناطق التي كان يعتقد أنها رئيسية فيه ، قد لا يبتنى عليه أقل تكدر نفساني ولا أقل انحطاط في الشخصية .

فإليك ملخص أشهر هذه الحالات مستقاة من كتاب التاريخ السنوي للعلوم النفسية الذي صدر في يناير من سنة ١٩١٧ :

قدم السيو إدمون ييريه للمجمع العلمي الفرنسي بجلسته المنعقدة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ ملاحظة الدكتور ( ر . روبنسون ) تتعلق برجل بقى حيا سنة ، وبغير ألم يذكر ولا أى اضطراب عقلي ظاهر ، على حين أن من كان قد استحال الى مثل العجين ، واختلطت أجزاؤه حتى تحول كله الى دمل ذى قيح .

وقد رفع الدكتور هالوبو الى جمعية الجراحة بفرنسا في يوليو سنة ١٩١٤ تقريرا عن عملية جراحية أجريت في مستشفى نيكير على شابة وقعت من المترو . فعند فحصها شوهد أن جزءا عظيما من المادة المخية قد استحال الى مثل العجين بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان . فلما حذفت هذه المواد المتحللة وسحبت قطع الفيج العالقة بما بقى من مادة المخ ، شفيت المريضة وعادت الى ما كانت عليه من الصحة ، ولم يؤثر بتر جزء عظيم من المخ في سلامة عقلاها ، وكمال شخصيتها ، وقد كان ذلك يعتبر محالا في نظر العلم قبل اليوم .

وإليك ما نشرته الجرائد البارزية عند ذكرها خبر انعقاد المجمع العلمي الفرنسي في ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ تحت عنوان : ( بتر جزء من المخ ) قالت :

قدم الدكتور ا. جيبان (guépin) الى المجمع العلمى حوادث يحد بها مسألة بتر بعض المخ بمعلومات جديدة متابعا بذلك تقاريره السابقة من هذا النوع الذى ينقض الآراء التى كانت تدرس عن وظائف المخ . وقد ذكر فيها أن الجندى الذى عملت له العملية فى مخه ووضع تحت العلاج قد خرج من المستشفى معافى ، وهو يزاول الآن وظيفة إستانى بقرب باريز رغم أن الجزء الكبير الذى بتر من القسم الأيسر من مخه . وقد استمر بعد أن تمت له العملية يستعيد صحته فى حالة طبيعية محضة كأن لم يتر من ذلك العضو الرئيسى شىء ، مع أنه قد أزيلت منه فيما أزيل الدائرة التى تعتبر مركزا لوظائفه الرئيسية ، فاعتمادا على هذه المشاهدة وعلى تسع مشاهدات من نوعها قدمت للمجمع العلمى ، استطاع الدكتور جيبان أن يستنتج النتائج الآتية :

أولا — أن بتر جزء من المخ قد ينجى حياة بعض الجرحى الذين لا تسلم نظريات العلوم المعروفة للآن بإمكان نجاحهم من الموت أو سلامتهم من عاهة مستديمة غير قابلة للشفاء .

ثانيا — أن الذين تعمل لهم عملية البتر لا يشكون من أى نقص حيوى بسبب فقدانهم جزءا من مخاخم .

وقد خطب الدكتور (أجوستان أيتوريشا) رئيس الجمعية الانتروبولوجية أى الخاصة بالمباحث الانسانية فى جاسة ٧ أغسطس سنة ١٩١٦ المنعقدة بمدينة (سوكر) عاصمة بوليفيا بأمرىكا الجنوبية ، فقال :

« إليكم مشاهدات أكثر إدهاشا للعقل مما مر اقتطفها من سجل عيادة الدكتور نيغولا أورتيث بواسطة الدكتور دومنجو جوزمان :

« أولها تتعلق بسلام فى السنة الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره رفع مخه كله فبقى طول المدة التى عاشها بعد هذه العملية حاصلا على جميع خصائصه العقلية .

« وثانيها تختص برجل فى الخامسة والأربعين من عمره أصيب بجرح فى مخه

في مستوى دائرة بروكا مصحوب بكسر في عظم الجمجمة . فيما لكشف عليه انضح أن حرارته مرتفعة ، وأنه قد نسي الكلام وأصيب بالشلل في النصف الأيمن من جسمه ، فشرع الأطباء في معالجته ، وأخذوا يلقنونه الكلمات من جديد ، وكان هو يتابعهم فيما يلقنونه ، وبينما هم يعتنون به إذ فاجأته حتى مرتفعة أودت بحياته . فلما شرحت جثته وجد أن النصف الأيسر من مخه قد استحال الى دمل ضخيم . فهنا يمكننا أيضا أن نتساءل كيف كان يفكر هذا الرجل ؟ وأي عضو كان يستخدمه في التعقل بعد فساد المنطقة المخية التي يقول الفيزيولوجيون إنها محل الإدراك ؟ .

« نالته الحوادث صاحبها فلاح عمره ثمانى عشرة سنة ، مرض مدة ثم مات ، فدل تشريح جثته على أنه كان بمخه ثلاثة دما مل يبلغ كل منها حجم اليوسفية . ولكن شوهد رغما عن هذه الدما مل أنه كان يفكر كما يفكر جميع الناس ، حتى إنه طلب ذات يوم أن يسمح له بوقت يقضيه في بعض مصالحه ، فسمح له به ومات وهو عائد الى المستشفى .

بعد إيراد هذه المشاهدات قال الدكتور أجوستان رئيس جمعية المباحث الانسانية : « إذا فلا توجد مراكز خاصة في المخ بعضها لإدراك المعقولات ، وبعضها للانفعالات ، وغيرها للذكر ، وأخرى للتصور ، فهذه الميتولوجيا ( أى الأساطير الخرافية ) قد زالت من الوجود » .

ولمحن نقول : اذا كانت عقيدة أن المخ وحده مصدر التعقل والتفكير والتصوير الخ قد اعتبرت اليوم من الأساطير الخرافية ، فقد سقطت عقيدة من أكبر عقائد الماديين ، وهى التى مؤداها أن ليس للانسان روح هى مصدر كل هذه الخصاص المعقاة ، وإنما مصدرها المخ وحده ، فجاءت هذه المباحث مثبتة أن المخ ليس هو مصدر التعقل والتفكير ، وإنما مصدرها الروح ، وهى تستخدم فيهما المخ .

وقد ضرب المذهب المادى في التعقل ضربات قاتلة أخرى من ناحية حياة الحشرات ،



فقد أثبت العلماء، وفي مقدمتهم الأستاذ هكسلي كبير البولوجيين (علماء الحياة) أن أبسط أنواع الحيوانات وهو (الأميب) المركب من مادة حيوية لم تدخل بعد في شكل خلايا، بأنى أعمالا محيرة للعقل، حتى إنه ليبتنى لنفسه قوقمة جميلة الشكل ومزينة بألوان يأوى إليها، فإن جرينا على قول الماديين من أن إلهامات الحيوانات نشأت من عقولها فهذا النوع من الحيوان لا يخ له ولا أعصاب، فن أين أتاه العقل وقد حير عمله العلماء؟ وإذا كان ما يقوله الماديون في ربط التعقل بالمخ صحيحا، فكيف نشأت هذه الإلهامات المحيرة للعقل لحيوانات دنيئة لا يتصور أنها تدرك مما تعمله شيئا؟ وقد رأيت مما نشرناه عن أعمالها هنا أنها لم تر ما عمله أسلافها ولا تعيش بعد إلقاء بيضها حتى ترى ما يحتاج إليه أخلافها، فإذا كانت هذه الحيوانات - وأنواعها لا تكاد تحصى - تصدر في أعمالها هذه عن عقل، وجب أن يكون هذا العقل أرق من العقل الإنسانى، إذ أنه يجعل الحشرة تدرك بدون تعليم ما لم تره بعينها، وتحسب له والاموارض المحيطة به حسابا دقيقا، وهذا ما لا يمكن أن يقول به عاقل، فلم يبق إلا القول بأن الخالق الحكيم هو الذى يطبعها على هذه الأعمال فتأثيرها مضطرة لا خيرة لها فيها، ويكون هذا من أدل الأدلة على وجوده سبحانه وتعالى، وعلى شمول حكمته ورعايته جميع الكائنات، لا يشذ عنها حتى التى لا يدركها إلا إنسان بغير المجهر.

ولقد فتنت مسألة ارتباط التعقل بالمخ هذه عقول كثير من المتعلمين، وجروا فيها على مذهب الماديين، فاعتبروا المخ مولدا للتعقل لا آلة له، وإذا صح هذا فلا محل فى زعمهم للاعتقاد بوجود روح للإنسان، ويسقط بسقوطها كل ما يختص بها من عالم روحانى وخلود ونعيم وعذاب مقيمين، ويتلاشى بتلاشى هذه الأمور الناموس الأخلقى نفسه، وتحل محله الإباحة البهيمية. فجاءت هذه المكتشفات التشريحية التى ذكرناها مزيلة لشبهة الماديين، ومعززة لأدلة وجود الروح تأييدا لم يكن منتظرا.

إن وظيفة العلماء أن يبحثوا وينقبوا مستمدين من الله الهداية والنور ، وليس عليهم أن يتخيلوا الخيالات ثم يتخذوها شبهات يضللون بها بسطاء العقول ، ويصرفونهم عن سواء السبيل مكي  
محمد فخر رزوي

## من معدن النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس بسط الأمل مقدم على حلول الأجل ، والمعاد مضار العمل ، فغشيط بما احتجب به غايم ، ومستئس لما فاته من عمل نادم .  
« أيها الناس إن الطمع فقر ، واليأس غنى ، والقناعة راحة ، والعزلة عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن ، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ، وكل إلى تقاد وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا أنتم في مهل الأتقاس ، ومدة الاجلاس ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، فلا يغنى الندم » انتهى .

نقول : إن هذا الكلام لا تغنى قراءته عن حفظه ، ولا حفظه عن العمل به ، فهو تفتحة من روح النبوة يتلقاها من كتبت له السعادة ، ويودعها سويداء قلبه ، وصميم معناه ، ويأخذ نفسه على اتباعها ، رجاء أن يصل إلى ما يتطلبه من السعادة الصحيحة . أليس الطمع في الحقيقة فقرا ، واليأس عما في أيدي الناس أو فيما لا ينال غنى ، والقناعة بما حصل في يده بالاجمال في الطلب غنى ؟ أو ليست العزلة عن أهل الغفلة عبادة ، والعمل لما ينفع كنزا ، والدنيا معدنا يستخرج منه بإحسان العمل فيها ما ينفعه غدا ؟ أو ليس كل ما بقي منها بعد حصول المرء على هذه الصفات العليا يشبه ما مضى منها من الثمانيات كما يشبه الماء الماء ؟ أليس كل طيباتها إلى زوال لا يبقى منها إلا ما ينجيه صاحبها في تصيدها من إثم أو عدوان يبقى عليه وزره ، وتحيق به تبعاته ؟ وليس معنى هذا أن يعف الانسان عن الطيبات المشروعة التي بينها الكتاب وأيدها السنة ، وإنما المراد ما سفل منها ولا يناسب كرامة الانسانية .

## خطبة افتتاح العام الدراسي

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد البليال شيخ  
كلية أصول الدين فأرسل إلينا الخطبة التي ألقاها بمناسبة افتتاح العام الدراسي  
للكلية ، فتأخرت عن موعدنا لتراحم المواد ، فنستدرك ذلك بنشرها اليوم  
لما حوته من الحكم النوال والنصح الثمين . قال فضيلته :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منّ على من أخلص بعمدة التوفيق ، فسلّك به سبيل الرشاد ، وفتح له  
باب الفيض . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الله ، أتقذ العالم من وهدة  
الخيرة وظلمة الجهالة ، الى سماء العلم ونور الهداية . وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهجه ،  
وتأدبوا بأدبه .

أبهرنا الاخوة :

بعد تحية الاسلام ، لي الشرف أن أعان لحضراتكم أنه قد مر العام الدراسي الثاني  
لهذه الكلية على خير ما يرجوه محبو الإصلاح ، وأنه ترك عندي من الغبطة والارتياح  
فوق ما تركه سابقه ، فقد رسم لحضراتكم في نفسي من أثر الفضيلة صورة الإعجاب  
والإكبار . وناهيك بمعنى تشكون صورته من الخلال الآتية : صدق النية في العمل ،  
وقبول النصيحة فيه ، والوفاء بالعهد ، والمودة الخالصة .

أما صدق النية ، فلا تقي قدر أيت منكم الحب الصادق ، والرغبة في تثقيف الطلبة على  
قواعد الدين والعلم الصحيح ، اللذين هما حليفان لا يتنافران في نظر الإنصاف والعقل السليم .

وأما قبول النصيح ، فله عندى من الشواهد ما يحمانى على الاعتراف بأنكم من أسلس العاملين المخلصين .

وأما وفاء العهد ، فحسبكم منه القيام بما قطعتم على أنفسكم من جد ونشاط فى إتمام دراسة ما هو مقرر عليكم ، مع الحرص على الزمن ، وصرف الجهود فى تحقيق المواد بوجه ينطبق على مصلحة العلم والطلاب ، الأمر الذى كانت معه النتيجة النهائية بدرجة سارة منطبقة على ما بذلتم من همة .

وأما المودة الخالصة ، فلا أدل عليها من اتصالكم القوى فى مظاهر أعمالكم العامة والخاصة .

ولقد كان من ثمرات هذا أن وجدت منكم قدوة حسنة فى نفوس تلاميذك ، تأسوا بها فاساروا سيرتكم ، وأصبحوا بفضل أدبكم أمثلة كاملة لطلاب العلم المجدين ، وصار من الممكن أن نرفع الصوت عاليا بأنه يجب أن يحى من النفوس ما نقشه فيها أهل الأثواء من أن الأزهر غير قابل للإصلاح ، وأن أهله لا يعرفون إلا الجلود .

فإن تولوا فليقولوا لنا ما هو الإصلاح الذى يقصدونه بعد ما وصل طلاب الأزهر الى هذا الحد من الثقافة بسائر العلوم قديمها وحديثها ، وما هى المرونة ، والعلم الصحيح خير مذهب وأعظم هاد ، وقد أخذ منه الأزهريون والحمد لله بقسط لا يمكن لغيرهم أن يدعى مثله ؟ وإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبناءهم ثم نتجأكم الى الحججة والبرهان .

نحن لا ندعى لأنفسنا السكال المطابق ، فليس فى إمكان أحد من البشر أن يدعيه ، وما زلنا نطلب من العلم درجة أعلى . كيف والله تعالى يقول انبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) ويقول : ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) وإنما نقول للمتقولين : إن من الظلم دى البرى ، ومن الغبن أن يبغض الناس أشياءهم .

ونقول لحضراتكم : يجب ألا يمر هذا دون أن نتخذ لنا منه عبرة ومسلكا للتفام مع المخالفين . فملينا أن نتقارب . ولا سبيل الى التقارب إلا بحسن النية . واعلموا

أن جل التبعة ملق على عاتقنا . فنحن الدعاة . ومن واجب الداعي الى الحق أن يستخلص النفوس اليه بالرفق في دعوته الحكيمة على مبادئ التآخي الاسلامي .

لهذا أطلب اليكم أن تسلكوا هذا الطريق ، فتجتمعوا قلوب الناس عليكم ونخاطبهم على قدر عقولهم عملاً بالحكمة النبوية الشريفة : ( نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ) .

هناك حملة قوية ضد الإسلام من أعدائه . ولا يمكن رد غائلتها إلا بجمع كلمة المسلمين ، وحمل العامة منهم على حب الدين . فاعملوا لهذا المبدأ ، واجنحوا للسلم متوكلين على الله بآرائكم ، فما غلب المخلصون في زمن ما ، بل كانت عاقبتهم النصر والثبات . ولتكن نصرة الحق قبلتكم ، حتى لا يكون لغيره سلطان على نفوسكم ، ولا يجد الباطل دليلاً على عملكم ، واستقيموا على الهدى حيث أقامكم الله ، وضاعفوا العناية في العام المقبل ، فإنه خاتمة الدور الأول لعمالكم ، وفيه تظهر نتيجته النهائية ، فمساها تكون سارة إن شاء الله ، كما يرجو المصاحون الذين يودون الخير لدينهم ، وكما هي رغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذي ما برح يشمل العلم برعايته ، ويكلاً أهل الدين بمطفه ، والذي شرف الأزهر لافتتاح كليته بتلك الزيارة الميمونة التي يمدّها التاريخ من أكبر آثاره الجليلة في حوادث العام الماضي . فعسى أن توفق لرضا الله تعالى ، وتحقيق رغبته السامية .

نسأله تعالى أن يديم جلالته حصناً للإسلام ، ممتعاً بتمام الصحة وعزة الملك ، وأن يحفظ له أنجاله الكرام ، لا سيما حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة المصرية المحبوب « الأمير فاروق » .

عبد المجيد اللبان

## الى الذين لا يؤمنون بالغيب

من الناس من يتخيلون أن مظهر استقلال الرأى وحرية التفكير إنما هو في جحود الانسان كل ما لا يقع تحت حسه ، ولو صح ما يقولونه لوجب أن ينكروا كثيرا من الحقائق العلمية التى لا يمارى فيها إلا الجاهلون . فالى هؤلاء نسوق القول ، فنعرب لهم بعض ما قاله العالم الفلكى المشهور كاميل فلامبريون فى كتابه (الموت وغامضته) قال : « الإنسانى تعيش فى جهالة بعيدة الغور وهى لا تدرى أن تركيبنا الجثمانى الطبيعى لا يعرفنا بحقيقة الواقع من الحوادث الوجودية ، فإن حواسنا نخدعنا عنها ، والتحليل العلمى وحده هو الذى يأتى عقولنا عنها بيهييص من النور .

« من أمثلة ذلك أننا لا نشعر بشىء من الحركات الهائلة للسكوكب الذى نعيش عليه ، فإنه يظهر لنا ساكنا ذا أوضاع محدودة بالنسبة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ، ومع هذا فإنه يسبح فى الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر فى الساعة فى تطوافه السنوى حول الشمس ، وهى نفسها تنتقل فى خلال اللانهاية السماوية بحيث إن خط سير الأرض لهذا السبب لا يكون خطا منحنيا مقل لافط ، ولكن حلزونيا مفتوحا دائما . وإن كرتنا الهائلة على وجهها فى الفضاء لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الى اليوم .

« وفى الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة فى كل أربع وعشرين ساعة ، بحيث إن ما نسميه (فوق) فى ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتى عشرة ساعة . وإننا نجرى فى هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار فى الثانية فى خط عرض باريز ، و ٤٦٥ مترا فى خط الاستواء .

« هذا وكوكبنا الأرضى تلعب به أربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة

منها حتى التي تمسنا من قرب ، كالمذ والجزر للقشرة الأرضية ، وهى ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الأرضية دفعتين فى اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا ، ولا توجد أية علامة ثابتة تجعلنا نلاحظ هذا الأمر مباشرة . ولولا وجود الشواطىء لما أدركنا وجود المد والجزر فى الأقيانوس كذلك .

« وهل نشعر بالهواء الذى نستنشقهُ أو ندرك له ثقلا ؟ إن سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلى ، وما كان أحد يتخيل أن الهواء ثقيل قبل (غاليليه) (وباسكال) (وتورسلى) هذا ما يشهدنا إياه العلم ، ولكن الطبيعة لا تشعرنا به .

« وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجعلها كل الجهل . فالكهرباء تلعب فيه دورا لا ينقطع ، ولكننا لا نشعر بها إلا وقت الأعاصير ، أى وقت اختلال التوازن بشدة . والشمس تبعث لنا على وجه الدوام بإشعاعات مغناطيسية تؤثر عن بعد ١٥٠ مليون كيلو متر على الابرة المغطسة مما لا نشعر به مشاعرنا ، ولكن توجد أجياد حساسة لطيفة تشعر بوجود هذه التيارات .

« وأعيننا لا تدرك ما نسميه نورا إلا بواسطة ذبذبات الأثير المحصورة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة فى الثانية لونها أحمر متطرف ، وبين ٧٦٠ ترليون ذبذبة لونها بنفسجى متطرف ، والذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المعتمة فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة ، وعاملة فى الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق ٧٦٠ ترليون ذبذبة للأشعة الحرارية البنفسجية المعتمة ، ومع ذلك فى غير مرئية لشبكية أعيننا .

« وأذننا لا تدرك ما نسميه (أصواتا) إلا ابتداء من الذبذبة الثانية والثلاثين من الأثير فى الثانية للأصوات التى نسميها شديدة حتى تصل الى ٣٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية للنفثات الحادة .

« وأنفنا لا يشعر بما نسميه (روائح) إلا عن قرب شديد، وفي عدد محصور منها فقط، ويختلف شم الحيوانات عن شم الانسان .

« وغير هذا فان الواقع أنه لا يوجد في الطبيعة خارج حواسنا لا نور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين وضعنا هذه الكلمات لنعبر عما نحسه من تأثيراتنا، فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة ، ويوجد في الفضاء في وسط الليل من النور بقدر ما يوجد منه في وقت الظهيرة . أعني بهذا أنه توجد فيهما أعداد متساوية من الذبذبات الاثرية تخترق هذه اللانهاية السماوية، ولكننا لا نتأثر بها، فلا نراها لعدم انعكاسها علينا . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة، وليس هو بذى جابة إلا بالنسبة لمصبتنا السمعى . والروائح تحدث من جزئيات سابحة في الهواء تؤثر على عصبنا الشمى .

« فهذا مبلغ ما نصل اليه قدرة حواسنا الثلاث التى تصلنا بالعالم الخارجى .

« وأما الحاستان الأخريان : الذوق واللمس ، فلا تتأثران إلا باللمسة . وهذا شئ

قليل ، وهو فى كل الأحوال لا يؤاثرنا بشئ من العلم بحقيقة الواقع ، فإنه يوجد حولنا من الذبذبات والحركات الاثرية أو الهوائية ، ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة علمية مطلقة ، وبديهية عقلية لا يمكن النزاع فيها .

« فيمكن أن يوجد حولنا أشياء ، بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع

حواسنا أن تصلنا بها . . . .

« فإذا تقرر وثبت بالدليل أن أعضاء الإدراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود ،

وأنها قد تعطينا إدراكات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا ( لا تنس حركات الأرض

وثقل الهواء والأشعاعات والكهرباء والمغناطيس ) قلنا إذا تقرر ما ذكرناه فلسنا

نكون على شئ من التثبت إن ظننا أن ما نراه هو كل الحقيقة ، بل نحن مضطرون

للتسليم بضد ذلك .



« قلنا إن كائنات حية يجوز أن تكون موجودة حولنا ، فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات ، والدور الذى تلعبه فى حياة جميع الأجسام من الخطورة بمكان .

« فالظاهر لا تكشف لنا الواقع ، ولا يوجد إلا حقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هى فكرنا ، والموجود الذى لا يمكن النزاع فيه فى الإنسان هو عقله .

ونحن نقول : ضع هذا الكلام الصادر من صميم العلم أمامك ، ثم تأمل فى أقوال الحمقى الذين يتوهمون أنهم نالوا الدرجات العلى من الثقافة لمجرد قولهم : نحن إنما نتبع ما تقدمه لنا الطبيعة ، فلا نعتقد إلا بما نحس بوجوده بإحدى مشاعرنا . وإذا صح لهم ما يدعون كان عليهم أن ينكروا غالب مقررات العلوم الطبيعية التى يشيدون بذكرها ، ويفخرون بالإنماء إليها . فأين هم من هذه الموجودات التى ثبت وجودها لأهل العلم ولا يمكن الاهتداء إليها بحاسة من الحواس الخمس ؟ .

إن ما ظهر الى الآن من حوادث الكون لا يمكن أن يقارن بما خفى منها « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وقما ثبت وجوده اليوم بالدلائل القاطعة ما لا يمكن رؤيته مطلقا ، لقصور حواسنا عن التأثير به ، وقد اهتدى اليه العلماء اتفاقا ، فكتشف أكبر القوى العالمية وهى الكهرباء التى ننعم اليوم بأنوارها فى أهم مرافقنا ، لم يوفق الى اكتشافها إلا عرضا وبغير قصد . وذلك أن أحد مساعدى العالم ( جالفانى ) الإيطالى المتوفى سنة ( ١٧٩٨ ) شاهد اضطرابا فى عضلات ضفدعة قتلت حديثا ، فأخبر بذلك أستاذه ، فأتى بضفادع وقتلها ثم علقها على قضبان من النحاس ، فشاهد حدوث اضطرابات فى أعضائها كلما مست بقطع من الحديد ، فكان ذلك سببا فى اكتشافه الكهرباء الكائنة فى الأجساد . فلما نبغ العالم الطبيعى ( فولتا ) مواطنه المتوفى سنة ( ١٨٢٩ ) تابع أبحاث أستاذه فى الكهرباء ، فتوصل الى اكتشاف العمود الكهربائى الذى أمكن به توليد القوة الكهربائية واستخدامها فى المنافع الإنسانية على الوجه المشاهد اليوم .

أعلنت كيف قابل الناس مباحث الأستاذ جالفاني في العصر الذي كان يعيش فيه ؟  
قابلوها بالاستهزاء والسخر وسموه بسبب تجاربه في الضفادع بمرقص الضفادع .  
فكان جوابه لهم أن قال : « اسخروا مني ما شئتم فهذا لا يمنع أني على وشك اكتشاف  
أكبر القوى الطبيعية » .

ولو أصر الإنسان على القول بأنه لا يسلم إلا بما يرى لظل الى اليوم يقول بأن  
الشمس هي التي تدور حول الأرض ، فانه يرى ذلك رأى العين ، والواقع أن الأرض  
هي التي تدور حول الشمس . فانظر الى أى حد يخطئ الحس في تقدير أكبر الحركات  
المرئية وأشيعها ؟ وإذا صدق هذا في المرئيات أفلا يكون أولى أن يصدق فيما دونها  
من الحقائق الكونية ؟

قبل أن يكتشف العلم ظاهرة الانكسار في الأشعة الضوئية عند ما تمر  
في مناطق مختلفة الكثافة ، كان الناس يعتقدون أنهم متى رأوا قرن الشمس بارزا من  
الأفق ، حكموا حكما قاطعا بأنها قد ظهرت لنا ، والحقيقة أننا نرى الشمس قبل أن  
تبرز من وراء حجابها بسبب انكسار أشعتها في الهواء وهي تخترق طبقاته المحيطة  
بالأرض ، فان شعاعها لهذه العلة يصل الى أبصارنا قبل أن تبرز الشمس للعيان بدقائق  
معدودة .

وظاهرة الانكسار الشعاعى هذه نستطيع أن نثبتها لكل إنسان بتجربة بسيطة ،  
وذلك بأن يضع ملعقة في كوب مملوء بالماء ، فيرى أن اللعقة التي عهده بها مستقيمة قد  
ظهرت معوجة . والسبب في ذلك هو ما ذكرناه من أن الأشعة التي برزت من أجزائها  
المغموسة في الماء قد كابدت انكسارا بدخولها في الهواء لاختلاف كثافتهما ، فتظهر  
اللعقة معوجة على خلاف حقيقتها .

نم إن حواسنا هذه التي نعول على أحكامها كل التعويل تضللنا في أكثر ما تصلنا  
به من المحسوسات . ففوة الإبصار ، وهي أكبر القوى التي نعتمد عليها ، ترينا الشمس

وهي أكبر من الأرض بنحو مليون وأربعمائة ألف مرة ، قرصا صغيرا سابحا في الفضاء ، وترينا النجوم التي تفوق حجم الشمس ملايين المرات نقطا لامعة ، وتظهرها ثابتة مستقرة ، وهي تقطع الفضاء بسرعة ألوف الكيلومترات في الثانية الواحدة .

هذا في وقت صحة هذه الحواس وسلامتها من الأعراض ، أما متى اتابتها بعض الأمراض فإن تضليلاتها لنا لا تقف عند حد ، فترى العين إذ ذاك الألوان على غير حقيقتها ، وتراى لها أدخنة متكاثفة ، وسماوير محومة أشباه الذباب تحجب عنها المرئيات ، وترى بروقا لامعة وسهاما نارية متطايرة ، ولا يوجد في الواقع شيء من ذلك ، وتسمع الأذن دويا لا يطاق هولا كأن آلة بخارية في حالة ثوران قد سلطت عليها ، ولا يوجد في الواقع أثر من ذلك كله . فإذا شكا المصاب به لمن حوله فقد لا يصدق من لم يكن قد أصيب بمثله . وقد يحسب الغم المريض أن الماء العذب ، بل الشراب المتناهي في الحلاوة قد مزج بالعلقم المر . وقس على ذلك بقية الحواس في ضروب الأعراض المرضية .

فهذه الحواس لا يجوز أن يوثق بها ثقة عمياء ، ولا أن يوقف مع إحساسها بالأشياء دون أن تعدل بحكم العقل وحقائق العلم . ولست أقول كم في الغيب من حقيقة ، ولكني أقول إن الحقائق الكبرى كلها محجوبة عنا ، وإن هذه الحواس الخمس التي تشترك معنا فيها المعجوات لا توصلنا إليها إلا بنور من العقل وعلى بصيرة من العلم . وهذا هو الذي جرى عليه الإنسان وسيجرى عليه إلى أن يبلغ ما قدر له من كمال .

محمد فريد ومهدى

## بعض خصال المؤمن

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، وإذا قدر عفا .

# كيف انتشر الاسلام

- ٢ -

دخوله في أوروبا وآسيا

تابع في هذا العدد ما سبق لنا نشره من هذا البحث مترجما عن الألمانية من كتاب « الاسلام » للمستشرق الألماني الأستاذ الدكتور مارتن مارتمان ، قال :

« بدأ الاسلام بظهوره عند البلغاريين المستوطنين حوض نهر الفولجا من أوروبا حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية ، حيث اجتاح المغول جميع أنحاء بلادهم الى أن عمت فتوحاتهم ( في عهد « باطو » وهو حفيد جنكيز خان ) الأقليم الواسع فيما بين نهر سير داريا وبحيرة آرال وبحر قزوين وبلاد القوقاز ونهر « دنيبير » .

« ودخل من ملوك الطائفة الذهبية كثير في الاسلام ، فقويت بهم شوكتهم ، وزاد سلطانهم ، خصوصا أن أحد « بركة خان » كانت تربطه وسلطين الممالك بمصر روابط ودية .

« وقد انتشرت تعاليم الاسلام في أنحاء سيديريا وساعد على انتشارها تنقل التجار القادمين من بلاد ما وراء النهر وغسان في هذه الأنحاء ، وقد نجحت الدعوة الى هذا الدين الى حد بعيد في منطقة « بارابا » .

« وأما في أوروبا فكان المسلمون نزلاء ذوى مصالح ، إذا استندنا اسبانيا وصقلية في العصور الوسطى .

« وأما في إفريقية فابتدأ الاسلام بالظهور في مصر حيث امتدت الفتوحات الاسلامية حتى عمت السواحل الغربية ، ثم امتد جنوبا بمعاذة نهر النيل حتى وصل قلب القارة الإفريقية . وجاء الاسلام الى بلاد السودان من نواح متعددة من الغرب ، ومن

الشمال الغربي من الجزائر وتونس وطرابلس، ومن صعيد مصر، ومن السودان. انتشر الاسلام في جوف القارة الآففة الذكر الى أن وصل الى المحيط الهندي، فدانت له جميع القرى فيما بين كونا كرى ولاجوس في ينجيريا، وإن كان لم يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا في الجنوب الغربي. وأما القبائل العديدة من المسلمين الموجودين في مستعمرة الكاب فيرجع عهد إسلامها الى أيام السيادة الهولندية.

« وأما شرق القارة فكثيرا ما غزاه العرب والفرس من جهة البحر، وأسسوا الجاليات الإسلامية من مدينة « موجد يشو » حتى مدينة « كلوه » ومنها انتشر الإسلام حتى عم جزائر الزنجبار المجاورة، وكان معظم المهاجرين يفدون الى هذه النواحي من اليمن ومن عمان. ولم تقتصر الفتوحات الإسلامية من جهة الشرق على هذه النواحي فحسب، بل إنها كثيرا ما تغلغت داخل القارة. وكان من مزايا دخول الاسلام وانتشاره في هذه الأقاليم المظلمة أن تحسنت الزراعة، وأمنت التجارة، ونظمت طرق النقل، وخرج الأهليون من ظلمات الجهالة الى نور المعرفة، فعملوا القراءة والكتابة. ومن آثار الاسلام الخالدة محاربة المسكرات، والقضاء على أعمال القسوة ضد الانسان والحيوان، وأكل لحوم البشر، وقتل الأطفال والكهول والمرضى، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالي الوثنيين.

أمر الاسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف، فكل هذه الأمور وغيرها من الفرائض الدينية جعلت الأهالي من الوجهة الخلقية والاجتماعية في مصاف غيرهم من البشر، إذ أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الانسانية المسئولة. وقد عودهم الاسلام النظافة والنظام.

« ولما كان علماء الدين ورافعوا الاسلام النازحون الى هذه النواحي من العمال المهرة والزارعين النشيطين والتجار ذوي الكفايات فيهم، تقدمت الحياة الاقتصادية من النواحي المختلفة ».

نقول : إن ما ذكره الأستاذ ( مارتن هارتمان ) من أن الإسلام نقل الذين أخذوا به من حضيض الوحشية الى حالة راقية من الحياة الاجتماعية ، هو ما اعترف به للإسلام جميع الذين شهدوا آثاره على الشعوب الإفريقية والآسيوية المنحطة من القسيسين والمبشرين أنفسهم ، فقد أجمعوا على أنه متى مدروا قه على قبيلة وثنية نقلها فجأة من الدركة الساقطة التي كانت عليها ، الى درجة من النظام والرق تباين بها جميع القبائل المحيطة بها ، ومكنها من السيادة عليها .

والسر في هذا التطور السريع في نظرنا ونظر كل من يعرف الإسلام يرجع الى أصوله الكريمة ، وتعاليمه السديدة . فإن أول ما يتقاضاه من الذي يريد الدخول فيه أن يطهر قلبه من أدران الشرك ، وأن يسقط من مخيلته تلك الأوهام والضلالات الوثنية التي ورثها عن أسلافه ودان لها بغير روية ، وأن يعترف لله تعالى بالوحدانية ، ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ، وأن يقوم بجميع أركان الإسلام وتعاليمه ، وهي في الحقيقة طهور للنفس تجتث منها جميع ماركته الأديان الباطلة عليها مما ينافي العقل ، ويضلل الفكر ، ويكدر صفاء الروح . فتتشتط الفطرة الانسانية من عقابها ، وتفتك ملكاتها السامية من ربطها ، فتدفع الانسان بقواها الذاتية الى تغيير موقفه في الحياة ، وتمسديل وجهته في سلوك جادتها ، وتعين له مثلاً أعلى ، ونمحه على بلوغه . ويظهر أثر ذلك كله في مجموع القبيلة ، فيرى الخارجون عنها انقلاباً طرأ عليها يوشك أن يتأدى بها الى غايات من الرق بعيدة .

ولا غرابة في هذا كله فإن الإسلام يوجب على أهله الإقلاع عن كل ما يفسد كيان الانسانية من الصفات الحيوانية ، كتعاطي المسكرات والمقامرة والفسق ، وقتل الأولاد وإهمال تربيتهن ، واحتقار النساء والشيوخ والضعفاء ، وارتكاب الخسائس والدنایا من جميع الضروب ، ويحث على مكارم الأخلاق ، وعلى طلب الأحسن والأجمل من كل شيء ، وعلى تحرى الحق والصدق في المعاملات ، وعلى تطالب العلم والحكمة وإكبار

أهمها ، وعلى استصلاح المعيشة بالوسائل المشروعة ، والترفع عن الظنون والأوهام ، ومجانبة أهل البطالة والعصيان ، والإقبال على الله بالقلب ، منزها إياه عن التفائض ومسابهة المخلوقين ، وعدم تناول ما يعلو طور العقل بالتأويلات والتخيلات الخ .

فهذه الصفات كلها التي هي من أوليات الاسلام تحدث في الشخصية الانسانية تطورا بعيد المدى لا تقف آثاره عند حد وهو الذي شهد به جميع دعاة الأديان في إفريقيا وآسيا ونشروه في مؤلفاتهم ونشراتهم الدورية ، وأثر عن هذا الدين في كل دور من أدواره . وليس هذا رأى الدعاة وحدهم ، فقد أصبح يقول به رجال عظماء من أهل العلم مثل ( برنارد شو ) الفيلسوف الانجليزي ، وقد نشرنا رأيه في مقالة خاصة في هذا العدد ، فإنه يرى أن أوروبا ستضطر أن تأخذ بالاسلام في نحو قرنين من الزمان ، لتستشفى به من أدوائها الاجتماعية التي كادت تودي بدميتها . فهذه الآراء ليست ملقاة جزافا ، ولكنها ثمرة تفكير طويل ، وروية متزنة . وهي من مثل برنارد شو أوقع في النفس ، وأفضل في الجماعات ، فأن الرجل يشتغل بالبحث في الشؤون النفسية والأمر الاجتماعي ، فهو خير بأدواء الأخلاق ودوائها ، وبطب النفوس وعلاجها . وإن هذه الحقائق التي بدأت تتجلى في حلة من علم القرن العشرين سيرن صداها في أرجاء العالم ، وستعم شعوبه قاطبة في وقت قريب ، وإذا ذلك تكتسب الدعوة الى الاسلام قوة على قوتها ، فيصبح انتشاره بين الأمم الغربية أمرا لا مرد له ، والله غالب على أمره .

## فضيلة الاستشارة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة . وقال عمر بن عبد العزيز : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يضل معها رأي ، ولا يفقد معها حزم .

# عجائب المخلوقات

عادة الاسترقاق عند النمل

كان الناس يظنون أن الاسترقاق عادة بشرية محضة، ليس في العالم الحيواني ما يشبهها، ولكن علماء الحيوان أثبتوا أن عادة الاسترقاق موجودة في النمل قبل أن يوجد الإنسان على الأرض بآمد طويلة .

وذلك أن بعض أجناس النمل ألهمت أن تقوم على نظام اجتماعي مقرر . وقد قسمت جماعتهم الى قسمين : العملة والمحاربين ، فالأولون أصغر أجسادا وأقل قوة من المحاربين الذين قد وكل إليهم مكافحة الأعداء والدفاع عن الحوزة .

من الأجناس التي تمارس الاسترقاق، النمل المسمى روفسنا، وآخر يسمى روبا وغيرهما . وهو يعمد الى الاسترقاق باختطاف أبناء النمل الأسود ، فيشن لذلك عليها من الغارات ما لا يكاد يتصور . فقد نقل الأسانذة هور وكروبي وسبنسر ولورد افبري وغيرهم أنهم شاهدوا هذه المعارك ورأوا أن النمل ينقل قتلاده وجرحاه من ميدان القتال في أثناء حصوله ، الى أمكنة هادئة وراء صفوف المحاربين .

أما ما تستعوز عليه هذه الأجناس من نابتة العدو فتكلفتها بجميع ضروب الخدم ، فتراها تشتغل طوال نهارها في جمع الذخيرة وتربية الصغار . ولا شيء أعجب من مشاهدة هذا الرقيق من النمل يؤدي عمله بكل أمانة وصدق .

ولما تولد نملة لا إحدى ساداتها ، تراعى يساعدها في التخلص من قنبرتها ، وقد يكون هذا العمل شاقا فيجتمع له عدة أرقاء ليتساعدوا على القيام به .

قد يفرط بعض أجناس هذا النمل في الاعتماد على أرقائهم في غاية الكسل إذ يترك جميع الأعمال ليقوم بها أسراء ، ويبالغ في الاعتماد عليها الى حد أنه يكسل عن المشي ، فيكلف الأرقاء أن تحمله على ظهورها ، كما هو حال النمل المسمى ( بوليير جوس روفيسنس ) .



The system of classes has existed from the very beginning of Islam which presents a perfect social system from all standpoints.

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

« Verily this Koran guideth unto the most upright way ».

(*Baidawiy's Commentary*).

of justice, equality and fraternity, these salient conceptions will be effaced from the human mind and men will live in brotherly co-operation bound together with the purest of moral bonds and interests. The field of productive work will be thrown wide open for the benefit of all men alike unhampered by the spirit of the vain pride of old. Discord will give place to concord and the destructive wars and fierce rivalry which have prevailed will for ever cease.

Yes indeed, this may be a far-off hope but it will no doubt come to pass. The trials and ordeals which the world is undergoing to-day are fast paving the way for the materialisation of that hope. It is then that the meaning of the Lord's saying will be fully realised:

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية اقلا عن البيضاوى

« Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and on earth submitted in obedience or by force and unto Him shall they return ? »

(Baidawiy's Commentary).

We must need add to this that Islam, though it proclaimed the universal brotherhood and equality of mankind, recognises the necessity of classes in the social structure of the nation so that the edifice of society may be founded on a solid and concrete basis and no disorder may find a way to upset it.

The only condition stipulated by Islam in the constitution of these classes is that they should be constituted according to the moral and scientific attainments in pursuance with the law of assignation of work only to those who are better fitted to discharge it in the most satisfactory manner.

nalities, including a number of slaves with the sole exception of Al Nakhlahy who was an Arab. Al-Hassan Al-Bisry, chief of traditionalists, was a Persian. It also so happened that the first Imam, Abu Hanifa Al-Nu'man Ibn Thabet, was a Persian and he was called the "Great Imam." Many of the compilers of authentic tradition are also of different nationalities as Al-Bukhary, Muslim, Ahmed, Al-Baihaqy, Al-Termizy, Al-Darake'ny and Ibn Maja. The fact of their being foreigners did not in the least hinder them or stop people from quoting them as authorities on the subject.

The same thing applies to the older and great school of commentators on the Koran as Al-Tabary, Al-Zamakhshary, Al-Razy and Al-Nisaboury.

Prominent men of learning who came after the Imams were also of different nationalities. Al-Bakillany, Al-Asfaramy, Abu Hamed Al-Ghazaly who was called "Hujatul Islam" (Authority of Islam), Al-Ragheby, Al-Asfahany and many others hailed from different parts of the earth.

Nor were the philologists as Abu Obeida, Al-Feyrouzabady and Al-Jowhary or the grammarians who established its principles as Al-Khalil Ibn Ahmed, Sebawehi, Naltawehi, Ibn Khalawehi and Ibn Fares or the great poets and men of letters as Bashir Ibn Burd, Abu Nowas, Marwan Ibn Abu Hafsa, Mihyar Al-Darlamy etc., excepted. They were all, as their names indicate, of different nationalities.

This universal tendency with which the older society of Islam was characterised is a miniature of the future state of Islam when it becomes universally known and is adopted—after the study of its principles in the light of science—as the religion of mankind at large.

Indeed the greatest obstacle which stands in the way of agreement between men and deprive them of the blessing of general co-operation is the spirit of nationalism which induces its adherents to believe themselves the greatest nation on earth and that Providence has endowed them with peculiar advantages which render them masters over the whole world. Nay some of them go even further and deem themselves the chosen people of the Creator Himself and regard all other people as inferior to them. Little wonder therefore that nations strive their utmost for the destruction and downfall of one another and thus deliberately change the face of the earth into huge battle fields in which the most barbaric atrocities are perpetrated.

But the day will come when, by the unification of the Moslem spirit

far, no merit is there to a white woman's son over a black woman's son save by righteousness or a good deed." Abu Zarr, thereupon put his cheek to the dust and asked the blackman to trample on his face as a token of contrition and deep remorse for what he had done.

The Prophet (on whom be peace) had insisted on the practice of this noble principle on various occasions. One of his famous sayings in this connection runs: "Allah hath delivered you from the curse of the days of ignorance (pre Islamic days) and its pride in ancestry. No merit is there for an Arab over a foreigner nor a white man over a black man save by righteousness or a good deed."

Moslems have practiced this noble tradition after the Holy Prophet (on whom be peace). They made no distinction in the treatment of people according to their birth or colour. The sole criterion of distinction was the intrinsic value and moral attainments of the individual. Some slaves and bondmen, even people of unknown ancestry have attained to the very summit of distinction and were accorded the highest honours despite their so-called lowly origin.

When Omar was on his death bed he nominated six men, bade the people to elect one of them to be Caliph and said: "By Allah had Salem the slave of Abu Huzafa been alive, I need not have recourse to consultation" meaning thereby that he would have given him the Caliphate, and this Salem was a bondsman of Abu Huzafa! The words of Omar will live for ever in the annals of history as an ideal of the equality of mankind.

When those six men were nominated by Al-Farooq (Omar) for the election, he ordered them not to leave the house in which they met until they have chosen one from among themselves. Meantime he ordered Soheib to lead the people in prayers, a function which was given only to capable men of unimpeachable character and good repute. This Soheib was a Greek slave! To this extent had Moslem society dropped all racial and social distinctions.

One significant point regarding this people, hitherto unprecedented in the world's history, is that its leaders, men of learning and its prominent men in the field of mental activity were of different nationalities. Some of them were even slaves or the sons of slaves, yet this did not prevent them taking a foremost position where their talents and capabilities put them. All the older law-doctors in the Moslem provinces were of different natio-

between him and his being appointed commander-in-chief of the expedition to Transoxiana. The conquest was accomplished by him in the reign of Beni Ommaia and he imposed tribute on China. One day he encountered an Arab and jokingly asked him "Wouldst thou like to have great wealth and position and belong to the tribe of Bahila?"

"No by Allah" was the prompt reply.

"Wouldst thou like to be a commander such as I am and belong to the tribe of Bahila?" asked Muslim.

"No by Allah" the Arab answered unhesitatingly.

"Wouldst thou like to inherit Paradise and belong to Bahila?" said Muslim.

The Arab thought for a while and said "Maybe I would on condition that nobody knows it."

As to their treatment of bondsmen and black slaves, the Arabs meted no better treatment to them than was meted to dumb animals.

When Islam established the principle of universal equality of men this state of affairs was instantly changed. Men were all rendered the same. No one was to ask his fellow-being of which tribe he was or to which nation he belonged. He was to treat him in the same way as he treated his nearest kinsmen. The Prophet (on whom be peace) had striven to render this equality an accomplished fact. Belal (1) was given the governorship of Medina which boasted of many notables and high personages. Osama Ibn Zeid, a bondsman, was given the leadership of an army in which Abu Bekr and Omar, whose noble birth and ancestry are well known, fought under him. Bazan, the Persian, was given the governorship of Yemen, the most fertile of Arab provinces, which was of great importance from the strategic standpoint. When Bazan died, the Prophet (on whom be peace) gave his son Shehr Feyrouz the governorship.

It came to pass that Abu Zarr Al-Ghafary disputed once with a black man in the presence of the Prophet (on whom be peace). Abu Zarr became enraged and he called the black man "son of black woman." The Prophet (on whom be peace) was greatly annoyed and he said "This has gone too

---

(1) Belal: a black slave and attendant of the Prophet.

towards one another, he will readily admit this principle and recognise it as true. Should he again be asked whether their worth and position should solely depend on their moral attainments and not on their belonging to a certain race, colour or class, he can only answer in the affirmative.

These great facts which the civilised world so far fail to appreciate, are considered axiomatic by those who have freed themselves of passion and superstitions and upheld the law of nature in accordance with Islam. They follow Islam impelled by the moral forces inherent in their nature and here lies the secret of Islam's success in implanting those facts in the hearts of its followers. Yet these very same facts could not be made acceptable to a people who have not achieved that mental freedom stipulated by Islam in its first principle no matter how great their worldly knowledge may be.

We may now ask to what extent have these Koranic principles been applied and practiced in Moslem society? As principles, they have been applied to the fullest extent that could be attained by a nation. We give below a few instances to show the universal character of those principles unfolding an ideal society which the most civilised nations have hitherto failed to realise.

A man comes to the Prophet (on whom be peace) to swear allegiance to Islam, and he straightway becomes one of his company. No distinction is made between a Koreishite from the very branch of Hashem or Abdul-Dar and another from Bahila or Salul who were the lowest of the Arab tribes. Nor was any distinction made between him and a Persian, or a Greek whom the pure Arabs regarded as foreigners, or even between him and a bondman or a black slave sold at the market even as animals are sold. All are bound together with one bond, the bond of brotherhood in its fullest meaning of unity and co-operation with no other consideration of conventional or racial distinctions.

This took place in a society where social distinctions reigned supreme so much so that a man was upbraided for becoming a marriage relation to some one whose mother was an Arab and his father a foreigner or the reverse.

But that was not all, the Arabs used to distinguish between the different tribes and assign them different positions. Beni Bahila and Beni Salul were regarded as the lowest of the Arab tribes.

Muslim Ibn Qutaila was from Beni Bahila yet this did not stand

whom be peace) and his Companions have applied them to the Moslem society and made them a regular practice so much so that any breach thereof was considered an infringement of established law.

We have already pointed out that the Holy Koran has called to universal brotherhood of mankind making no distinction between high or low nor black or white and inculcating that real honour lies not in belonging to this nation or the other nor to this family or that but in the moral and spiritual attainments of man. Islam has not aimed, as all reformers prior to it have aimed, at the establishment of a nation on the principle of race, but it aimed at the establishment of a universal nation in which racial and social distinctions melt away and which constitutes the ideal of what a nation should be when those nationalistic and racial prejudices that separate mankind and induce them to war are exterminated.

One feature wholly arrests the attention in this matter and that is that the Prophet (on whom be peace) had succeeded to apply those great principles to nations which were most unwieldy and superstitious fulfilling thereby a social miracle after which reformers of all generations strive but are unable to materialise in one single nation of the same race much less in a collection of nations of contradictory principles and traditions!

This is one of the immortal phenomena of Islam and if we devote a special chapter to it, it is because that it is well worthy of a whole volume to be written by some prominent authority in social science who has made a study of the psychology of human communities and come to realise the impossibility of such a task.

Sociologists are baffled by the far-reaching effects of this phenomenon and many and diverse were the interpretations they gave to it but it is easy in order to comprehend it, to consider the two great principles on which this Faith is established viz: human nature and pure reason.

By calling men to uphold the law of nature, Islam demands of its follower to relinquish all inherited traditions and superstitions and to face the bare facts of life absolutely free of all imaginary conceptions or traditional prejudices. When this mental evacuation is accomplished, Islam demands of its follower to accept the judgment of reason not that of passion and fancy. The judgment of reason thus established, it is easy to convince him of all that is right and good. Should he be asked whether all people are the children of one common father and mother and whether their colour or race are mere forms that do not prevent their being brotherly and amiable

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD<sup>(1)</sup>

#### III

#### THE IDEAL OF NATION-BUILDING.

---

It is not of fundamental importance to the intrinsic value of principles that they should attain a high standard of perfection, but a great deal depends on their application and feasibility otherwise they will be, so to speak, mere scribble on paper. Plato in his Republic and Aristotle in his Politics, have established great principles but they have utterly failed to induce their people to adopt them and these principles remained where they were inside those two books. All through their life and that of the Greek people, practice ran counter to these principles and when the Romans inherited them they did nothing towards their development or application. Not so the principles established by the Holy Koran. The Prophet (on

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.